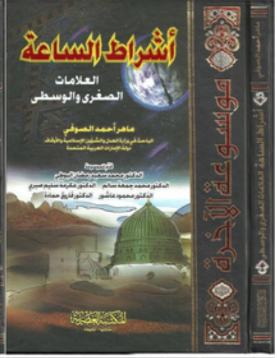
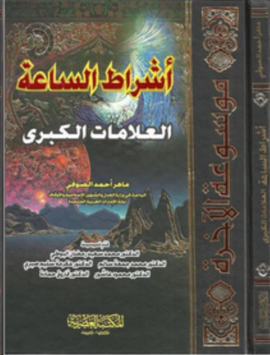
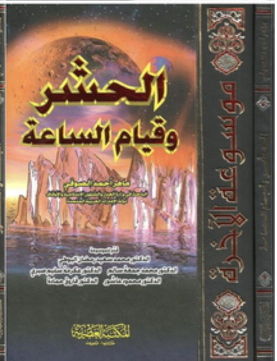

أشراط الساعة
العلامات
الصغرى والوسطى
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية

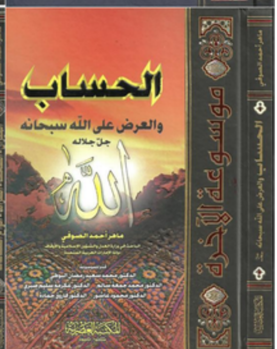

أشراط الساعة
العلامات الكبرى
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية


الموت
وعالم البرزخ
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية

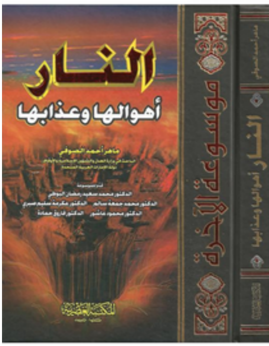

الحشر
وقيام الساعة
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية


البعث والنشور
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية


بداية يوم القيامة
أرض المحشر - الحوض
الشفاعة العظمى
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية


الحساب
والعرض على الله سبحانه
جلّ جلاله
الله
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية


الميزان
الصحف - الصراط
أنواع الشفاعات
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية


النار
أهوالها وعذابها
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية


جنان الخلد
نعيمها وقصورها وحورها
ماهر أحمد الصوفي
موسوعة الآخرة
المكتبة العصرية

فهارس

أشراط الساعة

العلامات الصغرى والوسطى

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدّم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

أشراط الساعة العلامات الصغرى والوسطى

ماهر أحمد الصوفي

المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

أشراط الساعة
العلامات الصغرى والوسطى

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدّم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمّد جمعة سالم | الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور | الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-335-7

بسم الله الرحمن الرحيم

قدَّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١٥، ١٦]

يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ .

[سورة الشورى آية ١٧، ١٨]

يقول تعالى:

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ١٨]

حديث شريف:

ـ جاء في حديث عوف بن مالك رضي اللّٰه عنه الذي ذكر في فتح بيت المقدس ـ أن رسول اللّٰه ﷺ قال له:

«أعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مِائة دينار فيظل ساخطاً، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية (راية) تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته».

[رواه البخاري برقم ٧٩٢٩ جامع الأصول]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي».

[رواه الترمذي وأبو داود وابن حبان]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بُصرى الشام».

[رواه مسلم رقم الحديث ٢٠١١]

الإهـــداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبهنا وعلمنا . . اللَّهم صل وسلم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي — وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة. . فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللّه بها عليه، فأسأل اللّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

الجزء الأول

من موسوعة الآخرة

أشراط الساعة

العلامات الصغرى والوسطى

في هذا الجزء

-دراسة متكاملة شملت حقائق العلامات تمحيصاً، وتدقيقاً، وتحقيقاً.

-دراسة اعتمدت على كتاب اللّٰه تعالى وما جاء فيه عن أشراط الساعة.

-دراسة اعتمدت على أحاديث رسول اللّٰه ﷺ وما ورد في الأحاديث الصحاح المعتمدة.

-دراسة أبعدت كل الأحاديث الضعيفة أو التي لا سند لها ولا راويَ من رواة الأحاديث الصحيحة.

-دراسة اعتمدت على التحقيق العلمي لكل النصوص الواردة في الحديث عن أشراط الساعة العلامات الصغرى والوسطى.

-دراسة شارك فيها العلم الحديث. علم الفلك، وعلم الجيولوجيا، وعلم التاريخ الصحيح الذي أورد الأحداث بحقائقها الثابتة... كما وردت عن رسول اللّٰه ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم

الدكتور محمد جمعة سالم

وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

. . . . لقد تعلمنا من هدي القرآن الكريم ومدرسة السنة النبوية الشريفة أن الإيمان باللَّه سبحانه يقتضي الإيمان بالآخرة كشرط لصحة الإيمان، فلا يستقيم إيمان المسلم إلا إذا آمن باللَّه واليوم الآخر وعمل صالحاً.

. . . لذلك نجد في كتاب اللَّه تعالى عشرات الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد الاتصال الوثيق بين الإيمان باللَّه سبحانه والإيمان باليوم الآخر وتوثيقهما بالعمل الصالح. يقول تعالى:

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١١٤]

﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٦٩]

بل وعد اللَّه سبحانه من آمن باللَّه واليوم الآخر أجراً عظيماً يوم القيامة.

يقول تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٦٩]

فالإيمان باللّه سبحانه متكامل وأحد أركانه المتينة الإيمان باليوم الآخر الذي هو ضرورة إيمانية حتمية لتقويم النفس والذات والسلوك وكذلك هو الامتحان العملي الذي يعيشه الإنسان طوال حياته.. فإذا آمن الإنسان باليوم الآخر صلح عمله وزكت نفسه ونجح وفلح في الامتحان الإلهي وكان على صراط اللّه المستقيم وإذا لم يؤمن فسد عمله وخابت نفسه وسقط في الامتحان الإلهي وابتعد عن صراط اللّه السوي المستقيم.

يقول تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ٧٤]

... لذلك كان تدارس اليوم الآخر من ضرورات الإيمان والإسلام لأن في دراسته وفهمه والاطلاع عليه شفافية ترقق القلب وتخلص النفس من نوازعها الشيطانية الشهوانية فتحقق الصلاح المنشود والمرجو من الإنسان وتوثق العلاقة بين الخالق والمخلوق، وتحقق عبودية المسلم الذي يسعى إلى تنفيذ أمر اللّه سبحانه في كل ما أوجبه ونهى عنه أملاً برحمته وما عنده في الآخرة من عظيم الأجر والثواب

.. فلا شيء يرقق القلب ويخفف من غلواء النفس وصلفها وتجبرها إلا أن يجعل الإنسان آخرته منطلقاً لأولاه، وموته منطلقاً

لآخرته، وعمله منطلقاً لإيمانه.. فإذا تحققت في كل نفس تلك المعادلة ربط الإنسان بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة برباط وثيق، كان فيه الشاهد والمعين والمؤمن والولي والمحقق هو اللَّه سبحانه

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٣٠ ـ ٣٢]

... لذلك كانت هذه الموسوعة بأجزائها العشرة بمثابة أجراس تنبيه لها صوت ندي ينبعث من عمق الوجود الإنساني، تنبه الساهين، وتوقظ النائمين، وتشد على الغافلين، وتنذر المستهترين، وتتوعد بما ذكر فيها من آيات قرآنية كريمة وأحاديث شريفة المشركين والكافرين والمنافقين سوء المآل والمصير.

... والساعة وأهوالها التي هي أول مراحل الآخرة شيء عظيم لا يقدر الإنسان على رؤيتها ورؤية ما فيها من أحداث جسام إلا إذا اعتصم باللَّه سبحانه في دنياه واتقى ربه حق تقاته وعمل على طاعته وجعل في حياته نصيباً وافراً لعبادته.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ١، ٢]

. . . فإذا اعتصم الإنسان بربه كان بمأمن من الخوف والفزع الذي يعتري الناس يوم القيامة حيث تتلقاهم الملائكة مبشرين ومطمئنين

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠١ ـ ١٠٣]

. . . فدراسة الآخرة التي هي المآل والنهاية ودار القرار من أوليات ثقافة المسلم ليكون على اطلاع جيد على مجريات الأمور وتتابع الأحداث بدءاً من اللحظات الأولى للموت ونهاية بدخول الجنة إن شاء اللّٰه.

. . فالإنسان لا يستطيع العيش بمنأى عن العلم (علم الآخرة) التي ليست هي المحطة الأخيرة لحياته فحسب بل هي الحياة كلها بخلودها الدائم . . . فلا يمكن للإنسان أن يولي اهتمامه للدنيا ويجعلها الهدف الأول والأخير لحياته وينأى عن علم الآخرة التي تمتد فيها الحياة إلى ما لا نهاية في عالم الخلود الأبدي

فالدنيا دار الامتحان للآخرة أو قل هي وسيلة الآخرة جعلها اللّٰه سبحانه دار ابتلاء وامتحان ولم يجعلها دار سعادة وهناء وسرور وجعل ما عليها زينة لها لتكتمل صور الابتلاء

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٧]

ومن واقع هذا الامتحان الإلهي للبشر على الإنسان أن يسعى جاهداً في مرضاة اللّه والعمل الصالح فيأخذ من الدنيا حاجته بما يرضي اللّه سبحانه ويتزود لآخرته بزاد التقوى والصبر والطاعة والعمل الصالح.

يقول تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٩٧]

. . . وفكرة الكاتب بتأليف هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) فكرة جديدة وعمل جيد متكامل غير مسبوق حيث جمع أحداث الآخرة في عشرة أجزاء بدءاً من أشراط الساعة الصغرى والوسطى، وأشراط الساعة الكبرى، والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة وأهوالها، والبعث والنشور، وأرض المحشر والشفاعة العظمى والحساب والعرض على اللّه، والحوض والميزان والصحف والصراط، وأخيراً الجنة ونعيمها والنار وأهوالها. . . وفي إطار ذلك توسع الكاتب في الشرح والتفصيل والبيان والتحليل وذلك وفق ما جاء في كتاب اللّه تعالى وسنة نبيه المطهرة وأعطى لكل جزء حقه من البيان الواضح مكثراً من شواهد الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسوله ﷺ وقول ورأي وتفسير السابقين والمعاصرين لكثير من أحداث يوم القيامة، كذلك اعتمد على العلم الحديث في تفسير الآيات الكونية وأحداث قيام الساعة وانفطار السموات، وزلزلة الأرض، وتسجير وتفجير البحار كما ورد في كتاب اللّه تعالى. . .

وأرجو أن تعم الفائدة المرجوة من هذه الموسوعة عموم المسلمين لما فيها من خيروعلم وعمل صالح وأرجو اللّٰه سبحانه أن يجعل له هذا العمل في ميزان حسناته وحسنات كل من ساهم فيها وعمل على إخراجها ونشرها.

وآخر دعوانا أنْ الحمد للّٰه رب العالمين

الدكتور محمد جمعة سالم

وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
د. عكرمة بن سعيد صبري
خطيب المسجد الأقصى
والمفتي العام للقدس والديار المقدسة

. . . الحمد للّه الذي أسبغ على المؤمنين نعمه ظاهرة وباطنة فابتلاهم فيما آتاهم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

فتولاهم برحمته وتفضل عليهم بنعمة الإيمان والإسلام فوعدهم بحسن المقام في مقعد الصدق عند مليك مقتدر.

والصلاة والسلام على النبي الكريم الذي بعثه اللّه بشيراً ونذيراً وعلى آله الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين ومن سار على دربهم واقتفى أثرهم واستن سنتهم بإحسان إلى يوم المنتهى.

. . . أما بعد، فإنه من بدهيات القول: أن الإيمان باليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان الستة في ديننا الإسلامي العظيم. . إلا أن بعض المسلمين قد غفلوا عن هذا الركن، ولم يعودوا يتذكرون إلا لماماً، وأنهم انغمسوا في شهوات الدنيا وملذاتها وزخرفها.

. . لهذا كان لا بد من تنبيه الغافلين عن اليوم الآخر بشكل

مستمر، وذلك ليتذكروا الآخرة وبالتالي ليستقيم سلوكهم وليقوّموا أمورهم وليوازنوا بين الآخرة ومتطلبات الدنيا الفانية، واللَّه عز وجل يقول في هذا المجال ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٧٧]

وعليه جاءت هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) حافلة شاملة لمعالجة هذا الركن من أركان الإيمان.. هذه الموسوعة التي تضمنت عشرة أجزاء فيها جهد كبير مبارك قام به الأخ الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي حفظه اللَّه سبحانه ومنحه بسطة في العلم، حيث بدأت الموسوعة بأشراط الساعة الصغرى والوسطى ثم الكبرى ومروراً بالموت وعذاب القبر والبرزخ وقيام الساعة والحشر والنار وأهوالها وانتهاء بالجنة ونعيمها

... وبهذه المناسبة أدعو العلماء والوعاظ والدعاة والخطباء إلى الاستفادة من هذه الموسوعة وأن يتناولوا موضوع (اليوم الآخر) في خطبهم ودروسهم ومواعظهم لإزالة النسيان الذي ران على قلوب الناس ولربط ذلك بالواقع الحياتي الذي نعيشه، وبالتالي ليكون الناس على يقظة مستمرة مع ربهم سبحانه وتعالى، حتى يتقوّى الإيمان ويتقيدوا بأحكام وأوامر العزيز الرحمن.

وأخيراً أقول لأخي الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي بارك اللَّه في جهودكم لإخراج هذه الموسوعة التي تُعدُّ فريدة وغير مسبوقة في حجمها وتفصيلاتها.

وأسأل اللَّه العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه

الكريم وأن يكتب ذلك في ميزان حسناتك وحسنات كل من ساهم في إعدادها، وقام على إخراجها ونشرها، وأن تعم الفائدة المرجوة من هذه الموسوعة المسلمين كافة لما فيها من علم غزير وبحث مفيد وصدق اللَّه سبحانه

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .
[سورة الشعراء، الآية: ٨٨، ٨٩]

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

٢٧ رمضان المبارك ١٤٢٤هجري

٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٣م

أخوكم
د. عكرمة بن سعيد صبري
خطيب المسجد الأقصى المبارك
المفتي العام للقدس والديار المقدسة
القدس ـ فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
د. محمود عاشور
وكيل الأزهر الشريف سابقاً

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا أحد العلماء فكر في أن يكتب موسوعة عن الآخرة تتناول البعث والحشر والحساب والجزاء. وهو تفكير طيب يذكر الناس بأن الدنيا ليست نهاية المطاف وإنما هي طريق موصل للآخرة. وبذا لا تكون الدنيا أكبر همهم ولا مبلغ علمهم. فيعملون ما يرضي اللَّه سبحانه وتعالى وما يحقق لإخوانهم الخير والسعادة. ويتحقق القول المشهور عن علي ابن أبي طالب رضي اللَّه عنه: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**» وما أعظم أن تكون الآخرة دوماً في ذاكرة الإنسان المؤمن فيستقيم على الجادة فلا يغش ولا يختلس ولا يرتشي ولا يزني ولا يسرق. لأنه يستحضر العقوبة على هذه الذنوب، وحين يستحضر الإنسان العقوبة لا يرتكب خطيئة أبداً، ولا يركن إلى الدنيا وزخرفها ومباهجها وفتنتها، وإنما يوازن بين الدنيا والآخرة، ويعيش مع قول ربنا عز وجل: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۞﴾.

[سورة الأعلى، الآيتان: ١٦، ١٧]

والموسوعة في مجموعها عمل علمي راق سبق به المؤلف فلم

يسبقه أحد إلى الكتابة في هذا الجانب الموسوعي الكبير الذي يزين الحياة ويؤكد الروابط ويوثق العلاقة بين المسلمين، **بعضهم مع بعض** حين يقرؤون عن الدار الباقية وما أُعِدَّ فيها للصالحين فيزدادون صلاحاً وتقى وارتباطاً بالله عز وجل وحباً لإخوانهم ويتأكد فيهم ما قاله رسول الله ﷺ « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**» .

[رواه البخاري]

وحين يجتمع المسلمون كجسد واحد فلن تقهرهم نازلة ولا ينتصر عليهم عدو وإنما يظلون في كنف الله ورعايته ويتحقق فيهم قول ربنا ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ٧]

فشكراً للمؤلف الباحث ماهر أحمد الصوفي على سبقه وعلى ما قدَّم من جديد للباحثين والدارسين وطلاب العلم الذين يريدون أن يبحثوا في هذا الجانب، فقد قدَّم دراسة موثقة علمية تستحق الشكر والإثابة. . اسأل الله أن يثيبه وأن يجزيه الجزاء الأوفى وأن يضع هذا العمل في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والله ولي التوفيق.

الدكتور

محمود عاشور

وكيل الأزهر الشريف سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم

د. علي محمد العجلة

مدير تحرير مجلة منار الإسلام

أبو ظبي

إلى قارئ هذه الموسوعة:

. . . . المؤمن هو ذاك الإنسان الذي أسلم وجهه لرب العالمين وآمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

. . . . فالإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان. . إذ لا يصح إيمان المؤمن وإسلام المسلم إلا إذا اعتقد جازماً باليوم الآخر والرجوع إلى اللّه سبحانه والوقوف بين يديه للعرض عليه وحسابه في محكمة العدل الإلهي الذي لا يظلم أحداً من خلقه ولو كان مثقال ذرة أو حبة من خردل.

وباعتبار أن هذه الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان لذا فإنه لا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان إلا إذا آمن بالآخرة واعتقد بها جازماً. . . . فإذا ما آمن واعتقد رق قلبه وصلح حاله وعمل بما يرضي اللّه سبحانه فأقام العبادات وأقدم على الطاعات وكان لمجتمعه المسلم عنصراً فاعلاً يصلح بصلاحه ويستقيم باستقامته كثير من الناس.

. . . . من هذا المنطق الإيماني الكبير باليوم الآخر ووجوب الإيمان به على المؤمن المسلم ضرورة دراسته ومعرفة كامل أحداثه

لأنه المآل والمصير لبني البشر.... وجدت في هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) للصديق العزيز ماهر أحمد الصوفي الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات العربية المتحدة بأجزائها العشرة بياناً واضحاً وسرداً منسقاً لكل أحداث اليوم الآخر الذي بدأه الكاتب بتقديم أشراط الساعة الصغرى والوسطى وأشراط الساعة الكبرى ثم ـ الموت وعالم البرزخ ـ الحشر وقيام الساعة ـ البعث والنشور ـ بداية يوم القيامة وأرض المحشر ـ الحساب والعرض على اللَّه سبحانه ـ الحوض والميزان والصراط ـ النار أهوالها وعذابها ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

.... وهذه الأجزاء العشرة عمل جامع شامل بدا لي من خلال الاطلاع عليها أن كاتبها بذل جهداً كبيراً لإتمام هذه الموسوعة حيث قدَّم الكاتب أحداث اليوم الآخر بمنتهى التفصيل من بدايته وحتى نهايته معتمداً على كتاب اللَّه سبحانه وسنة رسوله ﷺوقد ظهر هذا جلياً من كثرة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي استشهد بهما الكاتب.... وكذلك عمد الكاتب إلى ربط أحداث قيام الساعة بالعلم الحديث فلكياً وجيولوجياً في تفسير آيات انشقاق السماء وانفطارها وتكوير النجوم وانكدارها وتسجير البحار واشتعالها بالنار وتفجير البحار وزلزلة الأرض وتصدعها وتشققها وإخراج ما فيها.... وكذلك أكثر الكاتب الاستشهاد بأقوال المفسرين السابقين والمعاصرين من العلماء الأفاضل الذين أدلوا بدلوهم في مجال الحديث عن اليوم الآخر.

.... وتسمية هذا العمل الدقيق وبأجزائه العشرة التي ذكرت جميع الأحداث وبمنتهى التفصيل بـ (موسوعة الآخرة) عمل غير

مسبوق.. ولذلك فإنني أهنئ كل قارئ لهذه الموسوعة على حسن اقتنائها ونوصيه بالتدبر في معانيها ومقاصدها عسى أن تشفع له ولنا يوم القيامة.

كما وأبتهل إلى الحق سبحانه وتعالى أن يجعل ثواب هذا العمل في ميزان حسنات كاتبه.. وصدق اللّه سبحانه القائل:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

الدكتور

علي محمد العجلة

مدير تحرير مجلة منار الإسلام

أبو ظبي

توجه ودعاء

بقلم
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة
أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب
جامعة الملك محمد الخامس الرباط

الحمد للَّه حمد الشاكرين الذاكرين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

اللَّهم إنا نضرع إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تصلح حالنا ومآلنا، وتسدد في طريق الحق مسيرنا، وتهدينا إلى مراشد أمورنا، وتنجح مقاصدنا، وما نحاوله ونصاوله.

اللَّهم إنا نسألك صدق اليقين، وعمل الصالحين، ومرتبة المقربين ونسألك أن تجعلنا مقبلين عليك خائفين من عذابك، راغبين في مرضاتك، ناظرين إلى ما عندك، غير مشغولين بسواك يا اللَّه، يا اللَّه.

نسألك يا اللَّه أن تحشرنا تحت لواء نبيك وأن تجعلنا من المشمولين بشفاعته الواردين على حوضه الشريف، وأن تدخلنا الجنة دار السلام يا حي يا قيوم.

اللَّهم اجعل هذه الصحائف التي تذكر بالآخرة وأحوالها ونعيمها وأهوالها في موازين القبول لكاتبها ومؤلفها الباحث ماهر أحمد الصوفي وأن يجدها عندك يوم القيامة وأن تجعل ما فيها من علم نافعاً

لنا وللمسلمين وللناس أجمعين، دالاً عليك. هادياً إلى سبيلك. وأن تبارك فيها، وفيمن كتبها وساعد على تقديمها للناس يا حي يا قيوم، واجعل ثوابها مدداً متلاحقاً لنا وله إلى يوم لقائك يا أرحم الراحمين،

إلهي أنا عبدك الضعيف العاجز. وأنت القوي والغني، أسألك يا اللّه أن لا تكلني إلى نفسي أو لأحد سواك، وأنت الرؤوف الرحيم

اللَّهم إني أسألك أن تصلي صلاة كاملة تامة على نبيك المصطفى وحبيبك محمد بن عبد اللّه ﷺ إمام المتقين وسيد المرسلين يا رب العالمين سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

الأستاذ الدكتور

فاروق حمادة

أستاذ السنة وعلومها

بكلية الآداب ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الموسوعة

الحمد للَّه الذي هداني بهديه وأعطاني من كرمه وسقاني من وحي الإسلام ما دلني على حقائق الأمور وتجليات الأحداث وصحة الاعتقاد.. فدفعني هذا إلى قراءة سطور الحقيقة والتعمق فيها، فدخلت في بعض أسرارها التي تتجلى لمن يبحث عنها، وترفده من أنهارها وتسقيه من روافدها، فتنتشي عروقه، وتسعد نفسه، وتتألق روحه في معرفة عالم الوجود وعالم الحياة في هذا الكون الفسيح الذي لا يعرف منتهاه إلا الذي خلقه وأوجده... واللَّه سبحانه يعلم أن نفس عبده لا ترقى إلى عالم الحقيقة إلا بجهد التفكير، وتحكيم العقل، والتسليم لقدرةِ الخالق في أرضه وسماواته، فإن فعلت فقد اهتدت وإن عاندت ضلَّت، ضلت سواء السبيل والطريق القويم وبيِّنة الرشد وحقيقة الحياة وسبب الوجود.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١]

فقد أراد اللَّه سبحانه لهذا العقل الذي خلقه أن يصل

ويرتقي إلى أعلى مستواه في كل شأن من شؤون الحياة، لأن الوصول إلى مستوى راقٍ من التفكير هو الذي يوصل الإنسان إلى محطة الأمان والراحة والاسترخاء بعد عناء، فينام قرير العين هانئ النفس قد وفق في اختيار المكان المناسب، ليلقي بجسده المتعب في فِناء دار السعادة والرضا والتسليم لقدرة الخالق، وعلم الخالق، ووعده بجنات النعيم في الدار الآخرة، التي تكون عندها الراحة الخالدة والسعادة المطلقة والحياة الأبدية، فالنفس في أساس خلقها تحمل الفجور والتقوى فإما أن يزكيها الإنسان وإما أن يُدسِّيَها. يقول تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

[سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠]

فالعقل إما أن ينفتح على نور الحقيقة وإما أن يغلق، فإذا أغلق أغلق معه السمع والبصر وأمَّل النفس فدسَّاها فأصبحت لا ترى إلا الضلال حقيقة وإن كان سراباً، فتتعلق به فيتراكم الوهم في العقل ويُحْكَمُ في إغلاقه فتعمى الأبصار وتسد الآذان ويلقى على البصيرة غِشاوة فلا ترى أنوار الحقيقة، حقيقة (لا إله إلا اللَّه) التي تدلنا على حقيقة الوجود وحقيقة الآخرة والتي تفرز لمن اعتقد بها العمل الصالح والطاعة والعبادة والمسلك القويم وتهدي إلى الطريق المستقيم.

يقول تعالى على لسان من خاب من الضَّالين والكافرين، بعد أن أغرقوا أنفسهم بالضلال وسدوا سمعهم وحجبوا أبصارهم عن الحق،

ذلك عندما تسألهم الملائكة وهم في نار جهنم خالدين مُبلسين عن سبب وجودهم في النار.

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

١

إن كل ما في هذا الكون من أدق ذراته إلى أضخم موجوداته بتحكيم العقل يشير إلى أنه إلى زوال.. فليس من علم تجريبي أو نظري حتى هذا اليوم يثبت أو يؤكد دوام الشيء أو بقاءه على هيئته من منظور الوجود الكوني الذي نراه وليس من منظور عالم الآخرة.. فالآخرة لها قوانينها لم نطّلع عليها ولا نعلم عنها شيئاً إلا ما علمنا اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ.. فالعقل البشري يُسلّم إلى مثل هذه الحقيقة ولا يعارضها، ولكن الاستكبار الإنساني هو الذي يقف حائلاً أمام رؤية عقله الصحيحة للحقائق. وما أقصده في بحثي هذا (موسوعة الآخرة) هو حقيقة الآخرة التي لا مناص للإنسان عنها مهما استكبر في الأرض وعلا وتجبر، ولهذا نقرأ في كتاب اللَّه أنه سبحانه يقرّع الكافرين يوم القيامة على استكبارهم عن حقيقة الآخرة وليس على ضعفِ عقولهم.

يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

... إن اللَّه سبحانه خلق العقول سليمة صحيحة توصل أصحابها إلى نور الحقيقة ـ حقيقة لا إله إلا اللَّه وحقيقة صيرورة

الحياة الدنيا إلى فَناء، وحقيقة الحياة الآخرة والتي لا نستطيع ردها أو رفضها أو تحييدها من وجودنا، فهي سر الوجود، وسبب الوجود، ولولا الآخرة لما كانت الدنيا. . ولا يقبل اللّه سبحانه أن تكون هذه الدنيا الدنية خالدة في الوجود وهي لا تعدل عنده جناح بعوضة قال ﷺ **«لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شَربة ماء»**.

[رواه الترمذي عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه]

. . فمادة الاستكبار التي يتحلى بها المستكبرون والتي تدفعهم إلى رفض الآخرة ورفض الاعتقاد بها تماماً، مثلما رفضوا حقيقة (لا إله إلا اللّه)، ستذوب وتتلاشى مع كل الفلسفات الإنسانية الأرضية على أعتاب القبر، وما ذلك إلا لأن غاية الجهد الإنساني ومنتهى إدراكه يتوقف على أعتاب باب الموت عاجزاً يائساً.

يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٤٧، ٤٨]

أولئك هم الذين لم يستسلموا لعالم ما وراء الموت الذي لا دخْل للإنسان فيه إلا بالإيمان والتسليم والاعتراف والاستسلام. . فإذا أسلم الإنسان وآمن قاده إيمانه إلى عمق لم يكن عليماً به وإلى ثراء لم يكن يدور في خَلَده. . فقد جعل اللّه سبحانه البعث الأخروي هدية لأولئك الذين استطاعوا أن يؤمنوا به في الدنيا وهم في لباس الحياة. أولئك الذين اعتقدوا أن إلهاً قوياً عزيزاً هو الذي يحرك الكون وهو

وراء هذا العالم يديره كيف يشاء، فجاءهم هذا الإله العظيم من وراء الموت يبعثهم ويحييهم.

أما أولئك الذي كفروا ربهم واستكبروا في الأرض بغير الحق وتعلقوا بآلهة باطلة، أو قادهم شيطانهم إلى الاعتقاد بأن للَّه ابناً أو شريكاً فسوف تكون القيامة ووبالاً عليهم ولعنة لهم، وسوف ينتقم اللَّه سبحانه منهم أشد الانتقام في هذا اليوم الموعود.

٢

إن الإيمان بالآخرة هو الفتح الحقيقي الذي يخرج الإنسان من كونه عبداً لشهواته إلى كونه عبداً للَّه، فتجعل منه قيمة متميزة في عالم الوجود الذي يعيش ضمنه وفيه، وما لم يدخل الأخروي في حياة الإنسان فلن يقع أي تغير يذكر على حياته الرتيبة كعبد يسعى بنهم إلى تلبية شهواته وتحصيل لذّاته... فلا معنى للحياة في لحظات اليأس والمرارة والفجيعة والمصيبة إلا إذا كان لها اتصال بعالم الآخرة، الذي يهوّن كل مصيبة ويخفف كل مرارة ويبطل كل بأس ويحرّر من كل فجيعة... فلا قيمة لحياة أو وجود لأي إنسان على هذه الأرض إلا إذا اعتقد يقيناً أنه لم يخلق للفناء وإنما خلق للديمومة والخلود.. خلودِ الرحمة الإلهية يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ❁وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧]

٣

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ .

[سورة طه، الآيتان: ١٥، ١٦]

. . . الساعة التي هي بداية يوم القيامة، وإيذان بنهاية هذا العالم الكوني الدنيوي، آتيةٌ لا ريب فيها إلا أن اللّه سبحانه أخفاها عن خلقه رحمة بهم علم ذلك من علِم وجهل ذلك من جهل. . فلا يصدنك ويبعدك عنها أولئك الذين لا يؤمنون بها ولا يؤمنون باللّه العظيم. . فإذا كانت الساعة التي حان أوانها قدراً مقدوراً وقضاء في كتاب اللّه مسطوراً. . . وإذا كانت الساعة ختماً لأنفاس هذا الكون الكبير المحيط بنا نحن البشرَ الذي نسكن جزءاً صغيراً منه وهو الأرض، فإن على من يملك أدنى مُسكة من العقل أن يخشى هذا النبأ العظيم وأن يُشفق من وقوعه، ونحن الذين لا نقدر على تحمل زِلزال صغير أو حريق بسيط، فكيف نقدر على معايشة زِلزال كوني ساحق ومَاحِقٍ تدمر فيه السماء وتنشق وتنكدر نجومها وتكور شمسها وتسيَّر جبالها وتنسف وتصبح هباء منثوراً، وتفجر البحار وتُسجَّرُ بالنار، ولا شّك أن المؤمنين باللّه واليوم الآخر مشفقون من حصول هذا الزلزال الكوني، ومن شهود لحظة موت الكون الذي طالما عاشوا في أكنافه آمنين مرزوقين مطمئنين. . وإن أهل العلم منهم جديرون أن يخاصموا النوم الطويل إشفاقاً من هذا الأمر الذي سيحصل إن طال الزمان أو قصر، فالساعة وقيامها تجلٍّ لوحدانيته سبحانه ولقدرته على كل شيء، أما كونها تأكيداً للوحدانية، فلأن عودة الخلق على بَدئه دليل

على أن الخالق واحد في الحالين حال البدء وحال الإعادة.

٤

يقول تعالى:

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٤]

وعد اللّه سبحانه وهل يخلف اللّه وعده؟ وهل من صفات الإله الخالق الجبار رحمن السماوات والأرض ورحيمهما أن يخلف القول والوعد والقَسَم.. فإذا أقسم اللّه على بعث العباد وقيام الساعة ويوم القيامة ومحاسبة البشرية جمعاء فإنما يدل على عظيم جلاله ووعده وصدقه وأنه الحق ووعده الحق.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

فيوم القيامة حق في علم اللّه سبحانه، غيّبه عنا في الدنيا ولكن لا بد منه فقد حدده اللّه سبحانه موعداً لظهور سلطانه وكشف ستر غيبه وإظهار ذاته المقدسة للخلق بلا خفاء ـ كذلك فإن القرآن الكريم لا انكشاف لكمال معناه ولا ظهور لكل حقائقه أو لحقيقته إلا بوقوع الساعة، وجمع الناس ليوم القيامة، فيوم القيامة هو اليوم الذي تنتهي معه كل أنواع الامتحانات والابتلاءات والاختبارات الدنيوية لهذا الإنسان الذي خلق اللّه له عقلاً يرشده إلى الحقيقة، فلا بد للامتحان

من أن تظهر نتيجته ولا بد للمُمتَحَن من علامة تسطر في صحيفة حياته، ولا بد من راسبين وناجحين وساقطين ومتفوقين ولا بد أن يسعد المتفوق ويبكي من هوى وسقط.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

فلا بد لنا أن نؤمن بالله سبحانه ونؤمن باليوم الآخر ونؤمن بأن وعد الله حق واللقاء حق والجزاء حق.. فقد أنزل الله سبحانه القرآن العظيم ليدلنا على هذه الحقائق، فكان للمؤمنين هدىً.. فزادهم بصيرة وهدى وكان للكافرين عمى فزادهم ضلالاً وعمى، فالذين كفروا سواء أُنذروا أم لم ينذروا لن يؤمنوا.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٦، ٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٤]

لذلك سيكون عذاب الكافرين يوم القيامة شديداً لا رحمة فيه، لأنهم رَضُوا بتوافه الأمور وركنوا إلى دنياهم واطمأنوا بها وبما فيها

من مُتعة زائفة، التي ستلفظهم بدورها وتطردهم من بعض حلاوتها، فإذا وصلوا إلى العجز ووهنت عظامهم وغارت أعينهم وتشققت جلودهم وتدلت أعناقهم، وأصبحوا فيها عالة مكروهين حتى من أقرب الناس إليهم، فإذا ماتوا ودفنوا في باطن الأرض التي عِصوا اللّه عليها بكفرهم وشركهم، عضت عليهم الأرض وضمتهم ضِمَّة الغضبان، ولولا إرادة اللّه وإمهاله وأنه لا يعجل لعجلة أحد للفظهم ترابها الذي سيشهد عليهم وعلى كفرهم ومعاصيهم، فلا هم مقبولين في الدنيا ولا هم مقبولين في الآخرة فتهينهم الدنيا في آخرتهم ويوم القيامة تكون الإهانة أشدَّ والعذاب أليماً مُهيناً.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٩]

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ١٠]

﴿ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ١١]

٥

نحن بأشد الحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر ففيه صلاح أمرنا واستقرار نفوسنا وراحة ضمائرنا وسلامة أعمالنا واستقامة حالنا ونظافة حياتنا، فلا نعظّم الخطوب ولا تخيفنا النوائب ولا تحزننا المصائب، ولا تسقمنا الأمراض، ولا تهزنا الابتلاءات ولا تجزعنا خطوب الدنيا كلُّها.

فإذا آمن العبد هانت عليه الدنيا، ورد الأمر إلى صاحب الأمر،

وإذا علم يقيناً أنه آتٍ ليوم القيامة لا ريب فيه، وأنه واقف بين يدي أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأن هناك جناتِ اللَّه الخالدات التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب البشر.. تجلت العلاقة بينه وبين ربه في أرقى صورها، فتدنو منه الاستقامة تظلّه بفيئها وتسعده بكرمها وتبهجه بفعلها، فيصبح في معية اللَّه في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

[سورة فصلت، الآيتان: ٣٠، ٣١]

فالنعيم الذي يعيش به المؤمنون باللَّه واليوم الآخر، والاستقرار النفسي والقلبي والروحي الحاصل من جراء هذا الإيمان لا يحسه الكافرون ولا الضالون ولا المشركون، فقد عميت أبصارهم وطُمست بصائرهم فيسخرون من الذين آمنوا ورضوا باللَّه رباً وبمحمد ﷺ نبياً وبالإسلام ديناً، وبكل أوامر هذا الدين القيّم ونواهيه ومعتقداته وشرائعه ومواقفه

يقول تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٢]

نعم زين لهم والزينة زائلة عندما تنكشف الحقائق يوم القيامة، فَيَعضُّ الظالم على يديه ويتمنى أن يكون تراباً أو تُسوّى به الأرض

ولا يقف هذا الموقف بين يدي اللَّه سبحانه. . . ولقد وصف اللَّه هؤلاء الذين يكفرون باللَّه رباً، وباليوم الآخر موعداً، بأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

فهم يسرحون في الدنيا عُمْيَ العيون عُمْي البصائر عُمْي القلوب وعُمْي العقول يأكلون ويتمتعون كالأنعام

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٢]

٨

إن اللَّه سبحانه ما أرسل رسولاً ولا بعث نبياً إلا أنذر قومه قيام الساعة ولقاء اللَّه سبحانه. ومن عدل اللَّه سبحانه أنه لم يترك قرية إلا أرسل فيها رسولاً يرشدهم ويدلهم ويبين لهم الحقائق، حقائقَ الإيمان وحقائقَ القيامة.

يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٢٤]

حتى لا يكون لقوم من الأقوام ولا أمة من الأمم حجة على اللَّه يوم القيامة أنه لم يأتهم نذير وأنهم كانوا عن هذا الأمر غافلين.

يقول تعالى:

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٦٥]

ومع ذلك فقد عاندت الكثرة الكاثرة من البشرية حقيقة الإله

الواحد، وحقيقة الآخرة، وفي القرآن الكريم قصص الأنبياء والأقوام الذين استكبروا على اللّه سبحانه فرفضوا وحدانيته، وما كان قولهم لأنبيائهم إلا أن قالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ولا منشرين.

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٩]

لذلك لما جاء الإسلام جعل مشروع بناء الذات وتأسيسها في الإسلام يرتكز على قاعدة الإيمان بالآخرة.. ودلهم الإسلام على أن الآخرة هي التي تعطي للأولى معناها وقيمتها وتحدد وظيفتها، حتى لا يكون مصير المسلم إذا استخف بالآخرة ولم يعمل لها حساباً، مصيرَ تلك الفئات الكافرة التي اندثرت بعد أن تمتعت لحظاتٍ في دنياها، وهي تعيش الآن برزخاً مؤلماً وستنال يوم يجمع اللّه الخلائق ليوم القيامة ذلاً وهواناً وعذاباً خالدين فيه في نار جهنم لا يفتر عنهم العذاب وهم فيه مبلسون.. لذلك جاء القرآن الكريم قادماً من الآخرة إلى الأولى لكي يُخرجَ الإنسان من الأولى إلى الآخرة ويهديه سبيل النجاة بحيث لا تهلكه الغفَلات ولا تُعمي عينيه وقلبه اللذاتُ.

٩

... إن الإيمان رؤية باهرة بعين القلب الذي هو آلة الحق في الإنسان لكل الحقيقة في وقت واحد، فيرى المؤمن حقيقته ويتعرف إلى الكون ومصيره، وكل ذلك ضمن عقله الذي يضمن وعياً وإيماناً عميقاً باللّه سبحانه.. لذلك وبما أن المؤمن يسلك على هدىً من إيمانه ومعطيات هذا الإيمان، فالقول الأثبت والأصح أن ينطلق من

آخرته إلى أولاه، حيث إن الآخرة هي المبدأ الحاكم على كل حياة المؤمن الدنيوية وما يكون له فيها من عمل وكسب.

فالدنيا بنيت قواعدها بدءاً من الآخرة وعلى هدى من معطياتها وحقائقها لأنها الأصل والدنيا فرع من حيثُ إنها لهو ولعب وزينة وتفاخر إلا من هدى اللّه سبحانه

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ .

[سورة الحديد، الآية: ٢٠]

فالمؤمن الحق كائن أخروي يزور الدنيا بكيانه ووعيه ليقضي فيها امتحاناً مفروضاً عليه من اللّه سبحانه، فإذا قضى امتحانه صادقاً آب إلى اللّه سبحانه وإلى آخرته مظفَّراً منصوراً.

يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٢]

لذلك قال رسول اللّه ﷺ:

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر اللّه وما والاه وعالماً أو متعلماً » .

[رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه والطبراني]

لذلك تحتاج الدنيا إلى وعي، ووعي المؤمن هو الذي يجعله ينطلق من آخرته إلى دنياه، وبعلمه ينطلق من دنياه إلى آخرته، فيكون يوم القيامة بالنسبة إليه عوداً على بَدء. . إن بناء الذات بناء صحيحاً لا

يتحقق في غياب الوعي الأخروي الذي يؤكد القرآن أنّه حجر الزاوية في أي بناء يراد له الدوام.

لذلك نجد أن القرآن الكريم في بدايته وفي أول سورة البقرة يركز على هذا المفهوم، مفهوم الإيمان بالآخرة ويجعله الباب الذي يدخل منه الإنسان إلى كتاب اللَّه تعالى، لأنه من دون الإيمان باللّه واليوم الآخر لا تتحقق شروط سلامة الفهم وسلامة العقيدة وسلامة الإنسان في دنياه وآخرته.

يقول تعالى:

﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٥]

١٠

الموت حقيقة مرة في أفواه الذين ماتوا على الكفر وعدم الإيمان بالآخرة.. وأما إذا مات المؤمن فإيمانه بالبعث هو وحده الذي يفسر لنا كيف يصبح الموت شهادة بالنسبة إليه، وكيف تصبح لحظة الفناء.. لحظة بقاء إذ هي لحظة لقاء اللَّه تعالى.. ومن أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه كما جاء في الحديث القدسي، ومن مات على الإيمان، الإيمانِ باللَّه والبعث واليوم الآخر فإنه يدخل ومنذ لحظة الموت في عالم رضا اللَّه سبحانه ورضا نفسه، فليست القيامة هي أولَ إعلان عن رضا اللَّه سبحانه على العبد المؤمن، بل الموت

والبرزخ هو الإعلانُ الأول والبيان الأول، بيانُ الرجوع بالرضا فلسوف يعطيه اللَّه ولسوف يرضى.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

لذلك من المستحيل أن يفسر سر استقرار المؤمن وسكينته وأمله الدائم وسعيه الذي لا ينقطع لإتيان الصالحات إلا في ضوء إيمانه بالبعث، والمؤمن الحق هو الذي ينظر دائماً إلى الدنيا في مرآة البعث والقيامة، الأمر الذي يعني بدوره أنه ينظر إلى جسده في مرآة روحه وإلى نفسه في رؤية ربه القادر العلي العليم.

١١

لذا جاءت هذه الموسوعة عن الآخرة بدءاً من علاماتها الصغرى والوسطى والكبرى والموت وعالم البرزخ، ونهايةً إما في الجنة وإما في النار، لتبين بوضوح وجَلاء وتفسير وتحليل لكل الحقائق التي ذكرها القرآن الكريم عن عالم الآخرة وكل الحقائق التي بينها وفسرها لنا الرسول ﷺ، متوخين في ذلك الحذر والرويّة والترتيب في كل الأحداث، مستبعدين ما أمكنّا الضعيف من الحديث والقول والتفسير، ومستبعدين كل الروايات المبالغ فيها، سواء كانت سلباً أم إيجاباً لأن الحق من القول لا يحتاج إلى الترغيب ولا إلى ترهيب، فالحق حق والبيان واضح وما وعد به اللَّه ورسوله كائن لا محالة. . . فالآخرة علم واسع لا تسعه تلك الموسوعة الصغيرة بل يحتاج إلى مجلدات

ضخمة إذا وضحت لنا الأمور وتبينت لنا الحقائق، ولكن اللَّه سبحانه أخفى عنا منها أشياء كثيرة وبين لنا فيها أشياء، فاجتهدنا بما بيَّن اللَّه سبحانه لنا ورسوله الكريم ﷺ لأن علم الغيب هو من أمر اللَّه سبحانه يبين منه ما يشاء ويخفي منه ما يشاء.. فإذا قلنا: إن يوم القيامة على الكافرين يمتد إلى خمسين ألف سنة فذلك من بيان القرآن الكريم. يقول تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ٤ ـ ٧]

فأية موسوعة تسع أحداث هذا اليوم العظيم، وما يُصبّ فيه على الكافرين والعاصين من أهوال عظام وآلام لا تطاق وأحزان لا تنقطع ومهانة تدوم وذل يطول وبكاء مستمر وحسرة يعصرها ندم وعض على أنامل ولات ساعةَ خلاص... وأية موسوعة تسع بيان الوقوف بين يدي اللَّه تعالى ومحاسبته للأمم والأفراد ليس بينهما ترجمان، يحاسب كل عبد حساباً خاصاً فيقرره بذنوبه ويبين له أفعاله، والخلق بالمليارات؟...... وأية موسوعة تسع الجنة التي فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والتي عرضها عرض السموات والأرض؟؟.. وأية موسوعة تسع جهنم وما فيها من عذاب الكافرين والمشركين على طول الأمد، لا انقطاع ولا تفتير ولا كلام وليس فيها إلا نار تحرق الجلود وشراب يقطع الأمعاء، فيها من الخلق ما عدده يزيد على المليارات وكل واحد منهم له مكانه وشأنه في النار.

... وليس لي في تسميتها موسوعة إلا لأنها اشتملت على كل

أحداث الساعة وأشراطها والموت والبعث والنشور والقيامة والعرض على اللَّه والميزان والحوض والصحف والصراط والشفاعة والجنة والنار ولكن بما علَّمنا اللَّه سبحانه وبين لنا رسوله الكريم، وقول الصحابة والتابعين، ورأي المفسرين، وتحليل المجتهدين وكتابة المؤلفين، وكلها إذا جمعت فليست في علم اللَّه شيئاً، لأننا وإن اجتمعنا فلم نؤت من العلم إلا القليل وأقل القليل في علم الغيب وعلم الآخرة. فقد أخفى اللَّه سبحانه عنا منها ما هو رحمة لنا وبين لنا عنها ما هو رحمة لنا ففي كلا الاخفاءِ والبيانِ رحمة اللَّه في عباده الذين آمنوا بها ويشفقون منها. يقول تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

[سورة الشورى، الآيتان: ١٧، ١٨]

وأخيراً. . . أرجو من اللَّه سبحانه أن أكون قد قدَّمت في هذه الأجزاء العشرة من (موسوعة الآخرة) ما يرضي اللَّه سبحانه وتعالى، وما هو الحق كما جاء به القرآن الكريم، وما جاءت به السنة الشريفة وما استأنسنا به من العلماء الأفاضل، وبما أعاننا اللَّه سبحانه في التحليل والتفسير ضمن إطار ما قال تعالى ورسوله الكريم ﷺ. فقد أدخلنا بعض علم الفَلَك والجيولوجيا وبعض العلوم الأخرى في تفسير وبيان قدرة اللَّه سبحانه في كونه وأرضه وسمائه ـ وكذلك لبيان عظيم أمر قيام الساعة حيث تنشق السموات وتتلاشى وتزلزل الأرض وتكون الجبال هباء وسراباً وتسجر البحار وتتفجر وتخرج الأرض أثقالها وتحدث أخبارها وليس لي إلا أن أرفعَ أكف الضراعة متوسلاً أن يقبل

اللَّه سبحانه وتعالى هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في صحيفة أعمال من كتب ودقق وقرأ. . ومن ساهم في هذا العمل، وأن يجعله لنا صدقة جارية إلى يوم القيامة. . واللَّه من وراء القصد وهو على ما أقول شهيد ـ وآخر دعوانا أنِ الحمد للَّه رب العالمين.

الفصل الأول

- الحياة الدنيا واليوم الآخِر .
- أسباب الخلق وأسرار الامتحان والابتلاء .
- ما الحياة الدنيا للآخرة؟
- علامات الساعة أدلة إثبات على قيام الساعة .
- الساعة لا تأتي إلا بغتة ولكن هل أخفي زمن وقوعها مطلقاً .
- علماء الفلك في مؤتمر بروكسل (بلجيكا) عام ١٩٩٠م يؤكدون أن الإنسان في هذا الكون آخر المخلوقات خلقاً .
- الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد أن قيام الساعة قريب وأن الإنسان خلق في المرحلة الأخيرة من عمر الكون .
- جعل اللَّه سبحانه لقيام الساعة علاماتٍ (أشراطاً) لتطمئن قلوب المؤمنين أن وعد اللَّه حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

الحياة الدنيا واليوم الآخر

قد ينظر كثير من الناس للحياة بمنأى ومعزل عن الآخرة، أو قل إن كثيراً من البشر لا يرون سبباً للاتصال بينهما، أو قل إنهم أصلاً لا يؤمنون بوجود الآخرة وهؤلاء هم الكافرون والمشركون والضالون الذين ثقلت سيئاتهم وذنوبهم وفحشهم. . . . وقد تناولت المئات من الآيات القرآنية الكريمة أمثال هؤلاء خلال رحلة البشرية من عهد آدم عليه السلام إلى وقت نزول القرآن الكريم مع الإشارة إلى تتابع مثل هؤلاء إلى أن يرث اللَّه سبحانه الأرض ومن عليها.

فاللَّه سبحانه ما خلق الخلق جميعاً ليعيشوا حياتهم الدائمة على هذه الأرض، لأن هذه الأرض وما خلق اللَّه فيها من البشر والنعيم ما هي إلا دار مؤقتة، خلقها اللَّه بعلمه لابتلاء البشر وامتحانهم في الإيمان والكفر وفي الطاعة والمعصية يقول اللَّه تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٢]

واعتبر اللَّه سبحانه أن الإيمان باليوم الآخر جزء لا يتجزأ من الابتلاء والامتحان لذلك نجد أن اللَّه سبحانه لا يفصل وفي عشرات الآيات القرآنية الإيمان به عن الإيمان باليوم الآخر، لأنه سبحانه وهو الخالق يعلم أن الحياة الآخرة هي الحياة الأبدية التي ارتضاها لخلقه جميعاً يقول تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٦٢]

واعتبر سبحانه أن كل الذين لا يؤمنون باليوم الآخر عن الصراط ناكبون

يقول تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ٧٤]

أسباب الخلق وأسرار الامتحان والابتلاء

لا أريد أن أدخل في تفصيل فلسفة العمق الوجودي للإنسان، لأن هذا يحتاج إلى بحث منفصل، ولكن نستطيع وبإيجاز أن نرسم خطوطاً عريضة لهذا الوجود ولهذا الخلق، والذي يستطيع أن يحدد هذه الماهية بدقة متناهية هو اللّه سبحانه، لأنه الخالق العليم ليس لهذا الإنسان فحسب وإنما لكل ذرة في هذا الكون على اتساعه العظيم. . . وبما أن اللّه هو الخالق، فهو الذي أراد وخلق وبين لنا سبب خلقنا ووجودنا ولم يضنّ علينا بتوضيحه وبيانه، وأول البيان والتوضيح.

١ ـ أن اللّه سبحانه لم يخلقنا لهواً ولم يخلقنا عبثاً.

قال تعالى عن خلق السموات والأرض وما بينهما:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ١٦، ١٧]

وقال تعالى عن خلق البشر:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

٢ ـ ولنفي العبث عن خلق الإنسان والسموات والأرض، خلق

الآخرة وأوجدها ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣١]

لذلك جعل اللَّه سبحانه من أساس العقيدة الإيمان المطلق بالآخرة.. وقد أقسم اللَّه سبحانه في كتابه على أننا سنُبعث ونعود ونحاسب قال تعالى:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

٣ ـ لم يخلق اللَّه سبحانه الإنسان للفَناء بل خلقه للديمومة وما الموت إلا مرحلة، فالموت في صريح الآيات القرآنية خلق كما الحياة خلق.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

وبما أن الموت خلق فله انقضاء كما أن للحياة الدنيا انقضاء، وبعد انقضاء يوم القيامة تبدأ الحياة الأبدية سواء في الجنة أو في النار، وكما أن اللَّه سبحانه أقسم على عودتنا كذلك بيَّن لنا أن الكفار والمشركين في نار جهنم خالدين فيها. وأن الذين آمنوا باللَّه وعملوا الصالحات هم أصحاب الجنة خالدين فيها.

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٨٢]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾.

[سورة البينة، الآية: ٦]

ومع هذا الحق الإلهي أنت أمام حقيقة وجودك وحقيقة الوجود كله.. وهي حقيقة الامتحان والابتلاء، القاعدةُ الأساسية للوجود. قال اللّه تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

وقال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ ﴾.

[سورة هود، الآية: ٧]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٧]

إذاً أنت في وجودك ممتحن ومراقب من اللّه سبحانه في أدق عملك وأعظمه وفي كل حركاتك وسكناتك وإسرارك وعلنك وفي جهرك بعملك أو إخفائه.

قال تعالى:

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ * لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾.

[سورة الرعد، الآيتان: ١٠، ١١]

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٩]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٦]

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٨]

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾.

[سورة الانفطار، الآيتان: ١٠، ١١]

﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾.

[سورة الطارق، الآية: ٤]

وبناء على هذه القاعدة الدقيقة في الرقابة الشديدة، بيّن اللّه سبحانه القاعدة الأخرى الناتجة عن هذه الرقابة وهي قاعدة الحساب الدقيقة التي تفوق فهم عقولنا ومداركنا وأحاسيسنا.

قال تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ .

[سورة لقمان، الآية: ١٦]

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ما الحياة الدنيا في الآخرة؟؟

من رحمة اللَّه سبحانه بعموم عباده أن بين لهم في كتابه الكريم: أن الدنيا دار امتحان وليست داراً للمقام والديمومة وطلب اللَّه سبحانه من عباده ألا يطمئنوا لها لأنها دار غرور ومتاع زائل... وكل ما له زوال فلا قيمة له مهما علا شأنه وكثر متاعه وطال أمده.

قال تعالى:

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٢]

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢٠]

فاللَّه سبحانه وحده يعلم ما في الآخرة وما أعد فيها لعباده المؤمنين.

قال تعالى:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

لذلك ومن واقع رحمة اللَّه سبحانه حث عباده جميعاً أن ينجحوا في الامتحان الدنيوي ليفوزوا في الآخرة بجنات النعيم.

قال تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

وقال تعالى:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

وبين اللَّه سبحانه لنا جميعاً أنه لا يريد الحياة الدنيا بل يريد الآخرة قال تعالى:

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ ﴾.

[سورة الأنفال، الآية: ٦٧]

فاللَّه سبحانه وتعالى أعلم بما أعد لعباده في الجنة الموعودة وفي الحديث القدسي:

« أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ».

[رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

أما رسول اللَّه ﷺ فقد بين لنا قيمة الحياة الدنيا وأنها لا تساوي شيئاً يُذْكر أمام نعيم الآخرة، وبين لنا أن الدنيا دار امتحان وابتلاء ومرحلة عبور سريعة.

قال رسول اللَّه ﷺ:

« لو كانت الدنيا تعدل عند اللَّه جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ».

[رواه الترمذي عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه]

« ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر اللَّه وما والاه وعالماً أو متعلماً ».

[رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

« ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل إصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا ».

[رواه الحاكم عن المستورد رضي اللَّه عنه]

« موضع سوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها ».

[رواه البخاري عن سهل رضي اللَّه عنه]

« مالي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ».

[رواه الترمذي عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه]

من هذا الواقع وهذه الحقيقة وهذه الإرادة الإلهية كان الإنسان على الأرض ليمتحن في ما أراد اللَّه سبحانه، وجعل جل جلاله الامتحان متدرجاً: أعلاه توحيد اللَّه سبحانه وطاعته وعبادته وذكره وتسبيحه والدعاء إليه، وأوسطه وأدناه العمل والمعاملة.

قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٥٦]

هذه هي الحقيقة، حقيقة الامتحان والابتلاء سواء علينا أَرضينا أم لم نرضَ، شئنا أم أبينا، قبلنا أم لم نقبل.... وبناء على المفهوم الذي هو عين الحقيقة كلها ندخل من الأبواب

الواسعة لمفهوم الآخرة وأثرها الفاعل في حياة المسلم. . . .

وقد كانت هذه المقدمة المبسطة عن خلق الإنسان وعن سبب وجوده، حتى لا تكون الدنيا جُلَّ همنا ومبلغ علمنا وحتى لا يكون الهدف طلب الدنيا ونعيمها الزائل دون طلب الآخرة ونعيمها الدائم.

علامات الساعة
أدلة إثبات على قيام الساعة

الساعة هي الحدث العظيم المجلجل الذي يقع في يوم آت لا ريب فيه، يكون الفيصل ما بين الحياة الدنيا والآخرة.. أو هي اليوم الذي ينهي زمناً محدوداً وهو الحياة الدنيا ويأذن ببداية زمن جديد لا ينتهي... أو قل: هي اليوم الذي يأذن اللّه سبحانه فيه بإنهاء الحياة في هذا الكون الواسع بأرضه وسماواته السبع وما فيهن من حياة أعلمنا اللّه سبحانه عن بعضها وأخفى عنا أكثرها

.... وبما أن قيام الساعة هو من عظائم الأمور التي تحدث عنها اللّه سبحانه في كتابه الكريم وكذلك رسول اللّه ﷺ، لذا أصبحت من أعظم وأجل ما يهتم به الإنسان وكانت محطَّ تساؤله على مدى العصور والدهور، وما أنزل اللّه سبحانه من كتاب وما أرسل من رسول ولا نبي إلّا أنذر قومه قيام الساعة وما يحدث فيها من جلائل الأمور.

.. والساعة لها علامات وأشراط ودلائل بيَّنها اللّه سبحانه ورسوله ﷺ في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

... ونحن بدورنا لا نستطيع ان نسارع إلى معرفة أشراطها وتعداد علاماتها مجردة عن الكيفية التي تحدث اللّه سبحانه فيها عن الساعة وما يحدث فيها وما يكون من أمرها وأمر الخلق لحظة قيامها... وكذلك لا نستطيع أن نسارع إلى معرفة العلامات

والأشراط دون أن نعلم كنهها وأسباب قيامها، وأن نعرف أيضاً لماذا قيام الساعة والله سبحانه قادر أن يميت قبل يوم القيامة جميع خلقه ثم يبعثهم جميعاً ويرفعهم إلى أرض المحشر، أرضِ الحساب والوقوف بين يدي الله سبحانه ليحاسبهم دون المرور بقيام الساعة.

لذا لابد من الرجوع إلى بعض الآيات الكريمة التي تحدث الله سبحانه فيها عن الساعة تحديداً وعن قيامها وما يكون من أمرها وأمر الكون كله ساعة قيامها. . . .

. . . ومن الوقوف على الآيات الكريمة نستشف بعض العلم والمعرفة عن ماهية الساعة وكنهها وأمرها وما يحدث فيها. . . وكذلك الوقوف على أحاديث رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، التي تبين لنا وتعلمنا الشيء الكثير عن الساعة وقيامها وعلاماتها وقربها. وأهم ما يتبين لنا من أحاديثه الشريفة وصيته في الاهتمام بأمرها والإعداد لها وبيان أهميتها في عالم المسلم المؤمن الذي لا يماري فيها ولا يكذبها ولا يشك ولا يرتاب بوقوعها أبداً، لأنها جزء من عقيدته ومحور إيمانه وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٨]

وإن كثيراً من الناس يظنون أن قيام الساعة أمر هين لا يتجاوز حدود الأرض والناس الذين يعيشون فيها، لذلك كان الناس عبر القرون الماضية، كلما جاءهم نبي يستعجلون بالساعة وقيامها ظناً منهم أن الأمر يتوقف عليهم وعلى قريتهم أو مدينتهم التي يعيشون فيها.

. . . . . وعندما سنتحدث عن (قيام الساعة) في الجزء الرابع (من موسوعة الآخرة) إن شاء الله سيتضح الأمر جلياً، لأننا وبإذن الله

تعالى سنبين كل أمر عن الساعة وقيامها وبمنتهى الدقة والتفصيل، وذلك أن اللّٰه سبحانه عندما يأذن بقيام الساعة بعد أن تأتي كامل علاماتها وأشراطها فإنه سيفني الحياة في هذا الكون العظيم الذي لا يعلم مداه إلا اللّٰه سبحانه، ويفني اللّٰه جميع خلقه ومخلوقاته روحاً وجماداً. قال تعالى:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

وقال تعالى:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٦]

فالساعة تعني دمار كل شيء وخراب كل شيء وتفجير كل شيء، من الشمس إلى النجوم إلى الجبال إلى البحار في كل كون اللّٰه تعالى، وأيضاً حتى السماوات سيطويها جميعاً كطي السجل للكتب، وعد سبحانه بذلك وأقسم عليه. فليس من أمر عظيم وجلل ومخيف ومهيب أعظم من الساعة وقيامها في هذه الحياة الدنيا... ومن واقع رحمة اللّٰه سبحانه بعباده وأخص المؤمنين أن جعل لقيام الساعة علامات وأشراطاً، حتى يستعد المؤمنون لهذا الحدث العظيم وحتى لا يقول أحد في هذا الكون: إنا كنا عن هذا الأمر غافلين أو جاهلين أو لم تأتنا علاماتها وأشراطها يقول تعالى:

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٨]

هذه العلامات وما وقع منها يزيد في يقين المؤمن وما لم يحدث منها بعدُ فهي باقية في علم الغيب عند اللّه، يأذن بكل علامة من العلامات بعلمه وفي وقتها وحتى يشاء لعلم يعلمه اللّه سبحانه في الماضي والحاضر والمستقبل. . . فكلنا يعلم أن الساعة في علم اللّه سبحانه لا يجليها لوقتها إلا هو، ولا يعلم علمها إلا هو، رحمة من اللّه بعباده لضرورة الإيمان بالغيب ولضرورة الامتحان والابتلاء. . . فسنة اللّه سبحانه قضت أن يخفي عن عباده الغيب. . فلو كشفه لاختلفت سنة الحياة ولا يمكن للبشرية أن تستمر في حياتها من خلال معرفتها بالغيب في ظل عقلها المحدود، واللّه سبحانه وحده أعلم بقدرتها وطاقتها ومدى استيعابها مما حولها من الكون والحياة، منها ما هو ضمن استيعاب العقل واللّه سبحانه يعلم ما فوق العقل، لذلك لم يقل إن كل ما حولكم غيب لا تستطيع عقولكم أن تكشف عنه، فما اختصه لنفسه لم ينزله في علم البشر كالروح مثلاً فاللّه يعلم أن قدرة عقل الإنسان لا يمكن أن تكشف ماهية الروح وحقيقتها لذلك قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فالساعة غيب أخفى اللّه سبحانه علمها وموعدها عن البشر، وكذلك غيبه أخفاه عن خلقه إلا من ارتضى من رسول، ومن الملائكة رسل ومن البشر رسل اختصهم ببعض الغيب.

يقول تعالى:

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ

يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

[سورة الجن، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨]

وجبريل عليه السلام من الملائكة الكرام الذين أطلعهم اللّه على بعض غيبه.. لأن سنة خلق اللّه سبحانه لجبريل عليه السلام لا تستوجب إخفاء كل الغيب عنه، لأن خلقه ومهمته وسبب وجوده لا يتنافى مع علمه ببعض الغيب فهو إن علم بعضه فلا يؤثر على تكوينه وسبب خلقه، بينما البشر إذا علموا فإنه يؤثر على تكوينهم وسبب وجودهم وهو الامتحان والابتلاء ويؤثر على تمحيص القلوب وابتلاء الصدور، وليعلم اللّه من ينصره ويؤمن به بالغيب ويطيعه ويعبده من عباده في الأرض من خلال ما وهبهم اللّه من عقل..

.. إن كل ما تحدث اللّه عنه هو الحق، وأن الساعة حق والقيامة حق والحساب حق والجنة حق والنار حق وقد أقسم اللّه سبحانه على هذا الحق، وتصوروا رحمة اللّه بكم ومحبته لكم، بأن أقسم لكم لتطمئن قلوبكم وتبعدوا عنها الريب والظن والشك، يقول تعالى مقسماً:

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

... إذاً أخفيت عنا الساعة وقيامها لهذا الأمر وهو أمر الابتلاء والامتحان وتمحيص القلوب ومعرفة المؤمنين من الكافرين والصادقين من الكاذبين.. فلنعِدَّ لها ما استطعنا من عمل صالح وطاعة وعبادة ترضي اللّه سبحانه.

. . . فالساعة أمر أكيد ومؤكد، واعتبر اللّٰه سبحانه أن الذين يشككون في الساعة وقيامها ويمارون فيها ويرتابون في ضلال بعيد وجهل عميق وشك مريع وإيمان عديم. يقول تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ .

[سورة الشورى، الآية: ١٨]

الساعة لا تأتي إلا بغتة ولكن هل أخفى اللَّه سبحانه زمن وقوعها مطلقاً؟؟

.. ويبقى السؤال هل أخفى اللَّه سبحانه عنا قيام الساعة بالمطلقية؟

أي إن الساعة قائمة لا ريب فيها وقد آمنا بها وبقيامها... ولكن ألم يجعل اللَّه سبحانه لها علامات وأشراطاً؟ أم تأتي بغتة وفجأة دون سابق إنذار وعلامات وتنبيه؟؟

وهل هي بعيدة بعداً يمتد إلى عشرات الآلاف من السنين أو إلى مئات الآلاف من السنين؟

وهل علاماتها التي تحدث اللَّه سبحانه عنها وكذلك رسوله ﷺ تظهر في بحر هذه الآلاف من السنين... فتضيع علاماتها ومعالمها بين الأجيال المتتابعة.. فيقول أحدهم هذه العلامة التي تحدث عنها رسول اللَّه ﷺ حدثت منذ عشرين ألف سنة وهذه العلامة حدثت منذ خمسة آلاف سنة وهكذا!!

ألا تضيع المصداقية في طول هذه الآماد والسنين الطويلة فيزداد شك المتشككين وريب المرتابين.. لأن طول الزمن بهذه الصورة التي ذكرت وأن بين العلامة والعلامة والأمارة والأمارة خمسة آلاف سنة أو يزيد.. فلا بد أن تنسى العلامة الأولى وتطوى مع الزمن ولا يعود لها تأثير في نفوس الخلق.

. . . صحيح أن اللَّه سبحانه أعلم في أكثر من آية كريمة أن الساعة تأتي بغتة أي فجأة دون إنذار وتنبيه لخلقه.

يقول تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٢٦]

. . . ولكن والعلم عند اللَّه ليس المقصود من الآية الكريمة وغيرها في خصوص إتيان الساعة بغتة (فجأة) أنها تأتي ولا علامات دالة عليها أو على قربها أو على زمن وقوعها. . . فنحن نعلم ومن خلال علامات قيام الساعة التي وضعها اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ بين أيدينا أن الزمن الذي نعيش فيه ليس زمن الساعة، لأن هناك علامات وأشراطاً وسطى لم تتحقق، وأن هناك علامات كبرى لم تأت بعدُ، فليس معنى البغتة أو أن اللَّه سبحانه لا يجليها لوقتها إلا هو أن تأتي بغير زمنها وتاريخها أو أن تأتي دون تحقيق أشراطها.

يقول تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٨٧]

وهنا سؤال، كانت أقوام الرسل تسأل أنبياءها ورسلها عن الساعة (أيان مرساها) أي متى هي؟ وما هو زمنها وسنتها وشهرها ويومها؟. . وكذلك فعل كثير من قبائل العرب، سألوا محمداً ﷺ عن مرساها ووقتها وتاريخها فكان جميع الأنبياء يردون علمها إلى اللَّه

سبحانه فهو العليم بوقتها على وجه التحديد.. ومع هذا فليس المعنى المقصود من الآيات حرفياً عدم العلم مطلقاً عن زمنها وإلا ما معنى علامات وأمارات وأشراط الساعة وكذلك ليس المعنى من الآية الكريمة: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

أن يقول أحدنا: إن للساعة ما يزيد على مائة ألف عام أو مئتي ألف عام أو أي رقم زمني ما...

فالإنسان عمره قصير على هذه الأرض فما خلقه اللّٰه سبحانه ليعيش فيها ملايين السنين أو مئات الآلاف من السنين.. فزمن الإنسان ومنذ عهد آدم لم يتجاوز عشرات الآلاف من السنين، وهذا ما تؤكده كثير من الروايات التاريخية.. وكذلك لا يمكن أن أقول: إن لقيام الساعة آلاف السنين ورسول اللّٰه ﷺ يقول كما روى عنه سهل بن سعد رضي اللّٰه عنه: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»(١) وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها مشيراً إلى أصبعيه السبابة والوسطى... والناظر في سنة اللّٰه في خلقه يجد أن اللّٰه سبحانه أعطى لكل شيء خلْقه وقدره ووقته وعمره بما يناسب هذا الخلق والمخلوق.. فالنجوم تقدر أعمارها بمليارات السنين وبعض الكواكب والأقمار بالملايين وبعض الخلق بالآلاف وبعضه بالمئات وبعضه بالسنوات أو سنة واحدة أو دون السنة كالثمار والنباتات والخضروات وبعض الحيوانات لا يتجاوز عمرها عشر سنوات..... وأما عمر الإنسان فأعلاه فوق المائة بقليل...وأدناه لحظة واحدة.

.... لذلك جاء خلق الإنسان في آخر عمر هذا الكون حتى

(١) رواه البخاري ومسلم.

لا يطول به المقام في هذه الدنيا الفانية.. لأن اللّه سبحانه خلقه للآخرة خالداً.... وفي مؤتمر علمي عقد في بروكسل ببلجيكا لعلماء الكون والفلك عام ١٩٩٠م، أكد العلماء أن الإنسان في عمر هذا الكون هو آخر المخلوقات التي خلقها اللّه سبحانه، مؤكدين ما أكده رسول اللّه ﷺ بأن الإنسان قد خلق في اللحظات الأخيرة من عمر هذا الكون.

علماء الفلك في مؤتمر (بروكسل) بلجيكا عام ١٩٩٠م يؤكدون أن الإنسان في هذا الكون آخر المخلوقات خلقاً[١]

.. في مؤتمر علمي عقد في بروكسل ببلجيكا عام ١٩٩٠م لدراسة الكون ضم المئات من علماء الفلك في شتى أنحاء العالم.... قدم كل واحد منهم دراسته العلمية عن نشأة الكون وخلق النجوم والكواكب والأقمار وأعمارها.... وخلصوا إلى نتيجة علمية فلكية، مفادها العلمي صعب الفهم على عموم الناس لكثرة الأرقام والأعداد وجداول الحساب التي يبلغ طول كثير منها أمتاراً لكثرة الأعداد والأصفار.. فعمدوا على تشفير هذه الأرقام كالتعبير عن رقم مليار١,٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مثلاً ب(O) والمائة مليار (OX) ومع ذلك وجدوا أن هذا يطول بهم لكثرة الأرقام المذهلة والرموز فاتفقوا أخيراً على تشبيه عمر هذا الكون ب (يوم واحد) ٢٤ساعة.

وقالوا: في الساعة الأولى من عمر هذا الكون خلق اللَّه سبحانه المجرات والنجوم والتي تعد بآلاف المليارات وفي الساعة الثانية فصل اللَّه سبحانه بين هذه المجرات، وفي الساعة الثالثة خلق الكواكب

(١) مجلة البحث العلمي ـ أكاديمية البحث العلمي ـ القاهرة.
والمؤتمر معروف وقد تم إبراز نتائجه العلمية في كثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

والأقمار والنيازك وفي الساعة الرابعة ثبت اللَّه هذه النجوم والمجرات في مواقعها وفي الساعة الخامسة خلق اللَّه سبحانه كثيراً من الكواكب والأقمار بعد أن فصلها عن النجوم، وفي الساعة السادسة جعل اللَّه كل هذا طباقاً وأبراجاً وسماوات. . . وهكذا حتى قالوا: إن اللَّه سبحانه خلق الأرض في الساعة الأخيرة من هذا اليوم من عمر الكون أي في أول الساعة الرابعة والعشرين.

. . . وقالوا: إنه في الأجزاء الأولى من الساعة الأخيرة خلقت التربة ومن ثَمَّ ثبتت الجبال ومن ثم البحار والأنهار وبعدها خلقت النباتات والأشجار وبعدها خلق اللَّه ما في البحار من خلائق ثم خلق اللَّه الحيوانات بعشرات الآلاف من الأنواع والحشرات بملايين الأعداد والأشكال وفي الأجزاء المتتابعة من الساعة أوجد اللَّه وقدر أرزاق العباد. . . . والمهم من قولهم ونظرياتهم. . . . أنهم قدروا أن الإنسان خلق ووجد في الدقائق العشر الأخيرة من هذه الساعة، أو أن هذا الإنسان خلق ووجد في الدقائق العشر الأخيرة من هذه الساعة أو من هذا اليوم كله الذي اختصروا فيه عمر الكون كما قلت من قبل، والأهم من ذلك قولهم: إنه قد مضى على وجود الإنسان في هذه الأرض سبع دقائق من الدقائق العشر الكلية والتي هي عمر الإنسان على الأرض، ولم يبق إلا ثلاث دقائق وقالوا نحن نعيش الآن في آخر هذه الدقائق الأخيرة.

. . . . في البداية قلت: إن العلماء صغَّروا عمر هذا الكون واختصروا مليارات السنين[1] وجعلوها يوماً واحداً للتقريب على فهم الإنسان ومعنى هذا أن الساعة الواحدة من عمر هذا اليوم تساوي مليارات السنين والدقيقة الواحدة ملايين السنين

---

(١) عمر الكون ١٣ ألف مليار سنة حسب ما أوردته مجلة لايف الأمريكية.

لأن العلماء يريدون أن يعرفوا متى نشأ هذا الكون ومتى ينتهي، فهم مدركون حقيقة لا جدال فيها مطلقاً أن هذا الكون صائر إلى خراب، وواقع فيه الدمار لا محالة، فكل شيء عند علماء الفلك له عمر ينتهي معه.

والكون عندهم له عمر سينتهي إليه.

واختلف كثير من العلماء متى تكون هذه النهاية، كما اختلفوا تحديداً متى نشأ هذا الكون.

.... إذاً نحن كما يقول علماء الفلك في الدقائق الأخيرة من عمر هذا الكون.... وما قالوه وأقروه واتفقوا عليه لا يتنافى مع ما جاء به القرآن العظيم وأحاديث رسول اللّه ﷺ ولا يتنافى ذلك مع العقل والمنطق والفهم والتقدير وليس هو بالشاذ من منطق الإنسانية ومفهومها وتقديرها وأديانها وعقائدها.

الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد أن الساعة قريب وأن الإنسان خلق في المرحلة الأخيرة من عمر الكون

ما قاله علماء الفلك يؤيد ما جاء في الآيات الكريمة في القرآن العظيم لأن الآيات الكريمة تؤكد أن الساعة قريب، ولو لم تكن الساعة وقيامها قريباً ما ذكر اللَّه سبحانه في كتابه الكريم شيئاًعن ذلك، فلو أن الساعة بعلم اللَّه تبعد عنا عشرات الآلاف من السنين لما ذكر اللَّه سبحانه كلمة قريب في آياته الكريمة عند ذكره للساعة في أسلوب بلاغي رائع يعلمك بأن الساعة قريب دون التصريح.

وإليك البيان بقربها، يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٧]

ويقول تعالى:

﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ٥ ـ ٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٣]

ويقول تعالى:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

[سورة القمر، الآية: ١]

وبما أن الساعة قريب كما يقول اللَّه تعالى فهذا يعني أننا لم نخلق في المراحل الأولى لعمر الكون الذي يتجاوز عمره كما يؤكد كل علماء الفلك مليارات السنين.

وكذلك فإن رسول اللَّه ﷺ يؤكد في حديثه الشريف أن الإنسان خلق في الأيام الأخيرة من عمر الكون، ويقول رسول اللَّه ﷺ مؤكداً أن آدم عليه السلام قد خلقه اللَّه في آخر يوم من الأيام الستة التي خلق اللَّه سبحانه فيها السموات والأرض، ومن بعد العصر أيضاً تأكيداً على ما قاله علماء الفلك بما ملكوا من أدوات تكنولوجية عظيمة أن الإنسان خلق في اللحظات الأخيرة من عمر الكون.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« خلق اللَّه التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيها بين العصر إلى الليل »**(١).

ومما يؤكد هذا أن رسول اللَّه ﷺ أيضاً شبه عمر الإنسان على الأرض بيوم واحد تماماً كما فعل علماء الفلك في مؤتمرهم في بروكسل بلجيكا، ولكن علماء الفلك شبهوا ومثلوا عمر الكون كله بيوم. . . بينما رسول اللَّه ﷺ مثل لعمر الإنسان على الأرض منذ آدم

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي وذكره البخاري في تاريخه والبيهقي في الأسماء والصفات.

إلى آخر رجل يخلق على هذه الأرض بيوم واحد (٢٤ ساعة)، ويقول الرسول ﷺ أنه قد مضى على وجود الإنسان على الأرض إلى تاريخ بعثته ونزول القرآن الكريم (٢١) ساعة ولم يبق إلا (٣) ثلاث ساعات وهي الفترة ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس كما في الحديث الشريف.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّهﷺ قال:

«إنما أجلكم في ما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس»[1].

وفي تتمة الحديث الشريف أن اللَّه سبحانه جعل لهذه الأمة رغم قصر عمرها على هذه الأرض (ثلاث ساعات) فقط من يوم كامل أجراً عظيماً ومضاعفاً عن أجر باقي الخلق من اليهود والنصارى وغيرهم

يقول رسول اللَّه ﷺ في تتمة الحديث الشريف الذي رواه كاملاً ابن عمر رضي اللَّه عنه:

«إنما أجلكم في ما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى على قيراط قيراط ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً قال هل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا لا قال فإنه فضلي أوتيه من أشاء».

[رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ٢٨٨٣]

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح برقم ٢٨٨٣.

ومن الحديث الشريف نفهم أنه إذا انقضت الساعات الثلاث الأخيرة من عمر الإنسان على الأرض قامت الساعة، والسؤال يبقى إذا كان عمر أمة محمد ﷺ (٣)ساعات من عمر اليوم من عمر الإنسان كله، وقد مضى على بعثة رسول اللَّه ﷺ ما يزيد على ١٤٠٠ سنة، فكم بقي من هذه الساعات الثلاث التي مضى معظمها أو قل أكثرها؟؟ وكذلك فإن رسول اللَّه ﷺ أوضح لنا في حديث آخر عن الزمن القليل الباقي من عمر البشرية على الأرض.

... عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ

« ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها ».

[رواه الحارث ابن أبي أسامة]

وعن أبي الكنود عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ:

« مثل الدنيا كمثل ثغب. قلنا: وما الثغب، قال الغدير ذهب صفوه وبقي كدره فالموت تحفة كل مسلم »[١].

ومعنى الحديثين الشريفين أن الدنيا ذهب أكثرها وبقي القليل منها، وهذا كله يدلنا بوضوح أن قيام الساعة قريب، كما قال تعالى في بعض الآيات الكريمة التي قدَّمت بعضها والتي تشير إلى هذا القرب كقوله تعالى:

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٣]

فاللَّه سبحانه بين أنها قريب مع إخفائه تاريخ قرنها وسنتها

---

(١) رواه البخاري.

وشهرها ويومها وساعتها، وذلك لتعلم البشرية أن الساعة ليست بعيدة ولنفي أي قول أيضاً أو تقدير أن قيام الساعة بعد آلاف كثيرة من السنين.

وأما الحديث الشريف الثاني الذي تقدم والذي يقول فيه رسول الله ﷺ:

« خلق اللَّه التربة يوم السبت» إلى قوله: **« وخلق آدم في آخر يوم بعد العصر إلى الليل»** أي إلى المغرب.

تؤكد هذه الأحاديث الشريفة الأربعة بعضها مع بعض في معناها وكل واحد منها يؤكد الثاني لأنها جميعاً تصب في معنى واحد، وهو أن الساعة قريب، وأنه لم يبق من الدنيا إلا القليل وأننا نحن أبناءَ هذا الجيل من البشر وبعد مضي أكثر من ١٤٠٠ سنة على بعثة الرسول ﷺ لم يبق إلا أقل القليل وكل هذا يؤكد حقيقة ما قاله علماء الفلك المجتمعون في بلجيكا عام ١٩٩٠م أن الإنسان خلق في الدقائق العشر الأخيرة من عمر الكون وأننا الآن في الدقائق الثلاث الأخيرة من الدقائق العشر الأخيرة.

وهذا كله أيضاً يؤكد أن قيام الساعة أصبح وشيكاً وربما أقرب مما نتصور أو نتوقع أو حتى نتخيل، ودليلُ القرب الذي ليس عليه أدنى شك أو غبار حديثُ رسول اللَّه ﷺ الذي رواه سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها »[1].

ومعنى الحديث أن بين بعثة رسول اللَّه ﷺ وقيام الساعة زمناً

(١) رواه البخاري ومسلم.

قليلاً جداً وقريباً كقرب أصبعيه من بعضهما السبابة والوسطى زيادة في تأكيد قربها قياساً لعمر الكون وقياساً لعمر الإنسان على الأرض وإذا نفينا بُعد الساعة بعشرات الآلاف من السنين من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، فإنَّ هذا لا يعني أن الساعة في المائة سنة القادمة أو المئتين أو الثلاثمائة أو الخمسمائة فهذا يبقى في علم اللَّه، ولا يمكن لبشر ومهما أوتي من علم أن يحدد هذا بتاريخ أبداً.

جعل اللَّه سبحانه للساعة علامات (أشراطاً) لتطمئن قلوب المؤمنين إلى أن وعد اللَّه حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها

في هذا الزمن القصير لعمر أمة محمد ﷺ في الحياة الدنيا قبل قيام الساعة جعل اللَّه سبحانه علاماتٍ وأشراطاً لقيام الساعة، كلما ظهرت علامة من العلامات نقص زمن يوم القيامة، وكي تكون أمة محمد ﷺ على استعداد لهذا الحدث الجلل الذي ينهي الحياة الدنيا في هذا الكون لتبدأ حياة جديدة بدايتها الساعة والحشر والوقوف بين يدي اللَّه في أرض الميعاد. . . .ونهايتها الخلود في الجنة أو الخلود في النار وهذا ما نأتي على ذكره مفصلاً في هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة).

. . . . وكذلك فإن هذه العلامات والأشراط ذكرت لتطمئن قلوب المؤمنين المسلمين الموحدين بأن وعد اللَّه سبحانه حق، ظهر لهم في الدنيا مثلما سيظهر لهم في الآخرة ليزدادوا إيماناً باللَّه تعالى. . . ولا أرى جيلاً من أجيال المسلمين إلا ويتحقق له في مدة عمره التي يقضيها على الأرض بعض علامات قيام الساعة، فيجمع كل جيل ما تحقق من العلامات في ما مضى من تاريخ المسلمين مع ما تحقق في زمنه وينظر في ما بقي من العلامات.

والمؤمن الفطن هو الذي يحسب عموماً وليس على وجه التحديد ما بقي من عمر هذا الكون وهذه الحياة الدنيا تقريباً من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وما يتحقق من العلامات مستفيداً أيضاً من نظريات علماء الفلك على قرب نهاية هذا الكون.. بانكدار النجوم، وتسجير البحار، وتسيير الجبال وذهاب الكواكب والأقمار، إلى كثير من النظريات العلمية الحديثة.

كل ما قدَّمت هو في الحقيقة مقدمة عن علامات الساعة وأشراطها وليس هو الحديث عن (الساعة وقيامها)، فهذا له جزء خاص من الكتاب بعنوان (قيام الساعة وأهوالها) فالحديث فيها يطول لعظيم الحدث.. وكيف لا يكون عظيماً وجللاً، وقيامها يعني نهاية هذا الكون كله بجماده وأرواحه؟ وكيف لا يكون جللاً وعظيماً وقيامها يعني بداية الحياة الآخرة التي فيها يوم يعدل خمسين ألف سنة من سني الحياة على الأرض؟ وكيف لا يكون قيامها عظيماً وهي التي يليها الخلود في النار والعياذ باللَّه أو الخلود في الجنة؟

... لقد أردنا من هذه المقدِّمة الإعلامَ بأن قيام الساعة قريب، وأننا بحاجة شديدة جداً إلى الاستعداد لها وللحياة الآخرة التي هي المآل والحيوان ودار القرار الأبدي والخلود السرمدي، فلنتمعن في آيات اللَّه تعالى وأحاديث رسول اللَّه ﷺ التي تحدث فيها عن أشراط الساعة وعلاماتها وكلها أي العلامات: دلائل إثبات على وجود الحق ووحدانيته ودلائل

إيمانية تبعث في النفس قوة الإيمان وتشدها نحو الحقيقة حقيقة نهاية الدنيا بقيام الساعة، وأقول مرة أخرى ما هذه العلامات والأشراط إلا لتطمئن قلوبنا وتشحذ نفوسنا وتأمل بهذا اللقاء جزاء اللّه ورحمته وكرمه لنا في دار الخلود ومن أصدق من اللّه حديثاً .

الفصل الثاني

ـ علامات الساعة (أشراطها)

ـ مدخل

ـ تعريف معنى علامات الساعة (أشراطها)

ـ أقسام علامات الساعة (أشراطها)

ـ العلامات الصغرى (البعيدة)

١ ـ بعثة رسول اللَّه ﷺ. ٢ ـ انشقاق القمر

٣ ـ وفاة رسول اللَّه ﷺ ٤ ـ فتح بيت المقدس

٥ ـ موتان كعقاص الغنم (طاعون عمواس)

٦ ـ قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه

٧ ـ قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه

٨ ـ معركة الجمل ٩ ـ معركة صفين

١٠ ـ فتنة الخوارج ومعركة النهروان

١١ ـ تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه لمعاوية رضي اللَّه عنه وإصلاح الأمة على يديه

١٢ ـ فتنة التتار وقتال الترك ١٣ ـ خروج أدعياء النبوة الدجالين

١٤ ـ فتح المدائن ١٥ ـ الأمان في الطرقات

١٦ ـ كثرة المال وفيضه ١٧ ـ توقف الجزية والخراج

١٨ ـ النار التي تخرج من أرض الحجاز فتضيء أعناق الإبل في بصرى الشام

١٩ ـ الخسف والمسخ والقذف بين يدي الساعة

٢٠ ـ زوال أمبراطوريتي الفرس والروم

٢١ ـ بلوغ الدين ما بلغ الليل والنهار وفتح رومية

علامات الساعة (أشراطها)

مَدْخَل :

. . . . علامات الساعة كثيرة جداً منها ما جاء في القرآن الكريم ومنها ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة التي جمعت ما بين العلامات الصغرى والوسطى والكبرى.

فالقرآن الكريم تحدث عن العلامات الكبرى التي تسبق قيام الساعة بقليل، كشروق الشمس من مغربها ـ والدَّابة ـ والدخان ـ ويأجوج ومأجوج ـ وبعض آيات ربك كما في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾

بينما تحدث رسول اللَّه ﷺ في أحاديث شريفة متعددة، التي جمعت الحديث عن العلامات الصغرى (أي الأولى) والوسطى والكبرى وهذا كله بوحي من اللَّه سبحانه، فهو أي الرسول ﷺ لا ينطق عن هوى نفسه إنما ينطق ويقول ما أوحى إليه ربه وما عُلِّمَه عن طريق الوحي جبريل.

قال تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ٣ ـ ٥]

وما آتانا به الرسول فهو حق علينا الأخذ به بالأمر الإلهي.

يقول تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ .

[سورة الحشر، الآية: ٧]

لذلك كل ما تحدث عنه الصادق المصدوق محمد بن عبد اللَّه ﷺ عن الساعة وعلاماتها فهو صحيح، فاللَّه سبحانه لم يضنّ على سيدنا محمدﷺ ببعض الغيب ليتبين الحق ويُصدقه الناس، ويعلموا أنه رسول من اللَّه سبحانه مؤيد بالوحي.

حتى إن اللَّه سبحانه أطلعه ما يكون من أمر الدنيا من بعثته إلى قيام الساعة مع احتفاظ اللَّه سبحانه بغيب الساعة ووقت قيامها.. ولم يضن رسول اللَّه ﷺ بأن يخبر أصحابه بما علمه من اللَّه سبحانه عن طريق جبريل عليه السلام لتستعد الأمة كلها ليوم انتهاء الحياة على الأرض وقيام الساعة.

عن أبي زيد عمرو بن أخطب رضي اللَّه عنه قال: « **صلى بنا رسول اللَّه ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم صَعِد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما هو كائن فأعلمنا أحفظنا** »(١) .

وعن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال: « **قام فينا رسول اللَّه ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون من الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل قد غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه** »(٢) .

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٨٩٢.

(٢) رواه مسلم برقم ٧٢٦٣.

.. ولعل هذا هو السبب الرئيس في كثرة الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن علامات الساعة لأن كل ما تحدث به الرسول ﷺ على المنبر من صلاة الفجر إلى صلاة المغرب يبين ما هو كائن إلى قيام الساعة، وزمن اليوم طويل فإذا تحدث الرسول ﷺبطوله فهذا يعني نطقه بمئات الأحاديث الشريفة.

ثم إن ما تحدث به الرسولﷺ عما هو كائن إلى قيام الساعة من فتن واقعة وأحداث قائمة وأخبار سابقة أطلع اللّه سبحانه رسولهﷺ عليها، هي بذات الوقت علامات للساعة، وذلك لأنها تحدث بين يدي الساعة كلها، ومن بعثة رسول اللّه ﷺ إلى قيام الساعة هو تماماً ما يسمى بين يدي الساعة.

لذلك كان منها ما هو صحيح وهو الحديث الصحيح ومنها ما هو حسن وهو الحديث الحسن ومنها ما كان ضعيفاً لضعف الرواة في سند الحديث، ولذلك حتى يتحقق الحق ويبطل الزائف رأينا أن نورد من الأحاديث الشريفة ما هو صحيح وحسن... وربما وفي حالات نادرة جداً نستشهد ببعض الأحاديث الضعيفة لضرورة الموقف..

تعريف معنى
علامات الساعة (أشراطها)

العلامة = لغةً: الشَرط وأشراط الشيء أوائله ـ وأما اصطلاحاً فأشراط الساعة هي العلامات الدالة التي تسبق يوم القيامة وتدل على قربها.

الساعة = لغة: جزء من أجزاء الليل أو النهار وجمعها ساعات.

الساعة = اصطلاحاً: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم في صيحة واحدة!!

وقد قسم أهل العلم علامات الساعة إلى قسمين: صغرى وكبرى وهذا تقسيم صحيح إذا كان العلماء المقسمون هم من أهل القرن الأول للإسلام أو الثاني أو الثالث حتى العاشر والحادي عشر.. ولكن لمَّا امتد الزمن نستطيع أن نقسم علامات الساعة بدورنا إلى عدد من الأقسام تسهيلاً للمعرفة والفهم، حيث لم يكن في عهد العلماء الأوائل علامات كثيرة قد ظهرت لذلك أطلقوا عليها جميعاً الصغرى، وصولاً نهائياً إلى العلامات الكبرى بداية من طلوع الشمس أو ظهور الدابة أو الدخان..

.... وبما أن العلامات بدأت ومنذ بعثة النبي ﷺ كانشقاق القمر وموته ﷺ والفتن الواقعة في عهد الصحابة.. وبدأت العلامات تظهر تباعاً وفي كل قرن من تاريخ الأمة الإسلامي حتى عصرنا هذا

فكثرت جداً العلامات وتحققت، لذا نستطيع أن نقسم علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام بدلاً من قسمين:

١ ـ العلامات الصغرى

٢ ـ العلامات الوسطى

٣ ـ العلامات الكبرى

وذلك لسهولة المعرفة وتحصيل العلم وإدراك المراد، ورأيت بفضل اللَّه تعالى هذا ضرورياً في هذا العصر الذي قربت فيه الساعة وقيامها قرباً شديداً والعلم عند اللَّه ولا يجليها لوقتها إلا هو سبحانه وتعالى.

أقسام علامات الساعة (أشراطها)

١ ـ العلامات الصغرى (البعيدة):

وهي العلامات الأولى التي ظهرت ولن تعود مرة أخرى كموت النبي ﷺ وكانشقاق القمر، وموت عثمان رضي اللّه عنه وغيرها كثير ـ ولقد سميت صغرى لبعدها عنا وليس لصغرها بمعنى الصغر، فقد كانت في زمن الرسول ﷺ وزمن الصحابة رضوان اللّه عليهم وفي صدر الإسلام الأول.

٢ ـ العلامات الوسطى:

وهي العلامات التي تلت صدر الإسلام الأول ونعيش واقعها حتى الآن، ولقد ظهر منها الكثير ولا يزال كالفتن ـ ظهور نار في أرض الحجاز ـ خروج الدجالين أدعياء النبوة ـ الخسف والقذف ـ استفاضة المال والملاحظ في العلامات الوسطى أنها ظهرت وتظهر وربما تتكرر مرة أو مرتين أو ثلاثة... وتنقسم العلامات الوسطى إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ علامات ظهرت وانقضت خلال القرون الماضية وربما يعاد بعضها.

ب ـ علامات تظهر في زماننا ونعيش أحداثها اليوم.

ت ـ علامات ستظهر من بعدنا وتعيش واقعها الأجيال القادمة حتى ظهور أول علامات الساعة الكبرى.

٣ ـ العلامات الكبرى:

وهي العلامات الفصل لا يشوبها شك ولا يختلف عليها اثنان من العلماء أو العامة، فهي صحيحة ومحققة من كل أهل العلم، لورود بعضها في القرآن الكريم وثبوت صحتها عند رسول اللّه ﷺ بروايتها من كبار علماء الحديث ـ كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم من أهل الحديث الثقات. وتنقسم علامات الساعة الكبرى إلى قسمين:

أ ـ علامات ذكرها القرآن الكريم ورسول اللّه ﷺ ـ كالدابة ـ والدخان ـ ويأجوج ومأجوج.

ب ـ علامات ذكرها رسول اللّه ﷺ كالمهدي ـ ونزول عيسى ـ الدجال ـ إلى آخر العلامات الكبرى.

وهذه التقسيمات بعون اللّه تعالى تسهل علينا العلم والمعرفة والفَهم فلا بد أن نعرف ما مضى منها وما نحن فيه منها وما هو آت.

تنبيه وملاحظة

إن أكثر الأحاديث الشريفة وروداً عن علامات الساعة هي ما كان في العلامات الوسطى، وهذا صحيح لأن فترة ما بين العلامات الصغرى والكبرى فترة طويلة امتدَّت إلى قرون، ولا نعلم متى تبدأ العلامات الكبرى مع التأكيد على قربها والعلم عند اللّه سبحانه، ومن هذه الأحاديث المتشابه لتعدد الرواة ـ لذلك رأيت (بعون اللّه تعالى) أن أذكر الحديث وأعلق عليه مفسراً ومحللاً، وإذا كان له متشابه ذكرته، وإذا أعانني اللّه سبحانه ذكرت رواته فقط حتى لا أثقل على القارئ من كثرة الأحاديث.. فمن الكتب المؤلفة في خصوص أشراط

الساعة من ذكَرت مئاتِ الأحاديث والكثير فيها متشابه، ومنها ما أطال في تفسير الحديث وشرحه وبيانه، لذا رأينا بعون اللَّه أن نكون وسطاً في ذكر عدد الأحاديث الدالة على العلامات وفي تفسير المراد من الحديث لتعم الفائدة. . . وأما ما يحتاج إلى تفصيل وشرح موسعيْن، فهو يوم القيامة بدءاً من قيام الساعة ـ والحشر ـ وأرض الميعاد ـ والوقوف بين يدي اللَّه سبحانه والحساب ـ ونشر الصحف ـ والميزان الخ وما ورد عن يوم القيامة بطوله العظيم الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة قال تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ٤ ـ ٧]

. . . وأية علامة نلمسها اليوم أو علمنا حدوثها من قبل تزيد في الإيمان وتؤكد لنا حدوث كل العلامات قبل قيام الساعة.

وما جعل اللَّه سبحانه هذه العلامات لقيام الساعة إلا لتطمئن القلوب وتعلم أن الساعة التي لا ريب فيها، قادمة لا محالة، وهذا كله يدفعنا إلى العمل والاستقامة وشحذ الهمم والاستعداد لها بالعمل الصالح الذي يرضي اللَّه تعالى ورسوله ﷺ. . . .

العلامات الصغرى (البعيدة)

.... قلنا هي العلامات الأولى التي هي قريبة عهد برسول اللّه ﷺ وبالخلفاء الراشدين وصدر الإسلام الأول، فهي لم تسمَّ صغرى لأنها صغيرة بل لأنها بعدت عنا كثيراً، ولأنها في الوقت ذاته بداية علامات قيام الساعة، وكذلك سميت صغرى لأن ما بينها وبين العلامات الكبرى زمن طويل وبون شاسع، وها قد مضى ١٤٠٠ عام على تلك العلامات الأولى (الصغرى) ولم تقم الساعة بعد ـ فهي ليست صغرى بالمعنى الحرفي.. فإذا كان أولها بعثة النبي ﷺ وثانيها انشقاق القمر وثالثها موت النبي ﷺ، وكلها من الأمور العظام فهي في الاسم صغرى وفي المعنى عظمى وكبرى...

ونذكر هذه العلامات على التتابع وبحسب الأهمية وصحة الرواية وقوة الرواة، نذكر الأهم تفصيلاً ونشير إلى المهم إشارة سريعة عند ذكر تلك العلامات، وأما الضعيف منها فنذكر منه ما هو ضروري وغير متشابه.. وأمَّا المتشابه فنذكر حديثاً واحداً أو اثنين حسب الضرورة ونشير إلى وجود أحاديث أخرى شبيهة ونذكر رواتها إن أمكننا ذلك.

كل ذلك توخياً للأمانة وتحرزاً من التكرار وإضاعة الفائدة المرجوة وتحقيقاً للعلم والمعرفة والصدق مع اللّه سبحانه ورسوله ﷺ.

فالتحرز والحرص ضروريان مع مقام هذه الموسوعة (موسوعة

الآخرة) والآخرة للّه تعالى، وكيف لا أكون حريصاً في ما أورده وأنا في حضرة اللَّه سبحانه وأتحدث عن الآخرة التي هي المآل والمرجع وهي دار الخلود وفيها من رحمة اللّه ما لا يعلمه إلا اللّه سبحانه. . . . والآن مع هذه العلامات مرتبة ترتيباً بقدر ما استطعنا عليه وحسب تاريخ الأحداث واللّه أعلم.

١ ـ بعثة رسول اللّه ﷺ

كان جميع الرسل صلوات اللّه عليهم وسلامه يرسلون إلى أقوامهم خاصة يدعونهم بدعوة الإيمان، ولمَّا اقترب الوعد الحق بعث اللَّه محمداً ﷺ ليكون للعالمين نذيراً وبشيراً وهادياً، وجعله اللّه سبحانه خاتم أنبيائه ورسله، وجعل رسالة الإسلام خاتمة الرسالات السماوية، فلا نبي بعد محمد ﷺ ولا رسالة بعد رسالة الإسلام لأن اللَّه سبحانه ارتضى لعباده في الأرض جميعاً رسالة الإسلام يقول تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٣]

فكيف يرضى اللَّه سبحانه لعباده الإسلام ثم يرسل بعد ذلك رسلاً آخرين برسالات أخرى؟ ودين الإسلام أفضل الأديان وأصلح للبشرية إلى أن تقوم الساعة، ومن آيات هذاالقرآن الكريم التي نزلت إشارة إلى أن الوعد الحق قد اقترب:

قولُه تعالى:

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١]

وقال تعالى:

﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٧]

فالواضح الذي لا لَبْس فيه ولا شك أن بعثة رسول اللَّه ﷺ هي أُولى علامات الساعة الصغرى، فلا نبي ولا رسالة بعد محمد ﷺ، ولن تقوم الساعة إلا وقد انتشر هذا الدين، دينُ التوحيد وحتى يكون حساب الأمم يوم القيامة عليه.

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« بعثت أنا والساعة كهاتين، كفضل إحداهما عن الأخرى وضم السبابة والوسطى »[1].

ومعنى الحديث إشارة ضمنية وكناية عن قرب الساعة لتلاصق الأصبعين وتجاورهما، فالزمن الباقي لقيام الساعة وإن طال فهو لا يشكل شيئاً في عمر الكون الذي هو بالمليارات من السنين، ولا يساوي شيئاً أمام علم اللَّه تعالى الذي يساوي اليوم عنده ألف سنة مما نعد نحن في الأرض.

قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٤٧]

ـ عن أبي جبيرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« بعثت في نَسَمِ الساعة ».

[رواه أحمد في مسنده والحاكم في الكُنى]

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي جامع الأصول (١٠/ ٣٨٤).

وفي رواية « **بعثت في نفس الساعة** » .

[رواه الترمذي . عن المستورد بن شداد رضي اللّه عنه]

ونسم الساعة كما يقول ابن الأثير (هو من النسيم أول هبوب الريح الضعيفة أي بعثت في أول أشراط الساعة).

ومعنى الحديث: أن رسول اللّه ﷺ بعث في نفس تاريخ قيام الساعة، فسبقها لزمن وجيز كما تسبق في الكف السبابة عن الوسطى، والحديث تأكيد مطلق لقرب الساعة وقيامها ولهذا يقول تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ لقربه عند اللّه تعالى

٢ ـ انشقاق القمر :

هي معجزة حسية رآها كثير من الناس في عهد رسول اللّه ﷺ . ولقد ذكر ابن كثير في تفسيره الأحاديث الواردة في انشقاق القمر :

ـ عن أنس رضي اللّه عنه: « **أن أهل مكة سألوا رسول اللّه ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين** »[١] .

ـ عن عبد اللّه بن مسعود قال: « **انشق القمر على عهد رسول اللّه ﷺ بشقين فقال رسول اللّه ﷺ : اشهدوا، اشهدوا** »[٢] .

ـ عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: « **بينما نحن مع رسول اللّه ﷺ بمنى انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول اللّه ﷺ : اشهدوا** »[٣] .

ولقد اتفق العلماء على أن القمر قد انشق في عهد الرسول ﷺ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٨٠٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٨٠٠.

(٣) رواه مسلم برقم ٢٨٠١.

ولقد ثبت أن انشقاقه هو أَحَدُ معجزات الرسول ﷺ الباهرات المؤيدات للنبوة. . ولقد أنزل اللَّه سبحانه في هذه المعجزة التي أيد بها محمداً ﷺ قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ولقد اعتبر انشقاق القمر معجزة حسية وعلامة جعلها اللَّه سبحانه على قرب قيام الساعة.

يقول اللَّه تعالى:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

[سورة القمر، الآيتان: ١، ٢]

٣ ـ وفاة رسول اللَّه ﷺ:

لقد اعتبر رسول اللَّه ﷺ وفاته إحدى علامات الساعة.

قال رسول اللَّه ﷺ لعوف بن مالك «**أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم مُوتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية (راية) تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً**»[(١)].

. . . . والحديث الشريف يحتاج إلى شرح ليس هذا موقعه، بل سيأتي في ما بعد ولكن الشاهد أول الحديث، وأول الستة وهو موت رسول اللَّه ﷺ فبَعثته ووفاته ﷺ علامتان عظيمتان على قيام الساعة، ولقد كان لوفاته ﷺ أثر عظيم في نفوس الصحابة جميعاً حتى اعتبرت مصيبة موته من أعظم المصائب التي أصيب بها المسلمون، وروى الطبراني وأبو نُعيم حديثاً في معناه.

---

(١) رواه البخاري جامع الأصول (١٠ ـ ٤١٢) رقم الحديث ٧٩٢٧.

٤ ـ فتح بيت المقدس :

قال رسول اللَّه ﷺ لعوف بن مالك: «**أعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مِائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً**»[(١)].

نجد في الحديث الشريف أن فتح بيت المقدس جاء ثانياً في الحديث بعد موت الرسول ﷺ وهذا ما حدث فعلاً فقد كان فتح بيت المقدس في عهد خلافة عمر بن الخطاب، والحديث معروف ومتواتر ومشهور، والإخبار بفتح بيت المقدس إخبار من الغيب الذي علمه إياه ربه، ودليل على صدق كل ما أخبرنا به الرسول ﷺ من علامات الساعة الصغرى والوسطى والكبرى ولقد فتح بيت المقدس سنة ١٦ للهجرة، واستلم مفاتيحه الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه وطهره من اليهود والنصارى وبنى فيه مسجداً في قبلة بيت المقدس، ولقد فتح بيت المقدس مرة أخرى بعد أن استولى عليه النصارى من أوروبا على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه اللَّه. . . ولا بدَّ من الفتح الثالث على أيد مؤمنة ينطق فيها الحجر والشجر مؤيداً للمسلمين وسيأتي في حينه بإذن اللَّه.

٥ ـ مُوتان كعقاص الغنم (طاعون عمواس)[(٢)]

جاء في الحديث عن عوف بن مالك الذي ذكر في فتح بيت المقدس ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال لعوف بن مالك:

«**أعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم**

---

(١) رواه البخاري برقم ٧٩٢٧ جامع الأصول.

(٢) عمواس مدينة في فلسطين على طريق بيت المقدس تبعد ٦ أميال عن الرملة.

موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً». سبق تخريجه

وذلك عندما أنهى المسلمون فتوحاتهم في العراق ثم الشام وبعد المعركة الفاصلة (اليرموك) استقر المسلمون في بلاد الشام، ثم جاء قدر اللَّه سبحانه (الطاعون) الكوليرا فمات خلق كثير من هذا المرض الفتاك حيث قتل من المسلمين يومئذ ما يزيد عن خمسة وعشرين ألف مسلم، من بينهم أمين الأمة أبو عبيدة بن الجرَّاح رضي اللَّه عنه ورحمه اللَّه، وكذلك ضرار بن الأزور رضي اللَّه عنه أحد أبطال المسلمين في معارك الفتح، وقد أخبر الرسول ﷺ أن قدر اللَّه سبحانه آتٍ، وأخبر الرسول ﷺ أن الطاعون شهادة لأمة محمدﷺ.

ـ عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه قال: قال الرسول ﷺ: «**القتل في سبيل اللَّه شهادة والطاعون شهادة والمرأة يقتلها ولدها جمعاً شهادة**».

[رواه أحمد]

وكان هذا الموت الأول كما في الحديث الشريف: «**موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم**» وجاء مثله سنذكره عندما نتحدث عن البلايا والفتن في القرون المتقدمة بعد طاعون عمواس.

وهذا كله من علامات الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ أي إن الساعة لا تقوم حتى يحدث هذا وذاك، لأن القدر مقدور من اللَّه سبحانه وتعالى قبل قيام الساعة.

٦ ـ قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه

جاء في صحيح البخاري: أن عمر سأل حذيفة رضي اللَّه عنهما عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال: «**يا أمير المؤمنين لا بأس عليك**

فيها . . . إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال أيفتح الباب أو يكسر؟ قال: بل يكسر قال: قال ذلك أحرى أن لا يغلق، وفيه أن الباب عمر»[١] .

ومعنى الحديث: أن عمر يعلم أن من علامات الساعة فتناً ستكون كثيرة أشبه بقطع الليل المظلم، لذا سأل الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان لقربه من الرسول ﷺ ولحفظه عنه الكثير من الأحاديث أن يطلعه على هذه الفتن، فقال حذيفة رضي اللَّه عنه: لا عليك يا عمر فإن الفتنة أو الفتن لا تبدأ إلا بعد وفاتك (قتلك) .

ولقد روى الطبراني والبزار مثل هذا الحديث الشريف بألفاظ مقاربة .

٧ ـ قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه

و لقد تعددت الأحاديث في مقتله وهي معجزة من معجزات النبي ﷺ في إخباره ببعض الغيب، ومنها مقتل عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه :

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ : « **دعا عثمان فجعل يُسِرُّ إليه ولون عثمان يتغير، فلما جاء يوم الدار قلنا: ألا تقاتل؟ قال: لا إن الرسول ﷺ عهد إلي أمراً فأنا صابر عليه**»[٢] والمعنى: أن الرسول ﷺ أخبر عثمان بمقتله على أيدي فئة ظالمة، ورسول اللَّه ﷺ لا ينطق عن الهوى، فلما كانت الثورة فتنة على عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه، والقصة طويلة ومعروفة، جاءه أصحابه يسألونه أن يقاتل هذه الفئة التي تحاصر منزله، فأبى لأن رسول اللَّه ﷺ أخبره بمقتله على يد هذه الفئة الباغية .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. (٢) رواه الحاكم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال وعثمان محصور: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« تكون فتنة واختلاف، قلنا: فما تأمرنا يا رسول اللَّه قال: عليكم بالأمير وأصحابه وأشار إلى عثمان »[١].

وقد روى مثله البزار والطبراني والحاكم وابن عدي وابن عساكر.. ومقتل عثمان من الفتن العظيمة التي أخبر بها رسول اللَّه ﷺ وهي من علامات الساعة.

٨ ـ معركة الجمل:

وهي المعركة التي دارت رحاها بين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه وبين الزبير بن العوام الذي كانت تؤيده عائشة رضي اللَّه عنهما.

عن طلحة وعلي رضي اللَّه عنهما أن الرسول ﷺ قال للزبير: **« أتحب علياً؟ أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت له ظالم؟ »**[٢].

ـ عن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال لها: **« كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب حوْأب »**[٣].

عن ابن عباس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال لنسائه:

« أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تسير أو تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت »[٤]، ومعركة الجمل معروفة في التاريخ الإسلامي، وهي من الفتن العظيمة التي أخبر بها رسول اللَّه ﷺ والتي هي من علامات

---

(١) رواه الحاكم وصححه ورواه البيهقي.

(٢) رواه الحاكم وصححه.

(٣) رواه أحمد والحاكم.

(٤) رواه البزار وابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات.

الساعة، وهذه الأخبار أيضاً من معجزات الرسول ﷺ بإخباره عن بعض الغيب المستقبلي، ومعركة الجمل هي التي وقعت بين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه وبين الزبير بن العوام وعائشة رضي اللَّه عنهما وكان فيها مقتلة عظيمة.

٩ ـ معركة صِفِّين

لقد صح في الحديث أن فئتين عظيمتين من المسلمين تقتتلان فيكون بينهما مقتلة عظيمة...

لقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة**»(١).

والحديث في معركة صفين يطول بذكر أسبابها ودوافعها ومن كان على الحق ومن كان على الباطل..... فمعركة صفين كانت بين معاوية ابن أبي سفيان رضي اللَّه عنه وعلي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، وسببها الخلاف حول الخلافة، فقد كان معاوية والياً على الشام أيام عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه، ولما أصبح علي بن أبي طالب خليفة المسلمين عزل معاوية عن ولاية الشام، فعز على معاوية فعل علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، وقد كان معاوية قد تمكن من الشام وأصبح له فيها جيش قوي وسند متين، فأبى على علي فعلته ورفض الانصياع لأوامره بعزله، وفي نهاية الجدل والتحكيم وما كان فيه من معاوية وعمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما، كانت الحرب بينهما في موقع اسمه صفين وكان عدد جيش معاوية بن أبي سفيان ١٣٥ ألف رجل وعدد جيش علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه نحو ذلك، وقد ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين، من قائل ثلاثون ألفاً ومن قائل سبعون ألفاً.

---

(١) رواه البخاري رقم الحديث ٢٤٩٨.

وقد أخبر رسول اللَّه ﷺ عن الصحابي الجليل عمار رضي اللَّه عنه فقال: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»(١)، وكان عمار رضي اللَّه عنه مع جيش علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه... وهذه أيضاً إحدى معجزات النبي ﷺ بإخباره عن الغيب سواء في أن الساعة لا تقوم حتى تقتتل فئتان عظيمتان، أو أن عماراً تقتله الفئة الباغية.

١٠ ـ فتنة الخوارج ومعركة النهروان

من علامات الساعة خروج فرقة من المسلمين عن طاعة الخليفة، من معتقداتهم تكفير علي ومعاوية رضي اللَّه عنهما، وتكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار، وكذلك تكفير كثير من الصحابة، وقد عرفت هذه الفرقة (بالخوارج) الذين خرجوا على (علي ابن طالب رضي اللَّه عنه)، وقد استباحوا الدماء وأحدثوا في الإسلام دماراً وبلاء عظيماً يدَّعون العلم ويجهدون أنفسهم بالعبادة، ويُجهلون العلماء! وكانت أحكامهم جائرة وآراؤهم قاصرة... وقد حذر رسول اللَّه ﷺ منهم، وأنه سيكون في أمة محمد ﷺ منهم.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القول ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرَّمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم إلى فُوقه، هم شرار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب اللَّه، وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى باللَّه منهم، سيماهم التحليق**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال «**بينما نحن عند النبي**

---

(١) رواه مسلم: مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٠٦ تقتل عماراً الفئة الباغية.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وفي مستدرك الحاكم ومسند أحمد (صحيح الجامع الصغير ٢١٣).

ﷺ وهو يقسم قسماً[١] إذ أتاه ذو الخويصرة فقال: يا رسول اللّه ـ اعدل ـ فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ـ قال عمر: يا رسول اللّه ائذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول اللّه ﷺ: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فيهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البَضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس»[٢].

وقد أحدث هؤلاء الخوارج فتنة عظيمة تعتبر من أشد الفتن التي أخبر عنها رسول اللّه ﷺ. . . وحقيقة هؤلاء أنهم كانوا من جيش علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، خرجوا عليه عند مسألة التحكيم بين معاوية وعلي، ولم يرضوا بحكم عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، ولم يقروا علياً على قبول الحكم، فخرجوا عليه وعاثوا في الأرض فساداً، مما اضطر علي بن أبي طالب أن يحاربهم، وكان ذلك وتمت معركة (النهروان) فقتل منهم علي وجيشه ما يقرب من عشرين ألفاً، وتفرق ما بقي منهم في البلاد، وقال الحافظ ابن حجر عن الخوارج «عَظُم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض، وكفّروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان قادراً»!!!

١١ ـ تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب لمعاوية وإصلاح الأمة على يديه:

لقد بشر رسول اللّه ﷺ أن الأمة بعد حرب ضروس وفتنة

---

(١) يقسم قسماً = يقسم فيئاً أو غنيمة. (٢) أخرجه الشيخان.

عظيمة ستصلح على يدي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، والقصة تطول، لكن نقول فيها بإيجاز: إنه لما كانت معركة صفين وراح ضحيتها ما راح من المسلمين وكان التحكيم، وانشق الناس وظهرت فرقة الخوارج وقتل علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم... رأى الحسن أن يتنازل عن الحكم لمعاوية حقناً لدماء المسلمين وهذا ما حدث، فرسول اللَّه ﷺ بشر بهذا بشهود جماعة من الصحابة حضروا صلح معاوية والحسن وتنازل الحسن لمعاوية فقالوا سمعنا رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح اللَّه تبارك وتعالى به فئتين عظيمتين من المسلمين**»[(١)].

وهذا أيضاً من معجزات الرسول ﷺ بإخباره ببعض الغيب فكما أخبر بوقوع المقتلة العظيمة، أخبر بمن يصلح هاتين الفئتين وهو الحسن بن علي، وهذا أيضاً إحدى علامات الساعة لا تقوم إلا بعد ظهور تلك العلامات جميعها واحدة تلو الأخرى، ومنها إصلاح الأمة والفئتين المتحاربتين.

... ويدخل في هذه الفتن العظيمة (مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه على يد جيش يزيد بن معاوية والفتنة معروفة ومشهورة، وكذلك من الفتن في عهد الصحابة موقعة الحرة. وروى عمر بن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «**والذي نفسي بيده ليكونن بالمدينة ملحمة، يقال لها: الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده رقم الحديث (٢٠٥٥٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة.

ومفاد المعركة فقد وقعت بين قائد جيش يزيد بن معاوية (مسلم ابن عقبة) وأهل المدينة لإقناع ابن عمر ـ ابن عباس ـ وعبد الرحمن ابن أبي بكر بمبايعة يزيد بن معاوية.

١٢ ـ فتنة التتار وقتال الترك

إن فتنة التتار التي أخبر عنها رسول اللَّه ﷺ وهي من علامات الساعة فتنةٌ عظيمة أصيب بها العالم الإسلامي برمته، حيث أخبر رسول اللَّه ﷺ أن أقواماً من الترك (وهم التتار) نعالهم الشعر صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف سيقاتلون المسلمين.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة**»(١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوز وكرمان قوماً من الأعاجم حمر الوجوه عراض الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر**»(٢).

وجميع هذه الصفات تنطبق على التتار الذين أصلهم من الترك لأن كلا التسميتين التتار والترك هما من وراء بلاد الهند والسند ومن بلاد ما وراء النهر... والتتار والترك كانوا أقواماً أقرب للتوحش منهم للإنسانية، فكانوا لا يفهمون إلا لغة القتل والسلب والنهب والدمار حيثما حلُّوا، يتزعمهم قائد لا تُعرف في قلبه الرحمة، ففتكوا حيث حلُّوا، حتى وصلوا إلى بغداد فاستباحوها أياماً وقتلوا الخليفة وأهله،

---

(١) رواه الستة إلا النسائي.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

وقيل: إنهم قتلوا من بغداد وحدها ما يربو على المِليون مسلم بسبب تقاعس الخليفة والتفاته إلى اللّهو والمجون وجمع المجوهرات والمال، وبقي هؤلاء التتار الترك يعيثون في الأرض فساداً حيثما حلوا، حتى قيض اللّه سبحانه قائداً مسلماً يسمى قطز كان حاكماً لمصر آنذاك، وعاونه الظاهر بيبرس وتغلبوا على التتار وانحسر أمرهم وضعفت قوتهم بعد الهزيمة التي لحقت بهم في معركة (عين جالوت)

وفي ما بعد حاول التتار والترك غزو بلاد المسلمين أكثر من مرة، وكان النصر والهزيمة سجالاً بينهما، حتى دخلوا أخيراً في الإسلام وحسن إسلامهم، ولكنهم عاثوا فساداً عظيماً في قصور خلفاء بني العباس، حتى إنهم كانوا في كثير من الأحيان هم الحكام الفعليّين لخلافة بني العباس، حتى قتلوا المتوكل بن المعتصم وأولاده في ما بعد واحداً تلو الآخر.

... هذه الأحاديث وغيرها دلائل إعجاز النبوة لسيدنا محمد ﷺ فقد ذكر صفات هؤلاء الترك جميعاً، وما يكون من أمرهم مع المسلمين، والبلاء الذي سيحل بأمة محمد ﷺ من فعلهم وصنيعهم، وأنه لا تقوم الساعة إلا بعد الابتلاء بهؤلاء سواء في الفتن أو الحروب.

١٣ ـ خروج أدعياء النبوة الدجالين

إن خروج أدعياء النبوة الدجالين من علامات الساعة، وهي من العلامات المستمرة وليست موقوفة على زمن معين، ولا يزال حتى عهد قريب من الدجالين من يدعي النبوة مثل محمود محمد طه من السودان وقد أضل كثيراً وأعدم ١٩٨٥م. ورشاد خليفة صاحب كتاب (عليها تسعة عشر) ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول

اللَّه ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول اللَّه**»(١) .

عن ثوبان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول ﷺ :

« **سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»(٢) وعن سَمُرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

« **لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال**»(٣) .

عن حذيفة قال: قال رسول اللَّه ﷺ « **في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي**»(٤) .

و قد ظهر منهم في عهد الصحابة مسيلِمة الكذاب ومالك بن نويرة والأسود العنْسي وسَجاح الكاهنة، وفي عهد التابعين المختار الثقفي ومنذ قرن تقريباً ظهر الميرزا عباس في إيران مدعياً النبوة عام ١٢٣٣ هجري. . ولقد أكدت بعض الراويات أن عدد سبعة وعشرين قدتم أوكاد. . . أما الكذابون فكثيرون منهم من ادَّعى أنه المهدي ومنهم من ادّعى أنه صحابي كالمعمَّر المشهور برتن في الهند.

هذه الأخبار الصادقة عن الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، مَنْ علمه إياها سوى اللَّه سبحانه، فالزمن بينه وبين قيام الساعة تجاوز للآن ١٤٠٠ سنة، وكم بقي لا ندري فهذه

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٢٣.
(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان.
(٣) أخرجه أحمد والطبراني.
(٤) رواه الطبراني برقم ١٩٩٩ سلسله الأحاديث الصحيحة ٦٩.

مدَّة طويلة يمكن أن يظهر فيها مئات الأدعياء بالنبوة، ولكن تحديد رسول اللَّه ﷺ أنهم ثلاثون دليل إعجاز ودليل صحة إخبار من رسول اللَّه ﷺ لأمور الساعة بمنتهى الدقة، لأن الملهم والموحي له هو اللَّه سبحانه

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣]

١٤ ـ فتح المدائن عاصمة الأكاسرة (الفرس)

عن عَدي بن حاتِم رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إنه لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذي في المدائن** » قال عدي في تفسير الحديث: لقد رأيت هذا وكان في زمن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه. وهذا يشير إلى زوال ملك الفرس وسقوط عاصمتهم المدائن بأيدي المسلمين، وقد حصل هذا على يد القائد سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه.

١٥ ـ الأمان في الطرقات:

عن عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق آمنة لا تخاف شيئاً** »(١).

وقال عدي: لقد رأيت هذا بأم عيني. وقد أثبت التاريخ أمان هذه الطرقات بفضل الإسلام وتعاليمه، بعد أن كان الإنسان لا يأمن مطلقاً على نفسه في السير في هذه الطرقات إلا أن تكون القافلة لها حرس ومدافعون ومع ذلك كانت القوافل تتعرض لهجمات، وأمَّا عندما تعمق الإسلام في نفوس الناس ابتعدوا عن هذا الأمر المُشين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق**»[١].

١٦ ـ كثرة المال وفيضه:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل فيقول لا إرْب لي فيه**»[٢].

في الحديث الشريف معان كثيرة، منها أن من علامات الساعة استفاضةَ المال، وهذا يدل على سعة ملك العرب وتملكهم للشرق والغرب، وهذا إعجاز من رسول اللَّه ﷺ وبشرى في نفس الوقت ـ ثانياً: إن استفاضة المال ليست موقوفة على عصر واحد أو في قرن واحد. . . وهذا الحديث من الأحاديث التي يمكن أن تكون في كل زمن العرب ـ فاستفاضة المال جزء من الحديث الشريف، وقد حصل هذا في زمن الصحابة عندما فتحوا العراق والشام وعظمت الغنائم في بيت مال المسلمين بعد أن كان شبه فارغ. . وكذلك حصل في عهد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز حيث عاد حاملو الزكاة من الغرب الإسلامي، ولم يجدوا مَن يقبله لتحقيق الولاة العدل ـ وكذلك فاض المال استفاضة عظيمة في عهد الدولة العباسية، وأخص بالذكر خلافة هارون الرشيد، وفي عصرنا هذا أيضاً فاض المال عندما أخرجت الأرض بعض خزائنها وخيراتها من النِّفط والمعادن الأخرى.

ولكن القسم الأخير من الحديث واللَّه أعلم هو لآخر الزمان

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن مختصر البخاري رقم الحديث ٢١٩٨.

بعد أن تشرق الشمس من مغربها، ويعلم الناس أن الدنيا آذنت بصُرْم فماذا يفعل بالمال؟؟

ـ عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً ولا يعده عداً**»(١).

وربما يكون هذا في عهد المهدي المنتظر ونزول عيسى عليه السلام.

١٧ ـ توقف الجزية والخراج:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُدَّها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم**» شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودَمُهُ(٢).

وقد حصل هذا أكثر من مرة بعد أن قويت شوكة الأعداء وصدوا هجوم المسلمين بل وانتقالهم إلى الهجوم المضاد، ومن البديهي في هذه الحالة توقفُ الجزية والخراج لضعف الدولة المسلمة عن حماية أرضها وحماية أهل الذمة فيها وعدم وجود من يدفع لهم الخراج.

١٨ ـ النار التي تخرج من أرض الحجاز فتضيء لها أعناق الإبل في بُصرى الشام:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بصرى الشام**»(٣).

---

(١) رواه مسلم مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٣٦.

(٢) صحيح مسلم رقم الحديث ٢٨٩٦.

(٣) رواه مسلم رقم الحديث ٢٠١١.

قال الإمام النووي رحمه اللَّه: لقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ٦٥٤هجري، وكانت ناراً عظيمة من جانب المدينة الشرقي وراء الحَرّة، تواتر العلم بخروجها في جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة، وهذا الكلام في شرح النووي على مسلم (١٨ ـ ٢٨) دار الفكر.

وقيل أيضاً إن النار بقيت ثلاثة أشهر، وكانت نساء المدينة يغزلن على ضوئها. ذكر ذلك في كتاب الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة.

وقد أكد ذلك الحافظ ابن حجر بقوله (والذي ظهر لي أن النار المذكورة هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره) ذكر ذلك في فتح الباري (١٣ ـ ٧٩) وقد ذكر ذلك أيضاً ياقوت الحَمَوي في مُعجم البلدان.

لقد استطاعت هذه النار من علو ارتفاعها الشاهق أن تصل بنورها إلى بلاد الشام.. ومعنى حديث رسول اللَّه ﷺ أنها تضيء أعناق الإبل في بصرى الشام، وأنها تضيء كل ما ارتفع عن الأرض بمقدار أعناق الإبل، وقد أكد ياقوت الحموي أن أهل الشام رأوا هذه الإضاءة الواضحة جراء هذه النار، وأكدوا أيضاً وصول نورها إلى أعناق الإبل، والشهود لهذه النار أهلُ البلاد، وقد بقيت ثلاثة أشهر وهي مشتعلة، وما يأتي عن طريق التواتر وكثرة الشهود لا يكون إلا صحيحاً.

١٩ ـ الخسف والقذف والمسخ بين يدي الساعة

ـ عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف**»[١].

(١) رواه ابن ماجة في سننه.

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ «**يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، قيل يا رسول اللّه أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث**»(١).

ـ عن عمران بن الحصين رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «**في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف! فقال رجل من المسلمين: يا رسول اللّه ومتى ذلك قال: إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور**»(٢).

الخسف: أن يخسف اللّه الأرض فتغور في أعماق لا يعلم مداها إلا اللّه سبحانه.

القذف: أن تقذف الأرض ما صهر بداخلها من حمم وبراكين وغيرها.

المسخ: هو أن يمسخ اللّه قوماً أو مجموعة استحلوا محارم اللّه إلى ما يشاء من مخلوقاته ـ كالقردة والخنازير ـ أو أي نوع من أنواع الأنعام واللّه يخلق ما يشاء أليس اللّه هو الخالقَ ويفعل ما يشاء؟

وليس معنى الأحاديث الشريفة التي ذكرت أنها لم تحدث للآن بل حدثت في أكثرَ من مكان وفي أكثر من وقت، وهي مستمرة ولكن ربما يكون الخسف والقذف والمسخ الأكبر من علامات قرب يوم القيامة، أو قريباً منها، صحيح أن هذا واقع وأنه من علامات الساعة ولكن اللّه سبحانه لا ينزله بقوم إلا إذا استباحوا حرمات اللّه تعالى، عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي اللّه عنهما قالا: قال رسول اللّه ﷺ: «**إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير**

---

(١) رواه الترمذي في سننه.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث صحيح، الجامع الصغير رقم الحديث ٤١١٩.

دين اللَّه وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً ».

[رواه مسلم وأبو داود والترمذي](١)

والمتتبع للأخبار يجد أن مثل هذا قد حدث ولا يزال وسيستمر حتى علامات الساعة الكبرى ونضرب على سبيل المثال حادثة واحدة حتى لا يطول بنا المقام. ففي عام ٢٣٢ هجري أول خلافة المتوكل في العصر العباسي هبت بالعراق ريح شديدة السَّموم لم يعهد مثلها من قبل أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين، ودامت خمسين يوماً واتصلت بهمذان فأحرقت الزرع وقتلت المواشي واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرقات وأهلكت خلقاً عظيماً(٢).

٢٠ ـ زوال أمبراطوريتي الفرس والروم:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ **« إذا زال ملك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده »**(٣).

. . . ولقد سقطت دوليتا الفرس والروم في قبضة المسلمين وزُوي ملكهم في عهد عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

---

(١) جامع الأصول (١٠ ـ ٤١١) الحديث ٧٩٢٦ وفي زيادة الجامع الصغير رواه الترمذي.

(٢) كتاب الإشاعة لأشراط الساعة للعلامة محمد بن رسول الحسيني البرزنجي المتوفى ١١٠٣ هجري.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٦١٨).

ـ عن ثوبان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر»**[(١)].

وكذلك فإن رسول ﷺ أخبرنا أننا سنغزو الهند.

ـ عن ثوبان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام»**[(٢)].

٢١ ـ بلوغ الدين ما بلغ الليل والنهار وفتح رومية

لقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أن هذا الدين الإسلامي سيبلغ الآفاق بعز عزيز وذل ذليل قال رسول اللَّه ﷺ: **«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك اللَّه بيت مدر ولا وبر إلا أدخله اللَّه هذا الدين بعز عزيز وذل ذليل عزاً يعز اللَّه به الإسلام وذلاً يذل به الكفر»**[(٣)].

عن أبي قبيل رضي اللَّه عنه قال: **«كنا عند عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد اللَّه بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد اللَّه: بينما نحن حول رسول اللَّه ﷺ نكتب، إذ سئل رسول اللَّه: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً يعني القسطنطينية»**.

[رواه أحمد والدرامي والحاكم]

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٨٦٩.

(٢) رواه أحمد والنسائي ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني رقم ١٩٣٤.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

. . . ومن قبل بيّنا أن المسلمين فتحوا بلاد فارس والروم وزال ملك كسرى وقيصر والحمد للّه، ثم غزا المسلمون الهند في ما بعد أيام الخلافة الأموية وفتحوا القسطنطينية، وستفتح روما مصداقاً لحديث رسول اللّه ﷺ عندما يأذن اللّه تعالى، كما أخبر من قبل أيضاً رسول اللّه ﷺ أننا سنقاتل الترك والتتار وقاتلناهم وانتصرنا عليهم في النهاية.

وسننتصر بإذن اللّه اليوم على كل أعدائنا أعداء اللّه والدين، إلى هنا نستطيع القول: إن علامات الساعة الصغرى البعيدة عنا التي حدثت وتحققت ذكرنا أكثرها أو معظمها بفضل اللّه، وما بقي منها إلا ما كان في علم اللّه تعالى أو ما تحدث به رسول اللّه ﷺ ولم يصلنا بعد.

. . . ومن العلامات الاثنتين والعشرين (٢٢) التي ذكرت ربما يكون لها استمرار في العلامات الوسطى أو تظهر مع العلامات الكبرى.

. . . والآن بعون اللّه نذكر العلامات الوسطى التي حدثت في العصر الوسيط بعد صدر الإسلام الأول ولا تزال تحدث. . ومنها ما لم تحدث بعد ولكنها قريبة عهد أو أصبحت قريبة عهد، فكل ما هو آت قريب، وعلينا أن لا نستعجل فإن وعد اللّه آت وكل ما أخبر به الرسول ﷺ آت، فالساعة وقيامها لا يستعجل بها إلا الفاسقون والكافرون والعصاة لأنهم غير متيقنين منها ويشكون فيها، أما المؤمنون فهم يعلمون حق العلم أنها آتية لا ريب و أن اللّه سبحانه لا يخلف وعده.

قال تعالى:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ﴾.

[سورة الشورى، الآيتان: ١٧، ١٨]

ويقول تعالى متحدثاً عن المنكرين للساعة:

﴿مَا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٣٢]

والحقيقة أن أمارات الساعة الوسطى هي امتداد للصغرى ومن العلماء من يعتبرها أيضاً صغرى ويقولون (علامات الساعة الصغرى والكبرى) ولكن هذه العلامات الوسطى هي التي لها امتداد حتى قيام الساعة منها ما حصل وحدث وأكثرها لم يحدث بعد، فكيف نسميها صغرى؟ فالصغرى ما كانت في زمن رسول اللّه ﷺ وزمن الصحابة وصدر الإسلام الأول، ومن خلال عرضنا للعلامات الوسطى سندرك أن معظمها له علاقة بما يحدث في عصرنا الحاضر ولم يكن يعرفه السابقون، وكثير من العلماء والتابعين الذين كانوا يتحدثون عن مثل هذه العلامات يقولون وهذه لم نرها بعد كقوله ﷺ: «**نساء كاسيات عاريات لهن شعور كأسنام البخت المائلة**».

وسيأتي هذا الحديث في حينه وموقعه.. وهذا النوع من النساء لم يظهر إلا في هذا العصر وما أكثرهن في كل مكان تؤزهن الشياطين أزّاً.

الفصل الثالث

العلامات الوسطى

العلامات الوسطى التي ظهرت وانقضت خلال القرون الماضية وربما يعاد بعضها

١ ـ إخباره ﷺ بمجيء الفتن والتحذير منها وأنها ابتلاء عظيم.

٢ ـ فشو التجارة وتسليم الخاصة وقطع الأرحام وكثرة الفحش والشح.

٣ ـ تلد الأَمَةُ ربتها.

٤ ـ تداعي الأمم على الأمة الإسلامية.

العلامات الوسطى التي تظهر في زماننا ونعيش أكثر أحداثها اليوم

١ ـ ظهور النساء الكاسيات العاريات.

٢ ـ زينة المساجد والتباهي بها.

٣ ـ التطاول في البنيان.

٤ ـ استفاضة المال.

٥ ـ أكل الربا.

٦ ـ ضياع الأمانة.

٧ ـ اتباع سنن الذين كفروا.

٨ ـ لبس الحرير واستحلال الحِرَ والخمر.

٩ ـ انتشار الكتب والكتابة وظهور القلم.

١٠ ـ موت الفَجأة (السَكتة القلبية).

١١ ـ تقارب الأسواق.

١٢ ـ تشبه الشيوخ بالشباب.

١٣ ـ كثرة الكذب وكتمان الحق وتفشي شهادة الزور.

١٤ ـ صدق رؤيا المؤمن.

العلامات الوسطى

العلامات التي ظهرت وانقضت خلال القرون الماضية وربما يعاد بعضها

١ ـ إخباره ﷺ بمجيء الفتن و التحذير منها وأنها ابتلاء عظيم

من أهم علامات الساعة سواءً الصغرى أو الوسطى أو الكبرى (هي الفتن) التي بدأت من وفاة الرسول ﷺ ولا تنتهي إلا بخروج الدجال والذي هو أعظم الفتن بين يدي الساعة و سيأتي الحديث عنه مفصلاً.

والفتن بين يدي الساعة كثيرة جداً، منها الصغيرة ومنها الكبيرة وفيها ما لا تحتمله قلوبنا وأجسادنا وعقولنا لضعف الإنسان ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ وللسائل أن يسأل ولماذا كثرة هذه الفتن التي توقع المسلم المؤمن في حرج عظيم مع نفسه؟... و لماذا من العلامات علامة واحدة (كخروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بصرى الشام)؟ كما ورد سابقاً ومنها ما تكرر مرتين أو ثلاثَ مرات.. إنما الفتن بالمئات ولا يكاد المؤمن ينتهي من واحدة يظن فيها مهلكته من شدتها حتى تنقضي و يأتي غيرها.... للجواب محاور كثيرة في هذا الخصوص والحديث في هذا الأمر يطول، ولكن نقول وباللّه العون:

. . . ذكرت في مقدمة الكتاب أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان يبتلى الإنسان في دنياه على العموم، ويبتلى المؤمن بدينه ودنياه ليمحص اللّه القلوب ويمتحن الصدور، ودخول الجنة ليس بالأمر السهل ولا بدَّ أن يمتحن اللّه القلوب والصدور ويمتحن الإيمان. والآيات الكريمة في هذا الخصوص كثيرة جداً، وشرط اللّه سبحانه لدخول الجنة امتحان المؤمن.

يقول تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٢]

ويقول تعالى:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣]

فالآيتان الكريمتان تشيران إلى وقوع الفتنة، وهي جزء من الاختبار والامتحان الذي أوجبه اللّه سبحانه على البشر، وعلى الأخص الذين آمنوا وأسلموا للّه رب العالمين، واللّه سبحانه بين لنا قاعدة الوجود الإنساني والخلق وأسبابه في آية واحدة من سورة الملك.

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

ومن ثم فإن بيان واقع الحال يوم القيامة ومن يُلَقّى الجنة ويفوز بها قد بينه اللّه تعالى في قوله:

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٣٥]

وعندما نتحدث عن الجنة في هذه الموسوعة إن شاء اللّه، ثم نعلم عنها علم اليقين ونراها حق اليقين يوم القيامة وعظيم ما فيها حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ندرك ساعتها أن كل هذا البلاء والامتحان الذي أصابنا في الدنيا لا يعدل شيئاً عما نلقاه يوم القيامة من رحمة اللّه ونعيمه في جناته الخالدة.

. . . لذلك كثرت الفتن بين يدي الساعة أي بين بعثة رسول اللّه ﷺ إلى قيام الساعة ووصل ببعضها شدة و ظلمة وحَلَكاً أن يصبح المؤمن كافراً ويمسي مؤمناً. . ولنرَ معاً ولنسمع ما قاله رسول اللّه ﷺ وما حدث به عن هذه الفتن العظام التي تصيب الأمة مجتمعة وتصيب المجتمع الواحد والأسرة الواحدة والفرد الواحد، نورد الأحاديث الشريفة ثم نعلق عليها ونفسر ما يحتاج إلى تفسير:

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي فكسِّروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل عليكم فليكن كخير ابني آدم»[١] .

(١) رواه ابن ماجه رقم الحديث (٣٩٦٣).

والمعنى: أن الفتن تكون شديدة جداً على المؤمن، لذلك يترنح بين الإيمان والكفر ولا يثبت إلا من ثبته اللّه سبحانه وكان في قلبه إيمان كبير، ثم يطلب منا رسول اللّه ﷺ أن لا نسعى إليها ولا ندخل فيها مهما كلفنا، ودليله أن نكسر سيوفنا ونقطع أقواسنا ونثلم سيوفنا كي لا نقتل أحداً، وذلك بضربها على الحجر لتعطيلها، وإذا دخل أحد أبناء الفتنة فلا تقتله، وكن المقتول وليس القاتل كابن آدم الذي قُتل على يد أخيه قابيل أي كن كهابيل المقتول ولا تكن كقابيل القاتل زيادة في التأكيد على عدم دخولك في هذه الفتن التي توقعك في دينك.

والذين يكفرون في هذه الفتن هم الذين يبيعون آخرتهم ودينهم بعرض من الدنيا زائل.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[١].

وتتثاقل هذه الفتن على المسلم حتى إنه يتمنى الموت كي يخلص من البلاء العظيم الذي يصيبه ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه**»[٢].

ـ وفي رواية مسلم «**والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به من الدين إلا البلاء**»[٣].

---

(١) رواه الترمذي في سننه رقم الحديث (٢٢٠٥) وقال حسن صحيح.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٧٠٦).

(٣) رواه ابن ماجه رقم الحديث (٤٠٣٩).

عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، إنه ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره، ويقتل أخاه، ويقتل عمه ويقتل ابن عمه، قالوا ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: إنه لينتزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء**»(١).

أجارنا اللَّه سبحانه من هذا الزمان وثبت عقولنا وقلوبنا على الإيمان.

وقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أن هذه الفتن ستدخل البيوت فلا تترك بيتاً إلا دخلته

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال: «**هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع المطر**»(٢).

. . . وقد حدد رسول اللَّه ﷺ أن بداية الفتن تكون من الشرق. . . فقد خطب سالم بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنهم فقال: يا أهل العراق ما أسألَكُم عن الصغيرة وأركَبَكُم للكبيرة: سمعت أبي عبد اللَّه بن عمر يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من ها هنا ـ وأومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قَرْنُ الشيطان**»(٣).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه اللَّه لقد كان أول الفتن من المشرق، وكان ذلك سبباً في فُرقة المسلمين ـ ومن تلك الجهة من

---

(١) رواه أحمد سلسلة الألباني للأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٢٣١).

(٢) رواه مسلم مختصر مسلم رقم الحديث ١٩٨٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن باب نزول الفتنة نحو الشرق مختصر مسلم رقم الحديث ١٩٩٧.

العراق ظهر الخوارج والروافض والباطنية والقدرية والجهمية والمعتزلة والجبرية وغيرهم.

. . . ويقول السائل وكيف تقع كل هذه الفتن؟ وأين الإسلام؟ وأين العلم؟ والحقيقة أن الذي يوقع بكل هذه الفتن فشو الجهل وقلة العلم، وترك الإسلام والسعي إلى الدنيا ومفاتنها وشهواتها وارتكاب الذنوب والمعاصي وانتهاك حرمات اللّه تعالى.

ـ عن عبد اللّه بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي اللّه عنهما قالا: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل ويرفع العلم ويكثر الهرج، والهرج القتل**»[(١)].

والحديث في الفتن يطول ونكتفي بهذا القدر، وسيرد لاحقاً الكثير من الأحاديث في مضمون هذه الفتن المزلزلة والمخربة للعقول والأبدان عافانا اللّه منها.

٢ ـ فشو التجارة وتسليم الخاصة وقطع الأرحام وكثرة الفحش والشح.

عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «**إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق وظهور القلم**»[(٢)].

بعض معاني كلمات الحديث الشريف:

تسليم الخاصة: أي أن لا يسلم المسلم إلا على من يعرفه، وقد أمرنا بالسلام على من نعرف ومن لا نعرف.

---

(١) رواه البخاري ومسلم مشكاة المصابيح ٣/ ٢١.

(٢) رواه أحمد سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث ٦٨٧٢.

فشو التجارة: ازديادها حتى تلهي الناس عن طاعة اللَّه سبحانه ويكون هم الرجل جمع المال منها، يقول تعالى:

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

[سورة الجمعة، الآية: ١١]

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إن من أشراط الساعة الفحشَ والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين وائتمان الخائن**».

الفحش والتفحش: إرتكاب الذنوب والمعاصي والكبائر مع عدم المبالاة

الشح: أعلى مرتبة من البخل، وهنا المقصود امتناع الناس عن دفع أموال الزكاة، وما يترتب عليهم في بناء بلدانهم ومجتمعاتهم.

وهذا لا يكون تماماً إلا إذا أصبح الكسب حراماً، ولا يبالي صاحب المال من أين اكتسبه

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**ليأتين على الناس زمان لا يبالي المؤمن بما أخذ من المال بحلال أو حرام**»[(١)].
وهذا البند مستمر وقائم إلى قيام الساعة وليس معهوداً بعهد أو زمن بل يتزايد قبل قيام الساعة، ويختلط هذا مع الفتن والمصائب والبلايا.

٣ ـ تلد الأمَةُ ربَّتها

ـ روي عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أنه جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ في صورة رجل يلبس الثياب البيض الناصعة له شعر شديد السواد، وسأل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٦٨٧٢.

والإحسان وأجابه رسول اللّه ﷺ ثم سأله عن الساعة؟ فقال رسول اللّه ﷺ : « **ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: أخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان** »[١] .

ومعنى أن تلد الأمة ربتها

الأمة: الجارية ربتها: سيدتها

كثر في العصرين الأموي والعباسي وغيرهما الإماء (الجواري) من الحروب حتى قيل إنه في عصر هارون الرشيد كان لأفقر بيت في بغداد ثلاث جوار، وكان من يملكهن يتمتع بهن من دون زواج فيلدن له الولد..

فيصير الولد ابن السيد وتبقى الجارية جارية ويكبَر هذا الولد ويصبح سيداً وأمه لا تزال جارية أم ولد ولكن لا يجوز بيعها وإذا مات سيدها حررها ولدُها.. وهذا إخبار من الرسول ﷺ عن كثرة الحروب وفتح الشرق والغرب، ومنه تكثر الجواري من سبايا الحرب، ويكثر المال أيضاً من جراء الانتصارات التي يحققها المسلمون وغنمهم للغنائم.

ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ : « **إذا رأيت الأمة ولدت ربتها.. فذلك من معالم الساعة وأشراطها** »[٢] .

٤ ـ تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

عن ثوبان رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : « **يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣١٨ ـ ٣١٩).

نحن يومئذ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن اللّه من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن اللّه في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول اللّه وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[١].

ولقد وقع ما أخبر به رسول اللّه ﷺ أكثر من مرة في تاريخ المسلمين وتداعت الأمم على أمة الإسلام وهاجموهم في عقر دارهم بعد أن كان العز والقوة والمنعة لهذه الأمة. . . فعندما ضعفت الخلافة العباسية وركن آخر خلفائها إلى الدنيا ومتعتها وحب الشهوات والقيْنات والمعازف. . سلط اللّه عليهم أقواماً من أمثال التتار والمغول والترك قبل أن يدخلوا في الإسلام ويتعمق الإيمان في قلوبهم، فعاثوا في جسد الأمة الإسلامية الفساد ولما وصل التتار إلى عاصمة الخلافة العباسية، وجدوا فيها خليفة أقرب إلى المجون، وعلموا أن الخلافة ضعيفة بخليفتها ووزيرها وقائد جيشها، فليس بقوتهم جاء النصر ولكن بتخاذل الخليفة (المستعصم باللّه) ورجاله، ووقعت بغداد في قبضتهم وراح ضحية هذا العدوان ما يقرب من مِليون مسلم في بغداد وحدها ـ ودليل ما قلت: إن التتار انتصروا بضعف المسلمين وليس بقوتهم، أن سلطان مصر آنذاك قطز والأمير بيبرس أعدوا العُدة وجهزوا الجيوش وأمدوها بالسلاح والمال، وعملوا ما يجب فعله وانتصروا على التتار وهزموهم شر هزيمة، في معركة عين جالوت الشهيرة فأصلحنا اللّه سبحانه وهدانا إلى صراطه المستقيم.

. . . ومما يوصف فعلاً بتداعي الأمم الإسلامية اجتماعُ دول أوروبا فرنسا ـ انكلترا ـ ألمانيا ـ البلغار ـ المجر وغيرهم كثير على

(١) رواه أبو داود ـ ابن عساكر ـ أحمد في مسنده ـ وأبو نعيم في الحلية ـ وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٨٤) رقم الحديث (٩٥٨).

مدى مئتي عام في ما يعرف بالحروب الصليبية التي بدأت في العام ٤٩٠ هجري وانتهت بحدود عام ٦٩٠ هجري، وكان لصلاح الدين الأيوبي ـ يرحمه اللَّه ـ الفضل بعد اللَّه في هزيمة الصليبيين وعودة الديار المقدسة إلى البلاد الإسلامية، وتكرار هذا عندما اجتمعت دول الكفر في أوروبا على القضاء على الأمبراطورية العثمانية وقد نجحوا في ذلك واستولوا على جميع ممالكها، وأهمها جميع الدول العربية وتقاسموها في معاهدة سايكس بيكو المعروفة!!

واليوم يعود العالم الغربي ليجتمع ضد الإسلام مرة أخرى متعاونين مع الصهاينة الذين استولوا على فِلَسطين والأراضي المقدسة ووضعوها قنبلة موقوتة في قلب العالم العربي والإسلامي.

لتبقى هذه الأمة مشتتة ومنقسمة، لا حول لها ولا قوة، فاليوم حقيقة هو أشد تداعي الأمم على الأمة الإسلامية، والحرب شرسة وواضحة و بينة، ويريدون أن يستعمروا الأمة من جديد، فالعالم بأسره يتعاون و يخطط للقضاء على هذه الأمة الإسلامية، لأنهم يرونها العدو الذي يهدد أمنهم ووجودهم وكيانهم كما فعلوا في الحروب الصليبية وكما فعلوا مع الإمبراطورية العثمانية و كما فعلوا في أوائل القرن العشرين عندما احتلوا جميع العالم الإسلامي و شتتوه إلى كيانات و دول متفرقة ضعيفة بعد أن كانت تجمعهم وحدة في أيام الإمبراطورية العثمانية المسلمة.

هذا هو تداعي الأمم على أمة الإسلام، وأما أن اللَّه سبحانه ينزع كما في الحديث المهابة من صدور أعدائنا و يقذف في قلوبنا الوهن فهذا حاصل وليس بخفي على العيان. أنقذنا اللَّه سبحانه مما نحن فيه. ولا يمكن لهذه الأمة أن تعود إلى عِزّها ومجدها إلا بالعودة

إلى كتاب اللّه والاعتصام به وبدينه وسنة الرسول اللّه ﷺ، ومهما فعل الأعداء فواللّه كما قال رسول اللّه ﷺ لن تستباح بيضتنا ودينا ولو اجتمع على المسلمين مَن بأقطار الأرض جميعاً.

ـ عن ثوبان رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**و إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، و أن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، و إن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، و إني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، و أن لا يسلط عليهم عدُو من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم و لو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً و يسيء بعضهم بعضاً**»[١].

وهذا يشير إلى أن الكفار و من أي بلاد مهما فعلوا فلن يستطيعوا أن يجتثوا أمة الإسلام أبداً. البيضة: جماعتهم و أصلهم وأيضاً العز و الملك ـ و معنى لا أهلكهم بسنة عامة: أي لا أهلكهم بقحط يعمُّهم ـ فإن كان، فيكون في ناحية دون ناحية.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث ٢٢٨٩.

العلامات الوسطى التي تظهر في زماننا ونعيش أكثر أحداثها اليوم

١ ـ ظهور النساء الكاسيات العاريات

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، و نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[١].

و ليس خافياً على أحد ما نراه اليوم من نساء المسلمين الكاسيات العاريات اللاتي يلبسن اللباس الفاضح، الذي يظهر مفاتنهن بصورة مبتذلة، يتحدين اللَّه سبحانه في أمره لهن بالغطاء و الستر والعفاف. يقول تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣١]

وليس خافياً على أحد ما نراه اليوم من رؤوس المتبرجات

(١) صحيح مسلم رقم الحديث ٢١٢٨.

وكيف يصنعن بشعورهن حتى تبدو فعلاً كسنام الناقة من فوق ظهرها، وهذا كناية عن جعل شعورهن مرتفعة على شكل هرم صغير، وقد توعدهن اللَّه ورسوله ﷺ بأن لا يدخلن الجنة كما في الحديث أبداً، ولا يشمَمْن ريحها ولو على بعد مسافة كبيرة.

٢ ـ زينة المساجد والتباهي بها

ـ عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إن من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد**»(١).

وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما معلقاً على هذا الحديث ومؤكداً: ليزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى معابدهم وكنائسهم، والناظر اليوم في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ووسائل الاتصال والرؤية متوفرة اليوم، يرى هذا التباهي وهذه الزخرفة وهذا البذخ في بناء المساجد، والناس قرؤوا هذا الحديث وهم يعلمون أن زخرفة المساجد من علامات الساعة، وهم يزخرفون كأنما يساقون إلى التنفيذ مرغمين تصديقاً لحديث رسول اللَّه ﷺ وفي صحيح الجامع الصغير للسيوطي وزياداته قال الرسول ﷺ: «**إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم**»(٢).

وذلك أن اللَّه سبحانه ينظر إلى عمَّار المساجد بقلوبهم وإيمانهم، فاللَّه سبحانه يريد لعباده التحلي بالإيمان والتزين بالتقوى لأنه الأصل، والباقي جدران وزخرفة المساجد شكلاً، فهو آيل إلى نهاية وخراب يوم تقوم الساعة وتبقى عند اللَّه

---

(١) رواه أبو داود وأحمد في مسنده والدارمي وقد ورد في صحيح الجامع برقم٥٧٧١.

(٢) ترتيب أحاديث الجامع الصغير وزياداته (١ ـ ٢٣٤) رقم الحديث ١ باب بناء المساجد.

القلوب بإيمانها، ولكن هذا قضاء اللَّه وإن من علامات الساعة زخرفة المساجد.

٣ ـ التطاول في البنيان

التطاول في البنيان أي في البناء السكني فرضها على البشرية تزايد السكان، فمنذ مِائتي عام مثلاً كان عدد سكان العالم ربعَ سكان العالم اليوم، فالسكان يتضاعفون والأرض هي هي بِمساحتها لم تزد، فالتطور في البنيان حتمته الزيادة السكانية، ولكن اللَّه سبحانه وحده يعلم أنه سيأتي يوم على سكان الأرض سيتطاولون في البنيان، لذلك أخبر رسوله ﷺ وجعله من علامات الساعة لأن موعد التطاول قريب من قيام الساعة.. وعليه أخبرنا رسول اللَّه ﷺ بأن من علامات الساعة التطاول في البنيان وقد وصلت اليوم إحدى العمارات في العالم إلى ما يزيد على مائة طابق.

روي عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أنه قال: في مجيء جبريل إلى الرسولﷺ في صورة رجل يلبس الملابس البيض الناصعة، له شعر شديد السواد، وسأل رسول اللَّه ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأجابه رسول اللَّه ﷺ ثم سأله عن الساعة فقال الرسول ﷺ

«ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل، فقال أخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الإبل والشاة يتطاولون في البنيان»[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣١٨ ـ ٣١٩) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٣٤٥.

٤ ـ استفاضة المال:

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال «**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل منه صدقة، ويُدْعَى إليه الرجل فيقول: لا إرْب لي فيه**»[(١)].

ولم يعرف حتى الآن أن المال استفاض، ورفض الناس أخذ أموال الزكاة إلا في عهد عمر بن عبد العزيز، عندما رجع الرجال الذين أرسلهم إلى أفريقيا بالمال لأنهم لم يجدوا من يأخذه منهم لاستفاضة المال، وهذا لم يحدث إلا لمدة عامين فقط ولكن حقيقة الأمر أن المال يفيض ويزداد في آخر الزمان وبعد شروق الشمس من مغربها، وبعد أن يتيقن الناس أن قيام الساعة أصبح قاب قوسين أو أدنى فيخرج الناس الكنوز الدفينة التي لم يخرجوا زكاتها خوفاً من اقتراب الساعة، ولكن الفقراء يومئذ أيضاً لا يأخذونها لأنهم رأوا كما رأى أصحاب المال شروق الشمس من مغربها وعلموا أن الساعة قريب.

فماذا يفعلون بالمال والموت قريب وقيام الساعة قريب؟

ولقد قال الكثير من المفسرين: إن هذا يكون إمَّا في زمن عيسى أو المهدي عليهما السلام وسنعود للحديث عن هذا الأمر في علامات الساعة الكبرى إن شاء اللّه تعالى.

٥ ـ أكل الربا:

إن من علامات الساعة كما ذكر الرسول ﷺ فشوَ الربا في الأمة المحمدية فيصيب الناس، ومن لم يأكل الربا يصيبه من غباره.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «**ليأتين زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره**»[١].

ولا يخفى على أحد اليوم ما أصاب الأمة من ربا، متعللين بالضرورة، ولا ضرورة تلزم أحداً أكل الربا فقد توعد اللّه سبحانه آكلي الربا بالحرب والعذاب الأليم. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٧٩]

٦ ـ ضياع الأمانة:

«**بينما رسول اللّه ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟.. فمضى رسول اللّه ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكَرِه ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال ها أنا ذا يا رسول اللّه: قال إذا ضيعت الأمانة فانتظرالساعة قال: وكيف إضاعتها قال: إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**»[٢].

وليس مفهوم الأمانة فحسب أن يضع فلان أمانة عندي إلى حين ثم يعود فأؤديها إليه.. ولكن الأمانة تعني كل شيء ـ فالمال بين أيدينا أمانة ـ وأجسادنا أمانة ـ وعلمنا أمانة ـ والوَلاية أمانة ـ والحكم أمانة ـ والزوجة والأولاد أمانة ـ والرزق أمانة ـ والإيمان أمانة. فكل شيء أوجده اللّه في هذه الدنيا ليس لنا منه شيء، فهو أمانة وضعها

(١) رواه الحاكم في مستدركه والحديث صحيح على شرط الشيخين المستدرك (٢ ـ ١١).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ ـ ٩) رقم الحديث ١٥٠٥.

الله بين أيدينا فإذا أضعنا هذه الأمانة واستُهْتِر فيها فهي الإضاعة التي قصدها رسول الله ﷺ من الحديث، وهي تكون من علامات الساعة.

٧ ـ اتباع سَنَن الذين كفروا:

وقد ظهر هذا في عصرنا اليوم وزاد الاتباع والتقليد حتى أصبح من المباهاة في اللباس والكلام والفعال، وتعاظم الأمر ببعضهم حتى وصل إلى حد الاتباع الكامل....

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع** فقيل يا رسول الله كفارس والروم؟ **فقال: ومن الناس إلا أولئك**»(١).

وفي رواية أخرى للإمام أحمد في مسنده «**حتى لو دخلوا جحر ضَب لتبعتموهم! قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟**»(٢).

وقوله ﷺ شبراً بشبر وذراعاً بذراع ودخول الجحر دليل التقليد الأعمى وهذ كله من علامات الساعة ونحن نعيش هذا التقليد اليوم، ألا يكفي هذا شاهداً على قرب قيام الساعة؟ لأن هذه من العلامات الوسطى القريبة من العلامات الكبرى والله أعلم.

٨ ـ لبس الحرير واستحلال الحر والخمر:

قال رسول الله ﷺ «**ليكونن في أمتي قوم يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف**»(٣).

وعن عمران بن الحصين أن رسول الله ﷺ قال: «**ليكونن في**

---

(١) رواه البخاري مختصر البخاري رقم الحديث ٢٢١٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٨٧٩١.

(٣) رواه الترمذي جامع الأصول رقم الحديث ٧٤٥٥.

هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» . فقال رجل يا رسول اللّه ومتى ذاك قال: « **إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور**»(١) .

وعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول اللّه ﷺ « **لا تذهب الليالي حتى تشرب فيها طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»(٢) .

الحِرَ: الفرج ويستحلون الحر أي يستحلون الزنا .

المسخ: لا يكون في أمة محمد ﷺ مسخ حقيقي، ولكن اللّه يمسخ في هذه الأمة القلوب فتمسخ الصفات الآدمية الكريمة إلى صفات غير آدمية، ويكون حالهم كحال الكفار الذين يبيحون الزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وكل ما حرمه اللّه سبحانه، وقد شبه اللّه سبحانه الكفار بالأنعام بل وأضل سبيلاً يقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ١٢]

وتظهر المعازف والقينات اليوم وبصورة فاجرة وعلى مرأى الملايين عن طريق شاشة التلفاز، وأما الخمر فقد استبيحت بأسماء جديدة تماماً كما وصفها رسول اللّه في الحديث السابق وما أكثر أسماءَها اليوم!!

٩ ـ انتشار الكتب والكتابة وظهور القلم:

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ « **إن بين يدي الساعة تسليمَ الخاصة وفشو التجارة وقطع الأرحام وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق وظهور القلم**»(٣) .

---

(١) رواه الترمذي في سننه رقم الحديث (٢٢١٧).

(٢) رواه ابن ماجه رقم الحديث (٣٣٨٦).

(٣) رواه الإمام أحمد رقم الحديث ٣٨٧٠.

ومعنى ظهور القلم... ظهور العلم لأن العلم لا يكون إلا بالقلم قال تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

[سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥]

والمعنى يؤدي إلى حاصله وهو انتشار العلم والكتب انتشاراً عظيماً، وهذا ما نلاحظه في زماننا، فقد وصل العلم إلى درجة عالية، وكذلك انتشرت الكتب انتشاراً كبيراً، وأصبحت بمتناول الجميع بواسطة المطابع وآلات التصوير وما أشبه ذلك.. ألا يدل هذا أن رسول اللَّه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؟ من علمه هذا وهو يعيش في زمن لا نجد فيه من يقرأ ويكتب، وأدوات الكتابة عزيزة جداً وصفحات الكتاب رقاع الجلد السميكة؟.. سبحان اللَّه وصدق اللَّه ورسوله ﷺ.

١٠ ـ موت الفَجأة (السَّكتة القلبية):

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من أمارات الساعة موتَ الفجأة**»(١).

وهذه من العلامات التي ظهرت وستزداد اضطراداً كلما قربنا من قيام الساعة، ولننظرْ مَن حولنا ونرى ونعد الذين يموتون بالسكتة القلبية، ولنعقد مقارنة بيننا وبين الأجيال السابقة، فنجد أن هذا المرض قد ازداد اليوم أضعافاً كثيرة عمَّا سبقه من زمن.

(١) رواه الطبراني صحيح الجامع رقم الحديث ٥٧٧٥.

١١ ـ تقارب الأسواق:

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق»(١).

ومعنى تتقارب الأسواق: أن تقل المسافات بواسطة سرعة الانتقال إليها، فكان المرء في عهد الرسول ﷺ يحتاج إلى أربعة أشهر ذهاباً وإياباً للانتقال من أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى أسواق بلاد الشام، وأما اليوم فبواسطة وسائل النقل قصرت المسافة وتقاربت إلى ثلاث ساعات أو ساعتين في الطائرة، وإلى يوم واحد بواسطة السفر بالبر عن طريق العربات الحديثة.. وأيضاً يحمل معنى أن الأسواق تتقارب لكثرتها، ففي أي مدينة اليوم لم يعد هناك سوقٌ واحدة، بل عشرات الأسواق ففي كل حي اليوم أكثر من سوق حتى تلاصقت مع بعضها بعضاً، ولقد صدق رسول اللّه ﷺ وهو الصادق المصدوق.

١٢ ـ تشبه الشيوخ بالشباب:

ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ **«يكون قوم يخضبون آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة»**(٢).

وقال رسول اللّه ﷺ **«واجتنبوا السواد»**(٣).

ولقد تفشت هذه الظاهرة اليوم في أوساط المجتمع المسلم وبكثرة، ومن بين قائل بتحريمه، وقائل بأن خضاب الشعر بالسواد مكروه كراهة تنزيهية، وعلى كلٍ خضابُ الشعر بالسواد من علامات

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده مجمع الزوائد (٧ ـ ٣٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٢٤٧ وقال حديث صحيح.

(٣) رواه مسلم مختصر مسلم صفحة ٣٦٠ رقم الحديث ١٣٤٧.

الساعة وهذه علامة ظهرت اليوم في مجتمعنا المسلم وصدق رسول اللَّه ﷺ.

١٣ ـ كثرة الكذب وكتمان الحق وتفشي شهادة الزور:

لقد نبهنا رسول اللَّه ﷺ إلى أن الكذب بين الناس سوف يفشو في آخر الزمان.. ونحن نعلم جميعاً أن رسول اللَّه ﷺ نفى عن المؤمن صفة الكذب، وقال ﷺ «**المؤمن لا يكذب**» لذلك فإن علامة شيوع الكذب من علامات قيام الساعة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ

«**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإيَّاهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم**»(١) صحيح الجامع الصغير للسيوطي

ـ عن جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم**»(٢).

وفي مجتمعنا اليوم لا أحد ينكر تفشي الكذب وهو في ازدياد مستمر إلى قرب العلامات الكبرى وقيام الساعة.

وأما عن كتمان الحق وشهادة الزور التي حذرنا اللَّه سبحانه منها أشدَّ تحذير في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٢]

فإنها أيضاً ستتفشى في المجتمع، وهي من علامات الساعة لأن شهادة الزور وكتمان الحق والشهادة بالباطل من أكبر الكبائر، لأن فيها

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه مسلم ـ مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٢٤.

ضياعَ الحقوق المادية والمعنوية بين الناس، وربما تؤدي بالمشهود عليه بالزور إلى الانهيار أو العجز أو الموت، فهي شديدة الوقع على النفس خاصة إذا كان فيها ضياع الحق وفتك للأعراض وضياع للمال وتثبيت الباطل والظلم الذي حرمه اللَّه حتى على نفسه، عن عبد اللَّه ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إن بين يدي الساعة شهادة الزور وكتمان الحق**»(١).

١٤ ـ صدق رؤيا المؤمن

مما لا شك فيه أن الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن والتي تتحقق أو تكون على قدر كبير من الصحة من المبشرات أو دلائل الاختصاص الإلهي بهذا المؤمن، لأن رسول اللَّه ﷺ بشر بأن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

عن أنس وعن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رؤيا المؤمن جُزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»(٢).

والرؤيا الصالحة دليل تبشير المؤمن بصالحات الأعمال، وهي أيضاً من علامات قرب الساعة، وقد بين رسول اللَّه ﷺ أن رؤيا المؤمن الصادق في آخر الزمان قلما تكذب أو تكون من الشيطان.

قال رسول اللَّه ﷺ «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٣٨٧٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داود رقم الحديث عند مسلم ١٥١٩. في مختصره.

(٣) رواه مسلم مختصر مسلم رقم الحديث ١٥٢.

وكذلك اعتبر رسول اللَّه ﷺ أن النبوة قد انتهت، ولكن بقي فيها المبشِّرات كما في الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن رسول اللَّه ﷺ: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات؟ قال الرؤيا الصالحة**»[١].

وقد قسم العلماء احتمال صدق رؤيا المؤمن إلى ثلاثة أزمنة:

١ ـ يقع في حال غلبة الكفر والجهل فيُؤنَس المؤمن بالرؤيا الصالحة.

٢ ـ يقع إذا قبض العلم وفي أيام الهرج والمرج والفتن وكذلك الرؤيا تؤنس المؤمن.

٣ ـ يقع في زمن يكون بعد نزول عيسى عليه السلام وخلافة المهدي، لأن الزمن يكون صالحاً كما أخبرنا رسول اللَّه ﷺ، فيكون فيه المؤمنون الصادقون الذين لا تكذب رؤياهم.. واللَّه أعلم.

---

(١) رواه البخاري مختصر البخاري رقم الحديث ٢١٧٨.

الفصل الرابع

العلامات الوسطى
التي ستظهر في ما بعد وتعيش واقعها الأجيال القادمة
ومنها شديدة القرب من العلامات الكبرى

١ ـ الصابر على دينه كالقابض على الجمر.

٢ ـ وقوع التناكر في القلوب.

٣ ـ عودة جزيرة العرب جناتٍ وأنهاراً.

٤ ـ العلم لجلب المال واتخاذ القرآن تجارة.

٥ ـ ظهور الجهل وتدافع الناس عن الإمامة.

٦ ـ إمارة السفهاء وتَوْسيد الأمر إلى غير أهله.

٧ ـ شُرَطُ آخر الزمان وجلدهم للناس.

٨ ـ نزول البلاء والعذاب الشديد في الأمة من السلطان الظالم.

٩ ـ تمني الرجل أن يكون مكان الرجل المُتَوفَّى في القبر.

١٠ ـ أن يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً.

١١ ـ يحسر الفرات عن جبل من ذهب أو كنز من ذهب.

١٢ ـ لا تقوم الساعة حتى يكون أسعدَ الناس لكعُ بن لكع.

١٣ ـ فتنة عظيمة تستنظف العرب (تستوعبهم).

١٤ ـ لا تقوم الساعة حتى تكون السجدة الواحدة للّه تعالى خيراً من الدنيا وما فيها.

١٥ ـ خروج رجل من قحطان تدين له الناس بالولاء.

١٦ ـ لا تقوم الساعة حتى تكون ثلاث فتن ـ الأحلاس ـ والدهماء ـ والديهماء.

١٧ ـ إخراج الأرض كنوزها المخبوءة.

١٨ ـ قتال المسلمين لليهود وانتصارهم عليهم.

١٩ ـ كثرة النساء وقلة الرجال.

٢٠ ـ كثرة الزنى والفحش.

٢١ ـ كثرة الصواعق والزلازل والمطر الذي لا تكن منه بيوت المدر.

٢٢ ـ لا تقوم الساعة حتى تتكلم السباع والجمادات.

٢٣ ـ جيش يغزو المدينة يخسف بأوله وآخره.

٢٤ ـ انتفاخ الأهلة.

ـ أحاديث شريفة أخرى تتحدث عن علامات الساعة.

ـ وصايا رسول اللّه ﷺ للمؤمنين في حال وقوع الفتن العظيمة.

العلامات الوسطى

العلامات الوسطى التي ستظهر في ما بعد وتعيش واقعها الأجيال القادمة ومنها شديدة القرب بالعلامات الكبرى

لم يأتِ ترتيب لهذه العلامات كما وردت في أحاديث رسول اللَّه ﷺ تماماً، كما لم يأتِ ترتيب متعارَف عليه للعلامات الصغرى والوسطى التي حدثت، ولكن لو أنها حدثت رتبناها حسب وقوعها، ولكن الآتي بعلم اللَّه سبحانه نرتبها اجتهاداً حسب ما نستطيع، ولكن ليس ترتيباً اعتباطياً عشوائياً إنما عن دراسة لكل الاحتمالات الممكنة ـ فمثلاً الحديث الشريف الذي يتحدث عن قتالنا مع اليهود آخر الزمان قائم منذ أكثرَ من خمسين عاماً، منذ أن احتل اليهود أرض فلسطين المقدَّسة، ولكن متى يكون القتال النهائي الذي يُقْضَى عليهم فيه، ويتكلم الحجر والشجر مساعداً المسلمَ في القضاء عليهم جميعاً، فهذا يبقى بعلم اللَّه. . . ولكن الدلائل تشير إلى أنه لا يمكن أن يكون في بداية العلامات الوسطى التي لم تحدث بعد، ولا بد أن يكون في مرحلة متأخرة من هذه العلامات. . . ولقد ضربنا لهذا الأمر مثلاً في قتال اليهود،

وكذلك تتم المعاينة والمقايسة لجميع الأحداث التي أخبر بها رسول اللَّه ﷺ قدر ما نستطيع والعلم أولاً وأخيراً عند اللَّه سبحانه.

ولقد أحببت قبل أن أبدأ بذكر هذه العلامات، أن أذكر حديث رسول اللَّه ﷺ الذي ذكر فيه خمس عشرة علامة مجتمعة في حديث واحد تصب جميعها في إناء علامات الساعة الوسطى أو هي رديفة لها في المعنى.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتعلم العلم لغير الدين، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بالٍ انقطع سلكه فتتابع**»[(١)].

وهذه الخصال منها ما حصل كما ورد في ذكرنا للعلامات الصغرى والوسطى التي حدثت، ولكن معظم هذه الخصال تتضمن ما سيكون في ما بعد من ظهور العلامات الوسطى التي لم تحدث بعد.

وهذه العلامات تتابع سريعاً إذا جاء أجلها ووقتها، لأن المتمعن فيها يجد أنها يوافق بعضها بعضاً، أو يشد بعضها بعضاً

---

(١) رواه الترمذي جامع الأصول (١٠ ـ ٤١١) رقم الحديث ٧٩٢٦.

وكأنها ستقع في زمن واحد.... على العكس من العلامات الصغرى والوسطى التي وقعت، فإن ما بينها زمن طويل نسبياً، أو قل إن ما بين العلامة والعلامة زمن معين، ولكن الناظر في العلامات التي نتحدث عنها يتصور أنه لا يمكن أن تقع واحدة بمعزل عن وقوع غيرها معها فهي تشد بعضها بعضاً لضرورة استكمال الحدث... كالزلزال الذي يقع في منطقة ما فإنه يؤدي إلى وقوع كثير من الأحداث معه، وجوب الشيء بالشيء فمثلاً حادثة وقوع الزلزال تؤدي ـ إلى انقطاع الكهرباء، وانقطاع الماء وتوقف البيع والشراء، وحدوث الخوف والذعر ويؤدي إلى الاضطراب بالنوم من الخوف من توابع الزلزال ـ وربما يؤدي إلى الفيضان ـ وانقطاع المواصلات وخطوط الهاتف وغير ذلك كثير.

فمثلاً عندما نذكر علامة من علامات الساعة الوسطى التي تكون شديدةَ القرب من العلامات الكبرى كقوله ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ويقول يا ليتني مكانه** ».. فماذا يعني هذا الحديث؟ هل يفعل الرجل هذا وهو بحالته الطبيعية أو أن الحياة من حوله تسير على ما يرام ووفق انضباط اجتماعي منظم؟ بالطبع لا.

فلا بد أن ما دفعه إلى هذا اشتداد الفتن والهرج والقتل، ويكون حال المسلمين من أسوأ ما يكون حيث سلط عليهم أعوان الظلمة، وتكون إمارة السفهاء وكثرة الفحش والتفحش والزنى ـ واللواط والسحاق.... الخ من الفتن والمصائب والبلايا التي ستبتلى الأمة بها في آخر الزمان.

١ ـ الصابر على دينه كالقابض على الجمر:

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر**»(١).

ويشير هذا الحديث الشريف إلى ما سوف يتعرض له المسلم من محن ومصائب ومضايقات، فإما أن يخفي دينه أو يتركه..... وربما نقول: إن هذا الحديث ظهرت بوادره، وكثير من المسلمين اليوم بعيدون عن دينهم في أداء فرائضه وسننه وكأنهم غرباء عن هذا الدين العظيم.. الإسلام الذي هو ملاذ لكل المجتمعات الإنسانية الضالة.

٢ ـ وقوع التناكر في القلوب

كلما زادت الفتن والمصائب تباعد الناس وتناكرت القلوب، ولم يعد من المعرفة إلا مصالح الدنيا، وقلما تلقى منهم من يلتقي في حب اللَّه ورسوله ﷺ.

ـ عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال: سئل رسول اللَّه ﷺ عن الساعة فقال: «**علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً قالوا يا رسول اللَّه الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟ قال بلسان الحبشة القتل وما يلقى بين الناس من التناكر فلا يكاد أحد أن يعرف أحداً**»(٢).

وأتصور أن هذا الحديث ظهرت بوادره لوقوع التناكر اليوم بين

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٨٩).

بعض قلوب المسلمين، وكثرت العلاقات الضعيفة الواهية القائمة على المنافع والمصالح، وليس فيها حب للَّه ولرسوله ﷺ، وكذلك ليس فيها أخوة الإسلام، وسيزداد هذا التناكر كلما قربنا من قيام الساعة، والكثير منا اليوم ينظر إلى هذه العلاقات نظرة مادية بحتة. وقد درج اليوم على لسان الكثيرين جداً الأقوال الدارجة من تناكر القلوب وتغليب المصلحة ولو على حساب المجتمع كله كقول بعض الناس اليوم: (الشغل شغل والعمل عمل، والعمل لا يوجد فيه رحمة ولا حب) إلى آخره من الكلام الدارج اليوم عافانا اللَّه مما يغضب اللَّه سبحانه.

٣ ـ عودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها، وحتى تعود جزيرة العرب جنات وأنهاراً**»(١).

إن تحول جزيرة العرب من صحراءَ قاحلة إلى جنات وأنهاراً يستوجب كما في بداية الحديث استفاضة المال، ولا شك أن المال كثر بعد أن كان قليلاً بما أفاض اللَّه على هذه البلاد من خيرات.. فأنشئت المدن الحديثة والحدائق والمروج الخضراء في سائر جزيرة العرب وارتبطت بشبكات طرق هائلة، كلها تساعد على النمو وتحويل البلاد إلى واحات جميلة... ولكن هذا وحده غير كاف لتحويل جزيرة العرب إلى جنات وأنهار.. فقد أشار كثير من العلماء الجيولوجيين، ومنهم

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٨٨١٩).

الشيخ الدكتور عبد المجيد الزنداني في أكثر من محاضرة تلفازية أن تحولاً في مسار الكتل الجليدية في القطبين الشمالي والجنوبي يتم الآن باتجاه جزيرة العرب، وهذا التحول الذي يتم بإرادة اللَّه سبحانه بلا شك سيقلب الصحراء إلى جنات وأنهار لأن فيه كمياتٍ هائلة جداً من المياه الكافية لتلك الصحراء بأن تكون جنات وأنهاراً، وما ذلك على اللَّه بعزيز، فهو القادر الخالق وهو الذي جعل غرب الكرة الأرضية جنات وأنهاراً وهو القادر على تحويل رزقه حيث يشاء. . فالمهم أن البداية قد بدأت وجبال الجليد بطريقها إلى الجزيرة العربية ـ وكذلك المدن أنشئت والطرقات رصفت وهذا كله من علامات الساعة كما أخبر رسول اللَّه ﷺ.

٤ ـ العلم لجلب المال واتخاذ القرآن تجارة

عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من اقتراب الساعة إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا دنانيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة»[١].

٥ ـ ظهور الجهل وتدافع الناس عن الإمامة

والمقصود بالجهل الجهل بأحكام الدين والشريعة، لانتهاج الناس منهج الحياة المادية، والنهل من ملذات الدنيا والرغبة في الامتلاك والتشبث بالحياة الدنيا، حتى إذا كان هذا ولم يجد الناس

(١) رواه الديلمي.

من يؤمهم في الصلاة فيدفع بعضهم بعضاً فيمتنعون عنها لجهلهم بالأحكام الشرعية وقلة اتقانهم للقراءة... ودليل هذا أن الناس ستعرض عن العلم الشرعي في ذلك الزمان أو لأن اللّه سبحانه يقبض العلم بقبض العلماء كما ورد في الحديث:

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ **«يأتي على الناس زمان يجتمعون فيه ويصلون في المساجد وليس فيهم مؤمن»**(١).

عن سلامة بنت الحر رضي اللّه عنها قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول **«إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة فلا يجدون إماماً يصلي بهم»**(٢).

وربما يكون هذا كما قلت عند رفع العلم بقبض العلماء لأنه طالما أن الناس لا يزالون يأتون إلى المسجد فمعنى هذا أن الصلاة قائمة فأين ذهب أئمة المساجد... فلا بد أن يكونوا قد قبضوا وتوفاهم اللّه سبحانه جميعاً... واللّه أعلم.

٦ ـ إمارة السفهاء وتوسيد الأمر إلى غير أهله

ـ عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: إن النبي ﷺ قال لكعب بن عُجْرة **«أعاذك اللّه يا كعب من إمارة السفهاء قال: وما إمارة السفهاء يا رسول اللّه قال أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وقال حديث صحيح على شرط الشيخين (٤ ـ ٤٤٢).

(٢) رواه أبو داود جامع الأصول رقم الحديث (٧٩٠٨).

ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ويردون على حوضي»[١] .

٧ ـ شُرَطُ آخر الزمان وجلدهم للناس

يلحق بإمارة السفهاء والظلمة في آخر الزمان أعوان لهم من الشرط يعينونهم على الظلم فيجلدون الناس بالسياط ويذلونهم ويهينونهم، وقد شبه رسول اللَّه ﷺ هذه السياط بأذناب البقر وبشر هؤلاء بالنار وبعذاب اللَّه تعالى.

ـ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ **« يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط اللَّه، ويروحون في غضبه»**[٢] .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« إن طالت بك مدةٌ أوشكتَ أن ترى قوماً يغدون في سخط اللَّه ويروحون في غضبه في عقبه في أيديهم مثل أذناب البقر»[٣] .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[٤] .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤ ـ ٤٢٤) وقال حديث صحيح الإسناد.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث ١٨٩٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٨٠٥٩.

(٤) صحيح مسلم رقم الحديث ٢١٢٨.

ولقد ظهر بعض هذا في التاريخ الإسلامي، وسيظهر ويكون أشد ظهوراً قبل قيام الساعة، عندما يرفع العلم ويظهر الجهل ولا يبقى من الإسلام إلا اسمه ورسمه، والله أعلم.

٨ ـ نزول البلاء والعذاب الشديد في الأمة من السلطان الظالم

أخبر رسول الله ﷺ أنه في آخر الزمان وقَبل ظهور (المهدي)، يصيب الأمة من السلطان أو الحاكم ظلمٌ عظيم وبلاء شديد وعذاب أليم، فتضيق على المؤمن الأرض حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان أخيه الرجل في القبر ليتخلص من هذا البلاء والعذاب وجور وظلم السلطان.. وتَبقى الحال هكذا حتى يظهر المهدي فيقضيَ عليه أو عليهم ويملأ بفضل الله سبحانه الأرض عدلاً وخيراً كما ملئت ظلماً وشحاً.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: «**ينزل بأمتي آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض بما رحبت، وحتى تملأ الأرض جوراً وظلماً، ولا يجد المؤمن ملجأ يلتجىء إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجلاً من عترتي[١]، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته ولا السماء من مطرها شيئاً إلا صبه الله مدراراً، يعيش فيهم سبع سنين أو ثماني أو تسعاً لتتمتع الأحياء والأموات بما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره**»[٢].

---

(١) عترتي ـ أهلي.

(٢) رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد على شرط الشيخين المستدرك(٤ ـ ٤٦٥).

٩ ـ تمني الرجل أن يكون مكان الرجل المتوفى في القبر

وهذا من سلسلة الفتن، فمن الظلم ينتج هذا وكذلك من الفتن والفحش وظلم الراعي لرعيته وقلة الرزق والخير ويكون هذا في تخبط الناس بين الإيمان والكفر.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه»(١).

١٠ ـ أن يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ

«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا»(٢).

وهذا يدل على أن الرجل المسلم سيبيع دينه بعرض من الدنيا زائل، وهذا يدل على أنه سيأتي زمان قرب الساعة ينحسر فيه الإسلام ويضعف، فلو أن الإسلام في قوته لا يبيع الإنسان دينه بدنياه، ولكن هذا يدل على عظيم الفتن وضعف القلوب أو سقوطها في الابتلاء والامتحان، لأن هناك عصابة من المؤمنين تبقى على إيمانها مهما كان الأمر جللاً والخطب عظيماً.

١١ ـ يحسر الفرات عن جبل من ذهب أو كنز من ذهب

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) رواه الشيخان ـ اللؤلؤ والمرجان (٥ ـ ٢٣٥).

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

« يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً »[١] .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل عليه الناس حتى يقتل من كل عشرة تسعة ويبقى واحد »[٢] .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يَحسِر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس، فيقتل من كل مائة تسعون أو قال تسع وتسعون كلهم يرى أنه ينجو »[٣] .

ـ عن أبي بن كعب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
« يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله، قال: فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون »[٤] .

هذه الأحاديث الشريفة الأربعة تشير جميعها ـ وهي صحيحة ـ إلى انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب، حجمه بعلم اللَّه تعالى، ولكن من ظاهر الأحاديث أنه كبير جداً، لأن الصراع حوله كبير وسيكون منه مقتلة عظيمة ولا شك أن هناك أناساً لا يقتربون منه لوصية رسول اللَّه ﷺ في رواية مسلم **« فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً »** ولكن الذين يحضرونه هم الذين يقتتلون فيقتلون. . وهذا الانحسار عن جبل الذهب إمَّا أن يتحول مجرى النهر في هذه

---

(١) رواه البخاري ومسلم (اللؤلؤ والمرجان) فيما اتفق عليه الشيخان.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٩٣٥٦).
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٨٠٤٨).
(٤) صحيح مسلم رقم الحديث (٢٢٩٥).

البقعة بأمر اللَّه إثر زلزال أو إعصار أو حرب مدمرة، أو أن تلقى قنبلة ضخمة جداً قرب الفرات فيحدث الانحسار ويتغير المجرى، أو بأمر القائم بأمر العراق وقتئذ بتغيير المجرى لضرورة زراعية أو اقتصادية أو سياسية أو ما شابه... ولكن الأولى أنه سينحسر عن مجراه بأمر من اللَّه تعالى... وعموم الأمر أن انحساره سيكون في وقت تكون فيه الفتنة كبيرة كما أسلفنا، والأمور سيئة جداً والناس تتقلب بين الكفر والإيمان أو في وقت إمارة السفهاء وفشو الجهل.. المهم أن هذا سيكون من علامات الساعة القريبة جداً من العلامات الكبرى، كشروق الشمس من مغربها مثلاً أو ظهور الدخان الذي يعم الأرض وساكنيها، ومن الحديث ندرك أن الصادقين في إيمانهم لا يقتربون منه أبداً، والذين يقتلون هم ضعاف الإيمان أو شرار الناس واللَّه أعلم.

١٢ ـ لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لُكَع بن لُكَع

لكع بن لكع: كناية عن الرجل رديء النسب والحسب والخلق والدين وعند العرب في اللغة لكع هو العبد السيّئ.

ـ عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس في الدنيا لكع بن لكع**»[(١)].

هؤلاء هم سفلة القوم وحُثالتهم، وأما الصالحون منهم فهم في منأىً عن ذلك، ومن شدة الفتن فيهم يذهب أحدهم كما أسلفنا إلى

(١) رواه الترمذي صحيح الجامع الصغير للسيوطي رقم الحديث (٧٣٠٨) وقال حسن صحيح.

القبر ويتمنى أن يكون مكان الميت، أو منهم من يصبح مؤمناً ويمسي كافراً من شدة الكرب وإمارة السفهاء والله أعلم.

١٣ ـ فتنة عظيمة تستنظف العرب (تستوعبهم)

ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«تكون فتنة تستنظف العرب قتلاها في النار.. اللسان فيها أشد من وقع السيف»[١].

ومعنى الحديث أن هذه الفتنة في المسلمين هي لتطهيرهم فتستوعبهم موتاً وهلاكاً ولكن يمن الله تعالى على المؤمنين بتخليصهم من الشر العظيم والفساد الكبير وإمارة السفهاء، وربما يكون هذا الاستنظاف بين يدي العلامات الكبرى.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض فيبقى عجاجه لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً»**[٢].

وأتصور أن هذا سيكون قبل قيام الساعة بقليل والله أعلم.

١٤ ـ لا تقوم الساعة حتى تكون السجدة الواحدة لله تعالى خيراً من الدنيا وما فيها.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

«لا تقوم الساعة حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها»[٣].

---

(١) رواه البخاري والترمذي وكذلك أخرجه أحمد في مسنده رقم الحديث ٦٩٨٠.
(٢) رواه أحمد في مسنده برقم ٦٩٦٤ وكذلك رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.
(٣) موارد الظمآن بزوائد ابن حبان رقم الحديث (١٨٨٨) ورواه بسند صحيح كما يقول الهيثمي.

وهذا يدل على كبير فساد الناس وتركهم لدينهم وسعيهم إلى الدنيا وملاذها وشهواتها، وخلعهم لباس التقوى والدين ولبسهم لباس الفجور... ولقلة الساجدين يضاعف اللّه الأجر مضاعفة كبيرة، حتى تكون الركعة الواحدة للّه تعالى من هؤلاء البقية الصالحة خيراً مما على ظهر هذه الأرض.

١٥ ـ خروج رجل من قحطان تدين له الناس بالولاء

عند تغير الزمان يخرج رجل من قحطان تدين له الناس بالولاء والطاعة.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[(١)].

ومعنى العصا الواردة في الحديث الشريف أن الرجل يكون شديداً وتنقاد له الناس بالطاعة ولا يشترط أن يكون سيئاً، وإن كان شديداً، وهذا لا يقع إلا عند تبدل الزمان ويؤيد هذا أن البخاري أورده في باب (تغيّر الزمان).

١٦ ـ لا تقوم الساعة حتى تكون ثلاث فتن الأحلاس، والدهماء، والدهيماء

عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: **«كنا عند رسول اللّه ﷺ قعوداً نذكر الفتن، فأكثر من ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: وما فتنة الأحلاس قال: هي فتنة هرب وحَرَب، ثم فتنة**

---

(١) رواه الشيخان ورواه أحمد في مسنده رقم الحديث ٩٣٩٥.

السراء دخلها أو دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، و إنما وليي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كَوِرك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته، فإذا قيل انقطعت تمادت، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، و فسطاط نفاق لا إيمان فيه، وإذا كان ذلك فانتظر الدجال من يوم أوغدٍ»(١) .

و الأحلاس: جمع حِلس و هو الكساء الذي يلي ظهر البعير شبهت به الفتنة لملازمتها للناس كما يلازم الحلس ظهر البعير.

الحَرَب: بفتح الراء ذهاب المال والأهل.

كَوِرك على ضلع: قول يضرب به المثل للأمر الذي لا يستقيم.

الدهيماء: الداهية التي تدهم البشر بشرها و نارها و بلائها.

١٧ ـ إخراج الأرض كنوزها المخبوءة

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ « **تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب و الفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذه قتلت! و يجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذه قُطعت يدي! ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً»**(٢) .

من الحديث الشريف ندرك أن المحن و الفتن و البلايا متعددة،

---

(١) رواه أبو داود والحاكم والإمام أحمد في مسنده وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث (١٠١٢).

فمنها ما يكون بشح المال، ومنها ما يكون بكثرة المال، ومنها ما يكون بجور السلطان، ومنها ما يكون بعدل السلطان وقسطه كما يكون من المهدي وعيسى عليه السلام، واللَّه أعلم.

١٨ ـ قتال المسلمين لليهود و انتصارهم عليهم

عداوة اليهود للمسلمين قديمة منذ بَعثة رسول اللَّه ﷺ، والمدقق في سيرة رسول اللَّه ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وما فعل به اليهود من تكذيب رسالته ونقضهم للعهود والمواثيق التي أبرموها وعقدوها مع رسول اللَّه ﷺ، يجدُ أن هذه العداوة باقيةٌ متأصلة في نفوسهم ضد المسلمين حتى احتلالهم للأراضي المقدسة في فلسطين بمعاونة انكلترا في عام ١٩٤٨م، ومن ثَمَّ محاولتهم للاستيلاء على الأماكن المقدسة والمسجد الأقصى ومحاولة هدمه مراراً وتكراراً بزعم أن تحت المسجد هيكلَ سليمان، وهو إرثهم بزعمهم وجزء من عقيدتهم حتى يجدوا مبرراً للاحتلال وأنهم على حق.... نلاحظ وكأن اللَّه سبحانه قد جمعهم في هذه الأرض المقدسة بعد أن كانوا أشتاتاً في كل دول العالم، وما ذلك إلا للقضاء عليهم في آخر الزمان قضاء مبرماً كما وعد اللَّه سبحانه ورسوله، وللسائل أن يسأل:.. كيف يتم القضاء عليهم بعد أن أنشؤوا دولة إسرائيل وتمكنوا من امتلاك الأسلحة الفتاكة التي تحميهم ضد المسلمين وهجماتهم المتوقعة، إضافة إلى أن العالم بأسره غير العالميْن العربي و الإسلامي يدعمهم دعما مادياً ومعنوياً وبكل إمكانياته؟؟

والجواب: إن هذه النظرة هي من وجهة النظر البشرية ولكن ما عند اللَّه سبحانه لا نعلمه، ولكن ما نعلمه أن اللَّه سبحانه أخبرنا في

كتابه أننا سنقضي عليهم في آخر الزمان عندما يأتي وعد الآخرة.

يقول تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧]

كيف يتغير الحال؟ و كيف ينقلب الميزان؟ و كيف تتغير القوة وتتبدل؟.. فالجواب عند اللّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٠]

ولن تقوم الساعة حتى يقضي اللّه سبحانه على اليهود قضاء مبرماً لضلالهم وفسقهم، وتغييرهم لمنهج اللّه سبحانه في الأرض وافترائهم على اللّه وتحريفهم الكتبَ السماوية، وقتلهم الأنبياء وفعلهم لكل منكر حرمه اللّه سبحانه، قال تعالى:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾.

[سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩]

فكما متعهم اللّه قليلاً ونعَّمهم فستنقلب عليهم الأيام و تدور الدائرة عليهم، وما جَمْعهم في فلسطين إلا دلائل صدق رسول اللّه ﷺ أن المسلمين سيقتلونهم جميعاً إن شاء اللّه، حتى الحجر والشجر سينطقان ويخبران المسلم بأن هذا يهودي ورائي فتعال واقتله.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون وحتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد اللّه هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»[١].

عن ابن عمر رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر للمسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**»[٢].

من الحديثين الشريفين ندرك أن قتالهم واقع لا محالة لإخبار رسول اللّه ﷺ بهذا الأمر، وما اجتماعهم في فلسطين إلا دليل قوي على صحة هذا الخبر، وإن ما يفعلونه اليوم يملأ صدور المؤمنين نحوهم غيظاً وكراهية، وصدق اللّه تعالى في الآية التي ذكرت وهي أن المسلمين سيدخلون المسجد الأقصى مرة أخرى ويحررونه من أيدي اليهود ويحطمون كل ما فعله اليهود وعلوا به.

.. أيضاً يبقى السؤال متى يحدث هذا؟.. نحن في صراع معهم ومنذ أكثر من خمسين عاماً أي منذ عام ١٩٤٨م فهم لا يهنأ لهم بال، ولن يذوقوا الراحة أبداً ولن يطعموها حتى يأتي اللّه سبحانه بأمره بالقضاء عليهم كاملاً، ولا أعتقد أن الأمر يخرج عن أحد الاحتمالين: الأول أن هذا سيكون قريباً من العلامات الكبرى أي قبل شروق الشمس من مغربها والدخان و الدابة والدجال فإذا بدأت العلامات الكبرى فلا يكون لهم وجود ولا حياة... والثاني

---

(١) رواه البخاري ومسلم جامع الأصول رقم الحديث ٧٨٧٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

أن يكون هذا في أيام الدجال و عيسى عليه السلام.. فيكون الناس قسمين قسم مع عيسى عليه السلام وهم المؤمنون و قسم مع الدجال ومن جملتهم اليهود فينصر اللّٰه سبحانه عيسى عليه السلام على الدجال وعلى من معه من اليهود والكفرة والفاسقين، وسيأتي هذا عندما نتحدث عن الأعور الدجال، هذا كله في علم اللّٰه تعالى ولكن.... إن تَجَمُّع اليهود في فلسطين وفي قلب بلاد العرب المسلمين لهو دليل قوي جداً على قرب الحدث وقرب قيام الساعة واللّٰه أعلم.

١٩ ـ كثرة النساء و قلة الرجال

هذا يحدث والعلم عند اللّٰه سبحانه عند اشتداد الفتن والقتل والهرج فيختل الميزان ـ الميزان في التوازن بين الذكر والأنثى، الذي نشهده منذ آدم عليه السلام وهذا دليل على عظيم صبغة اللّٰه وحسن تصرفه وتدبيره لشؤون خلقه، فإذا ما اشتدت الفتن والقتل بما كسبت أيدي الناس اختل هذا التوازن، وقُتل معظم الرجال وبقيت النساء ـ فالرجال أهل حرب، وهم الذين يُقتلون في الفتن والحروب والهرج و المرج دون النساء... فإذا ما بقيت النساء وهن حتماً يومئذٍ على ضلال كأزواجهن، ولكنهنَّ فقط لم يشتركن في الحرب والقتل... فإنهن يسعين إلى قضاء حوائجهن الجنسية والشهوانية لا يردعهن رادع من دين وخلُق، فيلحقون ما بقي من الرجال ويقال أنه يكون لكل رجل خمسون امرأة، يلحقنه ويقلن له أنكحني أنكحني.

عن أنس رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ «**إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنى وتكثر النساء ويقلَّ الرجال**

حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»[١] . القيم الواحد ـ الرجل الواحد .

. . . وأتصور والعلم عند اللَّه أن هذا لن يكون في وقت وزمن واحد، بل يمتد حتى يتفاقم قبل ظهور العلامات الكبرى بقليل، وربما يكون على مِساحة من الزمن تزيد على خمسين عاماً، ودليله كثرة الزنى الذي يحدث ويكون من علامات الساعة أيضاً، وكثرة الزنى لا يكون إلا بين امرأة ورجل أي هناك رجال ونساء متكافئون في العدد قبل أن يذهب الرجال في القتل والفتن، ثم يصبح لكل رجل خمسون امرأة كما في الحديث الشريف .

٢٠ ـ كثرة الزنى والفحش

كثرة الزنى و الفحش بلا شك دليل ابتعاد الناس عن دينهم، لأن الإسلام يأمر بالابتعاد عن الزنى و يحرمه و يعتبره من الكبائر التي تُوجب النار على فاعله إن لم يتب يقول تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٣٢]

سيصل الأمر بأهل آخر الزمان أن تنكح المرأة نهاراً جِهاراً في قارعة الطريق، ولا تجد من ينهاها عن هذا الفعل الشنيع لقلة الدين والتقوى، أو قل إن أهل ذلك الزمان لا يعرفون شيئاً عن هذا الدين أو شيئاً اسمه التقوى أو الحياء أو الورع .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد للَّه فيه حاجة، وحتى توجد**

---

(١) رواه البخاري كتاب باب ما جاء في رفع العلم وظهور الجهل مختصر البخاري رقم ٧١ وكذلك رواه الترمذي برقم ٢٣٠١.

المرأة نهاراً جِهاراً تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد ولا يغيره فيكون أمثلهم يومئذٍ الذي يقول لو نحيتها عن الطريق، فذاك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم»[1].

عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ **«إذا اقترب الزمان لأن يربيَ الرجل جرواً خير له من أن يربي ولداً، ولا يُوقَّر كبير ولا يُرحَمُ صغير، ويكثر أولاد الزنى حتى إن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أمثلهم في ذلك المداهن»**[2].

معاني بعض الكلمات الواردة في الحديث ـ الجرو: ولد الكلب ـ ليغشى: ليزني ـ لا يوقر: لا يقدر ـ جلود الضأن: كناية عن الرقة والوداعة ـ كرقة ووداعة الغنم، وقلوب الذئاب كناية عن القلوب الماكرة الخادعة كخداع الذئب ووحشيته.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ

«لا تقوم الساعة حتى توجد المرأة نهاراً تنكح وسط الطريق، لا ينكر ذلك أحد فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لو نحيتها عن الطريق قليلاً، فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم».

[رواه الحاكم]

ـ عن أبي بن كعب رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ

«تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة أشياء منها: نكاح الرجل الرجل وذلك ممّا حرم اللّه ورسوله ويمقت اللّه عليه ورسوله،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وقال حديث صحيح الإسناد رقم الحديث (٤/ ٤٩٥).

(٢) رواه الطبراني والحاكم.

ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم اللَّه ورسوله ويمقت اللَّه عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على ذلك حتى يتوبوا إلى اللَّه توبة نصوحاً»[(١)].

٢١ ـ كثرة الصواعق والزلازل، والمطر الذي لا تكن منه بيوت المدر

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة فيصبح القوم فيقولون: من صعق البارحة فيقولون صعق فلان وفلان»**[(٢)].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطراً لا تكن منها بيوت المدر ولا تكن منها إلا بيوت الشعر»[(٣)].

. . . بيوت المدر: البيوت من الحجر والطين . . . وبيوت الشعر الخيام في البوادي، أي إنه سيكون مطر في آخر الزمان لا تصمد أمامه بيوت الحجر والطين وتصمد أمامه بيوت الشعر لأنها ليس لها بناء وهي هشة من قماش وأما بيوت الحجر والطين فتتشبع بالماء وتهبط لانحلالها وعدم تماسكها واللَّه أعلم.

٢٢ ـ لا تقوم الساعة حتى تتكلم السباع والجمادات

أيَكون هذا؟ نعم فالذي أنطقنا بقدرته سينطق السباع والجمادات بقدرته . . . عندما نزلت الآية القرآنية الكريمة

---

(١) رواه البيهقي والدارقطني وابن النجار.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٤٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٧٥٥٤.

بخصوص حشر المشركين والكفرة يوم القيامة ـ وسيأتي هذا في حينه.

يقول تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

قال الصحابة: يا رسول اللّه كيف يحشرون على وجوههم قال رسول اللّه ﷺ «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**» والمعنى أن اللّه سبحانه قادر على كل شيء إذا أراد لشيء أن يكون قال له كن فيكون... فكل ما يحدث قرب الساعة هو معجزات من اللّه سبحانه، أو قل إن أكثر العلامات إعجاز من اللّه سبحانه كالنار التي تخرج من أرض الحجاز أو من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر ـ والمطر والصواعق وفتح البلدان وشروق الشمس من المغرب ـ والدخان ـ والدابة إلى ما هنالك من العلامات، أمّا المنكر منها كالقتل والهرج والزنى والفاحشة فتفعله الناس بأنفسها، واللّه سبحانه لا يأمر بمعصية أو كفر أو فاحشة.

ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه ﷺ «**والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما يحدث أهله بعده**»[1].

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم والترمذي وقال حديث حسن صحيح تحفة الأحوذي رقم الحديث ٢٢٧٢.

وليس معنى الحديث أن تتكلم كل السباع والوحوش ولكن بعضها وفي كل مكان، حتى يدرك الناس قدرة اللّٰه سبحانه وربما تتكلم السباع فتؤنب الناس على أفعالهم، ويؤيد هذا في ما سنذكر عن خروج دابة الأرض التي تكلم الناس والتي ذكرها اللّٰه سبحانه في كتابه. . . وربما يكون هنالك جمع بين الآية الكريمة وحديث رسول اللّٰه ﷺ واللّٰه أعلم.

. . . وأما أن يكلم الرجل عذبة سوطه أي طرف سوطه فهذه معجزة اللّٰه سبحانه، وكذلك أن تخبره فخذه بما حدث بغيابه في أهله وعشيرته ويؤيد هذا الحديث القرآن الكريم، وبأن جلود بني آدم تنطق وتشهد عليهم يوم القيامة، وكذلك تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما عملوا في الدنيا، وسيأتي هذا في حينه عند الحديث عن الحساب والوقوف بين يدي اللّٰه تعالى، ويحصل هذا والعلم عند اللّٰه سبحانه قريباً من العلامات الكبرى التي تأتي تباعاً والتي يؤذن عند نهايتها بقيام الساعة.

٢٣ ـ جيش يغزو المدينة يخسف بأوله وآخره

عن عبيد اللّٰه بن القبطية قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد اللّٰه بن صفوان وأنا عند أم سلمة أم المؤمنين رضي اللّٰه عنها، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت: قال رسول اللّٰه ﷺ

« يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت يا رسول اللّٰه فكيف من كان كارهاً؟ قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم»[١].

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن باب في الخسف بالجيش الذي يؤم البيت مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٣٠ ص ٥٣٨.

فالحديث الشريف يشير إلى أن هناك جيشاً سيغزو البيت الحرام، وقبل أن يصل الجيش إلى البيت يخسف اللَّه تعالى الأرض بأولهم وآخرهم يعني جميعاً، ويُبقي اللَّه منهم شريداً ليخبر الناس بما حلَّ بهذا الجيش. . . ولكن متى يكون هذا؟

ومن هو العائذ أي المحتمي بالبيت. .؟ على قولين: إمَّا أن يكون العائذ هو المهدي فيجهز له الجيش للقضاء عليه. . وإمَّا أن يكون جيشاً تولَّد من اضطراب وفتن وهرج ومرج. . في زمن إمارة السفهاء الذين لا يرعون حرمة للَّه ولا لرسوله ولا لدين. . وفي كلا الاحتمالين هو غير الجيش الذي أخبرعنه رسول اللَّه ﷺ ويقوده ذو السويقتين من الكفار ويهدم الكعبة، وهذا يكون في نهاية الأمر وقبل قيام الساعة بوقت قصير جداً.

٢٤ ـ انتفاخ الأهلة:

انتفاخ الأهلة يجعلها اللَّه سبحانه علامة من علامات الساعة، ولكن لن يكون انتفاخاً كبيراً فإذا كان الهلال لليلة رآه الناس وكأنه لليلتين.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ

«من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة يُرى الهلال لليلة فيقال لليلتين»[(١)] .

ـ أحاديث شريفة أخرى تتحدث عن علامات الساعة:

ولتحقيق العلم وتأكيد ما ورد من أحاديث شريفة في موضوع العلامات الوسطى لقيام الساعة، اخترنا بعض الأحاديث الشريفة بما صح عن رسول اللَّه ﷺ مستبعداً الضعيف أو المكرر أو ما فيه شبهة

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير (٥/ ٢١٤) رقم ٥٧٧٥ وذكره القرطبي في التذكرة صفحة ٦٤٨.

من ضعف شديد أو وضع مكذوب على رسول اللّه ﷺ وما قاله رسول اللّه ﷺ

ـ عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يكون في آخر الزمان عباد جهَّال وقرَّاء فسقة».

[رواه الحاكم وأبو نُعيم]

ـ عن عبد الرحمن بن عمر الأنصاري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ **«من اقتراب الساعة كثرة القطر، وقلة النبات، وكثرة القرَّاء، وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء»**.

[رواه الطبراني]

ـ عن مرداس الأسلمي قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر».

[رواه البخاري وأحمد]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً».

[رواه أبو نعيم في الحلية]

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون الولد غيظاً وأن يكون المطر قيظاً وأن تفيض الأشرار فيضاً».

[رواه الطبراني]

والمعنى أن الولد يكون عاقاً لوالديه يغيظهما ويعقهما وأن يكون المطر فيضاً كثيراً ولكن لا ينبت الزرع لأنه يكون في غير

موسمه كما ورد في الحديث السابق كثرة المطر وقلة الزرع .

ـ عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من أعلام الساعة وأشراطها أن يصدق الكاذب وأن يكذب الصادق » .

[رواه الطبراني]

ـ عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة وكثرت التجارة وكثر المال، وعُظِّم رب المال لماله وكثر الشُرَط وكانت إمارة الصبيان وكثرت النساء وجار السلطان وطُفف المكيال والميزان ».

[رواه الطبراني والحاكم]

ـ عن أبي أمية الجمحي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر ».**

[رواه الطبراني]

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لاتقوم الساعة حتى يقتل الرجل أخاه لا يدري فيمَ قتله ».**

[رواه الحاكم في تاريخه]

ـ عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«من اقتراب الساعة إذا كثر خطباء منابركم وركن علماؤكم إلى ولاتكم فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأفتوهم بما يشتهون ».**

[رواه الديلمي]

ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه

ﷺ : **« لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها »** .

[رواه الإمام أحمد]

والمعنى أنهم يمدحون الناس ويظهِرون محبتهم حتى يأخذوا منهم الأموال.

ـ عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فيكم» .

[رواه ابن السني]

ولقد حدث هذا إبان الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفييتي إذ كان يخفي الملايين من الناس إيمانهم وإسلامهم وعبادتهم، ولا يتجرأ أحدهم على إظهار شيء من ذلك.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« يأتي على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر» .

[رواه أبو نعيم]

وذلك من شدة الفتن وعدم اكتراث الناس بالعلم والدين والشرع.

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« من اقتراب الساعة أن يصلي خمسون نفساً لا يقبل لأحدهم صلاة» .

[رواه أبو الشيخ]

ومعنى ذلك أنهم لا يأتون بشروطها وأركانها فلا تصح صلاتهم واللّه أعلم.

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

« إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يُفرحَ بغنيمة» .

[رواه مسلم]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

« من أشراط الساعة سوء الجوار وقطيعة الأرحام وأن يعطل السيف من الجهاد وأن تجتلب الدنيا بالدين» .

[رواه ابن مردويه]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

« إنكم في زمان من ترك عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا» .

[رواه الترمذي]

ما أمر به = أي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي حديث شريف جامع شامل لأكثر هذه العلامات ـ

عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **« من اقتراب الساعة إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر وأكلوا الرشا وشيدوا البناء واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا واتخذوا القرآن مزامير واتخذوا جلود السباع صفاقاً، والمساجد طرقاً والحرير لباساً، وأكثروا الجور وفشا الزنى وتهاونوا بالطلاق وائتمن الخائن وخون الأمين، وصار المطر قيظاً والولد غيظاً، وأمراء فجرة ووزراء كذبة وأمناء خونة وعرفاء ظلمة، وقلت العلماء وكثر القراء وقلت الفقهاء وحليت المصاحف وزخرفت المساجد وطولت المنابر وفسدت القلوب، واتخذوا القينات واستحلت المعازف وشربت الخمور وعطلت الحدود**

ونقصت الشهور، ونقضت المواثيق وشاركت المرأة زوجها في التجارة وركب النساء البراذين، وتشبهت النساء بالرجال والرجال بالنساء وحلف بغير اللَّه وشهد الرجل من غير أن يستشهد، وكانت الزكاة مغرماً والأمانة مغنماً، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وقرب صديقه وأقصى أباه، وصارت الإمارات مواريث وسبَّ آخر هذه الأمة أولها وأكرم الرجل اتقاء شره، وكثرت الشرط وصعدت الجهال المنابر ولبس الرجال التيجان وضيقت الطرقات، وشيد البناء واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وكثرت خطباء منابركم وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال وأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم فاتخذتم القرآن تجارة وضيعتم حق اللَّه في أموالكم، وصارت أموالكم عند شراركم وقطعتم أرحامكم وشربتم الخمور في ناديكم ولعبتم بالميسر، وضربتم بالكبر والمعرفة والمزامير ومنعتم محاويجكم زكاتكم ورأيتموها مغرماً، وقتل البريء ليغيظ العامة بقتله، واختلفت أهواؤكم وصار العطاء في العبيد والسُقّاط وطففت المكاييل والموازين ووليت أموركم السفهاء».

[رواه أبو الشيخ والديلمي]

تنبيه:

هذا الحديث الشريف ذكرته لأنه شامل جامع لأكثر الأحاديث الشريفة التي أوردتها عن علامات الساعة الوسطى ولم أره مخالفاً لما جاء في الأحاديث الصحيحة واللَّه أعلم.

وصايا رسول اللَّه ﷺ للمؤمنين في حال وقوع هذه الفتن العظيمة

عن معقل بن يسار رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« العبادة في الهرج كهجرة إليّ »(١).

عن الزبير بن عدي قال: شكونا إلى أنس من الحَجّاج فقال: اصبروا إنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم. سمعته من نبيكم ﷺ(٢).

عن ثوبان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع إلى يوم القيامة »(٣).

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال: قال النبي ﷺ: **« كيف بك إذا بقيت في حُثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا وكانوا كهذا، وشبك بين أصابعه قال: فبم تأمرني؟ قال: الزم بيتك وأهلك، وأمسك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة »**(٤).

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري والترمذي.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه.

(٤) رواه أبو داود والنسائي.

ـ عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال: قلت يا رسول اللَّه: هل بعد هذا الخير شر؟ «**قال نعم: دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: صفهم لنا. قال: هم من جِلدتنا يتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تَعَض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[(١)].

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول اللَّه إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع الأمر، وإن جُلد ظهرك وأخذ مالك**»[(٢)].

عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة؟ وشبك بين أصابعه. قال: ما تأمرني يا رسول اللَّه؟ قال: اصبر اصبر. خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم**»[(٣)].

عن خالد بن عرفطة أن النبي ﷺ قال له:

«**يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فإن استطعت أن تكون عبد اللَّه المقتولَ لا القاتل فافعل**»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الحاكم والبيهقي في الزهد.

(٤) رواه أحمد والطبراني والحاكم وأبو نعيم.

الجزء الأول

الخاتمة

من عظيم رحمة اللَّه تعالى بالبشر الذين أكرمهم وأعزهم وفضلهم على كثيرٍ ممّن خلق تفضيلاً. . . أنه لم يتركهم في الأرض التي استخلفهم فيها ضائعين تائهين لا يعرفون سر هذا الكون الذي من حولهم ولا سر وجودهم ولِماذا خلقهم اللَّه سبحانه. . وإلى أين هم سائرون وذاهبون بعد هذا الموت الذي يصيب كل امرئ منهم دون استثناء لأحد منهم.

ولو شاء اللَّه لفعل ذلك، ولكنه سبحانه وتعالى ما أنزل عليهم الكتب السماوية وما أرسل الرسل والأنبياء إلا ليبين لهم الحقائق كلها، ويُعَلِّمهم عن خلقهم وخلق الأرض من حولهم وخلق السموات التي تظلهم وما فيها من قدرته وعلمه.

. . . ولقد بين اللَّه سبحانه لنا أنه لو شاء لترك الناس يعيشون في الأرض، يرث بعضهم بعضاً، يموت جيل ويخلق جيل آخر دون أن يعلموا عن اللَّه شيئاً ولا عن خلقه وما حولهم ودون أن يعلموا عن الأجيال التي سبقتهم أي شيء. . . فإذا كان هناك عصر استطاع الناس فيه تدوين تاريخهم فإن مئات من الأمم ذهبت وانقضت لا يعرف عنها التاريخ شيئاً، وإذا عُرف يُعرف النزر اليسير من خلال بعض النقوش المحفورة على الصخور وهذا لا يغني عن المعرفة شيئاً.

يقول تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ

غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

[سورة يونس، الآيتان: ١٥، ١٦]

إذاً لو شاء اللّٰه سبحانه ما أنزل القرآن وما تلاه على البشر بواسطة جبريل عليه السلام ونبينا محمد ﷺ وكذلك لو شاء لفعل بباقي الكتب السماوية ـ التوراة والإنجيل ـ والزبور ـ وصحف إبراهيم. . وما أرسل رسلاً ولا كتباً ولا أدرانا بشيء عن أي شيء.

. . ألا ترون أن رحمة اللّٰه أعظم من أن نعلم عنها أو ندرك حقيقتها. فرحمته وسعت السماوات والأرض ومن فيهن من الخلق أجمعين.

. . . ومن واقع رحمته أن أرسل اللّٰه الرسل وأنزل معهم الكتب على طول التاريخ الإنساني الطويل، دلهم فيها على حقيقة الخلق وسببه، وأنه في نهاية الحياة الدنيا ـ سيكون هناك قيام للساعة وحشر للناس وعرض على اللّٰه لمحاسبة كل نفس في ما فعلت في حياتها الدنيا. . وبعد الحساب هناك جنة وهناك نار. . .

وختم اللّٰه سبحانه تلك الرسالات بالرسالة الخاتمة رسالة الإسلام وختم الأنبياء والمرسلين بسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين ثم قال اللّٰه تعالى في محكم كتابه موجهاً الخطاب إلى البشرية وإلى أن تقوم الساعة، أن رسالته رسالة رحمة وأن هذا النبي محمد ﷺ أرسله رحمة للعالمين جميعاً.

قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧]

وكذلك قال تعالى عن كتابه الكريم أنه نذير.

يقول تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ١]

وكذلك قال تعالى عن كتابه الكريم أنه هدى للبشرية جميعاً وانتفع به خاصةً الذين يؤمنون بالله تعالى ويتقون ويخشون ولا يخشون أحداً إلا الله جل جلاله.

قال تعالى:

﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢]

ثم بين الله سبحانه لنا في كتابه وفي عشرات الآيات القرآنية الكريمة أن هذه الدنيا إلى زوال بكونها وأرضها وسماواتها وخلقها أجمعين.. نعم إلى زوال وذلك بقيام الساعة، التي يميت الله سبحانه فيها بنفخة الصعق كل من يتبقى على هذه الأرض ثم يحييهم مرة أخرى جميعاً بنفخة البعث.

يقول تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

واعتبر الله سبحانه أن الذين يكذبون بالساعة هم الضالون والكافرون والمشركون، أما المؤمنون فهم مشفقون منها ويعلمون أنها الحق من ربهم لا يُمارى فيها ولا يُشك ولا يكذب بها أبداً....

يقول تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

[سورة الشورى، الآيتان: ١٧، ١٨]

فاعتبر اللَّه سبحانه أن الساعة حق لا ريب فيه ومن يكذب بها فقد افترى على اللَّه إثماً كبيراً وظلماً عظيماً.

... ورأينا أن من رحمة اللَّه سبحانه أن جعل لها أشراطاً حتى يستعد الناس لها ولا تفجأهم فيقولون: ربنا لولا أخرتنا إلى أجل حتى نكون مؤمنين صالحين... لذلك كان للساعة أشراط وعلامات ليأخذَ الناس حِذرهم.

يقول تعالى:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٨]

لكن اللَّه سبحانه ذكر من أشراطها في كتابه الكريم العلامات الكبرى وأما الصغرى فقد تحدث عنها رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة الصحيحة...

وقد بينا في هذا الجزء الأول من (موسوعة الآخرة) العلامات الصغرى والوسطى وتركنا الحديث عن العلامات الكبرى إلى الجزء الثاني من هذه الموسوعة...

وقد قرأتم بفضل اللَّه عن كل هذه العلامات والأشراط.. وتبين

لكم أننا حاولنا قدر المستطاع تحقيق الأحاديث الشريفة، وما أوردنا فيها إلا الصحيح واستبعدنا الضعيف قدر الإمكان ورتبنا الأحداث ترتيباً نرجو من اللّه سبحانه أن يكون صحيحاً. . . وقد قدمنا جهداً في سبيل ترتيبها الترتيب الصحيح فنرجو من اللّه القبول. . ولقد توسعنا في بيان الأحاديث وشرحها وتفصيلها حتى يقف القارئ لهذه الموسوعة على حقائق الأمور بمعناها وتفصيلاتها وبيانها وشرحها. . . ولقد حاولنا قدر الإمكان إبعاد النصوص المشكوك في صحتها أو ليس لها أصل أو راوٍ معترفٌ به، وقد أوردنا بعض ما ذكر في الكتب حشواً دون راو أو بيان أو أصل، وذلك لتحقيق العلم وليس للتشكيك أو الطعن بأحد. . . وما أردنا إلا الحق وكان اللّه سبحانه من وراء قصدنا. . . أرجو اللّه أن ينفع بهذا الجزء المسلمين وكل القارئين وأن يجعل ما كتبت وما قرؤوا في ميزان حسناتنا أجمعين. . كما أرجو اللّه سبحانه أن تكون هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) بأجزائها العشرة قد وفت المطلوب والغرض والهدف ونأمل من اللّه القبول فإني وهبت عملي هذا للّه سبحانه خالصاً لا أبتغي إلا الأجر والثواب فتقبل منا يا أرحم الراحمين وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص.ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.

٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.

٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).

٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟.

٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.

٦ ـ الرزق والمال بين السنة والقرآن.

٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.

٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.

٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.

١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.

١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.

١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.

١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.

١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح الجسد.

١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١+٢).

١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.

١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللَّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة

موسوعة الآخرة

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار: أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد: نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخاري.

٣ ـ صحيح مسلم.

٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان في ما اتفق عليه الشيخان..

٥ ـ مسند الإمام أحمد.

٦ ـ سنن التِّرمذي.

٧ ـ سنن ابن ماجه.

٨ ـ سنن النسائي.

٩ ـ صحيح ابن حِبان.

١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.

١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.

١٢ ـ سنن أبو داود.

١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.

١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.

١٦ ـ المستدرَك للحاكم.

١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم: أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الرابع

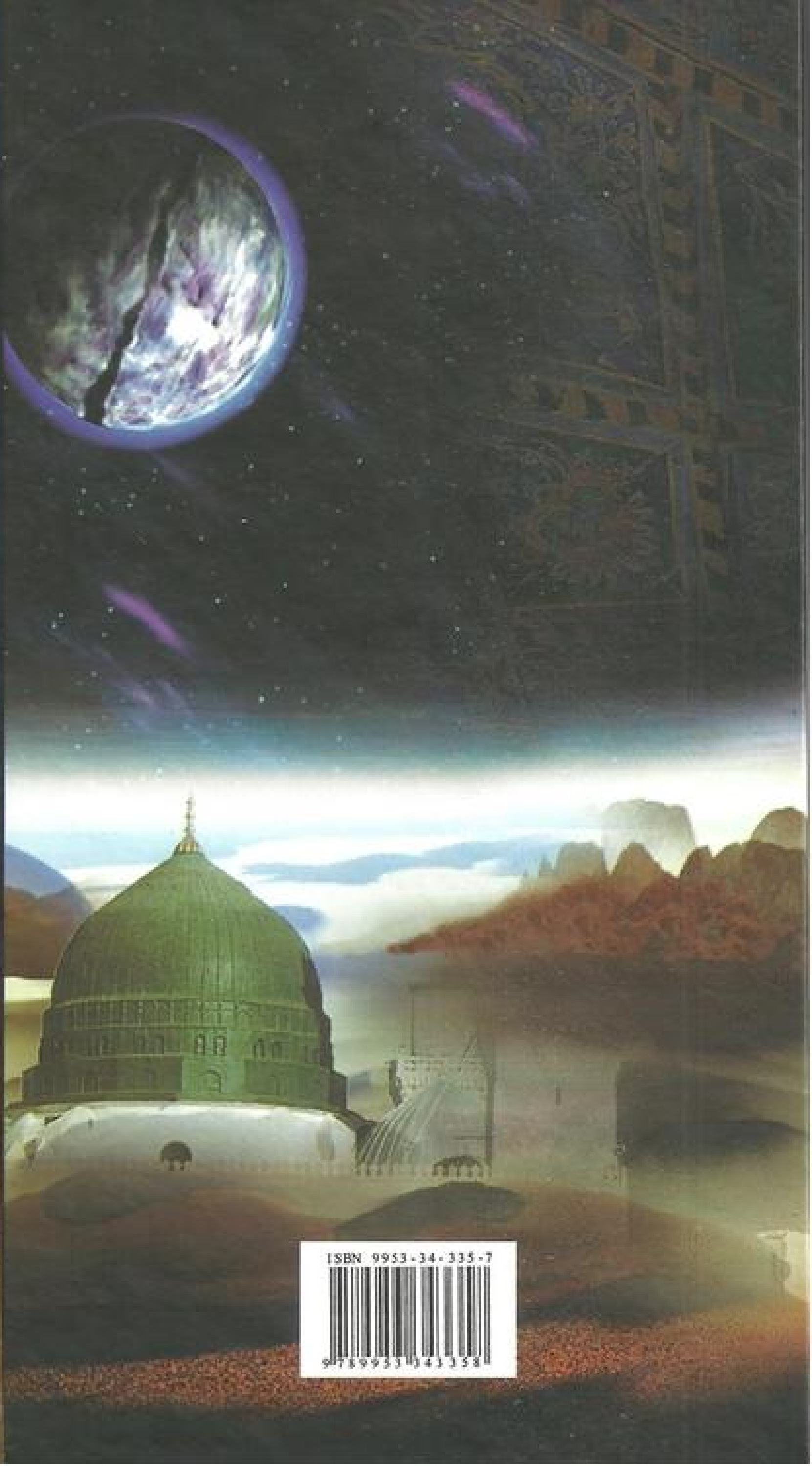
سلسلة
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعّدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-335-7

أشراط الساعة

العلامات الكبرى

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم   الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور   الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

ماهر أحمد الصوفي

أشراط الساعة العلامات الكبرى

المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

أشراط الساعة
العلامات الكبرى

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم
الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور
الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-336-5

بسم الله الرحمن الرحيم

قدَّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعةِ سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الاداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ **الجزء الأول**	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ **الجزء الثاني**	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ **الجزء الثالث**	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ **الجزء الرابع**	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ **الجزء الخامس**	: البعث والنشور
٦ ـ **الجزء السادس**	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ **الجزء السابع**	: الحساب والعرض على اللَّه سبحانه
٨ ـ **الجزء الثامن**	: ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ **الجزء التاسع**	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ **الجزء العاشر**	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٨]

قال تعالى:

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[سورة الدخان، الآيتان: ١٠، ١١]

قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٨]

قال تعالى:

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٢]

حديث شريف:

ـ عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي اللَّه عنه قال: اطَّلع علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: «**إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات ـ الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**».

[رواه مسلم]

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً**».

[رواه الحاكم]

الإهــداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم .

إلى رسول اللَّه ﷺ .

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبهنا وعلمنا . . اللَّهم صل وسلم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة .

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده. . .

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه. . .

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلٰهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّٰه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللّه بها عليه، فأسأل اللّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

العلامات الكبرى لقيام الساعة هي الساحة الحقيقة لمقدمات أحداث الساعة حيث كانت العلامات الصغرى والوسطى حبال الوصل التي تتصل بالعلامات الأم الكبرى

. . . فمنذ بعثة الرسول ﷺ إلى تأريخ أول علامة كبرى تحدث أحداث كثيرة تعرضنا إليها في الجزء الأول من الموسوعة، وكلها تشير إلى حتمية وقوع العلامات الكبرى وحتمية قيام الساعة لصدقها أولاً كونها إخبار من الصادق المصدوق ﷺ وكذلك لوقوعها ثانياً. . فكلها كانت أجراس إنذار وتنبيه.

. . . وتختلف العلامات الكبرى عن الصغرى والوسطى أنها إذا وقعت وقعت متصلة وسريعة على عكس العلامات الصغرى والوسطى التي حدثت عبر تاريخ طويل وقرون متعددة عاشتها البشرية

يقول رسول اللَّه ﷺ:

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً**».

[رواه الحاكم]

وحسب تصوراتنا أنه فيما لو وقعت العلامة الكبرى الأولى توقف قبول التوبة، لأن البشر أُنذروا من قبل بواسطة العلامات

الصغرى والوسطى لقيام الساعة لأنها جميعاً كانت أجراس إنذار تقرع كل حين من الزمن.. ولكن اللَّه سبحانه ومن واقع رحمته بعباده يجعل التوبة مقبولة حتى وإن وقعت بعض العلامات الكبرى فلا تنقطع التوبة والعودة إلى اللَّه سبحانه حتى تطلع الشمس من مغربها كما قال رسول اللَّه ﷺ:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل».

[رواه البخاري والإمام أحمد]

كذلك فإن القرآن الكريم وإن لم يُسَمِّ تحديداً عند أي علامة تنقطع التوبة أو ينفع الإيمان إلا أنَّه سبحانه قال:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٨]

ذلك أنه عندما تطلع الشمس من مغربها وليس من مشرقها فهذه علامة كونية وغيبية في نفس الوقت ـ لأن أكثر العلامات الكبرى علامات غيبية تظهر للناس غير العلامات الصغرى والوسطى التي هي تأريخية، ولولا أن رسول اللَّه ﷺ أخبر بوقوعها لبدت للناس كحدث تاريخي عادي كفتح بيت المقدس، أو ظهور كذابين ثلاثين كلهم يدعي النبوة، أو خروج نار من أرض الحجاز، أو ظهور العاريات الكاسيات، والقينات والمعازف، إلى آخر ما هنالك من علامات صغرى ووسطى حيث يراها أناس ولا يراها آخرون أو يفهمها

المؤمنون ولا يفهم معانيها غير المؤمنين. . . . . ولكن شروق الشمس من المغرب يراها كل البشر على هذه الأرض، فيسارعون إلى إعلان التوبة والإيمان باللَّه سبحانه. . ولكن الإيمان وقع منهم لأنهم رأَوْا بعض الغيب. . فرؤية الغيب هي التي دفعتهم إلى الإيمان. . . ولكن المؤمنين آمنوا من قبل دون أن يروا غيب اللَّه سبحانه. . إنهم آمنوا لأن كل ما يحيط بهم في هذا الكون يشير إلى وجود اللَّه سبحانه، رأوا الغيب أو لم يروه، ومع ذلك فإن شروق الشمس من المغرب هي أحد العلامات الكبرى تسبقها علامات كثيرة. . . ومن اللافت للنظر أن قسماً كبيراً من العلامات الكبرى تقع مع بعضها بعضاً، وليس إثر بعضها بعضاً، كظهور المهدي وخروج الأعور الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، هذه تظهر في توقيت واحد تسبق إحداها الأخرى بسنوات قليلة كظهور المهدي رضي اللَّه عنه وفي خلافته ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وقد سبقه بالخروج الأعور الدجال فيطلبه ليقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن ولاية عيسى ابن مريم عليه السلام فيعيثون في الأرض فساداً عظيماً

فما بين ظهور أول علامة كبرى إلى ظهور آخر علامة كبرى زمن قليل قياساً لعمر أمة محمد ﷺ على الأرض، لأني كما قلت تظهر تباعاً متصلة الأحداث دون توقف، فالعلامات الكبرى هي أبواق الإنذار الكبرى التي توقظ من كان في سبات عميق فتفيد خلقاً كثيراً في الرجوع إلى اللَّه سبحانه إلا من كان قلبه ميتاً لا حياة فيه، فهؤلاء يتخبطون حتى تأتيهم آيات ربك الكبرى فيصحون من موت قلوبهم ولكن ولات ساعة مناص وخلاص وأنَّى لهم الذكرى

. . وفي هذا الجزء الثاني من الموسوعة (العلامات الكبرى)

قدمنا بشيء من التفصيل الدقيق (العلامات الكبرى) لقيام الساعة وتوخينا الحذر الشديد في ذكر الأحاديث تفصيلاً مستبعدين كل الأحاديث الضعيفة والتي فيها شك أو روايات لا أصل لها ولا سند، حتى يكون بين يدي القارئ الأحداث الصحيحة السليمة التي لا شك فيها ولا لبس، وبينًا كل حديث شريف وأسندناه إلى مخرّجه بدقة، وكذلك أعدنا كل نص أوحد ث إلى صاحبه ومن ثم قدمنا بعض التفسيرات والتحليلات التي تشمل أحداث العلامات الكبرى وأدخلنا في تفسير الآيات الكريمة والأحايث الشريفة في خصوص العلامات الكبرى العلم الحديث من علم الفلك وعلم الجيولوجيا لوضوح الأحداث وبيانها العلمي الذي لا يخالف النص ولا العقل

وفي هذا الجزء دوافع إيمانية عميقة، فالحديث عن العلامات الكبرى وتعدادها وذكرها شيء يؤثر في النفس حيث الأحداث الجسيمة العظيمة التي تؤكد جميعها أن الدنيا ستولي إلى غير رجعة وأن الساعة حق والقيامة حق، والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، وأن وعد اللّه حق، الذي لا يخلف ميعاداً وعد به عباده على هذه الأرض، فأرجو من اللّه سبحانه أن تقرأ هذه العلامات بقلوب مفعمة بالإيمان لتزداد إيماناً لا بقلوب فارغة وكأنها تقرأ رواية أو قصة في صحيفة أو كتاب. . . فما أنزل اللّه سبحانه من مصيبة أو كان من حدث في الأرض إلا ليكون في الأرض بمثابة إنذار ليعود الخلق عن غيِّهم وضلالهم إلى طريق اللّه سبحانه الطريق الحق المبين

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٥]

ذلك أن اللّه سبحانه لا يريد ظلماً لعباده ولا يريد لهم إلا طريق

الحق والصراط المستقيم الذي يوصلهم إلى آيات الله الحق التي فيها سعادة الإنسان في حياته الدنيا وآخرته

يقول تعالى:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٨]

الفصل الأول

ـ مدخل

ـ العلامات الكبرى

١ ـ **العلامة الأولى** : ظهور المهدي وخلافته .

٢ ـ **العلامة الثانية** : الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية .

٣ ـ **العلامة الثالثة** : خروج الأعور الدجال (المسيح الدجال) .

٤ ـ **العلامة الرابعة** : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام .

٥ ـ **العلامة الخامسة** : خروج يأجوج ومأجوج .

بسم الله الرحمن الرحيم

العلامات العشر الكبرى لقيام الساعة

مَدخل:

لقد حدد رسول اللَّه ﷺ عشر علامات كبرى لقيام الساعة، بعد استيفاء وظهور جميع العلامات الصغرى والوسطى، وسميت هذه العلامات بالكبرى لسببين:

الأول: لقربها الشديد من قيام الساعة وانهاء الحياة بكل صورها في هذا الكون ومن جملتها حياة البشر على الأرض.

الثاني: لأن هذه العلامات العشر الكبرى والأخيرة تكون فيها الفتنة عظيمة وكبيرة جداً، ويكون فيها الامتحان والابتلاء شديدين شدة بحيث تنقسم قلوب الناس وتتأرجح بين الكفر والإيمان والمصدق والمكذب، لا بل ينقسم قلب الإنسان الواحد ويتأرجح في اليوم الواحد بين الإيمان والكفر، فيمسي كافراً ويصبح مؤمناً ـ ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً من شدة الكرب والابتلاء والامتحان فيهوي أصحاب الإيمان الضعيف ويثبت أصحاب الإيمان القوي، وهي الفئة الظاهرة من أمة محمد ﷺ والتي لا يضرها من خالفها ولا تضرها كل هذه الفتن لعلمها وقوة دينها في نفوسها.

وإليك الحديثَ الشريف الشامل والجامع لهذه الآيات العشر

(العلامات) لقيام الساعة والتي لا يمكن أن تقوم الساعة حتى تنقضي جميعاً وتظهر واحدة تلو الأخرى:

ـ عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي اللَّه عنه قال: «**اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[(١)].

ـ عن عامر بن واثلة أبي الطفيل الكناني عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة قال: «**اطلع رسول اللَّه ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال: لاتقوم حتى تكون عشر آيات ـ طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من مقر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا**»[(٢)].

عن أبي حيان التمجي عن أبي زُرعة قال جاء نفر إلى مروان بالمدينة فسمعوه يحدث في الآيات أن أولها الدجال، قال فانصرفت إلى عبد اللَّه بن عمرو فحدثته فقال عبد اللَّه لم يقل شيئاً سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها أو الدابة على الناس ضحى فأيتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قال**

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن رقم الحديث ٢٩٠١ وأيضاً عزاه في جامع الأصول إلى أبي داود والترمذي.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه رقم الحديث ٤٠٥٧

عبد اللّه وكان يقرأ الكتب وأظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها»[١] .

من هذه الأحاديث الشريفة نجد أن تصنيف وترتيب الآيات العشر فيه بعض الخلاف ولا ضير في هذا . . فالعلامات الكبرى تختلف عن العلامات الصغرى والوسطى . . ذلك أن العلامات الصغرى والوسطى تأتي على فترات متباعدة نسبياً، وأما العلامات الكبرى فإنها تأتي تباعاً، منها ما يأتي بذات الوقت كظهور المهدي وظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام كما سيأتي، ومنها ما يأتي تِباعاً لا تكاد واحدة تنتهي حتى تظهر الأخرى، ثم تقوم الساعة على إثر انتهائها جميعاً ويؤكد هذا قوله ﷺ عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : « **الأمارات خَرَزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً**»[٢] .

فقد شبه رسول اللّه ﷺ الآيات الكبرى بعِقد له سلك ينظم حباتهِ فإذا انقطع السلك ووقعت الحبة الأولى فتتبعها بقية الحبات دون تأخير .

ومن الحديث الشريف التالي يتأكد لنا أن وقوع الحرب الكبرى بين المسلمين والروم، ربما يكون يومئذ بين المسلمين والذين يعيشون في قارة أوروبا اليوم ويمثلون الروم النصارى والتي سمَّاها الرسول ﷺ (الملحمة الكبرى) وهي التي تقع أولاً بعد ظهور المهدي ويكون

---

(١) سنن أبي داود رقم الحديث ٤٣١٠

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (١٧٦٢)

خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام على أثرها وهو الأكثر وضوحاً ورؤية من خلال الأحاديث الشريفة، ومن خلال سياق الأحداث والأفعال، ويأتي بعدهما مباشرة خروج يأجوج ومأجوج لأن ذلك يقع في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام.

عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»[(١)].

ولكن هذا لا يعني أن الآيات العشر الكبرى التي تحدث عنها رسول اللَّه ﷺ هي فقط علامات الساعة الكبرى. . . . فرسول اللَّه ﷺ تحدث في كثير من الأحاديث الشريفة عن علامات كبرى لقيام الساعة بأحاديث تُفرد إحدى العلامات الكبرى أو تجمع بين اثنتين. . أو في حديث شريف يتحدث عن إحدى هذه الآيات العشر الكبرى ويضيف إليها علامة كبرى غير مذكورة في الحديث الشريف الذي يجمع هذه الآيات العشر ـ (كعلامة رفع المصاحف) وهذه العلامة ليست من العلامات الصغرى وليست من الوسطى بل هي من الكبرى ولا تكون إلا بعد حصول أكثر العلامات الكبرى لذلك لا بد من تصنيفها مع الآيات الكبرى يقول رسول اللَّه ﷺ: «**يسري على كتاب اللَّه ليل فيصبح الناس وليس منهُ آية ولا حرف في جوف مسلم إلا نسخت**».

[رواه الديلمي رقم الحديث ٧٧١٣]

وكذلك قوله ﷺ عن هدم الكعبة فهي من العلامات الكبرى وهي ليست من الصغرى وليست من الوسطى لأنها تقع في آخر

---

(١) رواه أبو داود ـ مشكاة المصابيح ورقم الحديث (٥٤٢٥) وإسناده حسن كما قال محقق المشكاة.

العلامات الكبرى تقريباً لذا لا بد من تصنيفها مع العلامات الكبرى يقول رسول اللَّه ﷺ:

«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأني أنظر إليه أصيلع، أفيدح، يضرب عليها بمِسحاته أو معوله».

[رواه أحمد ورقم الحديث (٢/ ٢٢٠).

فرفع المصاحف وهدم الكعبة تكون في آخر الآيات الكبرى وقبل حشر الناس إلى أرض المحشر، لذا صنفت مع الآيات الكبرى لتحقيق العلم والمعرفة... المهم أن تلك الآيات الكبرى العشر التي ذكرها رسول اللَّه ﷺ في حديثه الشريف تبقى هي أصل الآيات والعلامات الكبرى مع إضافة العلامات الأخرى الكبرى والتي ذكرها رسول اللَّه ﷺ إليها فتشكل مع بعضها كامل الآيات والعلامات الكبرى لقيام الساعة.

ولقد صنفنا تلك الآيات والعلامات الكبرى ورتبناها بالتسلسل التالي معتمدين كما قدمت على تأريخ الأحداث واجتماعها وتفرقها وفي هذا اجتهاد مع جمع اجتهاد الآخَرين من علماء وفقهاء وباحثين ومؤلفين واللَّه أعلم.

١ ـ العلامة الأولى: ظهور المهدي وخلافته.

٢ ـ العلامة الثانية: الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية.

٣ ـ العلامة الثالثة: خروج الأعور الدجال (المسيح الدجال).

٤ ـ العلامة الرابعة: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

٥ ـ العلامة الخامسة: خروج يأجوج ومأجوج.

٦ ـ العلامة السادسة: الدخان.

٧ ـ العلامة السابعة: طلوع الشمس من مغربها.

٨ ـ العلامة الثامنة: خروج الدابة.

٩ ـ العلامة التاسعة: دروس الإسلام ورفع المصحف وعودة الناس إلى الجاهلية وعبادة الأوثان.

١٠ ـ العلامة العاشرة: هدم الكعبة.

١١ ـ العلامة الحادية عشرة: وقوع الخسوف الثلاثة.

١٢ ـ العلامة الثانية عشرة: ريح لينة تقبض أرواح المؤمنين.

١٣ ـ العلامة الثالثة عشرة: خروج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر.

العلامات الكبرى

العلامة الأولى

ظهور المهدي وخلافته

في قلب الأحداث العظام والفتن الجسام التي تصيب المسلمين جميعاً، وفي ظل اليأس والحرمان والقتل والهرج والبلاء والكفر والإيمان وإمارة السفهاء وشُرَطِ آخر الزمان التي تضرب وتجلد الناس بالسياط، وفي خضم هذه الابتلاءات العظيمة التي أصابت جسد المسلمين في دينهم ووجودهم يرسل اللَّه سبحانه رجلاً من آل محمد ﷺ ومن ولد فاطمة بنت محمد ﷺ رضي اللَّه عنها تحديداً اسمه وكنيته يواطئان اسم النبي وكنيته ﷺ لقوله ﷺ

ـ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«**لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي**».

[رواه الترمذي]

الأحاديث الصحيحة التي سنذكرها فيما بعد تؤكد وتجزم أن خروج المهدي وظهوره وولايته وخلافته صحيح لا شك فيه ولا ريب.

.... لماذا تعددت الروايات في ظُهورِ المهدي واختلف الكثير حول خروجه بين مصدق ومكذب؟؟.... ولماذا تداخلت الروايات في ظهوره وخلافته بالذات ودخل فيها الغث والسمين والجيد والرديء والصحيح والموضوع المكذوب؟؟

.... وقبل أن أبدأ بالجواب لنا وقفة مع الشيخ عبد العزيز بن

عبد اللَّه بن باز غفر اللَّه لنا وله. . وهو من العلماء المعاصرين. . . حيث يبين لنا رأيه في ظهور المهدي وخلافته وما قيل حوله من مجمل الأحاديث الواردة والروايات المتداخلة في خروجه وظهوره وخلافته وما يكون منه. . يقول سماحة الشيخ: «أمر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى أكثر من واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواتر معنوي لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو (محمد بن عبد اللَّه. . العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنهم، وهذا الإمام من رحمة اللَّه عز وجل بالأمة يخرج في آخر الزمان فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر اللَّه به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقاً وإرشاداً للناس.

. . وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره، وكما قال ابن القيم وغيره: فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة. . . ويكفينا ما استقام سنده، سواء كان صحيحاً لذاته أو لغيره، وسواء كان حسناً لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشدَّ بعضها بعضاً، فإنها حجة عند أهل العلم. . . . والحق أن الجمهور من أهل العلم ـ بل هو الاتفاق ـ على ثبوت أمر المهدي وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان أمَّا من شذّ من أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك»[1]

---

(١) كتاب الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لعبد المحسن بن حمد العباد ص ١٥٧.

وبدوره نفهم من كلام الشيخ عبد العزيز بن باز أن من العلماء الأجلاء أمثال (الشوكاني) و(ابن القيم) أوردوا هذه الأحاديث وصنفوها وأشبعوها بحثاً وتدقيقاً، لإحقاق الحق ووضع الصحيح في نصابه.

. . . . وكذلك فإن لكثير من العلماء الأفاضل والمحدثين الكبار تصنيفات وتحقيقات في موضوع خروج المهدي أو ظهوره وخلافته لإحقاق الحق وبيان العلم والفضل فقد كانت كتبهم ومؤلفاتهم مرجعاً للدارسين والمؤلفين المحدثين، وذلك كله بناء على أحاديث رسول اللَّه ﷺ وقد جمع معظمهم تلك الأحاديث في مصنفاتهم وبينوا طرقها وتكلموا في أسانيدها ـ منهم

الحافظ أبو نعيم ـ ولخص السيوطي ما أورده أبو نعيم في كتابه (العرف الوردي في أخبار المهدي) وزاد عليه، وهو مطبوع ضمن كتابه (الحاوي للفتاوي). . . ومنهم الحافظ ابن كثير الذي أفرد في ذكر المهدي جزءاً كما نص عليه في كتابه (الفتن والملاحم). . . ومنهم ابن حجر فقد ألف كتاباً بعنوان (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) وكذلك فعل المتقي الهندي صاحب (كنز العمال) ومنهم الصنعاني ـ ومرعي بن يوسف الحنبلي.

. . . . ولقد أجمع عدد كبير من دارسي الحديث ونقاده ومتابعيه على صحة أحاديث المهدي الواردة في الصحاح وليس في الضعيف والموضوع منهم ـ الحاكم ـ أبو نعيم ـ القرطبي ـ ابن تيمية ـ ابن قيم الجوزية ـ ابن حجر العسقلاني وكذلك السيوطي.

. . . . ولقد أحصى من المحدثين الشيخ عبد المحسن بن حمد

العباد. . كتب السنة التي أخرجت هذه الأحاديث فبلغت ستة وثلاثين كتاباً مما أخرجه أصحاب السنن الأربعة ـ وأحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وابن حبان في صحيحه، وكذلك أحصى عدد الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي فبلغوا ستة وعشرين صحابياً.

الأحاديث الصحيحة الواردة في ذكر ظهور المهدي وخلافته

ـ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي »**(١).

ـ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول اللَّه ذلك اليوم، حتى يبعث اللَّه رجلاً مني ـ أو من أهل بيتي ـ يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً »**(٢).

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين »**(٣).

ـ عن أم سلمة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **« المهدي من عترتي من ولد فاطمة »**(٤).

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود.

(٢) رواه أبو داود صحيح الجامع الصغير (٦/ ٧٠) حديث رقم ٥١٨٠.

(٣) رواه أبو داود صحيح الجامع الصغير وقال عنه الألباني حديث صحيح (٤/ ١٦٥).

(٤) رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم صحيح الجامع الصغير٦/ ٢٢وقال الألباني حديث صحيح.

« **يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه اللَّه الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظَّم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً**»[١].

ـ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال ولا يعده عداً**»[٢].

وفي هامش الحديث.. قلت لأبي نضرة وأبي العلاء أتريان أنه عمر بن عبد العزيز فقالا لا.

ـ عن علي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **المهدي منا أهلَ البيت يصلحه اللَّه في ليلة**»[٣].

ـ عن ثوبان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إذا رأيتم الرَّايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفةَ اللَّه المهدي**»[٤].

عن عبد اللَّه بن الحارث بن جَزْء الزبيدي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **تخرج أناس من المشرق فيوطئون المهدي يعني سلطانه وفي زمن المهدي يكثر المطر وتخرج الأرض خيراتها وتنبت نباتها ويفيض المال وتكثر الماشية**»[٥].

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح، الجامع الصغير ٦/ ٢٢ وقال الألباني حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن مختصر مسلم رقم الحديث (٢٠٣٦).

(٣) رواه الإمام أحمد وابن ماجهْ صحيح الجامع (٦/ ٢٢) وقال الألباني حديث صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم الملاحم والفتن (٤/ ٥٠٢).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه باب خروج المهدي من كتاب الفتن.

ﷺ : **« لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً، بعث اللَّه رجلاً مني، اسمه اسمي فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»**(١) .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **« كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»**(٢) .

. . . وإمامكم منكم ـ أي المهدي عليه السلام .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **« فإذا نزل عيسى فينزل وقت صلاة فيقول أميرهم : تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه هذه الأمة»**(٣) .

هذه هي الأحاديث الصحيحة التي وردت في ظهور المهدي عليه السلام والتي وافق عليها وأكدها وثبتها معظم علماء هذه الأمة الإسلامية وكذلك الرواة في الصحيح وأصحاب السنن والحاكم وغيرهم .

وفي مجمل الأحاديث الشريفة التي أوردتها تأكيد من رسول اللَّه ﷺ على أن خروجه مؤكد لا شك فيه أبداً، وأنه إذا خرج ملك العرب جميعاً، وأنه سيحقق العدل والقسط بعد الظلم والجور والفتن العظيمة التي أصابت الناس جميعاً، وأن مُلكه هذا بين سبع سنوات إلى ثماني سنوات، وأن الأرض أرضَ المسلمين والعرب تُخرج بأمر اللَّه كنوزها وخيرها وزرعها لكثرة المطر وتكثر المواشي والتي يمثل كثرتها توافر الخير والزرع والمطر . . ومن هذا الخير يكثر المال كثرة عظيمة حتى

(١) رواه الإمام أحمد ـ وابن حبان ـ والحاكم ـ البزار ـ ابن عدي ـ وأبو نعيم في الحلية .

(٢) رواه البخاري مختصر البخاري ص ٣٢٤ حديث ١٤٤٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ص ٧٥، الحديث ٢٤٧ .

إن المهدي عليه السلام سيحثو المال دون عد لكثرته العظيمة ويعطيه للناس جميعاً، وكذلك لعدله وتقواه وعلمه. . . والمهدي يأتي مع الجيش من خُراسان وفارس بالرايات السود تأييداً له، ومما يدل على مكانة المهدي أن عيسى عليه السلام لما ينزل وقت صلاة عند منارة شرقي دمشق، ويحضر إلى المهدي ويقدمه للصلاة فيرفض تكرمة لهذه الأمة، ومن هذه الأحاديث الصحيحة الشريفة نجد القول الفصل والحق المبين فلا شطط فيها ولا وكس مما يخالف العقل، كما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة جداً والموضوعة والمكذوبة على رسول اللَّه ﷺ.

مولد المهدي عليه السلام:

إن مولد المهدي رضي اللَّه عنه عليه السلام على الأغلب والأصح، (يولد في المدينة) كما روى أبو نعيم عن حماد عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه. .

وقد أورد القرطبي في التذكرة أن مولده في بلاد المغرب. . . وقال بعضهم: إن مولده في الأندلس. . ولكن أصح الروايات أن مولده في (المدينة المنورة).

صفاته:

الصحيح في صفاته أنه آدم، ضرب من الرجال ربعة أجلى الجبهة، أقنى الأنف أشمه أزج أبلج، أعين أكحل العينين، براق الثنايا، أفرقها في خده الأيمن خال أسود، يضيء وجهه كأنه كوكب دري، كث اللحية في كتفه علامة للنبي ﷺ أذيل الفخذين لونه لون عربي وجسمه جسم إسرائيلي في لسانه ثقل وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة وفي رواية ما بين الثلاثين إلى الأربعين

خاشع للَّه خشوع النسر بجناحيه يشبه النبي في الخُلُقِ. . .[١].

علاماته:

في كتفه علامة للنبي ﷺ، وأنه يجتمع بعيسى عليه السلام ويصلي عيسى خلفه، وأن الأرض تخرج أفلاذ كبدها مثل الأسطوانات من الذهب - ومن علاماته عليه السلام غنى قلوب الناس وكثرة بركات الأرض، ومنها أن يخرج كنز الكعبة المدفون فيقسمه في سبيل اللَّه، ومنها أن يغرس قضيباً في أرض اليابسة فيخضر ويورق، وكذلك يطلب منه آية فيومئ إلى الطير في السماء فيسقط في يده، وهذا كله لا يتنافى مع العقل[٢].

الأمارات الدالة على خروجه:

١ - ينشق الفرات فينحسر عنه جبل من ذهب.

٢ - ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف منه وهذان لم يكونا منذ أن خلق اللَّه السموات والأرض.

٣ - طلوع القرن ذي السنين.

٤ - طلوع نَجم له ذنب يضيء.

٥ - ظهور نار عظيمة من قبل المشرق ثلاث ليال أو سبع ليال.

٦ - ظهور ظلمة من السماء.

٧ - حمرة في السماء وتنتشر في أفقها ليس كحمرة الأفق.

٨ - نداء يعم أهل الأرض ويُسمع كل أهل لغة بلغتهم[٣].

---

(١) كتاب الإشاعة لأشراط الساعة للعلامة محمد بن رسول الحسيني البرزنجي

(٢) روى هذه العلامات أبو نعيم عن علي بن أبي طالب كتاب الساعة لأشراط الساعة ص٨٥.

(٣) كتاب الإشاعة لأشراط الساعة - محمد بن رسول الحسيني البرزنجي ص٨٥

وقت خروجه:

قال ابن كثير في كتاب (الفتن والملاحم): أظن أن خروج المهدي يكون عند نزول عيسى عليه السلام.

ـ عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم أمير بعض، تكرمة هذه الأمة**»[١]، والحديث الذي رواه الحارث ابن أبي أسامة يرشد إلى هذا ويدل عليه لأنه قال أميرهم المهدي، كذلك فهو يرشد واللَّه أعلم أنه يكون عند نزول عيسى ابن مريم، وكذلك ترشدنا إلى ذلك بعض روايات مسلم وبعض الروايات الأخرى وهذا هو الأقوم بعون اللَّه تعالى.

معنى هذا أن وقت خروجه متوافق مع تتابع العلامات الكبرى، وموعد قيام الساعة التي تكون من عهده قاب قوسين أو أدنى، ولا يكون باقياً منها إلا القليل، وبعدها يأذن اللَّه تعالى بقيام الساعة.

سيرته:

في سيرته نورد ما ذكره الحافظ ابن حجر رضي اللَّه عنه (في القول المختصر في علامات المهدي المنتظر).... يقول ابن حجر: وأما سيرته فإنه يعمل بسنة النبي ﷺ لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً، يقاتل على السنة لا يترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي ﷺ أوله، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان، يكسر الصليب ويقتل الخنزير، يرد إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً

(١) سبق تخريجه

وجوراً، يحثي المال حثياً ولا يعده عداً يقسم المال صحاحا بالسوية، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر يملأ قلوب أمة محمدﷺ غنى حتى إنه يأمر منادياً ينادي: ألا من له حاجة في المال: فلا يأتيه إلا رجل واحد.

فيقول أنا، فيقول: ائت السادن يعني الخازن، فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم،

فيقول: كنت أجشع أمة محمدﷺ أي أحرصهم والجشع أشد الحرص، ويقول: أعجز عما وسعهم قال: فيرده فلا يقبل منه فيقال له:

إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، تنعم الأمة برها وفاجرها في زمنه نعمة لم يسمع بمثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، لا تدخر شيئاً من قطرها، تؤتي الأرض أُكُلها لا تدخر عنهم شيئاً من بزرها تجري على يديه الملاحم، يستخرج الكنوز ويفتح المداين ما بين الخافقين، يؤتى إليه بملوك الهند مغلولين وتجعل خزائنهم حلياً لبيت المقدس، يأوي إليه الناس كما تأوي النحل إلى يعسوبها، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، يمده اللَّه بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم، جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته، ترعى الشاة والذئب في زمنه في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً ويزرع الإنسان مداً يخرج له سبعمِائة مد ويرفع الربا والوباء والزنا وشرب الخمر، وتطول الأعمار وتؤدى الأمانة وتهلك الأشرار، ولا يبقى ممن يبغض آل محمدﷺ أحد محبوب في الخلائق، يطفئ اللَّه به

الفتنة العمياء وتأمن الأرض، حتى إن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل لا يخفن شيئاً إلا اللَّه، مكتوب في أسفار الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب قال هذا الحافظ ابن حجر في القول (المختصر في علامات المهدي المنتظر) ولا ينافي هذا أن عيسى يفعل بعض ما ذكر من قتل الخنزير وكسر الصليب إذ لا مانع أن كلاً منهما يفعله، أقول ويحتمل أن يكون الزمان واحداً وينسب إلى كل منهما باعتبار ما سيأتي[١].

ما قيل في المهدي من آراء واعتقادات

١ ـ أهل السنة والجماعة لا خلاف بينهم في أمر المهدي، وعقيدتهم موافقة لما ذكر من الأحاديث الشريفة الصحيحة، وعندهم أن المهدي حاكم صالح يرسله اللَّه سبحانه ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت من قبل جوراً وظلماً وطغياناً، ويكون مجدداً لهذا الدين الذي يخلُق ويبلى في قلوب المسلمين.

يقول ابن خلدون في مقدمته: «**اعلم أن المشهور بين أهل الإسلام كافة على ممر الأعصار، أنه لا بدَّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثمانية في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعد على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته**»[٢].

٢ ـ الشيعة الإمامية يعتقدون أن المهدي هو آخر أئمتهم، وهو

(١) كتاب القول المختصر في علامات المهدي المنتظر الحافظ ابن حجر العسقلاني.
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٥.

الإمام الثاني عشر المدعو (محمد بن الحسن العسكري) وهو عندهم من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن. . . ومن اعتقادهم في هذا الأمر أن محمد بن الحسن العسكري دخل في (سرداب سامراء) منذ أكثر من ألف ومائة سنة وعمره خمس سنوات، وكذلك يعتقدون أنه حاضر في الأمصار غائب عن الأبصار، وهو المهدي الذي ينتظرون عودته وليس من دليل على ذلك لا في كتاب اللَّه سبحانه ولا سنة رسول اللَّه ﷺ، ولم ترد رواية واحدة من علمائنا الأفاضل بمثل هذا الرأي أو القول أو الاعتقاد.

المكذبون بوجود المهدي

وهؤلاء ينسبون لأهل السنة قال عنهم الكثير: إنهم ليس لهم باع في تحقيق النصوص ومعرفتها والدراية بها، والكشف عن الأسانيد، ولقد دحض آراءهم كثير من أهل العلم في مؤلفات مستقلة مثل كتاب (الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي)[1].

صور وأمثلة لمن ادَّعى المهدية وأنه المهدي المنتظر

من خلال التاريخ الإسلامي ادَّعى بعض الكذابين والمنافقين كلاً منهم أنه المهدي المنتظر، وجمعوا حولهم بعض الخلق الذين روجوا لهم هذه الدعاية الكاذبة وأذاعوها بين الناس حتى تبعهم خلق كثير منهم. . . ومن أصحاب الدعوى الباطلة نذكر:

١ ـ عبيد اللَّه بن ميمون القدَّاح المولود عام ٢٥٩ هجري والمتوفى عام ٣٢٢ هجري، وكان جده يهودياً ينسب إلى بيت مجوسي، انتسب زوراً وكذباً إلى بيت رسول اللَّه ﷺ واستفحل أمره

---

(١) للشيخ العلامة عبد المحسن العباد ـ طبعة مطابع الرشيد في المدينة المنورة.

بواسطة أعوانه المأجورين وملك ملكاً وتغلب على الكثيرين، واستولت ذريته على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم، وكانوا يدَّعون الألوهية ويدعون أن للشريعة باطناً وظاهراً.

وهم ملوك الرافضة القرامطة الباطنية أعداء الدين تستروا بالانتساب كذباً لأهل البيت، ودانوا بدين الإلحاد وروجوه، ولم يزل أمرهم ظاهراً حتى أرسل اللَّه إليهم صلاح الدين الأيوبي رحمه اللَّه فأنقذ الأمة منهم ومن شرهم، وأبادهم واستأصل شأفتهم وتبعهم في أماكن تواجدهم في الجبال والوديان.

٢ ـ محمد بن تومرت ولد عام ٤٨٥ هجري وتوفي عام ٥٢٤ هجري... رجل منافق كذاب، ادَّعى زوراً وبهتاناً أنه المهدي المنتظر، وكان رجلاً ظالماً متغلباً، كان يُودع طائفة من أصحابه القبور ويأمرهم بأن يخبروا الناس أنه المهدي، ليوهم الناس بأن الموتى تتكلم وليثبت في عقولهم أنه المهدي، وبعدها وقبل أن يخرجوا من قبورهم يردم عليهم في الليل وهم أحياء حتى لا يكشف أمره[1].

٣ ـ مهدي الفرقة الكيسانية، وهم يزعمون أن المهدي هو محمد بن الحنفية وأنه حي مقيم بجبل رضوى وأنه بين أسدين يحفظانه، وعنده عينان نضَّاختان تجريان بماء وعسل، فزعموا أنه دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر، قالوا

---

(١) كتبه فضيلة الشيخ (حمود بن عبد الله بن حمد التويجري) نشرته إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية.

وهم أحياء يرزقون ويقولون: إنه يعود بعد الغَيبة، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[(١)]، قالوا: وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان وقيل إلى يزيد بن معاوية[(٢)]، وليس من دليل على هذا الاعتقاد لا في كتاب اللّٰه تعالى ولا في سنة رسول اللّٰه ﷺ.

ما قيل في المهدي وذكر
في بعض الكتب وليس له دليل أو مرجِع

صحيح....

... قلت في بداية الحديث عن ظهور المهدي أنه زاد الكلام فيه واختلط بين الصحيح وغير الصحيح... وقلنا: إن ما صح عن ظهور المهدي وسيرته هو ما صح من الحديث الصحيح والذي اعترفت الأمة به عن طريق رواة الحديث الثقات والمعترف بهم... ومع ذلك تداخلت القصص والروايات غير الصحيحة في سيرة وظهور المهدي، نورد بعضها للتحقيق العلمي، وليعرف القارئ أن مثل هذه الأقوال التي لا تستند إلى سند صحيح من حديث صحيح أو راوٍ معترف به من الأمة لا يعتد به ولا يؤخذ به.

ما ورد في كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي رحمهُ اللّٰه... ما يلي:

نموذج أول:

١ ـ (تقدم من حديث أم سلمة وأبي هريرة أن المهدي يبايَع بين

(١) ابن القيم في (المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ١٥٣).
(٢) القيامة الصغرى للدكتور عمر سليمان الأشقر صفحة ٢١٣

الركن والمقام، وظاهر هذا أنه لم يبايع قبل وليس كذلك . . فإنه روي من حديث ابن مسعود وغيره من الصحابة أنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم اللّه الأعظم مكتوب، فلا تهزم له راية، وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له (ما سنة).

من قبل المغرب فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ اللّه لهم ميثاق النصر.

والظفر ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .

[سورة المجادلة، الآية: ٢٢]

الحديث بطوله. . . . وفيه فيأتي الناس من كل حَدَب وصوب، فيبايعونه يومئذٍ بمكة وهو بين الركن والمقام، وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التي بايعه فيها الناس في المغرب، ثم إن المهدي يقول: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو اللّه وعدوكم، فيجيبونه ولا يعصون له أمراً.

فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني وكل من معه من كلب، ثم يتبدد جيشه، ثم يوجد عروة السفياني على أعلى الشجرة على بحيرة طبرية، والخائب من خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو تكبيرة أو بصيحة[١].

(١) يقول محقق كتاب التذكرة والذي قام بتخريج أحاديثه وعلق عليه (الداني بن منير آل زهري) ـ لم أقف على هذا الكلام فيما ين يدي من المراجع، أي ليس لهذا الكلام سند صحيح من الأحاديث الصحيحة والمعترف بها من رواة الحديث.

٢ ـ نموذج ثانٍ:

روي من حديث حذيفة، عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ٣٣]

ثم إن المهدي ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة أنطاكية ـ وهي مدينة عظيمة على البحر ـ فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها من البحر بقدرة اللَّه عز وجل، فيقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال، ويأخذون الأموال، ثم يملك المهدي أنطاكية ويبني فيها المساجد ويعمرها أهل الإسلام ثم يسيرون إلى الرومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب فيفتحون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربعمِائة ألف مقاتل ويفتضون بها سبعين ألف بكر ويفتحون المدائن والحصون ويأخذون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال، ويأتون كنيسة الذهب فيجدون فيها الأموال التي كان المهدي أخذها أول مرة، وهذه الأموال هي التي أودعها ملك الروم قيصر حين غزا بيت المقدس، فوجد فيه هذه الأموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة إلى كنيسة الذهب بأسرها كاملة كما أخذها ما نقص منها شيءٌ، فيأخذ المهدي تلك الأموال فيردها إلى بيت المقدس»، قال حذيفة: قلت: يا رسول اللَّه لقد كان بيت المقدس عند اللَّه عظيماً جسيم الخطر عظيم القدر. فقال رسول اللَّه ﷺ: « **هو من أجل البيوت ابتناه اللَّه لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك أن سليمان بن داود سخر اللَّه له الجن.**

فأتوه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه بالجواهر والياقوت وزمرد

من البحار، يغوصون كما قال اللّه تعالى: ﴿ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾.

[سورة ص، الآية: ٣٧]

فلما أتوه بهذه الأصناف بناه منها فجعل فيه بَلاطاً من ذهب وبلاطاً من فضة وأعمدة من ذهب وأعمدة من فضة، وزينه بالدر والياقوت والزمرد وسخر اللّه تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف قال حذيفة: فقلت: يا رسول اللّه، وكيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول اللّه ﷺ: « إن بني إسرائيل لما عصوا وقتلوا الأنبياء سلط اللّه عليهم بختنصر، وهومن المجوس فكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥]

فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ماكان في بيت المقدس من هذه الأصناف، واحتملوها على سبعين ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل، وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مِائة عام، ثم إن اللّه عز وجل رحمهم فأوحى اللّه إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل يستنقذ ما في أيديهم من بني إسرائيل فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل، فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس، واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في بيت المقدس ورده إليه كما كان أول مرة، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل، وهو قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨]

يعني إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالعقوبة فلمَّا رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلط اللَّه عليهم ملك الروم قيصر، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧]

فغزاهم في البر والبحر فسبقهم قتلهم وأخذ كنيسة الذهب فهو فيها الآن، حتى يأخذه المهدي ويرده إلى بيت المقدس ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك، فعند ذلك يرسل اللَّه عليهم ملك الروم وهو الخامس من آل هرقل» على ما تقدم من تمام الحديث[١]، واللَّه أعلم.

نموذج ثالث:

قلت: لعل فتح المهدي للقسطنطينية يكون لها مرتين، مرة بالقتال ومرة بالتكبير، كما أنه يفتح كنيسة الذهب مرتين، ثم إن المهدي إذا خرج بالمغرب على ما تقدم، جاء إليه أهل الأندلس فيقولون: يا ولي اللَّه، انصر جزيرة الأندلس، فقد تلفت وتلف أهلها وتغلّب عليها أهل الكفر والشرك من أبناء الروم، فيبعث كتبه إلى جميع قبائل المغرب وهم قزولة وخذالة وقذالة وغيرهم من القبائل من أهل المغرب أن انصروا دين اللَّه وشريعة محمد ﷺ، فيأتون إليه من كل مكان ويجيبونه ويقفون عند أمره، ويكون على مقدمته صاحب الخرطوم وهو صاحب الناقة العذراء، وهو صاحب المهدي وناصر دين الإسلام وولي اللَّه حقاً، فعند ذلك يبايعه ثمانون ألف مقاتل بين

---

(١) يقول محقق كتاب التذكرة والذي قام بتخريج أحاديثه وعلق عليه (الداني بن منير آل زهري) ـ لم أقف على هذا الكلام و ظاهره النكارة والله أعلم ـ يعني كلام منكر لا أصل له.

فارس وراجل قد رضي اللّه عنهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٢٢]

فباعوا أنفسهم للّه واللّه ذو الفضل العظيم، فيعبرون البحر حتى ينتهوا إلى حمص الأندلس، وهي إشبيلية، فيصعد المهدي المنبر في المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة فيأتي إليه أهل الأندلس فيبايعه جميع من بها من أهل الإسلام، ثم يخرج بجميع المسلمين متوجهاً إلى بلاد الروم فيفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم يخرجها من أيدي العدو عَنْوة. الحديثَ. . . .

وفيه: ثم إن المهدي ومن معه يصلون إلى كنيسة الذهب فيجدون فيها أموالاً فيأخذها فيقسمها بين الناس بالسوية، ثم يجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى وعصا موسى عليهما السلام، وهي العصا التي هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها، وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من بيت المقدس في جملة السبي حين سبى بيت المقدس، واحتمل جميع ذلك إلى كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن، حتى يأخذها المهدي، فإذا أخذ المسلمون العصا تنازعوا عليها فكل منهم يريد أخذ العصا، فإذا أراد اللّه خذلان أهل الإسلام من الأندلس خذل اللّه رأيهم وسلب ذوي الألباب عقولهم، فيقسمون العصا على أربعة أجزاء فيأخذ كل عسكر منهم جزءاً، وهم يومئذٍ أربعة عساكر، وإذا فعلوا ذلك رفع اللّه عنهم الظفر والنصر ووقع الخلاف في ذلك بينهم. قال كعب الأحبار: ويظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتوا البحر فيبعث اللّه إليهم ملكاً في صورة إبل فيجوز بهم القنطرة التي بناها ذو

القرنين لهذا المعنى خاصة، فيأخذ الناس وراءه حتى يأتوا إلى مدينة فارس والروم وراءهم فلا يزالون كذلك كلما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون كذلك، حتى يأتوا إلى أرض مصر والروم وراءهم، وفي حديث حذيفة ويتملكون مصر إلى الفيوم ثم يرجعون، واللَّه تعالى أعلم[(١)].

ما ورد في كتاب الإشاعة لأشراط الساعة للمؤلف العلامة السيد محمد بن رسول الحسيني البرزنجي:

نموذج أول:

المقام الثالث: في الفتن الواقعة قبل خروج المهدي ولنسقها مساقاً واحداً تقريباً إلى فهم المثقفين العارفين المقصودين بهذه الرسالة وتكميلاً للفائدة فنقول: من الفتن التي قبله أنه ينحسر الفرات عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه، واجتمع ثلاثة كلهم ابن خليفة، يقتلون عنده ثم لا يصير إلى واحد منهم فيقول من عنده واللَّه لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكليته فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مِائة تسعة وتسعون وفي رواية فيقتل تسعة أعشارهم وفي رواية من كل تسعة سبعة فيقول رجل لعلي أكون أنا أنجو. وفي الصحيحين وغيرهما قال ﷺ: «**فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً**» ومنها خروج السفياني والأبقع والأصهب والأعرج الكندي، أما السفياني فعن أمير المؤمنين علي رضي اللَّه عنه أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ويزيد هذا هو أخو معاوية بن أبي سفيان صحابي أسلم مع أبيه وأخيه

---

(١) هكذا ورد هذا الكلام في كتاب التذكرة بلا سند ولا راو ولا دليل ولا حتى إشارة إلى مصدر الكلام وأنباء الغيب لا تصح مطلقاً إلا بسند من كتاب الله تعالى أو حديث صحيح عن رسول الله ﷺ

يوم الفتح مات في خلافة أبي بكر رضي اللَّه عنه، والسفياني من ولده، وهو رجل ضخم الهامة بوجهه آثار الجُدَري، بعينه نكتة بيضاء هكذا ورد في حليته عن علي وأنه يخرج من ناحية مدينة دمشق في واد يقال له وادي اليابس

يؤتى في منامه فيقال له: قم فاخرج فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتى الثاني.

فيقال له مثل ذلك ثم يقال له من الثالثة: قم فاخرج فانظر إلى باب دارك.

فينحدر في الثالثة إلى باب داره فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة معهم لواء، فيقولون: نحن أصحابك، مع رجل منهم لواء معقود لا يعرفون في لوائه إلا النصر، يستفرش يديه على ثلاثين ميلاً لا يرى ذلك العلم أحد إلا انهزم، فيخرج فيهم ويتبعهم ناس من قريات الوادي وبيد السفياني ثلاثة قضبان لا يقرع بها أحداً إلا مات، فيسمع به الناس فيخرج صاحب دمشق فيلقاه ليقاتله فإذا نظر إلى رايته انهزم فيدخل السفياني في ثلثمائة وستين راكباً دمشق، وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفاً من كلب وهم أخواله، وعلامة خروجه أنه يخسف بقرية من قرى دمشق ولعلها حرستا، ويسقط الجانب الغربي من مسجدها ثم يخرج الأبقع والأصهب فيخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر والأصهب من الجزيرة أي جزيرة العرب لا جزيرة ابن عمر فإنها داخلة في جزيرة العرب ويخرج الأعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم، يغلب السفياني على الأبقع والأصهب ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني على قيس فيظهر السفياني على قيس ويحوز ما جمعوا من الأموال ويظهر على الرايات الثلاث.

تنبيه: الأبقع والأصهب والأعرج والمنصور والحارث والمهدي صفات وألقاب لا أسماء لهم فليعلم. ثم يقاتل الترك والروم بقرقيسيا فيظهر عليهم ويفسد في الأرض فتبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، ويهرب رجال من قريش إلى قسطنطينية فيبعث إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع، فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم فيرجع إليهم، ويقتل طائفة منهم فينهزمون حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلبهم كالليل والسيل فلا تمر بشيء إلا أهلكته وهدمته، فيهدم الحصون ويخرب القلاع حتى يدخل الزوراء وهي بغداد، فيقتل من أهلها مِائة ألف ثم يسير إلى الكوفة فيقتل من أهلها ستين ألفاً ويسبي النساء والذراري ويبث جوره في البلاد، فتبلغ عامة المشرق من أرض خراسان، ويطلب أهل خراسان من كل وجه، ويبعث بعثاً إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ﷺ ويقتلون من بني هاشم رجالاً ونساء، ويؤتى بجماعة منهم إلى الكوفة وتفترق بقيتهم في البراري، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض، وفي رواية والمنصور إلى مكة في سبعة نفر ويستخفون هنالك فيرسل صاحب المدينة إلى صاحب مكة إذا قدم عليكم فلان وفلان، يكتب أسماءهم فيعظم ذلك صاحب مكة ثم يتآمرون بينهم فيأتونه ليلاً ويستجيرون به فيقول: اخرجوا آمنين، فيخرجون ثم يبعث إلى رجلين فيقتل أحدهما والآخر ينظر إليه ويقتلون النفس الزكية بين الركن والمقام فعند ذلك يغضب الله ويغضب أهل السموات [١].

---

(١) هذا الكلام لم يذكر له المؤلف أي سند لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ ولم يقل من هو الراوي وإلى أي مصدر استند في هذا القول ومن ظاهر القول أنه منكر.

تنبيه:

ما أوردته من أمثلة ونماذج لبعض الأقوال في ظهور المهدي وسيرته والتي لا سند لها من حديث صحيح وراو يحتج به في بعض الكتب من مثل كتاب (التذكرة) للإمام القرطبي، وكتاب (الإشاعة لأشراط الساعة) لمحمد بن رسول الحسيني البرزنجي وغيرها.

ما أوردته لا يعني أن الكتابين هكذا يوردان قصصاً عن ظهور المهدي وخلافته لا سند لها، بل هما كتابان جيدان وأخص كتاب التذكرة (للقرطبي) فإن ما فيه من العلم يحتج فيه، وهو مرجع للعلماء والباحثين، ولكن ما قصدته بعض الحشو دون التأكد من سند أو راو ليأخذ القارئ حذره من بعض الروايات المحشوة في الكتب والتي لا سند لها... وفي أي موضوع كان فالرواية التي لا سند لها لا يعتد بها ولا يؤخذ بها... وما قصدت التشكيك وإنما التحقيق والله من وراء القصد.

مختصر لظهور المهدي وخروجه وحكمه وموته

الصحيح من الروايات المعتمدة أن ظهور المهدي وخروجه يكون من الشرق لا من سرداب سامراء ولا من الأندلس ولا من المغرب، فليس من دليل صحيح إلى أي مكان سوى خروجه من الشرق، يؤيد بناس من أهل المشرق تكون راياتهم سوداً على شبه رايات رسول الله ﷺ إذ كانت راياته ﷺ سوداً يقال لها العقاب، ثم يأتي البيت الحرام (الكعبة) ويبايع عندها.

- عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي** »[(١)].

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. انظر كتاب الملاحم والفتن (٤/ ٥٠٢)

فإذا تمت مبايعته ويصبح الخليفة، وبعدله وقسطه يرضى عنه ساكن الأرض والسماء، فإن الناس في ذلك الزمان يكونون بأمس الحاجة إلى خليفة عادل مُقسط لكثرة الظلم والجور الذي عانوه وكابدوه قبل المهدي. . . ويزيد الخير ويعظم في حياته وتخرج الأرض بأمر اللَّه خيراتها، ويزداد المال زيادة عظيمة ويعطى للناس صحاحاً كثيرة. . . . ويعيش المهدي بين الناس سبعاً أو ثمانياً من السنين.

١ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه اللَّه الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً**»[١].

ومن الأحداث التي تطرأ في حياة المهدي بعد ظهوره أنه يلتجئ عائذاً بالبيت، فيؤمه جيش من الشام يريد الوقيعة به، ولا بدَّ أن هذا الجيش ائتمر بحاكم بلاد الشام لما سمع بالمهدي ومبايعة الناس له فأراد القضاء عليه، وعندما يصل الجيش ببيداء بين مكة والمدينة يخسف اللَّه سبحانه الأرض بهذا الجيش أوله وآخره ولا يبقى منه إلا القليل، ليخبروا الناس بما حدث، وخسف الأرض إنما هو كرامة للمهدي ونصرة له.

ـ عن أم سلمة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ قال «**يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه**

(١) رواه الحاكم في المستدرك وقال حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي(٤/ ٥٥٧)

بعث من الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب[1]، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض[2] فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[3].

... فعلى ما يبدو أن المهدي كان في المدينة مطارداً من خليفة ذلك الزمان أو حاكمهم، فعندما يموت هذا الخليفة يخرج المهدي من المدينة إلى مكة عائذاً أو هارباً، فيأتي إليه خلق كثيرون يبايعونه عند الكعبة خليفة ليتخلصوا من خليفة ذلك الزمان والذي اشتد الظلم والجور في خلافته، وذلك أن المهدي يخرج ويظهر ليحقق العدل والقسط بين الناس فيبعث له خليفة الشام جيشاً كبيراً لاعتقاله أو قتله، فعندما يصل الجيش إلى بيداء بين المدينة ومكة يخسف اللّه بهذا الجيش تأييداً للمهدي، وحتى يصبح هو الخليفة، وليحقق كما أراد اللّه العدل بعد الظلم ويأمر اللّه الأرض فتخرج نباتها فيعم الخير وتكثر المواشي ويزداد المال والمهدي يقسمه بين الناس بالعدل فيرضى عنه الجميع.

.... ثم ينزل عيسى عليه السلام في زمانه كما تقدم، ويقدمه للصلاة فلا يرضى، وكذلك يخرج الدجال، والمهدي وجيشه مشغولون بفتح رومية والقسطنطينية، ويتعاون عيسى عليه السلام والمهدي في قتل الدجال وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً في الحديث عن نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال.

---

(١) كلب أي بنو كلب وهم قبيلة مشهورة جداً من قبائل العرب.

(٢) بجرانه إلى الأرض: كناية عن ثباته وانتشاره في الأرض.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المهدي انظر مختصر سنن أبي داود للخطابي (٦/ ١٦١) رقم الحديث ٤١١٧.

. . . ومدة حكم المهدي قليلة لا تتجاوز بضع سنين يحكم سبعاً أو ثمانياً من السنين ثم يموت المهدي ويحكم عيسى ابن مريم عليه السلام.

تنبيه: من الباحثين من يعتبر أن خروج المهدي وحكمه من علامات الساعة الكبرى، ومنهم من يعتبر أن خروجه وحكمه ليس من العلامات الكبرى لأنه ليس مشمولاً في الحديث الصحيح عن الرسول اللّه ﷺ عندما ذكر الآيات العشر الكبرى لقيام الساعة، وأرى أنه من العلامات الكبرى لوقوع ظهوره وخروجه وحكمه في وسط الأحداث والعلامات الكبرى كما قلنا سابقاً، ومنها نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال واشتراك المهدي مع عيسى عليه السلام في قتله.

العلامة الثانية

الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية

. . . . لا نستطيع أن نبدأ الحديث عن الآيات العشر الكبرى قبل الحديث عن الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية. . . تماماً كما أننا لم نستطع أن نتحدث عن الآيات العشر الكبرى قبل الحديث عن ظهور المهدي وخلافته. . . لأن كليهما ظهورَ المهدي والملحمة الكبرى ليسا من العلامات الصغرى والوسطى. . . فإذا كان رسول اللَّه ﷺ لم يذكرهما في الحديث الشريف، الذي ذكر فيه الآيات العشر، والتي هي الدخان ـ الدجال ـ الدابة ـ طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ـ يأجوج ومأجوج ـ وثلاثة خسوفات وآخر ذلك نار تخرج من أرض عدن (اليمن) تسوق الناس إلى أرض المحشر، فإن ظهور المهدي والملحمة الكبرى يكونان مع أولى الآيات وهي خروج الدجال ـ ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وتشترك معهما في الأحداث

. . . فالملحمة الكبرى وفتح قسطنطينية يقودهما المهدي كما في الأحاديث الصحيحة، وفي زمن خلافته ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، وفي زمنهما يخرج الدجال الذي يعيث في الأرض فساداً ويتعاونان معاً في طلب الدجال فيقتله عيسى عليه السلام على باب لُدٍّ في فلسطين.

. . . وكما قدمنا عن المهدي وظهوره وخلافته وحكمه وعدله. . . . فإن بقية الحديث هو عن الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ

« لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بأعماق أو بدابق[١] فيخرج لهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبوا منَّا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبداً، ويقتل ثلث أفضل الشهداء عند اللَّه[٢] ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتتحون القسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم[٣] بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح (الدجال) قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج[٤] فبينماهم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمَّهم، فإذا رآه عدو اللَّه[٥] ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله اللَّه بيده فيريهم دمه في حربته »[٦].

وقد تحدث رسول اللَّه ﷺ في حديث آخر على عظيم تلك المعركة وما يحدث فيها من أهوال جسام، وعن استبسال المسلمين

---

(١) موقعان في بلاد الشام قرب حلب

(٢) هذا الفتح غير الفتح الذي تم على يد محمد الفاتح وسيتم التعليق على هذا الأمر وتوضيح ما التبس منه

(٣) سيوفهم كناية عن الأسلحة أياً كان نوعها وسيتم التعليق على هذا الأمر.

(٤) خرج: أي المسيح الدجال.

(٥) عدو الله (الدجال)

(٦) رواه مسلم في كتاب الفتن، باب فتح القسطنطينية (٤/٢٢٢١) رقم الحديث (٢٨٩٧)

يومئذ في فتح القسطنطينية والنصر على الروم، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا أبداً، وكأن اللّه سبحانه أراد أن ينهي هذه الدنيا حيث يكون النصر للمسلمين على قلتهم... وقد وصف اللّه سبحانه أمثال هؤلاء المقاتلين الذين يدفعون أرواحهم في سبيل اللّه دفعاً دون وهن ولا ضعف ولا استكانة قال تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٦]

وقد صح عن رسول اللّه ﷺ عن المستورد رضي اللّه عنه « **تقوم الساعة والروم أكثر الناس** » .

[رواه مسلم وأحمد في مسنده]

عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه ﷺ : « **إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم الميراث، ولا يفرح بغنيمة، (ثم قال بيده هكذا نحاها نحو الشام)، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني، قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال رَدّة شديدة، فيشترط المسلمون شُرْطة الموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشُرْطة، ثم يشترط المسلمون شُرْطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب: وتفنى الشُرْطة، فإذا كان اليوم الرابع نَهَد لهم بقية أهل الإسلام، فيعجل اللّه الدَّبِرة عليهم، فيقتلون مقتلة ـ إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم يُرَ مثلها ـ حتى إن الطائر ليمر، بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخّر ميتا، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة، فلا يجد بقي منه إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث**

يقاسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ، إن الدجال قد خَلَفَهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»(١) .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال نبي ﷺ: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر**(٢) **قالوا: نعم يا رسول اللَّه، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق**(٣) **فإذا جاؤوا نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر فيسقط أحد جانبيها**» .

قال ثور بن زايد الدليلي: لا أعلمه إلا قال: «**الذي في البحر، ثم يقول الثانية لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقول الثالثة: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون**»(٤) .

مما يؤكد هذا وأن المسلمين ينتصرون انتصاراً عظيماً على الروم ويفتحون بعون اللَّه القسطنطينية، أحاديث شريفة متعددة:

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن (٤/ ٢٢٢٣) رقم الحديث ٢٨٩٩.

(٢) هذا الوصف ينطبق على مدينتين الأولى (القسطنطينية) والثانية (البندقية) أو التي تسمى اليوم فينيسيا في إيطاليا وبما أن الرسول الله ﷺ لم يسم اسم المدينة فالاحتمال واقع لكليهما وإن كان الأقرب من خلال غيره من الأحاديث أن المدينة هي القسطنطينية.

(٣) بني إسحاق ربما أنهم من المسلمين ولكن من غير العرب كما فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح أول مرة على أيدي مسلمين غير عرب.

(٤) رواه مسلم كتاب الفتن (٤/ ٢٢٣٨) رقم الحديث ٢٩٢٠.

ـ عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»[1].

ومعقل المسلمين يومئذ دمشق فهي مجمع الجيش الإسلامي للملحمة الكبرى يومئذ وهم خير جيش على ظهر الأرض آنذاك، ينصرهم اللَّه نصراً عزيزاً على الروم.

ـ عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة في أرض الغوطة في مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام**»[2].

وقد بين رسول اللَّه ﷺ أن بين الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية ست سنوات ويخرج الدجال في السابعة.

ـ عن عبد اللَّه بن بُسر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة**»[3].

. . . ولقد وجدت في رواية نعيم بن حَمّاد عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه تفصيلاً واضحا لواقع الملحمة الكبرى تؤيد حديثيْ مسلم.

فأحببت أن أذكرها وإن كانت طويلة بعض الشيء ولكنها تجعل في الفكر فُسحةً للمعرفة وإدراكاً لواقعِ الملحمة الكبرى.

يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح حتى يقتلوا معهم عدوهم، فيقاسموهم غنائمهم، ثم إن الروم يغزون مع المسلمين

(١) رواه أبو داود والإمام أحمد مختصر سنن أبي داود رقم الحديث ١٤٢٦ للخطابي.
(٢) رواه أبو داود بسند صحيح مختصر سنن أبي داود رقم الحديث ٤١٣٠.
(٣) رواه أبو داود مختصر سنن أبي داود رقم الحديث ٤١٢٨.

فارس فيقتلون مقاتليهم ويسبون ذراريهم، فتقول الروم قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم، فيقاسمونهم الأموال وذراري الشرك، فتقول الروم: قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم فيقولون: لا نقاسمكم ذراري المسلمين أبداً، فيقولون: غدرتم بنا، فترجع الروم إلى صاحب القسطنطينية فيقولون: إن العرب غدرت ونحن أكثر منهم عدداً وأتم منهم عُدة وأشد منهم قوة فأمددنا نقاتلْهم، فيقول: ما كنت لأغدر بهم وقد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا، فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً في البحر ويقول لهم أصحابهم: إذا أرسيتم بسواحل الشام فأحرقوا المراكب لتقاتلوا عن أنفسكم، فيفعلون ذلك ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها ما خلا مدينة الشام والمعتق ويخربون بيت المقدس، قال ابن مسعود فقلت كم تسع دمشق من المسلمين؟ فقال النبي ﷺ «**والذي نفسي بيده لتتسعن على من يأتيها من المسلمين كما يتسع الرحم على الولد، قلت: وما المعتق يا نبي اللَّه؟ قال: جبل بأرض الشام من حمص على نهر يقال له الأريط فيكون ذراري المسلمين في أعلى المعتق والمسلمون على نهر الأريط يقاتلونهم صباحاً ومساء، فإذا أبصر صاحب القسطنطينية ذلك وجه في البر إلى قنسرين ثلثمِائة ألف حتى تجيئهم مادة اليمن ألف اللَّه بين قلوبهم بالإيمان، معه أربعون ألفاًمن حمير حتى يأتوا بيت المقدس فيقاتلوا الروم فيهزموهم ويخرجوهم من جند إلى جند حتى يأتوا قنسرين وتجيئهم مادة الموالي، قلت: وما مادة الموالي يا رسول اللَّه؟ قال: هم عتاقتكم وهم منكم قوم يجيشون من قبل فارس، فيقولون تعصبتم يا معشر العرب لا يكون معكم أحد من الفريقين تجتمع من كلمتكم نزار يوماً والموالي يوماً، فيخرجون إلى المعتق وينزل**

المسلمون على نهر يقال له كذا وكذا يعزى والمشركون على نهر يقال له الرقبة وهو النهر الأسود، فيقاتلونهم فيرفع اللَّه نصره عن العسكرين وينزل الصبر عليهما حتى يقتل من المسلمين الثلث ويفر الثلث ويبقى الثلث، فأما الذين يقتلون فشهيدهم كشهيد عشرة من شهداء بدر ويشفع الواحد من شهداء بدر بسبعين شهيداً ويفترقون ثلاثة أثلاث ثلث يلحقون بالروم ويقولون لو كان اللَّه بهذا الدين من حاجة لنصرهم، ويقول ثلث وهم ثلث مسلمة العرب مروا لا ينالنا الروم أبداً مروا بنا إلى البدو وهم الأعراب سيروا بنا إلى العراق واليمن والحجاز حيث لا يغاث الروم، وأما الثلث فيمشي بعضهم إلى بعض فيقولون اللَّه اللَّه فدعوا عنكم العصبية ولتجتمع كلمتكم وقاتلوا عدوكم فإنكم لن تنصروا ما تعصبتم فيجتمعون جميعاً يتبايعون على أن يقاتلوا حتى يلحقوا بإخوانهم الذين قتلوا فإذا أبصر الروم إلى من تحول إليهم ومن قتل، ورأوا قلة المسلمين قام رومي بين الصفين ومعه بند في أعلاه صليب فينادي غلب الصليب فيقوم رجل من المسلمين بين الصفين ومعه بند وينادي بل غلب أنصار اللَّه بل غلب أنصار اللَّه وأولياؤه، فغضب اللَّه على الذين كفروا من قولهم غلب الصليب فينزل جبريل في مِائتي ألف من الملائكة ويقول اللَّه: يا ميكائيل أغث عبادي فينزل ميكائيل في مائتي ألف من الملائكة وينزل اللَّه نصره على المؤمنين وينزل بأسه على الكافرين فيقتلون ويهزمون ويسير المسلمون في أرض الروم حتى يأتوا عموراً وعلى سورها خلق كثيرون يقولون ما رأينا شيئاً أكثر من الروم كم قتلنا وهرقنا دم أكثرهم في هذه المدينة فيقولون: آمنونا على أن نؤدي إليكم الجزية فيأخذون الأمان لهم وتجتمع الروم على أداء الجزية، وتجتمع إليهم أطرافهم فيقولون يا معشر العرب إن الدجال قد خالفكم إلى ذراريكم، والخبر باطل فمن

كان فيهم منكم فلا يلقين شيئاً مما معه، فإنه قوة لكم على ما بقي، فيخرجون فيجدون الخبر باطلاً وتثب الروم على من بقي في بلادهم من العرب فيقتلونهم، حتى لا يبقى بأرض الروم عربي ولا عربية ولا ولد عربي إلا قتل، فيبلغ ذلك المسلمين فيرجعون غضباً للَّه فيقتلون مقاتلهم ويسبون ذراريهم، ويجمعون الأموال ولا ينزلون على مدينة ولا حصن فوق ثلاثة أيام حتى يفتح لهم، وينزلون على الخليج حتى يفيض فيصبح أهل القسطنطينية فيقولون الصليب مد لنا بحرنا والمسيح ناصرنا، فيصبحون والخليج يابس فتضرب فيه الأخبية ويحبس البحر عن القسطنطينية، فيقولون الصليب مد لنا، ويحيط المسلمون بمدينة الكفر ليلة الجمعة بالتحميد والتكبير والتهليل إلى الصباح ليس فيهم نائم ولا جالس، فإذا طلع الفجر كبر المسلمون تكبيرة واحدة فيسقط ما بين البرجين، فيقول الروم كنا نقتل العرب فالآن نقاتل ربنا وقد هدم لهم مدينتنا وخربها لهم، فيملأون أيديهم ويكيلون الذهب بالأترسة ويقتسمون الذراري حتى يبلغ سهم الرجل ثلثمِائة عذراء، ويتمتعون بما في أيديهم ما شاء اللَّه ثم يخرج الدجال حقاً، ويفتح اللَّه القسطنطينية على يدي أقوام هم أولياء اللَّه، يرفع اللَّه عنهم الموت والمرض والسقم حتى ينزل عليهم عيسى ابن مريم فيقاتلوا معه الدجال»(١).

تنبيه وتعليق

القارئ قد يكون في حيرة من أمره عن فتح القسطنطينية آخر الزمان وقبل قيام الساعة.. ويعلم اليوم ويشاهد أن هذه المدينة مدينة إسلامية فتحها محمد الفاتح، وبقيت عاصمة الأمبراطورية العثمانية

(١) أورد هذا الحديث بطوله السيوطي في الجامع الكبير.

زهاء ما يزيد على أربعمِائة عام أو قل عاصمة المسلمين جميعاً ومنها كانت تُجيّش الجيوش لغزو الروم في أوروبا. . . وفي القسطنطينية اليوم ما يزيد عن ستة ملايين مسلم ومن ثم لماذا لا يكون الفتح الذي كان على يد محمد الفاتح هو الفتحَ المقصود بأحاديث رسول اللّه ﷺ وللجواب على هذه التساؤلات نقول وباللّه العون:

١ ـ أشراط الساعة وقيام الساعة ويوم القيامة كلها من الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به، ولا دخْل للعلم فيها مطلقاً، حتى يستطيع أن يمحصها ويخرج الصحيح منها من غير الصحيح.

٢ ـ تغير الأحوال بتغير الزمان واقع لا محالة تشهده القرون الماضية وتاريخ الأمم والشعوب.

٣ ـ نحن لا نعلم كم بقي لقيام الساعة من الزمن ولا ندري على طول هذا الزمن كم تتغير الأحوال وتنقلب الموازين ودوام الحال من المحال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٠]

٤ ـ لا يشترط أن ينقلب الناس بالقسطنطينية إلى نصارى وروم ثم يأتي المسلمون يوم الملحمة الكبرى ويفتحوها على أنها مدينة هي وأهلها عدو للمسلمين، فقد يكون أهلها مغلوبين على أمرهم، وهم تحت الاحتلال من نصارى ذلك الزمان كما كانت الجمهوريات المسلمة في الاتحاد السوفييتي السابق تحت السيطرة والاحتلال الروسي، والمسلمون في تلك البلاد لا حول لهم ولا قوة، ولم يكن أحد في تلك الجمهوريات المسلمة يظهر إسلامه وطاعته وعبادته خوفاً من القتل والموت وهذا كان على مدى أكثر من سبعين عاماً.

٥ ـ الأندلس (أسبانيا اليوم) وقعت في أيدي المسلمين وبقي الحكم الإسلامي فيها ما يزيد عن ثمانمائة عام، وبعد كل هذه القرون تعود البلاد إلى النصرانية ولم يعد للمسلمين في تلك البلاد وحتى هذه الساعة أي وجودٍ أو فاعلية.

٦ ـ أما قتال المسلمين والروم بالسيوف والرماح وعلى ظهور الخيل وما أشبه كما كان في العصور الماضية، ونحن نشاهد اليوم هذه الحضارة العظيمة وهذا السلاح الفتاك والطائرات والصواريخ وما أشبه ذلك.. فهنا نقول أيضاً: يقع تغير الحال بتغير الأزمان.. فهل تدوم هذه الحضارة إلى ظهور العلامات الكبرى وقيام الساعة أم تنتهي هذه الحضارة بانتهاء مسبباتها، وهي البترول مثلاً أو يقع خطأ نووي تكون نتائجه مرعبة على سكان هذه الأرض، أو تقع حرب نووية كونية تقضي على أكثر الحياة على هذه الأرض، وعلى جميع أشكال الحضارة، ويعود ما بقي من سكانها إلى الحياة القديمة واستعمال الأدوات البدائية واستعمال الحيوانات في النقل والسفر والحروب... وكل هذا محتمل الوقوع، وإن كنت استبعد وقوع حرب كونية مدمرة بواسطة الأسلحة النووية لأنه باعتقادي أن اللّه سبحانه لن يسمح بتدمير هذه الحياة التي أوجدها على هذه الأرض بإرادة البشر، إنما بإرادته هو فهو الخالق ويفعل ما يريد ـ وهنالك عشرات الاحتمالات لأن تتحول الحياة على الأرض إلى حياة بدائية أو عادية غير تكنولوجية، منها مثلاً ارتطام مذنب أو نيزك في الأرض فيقضي على أكثر الحياة ـ وعلماء الفلك يقولون إن نيزكاً بطول كيلومتر واحد وبعرض كيلومتر واحد إذا ارتطم بالأرض يعدل العشرات من القنابل النووية ويكفي للقضاء على حياة جزء كبير من الأرض. وأخيراً أقول إن جميع

علامات الساعة الكبرى ستقوم وتظهر في يوم يختلف تماماً عن حياتنا اليوم، وهذا معلوم بالضرورة وظاهر من خلال الأحاديث الشريفة وكذلك في إشارات من الآيات القرآنية الكريمة، وعلينا أن نؤمن بما جاء به القرآن الكريم لأنه من صُلب العقيدة، وكذلك ما جاء به رسول اللَّه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وأولاً وأخيراً العلم عند خالق السموات والأرض الذي عنده علم الغيب وعلم الساعة.

تنبيه: في سياق سرد الآيات العشر الكبرى وأولها ظهور الأعور الدجال.. قد نضطر إلى تكرار بعض الأحاديث الشريفة لضرورة الموقف ولتشابك الأحداث وتتابعها كما قدمنا من قبل، وكذلك لاشتراك أكثر من آية من الآيات الكبرى في حديث واحد لرسول اللَّه ﷺ فنضطر لإعادته.

العلامة الثالثة

ظهور الأعور الدجال

. . . لا بد أن استفتح الحديث عن الأعور الدجال وفي تسميته (بالمسيح الدجال) بحديث رسول اللّه ﷺ لأهمية الحديث ولعظيم معناه.

عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»[١].

. . . نحن نعلم جميعاً أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وقد قدمت في أول الموسوعة أن اللّه سبحانه خلق البشر على الأرض ليبتليهم في إيمانهم وعملهم، وهذا الامتحان واقع في الفرد كما هو واقع في الأسرة والمجتمع كله وفي أي بقعة من الأرض.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

وهذا البلاء يعلو ويدنو يكبر ويصغر وينقص ويزداد طوال فترة حياة الإنسان والمجتمع كله وهذه حال باقية إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ويقول تعالى:

﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب مختصر مسلم رقم الحديث (٢٠٥٨)

فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآيات: ١ ـ ٣]

وبعلم اللّه وإرادته يزداد هذا البلاء وخاصة في هذه الأمة كلما قربت الدنيا إلى الزوال وإلى قيام الساعة، ولقد قدمت عن هذه الفتن وهذا البلاء العظيم الذي يصيب الأمة عندما تحدثنا عن علامات الساعة الصغرى والوسطى حتى يصل الحال أن يمسي المؤمن كافراً ويصبح مؤمناً ثم يمسي كافراً من عظيم الفتن والخطوب، فيتمنى الإنسان يومئذ الموت ويذهب إلى القبر ويتقلب عليه ويقول يا ليتني مكانك. . . ومع ذلك فإن كل ما قدمت عن الفتن والبلايا والخطوب التي تصيب الناس لا تعدل شيئاً مقابلة بفتنة الأعور الدجال كما قدمت في الحديث الشريف «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**».

أي ليس من فتنة عظيمة تصيب الخلق أو أصابتهم منذ خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة كما يصاب الناس من فتنة الأعور الدجال. . . . ولفتنته العظيمة أعلمنا رسول اللّه ﷺ أنه ما من نبي أرسله اللّه سبحانه إلا وأنذر قومه الأعور الدجال.

ـ عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال: رسول اللّه ﷺ: «**ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب كافر**»[١].

فمن هو الأعور الدجال؟

ولماذا كل هذا التحذير والتنبيه منه؟

(١) رواه البخاري ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ١٨٣٦

ولماذا هو أكبر فتنة على وجه الأرض يصيب اللّه سبحانه عباده بها؟

ولماذا سمي الدجال؟ وما هي أوصافه؟ وما هي قدراته؟

وهل يقع جميع الناس في فتنته؟

وما موقف المؤمنين الصادقين منه؟

ولماذا كثر وصف عينه بالعوراء؟ وأن ما بين عينيه مكتوب كافر لا يقرأها إلا المؤمن؟

. . . . الأعور الدجال لم يذكر صراحة في القرآن الكريم كما ذكرت بعض علامات الساعة الكبرى كالدخان ـ والدابة ـ ويأجوج ومأجوج. . . ولكن في كتاب اللّه تعالى آية يتحدث اللّه سبحانه عن آياته التي تأتي قبل قيام الساعة، وهي من العلامات الكبرى ويمكن أن نعتبر من هذه الآيات ـ الأعور الدجال ـ كآيته في شروق الشمس من المغرب. . . يمكن أن نقول ولكن لا نجزم، فاللّه سبحانه أعلم بمراده من الآية القرآنية الكريمة.

يقول تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٨]

وفي رأي بعض العلماء أن الدجال ذكر في هذه الآية الكريمة للحديث الشريف:

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ـ الدجال ـ والدابة ـ وطلوع الشمس**» .

[رواه الترمذي وصححه]

فالآية الكريمة تشير حتماً إلى الفترة الواقعة قبل قيام الساعة، وكل مفرداتها وكلماتها تشير إلى هذا الأمر... لأن كل الآيات التي يرسلها اللّه سبحانه للبشر في الحياة الدنيا قبل ظهور علامات الساعة الكبرى من أجل أن يعودوا ويرجعوا ويتوبوا إلى اللّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٤٨]

فاللّه سبحانه يرينا آياته في الدنيا ويأخذ بعضنا بالعذاب كما في الآية لعلنا نرجع ونتوب إلى اللّه سبحانه... أما إذا جاء وعد الآخرة فتبدأ بعض آيات ربك بالظهور، وهي فتنة عظيمة وبلاء مبين، ولكن تختلف عن آيات الحياة الدنيا دار الابتلاء والامتحان، أنها إذا جاءت فليس من أجل أن يرجع الناس إلى اللّه تعالى ولكنها آيات الدلالة على قرب قيام الساعة وتحقيق ما وعد اللّه سبحانه.

الأعور الدجال في اللغة

الدجال في اللغة يطلق على عدة وجوه:

١ ـ الكذاب.

٢ ـ الدجال مأخوذ من الدجل.

٣ ـ سمي دجالاً لضربه نواحي الأرض وقطعه لها إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة.

٤ ـ والدجال مأخوذ من التغطية.

٥ ـ وقالوا المموِّه الذي يموه الأشياء ويطليها بالكذب والدجل.

صفات الأعور الدجال

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بينما أنا نائم أطوف بالبيت**» فذكر أنه رأى عيسى ابن مريم عليه السلام ثم رأى الدجال فوصفه فقال: «**فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عِنَبة طافية، أقرب الناس به شبهاً ابن قَطَن رجل من خزاَعة**»[(١)].

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير، أفحج جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا حجراء، فإن ألبس عليكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[(٢)].

الأفحج = عيب في الخلقة يؤدي إما إلى اعوجاج في الساقين أو تباعد في الفخذين.

مطموس العين = ممسوحها ـ الحجراء = الغائرة. عن ابن عباس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدجال أعور هجان أزهر، كأن رأسه أَصَلة أشبه الناس بعبد العزى بن قطن فما هَلَكَ الهُلَّك، فإن ربكم ليس بأعور**»[(٣)].

الهجَّان: الأبيض بمعناه الأزهر. . وهذا لا ينافي كونه أحمر فإن الأبيض يشرب بالحمرة فيوصف بهذا وهذا الأحمر: الذي لونه لون الحمار الأحمر أي الأبيض.

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب الفتن باب ذكر الدجال فتح الباري (١٣/ ٩٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده وأبي داود في سننه وجاء في صحيح الجامع الصغير برقم ٢٤٥٥.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد في مسنده ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (١١٩٣).

أصَلةٌ: هي الحية العظيمة الكبيرة والضخمة.

هلك الهلك: أي يهلك بسببه كثير من الخلق الجهلة الضالين.

أهم صفاته أنه أعور

ما ذكر رسول اللَّه ﷺ: الدجال إلا وذكر عوره، فقد ركز رسول اللَّه ﷺ على هذه الصفة كثيراً، وذلك لأن الدجال مهما حاول أن يخفي عيوبه إلا أنه لا يستطيع أن يخفيَ عيب عَوَره، فالعينان دائماً ظاهرتان للعِيان ولكل الناس، فالأحاديث الشريفة الثلاثة التي ذكرت أبرزت عيوب عينيه، وقد جاء في بعض الأحاديث أن العين العوراء هي اليمنى وجاء في بعضها الآخر أنها اليسرى وكونها اليمنى أرجحَ واللَّه أعلم، فأحاديث عور اليمنى مما اتفق عليه البخاري ومسلم..

ولقد شبه رسول اللَّه ﷺ عينه (بالعنبة الطافئة) وفي وصف آخر بأنها (جاحظة لا تخفى على أحد كأنها نخاعة في حائط مجصص).

ـ عن عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ عن الدجال: « **أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافئة**»[(١)].

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال عن الدجال « **وعينه اليمنى لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري**»[(٢)].

وقد وصف لنا رسول اللَّه ﷺ عينه التي يرى فيها فقال: « **الدجال عينه خضراء كالزجاجة**»[(٣)].

والنووي رحمه اللَّه حقق الروايات تحقيقاً في توجيه آخر حيث

---

(١) رواه البخاري ومسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٤/ ٢٢٤٧)

(٢) رواه أحمد في مسنده فتح الباري (١٣/ ٩٨)

(٣) رواه أحمد في مسنده. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١٨٦٣)

قال: إن جميع الروايات التي وصفت عينيه كلتيهما بالعور صحيحة، فالعور معناه في اللغة: العيب وعينا الدجال كلتاهما مَعيبتان ـ فعيناه على ما حققه النووي إحداهما لا يرى بها لذهاب نورها، وهي ممسوحة غير ناتئة ولا غائرة ـ والأخرى لم يذهب نورها ولكنها معيبة بعيب آخر، وهو ظهورها وبروزها ـ وقد جاء عند مسلم: أن العين التي ذهب ضوؤها وهي الممسوحة عليها ظَفَرة غليظة ـ والظفرة الغليظة جلدة تغشى البصر، وقال الأصمعي في معناها: لحمة تنبت عند المآقي.

ومن أهم صفاته أنه مكتوب بين عينيه كافر:

هذه العلامة للأعور الدجال هي مخصوصة للمؤمنين دون غيرهم من الناس الكافرين والفاسقين، وممن طمس اللّه سبحانه بصائرهم وأعمى قلوبهم، والذين يتهافتون عليه طمعاً في الدنيا كما تتهافت الأكلة إلى قصعتها.

ـ عن أبي أمامة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ في صفة الدجال: «**مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب**»[١].

ـ عن أبي أمامة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ في صفة الدجال[٢]: «**مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن**».

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما بعث نبي**

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه والحاكم في المستدرك وفي صحيح ابن خزيمة صحيح الجامع برقم ٧٧٥٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر ابن الصياد (٤/ ٢٢٤٥).

إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر»[١].

ومن صفاته أنه عقيم لا عقب له وأنه بشر يأكل ويشرب.

أخبر رسول اللَّه ﷺ أن الدجال: «**عقيم لا يولد له**»[٢] وكذلك فهو بشر.

عاجز على الرغم مما يجري على يديه، يأكل ويشرب وينام ويتبول ويتغوط، ومن كانت هذه صفاتِه فكيف يكون إلهاً ورباً للكائنات كما ادّعى؟!!

وقت خروجه:

وقت خروجه كما دلت جميع الأحاديث والروايات الصحيحة هو بعد فتح القسطنطينية، أي بين ظهور المهدي ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب، حضور الملحمة، حضور الملحمة وفتح القسطنطينية.. خروج الدجال»**[٣].

ولقد روى أبو داود في سننه أن القسطنطينية تفتح بعد ست سنوات من المعركة الكبرى بين المسلمين والروم، وأن الدجال يخرج في السنة السابعة.

عن عبد اللَّه بن بسر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بين الملحمة فتح المدينة ـ أي القسطنطينية ـ ست سنين ويخرج المسيح الدجال في السابعة**»[٤].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال فتح الباري (١٣/ ٩٠).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٤٢ ـ ٢٢٤٣).

(٣) رواه أحمد والحاكم وابن أبي شيبة.

(٤) رواه أبو داود في الملاحم رقم الحديث ٤١٢٨.

مكان خروجه:

المكان الذي لا خلاف فيه بين الروايات أنه يخرج من المشرق، واختلفت روايتان، رواية تقول: أنه يخرج من (خُراسان) ورواية تقول: إنه يخرج من (أصفهان) وأصفهان هذه في إيران وتعرف اليوم (بشهر ستان).

عن ابي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يخرج الأعور الدجال مسيح الضلالة قبل المشرق في زمن اختلاف الناس، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام، ثم يأتي المدينة ومكة فتمنعه الملائكة، ثم يذهب إلى فلسطين حيث يقتله عيسى ابن مريم عليه السلام في مدينة اللّد في فلسطين**»(١).

عن أبي بكر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان**»(٢).

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**الدجال يخرج من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود**»(٣).

تسميته بالمسيح الدجال:

يقول ابن الأثير «**سمي الدجال مسيحاً لأن عينه الواحدة ممسوحة والمسيح: الذي أحد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب. . . . بخلاف المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فهو فعيل بمعنى فاعل، سمي به لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن اللّه، والدجال الكذاب سمي دجالاً. . . كما يقول ابن حجر لأنه يُغطّي الحق بباطله.**

---

(١) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (٧٣٤٩).

(٢) رواه الترمذي مجمع الزوائد رقم الحديث ٩٩٤٥

(٣) رواه مسلم ـ مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٥٤

مدة مكثه في الأرض:

من فضل اللَّه تعالى أنه لا تطول مدة مكثه في الأرض، وهو على قصر مدته إلا أنه فتنة ما عرفت البشرية مثلها في تاريخ حياتها، ويسقط خلق كثيرون في هذه الفتنة ويخسرون في هذا الابتلاء العظيم.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: سأل الصحابة الرسول ﷺ عن المدة التي يمكثها الدجال في الأرض فقالوا «**و ما لبثه في الأرض قال: (أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول اللَّه فذاك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا ـ اقدروا له قدره**»[(١)].

حالة الناس قبل خروجه.

زيادة في الابتلاء والامتحان يقع الناس قبل خروجه في شدائد ومجاعة شديدة لا يقوى عليها الناس.

عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يتحدث عن الدجال فيقول: «**قبل خروجه ثلاث سنوات شدائد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر اللَّه سبحانه السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر اللَّه عز وجل السماء في السنة الثانية أن تحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر اللَّه عز وجل السماء في السنة الثالثة فلا تمطر قطرة ويأمر الأرض فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء اللَّه. قيل يا رسول اللَّه فيما يعيش الناس إذا كان ذلك؟ قال: «التسبيح والتكبير يجري ذلك منهم مجرى الطعام**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن رقم الحديث (٢١٣٧)

(٢) رواه ابن ماجه، وابن خزيمة والحاكم في المستدرك.

فتنة الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشر

ـ عن أبي أمامة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض، منذ ذرأ اللّه ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة**»[١].

ـ عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال في الدجال: «**إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذر قومه ولقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن اللّه ليس بأعور**»[٢].

سيرته وقدراته وأعماله وسرعة حركته وفتنته:

لا شك أن الدجال يملك من الإمكانيات والخوارق ما لم يملكه أحد وإلا كيف يفتن الناس ويؤمن به خلق كثير بعد أن يفتنوا به؟؟ وقدراته هذه وامكانياته تبقى في علم الغيب لولا أن رسول اللّه ﷺ أخبرنا بها، وقد استفاض رسول اللّه ﷺ في الحديث عنه، وشرح لنا الكثير من سيرته خلال مدة مكثه في الأرض، ذلك أن رسول اللّه ﷺ يخاف على أمته خوفاً شديداً، ودليل خوفه الشديد على أمته وحبه لها أنه في الموقف العصيب يوم القيامة كل من الأنبياء يقول نفسي نفسي، إلا هو ﷺ يقول يا رب أمتي. أمتي. . . . فكيف لا يخاف رسول اللّه ﷺ على أمته وهذه حاله يوم القيامة، لذلك توسع رسول اللّه ﷺ في ذكره، وبين كل أعماله وحذر أمته منه وأن لا يتبعه أحد حتى لا يسقط في الفتنة ولا يسقط في الابتلاء والامتحان الإلهي، فيكونَ مصيره النار

(١) رواه ابن ماجه و ابن خزيمة والحاكم انظر فتح الباري (١٣٩٠)

(٢) رواه الترمذي انظر جامع الأصول حديث رقم ٢٨٤٨ وفي سنن أبي داود نحوه.

يوم القيامة فالمسألة كبيرة والأمر جلل والأمر يتعلق بإيمان وكفر الناس.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال « **إنه لم يكن في الأرض منذ ذرأ اللَّه آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال، وإن اللَّه لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة** » فخفض ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، قال: « **غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة ـ أي: من طريق ـ بين الشام والعراق، فيعيث ـ أي: يفسد، يبعث السرايا والجنود ـ يميناً وشمالاً، وإن على مقدمته سبعين ألفاً من يهود أصبهان، عليهم رجل، أشعر من فيهم يقول: أسرع أسرع** »(١).

ويمكن أن نذكر خوارقه وإمكانياتِه بالتسلسل التالي:

١ ـ إن معه جنة وناراً

ولقد ثبت في الحديث أن جنته نار، وناره جنة، فمن ابتلى بناره فليستغث باللَّه وليقرأ فواتح سورة الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً.

ـ عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **معه (أي الدجال) جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار** »(٢).

٢ ـ إن معه ماءً وناراً:

ـ عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ

(١) رواه ابن ماجه رقم الحديث ٤٠٧٧.
(٢) رواه مسلم كتاب الفتن رقم الحديث ٢٩٣٧.

في الدجال: «**إن معه ماءً وناراً فناره ماء بارد وماؤه نار**»

[رواه البخاري وفي رواية مسلم زاد (فلا تهلكوا)][(١)].

٣ ـ إن معه نهرين يجريان:

ـ عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ في الدجال: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج ـ فإن أدركه أحد فليأت الذي يراه ناراً وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد**»[(٢)].

٤ ـ سرعته في السير كالغيث استدبرته الرياح:

قالوا إن الأرض تطوى له منهلاً منهلاً طي فروة الكبش، وأنه يسيح في الأرض كلها في أربعين يوماً، وما من بلد إلا وسيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وسرعته في السير كالغيث استدبرته الريح.... وذلك كي يمر على كل مدينة وقرية فيفتنها فينصاع له ويتبعه خلق كثير، وكذلك يمتنع عنه خلق كثيرون وهم المؤمنون حقاً..

ـ عن النواس بن سمعان أن النبي ﷺ سئل عن إسراع الدجال في الأرض؟ فقال «**كالغيث استدبرته الريح**»[(٣)].

ولقد أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أنه سيجول في أقطار الأرض ولا يترك بلداً إلا دخله، ويمنع فقط من مكة والمدينة المنورة لحرمتهما عند اللَّه سبحانه. عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري باب ذكر الدجال ورواه مسلم في كتاب الفتن رقم الحديث (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم كتاب الفتن رقم الحديث (٢٩٣٤).

(٣) رواه مسلم كتاب الفتن ورقم الحديث (٢٩٣٧).

(٤) رواه البخاري ومسلم انظر صحيح الجامع الصغير ورقم الحديث (٥٣٠٩).

٥ ـ إن معه جبلَ خبز ولحم:

ـ عن المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ قال في الدجال: «**معه جبال خبز ولحم ونهر من ماء**»[1].

وفي رواية أبي نعيم عن أبي مسعود رضي اللّه عنه «**ومعه جبل من مرق وعراق اللحم حار لا يبرد ونهر جار وجبل من جنان وخضرة وجبل من نار ودخان يقول هذه جنتي وهذه ناري وهذا طعامي وشرابي**».

. . . وهذا الذي معه من الخبز واللحم فتنة كبيرة، لأنه في الحديث الشريف الذي تقدم أن الدجال يخرج في شدة وقحط شديد لمدة ثلاث سنوات قبل خروجه.

٦ ـ يأمر النهر أن يسيل فيسيل:

ومن خوارقه أن يأمر الماء في النهر أن يتوقف عن الجريان فيقف ثم يأمره أن يسيل فيسيل

وقد صح في الحديث «**أنه يأتي على النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس**».

٧ ـ يخرج في خفة من الدين وإدبار من العلم:

ومن الأحاديث ثبت أن الدجال يخرج في خفة من الدين وإدبار من العلم، فلا يبقى أحد يحاجه في أكثر الأرض، ويذهل الناس عن ذكره وأن أكثر من يتبعه الأعراب والنساء، حتى إن الرجل يراود أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقهن رباطاً مخافة أن يخرجن إليه.. وإنه يأتي فيقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وبعثت لك أمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطان على صورة أبيه وآخر على

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن.

صورة أمه فيقولان له: يا بني اتبعه فإنه ربك فيتبعه... وقال حذيفة لو خرج الدجال في زمانكم لرمته الصبيان بالخزف ولكنه يخرج في نقص من العلم وخفة من الدين[١].

... وليس معنى هذا أن الدين انتهى أو اختفى، إنما يظهر في وقت يكون الدين فيه ضعيفاً لضعفه في قلوب الناس وخفته في عقولهم وأفكارهم، ويكون هذا لقلة العلم والدراية والتفقه في الدين، وربما يكون هذا الزمان هو الذي يقبض اللّٰه فيه العلماء الذين لهم الدور الأكبر في تقوية الدين في نفوس الناس... وفي زمن الدجال تكون الساعة قاب قوسين أو أدنى، فكل شيء أصبح قائماً ومحتملاً، فإن ناموس وقانون الأمور يختلف عن ناموس وقانون الأمور ما قبل ظهور العلامات الكبرى، وربما يكون المعنى (الأعراب) ساكني البادية والجبال البعيدين عن العلماء فيكونون في خفة من الدين وإدبار من العلم.

٨ ـ له صيحات ثلاث يسمعها أهل المشرق والمغرب:

عن ابن عمرو رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه ﷺ في الدجال: «**إن له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق وأهل المغرب، ويتناول الطير من الجو ويشويه في الشمس شيًا**»[٢].

٩ ـ له ثلاث خوضات في البحر كل يوم لا يبلغ حقويه:

عن حذيفة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ عن الدجال: «**يخوض في البحر في اليوم ثلاث خوضات لا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد يده الطويلة في بحر يبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد**»[٣].

---

(١) ذكره محمد بن رسول البرزنجي في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة صفحة ١١٨.

(٢) رواه الحاكم وابن عساكر. (٣) رواه أبو نعيم.

وهذا دليل قوته وعظيم خلقته ـ وربما المقصود من الحيتان الحيوانات البحرية

١٠ ـ يأمر الجماد والحيوان فيستجيبان لأمره ويأمر السماء أن تمطر فتمطر:

ـ عن النوّاس بن سمعان رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: **« فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأمرهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل »**(١).

سارحتهم: أنعامهم. أطول ما كانت ذراً: كناية عن قوتها وعافيتها

وأسبغه ضروعاً: ممتلئة الضروع من اللبن. أمده خواصر: كناية عن الامتلاء والسمنة.

١١ ـ استعانته بالشياطين:

الشياطين لا تستجيب أو تخدُم إلا من كان على أعلى درجة من الإفك والضلالة والكفر والشرك.. ومن كفر الأعور الدجال وكفر الشياطين لا بدَّ أن يكون بينهما استعانة وتعاون واستجابة.

ـ عن أبي أمامة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **« وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني**

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن رقم الحديث (٢٩٣٧).

ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربك»[(١)].

١٢ ـ يحبس الشمس ثم يسيرها:

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ عن الدجال: «**يقول أنا رب العالمين وهذه الشمس تجري بإذني أفتريدون أن أحبسها؟ فيقولون نعم، فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة كالسنة ويقول أتريدون أن أسيرها؟ فيقولون نعم، فيجعل اليوم كالساعة**»[(٢)].

تنبيه: سئل رسول اللَّه ﷺ عن الصلاة في اليوم الذي كالشهر أيكفينا فيه صلاة يوم واحد قال: «**لا ولكن اقدروا له**» أي اقدروا مقدار كل يوم فصلوا فيه خمس صلوات.

١٣ ـ ادّعاؤه الألوهية بما عنده من الخوارق:

في زمن يكون فيه الدين خفيفاً والعلم قليلاً: يسهل على مثل الدجال أن يقنع بعض الناس الضالين وأخصهم ذكراً اليهود: أنه إله يحيي ويميت ويمطر السماء وينبت الزرع ومعه جبل الخبز ومعه مثال الجنة والنار كما فعل فرعون من قبل استخف قومه فأطاعوه لخفة دينهم وضلالهم

قال تعالى:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَآ

---

(١) رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم ـ انظر صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (٧٧٥٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ورواه نعيم بن حماد انظر كتاب الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص ١٢٠.

أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ * فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيات: ٥١ ـ ٥٥]

وهذا مثل فرعون وقومه، فقد ادَّعى فرعون الألوهية فاستخف قومه فأطاعوه لأنهم فاسقون ضالون مثله، فانتقم اللَّه من الذي ادعى الربوبية فرعون ومن قومه لأنهم أطاعوه. . . .

ونقول في الدجال: إنه استخف الناس فأطاعه من كان في خفة من الدين ومن كان في ضلال مبين، أما المؤمنون فعرفوا أنه الأعور الدجال، وأن اللَّه سبحانه ليس كمثله شيء وأن الإنسان لا يرى ربه في الدنيا، وأن الدجال أعور، وأن اللَّه سبحانه (وحاشا للَّه) ليس بأعور إلى كل الصفات المناقضة للربوبية.

عن سَفينة رضي اللَّه عنه قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ فقال: **«إنه لم يكن نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال، ألا وإنه أعور العين الشمال وباليمين ظَفَرة غليظة، بين عينيه كافر ـ يعني مكتوب كافر ـ يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار، فناره جنة وجنته نار، فيقول الدجال للناس ألست بربكم أحيي وأميت؟ ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء إني لأعرف اسمهما واسم آبائهما، لو شئت أن اسميهما سميتهما، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فيقول: ألست بربكم أحيي وأميت؟ فيقول أحدهما: كذبت فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه، ويقول الآخر صدقت، وذلك فتنة، ثم يسير حتى يأتي المدينة فيقول هذه قرية ذاك الرجل، فلا يؤذن له أن يدخلها ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه اللَّه عند عقبة أفيق»**[١].

(١) أخرجه الطيالسي (١٩٦٣ ـ ٣٢٢٦) قال الشيخ الألباني إسناده حسن بالشواهد.

يقول الآخر صدقت: أي لصاحبه الذي كذب ربوبية الدجال قرية ذاك الرجل: أي مدينة محمد ﷺ.

١٤ ـ يقتل رجلاً مؤمناً ثم يحييه على مرأى من الناس:

وفي قتله لرجل مؤمن ثم إحياؤه إياه فتنة عظيمة يفتن بها الناس، وكثير منهم يصدقونه وأخصهم الضالين والمنافقين.

ـ عن أبي سعيد الخدري قال حدثنا رسول اللّه ﷺ حديثاً عن الدجال فقال: « **يأتي الدجال ـ وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ فيها التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خيار الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول اللّه ﷺ حديثه. فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول: واللّه ما كنت فيك أشدُّ بصيرة مني اليوم، فيريد الدَّجال أن يقتله فلا يسلط عليه** »[1].

ـ عن أبي سعيد الخدري قال حدثنا رسول اللّه ﷺ حديثاً عن الدجال فقال:

« **يخرج الدجال، فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح: مسالح الدجال، فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون:**

اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن، قال: يا أيها الناس، هذا المسيح الدجال الذي ذكر رسول اللّه ﷺ. قال: فيأمر به الدجال فيشبح، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً،

(١) رواه البخاري كتاب الفتن فتح الباري (١٣/ ١٠١)

قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرِقه حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: (هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين)»[1].

ولقد صح في الحديث أن رسول اللَّه ﷺ قال عن هذا الرجل: «**هذا أقرب امرئ درجة مني وأعظم الناس شهادة عند رب العالمين**».

وفي رواية إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام، للحديث الذي رواه الدارقطني عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**نسيء للخضر في أجله حتى يكذب الدجال**».

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث: (يعني أن الذي يقتله الدجال ثم يحييه هو الخضر)، ولكن نقول: يبقى هذا الأمر تحديداً (من هو الرجل) بعلم اللَّه تعالى.

أتباع الدجال:

الغالبية من أتباعه اليهود والعجم وأخلاط من الناس منهم الأعراب وكثير من النساء.

---

(١) رواه مسلم كتاب الفتن رقم الحديث (٢٩٣٨)

عن أنس رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**»[١].

عن ابن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقناه فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل يعمد إلى أمه وابنته وعمته فيوثقهن مخافة أن يخرجن إليه**»[٢].

مرقناه: واد في المدينة المنورة يأتي من الطائف.

عن أبي أمامة رضي اللّه عنه في حديثه الطويل قوله ﷺ «**وإن من فتنته أن يقول للأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أمه وأبيه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك!**»[٣].

يطأ الدجال كل البلاد إلا مكة المكرمة والمدينة المنورة:

لا يبقى مكان أو مدينة في الأرض إلا يطؤها الدجال بسرعة حركته وقدرته على المسير، ويعيث فيها ضلالاً وإضلالاً وفتنة إلا مكة المكرمة والتي فيها بيت اللّه الحرام والمدينة المنورة، التي فيها رسول اللّه ﷺ والصحابة الكرام وشهداء بدر وأحد والخندق فيحرمها اللّه سبحانه عليه، ومع ذلك فإنه يحاول دخولها فلا يستطيع لحماية الملائكة لها إذ تقف على أبوابها وفي بعض الروايات أن جبريل وميكائيل منهم، وقد مرت معنا قصة الرجل الذي قتله عند أبواب المدينة المنورة ثم أحياه.

---

(١) رواه مسلم وأحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٥٣٥٣).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٥٩).

- عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[١].

عن أنس رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان**»[٢].

المسيح: المقصود المسيح الدجال.

عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**يأتي المسيح من قبل المشرق ومهمته المدينة حتى إذا جاء دبر أحد تلقته الملائكة، وضربت وجهه قِبَل الشام، هنالك يهلك هنالك يهلك**»[٣].

عن أنس رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين تحرسها فينزل بالسبخة، فترجُف المدينة بأهلها ثلاث رجَفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق**»[٤].

السبخة: الأرض المالحة التي تنبت، وبعض أراضي المدينة المنورة كذلك.

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه**[٥] **وظهر عليه إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من أنقابها إلا بقيت الملائكة بسيوف صلتة، حتى ينزل عند الضريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا**

(١) رواه البخاري كتاب الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة فتح الباري (١٣/ ١٠١).
(٢) رواه البخاري كتاب الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة فتح الباري (١٣/ ٩٠).
(٣) رواه الترمذي وأحمد في مسنده سلسة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ١٧٧١.
(٤) رواه البخاري والمسلم صحيح الجامع برقم ٥٣٠٦ والنسائي.
(٥) وطئه أي وطئه الدجال.

منافقة إلا خرج إليه فتنفي الخبيث منها[١] **كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم الخلاص قيل: فأين العرب يو مئذ؟ قال: هم يومئذ قليل »**[٢].

وفي رواية ذكرها محمد بن رسول زائدة البرزنجي في كتابه الإشاعة في أشراط الساعة « **أن بين يديه ـ أي الدجال رجلين ينفذان أهل القرى كلما دخلا قرية أنذرا أهلها فإذا خرجا منها دخلها أول أصحاب الدجال ـ ويدخل القرى كلها غير مكة والمدينة، فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت فيقول: أنا ميكائيل بعثني اللّه لأمنعك من حرمه، ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت فيقول: أنا جبريل بعثني اللّه حتى أمنعك من حرم رسوله** » . . . . على كل فقد ثبت في الحديث أن على أنقاب (أبواب) مكة والمدينة ملائكة يحرسونها من أن يدخلها الدجال وقد صح ذلك مما تقدم من الأحاديث الصحيحة لرسول اللّه ﷺ، وهذا لا يمنع من أن يكون ميكائيل وجبريل عليهما السلام من هذه الملائكة العظام الأقوياء أمثال ميكائيل وجبريل روح القدس والرسول بين اللّه سبحانه وأنبيائه والذي وصفه اللّه سبحانه بالقوة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۞ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ .

[سورة التكوير، الآيات: ١٩ ـ ٢١]

. . . ومن معجزات الرسول ﷺ في هذا المقام قوله ﷺ ثلاث مرات « **يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ يجيء الدجال فيصعد أمداً فيطلع فينظر إلى المدينة ويقول لأصحابه ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد** » .

ففي زمن الرسول ﷺ كان مسجده مبنياً بالجريد والسعف فقد

---

(١) فتنفي الخبيث منها: أي تنفي المدينة المنورة الخبيث منها أي المنافقين.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه و ابن خزيمة و الحاكم في المستدرك صحيح الجامع رقم الحديث ٧٧٥٢.

وقع ما أخبر به النبي ﷺ فإن مسجده الشريف يُرى أبيض من مسافة بعيدة ومنائره تلمع بياضاً..

كيف يعصم المؤمن نفسه من فتنة الدجال؟

أولا: بالإيمان والعلم:

إن أول عاصم من الدجال هو علمك بالدجال، أي أن نعلم عن الدجال علماً علمنا إياه رسول اللَّه ﷺ وما أكثرها من أحاديث شريفة، أوردنا منها العشرات، كلها تؤكد أن اللَّه سبحانه سيبعثه فتنة للناس بمن فيهم المؤمنون... فالمؤمن الحق يعلم أنه الأعور الدجال الذي تحدث عنه رسول اللَّه ﷺ وحذر منه أمته تحذيراً شديداً، فالدجال يدعى الربوبية وأنَّه الإله القادر على كل شيء ويسأل الناس كلما دخل قريةً أو مدينة بعد أن يريهم بعض خوارقه.. ألست بربكم؟... فالمؤمن يدرك أن اللَّه سبحانه ليس كمثله شيء وهذا الدجال من جنس البشر له عينان إحداهما عوراء وله وجه ويجد فيه قدمين وساقين، والمؤمن يدرك أن أحدنا لن يرى اللَّه سبحانه في الدنيا وإنما يراه في الآخرة... والمؤمن يدرك أن اللَّه سبحانه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يستريح وليس له صفة من صفات مخلوقاته.. والدجال يراه الناس يأكل ويشرب فكيف يكون رباً!! وكذلك يكفي أنه في صفة نقص وهي أنه أعور وأن اللَّه ليس بأعور.. وأنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب.

ثانياً: بالعمل والثبات:

هناك أعمال منجية من فتنة الأعور الدجال.

١ ـ الالتجاء إلى أحد الحرمين مكة والمدينة فإنه لا يدخلهما أبداً، وهذا مُتيقَّن من الأحاديث الشريفة.

٢ ـ الالتجاء إلى المسجد الأقصى وجبل الطور، ففي بعض الروايات أنه لا يدخلهما أيضاً.

٣ ـ أن يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ويقرأها عند خروج الدجال واقترابه ـ قال رسول اللّه ﷺ من يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال.

[رواه مسلم عن أبي الدرداء]

٤ ـ أن يحفظ عشر آيات من آخر سورة الكهف وأن يقرأها عند خروج الدجال واقترابه ـ فقد صح في الحديث عشر آيات من أول سورة الكهف أو عشر آيات من آخر سورة الكهف.

٥ ـ أن يهرب منه فيلتجئ إلى الجبال والبراري، لأن الدجال أكثر ما يدخل المدن والقرى.... ففي صحيح مسلم عن أم شريك قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**ليفرن الناس من الدجال في الجبال**».

[رواه مسلم]

٦ ـ وإذا لقيه أن يتفل في وجهه:

عن أبي أمامة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ محدثاً عن الدجال «**فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه**».

[رواه الطبراني كما في كنز العمال (١٤/ ٣١٧).

٧ ـ أن يكثر من التسبيح والتهليل والتكبير فإنها زاد المؤمن وُقوتُه في تلك المحنة وغذاؤه في ذلك القحط ـ ومن يبتلى به فعليه أن يصبر ويثبت ويحوقل، أي يقول لا حول ولا قوة إلا باللّه، وإذا رماه الدجال في النار فليغمض عينيه وليستعن باللّه فتكون برداً وسلاماً بعون اللّه، وأول ما أوصانا به رسول اللّه ﷺ الثبات في هذه المحنة العظيمة حيث يقول: «**إنه خارج خَلَّة**

بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد اللَّه اثبتوا»[١].

ولقد أوصانا رسول اللَّه ﷺ أن، نبتعد عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، فإن الشبهات والخوارق تزلزلان الإيمان في النفوس، ولم يجعل رسول اللَّه ﷺ من بأس على الذين يفرون منه من الذين لا يطيعونه.

ـ عن عمران بن الحصين أن رسول اللَّه ﷺ: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، فواللَّه إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتَّبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث فيه من الشبهات»**[٢].

ثالثاً ـ الاستعاذة باللَّه والتوكل عليه:

مما ينجي المؤمن من شر فتنة الدجال الالتجاء إلى اللَّه والتوكل عليه والاستعاذة الدائمة باللَّه من شره وفتنته

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «**سمعت الرسول ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال»**[٣].

و كان رسول اللَّه ﷺ يتعوذ دائماً بعد التشهد في صلاته من فتنة الدجال فيقول «**اللَّهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»**[٤].

رابعاً ـ أن يكون المؤمن حجيج نفسه:

قلنا من لا يجد في نفسه قدرة على مواجهة الدجال، ويخشى على نفسه من الشبهة في اتباعه لما يملك من الخوارق، فلا بأس عليه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٩٧).

(٢) رواه أبو داود جامع الأصول رقم الحديث (٧٨٤٦) وأحمد والحاكم.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن باب ذكر الدجال.

(٤) صحيح البخاري كتاب الجنائز وصحيح مسلم في باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

كما قال رسول اللَّه ﷺ من الهرب منه، فيعصم نفسه من الكفر والوقوع في الهاوية التي قد تخلده في النار يوم القيامة.

و أما إن وجد أحدهم في نفسه القدرة على مواجهته فهو حجيج نفسه ومسؤول عنها فيما لو هوى واتبعه، وإذا ثبت أمامه بقوة الإيمان والعلم فهذا لايعلم أجره عند اللَّه إلا هو سبحانه ففي الحديث الذي رواه مسلم يقول رسول اللَّه ﷺ: «**إن يخرج ـ أي الدجال ـ وأنا فيكم فأنا حجيجه من دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم**».

[رواه مسلم.

أي إن الإنسان إذا كان يتمتع بقوة الإيمان فلا يهاب الدجال ويثبت أمامه، وإن اللَّه سبحانه يثبته بالقول الثابت واللَّه وليه وحسبه

يقول تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾.

[سورة فصلت، الآيتان: ٣٠، ٣١]

حديثان شريفان لا بدّ من ذكرهما، حديث ابن صياد، وحديث تميم الداري حول الدجال:

الحديث الأول: حول ابن الصياد وأنه الأعور الدجال فمن هو ابن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ؟ وما قصته؟ وهل هو الدجال؟

ابن صياد هو صافي وقيل عبد اللَّه بن صياد أو صائد قيل إنه من الأنصار وفي بعض الروايات إنه من اليهود[١].

. . . كان ابن صياد دجالاً يتكهن أحياناً ويكذب أحياناً، فذاع صيته وانتشر خبره بين الناس أنه (الدجال)، لما رأوا منه هذه الكهانة والدجل والصفة الخلقية، ووصل خبره إلى رسول اللَّه ﷺ فأراد رسول اللَّه ﷺ الاطلاع عليه وامتحانه لما رأى اهتمام الناس بأمره فجاءه ووجه إليه بعض الأسئلة ليتأكد من أمره.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: إن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه «**انطلق مع النبي ﷺ في رهط قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم[٢] بني مَغالة، وقد قارب ابن صياد الحلم فلم يشعر حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده.. ثم قال لابن صياد: أتشهد أني رسول اللَّه؟ فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ أتشهد أني رسول اللَّه؟ فرفضه ﷺ فقال: آمنت باللَّه ورسله. . . .ثم قال له النبي ﷺ إني خبَّأت لك خبيئاً فقال ابن صياد هو الدّخُّ يعني بذلك الآية الكريمة**

﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ .

[سورة الدخان، الآية: ١٠]

فقال: إخسأ فلن تعدو قدرك، فقال عمر بن خطاب رضي اللَّه عنه: «**دعني يا رسول اللَّه أضرب عنقه فقال النبي ﷺ إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله**»[٣].

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٨/ ٤٦)

(٢) أعلى الحصن حول المدينة المنورة.

(٣) رواه البخاري انظر مختصر البخاري رقم الحديث ٦٥٨.

قال ابن كثير: إن ابن صياد كاشف عن طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرطون (أي يقطعون العبارة) لهذا قال (الدّخّ) يعني الدخان.. فعندها عرف رسول اللّه ﷺ مادته وأنها شيطانية فقال له: اخسأ فلن تعدو قدرك[١].

ويبقى السؤال هل ابن صياد هو الأعور الدجال؟؟

من اختبار النبي ﷺ لأحوال ابن صياد أن النبي ﷺ كان متوقفاً في أمر ابن صياد حيث لم يوح إليه أنه الدجال فلا بد من وحي يطلع الرسول ﷺ عن أحواله فهذا الأمر من الغيب.

و كان ابن عمر رضي اللّه عنهما «**يحلف عند النبي ﷺ أن ابن صياد هو الدجال ولم ينكر عليه ﷺ ولا الصحابة رضي اللّه عنهم**»[٢].

والرسول ﷺ لم ينكر عليه هذا الحلف لأنه لم يوح إليه أن ابن صائد هو الدجال أو أنه غير الدجال.

وعن نافع قال: «**لقي ابن عمر رضي اللّه عنهما (صائد) ـ ابن الصياد ـ في بعض طرق المدينة فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على أخته حفصة وقد بلغها، فقالت له: رحمك اللّه ما أردت من ابن صائد؟**

أما علمت أن رسول اللّه ﷺ قال «**إنما يخرج من غضبة يغضبها**»[٣].

وروى مسلم «**أن ابن عمر لقيه مرة أخرى ـ أي لابن صائد ـ وقد نفرت عينه، قال: قلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري قلت:**

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦).

(٢) رواه مسلم ـ مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٤٣.

(٣) صحيح مسلم كتاب الفتن انظر مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٤٥.

لا تدري وهي في رَأسك قال: إن شاء اللَّه خلقها في عصاك هذه، قال: فنخر نخير الحمار»[١].

و قبل التعليق في قصة ابن الصياد وأنه الأعور الدجال لنسمع رأي علمائنا الأفاضل في ابن صياد.

قال النووي رحمه اللَّه: أمره مشتبه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ولا شك أنه دجال من الدجاجلة، فلذلك النبي ﷺ لم يقطع بأنه الدجال ولا غيره»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه: إن أمر ابن صياد قد أشكل على بعض الصحابة فظنوه الدجال، وتوقف فيه النبي حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال. . . إنما هو من جنس الكهان من أصحاب الأحوال الشيطانية ولذلك ذهب ليختبره.

قال البيهقي: في سياق كلامه على حديث تميم فيه: إن الدجال إنما هو من جنس الكهان من أصحاب الأحوال الشيطانية ولذلك ذهب ليختبره.

قال ابن كثير: ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية وهو الحجة في هذا المقام[٣]. . . .

قال ابن حجر: الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم الداري موثقاً وإن ابن صياد شيطان تبدَّى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصفهان فاستتر مع قرينه[٤].

والرأي الصحيح رأي العلماء الذين ذكرتهم فالقول ضعيف بأن

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن انظر مختصر مسلم رقم الحديث ٢٠٤٥.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ١٨/ ٤٦.

(٣) النهاية في الفتن و الملاحم (١/ ١٠٨).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٣٢٨).

ابن صياد هو الدجال الأكبر رغم بعض المؤيدين أن ابن صياد هو الدجال كالقرطبي في التذكرة صفحة ٧٠٦

الحديث الثاني: حول حديث تميم الداري وأنه رأى الدجال موثقاً في الجزيرة بالأغلال:

روى مسلم في صحيحه عن عامر بن شراحيل أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول قالت: سمعت نداء المنادي، منادي رسول اللَّه ﷺ، ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول اللَّه ﷺ فكنت في صف النساء الذي يلي ظهور القوم، فلما قضى رسول اللَّه ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا اللَّه ورسوله أعلم، قال: إني واللَّه ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء يبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية[١] مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم ارفؤوا[٢] إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة[٣] فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقال أنا الجساسة[٤] قالوا وما الجساسة؟ قالت: يا أيها القوم اعمِدوا[٥] إلى هذا الرجل في

(١) سفينة بحرية: غير برية كالإبل التي تسمى سفينة الصحراء.

(٢) ارفؤوا: نزلوا ساحل البحر.

(٣) أقرب السفينة: جمع قارب وهو سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة لقضاء حوائج الركاب

(٤) الجساسة: هي التي تتجسس الأخبار للمسيح الدجال

(٥) اعمدوا: انطلقوا

الدير[١] فإنه إلى خبركم بالأشواق قال: لما سمَّت لنا رجلاً فرقنا[٢] منها أن تكون شيطانة، قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً، مجموعة إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا: ويلك ما أنت؟ قال قد قدرتم على خبري فأخبروني من أنتم؟ قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم[٣] فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت أنا الجساسة قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمن من أن تكون شيطانة فقال: أخبروني عن نخيل بيسان[٤]؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا: نعم. قال: أما إنه يوشك ألا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية[٥]؟ قلنا: عن أي شيء تستخبر؟ قال: هل فيها ماء قالوا: هي كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زُغر[٦]؟ قالوا عن أي شأنها تستخبر؟ قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له نعم هي كثيرة الماء[٧] وأهلها يزرعون من مائها قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا قد

---

(١) الدير: أي دير النصارى والمراد هنا القصر

(٢) فرقنا: الفرق هو الخوف الشديد

(٣) اغتلم: أي هاج وجاوز حده المعتاد.

(٤) قرية في الشام وبيسان من قرى فلسطين جوار بحيرة طبريا ردها الله للمسلمين

(٥) بحيرة طبرية في فلسطين

(٦) زغر: بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(٧) زيادة موجودة في نسخة الأصل ولم توجد في مسلم.

خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح (الدجال)[١] وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول اللّه ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديث تميم وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق وأومأ بيده إلى المشرق قالت: فحفظت هذا من رسول اللّه[٢].

هلاك الدجال ومقتله على يد عيسى ابن مريم عليه السلام:

عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل من السماء الثانية بأمر اللّه سبحانه، ومن أولى أعماله قتل المسيح الدجال الذي فتن الناس في كل بقاع الأرض، ولم ينج من فتنته إلا من رحم اللّه سبحانه، حتى إن كثيراً من المؤمنين يفتنون به. . . ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام على المنارة شرقي دمشق عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي اللّه

(١) زيادة موجودة في نسخة الأصل ولم توجد في مسلم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب صفة الدجال وخروجه وحديث الجساسة مختصر مسلم ص ٥٤٦ رقم ٢٠٥٤.

عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث فيقولون: هذا رجل جني.. فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح اللّه فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه، فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادي يا روح اللّه هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله**»(١).

وفي حديث لمسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه... وفيه في آخره «**فبينما هم ـ المسلمون ـ يعدُّون للقتال، يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأمَّهم، فإذا رآه عدو اللّه ـ الدجال ـ ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله اللّه بيده فيريهم دمه**»(٢).

وفي سنن ابن ماجة، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم عن أبي أمامة بإسناد صحيح عن النبي ﷺ قال: «**وإمامهم (أي إمام المسلمين الذين يعدون العدة لقتال الدجال) رجل صالح، فبينا إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصَلِّ، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف، قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، فينطلق هارباً.. فيدركه عند باب لدّ**

(١) مسند الإمام أحمد (٢٤ ـ ٨٥) في الفتح الرباني.
(٢) رواه مسلم.

الشرقي، فيقتله، فيهزم اللّٰه اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق اللّٰه عز وجل يتوارى به اليهودي، إلا أنطق اللّٰه ذلك الشيء، لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة ـ إلا الغرقد، فإنها من شجرهم لا تنطق ـ إلا قال: يا عبد اللّٰه المسلم، هذا يهودي، فتعال فاقتله»[١].

(١) سنن ابن ماجه وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم بسند صحيح.

نزول عيسى ابن مريم
عليه السلام

نبي اللَّه عيسى ابن مريم عليه السلام نبي اللَّه ورسوله أرسله إلى بني إسرائيل ليعيدهم إلى الطريق المستقيم، بعد أن تولوا وحرفوا كلام اللَّه سبحانه (التوراة) بما يناسب مصالحهم وأهواءهم ورغباتهم في حياتهم الدنيا وظلموا وفسدوا وضلوا وأضلوا واختلفوا وحرفوا التوراة، حيث كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وقلوبهم أصبحت كالحجارة أو أشد قسوة

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٧٤]

... وفي قَصص القرآن الكريم كان أكثر الحديث في آيات اللَّه تعالى عن بني إسرائيل، وما ارتكبوا من آثام ومعاصٍ وفواحشَ وكبائر الذنوب وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقتلهم الناس الذين يأمرون بالقسط والمعروف، وكل ذلك كان بما عصوا وكانوا يعتدون، وبنقضهم كل المواثيق والعهود التي أخذها اللَّه عليهم.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٨٣]

قال تعالى:

﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٠٠]

وفي إشارة إلى عيسى ابن مريم وتكذيبهم إياه ونبذهم لما جاء به من كتاب

يقول تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٠١]

ولقد بين اللَّه سبحانه لنا في كتابه أنهم كلما جاءهم نبي من عند اللَّه بما لا تهوى أنفسهم كذبوه أو قتلوه.. والآية عن عيسى ابن مريم:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ * وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٨٧، ٨٨]

... فقد لاقى عيسى ابن مريم من بني إسرائيل عناداً وعذاباً شديدين، وكان كلما قدم لهم معجزة اختصه اللَّه بها ازدادوا كفراً وبهتاناً وزوراً، ولقد قدَّم لهم عيسى ابن مريم البينات والآيات والأمثلة، وهم يزدادون كفراً واستكباراً وصلفاً.

يقول تعالى على لسان عيسى بعد أن قدَّم لبني إسرائيل كل

المعجزات من أجل هدايتهم وأنه مصدق لما معهم من التوراة:

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآيات: ٥٠ ـ ٥٢]

واللّه أعلم بمكرهم ومؤامراتهم على قتل عيسى ابن مريم وذلك، عندما لم ينفع كل ما آتاهم به عيسى ابن مريم من الآيات والمعجزات، فأرادوا الخلاص منه وقتله.

يقول تعالى:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآيتان: ٥٤، ٥٥]

وعندما أراد اليهود قتله وصلبه ولم يعد من وسيلة قدمها اللّه سبحانه لهدايتهم وإيمانهم إلا رفضوها علواً واستكباراً، رفعه اللّه إليه وشبه اللّه لهم رجلاً آخر بعيسى فظنوا أنهم قتلوه وما قتلوه يقيناً ولكن رفعه اللّه إليه

يقول تعالى:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

[سورة النساء، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨]

وبعد هذه الآيات الكريمات التي تدل على كفر اليهود واستكبارهم، نبين في الفقرة التالية الأسباب في اختيار عيسى ابن مريم عليه السلام للنزول آخر الدنيا وأن يكون نزوله من علامات الساعة.

لماذا اختار اللّٰه سبحانه عيسى ابن مريم أن ينزل آخر الزمان وبأن يكون نزوله من العلامات الكبرى لقيام الساعة؟؟

. . . إن لاختيار عيسى ابن مريم عليه السلام لهذه المهمة العظيمة أسباباً والعلم عند اللّٰه سبحانه:

١ ـ إن الأحداث العظام التي تكون في آخر الدنيا وقبل قيام الساعة، لا بد لها من شخصية عظيمة فاعلة ومؤثرة في الناس أجمعين.

٢ ـ إن الروم (النصارى) عند قيام الساعة يكونون أكثر الناس، وهذا ما صح من الحديث، فأراد اللّٰه سبحانه وقبل أن تقوم الساعة أن يقهرهم جميعاً، ويبين لهم بطلانهم وزيفهم وما افتروا على اللّٰه سبحانه بعيسى ابن مريم عليه السلام وأنه ابن اللّٰه لذا ينزل لهم عيسى عليه السلام بأمر اللّٰه تعالى ويفند قول الذين يقولون: إنه الفادي وإنه ابن اللّٰه والمخلص لهم، فيكسر صليبهم ويقتل خنزيرهم ويرفع الجزية ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، لأن اللّٰه سبحانه لا يقبل أن تنتهي الدنيا وإلا وقد حق الحق وساد دينه الإسلام الذي ارتضاه للبشرية قاطبة المعمورة بحذافيرها.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾.

[سورة الصف، الآية: ٩]

٣ ـ عيسى ابن مريم عليه السلام رفعه اللّٰه إليه من الظلم الذي ناله من بني إسرائيل وحكام ذلك الزمان، ومن استنكارهم وكفرهم

وبهتانهم، ولقد حكموا عليه بالموت والصلب فرفعه اللَّه إليه وشبه لهم خائناً من حوارييه بصورته فنفذوا فيه حكم القتل. . . فأراد اللَّه سبحانه أن يكرمه فاختاره لآخر الزمان لهذه المهمة العظيمة وبأن يكون بعد أن يقضي على الدجال ويستجيب اللَّه له بموت يأجوج ومأجوج. . حكماً عدلاً مقسطاً للدنيا بأسرها وهذا ما سيأتي بيانه.

٤ ـ أراد اللَّه سبحانه أيضاً أن يقضي على دعوى اليهود وزورهم وبهتانهم وتلفيقهم وكذبهم على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام نبي اللَّه سبحانه الذي حاربوه وتآمروا عليه وكذبوا وافتروا وكذبوا على اللَّه سبحانه، وحرفوا التوراة بما يبطل عندهم دعوة الرسل والأنبياء. . لذلك يبعثه اللَّه سبحانه فيقضي عليهم جميعاً حتى لا يبقى في الدنيا إلا دين الحق دين الإسلام.

. . . هذا والعلم عند اللَّه سبحانه فهو العليم الخبير.

٥ ـ اللَّه سبحانه قال في محكم كتابه:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾.

[سورة طه، الآية: ٥٥]

. . وبما أن عيسى ابن مريم عليه السلام رفعه اللَّه إليه عندما أراد اليهود أن يقتلوه. . فلا بد من العودة إلى الأرض ليموت فيها ثم يبعث مرة أخرى كما في الآية الكريمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمسيح عليه وعلى سائر النبيين السلام، لا بد أن ينزل إلى الأرض كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون، لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره.

دلائل نزول عيسى ابن مريم
عليه السلام من القرآن الكريم والسنة الشريفة

إن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأرض قبل قيام الساعة ثابت في الكتاب والسنة ولا خلاف عليه بين العلماء والفقهاء والمفسرين وأما دليل نزوله من القرآن الكريم، وهذا ما أكده العلماء والفقهاء واتفقوا عليه

فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦]

والآيات الكريمات من سورة الزخرف من آية ٥٧ إلى آية ٦٥ تتحدث عن عيسى ابن مريم عليه السلام، ومنها قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ والهاء في إنه عائدة على عيسى ابن مريم عليه السلام، وفي قراءة أخرى للآية الكريمة ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي وأن عيسى ابن مريم عليه السلام لعلامة من علامات الساعة وهو نزوله بأمر اللَّه سبحانه وكذلك أكد العلماء نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان من كتاب اللَّه تعالى في آية أخرى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٥٩]

أي إنَّ من أهل الكتاب (النصارى) من سيؤمن به قبل قيام الساعة وقبل موته في الأرض، لأن عيسى ابن مريم لما ينزل في آخر الزمان يقتل الدجال ويحكم في الأرض أربعين سنة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فحينئذٍ يؤمن به وبالإسلام الكثير من أهل الكتاب بعد أن يعلموا أنه دين الحق

الذي ارتضاه سبحانه للبشرية جميعاً . . . ولقد استدل العلماء والمفسرون من الآية الكريمة ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أنها مخصوصة لآخر الزمان لأن اللَّه سبحانه رفع عيسى ابن مريم عليه السلام إليه عندما أراد اليهود أن يقتلوه ويصلبوه واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

[سورة النساء، الآيات: ١٥٧، ١٥٨]

وأما دلائل نزوله عليه السلام من السنة الشريفة فهي كثيرة

إذا ما اشتدت فتنة الدجال وعظم أمره وقويت شوكته وعظم الكرب على المؤمنين، وضاقت الأرض بما رحبت في محاربة الدجال لهم ولكل من لا يؤمن به، ينزل اللَّه عيسى ابن مريم عليه السلام ليقتل الدجال ويحق الحق ويزهق الباطل، ويقرر شريعة اللَّه في الأرض وهي شريعة الإسلام فيكون الحكم العدل الذي يرضى عنه الناس جميعاً ـ وقد أراد اللَّه سبحانه أن يكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق لقربها من موقع الأحداث وبيت المقدس وتواجد الدجال، وكذلك تواجد المهدي وتكرمة لبلاد الشام التي بارك اللَّه سبحانه فيها لأنها أرض المحشر والمنشر.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« واللَّه لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»

[رواه مسلم]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»(١).

ـ عن جابر بن عبد اللَّه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعالَ (صَلِّ) لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّه هذه الأمة»**(٢).

مكان نزول عيسى ابن مريم عليه السلام:

إن مكان نزوله محدد بالسنة الشريفة، وهو مكان واحد لا خلاف عليه وهو عند (المنارة البيضاء شرقي دمشق)، وهي التي إلى جانب الجامع الأموي. . . وليس في دمشق منارة تعرف بالشرقية إلا التي بجوار المسجد الأموي من شرقيه وذلك لأنه ينزل وقت إقامة الصلاة فيقول له: إمام المسلمين يومذاك وهو (المهدي): تقدَّم يا روح اللَّه، فيقول عيسى ابن مريم عليه السلام للمهدي: تقدَّم أنت فإنها أقيمت لك. وذلك لأن المهدي يعلم أن عيسى ابن مريم عليه السلام نازل، وأنه سينزل عند المنارة شرقي الجامع الأموي لذلك قدَّمه في الصلاة تعظيماً لمقام النبي عيسى ابن مريم عليه السلام.

ـ عن أوس بن أوس قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري مختصر البخاري رقم الحديث (١٤٤٠) باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

(٢) أخرجه مسلم مختصر مسلم رقم الحديث (٢٠٦١) باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

(٣) رواه الطبراني ـ صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (٨٠٢٥) قال الألباني إسناده صحيح.

عن النواس بن سمعان الكلابي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ بعد أن ذكر عن الدجال خروجه وصفته: «**فبينما هو كذلك إذ بعث اللّه المسيح ابن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**»(١).

قال ابن كثير في كتاب النهاية: «**وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق**» كما جاء في صحيح مسلم رقم الحديث ٢٠٦١.

زمان نزول عيسى ابن مريم عليه السلام:

ممَّا تقدم وفي أحاديث شريفة سابقة ذكرت وسنذكر لاحقاً في هذه الموسوعة أن زمان نزول عيسى عليه السلام يكون في آخر الزمان، ونزوله أحد أشراط وعلامات الساعة الكبرى، وزمان خروجه هو زمان ظهور المهدي وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج، وكلها من علامات الساعة الكبرى فهذا يعني أن نزوله يكون في قلب أحداث علامات قيام الساعة الكبرى.

ولقد ذكرت فيما سبق عن رسول اللّه ﷺ أن علامات الساعة الكبرى إذا ظهرت واحدة تتابعت كنظام خرز قطع سلكه، لذلك نجد أنه وفي وقت واحد تكون أربع علامات كبرى المهدي ـ والدجال ـ ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ـ وخروج يأجوج ومأجوج ـ والعلامات الأخرى تتبعها سراعاً كالدخان ـ والدابة ـ وشروق الشمس من مغربها الخ.

وقد حدد رسول اللّه ﷺ زمان خروجه وقت إقامة الصلاة والإمام المهدي هو الذي يؤم الناس وقالوا هي صلاة العصر ـ وقالوا: هي صلاة الفجر والأرجح أنها وقت صلاة الفجر والعلم عند اللّه سبحانه.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث ٢٩٣٧ ـ وما ذكرت هو جزء يسير من حديث طويل.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:
« كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم »(١).

ويكون هذا في حال إعداد المسلمين لحرب الدجال ويسوون صفوفهم قبل إقامة الصلاة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:
« بينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأمَّهم »(٢).

صفة عيسى ابن مريم عليه السلام وقت نزوله كما وصفه لنا رسول اللّه ﷺ

لقد وصف لنا رسول اللّه ﷺ عيسى ابن مريم عليه السلام وقت نزوله عند المنارة البيضاء شرقي الجامع الأموي في دمشق ـ بصفات حميدة وهيئة جميلة وبياض في الوجه مع حمرة، إذا طأطأ رأسه قطر الماء وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ.

ـ عن النواس بن سمعان قال: قال رسول اللّه ﷺ: **« ينزل اللّه تعالى عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين**(٣) **واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر الماء وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ »**(٤).

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مختصر البخاري رقم الحديث (١٤٤٠).
(٢) رواه مسلم رقم الحديث (٢٨٩٧).
(٣) مهرودتان: أي يلبس ثوبين مصبوغين بورس وزعفران.
(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال رقم الحديث (٢٩٣٧).

مربوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل»[(١)].

مربوع: ليس بالطويل ـ بين ممصرتين بين ثوبين ـ كأن رأسه يقطر: ينزل منه الماء.

ـ عن عقيل بن خالد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ يصف عيسى ابن مريم عليه السلام حال نزوله: «**أحمر جعد عريض الصدر**» وفي رواية: «**آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال سبط الشعر ينطف**»[(٢)].

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس**».

وفي حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه زاد «**كأنما خرج من ديماس**»[(٣)].

أول عمل يقوم به عيسى ابن مريم عليه السلام قتل الدَّجال

إن قتل الدجال هو أول عمل يكلف به عيسى ابن مريم عليه السلام من اللَّه سبحانه، وهذا يكون منذ أول يوم ينزل فيه على الأرض، ذلك أن أمر الدجال أصبح جللاً فظيعاً وخطيراً، ولا بد من القضاء عليه دونما إبطاء أو تريث أو حتى انتظار...

لذلك يتوجه عيسى ابن مريم بعد نزوله من المنارة البيضاء شرقي دمشق أو شرقي الجامع الأموي إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصراً المسلمين في بيت المقدس وهم العصابة من

(١) رواه أبو داود ـ انظر صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (٥٢٦٥).
(٢) رواه البخاري.
(٣) ديماس ـ حمَّام.

المسلمين التي لم تؤمن به رباً وإلهاً، وعرفت أنه الأعور الدجال الذي يخرج آخر الزمان... فإذا وصل عيسى ابن مريم عليه السلام يأمر المسلمين بفتح باب بيت المقدس.

ـ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً... فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله، فيهزم اللَّه اليهود**»(١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: إن رسول اللَّه ﷺ أخبر عن نزول عيسى وصلاته بالمؤمنين ثم قال: «**فإذا رآه عدو اللَّه، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته**»(٢).

تنبيه: لقد أعطى اللَّه سبحانه لِنَفَسِ عيسى ابن مريم رائحة خاصة بقدرة اللَّه تعالى إذا وجدها الكافر مات منها أي إذا شمها أو استنشقها... وهذه الرائحة الخاصة يستنشقها الكافر حتى لو كان بعيداً فأي كافر وقع تحت منتهى نظر عيسى ابن مريم واستنشقها يموت وهذه معجزة إلهية عظيمة.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل ومما قاله فيه «**فبينما هو كذلك ـ أي الدجال ـ إذ بعث اللَّه المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين**

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في المستدرك ـ انظر صحيح الجامع الصغير ٦/ ٢٧٥/ رقم الحديث (٧٧٥٢).

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الفتن رقم الحديث (٢٨٩).

مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات وَنَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرْفه ـ أي بصره ـ فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»[(١)] .

تنبيه: ما السر في أن عيسى ابن مريم عليه السلام لم يترك الدجال يموت بِنَفَسِهِ كما يموت الكفار كما تقدم في الحديث الشريف والتنبيه الأول؟؟ والجواب أن عيسى ابن مريم عليه السلام أراد أن يقتله بسلاحه لانهاء فتنة هذا المخلوق الدجال وينظر الناس جميعاً إلى قتله وموته وهو طريح الأرض لا حول له ولا قوة، متضرجاً بدمائه فيدرك الناس أنه عبد ضعيف، مغلوب على أمره، وأن كل ما ادَّعاه كان بهتاناً وزوراً وكذباً. . . وربما تعلم عيسى ابن مريم ذلك من كتاب اللَّه تعالى، عندما أراد اللَّه سبحانه أن ينجي فرعون الذي ادعى الألوهية ببدنه من دون جميع جنوده الذين غرقوا في البحر، ليراه الناس ميتاً ملقى على شاطئ البحر لا حول له ولا قوة فتبطل دعوى ربوبيته أمام الناس جميعاً.

يقول تعالى:

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ .

[سورة يونس، الآية: ٩٢]

ثاني عمل يقوم به عيسى ابن مريم عليه السلام (كسر الصليب، وقتل الخنزير ورفع الجزية)

بعد قتل عيسى ابن مريم الدجال ومن دون تريث وانتظار أو مهادنة مع أحد، يقوم عيسى ابن مريم عليه السلام بكسر كل صليب

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الفتن رقم الحديث (٢٩٣٧).

على الأرض لإبطال دعوى النصارى وإحقاق الحق الإلهي وبأنه لم يصلب كما يعتقدون . . . ثم يقوم بقتل كل خنزير حرمه اللَّه تحريماً شديداً، ويرفع الجزية عن أي مخلوق . . لأن الجزية وضعت في الإسلام لحماية أهل الشرائع السماوية الأخرى في بلاد المسلمين مع احتفاظهم بدينهم وحيث إن عيسى ابن مريم بنزوله الأرضَ أبطل كل دعوة غير دعوة الإسلام، فلن يسمح ببقاء أي إنسان على هذه الأرض إن لم يكن مسلماً مؤمناً باللَّه ورسوله ﷺ، فمَهمة عيسى ابن مريم التي أوكله اللَّه سبحانه إليها هي القضاء على كل من لا يشهد باللَّه ورسوله ويكون على دين الحق دين الإسلام.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

ـ **« واللَّه لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحد »**[١].

القلاص: الناقة الشابة.

وليدعون إلى المال: لعلم الناس بقرب قيام الساعة وكذلك لاستفاضته وزيادته.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

ـ **« والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية »**[٢].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى رقم الحديث (١٥٥)

(٢) رواه البخاري رقم الحديث (٢٢٢٢) ومسلم برقم (١٥٥)

سيرة عيسى ابن مريم عليه السلام ومدة مكثه في الأرض بعد قتل الدجال وكسر الصليب والقضاء على كل الكافرين

. . . . بعد أن يقتل عيسى ابن مريم الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية لا يبقى إلا الإسلام ويتحد الدين ولا يعبد إلا اللَّه سبحانه في هذه الأرض. . . وللسائل أن يسأل. . . وما مصير باقي الأديان ـ والعقائد الأرضية الكافرة المنتشرة في أنحاء الأرض؟

والجواب على هذا السؤال. . والعلم عند اللَّه سبحانه أولاً وأخيراً. . نقول: إن عيسى ابن مريم عليه السلام قد يسيح في الأرض بقدرة اللَّه سبحانه وبما ملكه من معجزة سبق وأن قدَّمنا عنها وهي في الحديث الشريف « **فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات وَنَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرْفه**» .

ثم لا ندري ما يحدث من وقتنا هذا إلى خروج عيسى عليه السلام من حروب وزلازل وخسوفات وأعاصير، وهذه الحرب العالمية الثانية وهي ليست ببعيدة عنا منذ خمسين عاماً راح ضحيتها أكثرُ من ٥٥ مِليون إنسان، وكانت الأسلحة بدائية عن أسلحة هذا اليوم، والتي أصبحت فيها الأسلحة النووية والذرية الفتاكة وغيرها قادرة كما قال أحد الخبراء العسكريين على تدمير وقتل أضعاف ساكني الأرض خمسة آلاف مرة. . وكذلك قول الكثير من الخبراء والعلماء أنه في حال نشوب حرب كونية ثالثة مدمرة فإن ما يتبقى من ساكني الأرض فسوف يعودون إلى السيف والرمح وحرث الأرض بالثور فما سيجري من أحداث غيبية بعلم اللَّه تعالى. . . فاللَّه سبحانه وتعالى حجب عنا علم يوم غد في

قوله : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ .

[سورة لقمان، الآية: ٣٤]

فكيف لنا أن نعرف ما سيحدث بعد مِائة عام أو مئتين إن لم يخبرنا اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ كما أخبرانا عن بعض الغيب وعن علامات الساعة وقيامها والحشر ويوم القيامة كي نستعد لذلك ولا نماري في قيام الساعة ولا نكذب بيوم القيامة.

قال تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

[سورة الشورى، الآية: ١٨]

ولذلك نجد أن السر في ذوبان الدجال كما يذوب الماء في الملح أن اللَّه سبحانه ومن قدرته أعطى لِنَفَس عيسى ابن مريم عليه السلام رائحة خاصة، إذا وجدها الكافر مات، فإذا قضى عيسى ابن مريم عليه السلام على الكافرين في الأرض غير الذين يؤمنون به وباللَّه رباً وبالإسلام ديناً، فإنهم يصبحون من ملة الإسلام وقد بين اللَّه سبحانه في كتابه أن من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٥٩]

. . . . عند ذلك يتحقق بأمر اللَّه سبحانه ما لم تره البشرية، أو يعيشه جيل من الأجيال في تاريخ الحياة على ظهر هذه الأرض حيث تخرج الأرض خيراتها وكنوزها ونباتها أحسن ما يكون من خير ونبات، ويحكم عيسى ابن مريم عليه السلام بالقسط والعدل، فلا

يظلم بشراً أبداً، فيرضى عن عيسى ابن مريم عليه السلام ساكن الأرض والسماء، وذلك على مدى أربعين سنة مدة مكثه في الأرض ولا يعكر صفو هذه الحياة الهنية الرغيدة إلا خروج يأجوج ومأجوج فيبتلي اللّه سبحانه عيسى ابن مريم عليه السلام والمؤمنين معه ببلاء عظيم بخروجهم فيلتجئون إلى الجبال ليتفادوهم ويتفادوا ضررهم وأذاهم، وسيأتي الحديث في هذا مفصلاً، ونستعرض الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن سيرة عيسى ابن مريم عليه السلام ومدة مكثه في الأرض وما يتحقق على يديه من الخير والقسط والعدل وما يكون حال المؤمنين معه وعن مدى الخير العظيم الذي يصيبهم ومن جميع الوجوه.

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«وينزل عيسى فيقتله ـ أي للدجال ـ فيتمتعون أربعين سنة لا يموت أحد، ويقول اذهبي وارعي وتمر الماشية بين الزرع لا تأكل منه سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذي أحداً والسَبُعُ على أبواب الدور لا يؤذي أحداً، ويأخذ الرجل المد من القمح فيبذره بلا حرث فيجيء منه سبعمائة مد فيمكثون في ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج»(١).

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: **«ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً»**(٢).

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«يلبث عيسى ابن مريم في الأرض أربعين سنة ولو يقول للبطحاء سيلي عسلاً لسالت»**(٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ورواه ابن أبي شيبة.
(٢) رواه أحمد في مسنده و أبو يعلى و ابن عساكر.
(٣) رواه أحمد في الزهد.

ومن الأحاديث الشريفة التي تبين الرخاء وبُحبوحة العيش ونعيمه وتحقيق الأمن والسلام في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ومدة مكثه في الأرض

ـ عن أبي أمامة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً، يدق الصليب ويذبح الخنزير، يضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة أو بعير، وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حِمَة كل ذي حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها ـ وتملأ الأرض من السلام كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا اللّه، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور، تنبت نباتها لعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة، فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا ـ إشارة إلى غلاء ثمنه ـ ويكون الفرس بدريهمات**»[(١)].

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**الأنبياء، إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فيهلك اللّه في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم**»

في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام يخرج يأجوج ومأجوج وهم من أعظم الفتن على هذه الأرض.

تنبيه: في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان في حديثه

---

(١) رواه ابن ماجه ـ و ابن خزيمة و الحاكم بإسناد صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٧٧٥٢.

الطويل الذي ذكر الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج - وكذلك في أحاديث أخرى ولكن سنرجئ الحديث عن يأجوج ومأجوج وما عاناه منهم عيسى ابن مريم عليه السلام والمؤمنون معه، ودعاؤه عليهم واستجابة اللّٰه تعالى إلى الحديث عن يأجوج ومأجوج لأنهم إحدى العلامات الكبرى لقيام الساعة والتي تلي مباشرة الكلام عن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

تنفيذ المهمة الرئيسة لعيسى ابن مريم عليه السلام وهي تحكيم شريعة الإسلام

فتنتان عظيمتان يواجههما عيسى ابن مريم عليه السلام بعد نزوله فتنة الدجال حيث يقضي عليه كما تقدم ثم فتنة يأجوج ومأجوج، الذين يفسدون الأرض إفساداً عظيماً ويدعو عيسى ربه عليهم كما سيأتي فيستجيب له، فيصبحون موتى لا يبقى منهم أحد.

... عند ذلك يتفرغ عيسى ابن مريم للمهمة الكبرى التي أنزله اللّٰه سبحانه من أجلها وهي تحكيم شريعة اللّٰه سبحانه (الإسلام) والقضاء على المبادئ الأرضية الضالة والأديان المحرفة... ولا يقبل من اليهود والنصارى الجزية ولا يقبل منهم إلا الإسلام وكذلك لا يقبل من أي ملة أخرى إلا الإسلام.

- عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ في الحديث عن عيسى عليه السلام بعد نزوله: «**فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك اللّٰه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام**»[١].

---

(١) رواه أبو داود صحيح الجامع الصغير للسيوطي (٥/ ٢٢٦) رقم الحديث (٥٨٧٧)

يقول النووي « **ويضع عيسى ابن مريم عليه السلام الجزية فلا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتل**» وهذا لا يعتبر مخالفاً لشريعة الإسلام التي تقول إما الإسلام أو الجزية أو الحرب. . لكن هذا التشريع باق إلى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأرض، فلا يقبل بأمر من اللَّه من أحد إلا الإسلام ذلك أن الساعة وانتهاء الدنيا أصبحا قاب قوسين أو أدنى، وانتهت فترة امتحان الناس فلا لزوم للاختبار فلا دين إلا الإسلام فاللَّه سبحانه لا يريد أن ينهي هذه الدنيا إلا على دين الإسلام دين الحق والكمال.

تنبيه: ولتحقيق شريعة الإسلام على يد عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه جاء ليقر الإسلام وشريعته العظيمة ولا ينزل نبي بعد محمد ﷺ فرسول اللَّه ﷺ قال: (لا نبي بعدي) وذلك حتى لا يلتبس الأمر على أحد ويكون بهذا عيسى ابن مريم عليه السلام صحابياً جليلاً بل هو أفضل الصحابة رضوان اللَّه عليهم، وذلك بحكمهِ بشريعة الإسلام التي كان يعمل فيها رسول اللَّه ﷺ

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه كبرى اليقينيات الكونية:

ومن أهم أشراط الساعة، ومن أخطر الأحداث التي تكون بين يديها. ومعنى نزوله، أنه يهبط إلى الأرض، بعد احتجابه عنها كل هذه الحقبة الطويلة من الدهر في مكان ما من ملكوت اللَّه عز وجل وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياه اللَّه بها إذ كان في الأرض رسولاً نبياً، فيمكث في الأرض مدة من الزمن يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية التي بعث هو والأنبياء كلهم لإقامتها، وينفذ الشريعة الإسلامية الناسخة لجميع الشرائع السابقة[١].

(١) كبرى اليقينيات الكونية الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٢٢

زواج عيسى ابن مريم عليه السلام
وحجه وموته ودفنه إلى جوار رسول اللَّه ﷺ
وفضل الذين يصحبونه

هل يتزوج عيسى ابن مريم عليه السلام؟

القول في زواجه ضعيف ولم يعرف إلا من وجهة واحدة ومن غير رواة الحديث وذكر ذلك (في المنتظم لابن الجوزي) قال:

عن عبد اللَّه بن عمر مرفوعاً «**ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له فيمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر**»

فقد ذكر الحديث دون ذكر من أخرجه ومعنى هذا أنه لا أصل له عند أصحاب الحديث... وعزاه القرطبي في آخر تذكرته إلى أبي حفص الميناشي.. وهذا ضعيف أيضاً... فزواج عيسى ابن مريم لم يرد به حديث صحيح وأظن أن الخبر واه وضعيف ولا يعتد به، وعليه لا أتصور أن عيسى ابن مريم عليه السلام سيتزوج في مدة مكثه في الأرض.

هل حج عيسى ابن مريم عليه السلام؟؟

نعم لقد حج عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا ثابت في الأحاديث الصحيحة

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة**

ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما»[١] .

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ليهلنَّ عيسى ابن مريم بفج الروحاء[٢] **بالحج أو العمرة أو لينشئهما جميعاً»**[٣] .

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ليهبطنّ ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن حاجاً أو معتمراً وليأتين قبري حتى يسلم عليَّ ولأردن عليه»[٤] .

أين يموت عيسى ابن مريم عليه السلام؟ وأين يدفن؟

يموت عيسى ابن مريم عليه السلام بعد أن تنتهي مدة مكثه في الأرض أربعين سنة في المدينة المنورة، وذلك بعد أن يحج البيت ويعتمر كما قدمت من أحاديث، وبعدها يأتي المدينة المنورة زائراً لرسول اللّه ﷺ ويسلم عليه ويرد عليه رسول اللّه ﷺ السلام كما تقدم أيضاً في الحديث، وبعدها يموت عيسى ابن مريم عليه السلام في المدينة المنورة ويدفن إلى جوار رسول اللّه ﷺ.

ـ عن عبد اللّه بن سلام قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«مكتوب في التوراة صفة محمد ﷺ وعيسى ابن مريم يدفن معه»**[٥] .

ـ عن عبد اللّه بن سلام قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«يدفن**

---

(١) رواه أحمد وابن جرير وابن عساكر.

(٢) فج الروحاء، الفج: الطريق ـ الروحاء مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

(٤) رواه الحاكم وصححه ورواه ابن عساكر.

(٥) أخرجه الترمذي وحسنه وابن عساكر

عيسى ابن مريم مع رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه فيكون قبره رابعاً »(١).

فضل الذين يصحبون عيسى ابن مريم خلال مدة مكثه في الأرض

- عن ثوبان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم »

[رواه أحمد في مسنده صحيح الجامع (٣٩٠٠).

ولنا في آخر الحديث عن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وسيرته وقتله الدجال واحقاقه للحق وكسر الصليب وقتل الخنزير والحكم بشريعة الإسلام ما قاله النووي في رده على المكذبين بنزول عيسى الزاعمين أن نزوله لو كان حقاً فإنه يكون مناقضاً لقوله ﷺ: **« لا نبي بعدي »** وأنه يكون بذلك ناسخاً لشرع رسول اللَّه ﷺ، يقول: **« هذا استدلال فاسد، لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا ولا في كل الأحاديث الواردة ولا في غيرها شيء من هذا. . . بل صح أنه ينزل حكماً مقسطاً يحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس »(٢).**

(١) رواه البخاري في تاريخه والطبراني وابن عساكر

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٧٦).

العلامة الخامسة

خروج يأجوج ومأجوج

.... خروج يأجوج ومأجوج ثابت في الكتاب والسنة وخروجهم من العلامات الكبرى التي ذكرها اللَّه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، كما ذكر نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها.

وقد أكدت الأحاديث الصحيحة أنهم يخرجون في زمن مدة مكث عيسى ابن مريم عليه السلام في الأرض حكماً عدلاً مقسطاً بين جميع الناس، وفي حديثنا الذي تقدم في نزول عيسى عليه السلام قلنا: إن يأجوج ومأجوج سيخرجون في مدة مكثه إلى الأرض ولكن أرجأنا الحديث عنهم.. لأن خروجهم علامة منفردة بذاتها ومن العلامات الكبرى لقيام الساعة.... والحديث عنهم صحيح ولا خلاف عليه بين العلماء والمفسرين ورواة الحديث إلا بعض الثغرات الضعيفة والتي سأذكرها وأشير إلى ضعفها، فلا نأخذ بها، وذكرها ضروري لمعرفتها ومعرفة ضعفها

... وقد جعل اللَّه سبحانه خروجهم علامة على اقتراب الوعد الحق

يقول تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾

وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧]

هل يأجوج ومأجوج من البشر ومن سلالة آدم عليه السلام؟؟

. . . . يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كثيرتا العدد. . وهما من ذرية آدم عليه السلام ويمكن أن نقول: يأجوج قبيلة، ومأجوج قبيلة، فهما من البشر ومن ذرية آدم عليه السلام، وتحديداً من نسل يافث بن نوح، وقد ردَّ حديث رسول اللَّه ﷺ كل شبهة من قائل: إنهم جنس من غير البشر. . بل هم بشر وسيبعثون يوم القيامة ويحاسبون كما يحاسب اللَّه سبحانه الإنس والجن جميعاً وهم من جنس الإنس ومن ذرية أبينا آدم عليه السلام.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يقول اللَّه تعالى ـ يوم القيامة ـ يا آدم: فيقول لبيك وسعديك والخير بين يديك فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد، قالوا: وأينا ذلك الواحد؟ قال أبشروا منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف »[(١)] .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الكهف:

« هم من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين » إن اللَّه

---

(١) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء مختصر صحيح البخاري رقم الحديث (١٤٠٥)

تعالى يقول: (أي يوم القيامة): يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: ابعث بعث النار، (أي ميز أهل النار من غيرهم، فيقول وما بعث النار؟. أي وما مقدارهم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فقال أي رسول اللّه ﷺ: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج(١).

فالحديث الشريف وتفسير ابن كثير وهو معتمد على حديث رسول اللّه ﷺ يثبتان أن يأجوج ومأجوج قبيلتان أو أمتان كبيرتان جداً، تناسلوا من نسل آدم عليه السلام وتحديداً من نسل يافث بن نوح، وقد ورد في نسبهم بعض الأحاديث الأخرى، ولكنها ضعيفة وردها كثير من العلماء أذكر واحداً على سبيل المثال للاطلاع والمعرفة:

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ولد لنوح سام وحام ويافث. . فولد لسام العرب وفارس والروم، وولد لحام القبط والبربر والسودان وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة**».

وقد ضعفه العلماء، وقال عنه الحافظ: في سنده ضعف.

ما صفات يأجوج ومأجوج؟؟

لقد ورد في صفتهما أنهم أقوياء ولهم أجساد قوية متينة لا طاقة للناس بقتالهم أبداً.

ولقد وصفهم رسول اللّه ﷺ أنهم عراض الوجوه صغار العيون شهب الشعور.

---

(١) تفسير ابن كثير ـ تفسير سورة الكهف.

ـ عن حرملة رضي اللَّه عنه عن خالته قالت: خطب رسول اللَّه ﷺ فقال: « **إنكم تقولون لا عدو وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه صغار العيون شهب الشعاف**[1] **من كل حدب ينسلون وجوههم المجان المطرقة**»[2].

ومما يدل على قوتهم وكثرة عددهم وأنه لا يستطيع أحد قتالهم أو القضاء عليهم، حديثُ رسول اللَّه ﷺ عن النواس بن سمعان الذي يتحدث فيه عن عيسى وقتله للدجال وخروج يأجوج ومأجوج.

عن النواس بن سمعان في حديثه الطويل قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم اللَّه منه (أي من الدجال) فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. . . . فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد لقتالهم**[3] **فحرز عبادي إلى الطور**[4] **ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون**»[5].

ومن الحديثين الشريفين ندرك تماماً مدى قوتهم وصفتهم، وأنه لا يستطيع أحد، قتالهم أي لا يستطيع جيش ولا أمة بكاملها أن تقاتلهم وتحاربهم لعظم قوتهم وقدرتهم وتمتعهم بأجساد قوية متينة.

وقد ورد في صفتهم أحاديث ضعيفة أورد أحدها للعلم

أورد ابن حجر صفاتهم بروايات فيها ضعف وأنهم ثلاثة أصناف:

١ ـ صنف أجسادهم كالأرز شجر كبير جداً

---

(١) الشعاف: جمع شعفة وهو أعلى الرأس وهو المراد بشهب الشعور.
(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٧١).
(٣) لا يدان لأحد بقتالهم أي لا يستطيع أحد أن يقاتلهم.
(٤) الطور: أي يا عيسى خذ عبادي المؤمنين واصعد بهم الجبل حرزاً منهم.
(٥) رواه مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٤/ ٢٢٥٤) رقم الحديث (٢٩٣٧).

٢ ـ صنف أربعة أذرع في أربعة أذرع طولاً وعرضاً

٣ ـ وبعضهم يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى

وهذا الوصف لابن حجر لا يستند إلى رواية صحيحة ولا إلى حديث صحيح وقد ضعف هذا الوصف العلماء

. . . وكذلك جاء في وصفهم مما لا يستند إلى رواية صحيحة أنهم شبر وشبران وأطولهم ثلاثة أشبار، وكله باطل لا سند له من رواية أو حديث شريف.

ما أعداد يأجوج ومأجوج؟؟

أعدادهم هائلة وحقيقة عددهم لا يعلمها إلا اللَّه سبحانه وتعالى، ولكن ندرك من الأحاديث الشريفة الصحيحة أن العدد كبير جداً:

ـ عن ابن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« إن اللَّه تعالى جزَّأ الخلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزءاً سائر الخلق. . وجزأ الملائكة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءاً لرسالته. . وجزأ الخلق أي البشر ـ عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزءاً سائر الخلق .»**[1] .

ومما يؤكد هذا، الحديث الذي أوردناه وخرجه البخاري. . بعد أن يسأل اللَّه تعالى آدم أن يخرج بعث النار وأنهم من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الحديث « **قالوا: وأينا ذلك الواحد قال: أبشروا منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف**»

[رواه البخاري وقد سبق تخريجه]

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وصححه / ٤/ ٤٩٠/ كتاب الملاحم والفتن.

- عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن يأجوج ومأجوج قلما يترك أحدهم من صُلبه ألفاً من الذرية»**(١).

عن عمر بن أوس رضي اللَّه عنه عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاؤوا، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً»**(٢).

ومما يؤكد الحديثين الشريفين أن ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم والطبراني رووا جميعاً بمثل هذا المعنى - وروى مسلم حديثاً يؤكد عددهم الهائل.

- صحيح مسلم **«سيوقد المسلمون من أُمَّتِي يأجوج ومأجوج ومن نشابهم وأسلحتهم وأترستهم سبع سنين»** مختصر صحيح مسلم رقم الحديث ١٩٤٠.

ما دين يأجوج ومأجوج؟

هم كفار ودليل القول، الحديث الشريف الذي أوردناه من قبل والذي أخرجه البخاري برقم ١٤٠٥ في مختصر البخاري:

«يقول اللَّه تعالى - يوم القيامة - يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد قالوا وأينا ذلك الواحد؟ قالوا أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً».

وهذا يدل على أن أكثر أهل النار من يأجوج ومأجوج وأنهم أمة

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه النسائي في سننه.

كافرة كفرت بالله تعالى. . . . وكذلك فإن كل سياق الأحاديث الواردة فيهم تدل على كفرهم. . ولولا كفرهم بالله لما قضى عليهم جميعاً قضاء مبرماً كما سيأتي في الحديث.

سيرتهم وحياتهم وكيف حبسهم ذو القرنين وبنى السد عليهم؟ ليوم الوعد الحق:

البداية من كتاب الله تعالى ومن سورة الكهف فقد حدثنا الله سبحانه عنهم وكيف التجأ الناس إلى ذي القرنين، وهو يطوف في الأرض أن يبعد أذى وخطر وفساد قبيلتي يأجوج ومأجوج.

وعنهم في آخر سورة الكهف وفي التفسير أن الملك الصالح ذا القرنين بلغ في تطوافه في الأرض المشرق حتى الصين، والمغرب حتى المغرب العربي ثم اتجه للشمال جهة تركيا، ووجد أقواماً هنالك شكوا له ما يلاقونه من أذى وضرر يأجوج ومأجوج، وطلبوا منه إنقاذهم من هؤلاء الفاسدين وأن يقيم بينهم وبين هؤلاء سداً عظيماً، يقيهم شرورهم وأذاهم وفسادهم، فوافقهم على ذلك وطلب منهم العون والمساعدة حتى ينجز بناء السد، وذو القرنين رجل صالح موهوب أرسله الله بعنايته ولطفه، وكان مؤمناً حقاً ورجل قوة وملك كما يأتي في التفسير.

ولقد فضلت أن أذكر كاملاً ما ورد عن ذي القرنين في القرآن الكريم لنعرف سيرته، وكيف أن الله سبحانه تحدث عنه قبل أن يذكر يأجوج ومأجوج وبناء السد، وتحدث عن تَطوافه في الأرض ومروره على أقوام كثيرين في مشارق الأرض ومغاربها، يحكم بين الناس بين من كان على إيمان ومن كان على ضلال وكفر. فأول المعرفة أن أعرف شخصية ذي القرنين الذي كان المهندسَ الفعلي لبناء السد، يتضح لنا

ذلك من الآية الكريمة لأنه ربما تُشكل على بعض الناس القصة.

وقد فضلت بعد ذكر الآيات الكريمة أن أذكر تفسير ابن كثير في الآيات التي سأذكرها وهي عن رحلة وتطواف ذي القرنين في الأرض ووصوله إلى القوم الذين استنجدوا به لبناء السد مع جيشه القوي.

و أما عن طواف ذي القرنين في الأرض فقد قال تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٨٣ ـ ٩٢]

وأما عن طواف ذي القرنين في الأرض وبنائه السد فقد قال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا * قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا * ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٩٣ ـ ٩٩]

معاني الكلمات:

سبباً: علماً وطريقاً يوصله إلى الغرب.

فأتبع سبباً: سلك طريقاً يوصله إلى الغرب.

تغرب في عين: بحسب رأي العين.

حمئة: الطين الأسود.

خبراً: علماً شاملاً.

السدين: جبلين منيفين وتقرأ السُّدين.

خرجاً: جُعلاً من المال تستعين به.

سدّاً: حاجزاً فلا يصلون إليكم.

ردماً: حاجزاً حصيناً متيناً.

زبر الحديد: قطعه العظيمة الضخمة.

الصدفين: جانبي الجبلين.

قطراً: نُحاساً مذاباً.

يظهروه: يعلوا على ظهره لارتفاعه.

نقباً: خرقاً وَثقباً لصلابته وثخانته.

جعله دكاء: مدكوكاً مسوّى بالأرض.

يموج: يختلط ويضطرب.

التفسير كما ورد في تفسير ابن كثير

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾.

يقول تعالى لنبيه، ﷺ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَن ذِى

﴿ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أي عن خبره، وقد قدمنا أنه بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب، يسألونهم ما يمتحنون به النبي ﷺ، فقالوا: سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية ما يدرى ما صنعوا، وعن الروح؟ فنزلت سورة الكهف، وقد ذكر الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به، وتبعه، وكان وزيره الخضر عليه السلام، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من أخباره في كتاب (البداية والنهاية) بما فيه كفاية والحمد للّه. وقال بعض أهل الكتاب: سمّي ذا القرنين لأنه ملك الروم وفارس، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين. وقال سفيان الثوري، عن أبي الطفيل: سئل علي رضي اللّه عنه عن ذي القرنين فقال: كان عبداً ناصحاً للّه فناصحه، دعا قومه للّه فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين، ويقال إنه سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب. وقوله ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أعطيناه ملكاً عظيماً، ممكناً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحضارات، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم من العرب والعجم، وقد ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها. وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾، قال ابن عباس: يعني علماً[1]، وقال قتادة: منازل الأرض وأعلامها، وقال عبد الرحمن بن زيد: تعليم الألسنة، قال: كان لا يغزو قوماً إلا كلمهم بلسانهم، وعن حبيب بن حماد قال: كنت عند علي رضي اللّه عنه، وسأله رجل عن ذي القرنين، كيف بلغ المشرق والمغرب؟ فقال:

---

(١) وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسُّدي وقتادة والضحّاك وغيرهم

سبحان اللَّه سخّر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد[١].

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

قال ابن عباس: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: يعني بالسبب المنزل. وقال مجاهد: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب، وقال قتادة: أي اتبع منازل الأرض ومعالمها، وقال سعيد بن جبير: علماً، وقال مطر: معالم وآثار كانت قبل ذلك. وقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: أي فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض، وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه، فشيء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم، وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي رأى الشمس بناظريهِ تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة والطين، كما قال تعالى ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أي: من طين أملس، وقد تقدم بيانه. وقال ابن جرير: كان ابن عباس يقول (في عين حمأة) ثم فسرها ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب الأحبار فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء. وبه قال مجاهد وغير واحد. وعن

(١) ذكره الضياء المقدسي عن سماك بن حرب عن حبيب بن حماد

أبي ابن كعب أن النبي ﷺ أقرأه حمئة، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: وجدها تغرب في عين حامية يعني حارة. وكذا قال الحسن البصري، وقال ابن جرير: والصواب أنهما قراءتان مشهورتان، وأيهما قرأ القارئ فهو مصيب، ولا منافاة بين معنييهما إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها وملاقاتها الشعاع بلا حائل، وحمئة في ماء وطين أسود كما قال كعب الأحبار وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي: أمة من الأمم، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم[1]، وقوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ معنى هذا أن اللَّه تعالى مكَّنه منهم، وحكَّمه فيهم وأظفره بهم، وخيّره إن شاء قتل وسبى، وإن شاء منَّ أو فدى، فعُرف عدله وإيمانه، فيما أبداه عدله وبيانه في قوله ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي استمر على كفره وشركه بربه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾، قال قتادة: بالقتل، وقال السدي: كان يحمي لهم النحاس ويضعهم فيها حتى يذوبوا الذي لا يطاق. وقال وهب بن منبه: كان يسلط الظلمة عليهم فتدخل بيوتهم، وتغشاهم من جميع جهاتهم، واللَّه أعلم. وقوله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي شديداً بليغاً وجيعاً أليماً، وفي هذا إثبات المعاد والجزاء. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ أي تابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة للَّه وحده لا شريك له ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي في الدار الآخرة عند اللَّه عزّ وجلّ، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ قال مجاهد: معروفاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾.

---

(١) قال السهيلي: هم أهل جابرص، ويقال لها بالسريانية: جرجيا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح.

يقول تعالى: ثم سلك طريقاً فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى اللّٰه عز وجل، فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم، واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الإقليم المتاخم لهم. وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفاً وستمائة سنة يجوب الأرض، طولها وعرضها، حتى بلغ المشارق والمغارب، ولمّا انتهى إلى مطلع الشمس والأرض كما قال اللّٰه تعالى ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي أمة ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي ليس لهم بناء يكنهم، ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس، قال سعيد ابن جبير: كانوا حمراً قصاراً مساكنهم الغيران، أكثر معيشتهم من السمك. وقال الحسن في قوله تعالى ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ قال: إن أرضهم لا تحمل البناء، فإذا طلعت الشمس تغوروا في المياه، فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم[1] وقال قتادة: ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئاً، فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب، حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعايشهم. وقال ابن جرير: لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس جبلاً. وقوله ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ قال مجاهد والسدي: علماً، أي نحن مطلعون على جميع أحواله، وأحوال جيشه لا يخفى علينا منهما شيء، وإن فرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض، فإنه تعالى يقول ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي عن الحسن البصري.

قَوْلًا * قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن ذي القرنين ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي ثم سلك طريقاً من مشارق الأرض، حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة، يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين: « **إن اللّه تعالى يقول: يا آدم، فيقول، لبيك وسعديك، فيقول: ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فقال إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج** »(١).

و في مسند الإمام أحمد، عن سمرة أن رسول اللّه ﷺ قال: « **ولد لنوح ثلاثة: سام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك** » قال بعض العلماء: إنما سمي هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة، وإلا فهم أقرباء أولئك ولكن كان في هؤلاء بغي وفساد وجراءة، وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاً عجيباً في سيرة ذي القرنين وبنائه السد وكيفية ما جرى، وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم. وروى ابن أبي حاتِم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها، واللّه أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري و مسلم.

وقوله تعالى ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لاستعجام كلامهم، وبعدهم عن الناس، ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قال ابن عباس أجراً عظيماً، يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالاً يعطونه إياه حتى يجعل بينهم وبينهم سداً، فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ أي إنّ الذي أعطاني اللّه من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ الآية. وهكذا قال ذو القرنين، الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه، ولكن ساعدوني بقوة، أي بعملكم وآلات البناء ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ والزبر، جمع (زبرة) وهي القطعة منه[١] وهي كاللبنة يقال كل لَبِنة زنة قنطار بالدمشقي أو تزيد عليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي وضع بعضه على بعض من الأساس، حتى إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً[٢] ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ أي أجّج عليه النار، حتى صار كله ناراً ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ قال ابن عباس والسدي: هو النحاس[٣]، زاد بعضهم المذاب، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول اللّه قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال: انعته لي قال: كالبرد المحبّر، طريقة سوداء، وطريقة حمراء، قال: قد رأيته[٤]، وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشاً أو سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٢) قال السيوطي عن الضحّاك: هما من قبل أرمينية وآذربيجان أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) وهو قول مجاهد وعكرمة والضحّاك وقتادة.

(٤) أخرجه ابن جرير وهو حديث مرسل.

إذا رجعوا، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن ملك إلى ملك، حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً، وعليه أقفال محكمة، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هنالك، وأن عنده حرساً من الملوك المتاخمة له، وأنه عال منيف شاهق، لا يستطاع، ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالاً وعجائب، ثم قال الله تعالى:

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن يأجوج ومأجوج، إنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد، ولا قدروا على نقبه من أسفله، ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه، قال: ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾، وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه ولا على شيء منه ﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ أي لما بناه ذو القرنين ﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾، أي بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العبث في الأرض والفساد ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى ﴾ أي إذا اقترب الوعد الحق ﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ أي ساواه بالأرض، تقول العرب: ناقة دكاء إذا كان ظهرها مستوياً لا سنام لها، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ أي مساوياً للأرض، وقال عكرمة في قوله ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ قال: طريقاً كما كان، ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ أي كائناً لا محالة. وقوله: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ ﴾ أي الناس، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس، ويفسدون على

الناس أموالهم، ويتلفون أشياءهم، وهكذا قال السدي، في قوله ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ قال: ذاك حين يخرجون على الناس، وهذا كله قبل يوم القيامة، وبعد الدجال، كما سيأتي بيانه عند قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۞ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ الآية. وهكذا قال ههنا، ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ قال: هذا أول يوم القيامة، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ على أثر ذلك ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾، وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ قال: إذا ماج الجن والأنس يوم القيامة يختلط الإنس والجن، وقوله ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ والصور كما جاء في الحديث، قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، وفي الحديث عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعاً: « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته، واستمع متى يؤمر** » قالوا: كيف نقول؟ قال: « **قولوا حسبنا اللّٰه ونعم الوكيل، على اللّٰه توكلنا** » قوله: ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ أي أحضرنا الجميع للحساب ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۞ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾، ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

مكان وزمان خروجهم ودليل خروجهم وإقامتهم في الأرض:

من الروايات السابقة ندرك أن مكان خروجهم حيث حبسوا بين الجبلين العظيمين في بلاد الترك ذلك أنهم عندما يخرجون يصلون سريعاً إلى البحر الميت كما في الحديث عندما يشربون كل مَائِهِ.

وهذا دليل قرب خروجهم إلى البحر الميت ومن ثم إلى بيت المقدس في فلسطين.

وأما زمان خروجهم فهو في زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ومدة مكثه في الأرض وتحديداً بعد أن يقتل عيسى ابن مريم الأعور الدجال، يأتي الوعد الحق من اللّٰه بإخراجهم، ويخبر اللّٰه سبحانه

عيسى ابن مريم عليه السلام كما في الحديث الشريف ليحرز نفسه ومن معه من المؤمنين إلى الجبال القريبة (الطور) حماية لأنفسهم من يأجوج ومأجوج الذين يخرجون كموج البحر، لا يعرف أولهم من آخرهم فلا يدانيهم أحد ولا يستطيع أحد قتالهم ولولا أن اللّه قتلهم جميعاً لأهلكوا الحرث والنسل وقضوا على كل ما في الأرض من ماء ونبات ومخلوقات، ودليل خروجهم ثابت في الكتاب والسنة قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٦]

- عن زينب بنت جحش رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: «**لا إله إلا اللّه ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت: يا رسول اللّه أفنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث**»(١).

- عن النواس بن سمعان قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم اللّه منه (أي من الدجال)، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنّة، فبينما هم كذلك إذ أوحى اللّه إلى عيسى، إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث اللّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي اللّه عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللّه عيسى وأصحابه، فيرسل اللّه عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة،**

(١) أخرجه البخاري مختصر البخاري رقم الحديث ١٤٠٤ صفحة ٣١٥

ثم يهبط نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه مطراً، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة»(١).

أعناق البخت: طوال الأعناق.

يرغب نبي اللَّه: أي يلتجئ إلى اللَّه في الدعاء.

المدر: الطين الصُلب

الوبر: هو بيت الشعر المصنوع من القماش.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيده اللَّه أشد ما كان.. حتى إذا بلغ مدتهم وأراد اللَّه أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً إن شاء اللَّه تعالى، واستثنوا فيعودون إليه كهيئته يوم تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها الدم الذي كهيئة الدم الذي أحبط فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء فيبعث اللَّه عليهم نَغَفاً في أقفائهم، فيقتلون بها، قال رسول اللَّه ﷺ والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم»**(٢).

عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ: **«يفتح**

---

(١) رواه مسلم كتاب الفتن رقم الحديث ٢٩٣٧

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم في المستدرك و أحمد في مسنده.

اجفظ: امتلأ ـ أقفائهم: المقصود مؤخرة رقابهم ـ نغفاً: نوع من الدود الذي يكون في آناف الإبل والغنم.

يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس كما قال اللَّه عز وجل: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى أن، بعضهم ليمر بالنهر، فيقول: قد كان هنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس إلا أحد في الحصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء. قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع مخضبة دماً للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك: إذ بعث اللَّه دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال، فيتجرد منهم محتسباً لنفسه، أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين: ألا أبشروا، فإن اللَّه قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها مرعى إلا لحومهم، فتشكر كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط»[١].

تنبيه: لقد تبين لنا من معاني الآيات القرآنية الكريمة في سيرة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج ومن تفسير ابن كثير والأحاديث الشريفة الصحيحة التي أوردناها، أن يأجوج ومأجوج محبوسون بين جبلين عظيمين، ليحجزوا عن البشرية بهذا السد الذي بناه ذو القرنين استجابة للقوم الذين استنجدوا به.

وبقيت الأسئلة تراود الكثير من الناس حولهم:

السؤال الأول: أين كان يأجوج ومأجوج عند بناء السد

(١) رواه ابن ماجه في سننه و ابن حبان والحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده

عليهم ولِمَ لم يقيموا هذا البناء علماً أن بناءه على هذه الهيئة العظيمة من الرصاص والحديد حتى وصل إلى أعالي الجبلين العظيمين لا بد أنه استغرق وقتاً طويلاً، والجواب على هذا السؤال نقول:

ـ ربما كانوا يومئذ قلة من الأعداد، ثم بعد حجزهم جعل اللّٰه في نسلهم أعداداً كثيرة كما ورد في الأحاديث الشريفة أن أحدهم يكون له ألف من نسله على طول هذه المدة التي عاشوا فيها وراء السد، فتكون زيادتهم قد نمت من بعد حجزهم(١).

ـ وربما يكون لخروجهم وقت ما في كل شهر مرة أو في كل شهرين مرة، والقوم الذين استنجدوا بذي القرنين يعلمون قطعاً موعد خروجهم فأعلموا ذا القرنين بوقت خروجهم وبنوا السد على هذا الأساس وأنهوا العمل قبل خروجهم.

السؤال الثاني: أين يعيشون الآن؟ وهم بهذه الكثرة العظيمة والتي تفوق المليارات الكثيرة ـ أضف أن الطائرات في عصرنا اليوم تجوب أنحاء الأرض جميعاً ولم يشاهد أحد هذا السد الذي حجزوا من خلفه.

ـ والجواب على هذا السؤال: هذه قدرة اللّٰه سبحانه ربما يعيشون في طبقات تحت الأرض كانوا يخرجون منها كل حين من الزمن فيعتدون على الناس ويخربون مزروعاتهم ومواشيهم.. فكلنا مؤمن بوجود الجن فأين الجن؟ إنا لا نرى منهم أحداً، ووجود الجن ثابت في الكتاب والسنة وكذلك نقول عن الملائكة التي تعيش في

---

(١) حجزهم: حبسهم.

الأرض وأن لكل واحد منا ملكين يكتبان أفعاله وأعماله وأقواله أيضاً أين هم؟ ولا نشاهد منهم أحداً فليس معنى أنه لم يكتشفهم أحد أنهم غير موجودين، هم موجودون في مكان ما على الأرض، أخفى اللَّه بقدرته سرهم ووجودهم عن البشر حيث يبدو هذا السد العظيم بعد طول هذه المدة كجبل شاهق كساه التراب ونبت عليه الزرع والشجر وهو من بين مئات الجبال فلا ينتبه أحد إليه إلا أنه مثل غيره من الجبال، وذلك إلى ما قبل الساعة بقليل، ثم إن وجودهم ثابت بالكتاب والسنة كما هو ثابت خروجهم في الكتاب والسنة.

السؤال الثالث: هم بهذه الأعداد الهائلة ماذا يأكلون ويشربون؟

والجواب: هذا يتعلق باللَّه الذي عنده خزائن السموات والأرض، وما ندري لعل مكانهم الموجودين فيه به خيرات عظيمة من طعام وشراب يوفره اللَّه سبحانه لهم ليوم الوعد الحق، فإذا ما جاء موعدهم يقطع اللَّه عنهم الرزق من طعام وشراب لأيام، لذلك لما يخرجون جائعين يأكلون كل شيء ويشربون كل شيء ويفعلون كل شيء، ولا أحد يردهم عمَّا يفعلون حتى يستجيب اللَّه دعاء عيسى ابن مريم عليه السلام بالقضاء عليهم واللَّه أعلم.

ماذا يكون بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ومن يحكم البلاد والعباد من بعده؟؟

بعد أن يموت عيسى ابن مريم عليه السلام بعد حكم وولاية على المسلمين أو قل على الدنيا دامت أربعين سنة، شهد الإسلام فيها انتشاراً عظيماً عم الشرق والغرب وعاش الناس بخير عظيم ونعمة يحسدون عليها، فقد أنزلت السماء رزقها وأنبتت الأرض خيراتها وفاض الخير وزاد المال وتنعم الناس، بعد القضاء على

يأجوج ومأجوج بنعم أسبغها اللَّه عليهم ما سبق لجيل أو حين من الزمن مثلها. . . ولكنهم كانوا على الإسلام والطاعة والإيمان وزادهم اللَّه نعمة أن أحرزهم من النار في الآخرة وقد تقدم الحديث:

ـ عن ثوبان رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار، عصابة تغزو مع الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم**»(١).

وهؤلاء هم الذين نجوا من فتنة الأعور الدجال ولم يصدقوه، ولقوة إيمانهم هربوا منه إلى الجبال والوديان حتى لا تطالهم يداه ومن معه من اليهود والكافرين. . وقد ورد في الحديث الشريف أن عيسى ابن مريم عليه السلام لمَّا قتل الدجال وخلص المؤمنين من شره وفساده رجع إلى هؤلاء القوم الذين عصمهم اللَّه سبحانه منه، وقاوموه بقوة إيمانهم فأخذ عليه السلام يمسح على وجوههم ورؤوسهم محبة ورحمة وطمأنة منه، وأخذ يحدثهم بمقامهم في الجنة ودرجاتهم العليا عند اللَّه سبحانه.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم اللَّه منه ـ أي الدجال ـ فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج . . . .**»(٢). إلى آخر الحديث.

---

(١) رواه أحمد في مسنده والنسائي في سننه صحيح الجامع رقم الحديث (٣٩٠٠).

(٢) رواه مسلم كتاب الفتن رقم الحديث (٢٩٣٧).

وقد تقدمت الأحاديث الشريفة على عموم الأمن والرخاء وسيادة الوفاق والسلام في ذلك كله.

فإذا مات عيسى ابن مريم عليه السلام ودفن إلى جوار الرسول ﷺ تقول الروايات إن الذي يحكم بعده رجل اسمه (المقعد).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ويمكث أربعين عاماً يعمل بكتاب اللَّه وسنتي، ويموت فيستخلفون بأمر عيسى رجلاً من بني تميم يقال له المقعد»**(١).

وتكون الحياة رغيدة هنية في خلافة (المقعد) الذي يخلف عيسى ابن مريم وهو من بني تميم من قريش ويؤكد هذه الحياة الطيبة الهنية والسعيدة في خلافة المقعد حديث رسول اللَّه ﷺ.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، لاتشاحَّ ولا تحاسد ولا تباغض»**(٢).

وهذا الاستمرار في الحياة الطيبة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام إنما يدل على أن الناس كانت لا تزال على عهد الإيمان والطاعة للَّه سبحانه طوال فترة حكم (المقعد).

فإذا مات المقعد، تولى من قريش رجل لا يكون مثله ولا

---

(١) رواه أبو الشيخ ولم أعرف له راوياً آخر.

(٢) رواه أبو بكر الأنباري، والديلمي، والضياء سلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني (٤/ ٥٥٩) ورقم الحديث (١٩٢٦).

يحسن سيرته لفترة قصيرة، فيخرج إليه (جهجاه) وهو رجل من قحطان يصير إليه الملك، وهو شديد القوة والبطش وقد ذكره رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة، واعتبر خروجه وتوليه الملك من العلامات القريبة من قيام الساعة

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**»(١).

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه**»(٢).

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له جهجاه**»(٣).

ودليل قوة الجهجاه كما في الحديث أنه يقود الناس بعصاه، وهي كناية عن قوته وتمكنه من الملك والسيطرة عليه وعلى الناس.. ولعل الجهجاه بقيادته الناس بعصاه يجزئ الناس وتكون الفرقة ويكون له من يعاديه ويناوئه..

لذلك ذكر العلامة محمد بن رسول البزرنجي في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة،أن رجلاً يقال له القحطاني يخرج على الجهجاه بسيرة مثل سيرة المهدي ويلقب بالمنصور يمكث واحداً وعشرين عاماً.... بعدها يقول البرزنجي أي بعد وفاته يملك الموالي ويخرب الملك ويغلب الشر، وعلى هذا ينقطع خير السماء وخير الأرض، ويعيش

(١) رواه البخاري ومسلم اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
(٢) رواه البخاري كتاب الفتن فتح الباري (١٣/ ٧٦).
(٣) رواه البخاري كتاب الفتن فتح الباري (١٣/ ٧٦).

الناس وقد غلب عليهم الضلال والشر وينحسر مرة أخرى المسلمون، ويحاربهم أهل الشر الذين خلفوا القحطاني، ويُهزم المسلمون وينحسر ظلهم ويحيط بهم أعداؤهم مرة أخرى ويحاصرونهم في المدينة المنورة.

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح»**(١).

تنبيه: إن ما بقي من العلامات الكبرى قد اختلف العلماء ومنذ زمن الصحابة على ترتيبها، ولم أقف في جميع الكتب التي تحدثت عن علامات الساعة الكبرى على ترتيب متفق عليه، وإنما وجدت اختلافاً في الترتيب بين عالم وعالم وفقيه وفقيه ومؤلف ومؤلف. . . ولكن الجميع متفقون على صيرورتها وحتميتها جميعاً دون استثناء واحدة منها، مع اختلاف أحياناً في التسمية أو إضافة شيء قبله أو بعده. . . فمثلاً أحدهم يُعَنْون العلامة الكبرى بقوله رفع القرآن من المصاحف ـ والآخر يعنون العلامة الكبرى دروس الإسلام ورفع القرآن من المصاحف. . فهذا لا يؤدي إلى خلاف في الجوهر فالجوهر موجود وكلهم متفقون عليه. . . وبعد الدراسة والفحص والمتابعة وجدت بعون اللَّه تعالى أن الترتيب بعد العلامة الكبرى (خروج يأجوج ومأجوج) يكون على الشكل التالي ولا أقول إلا ما قال غيري ـ والعلم عند اللَّه وسأقدم في كل علامة سبب تقديمها ووضعها في هذا الترتيب:

ـ الدخان

ـ طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) رواه الترمذي فتح الباري (١٣/ ٧٨) والحاكم.

- خروج الدابة.

- دروس الإسلام ورفع المصحف وعودة الناس إلى الجاهلية وعبادة الأوثان.

- هدم الكعبة.

- وقوع الخسوف الثلاثة.

- ريح تقبض أرواح المؤمنين.

- خروج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر.

تنبيه آخر: العلامة الكبرى النهائية وهي خروج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر.. وهي الأخيرة فقد أرجأتها إلى الجزء الرابع الذي يتحدث عن قيام الساعة لأنها داخلة في قلب قيام الساعة ولا فاصل بينهما، وكذلك لبيان عظيم أمر هذه العلامة الأخيرة وما قال العلم فيها اليوم والحقائق العلمية التي اكتشفت لهذه العلامة الكبرى والتي تؤكد وقوعها حتماً.

الفصل الثاني

العلامات الكبرى

١ ـ العلامة السادسة : الدخان .

٢ ـ العلامة السابعة : طلوع الشمس من مغربها .

٣ ـ العلامة الثامنة : خروج الدابة .

٤ ـ العلامة التاسعة : دروس الإسلام ورفع المصحف وعودة الناس إلى الجاهلية وعبادة الأوثان .

٥ ـ العلامة العاشرة : هدم الكعبة .

٦ ـ العلامة الحادية عشرة : وقوع الخسوف الثلاثة .

٧ ـ العلامة الثانية عشرة : ريح لينة تقبض أرواح المؤمنين .

٨ ـ العلامة الثالثة عشرة : خروج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر .

العلامة السادسة
الـدخـان

قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٠]

العلامة الكبرى (الدخان) آية من آيات اللّه الكونية كانشقاق القمر وطلوع الشمس من مغربها والخسوفات الثلاثة الكبرى الأرضية كذلك تسجير البحار وتكوير الشمس وانكدار النجوم عند قيام الساعة.

... فهي آية كبرى وعظمى تعم الأرض كلها ولا تستثني أحداً من البشر الأحياء وقت وقوعها.

... وأتصور والعلم عند اللّه سبحانه أن هذه الآية واقعة بعد أن يموت عيسى ابن مريم عليه السلام وبعد أن تحقق في زمن حكمه كل أشكال الأمن والسلامة والطمأنينة والإيمان، والطاعة لرب العالمين... وشاع الإسلام في أركان المعمورة وقد استمر هذا السلام والإسلام بعد موت عيسى ابن مريم عليه السلام أثناء ولاية المقعد والقحطاني كما قدمت، وبعد موت القحطاني يملك الموالي ويخرب الملك ويعود الشر بكل أشكاله، فيغلب مرة أخرى ويغلب على الناس.

وأرى والعلم عند اللّه أنه وفي هذه الأثناء لم ينقرض الإسلام ويدرس بشكل نهائي، بل هنالك مسلمون مؤمنون ولكنهم ربما يكونون قلة، ومنهم من لا يعمل بشرع الإسلام ولا بتطبيق أحكامه، وأولها الطاعة والعبادة، كجزء من المسلمين اليوم الذين لا يقدمون

الطاعة والفروض والعبادة فهم مسلمون ومؤمنون وموحدون ولا ينكرون وحدانية اللَّه، ولكنهم على غير طاعة اللَّه تعالى لذلك تأتي مثل هذه الآيات عذاباً شديداً للكافرين وإنذاراً وتنبيهاً للمؤمنين من أجل عودتهم إلى الطريق المستقيم

. . . وإن كثيراً من الآيات والمعجزات أرسلها اللَّه سبحانه في الدنيا على طول أمدها وقد ذكر اللَّه سبحانه في كتابه الكريم الكثير من هذه الآيات التي أرسلها إلى الأقوام لعلهم يرجعون، فمن واسع رحمة اللَّه تعالى أنه يرسل الآيات تلو الآيات إلى البشر جميعاً، علهم يعودون إليه سبحانه

يقول تعالى:

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٤٨]

وقدَّم اللَّه سبحانه للأقوام على مدى تاريخ البشر على هذه الأرض آيات كثيرة، لعلهم يرجعون إلى اللَّه سبحانه كأقوام عاد ـ وثمود ـ ونوح ـ وفرعون وقوم تبع والرس وأصحاب الأيكة، فاللَّه سبحانه لا يأخذ بالعذاب إلا بعد الآيات، ولكن هذه الآيات تبقى بحدود التنبيه والإنذار للعودة إلى اللَّه والرجوع إليه، ولو يشاء اللَّه سبحانه كما قال لأنزل آية من السماء تكون بعدها أعناق الناس خاضعة ذليلة للَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾.

[سورة الشعراء، الآيات: ٣، ٤]

آية عذاب من اللَّه سبحانه لا تميتهم، ولكنها تلقي عليهم عذاباً أليماً شديداً يُهْرعون ويلجؤون إلى اللَّه عند وقوعها لرفعها عنهم وخلاصهم منها، ولكن اللَّه كما يقول ﴿إِن نَّشَأْ﴾ وما ذلك إلا لأن اللَّه سبحانه قضت حكمته وسنته أن يكون الناس في هذه الحياة الدنيا في امتحان وابتلاء، وأن يترك لهم حرية العمل والاعتقاد.

يقول تعالى:

﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

وآية الدخان والتي هي من العلامات الكبرى هي مثل آيات اللَّه تعالى ولكنها شديدة وقوية تفوق سابقاتها، ذلك أنها من علامات الساعة الكبرى وأن الدنيا آذنت على النهاية، وأن قيام الساعة أصبح قاب قوسين أو أدنى، ولكنها تبقى آية عذاب من أجل العودة إلى اللَّه سبحانه، لأن القلم لا يزال يعمل والحفيظان الرقيبان من الملائكة يسجلان أعمال ابن آدم، ولا يتوقف هذا حتى تنشق السماء، فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان، لأن القلم يتوقف عندئذ والساعة قامت والسماء انشقت.

يقول تعالى:

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

[سورة الرحمن، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

فلنستعرض آية الدخان من سورة الدخان، ولنقرأ الآيات التي قبلها وبعدها، لأن آية الدخان لها سياق، سبقتها آيات وبعدها آيات فلا بد أن نأخذ ما قبلها وما بعدها حتى ندرك المفهوم.

يقول تعالى بعد أن تحدث عن القرآن العظيم ونزوله في ليلة القدر، وأن اللَّه هو الإله المعبود لا سواه، وأنه رب الآباء والآباء الأولين قال تعالى:

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ * فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾.

[سورة الدخان، الآيات: ٩ ـ ١٦]

فإذا ما أنزلت آية الدخان، وغشي الناس هذا العذاب العظيم يجأرون إلى اللَّه ويلتجئون إليه أن يرفع هذا العذاب عنهم ويعدون ربهم بالعودة والهداية والإيمان.. فيحقق اللَّه سبحانه للناس كشف العذاب عنهم ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾.

واللَّه يعلم أنهم عائدون إلى غيهم وضلالهم وكفرهم بعد أن يطمئن الكفار والضالون إلى استقرار السماء مرة أخرى.

وإذا تمعنا في الآية القرآنية الكريمة ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ نجد أن كل مقرراتها تشير إلى أنها من علامات الساعة الكبرى، فما معنى (قليلاً) أي سنكشف العذاب زمناً قليلاً، ولكن سنعيده مرة أخرى لأنكم عائدون، سنعيده ولكن لا يشترط أن يكون الدخان مرة أخرى إنما آيات أخرى مستمرة والتي هي علامات الساعة الكبرى.

وهذا التحليل إنما جاء لأن بعضهم قال إن هذه الآية (الدخان) جاءت في زمن الرسول ﷺ وانقضت.

وهو قول عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه فقد روى مسروق

قال: كنا عند عبد اللّه بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن: إن قاصاً يقص عند أبواب كندة ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام فقام عبد اللّه وجلس وهو غضبان وقال: يا أيها الناس اتقوا اللّه من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل اللّه أعلم.. فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم اللّه أعلم فإن اللّه سبحانه قال لنبيه ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾.

[سورة ص، الآية: ٢٨٦]

إن رسول اللّه ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال: اللّهم سبعاً كسبع يوسف قال فأخذ منهم سنة ـ القحط ـ حصدت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك جئت بطاعة اللّه وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع اللّه لهم قال تعالى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٦]

والبطشة الكبرى يوم بدر وقد مضت آية الدخان والبطشة.

ولكن هذا الرأي تفرد به حسب الرواية عبد اللّه بن مسعود

وهذه الرواية والرأي فيه تساؤل أولاً: إن القحط الذي أصاب وأجدب فقط أهل مكة بينما يقول تعالى:

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

فاللّه سبحانه يقول يغشى الناس وليس هو مخصوصاً بأهل مكة

ثانياً: إن الذي استنجد هو أبو سفيان.. وأبو سفيان لم يسلم إلا بعد فتح مكة وكان النصر عظيماً فلم يعرف أن القوم قد جدبوا

وأصابهم القحط بعد فتح مكة وإلى أن توفي الرسول ﷺ بعد هذا النصر وهذا الفتح.

ثالثاً: إن رسول اللَّه ﷺ ذكر الدخان أنه من الآيات العشر لقيام الساعة

رابعاً: إن الجوع والجدب والقيظ تُشكل على العيون الرؤيا، فترى خيالات في السماء يأتي منها الوهج والجوع فتزيغ القلوب والعيون.

ثبوت آية الدخان في الحديث الشريف:

عن حذيفة بن أسيد قال: اطلع علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن نتذاكر، فقال ما تذاكرون؟ قلنا: نذكر الساعة قال: «**إنها لن تقوم حى تروا قبلها عشر آيات فذكر ـ الدخان ـ الدجال ـ الدابة ـ طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوفات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»(١).

عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثاني الدابة والثالث الدجال**»(٢).

ومن الصحابة الذين قالوا: إن آية الدخان لم تأت بعد، علي بن أبي طالب وأبو سعيد الخدري وابن عباس والحسن البصري رضي اللَّه عنهم ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٢٥) رقم الحديث (٢٩٠٠)

(٢) رواه الطبراني ـ وابن جرير وإسناده جيد.

قال النووي في شرحه على مسلم عند قوله رضي اللَّه عنه: «**لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان** . . . . . » قال النووي هذا الحديث يؤيد قول من قال: إن الدخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وإنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة، وقد سبق في كتاب بدء الخلق قول من قال هذا وإنكار ابن مسعود عليه، وأنه إنما هو عما نال قريشاً من القحط، حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان، وقد وافق ابنَ مسعود جماعة، وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحسن، ورواه حذيفة عن النبي ﷺ وأنه أي الدخان يمكث في الأرض أربعين يوماً . قال النووي ويحتمل أن يكون دخانين للجمع بين هذه الآثار(١).

ما لون الدخان وما مدة لبثه في الأرض وكيف يأتي؟؟

لم يأت عن لونه شيء، ولبثه في الأرض كما تقدم في قول النووي أربعون يوماً . أما كيف يأتي فاللَّه سبحانه مالك الملك وخالق السموات والنجوم والكواكب والأقمار والنيازك والشهب وبيده العلم، وربما يأتي نيزك من النيازك قريباً من الأرض فيحدث هذا الدخان فيعم الأرض كلها، وما ذلك على اللَّه الخالق بعزيز.

(١) شرح النووي على مسلم: (١٨/ ٢٧).

العلامة السابعة

طلوع الشمس من مغربها

طلوع الشمس من مغربها آية كونية عظيمة ومعجزة إلهية كبيرة، كلنا يعلم أن هذا الكون بنجومه وكواكبه وأقماره ونيازكه وشهبه منظم تنظيماً دقيقاً جداً من اللّه سبحانه، خلقها جميعاً بمنتهى الدقة والعلم الإلهي فلا تحيد شمس ولا كوكب ولا قمر عن مساره قيد أنملة كي لا يختل نظام أي شيء خلقه اللّه سبحانه، يقول تعالى:

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾.

[سورة يس، الآية: ٤٠]

طالما أن الحياة الدنيا مستمرة، والإنسان في امتحان لم ينته بعد، فكل أفلاك السموات تشير إلى منتهى الدقة والعلم والإرادة الإلهية... والأرض التي نعيش عليها محفوظة بأمر اللّه سبحانه من هجوم النيازك والشهب إلا ما يريده اللّه لنا من أجل العلم وبيان القدرة الإلهية.

قال تعالى:

﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٦٥]

أي يمسك ما في السموات من نجوم وكواكب وأقمار ونيازك أن تقع

على الأرض وتقضي على الحياة البشرية التي أرادها اللَّه سبحانه. . . لذلك لما صعدت مراكب الفضاء إلى القمر، والزُّهَرَة، والمِرِّيخ، وزحل. . . وجدوا بالتصوير عشرات الآلاف من الحفر العميقة المدمرة وهي آثار النيازك والشهب التي تصطدم بتلك الكواكب لأن اللَّه سبحانه لم يحفظها منها كما حفظ الأرض.

فكل شيء في السموات والأرض محفوظ بأمر اللَّه إلى يوم الوقت المعلوم حيث تكور النجوم ويذهب ضوؤها وتزلزل الأرض وتسجر البحار وتذهب الكواكب يقول تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

هذا إذا جاء وعد الآخرة، وجاء الوعد الحق وجاءت الساعة التي كذَّب بها المجرمون والكافرون. . . . وقد جعل اللَّه سبحانه طلوع الشمس من مغربها علامة كبرى على قيام الساعة واقتراب موعد قيام الساعة. . . . وقلنا من قبل إن علامات الساعة الكبرى فيها ما هو أرضي بشري، ومنها ما هو كوني له علاقة بالسماء وأجرامها وكواكبها وأقمارها ـ كعلامة طلوع الشمس من مغربها فلنستطلع الآية الكريمة والأحاديث الشريفة حول هذه العلامة الكبرى ثم نعود إلى التحليل العلمي وكيف تشرق الشمس من مغربها

يقول اللَّه تعالى:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٨]

ولقد أجمع المفسرون أن هذه الآية تخص طلوع الشمس من

مغربها قبل قيام الساعة. . . ومع كون هذه الآية في رأي الجمهور هي لطلوع الشمس من مغربها، إلا أن هذا لا ينفي أن تكون أيضاً لبعض آيات ربك الأخرى التي لم تذكر صراحة في القرآن الكريم ـ كالدجال ـ ونزول عيسى ـ والخسوفات الثلاثة، لأن كلمة (بعض) تعني الجمع ولا تعني الإفراد.

. . . . فظاهر الآية القرآنية الكريمة أنه إذا طلعت الشمس من مغربها بدل مشرقها لن يقبل إيمان أحد من الناس إن لم يكن مؤمناً من قبل، وربما لا تُقبل توبة عاص مغرق في معصيته وآثامه وذنوبه، لأن الناس عندما يشاهدون شروق الشمس من المغرب يتيقنون أن وعد اللَّه سبحانه حق وأن الساعة أصبحت قاب قوسين أو أدنى.

. . . . ونحن نعلم جميعاً أن من شروط الإيمان الإيمانَ بالغيب وبقدرة اللَّه وصحة وحدانيته ووجوده من خلال ما وهبنا من عقل يوصلنا إلى التوحيد والإيمان باللَّه وباليوم الآخر أنه حق من اللَّه سبحانه، لذلك من يؤمن يومئذ يؤمن خوفاً، ولأنه شاهد بعينه بعض الغيب الذي أخفاه اللَّه عنا في حياتنا الدنيا لضرورة الامتحان والابتلاء فالجنة ليست سلعة رخيصة بل هي غالية جداً تحتاج إلى الإيمان بالغيب والعمل الصالح.

يقول تعالى:

﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٤]

فالإيمان بالغيب شرط لصحة الإيمان وقبوله من اللَّه سبحانه.

. . . . فأما من آمن باللَّه تعالى ولم يكفر قبل طلوع الشمس من مغربها فهو باق على إيمانه وقبوله من اللَّه سبحانه. . . بل يكون هؤلاء في أحسن حالاتهم لأنهم مؤمنون من قبل، وزادهم رؤية شروق الشمس من مغربها يقيناً على صحة إيمانهم ووعد اللَّه سبحانه، فيزدادون إيماناً وعملاً صالحاً ينالون منه أجراً لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه.

. . . . ولقد توسعت السنة الشريفة في الحديث عن العلامة الكبرى شروق الشمس من المغرب، فلننظر ولنقرأ ما قاله رسول اللَّه ﷺ في خصوص هذه العلامة الكبرى والتي تفصل بين من آمن من قبل وبين من يؤمن من بعد ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[(١)].

وقال الحافظ: قال ابن عطية وغيره ما حاصله: أن معنى الآية الكريمة والحديث الشريف أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب. . . وكذلك العاصي لا تنفعه توبته، ومن لم يعمل صالحاً من قبل ولو كان مؤمناً لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

وقال القاضي عياض: المعنى أنه لا تنفع توبة بعد ذلك بل يختم على عمل كل واحد والحالة التي هو عليها.

---

(١) رواه البخاري فتح الباري (١١/ ٣٥٢) ورواه مسلم برقم (١٥٧)، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣١٢).

وقال القرطبي: «**قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها، لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو يوم القيامة في حال من حضرهُ الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت**»[١].

ـ عن معاوية رضي اللَّه عنه «**لا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فإذا طلعت طبع على كل قلب مما فيه وكفي الناس العمل**»[٢].

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[٣].

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا خرجت أول الآيات يعني طلوع الشمس من المغرب ـ طرحت الأقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال**»[٤].

ـ كيف تكون الليلة التي تطلع الشمس صبيحتها من المغرب في أحاديثه ﷺ؟

عن حذيفة رضي اللَّه عنه قال: سألت رسول اللَّه: ﷺ ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: «**تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين**»[٥].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٤٦)

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٣) رواه مسلم وأحمد.

(٤) رواه الطبراني بسند صحيح.

(٥) رواه ابن مردويه.

ـ عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين أو ثلاث، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرى قد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون، ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقض فيضطجعون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم الليل فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم ففزع الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق إذا هي طلعت عليهم من مغربها فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت فطلت من مطلعه**»(١).

وروى البيهقي عن ابن عمر أيضاً «**فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس**»

[رواه البيهقي]

وروى الحاكم وغيره عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: لا يلبثون.

يعني: الناس ـ بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها، وجفت الأقلام، وطويت الصحف، ولا يقبل من أحد توبة، ويخر إبليس ساجداً ينادي: إلهي! مُرني أن أسجد لمن شئت! وتجتمع إليه الشياطين فتقول: يا سيدنا! إلى من تفزع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث، فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم، وتصير الشياطين ظاهرة على الأرض، حتى يقول الرجل: هذا قريني الذي كان يغويني، فالحمد للَّه الذي أخزاه؛

---

(١) رواه البيهقي.

ولا يزال إبليس ساجداً باكياً حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد، ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه[١].

ونفهم من الحديث الشريف أن الأمور تتغير عن طبيعتها المعتادة التي نعيش فيها، وما ذلك إلا لدنو قيام الساعة، فتتغير بعض قوانين الخلق والوجود لأن الصحف تطوى وتجف الأقلام بعد هذه الآيات العظيمة والله أعلم.

. . . . نقول وبالله التوفيق: إن رسول الله ﷺ عندما قال عن شروق الشمس من مغربها أن ليلة شروقها من المغرب تطول تلك الليلة لليلتين أو ثلاث ليال فما معنى هذا؟

إن الشمس خرجت عن مدارها بأمر من الله تعالى، وذهبت إلى حيث يشاء الله إلى موقع ومستقر آخر، حتى يعيدها الله سبحانه إلى مكانها مرة أخرى في التوقيت حيث تشرق من المغرب. . . وربما يكون من المؤمنين تساؤل في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة والتابعين إلى فترة قريبة قبل أن يكشف بعض علم السماء وكيف تذهب الشمس؟ وكيف يطول الليل؟ ولكن إيمانهم كان أقوى من أي تساؤل يفوضون الأمر لله، أما في يومنا هذا وبعد أن أصبح علم الفلك في متناول الجميع، وكشف الكثير عن علومه، وأن في السماء آلاف المليارات من النجوم (الشموس) بل آلاف المليارات من المجرات التي تضم كل مجرة في مدارها أكثر من مائتي مليار نجم (شمس)، وشمسنا هذه واحدة من تلك المليارات أدركنا أن قوة الله سبحانه لا يحدها حدود وليس لقدرته نهاية. . . فهذه الشمس شمسنا

---

(١) رواه الحاكم وهو صحيح

ما هي إلا واحدة في تلك السماء التي قال عنها اللّه سبحانه:
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ١١]

فإذا كانت السماء وما فيها من مليارات بل تريليونات من النجوم أتت ربها طائعة كما في الآية الكريمة، ألا تأتيه شمس واحدة وهي شمسنا طائعة وتذهب حيث يشاء اللّه وترجع حيث يشاء اللّه تعالى؟

. . . وأرى واللّه أعلم أن ذهاب الشمس إلى مدار آخر ومستقر ثان وموقع مغاير حيث يشاء اللّه من حيث النظرية العلمية أقوى من توقف الأرض عن الدوران ثم تعود بشكل عكسي حتى تشرق الشمس من مغربها، وهذا وذاك ليس بعزيز على اللّه سبحانه وهو القائل ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ .

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

ويقول تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

[سورة يس، الآية: ٨٢]

ذلك أن الأرض مسكونة من عباده المؤمنين، وهؤلاء مكرمون عند اللّه سبحانه والأرض لها معاشها وحياتها، وله فيها خلق كثير، بينما الشمس هي كتلة من نار ملتهبة يأخذها حيث يشاء، ويعيدها حيث يشاء ويطرحها حيث يشاء لذلك نجد أن الأحاديث الشريفة تتكلم عن الشمس التي ستشرق وتغرب حيث يشاء اللّه. . فالمدار كله يدور حول الشمس وليس حول الأرض، وإلّا دخلنا في متاهات علمية كثيرة، ولو كانت الأرض هي التي ستتوقف فربما قال قائل: إن الأرض لها جاذبية لا يمكن أن تقف وإلا قذف كل ما فوقها إلى حيث

يشاء اللَّه، وأن كل استقرار فيها من جبال وبحار وأنهار متوقف على وضعها الجاذبي ودورانها حول نفسها. . فنقول رداً على ذلك: ليس بمعجز على اللَّه أن يوقف الأرض أو يذهب الشمس فهو الخالق وفي لحظة يغير قانون الخلق مثلما يشاء.

نقول هذا ونقول اللَّه أعلم فإنما نحكم على الأشياء من خلال عقولنا الضعيفة واللَّه يقول ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

المهم أن طلوع الشمس من مغربها حقيقة واقعة لا يكذب بها إلا ظالم، لثبوت العلامة في كتاب اللَّه تعالى وثبوتها في سنة رسول اللَّه ﷺ.

العلامة الثامنة

خروج الدابة

خروج الدابة أيضاً ثابت في كتاب اللَّه تعالى وثابت في سنة رسول اللَّه ﷺ.

يقول تعالى:

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٢]

وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة آيتان متلاحقتان أو متلازمتان أيهما خرجت قبل الأولى فالثانية على إثرها.

.... ولقد قدَّمت طلوع الشمس من مغربها على خروج الدابة.. لأن الشمس إذا طلعت من مغربها لم يعد ينفع الإيمان فمن لم يكن قد آمن من قبل، وعلى هذا إذا طلعت الشمس من المغرب يبقى المؤمن مؤمناً والكافر كافراً ولن تنفعه توبته.... فتخرج الدابة لتسم كل مؤمن بإيمانه وتسم كل كافر بكفره.

ـ عن عبد اللَّه بن عمر، رضي اللَّه عنهما قال: حفظت من رسول اللَّه ﷺ: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابة ضحى، فأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها**»[١].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٠١).

وقال عبد اللَّه بن عمرو وكان يقرأ الكتب السابقة: وأظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها. . . .

وقال الحافظ بن حجر: والحكمة في ذلك أن بطلوع الشمس من مغربها ينسدُّ باب التوبة، فتجيء الدَّابة فتميز بين المؤمن والكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة.

. . . . لا شك أن هذه الدابة ليست كدواب الأرض ولا تتفق معها إلا بالاسم فقط. . فإن هذه الدابة فيها من الصفات والميزات الشيء الكثير فلا بدَّ أن تكون ذات حجم كبير جداً، تستطيع من خلاله قطع المسافات بسرعة كبيرة، وكذلك فإن اللَّه سبحانه ملكها علماً تستطيع به أن تعرف الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، ولا بدَّ أيضاً أن تكون لها قدرة كبيرة فلا يستطيع أحد إيذاءها كما فعل قوم صالح بناقة صالح حيث إنهم خالفوا أمر اللَّه سبحانه وعقروها.

لذلك ورد فيها من الصفات الشيء الكثير، حيث تستطيع أن تكلم الناس كلاً بلغته، وأنها تتمتع بجمال جاءها من تعدد ألوانها وريشها فلننظر في صفاتها وسيرتها وقدراتها.

١ ـ صفات دابة الأرض

كثر الحديث عن صفاتها، لكن لم أجد حديثاً نبوياً يتحدث عن صفاتها، وإنما جاءت صفاتها عن الصحابة رضوان اللَّه عليهم أجمعين، وما ذكروه من صفاتها لا يخالف النقل ولا العقل. . . ولا بدَّ أن تكون صفاتها كما قالوا مغايرة عن كل ما نعرف، وإلا ما معنى أنها علامة من علامات الساعة الكبرى وأنها آية من آيات اللَّه ومعجزة عظيمة. . ويكفي أن اللَّه سبحانه ذكرها في كتابه مما يدل دلالة قطعية

على عظيم خلقتها وجمال جسدها وصورتها وقدرتها الفائقة في تحقيق مراد اللّه سبحانه وتعالى.

قال ابن عباس رضي اللّه عنه في صفتها: إنها ذات وبر وريش فيها من كل لون لها أربع قوائم.. وقال أيضاً وفيها من ألوان الدواب كلها... وفيها من كل أمة سيما، وسيماها من هذه الأمة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين، تكلمهم بكلامهم.

قال حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه: إنها مُلَمَّعة، ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب.

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه: إن فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن ابن الزبير رضي اللّه عنهما قال عنها: أذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيَّل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين منها اثنا عشر ذراعاً.

وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما في وصفها: إن لها عنقاً مشرفاً أي طويلاً يراها من بالمشرق، كما يراها من بالمغرب، ولها وجه كوجه الإنسان، ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب.

وعن عمرو بن العاص رضي اللّه عنه: إن رأسها يمس السماء وما خرجت رجلها من الأرض وعن ابن عمرو رضي اللّه عنهما أنها تجري كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها؟؟

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه: أن فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب.

.... وهذه الصفات يمكن أن نختصرها جميعاً ونقول: إنها دابة لها صفات خاصة تتميز بالقوة والسَعة والعلم والجمال، يرسلها

اللَّه سبحانه لمهمة خاصة تنفذها ولا يستطيع أحد أن يهرب منها أو من مهمتها، وإذا طلبها أحد أو أرادها لا يستطيع أن يلحق بها. وتأتي كل الخلق الذين هم على سطح هذه الأرض يومئذ وكأن معها أسماءهم جميعاً.

سيرة الدابة:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فتقول: هذا يا مؤمن، وتقول هذا يا كافر»[(١)].

لأن المهمة الرئيسة للدابة هي تكليم الناس، تختمهم وتؤنبهم على كفرهم ومعاصيهم وفسقهم وضلالهم، ولا يستطيع كافر أن يهرب منها أو من ختمها إياه، وهذا عذاب مهين للكافر في الدنيا قبل الآخرة، لأن هذا الخطم (الختم) على جبهته دليل إهانة وذل، فهذه الصفة تبقى صفة لازمة لا يستطيع أن يرفعها عن نفسه، ولا أن يتوب لأن باب التوبة أغلق،

وهذا هو المقصود من الآية الكريمة:

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٢]

فلأن الناس لا يوقنون أي إنهم كافرون فاسقون ضالون، يتمادون يومئذ في غيِّهم وضلالهم وفسقهم، يخرج اللَّه سبحانه لهم

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣١٨٧ وقال حديث حسن ورواه ابن ماجه برقم (٤٠٦٦).

هذه الدابة لتكلمهم أنهم قوم ضالون وتختم على وجوههم بهذا الكفر وهذا الضلال.

مكان خروج الدابة

تعددت روايات الصحابة رضوان اللَّه عليهم في مكان خروجها ولم أعثر إلا على حديث رواه الطيالسي في مسنده والحاكم حول خروج الدابة وذكر أبو داود الطيالسي في (مسنده) عن حذيفة قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدابة فقال: « **لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية ـ يعني مكة ـ ثم تكمن زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية ـ يعني مكة ـ قال رسول اللَّه ﷺ: بينما الناس في أعظم المساجد على اللَّه حرمة وخيرها وأكرمها على اللَّه المسجد الحرام، لن تدعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفضَّ الناس منها شتى ومعاً، وتثبت عصابة من المؤمنين عرفوا أنهم لن يعجزوا اللَّه، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كالكوكب الدريّ، وولّتْ في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول له: يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يُعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن يقول: يا كافر اقض حقي، وحتى إن الكافر يقول: يا مؤمن اقض حقي**»[١].

ـ وروى حذيفة وابن عباس عن رسول اللَّه ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **ثم بينما الناس في أعظم المساجد على اللَّه حرمة وأكرمها**

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده برقم (١٠٦٩) والحاكم وقال صحيح الإسناد انظر ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٣٤٤) رقم الحديث ٤٥٥٥.

المسجد الحرام لم ترعهم إلا هي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفضَّ الناس عنها شتى» . . . . قال أهل العلم بعض طريق حديث حذيفة صحيح . . . .

ومما ذكره الصحابة عن مكان خروجها:

عن ابن عباس أنها تخرج من بعض أودية تهامة.

وعن أبي هريرة وابن عمرو وابن عمر وعائشة رضي اللّه عنهم أنها تخرج بأجياد، وأجياد في مكة.

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول اللّه ﷺ أراه المكان الذي ستخرج منه الدابة وأنه (قِبَلَ) الشق الذي في الصفا.

وأما مدة مكثها فلم أجد في الصحيح ولا الضعيف عن مدة مكثها زمناً محدداً، وأخيراً فإن خروج الدابة آية من آيات اللّه المعجزات، جعلها اللّه سبحانه من علامات الساعة الكبرى.

العلامة التاسعة

دروس الإسلام ورفع المصاحف

بعد خروج الدابة وختم الناس وعودة الدابة من حيث أتت بعد أن تقوم بمهمتها التي كلفها اللّه سبحانه بها. . . يبدأ الإسلام أو قل الإيمان بالتلاشي شيئاً فشيئاً، ويموت أكثر المؤمنين الذين خطمتهم الدابة، ولا يبقى منهم إلا قليل، أو يبقى من كان فيه قليل من الإيمان، فتضيع الصلاة والصيام والحج والصدقة وكل شعائر الإسلام.

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويبقى من الناس الشيخ العجوز والعجوز الكبيرة يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة ـ يعني لا إله إلا اللّه ـ فنحن نقولها. . . فقال لحذيفة: فما تعني هذه الكلمة فأعرض عنه حذيفة، فأعاد عليه السؤال ثانياً وثالثاً فقال في الثالثة: تنجيهم من النار**»[١].

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسري على كتاب اللّه في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى الطوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا اللّه) فنحن نقولها**»[٢].

---

(١) رواه ابن ماجه رقم الحديث ٤٠٤٩.

(٢) رواه ابن ماجه و الحاكم انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٢٩٤٩.

- عن أبي هريرة وحذيفة رضي اللّه عنهما قالا: قال رسول اللّه ﷺ:

«يسري على كتاب اللّه ليل، فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف مسلم إلا نسخت»[١].

عن ابن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث ما جاء فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب عز وجل: ما لك؟ فيقول: منك خرجت وإليك عدت، أُتلى فلا يعمل بي فعند ذلك رفع القرآن»**[٢].

(١) رواه الديلمي رقم الحديث ٨٨٤٨.

(٢) رواه الديلمي رقم الحديث ٧٧١٣.

العلامة العاشرة

هدم الكعبة

وذلك يكون بعد أن يدرس الإسلام ويرفع القرآن الكريم ولا يحج هذا البيت.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج هذا البيت**»

[رواه الحاكم وأبو يعلى]

ودليل هدم الكعبة، ثابت في الأحاديث الصحيحة التي لا تدع مجالاً للشك في وقوع خرابها وهدمها.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»[١].

ـ عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها: فلكأني أنظر إليه أصيلع، أفيدح، يضرب عليها بمسحاته أو معوله**»[٢].

عن ابن عباس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ متحدثاً عن هدم الكعبة وذي السويقتين «**كأني أنظر إليه أسود أفحج، ينقضها حجراً حجراً، يعني الكعبة**».

[رواه البخاري رقم الحديث (١٥٩٥)]

(١) رواه البخاري برقم ١٥٩٦ و مسلم برقم ٢٩٠٩

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث (٢/ ٢٢٠)

ـ عن سعيد بن سمعان قال سمعت أبا هريرة رضي اللّه عنه يحدث أبا قتادة أن النبي ﷺ قال « : **يبايع الرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فإن استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجيء الحبشة فتخربه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه** »(١).

معاني كلمات وصفات ذو السويقيتين الذي ورد ذكره في الأحاديث السابقة وأنه هو الذي يهدم الكعبة.

ذو السويقتين: تصغير الساقين، أي دقيق الساقين

الأصيلع: تصغير أصلع: وهو من ذهب شعر مقدم رأسه

الأفيدع: تصغير الأفدع: هو من بيده إعوجاج

الأفجح: المتباعد الفخذين

. . . . من هذه الأحاديث الشريفة يتبين أن الذي سيهدم الكعبة رجل من الحبشة، لقبه رسول اللّه من صفته (بذي السويقتين) ولا يهدمها فحسب، ولكن يستولي على جميع كنوزها وحليها.

ويبقى السؤال. . كيف يحصل ذلك؟ فاللّه سبحانه جعلها حرماً آمناً، وقال في كتابه ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٢٥]

. . . ثم من هي الحبشة ومن هو ذو السويقتين فيها، والناظر إليها اليوم يجد أنها دولة ضعيفة ولا وجود لها على الساحة العالمية.

نقول وباللّه العون:

إن الكعبة كانت في حماية اللّه تعالى، وهي في حمايته اليوم

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٥٣) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين

وستبقى في حمايته إلى ما قبل الساعة بوقت قليل جداً، أو قل لم يبق بين هدم الكعبة وقيام الساعة إلا حشر الناس إلى أرض الشام وقيام الساعة عليهم، فالكعبة وضعها اللَّه للمسلمين والمؤمنين فعندما يدرس الإسلام ولم يبق من يحج إليها لم تعد حرماً آمناً لأحد، ومن ناحية أخرى فإنه عند قيام الساعة سيدمَّر كل شيء في هذه الأرض، لانتفاء سبب وجودها والكعبة رمز من حجارة لا تضر ولا تنفع حتى الحجر الأسود الذي فيها والذي يصطف الناس صفوفاً طوالاً حتى يقبلوه هو حجر لا يضر ولا ينفع وقول عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه عندما قال عن الحجر الأسود: «**واللَّه إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول اللَّه ﷺ قبَّلك ما قبَّلتك**».

وقد قال تعالى في محكم كتابه ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥٨]

ومن الآية القرآنية الكريمة أيضاً نجيب على الشق الثاني من التساؤل والذي يقول ما قيمة الحبشة اليوم ليكون لها هذا الدور في آخر الزمان، فما نراها إلا دولة صغيرة لاحول لها ولا قوة في ميزان القوة والعلم والحضارة اليوم.. نقول وباللَّه العون: إن تغير الأحوال من سنة اللَّه في الكون ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٠]

فنحن لا ندري خلال المدة الباقية لقيام الساعة كيف يكون تغير الأحوال وهل تستمر هذه الحضارة؟ أم ستنتهي؟ متى تنتهي؟ وكم من الحروب ستسعر؟ وكم سيكون ضحاياها؟ وما هو حجم الدمار والخراب الذي سيعم العالم.. وهذه الحرب العالمية الثانية راح

ضحيتها أكثر من خمسين مليون نسمة وفي التاريخ ألوف الحروب وألوف حالات الدمار.. في يوم كانت بغداد حاضرة الدنيا وعاصمتها، وفي يوم أصبحت خراباً ودماراً على يد المغول التتار، وقتل من أهلها قرابة مليون إنسان، كم من حضارات سادت ثم بادت؟ وكما أن الماضي مليء بهذه الأحوال أيضاً فإن المستقبل سيكون مليئاً بأحداث وتغيرات لا يعلم مداها إلا اللّٰه سبحانه.

العلامة الحادية عشرة
وقوع الخسوفات الثلاث

لقد تكلمنا عن الخسف والمسخ عندما تحدثنا في الجزء الأول من الموسوعة، والخسوفات حدثت كثيراً في تاريخ هذه الأمة ولكن الخسوفات الثلاث الكبرى والتي تحدث عنها رسول اللَّه ﷺ وأنها من العلامات الكبرى والآيات العشر لقيام الساعة لم تحدث بعد فقد روى الشيخان عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم**»[(١)].

ومن الحديث الشريف ندرك أنه ليس بعد تلك الخسوفات إلا النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر في الشام ـ فهذا يدل على أن وقوع هذه الخسوفات الثلاثة هو بعد دروس الإسلام وهدم الكعبة وعودة الناس إلى عبادة الأوثان.

. . . فزمن هذه الخسوف واللَّه أعلم مقرون بفساد أهل ذلك الزمان واستحلالهم لمحارم اللَّه وعدم طاعته وعبادته وقيام اللَّهو واللعب مكان الإيمان والطاعة عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنه قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال**

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن باب الآيات التي قبل الساعة رقم الحديث (٢٠٣٧).

رجل من المسلمين يا رسول اللَّه ومتى ذلك قال إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور»(١) .

ـ وعن أم سلمة رضي اللَّه عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، قلت يا رسول اللَّه: أيخسف بالأرض وفيها الصالحون قال لها رسول اللَّه ﷺ: إذا أكثر أهلها الخبث**»(٢) .

فهذه الخسوفات لم تقع بعد بالدلائل والأحداث وإنما وقوعها سيكون كما في ترتيبها في آخر الزمان وقبل قيام الساعة بوقت قريب جداً والعلم عند اللَّه تعالى.

---

(١) رواه الترمذي في سننه انظر جامع الأصول رقم الحديث (٧٩٣٣).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط مجمع الزوائد (٨/ ١١).

العلامة الثانية عشرة

الريح اللينة التي تقبض أرواح المؤمنين

بعد الانتشار الواسع للإسلام في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام يضعف الإسلام مرة أخرى. . . فيذهب العلم ويرفع القرآن الكريم ويقبض اللَّه سبحانه من كان في نفسه بقية من إيمان، حتى إذا لم يبق إلا شرار الخلق أذن اللَّه سبحانه بقيام الساعة.

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق»[(١)].

ويبين لنا رسول اللَّه ﷺ كيف تذهب البقية الصالحة في ذلك الزمان حيث يقبض اللَّه سبحانه أرواحهم جميعاً.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته»**[(٢)].

- عن نواس بن سمعان عن النبي ﷺ: **«فبينما هم كذلك إذا بعث اللَّه ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة»**[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن باب القرب من الساعة رقم الحديث (٢٩٤٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٧٩١٥).

(٣) رواه مسلم كتاب الفتن رقم الحديث (٢٩٣٧).

المراد بتهارج الحمر: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير.

ـ عن مرداس الأسلمي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم بالة**»[١].

و بعد أن يقبض اللّه سبحانه أرواح من كان مؤمناً أو كان في قلبه ذرة من إيمان، يرسل اللّه ناراً تخرج من قعر عدن على هؤلاء الحثالة من البشر الكفرة الفجرة، تحشرهم جبراً إلى بلاد الشام وكذلك تخرج نار من المشرق تحشر الناس إلى أرض المحشر في الشام، ومن يتخلف عن المسير باتجاه الشام تأكله النار، فلا يستطيع أحد الفرار منها، ويسير حسب توجه النار التي هي مأمورة من اللّه أن تحشر وتجمع الناس إلى أرض المحشر في بلاد الشام.

---

(١) رواه البخاري النهاية لابن كثير (١/ ١٨٦).

العلامة الثالثة عشرة

نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر بلاد الشام

تنبيه: لقد أرجأت الحديث عن هذه العلامة الكبرى والأخيرة إلى الجزء الرابع من الموسوعة بعنوان قيام الساعة وأهوالها وذلك لأنني وجدت هذه العلامة الكبرى وهي الأخيرة جزءاً من قيام الساعة ولا شتراكها مع قيام الساعة في الأهوال وهي النار الهائلة التي تخرج من قعر عدن في اليمن وكذلك من المشرق فتحشر الناس إلى أرض المحشر لتقام عليهم الساعة. والله أعلم.

الخاتمة

لقد تم بحمد اللَّه سبحانه هذا الجزء من موسوعة الآخرة أشراط الساعة ـ العلامات الكبرى.

ولقد حاولنا جهدنا وباللَّه العون تقديم مادة علمية صحيحه قدر المستطاع وكان عوني في ذلك كتاب اللَّه سبحانه وسنة رسوله الكريم ﷺ. . ذلك أن الحديث عن بعض أخبار الغيب المستقبلي لا يمكن لأي إنسان على هذه الأرض أن يتحدث عنه من وحي نفسه إلا إذا كان ما بين يديه قول صحيح صادق، وَمن أصدق من اللَّه سبحانه حديثاً ومن رسوله ﷺ الصادق المصدوق. والذي شهد له حتى ألد أعدائه بقولهم ما عرفنا عنك كذباً قط. . فما أخبرنا رسول اللَّه ﷺ عن العلامات الكبرى هو عين الحق والصدق لأن كل ما أخبر به هو وحي إليه من اللَّه سبحانه يقول تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾.

[سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤]

لأنه لو اجتمعت البشرية قاطبة على أن يخبروك بصدق الحدث عن يوم غد لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فكيف إذا كان الإخبار عن أحداث وأشراط تقع بعد مئات السنين أو آلافها؟. فهذا وحده يكون من اللَّه سبحانه المختص لنفسه بعلم الغيب دون خلقه جميعاً يطلع بعض خلقه من أنبيائه ورسله وخُلَّص عبيده على بعض منها رحمة بالبشر على هذه الأرض. . . فعلامات الساعة إخبار من الغيب وهو

في واقعه رحمة من اللَّه سبحانه لنا بأن يطلعنا عليها لتكون لنا دافعاً إيمانيا قوياً ولنستعد لذلك استعداداً كبيراً. .

وهذه العلامات الكبرى كما بينت منها ما هو مذكور في القرآن الكريم ومنها ما هو مذكور في أحاديث رسول اللَّه ﷺ. . . ولقد تعددت الروايات في ترتيبها الترتيب الصحيح، فمنهم من قدَّم ومنهم من أخَّر وكل له حجته ولقد أدلينا بدلونا في هذا المجال والحمد للَّه تعالى إذ عمدنا إلى ترتيب علامات الساعة حسب وقوعها معتمدين في ذلك على كتاب اللَّه سبحانه وسنة رسوله ﷺ وآخذين بآراء العلماء السابقين يرحمهم اللَّه جميعاً. . ولقد رتبنا هذا الترتيب الذي وجد في هذا الجزء من الموسوعة ترتيباً أرجو من اللَّه سبحانه أن يكون صحيحاً معتمدين في ذلك أيضاً على تأريخ الأحداث وتناسقها وانسجامها مع بعضها بعضاً، ولقد حرصت في ذلك تقديم مادة علمية صادقة بإذن اللَّه تعالى. . ولقد ساعدنا كثيراً العلم الحديث المتقدم في علم الفلك والجيولوجيا الأرضية ولقد فسرنا بعض علامات الساعة الكبرى معتمدين على هذا العلم، وهذه نعمة من اللَّه سبحانه ومنَّة أن أطلعنا ورأينا وتعلمنا الكثير بعد أن هيأ اللَّه سبحانه لهذا الجيل هذه الأدوات الميكانيكية والتكنولوجية التي ساعدته في كشف الكثير من الظواهر الكونية، والقول الحق أن الإنسان خطَّاء يحاول جهده ولكن يبقى دائماً في حدود إمكانياته وعقله لا يستطيع أن يتجاوزها إلى ما ورائهما، فالإنسان كائن ضعيف، وهبة اللَّه سبحانه له هذا العقل ليكون له عوناً ومعيناً في حياته لذلك نقول: لقد قدمنا كل ما بوسعنا من واقع قدرتنا وضعفنا وما وهب اللَّه سبحانه في كل فرد من قدرات وأرجو اللَّه سبحانه أن يكون ما قدمت في هذا الجزء عن أشراط

الساعة وعلاماتها الكبرى مقبولاً عنده وأرجو اللَّه سبحانه أن يسامحنا عن بعض أخطائنا وزلاتنا غير المقصودة كما أرجو اللَّه سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وحسنات كل من أعانني على هذا العمل وساهم فيه بوجه من وجوه الخير واللَّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ـ وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

المؤلف
ماهر أحمد الصوفي
أبو ظبي ص.ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف
ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

موسوعة الآخرة:

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخاري.

٣ ـ صحيح مسلم.

٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..

٥ ـ مسند الإمام أحمد.

٦ ـ سنن التِّرمذي.

٧ ـ سنن ابن ماجه.

٨ ـ سنن النسائي.

٩ ـ صحيح ابن حِبان.

١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.

١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.

١٢ ـ سنن أبي داود.

١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.

١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.

١٦ ـ المستدرَك للحاكم.

١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

سلسلة

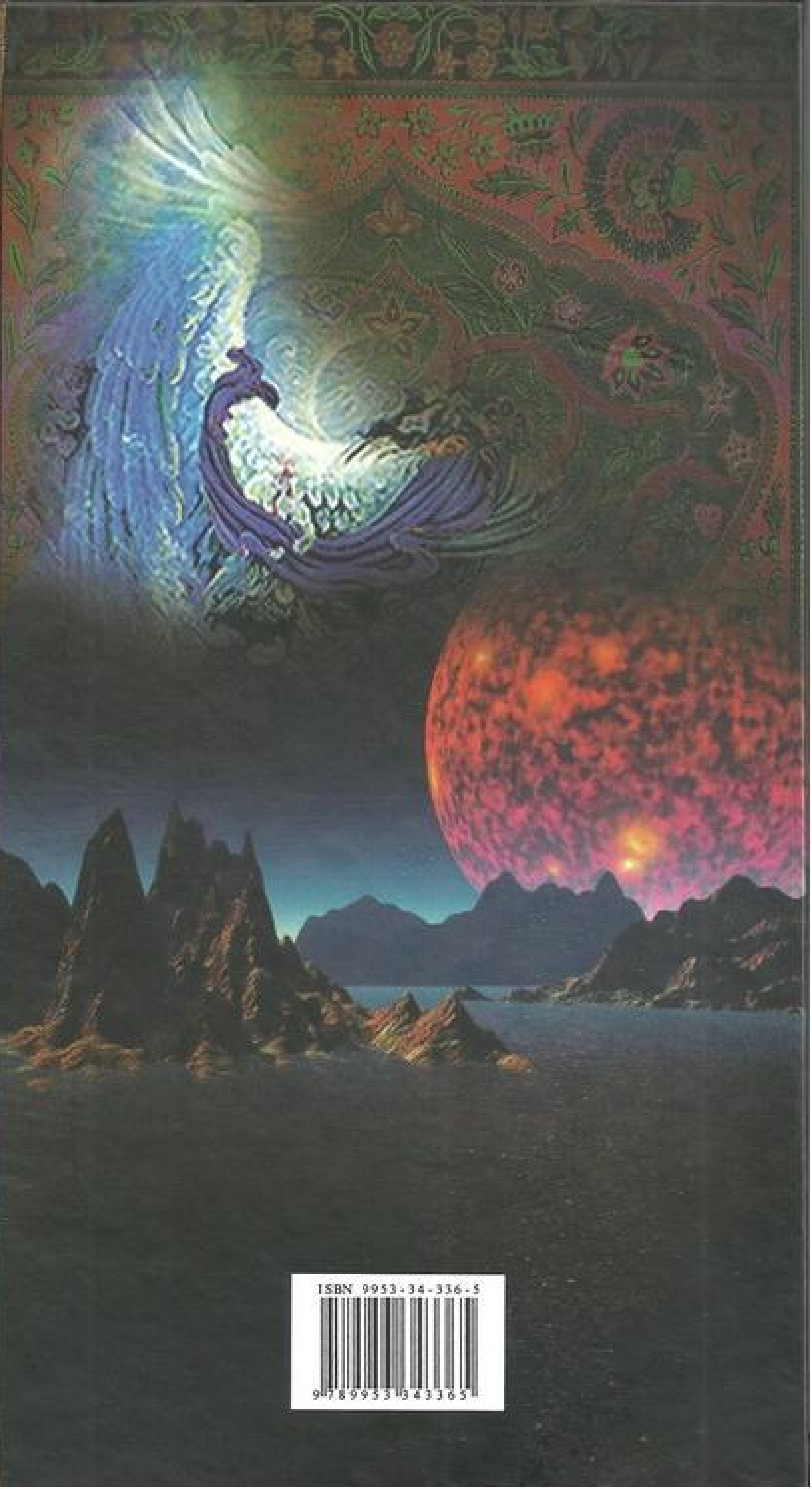
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة

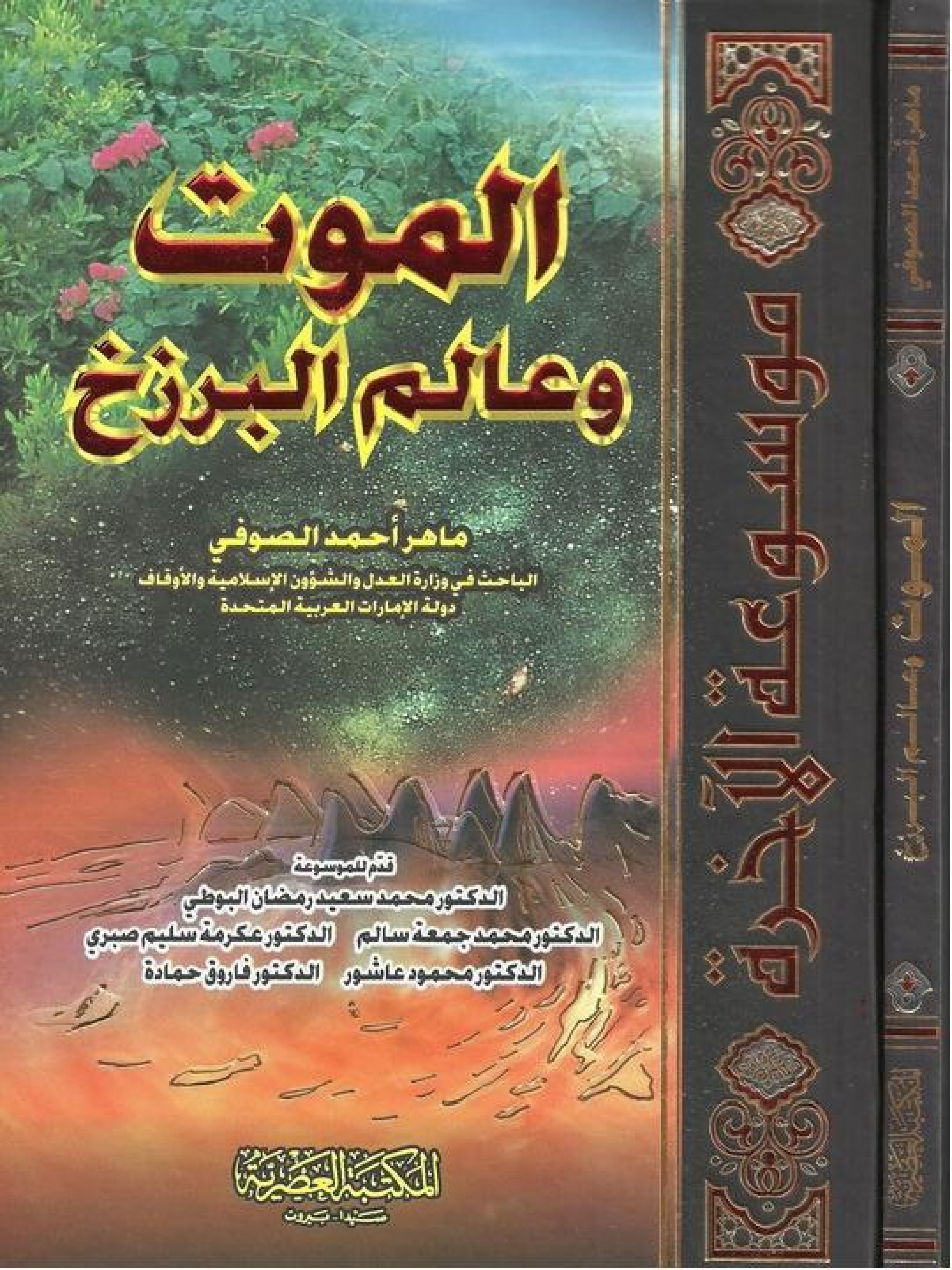
أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-336-5



الموت وعالم البرزخ
ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة
قدم للموسوعة
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
الدكتور محمد جمعة سالم
الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور
الدكتور فاروق حمادة
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت
موسوعة الآخرة
ماهر أحمد الصوفي
الموت وعالم البرزخ

سلسلة
موسوعة الآخرة

الموت وعالم البرزخ

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١١ م - ١٤٣٢ هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-338-1

بسم الله الرحمن الرحيم

قدَّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ .

[سورة السجدة، الآية: ١١]

قال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ .

[سورة الأنفال، الآية: ٥٠]

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٣]

قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠]

حديث شريف:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولدٍ صالح يدعو له».

[رواه البخاري في الأدب المفرد والإمام أحمد]

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك اللَّه إليه يوم القيامة».

[رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه]

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منه».

[رواه مسلم وأحمد والنَّسائي]

الإهــداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدَّلنا وأرشدنا ونبهنا وعلمنا . . اللَّهم صل وسلم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي   وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها. . ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها. . فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث. . وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

الجزء الثالث

من موسوعة الآخرة

الموت وعالم البرزخ

دراسة واقعية لعالم البرزخ والموت والقبر مستندة

- إلى كتاب اللّه تعالى في القرآن الكريم.
- إلى الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة.
- إلى العقل السديد الذي يرفض كل وهم وخُرافة.
- إلى التحليل العلمي والتحقيق الفكري والإدراك العقلي الذي لا يقبل إلا الحقائق التي لا تخالفها العقيدة الإيمانية والمحسوس والمنظور من خلال موهبة العقل البشري.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ممَّا لا شك فيه أن كل إنسان على وجه هذه الأرض، منذ أن خلق اللَّه آدم وإلى آخر إنسان يوم القيامة يبحث في الموت وما وراء الموت، ويتمنى أن يعرف الحقيقة كاملة دون زيادة ولا نقصان ولا وهم ولا خرافة.

وكي لا يحدث الشطط واللغط في تلك الأمور الغيبية ومنها عالم البرزخ، كان لنا في آيات اللَّه تعالى ومن واقع رحمته في عباده - إيضاحٌ وبيانٌ وتفصيلٌ لكل ما أخفي عنا من حقائق خلقية كونية مع إخفاء الكيفية لأنها من صُلب الامتحان والابتلاء اللذين أوجبهما اللَّه سبحانه على عباده في الأرض وهذه هي سنة اللَّه تعالى في خلقه، ولا أحد من البشر يملك لسنته تبديلاً أو تغييراً.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

ومن الآية الكريمة ندرك سر إخفاء اللَّه تعالى كيفية عالم الغيب لوقوع البشر في الامتحان العقلي الذي يدلهم على خالق دون براهين محسوسة ومرئية للعينِ، فعالم الملائكة والجن وحقائق الكون التي يحار العلماء في فَهمها حتى الآن وكذلك البعث والنشور ويوم

القيامة. . . وكذلك عالم البرزخ كلها حقائق ثابتة بدليل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فُصّلَ فيها القول كثيراً دون معرفة الكيفية. . ذلك لأن الكيفية لا يمكن إدراكها إلا بالمحسوس والمرئي والمسموع. . كاستواء اللّه سبحانه على العرش الذي أخبرنا اللّه سبحانه عنه.

يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٤]

فالاستواء معلوم والكيفية مجهولة، وأنى لنا أن نعرف الكيفية ولم نره ولم ندركْه بأحاسيسنا، وهذا إخبار من اللّه تعالى علمناه في الدنيا ونرى كيفيته يوم القيامة حيث تظهر لنا فيه كل الغيبيات المخفية عن البشر في الحياة الدنيا.

يقول اللّه تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وعالم البرزخ من هذه العوالم الغيبية التي أخبرنا اللّه سبحانه عنها وأخفيت عنا كيفيتها. . لذلك إذا تصفحنا الكتب التي تكلمت عن عالم البرزخ نجد بوناً شاسعاً في تناولها لهذه المسألة الغيبية، والسبب أن كثيراً منها اعتمد على الأحاديث الضعيفة أو حتى الموضوعة دون سند ربما عن غير قصد، اللّهم إلا التخويف والتهويل ليعود المسلم لربه خوفاً من عقابه في عالم البرزخ. . كما درج الكثير على تسمية البرزخ أو القبر ببيت الثعابين والعقارب أو بيت الدُّود إلى ما شابه من تلك التسميات التي ليس لأكثرها سند أو أصل.

وإحقاقاً للحق وبياناً للحقيقة اخترت عنواناً لهذا الجزء من الموسوعة (الموت، وعالم البرزخ) فقد أسميته (عالم البرزخ) وليس (عالم القبر) ورحلت مع البرزخ خارج حدود تلك الحفرة التي يوضع فيها الميت واسمها (القبر).

رحلت إلى هذا العالم الفسيح بعد الموت الذي فيه قدرة اللَّه سبحانه لنتعرف على ما فيه من نعم اللَّه سبحانه للمؤمن.. وعذاب اللَّه تعالى للكافر والعاصي.

فليست القضية تلك الحفرةَ التي لا يزيد طولها عن مترين وعرضها عن متر واحد، وليس النعيم أو العذاب منصباً في تلك الحفرة كما يتوهم بعضهم وكما صورته الكتب.. فتراه خائفاً خوفاً أوصله إلى درجة الكراهية المطلقة للموت ظنًّا منه أنه عالم الفناء والخراب والعذاب.. وهذا ليس صحيحاً مطلقاً.. لأننا لو ركزنا أفكارنا على الجسد الميت وتلك الحفرة وظننا أن العذاب والنعيم كائنان في تلك الحفرة وعلى الجسد الآيل إلى عظام وتراب، فقد ظلمنا أنفسنا وثبّتنا على أنفسنا الجهل وبقي في عقولنا ما توارثناه من الكتب التي لم يحسن بعضها الكلام في هذا الأمر.

فأين النعيم والعذاب اللذان تحدث عنهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟ وأنهما حقيقتان واقعتان تعرضان على المؤمن والكافر غدواً وعشياً في عالم برزخهم إلى يوم القيامة؟؟.. وكلنا يعلم أن أي جسد يدفن في قبره آيل إلى عظام في مدة أقصاها ثلاثون عاماً، وإلى تراب في مدى أقصاه مِائة عام أو مِائتان.

فهل ينقطع النعيم عن الميت بعد أن يتحول إلى تراب وقد وعد

اللَّه ورسوله ﷺ بنعيم دائم للمؤمن في عالم برزخه.. كذلك فهل ينقطع العذاب عن الكافر بعد أن يصبح تراباً وقد وعد اللَّه ورسوله ﷺ بعذاب دائم للكافر في عالم برزخه.

وكذلك لو أخرجنا أية جثة من قبرها بعد أيام أو شهر لأوامر قضائية أو بحثية أو تشريحية.. فإننا لا نجد على هذا الجسد أي أثر لعذاب أو نعيم حتى الشهيد الذي هو حي يرزق عند اللَّه تعالى بدليل الآيات القرآنية.. إذا شققنا القبر عنه فإننا نجده جثة هامدة في قبره، بل وينطبق على جثة الشهيد ما ينطبق على الأموات الآخرين من عوامل التآكل والتحول إلى عظام وتراب.

وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن عالم البرزخ ليس هو (عالَم القبر) الذي نراه بأم أعيننا، وليست القضية تلك الحفرة وهذا الجسد المسجى بداخلها الذي سيتحول إلى تراب بعد حين.. وليس العذاب والنعيم في هذه الحفرة الضيقة وعلى هذا الجسد الفاني.. إنما العذاب والنعيم واقعان في عالم البرزخ هذا العالم الرحب الذي هو في علم اللَّه وقدرته.

فلنرحل معاً في صفحات هذا الجزء من الموسوعة وفقراته التي تعتمد في تفصيلها وبيانها وشرحها على كتاب اللَّه، والأحاديث الصحيحة والموثقة والتي جاءت في الكتب الصحاح.

فلا أحد يملك هذا العلم إلا اللَّه سبحانه.. ومن علم اللَّه تعالى نستقي، علَّنا نتعرف على الحقيقة أو بعضها.. فالكتاب بعون اللَّه تعالى حقائق وليس أوهاماً ولا أباطيل، وليس في أسلوبه تخويف ولا فزع إنما هو رحلة في ملكوت اللَّه تعالى من خلال القرآن الكريم

والأحاديث النبوية الشريفة والعلم والعقل والرأي السديد، وهو رحلة مع هذا الإنسان المكرم في الدنيا والآخرة، الذي سخَّر اللَّه تعالى له تعزيزاً وإكراماً ما في السموات وما في الأرض.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

الفصل الأول

- الموت... ما الموت؟وكيف يموت الإنسان؟
- هل الموت فناء للإنسان؟
- أشكال وأنواع الموت....
- لماذا يكره الإنسان الموت والحياة ملأى بالهموم والمتاعب والأمراض؟
- لحظة الموت بشارة للمؤمن وحسرة على الكافر والعاصي.....
- ما بين الموت والبرزخ (القبر)....
- الأعمال والأقوال الواجبة للميت عند الدفن.....

الـمـوت..
ما الموت؟.. وكيف يموت الإنسان؟

هو بلغة المنطق خروج الروح من الجسد بأمر اللّه سبحانه وحده، ولم يعط أحداً من خلقه هذا الحق. . فالأمر من اللّه سبحانه والتنفيذ من الملائكة الذين اختصهم في قبض الروح.

هذه سنة اللّه سبحانه في خلقه ومنذ أن خلق آدم عليه السلام وحتى يوم القيامة. . . وهذا(الموت) لن تجد له البشرية أي مخرج ولن تستطيع منعه مهما أوتيت من علم ومعرفة ومهما وصلت طبياً وتشريحياً إلى معرفة أسرار الجسد حتى لو وصلت يوماً إلى فك رموز الجينات البشرية (DNA) ومعرفة خرائطها التكوينية.

فاللّه سبحانه أعطى العقل البشري حدوداً في العلم قد تصل إلى أعلى وأرقى بكثير من المستوى الذي وصلت إليه الآن، على الرغم من انبهارنا لما نراه من اكتشافات علمية وعلى كامل أصعدة الحياة المادية.

. . . ولكن في النهاية يبقى العقل ضمن حدود (العقل البشري) المجهز بإمكانيات مسبقة من اللّه سبحانه. . وهو أعلم بحدوده العليا وأنه يتوقف عند حدود الهرم والموت، وليس له من دونهما حيلة أو مخرج ولن يستطيع إبطالهما أو إلغاءهما أو حتى معرفة أسرارهما. . فالخلية (النطفة) مبرمجة في أساس الخلق على مراحل النمو والتطور ثم الهرم والموت. . مثل سنن اللّه سبحانه في هذه

الحياة وهذا الكون كله. . فالهواء مثلاً برمج على نسب معينة من الأوكسجين والهيدروجين والكربون بما يلزم للحياة، أو قل حياة الإنسان على الأرض والبشرية مجتمعة لا تستطيع ولا تملك حيال تغيير النسبة المقررة مسبقاً من الخالق حولاً ولا قوة. . . وما ينطبق على مثال الهواء ينطبق على مثال الماء والتراب. . والأمثلة في هذا الأمر كثيرة.

. . . فكل أمر مهما كبر أو صغر هو من سنة اللّه لا يتبدل ولا يتغير حتى يرث اللّه سبحانه الأرض ومن عليها. . . والدليل هذا التاريخ الطويل للبشرية التي لم تستطع من خلاله أن تغيّر أو تحول أو تبدل من سنة اللّه شيئاً، وقد بيَّن سبحانه أمره وإرادته في هذه الحياة التي تعيشها البشرية منذ أن خلقها وإلى أن يرث الأرض ومن عليها يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٨]

وقال تعالى:

﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٨٥]

وقال تعالى:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٢]

وإذا قلنا: إن البشر لم يصلوا فيما مضى من تاريخ حياتهم إلى ما

وصلوا إليه في العقود الثلاثة الماضية من تطور علمي مذهل فقد استطاعوا أن يصلوا إلى الخلية وبعض علمها مما أوصلهم إلى استنساخ نعجة دون استعمال الحيوان المنوي والمعروفة باسم (النعجة دولي). . . وكذلك فإنهم استطاعوا أن يصلوا إلى علم المورثات والذي من خلاله قد يصلون إلى كشف جميع الأمراض المستعصية. . كالسرطان. . والإيدز. . والأنفلونزا. . إلخ[١].

. . . ونحن بدورنا نقول: إن البشرية وفي خلال العقود القادمة ستصل إلى أبعدَ من هذا بكثير، وليس هنالك سقف محدود لتلك العلوم وتلك الاكتشافات الكونية، ولكن في النهاية تبقى في حدود ما أراد اللّه سبحانه وما شاء، إلى جانب أن القدرات الإنسانية أخيراً لها طاقة معلومة. . . فالعلم ليس له حدود. . ولكن الإنسان ذاته له حدود معرفية يتوقف عندها تماماً.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

. . . ومع ذلك فإن هناك إشاراتٍ قرآنيةً كريمة تشير إلى أن الإنسان سيصل قبل يوم القيامة إلى علم وازدهار كبيرين من خلال العقل البشري المخلوق بقدرة اللّه سبحانه.

. . . وإذا عدنا إلى الإنسان وجسده وقدراته المستقبلية على التحكم بهذا الجسد نقول أيضاً: إن العلم قد يصل إلى فك رموز هذا الجسد بالكامل، وربما يتحكم به تحكماً دقيقاً، ولم يعد أمام العلم حاجز يمنع من الوصول إلى أسراره الدفينة، إلا أنه عاجز أمام حاجزين: حاجز الهرم وحاجز الموت. . . وأما ما دونهما فإن اللّه

---

(١) كتابنا الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.

سبحانه خلق كل شيء بنظام التضاد، وكل داء له دواء عَرَفه مَن عرفه وجهله مَن جهله وقد بيَّن لنا رسول اللَّه ﷺ هذا الأمر.

. . .عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت».

[رواه الحاكم]

فقد قرر رسول اللَّه ﷺ. . . أن الإنسان بجهده وعلمه وتعلمه يستطيع أن يصل إلى أعلى مستويات العلم والتِّقنية في جسد الإنسان. . إذ أن اكتشاف الدواء يحتاج إلى دراسة الجسد دراسة مستفيضة، فإذا ما وصل الإنسان إلى دواء كل الأمراض فمعنى ذلك أنه استطاع أن يصل إلى أسرار هذا الجسد. . وأما الحقيقة الثانية فهي أن الإنسان مهما أوتي من العلم وإلى أن تقوم الساعة لن يملك حيال (الموت) مخرجاً ولا دواء ولا مهرباً. . تماماً مثلما قرر رسول اللَّه ﷺ في حديث آخر أن الإنسان لا يمكن له أن يعالج أو يكتشف دواء للهرم.

. . .عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم فعليكم بألبان البقر فإنها ترمُّ من كل الشجر».

[رواه الحاكم]

لأن كل شيء خلقه اللَّه سبحانه في الدنيا سواء أفي الكون أم في الأرض أم في الإنسان فقد جعل له عمراً افتراضياً، وهذه سنة اللَّه سبحانه التي أحكمت والتي لا تملك البشرية حيالها أي تغيير أو تبديل أو تحويل.

قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٢]

... فالهرم والموت أمران لا مناص للبشرية منهما... وهذه السنة الإلٰهية هي الإرادة الإلٰهية بالبشر، لأن الدنيا ليست غاية بل هي وسيلة لما أراده اللَّه سبحانه، فالدار الآخرة هي الغاية والهدف من الوجود الإنساني والخلق الإلٰهي على هذه الأرض، لأن مَنزِلَ البشرية الدائم هو الجنة أو النار، والدنيا دار ضيافة مؤقتة أو محطة استراحة أو كرجل استظل بظل شجرة وارتحل.

ولكي لا يكون للبشرية حجة على اللَّه سبحانه، أرسل لهم الرسل مبشرين برحمة اللَّه في الآخرة التي أرادها لهم ومنذرين من فتنة الدنيا، بأن يجعلها الإنسان غاية فيركن لها ويطمئن بها ويسعى إلى شهواتها وملذاتها، ناسياً أو متناسياً أو عامداً أو متعمداً لعدم ثقته بالآخرة وبالعودة بعد الموت، هذا الموت الذي استسلم له الإنسان كحقيقة واقعة أمام عينيه، وابتعد عن الآخرة كحقيقة ليست واقعة تحت عينيه، ونَتاج هذا عدم ثقته باللَّه سبحانه، وبأنه سيعيده إلى الآخرة مرة أخرى.

ولطالما أن الموت هو النهاية الطبيعية للإنسان فيجب أن يتوقف عنده كل إنسان وَقْفَة مطولة وبتفكير واعٍ وعقل راجح... لأن أي إنسان ومهما كان معتقده يسأل دائماً نفسه هذا السؤال: ماذا بعد الموت؟ فإن كان مؤمناً فسيكون جوابه يقيناً بالعقل أنه سيعود إلى اللَّه سبحانه. يقول تعالى على لسان الكافرين يوم القيامة:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، **الآية**: ١٠]

فقد نفى اللَّه سبحانه العقل والسمع عن كل إنسان **كان** من أصحاب السعير... والذي سيكون مصيره السعير يوم **القيامة لا** بد أنه لم يسأل نفسه في يوم من الأيام ماذا بعد الموت؟ ولو **سأل** لوصل إلى الحقيقة... ولنجا وأفلح وفاز.. لأنك لو **سألت ماذا** بعد الموت؟ أعددت نفسك لهذا الأمر الجلل إعداداً جيداً يقيك حر السعير ونار جهنم.

هل الموت فناء للإنسان؟؟

الحقيقة أن اللّه سبحانه لم يخلق الإنسان للفناء بل خلقه للديمومة الأبدية، وليس الموت بفناء طالما أن النفس والروح باقيتان تعودان لخالقهما.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

فليست العودة إلى اللّه سبحانه فناء، بل هي انتقال مرحلي من حياة إلى حياة أخرى.. وهذا الفاصل بين الحياتين أخفي عنا وبقي علمه موقوفاً على اللّه سبحانه.

وهذه الحقيقة هي أول الحقائق التي يجب أن يدركها الإنسان وهي أن اللّه سبحانه لم يخلقه من أجل أن يعيش حياته الدنيا بحلوها ومرها وسعادتها وشقائها ثم يموت إلى ما لا نهاية ويطويه الزمن السرمدي.... بل ليعد نفسه ويطيبها ويزكّيها لتكون في أعلى عليين لا في أسفل سافلين، فإذا لم تتمثل هذه الحقيقة في ذهن الإنسان فقد أنقص اللّه سبحانه قدره وظن العبث واللّهو باللّه وحاشا للّه سبحانه أن يعبث وهو القائل في محكم كتابه:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾.

[سورة **الأنبياء،** الآيتان: ١٦، ١٧]

وهاتان آيتان من اللَّه سبحانه، تؤكدان **أن اللَّهو والعبث** واللعب في خلق الإنسان والسموات والأرض منفية عنه **سبحانه وتعالى**.

وقد أثبت تعاقب الأجيال أنه لا مناص من **الموت، ومهما** كان أمر هذا المخلوق (الإنسان) لا ينفعه ولا يشفع له منصب ولا ولاية، ولا مال، ولا جاه، ولا سلطان ولا رجال، ولا يملك أحد حيال موت أي أحد شيئاً، وفي هذا تحدث اللَّه سبحانه في كتابه الكريم.

قال تعالى:

﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٨٦، ٨٧]

وتأكيداً لهذا الأمر، وأنه لا عصمة لأحد من الموت حتى لو ملك البروج المشيدة وأقام فيها.

قال تعالى:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٧٨]

وقد أوحى اللَّه تعالى إلى الرسول ﷺ أنه ميت كما مات من قبله أنبياء اللَّه تعالى، لم يستثن منهم أحداً، وإن أَجَّلَ عُمرَ أحدهم إلى حين، كما أَجَّلَ عمر نوح عليه السلام فبلغ ألف سنة إلا خمسين عاماً.

قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٤]

وكانت الآية التي تليها قانوناً وسنة إلٰهية خالدة لا مناص منها.

فقال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٥]

... فالموت أمر واقع لا مَفَرَّ منه فهو ليس من علم الغيب.. بل حقيقة مرئية أمام أنظارنا نشاهدها مئات المرات في حياتنا الدنيا ونشاهدها في أقرب الناس إلينا.

... إذاً التسليم للموت أمر عقلي منطقي سليم، مَن أنكره وظن أنه ناجٍ منه دون الخلق، فإن في عقله مسًّا من الجنون وعدم الأهلية الإنسانية.

... والموت في طبيعته التي عرفناها على تصورات، عدة بالنسبة لخلق اللّٰه تعالى... فمنهم من يحبه ويتمناه ويستعجله، ولا يريد أن يطول مقامه في الدنيا، أملاً باللّٰه سبحانه والرجوع إليه ومحبة وطمعاً وخوفاً منه.. وأولئك هم الطائعون العابدون القائمون، ومنهم من يداعبه الأمل بطول الأجل، وهم أولئك الذين يخلطون العمل الصالح بآخر سيئاً... ومنهم من رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها فهو لا يريد سوى فتنتها وشهواتها وزينتها ولا يرجو لقاء اللّٰه سبحانه.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ

ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ .

[سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨]

. . . ومنهم من يكره الموت كرهاً عظيماً بما قدمت يداه من سوء وظلم وفحش، وضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً لذلك باليهود وهم القوم المغضوب عليهم.

قال تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الجمعة، الآيتان: ٦، ٧]

أشكال وأنواع الموت

الموت واحد وهو خروج الروح من الجسد لأي سبب كان. . سواء أمن وقوف خثرة دموية في بوابة القلب مع سلامة الجسد أم من هرم وعجز أم من حادث أم مرض أم انتحار أم قتل أم شهادة فإذا خرجت الروح من الجسد فقد الإنسان الحياة مهما كان وضعه الجسدي.

. . . ولكن قضت حكمة اللَّه سبحانه أن تختلف الطريقة التي يموت بها الإنسان، وهي طرق لا حصر لها، واختلاف طرق الموت هي في المؤمن كما هي في الكافر، وكما هي في العاصي هي في الطائع. . وإذا تأملت في ذلك تجد أن فيها حكمةً من عليم خبير. . فلو أن اللَّه سبحانه جعل طريقة الموت في المؤمنين واحدة، تشملها جميعاً الرحمة كأن يموتوا وهم نائمون، أو فَجأة وهم جالسون دون إحساس من مرض أو ألم لا يدركون أو يحسون بفظاعة الموت. . وجعل طريقة الموت في الكافرين شنيعة فظيعة كالحرق والفتك والقتل والدهس لكان هذا من إظهار الغيب، وهذه الحال تشبه تحديد (الرزق) بأن يكون مثلاً للمؤمن دون الكافر أو للكافر دون المؤمن فيؤمن الناس أو يكفرون من أجل الرزق، وكذلك فإن الإنسان قد يؤمن فقط من أجل أن يموت مِيتة هينة ولا يموت مِيتةً مشؤومة، لذلك جعل اللَّه سبحانه ظاهراً ميتة السوء في المؤمن كما هي في الكافر وكذلك جعل الميتة

الهينة اللينة في المؤمن كما هي في الكافر... وقلت ظاهراً... لأن هذا ما يظهر للعيون من واقع قدرتها على الرؤية، لذلك جاءت الآية الكريمة لتوضح أن اللَّه سبحانه هو أقرب للميت من كل أولئك الذين يقفون حوله ليعلمنا اللَّه سبحانه أننا لا نرى إلا ظاهر الأشياء. يقول تعالى:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٨٥]

فربما نرى ظاهر الموت في فلان عذاباً، وحقيقته رحمة وقد يكون ظاهر الموت في فلان رحمة وهو عذاب... فقد نرى كافراً أو فاسقاً يموت على سريره كما تنام العروس في خدرها، ولكن عذاب اللَّه سبحانه فيه أخفاه عنّا لئلا يظهر غيبه على أحد. يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٩٣]

وفي مقابل هذا نجد أن اللَّه سبحانه يخاطب النفس المؤمنة الطاهرة حين موتها بقوله: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾.

[سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨]

حتى ولو كان ظاهر موت المؤمن عذاباً أو قتلاً أو حرقاً أو غرقاً أو استشهاداً... وعلى هذا فالشهيد ميت أمام أعيننا، حي

بِعلم اللَّه تعالى، وهذا هو الفرق بين قدرة الإنسان على الرؤية وقدرة اللَّه في غيبه وعلمه.

... ولكن ما قلته ليس كل شيء.. قلنا: إن هناك ظاهراً كشف لنا وباطناً أخفي عنا.. فالأحاديث الشريفة تشير إلى أنه إذا شدد على المؤمن في موته فهو كفارة لذنوبه، وأنه إذا قضى اللَّه سبحانه له بالقتل أو الحرق أو الغرق فقد أوجب له الشهادة الصغرى وليست الشهادةَ الكبرى، والتي لا تكون إلا في ساحة القتال وفي سبيل اللَّه تعالى... فإذا مات المؤمن غرقاً فهو شهيد كما دلت عليه الأحاديث الشريفة، ولكنه يغسل ويكفن ويُصلى عليه ولا يكون حياً كالشهيد الذي يقتل في سبيل اللَّه، قال اللَّه سبحانه عن الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]

ولكنه يُعطى أجر الشهيد لما ناله من عذاب في موته، كالذي يموت بداء البطن أو مدافعاً عن ماله وعرضه وشرفه، والأحاديث الشريفة تؤيد هذا الكلام وتتضافر معه.

... ومع هذا فإن رسول اللَّه ﷺ دلنا من خلال الأحاديث الشريفة أن المؤمن من الممكن أن يقي نفسه مِيتة السوء ظاهراً، بأعمال أوصانا بها في الدنيا ومؤداها صنائع المعروف.

... عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات،

وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» .

[رواه الحاكم في المستدرك]

وفي مقابل هذا فإن صدقة السرِّ يبتغي بها صاحبها وجه اللَّه تعالى فإنها تطفئ غضب اللَّه سبحانه على عبده فتقيه مصارع السوء أيضاً.

. . .عن عبد اللَّه بن جعفر وعن أبي سعيد رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ:

« صدقة السر تطفئ غضب الرب» .

[رواه الطبراني في المعجم الصغير]

ومن الشهادة (القتل) دفاعاً عن النفس والمال والعِرض والدين والأهل.

عن سعد بن زيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» .

[رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه]

. . .وليس الشهيد في الإسلام من قتل دون دمه وماله وأهله فحسب بل أوجب رسول اللَّه ﷺ الشهادة للمؤمن في حالات أخرى نستبينها في الحديث الشريف.

عن جابر بن عتيك أن رسول اللَّه ﷺ قال:

« الشهادة سبع سوى القتل في سبيل اللَّه: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيد» .

[أخرجه ابن حبان في صحيحه]

. . . وهكذا فإننا نجد أن الموت ليس له قاعدة لا في العمر ولا في النوع ولا في المؤمن ولا في الكافر ولا في عاصٍ، سنة اللَّه في هذا الكون وهذا الخلق ولن تجد لسنة اللَّه تبديلاً إلى أن يرث اللَّه سبحانه الأرض ومن عليها، وليست هذه السنة الإلٰهية بالعشوائية، إنما من علم اللَّه المطلق في كامل خلقه، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا أمره وإرادته في خلقه في كثير من الآيات الكريمة في كتابه الكريم.

لماذا يكره الإنسان الموت والحياة ملأى بالهموم والمتاعب والأمراض؟؟؟

. . . هكذا خلق اللَّه سبحانه الإنسان يكره الموت وأقل مراتب الكراهية أنه لا يفضله على الحياة. . وفي معنى كراهية الموت يقول تعالى في الحديث القدسي:

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ فيما يرويه عن ربه:

«وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاة المؤمن لأنه يكره الموت وأكره مساءته».

[أخرجه أحمد والحكيم والطبراني وأبو نعيم]

. . . ولكي يعمر الكون ويزخر بالحياة فقد غرس اللَّه سبحانه في الإنسان حب الحياة والتمسك بها. . وجعل اللَّه سبحانه من حكمته بين يدي الإنسان ما استخلفه فيه وملَّكه إياه في الدنيا من الرزق والولد، ليزداد تمسكاً بالحياة ويعمل فيها ويسعى في جنباتها استكمالاً لرزقه وسعياً من أجل ولده، وقد جعل اللَّه سبحانه هذا السعي قهراً على الإنسان، بحثاً عن طعامه وتأمين مأوىً له يقيه حر الصيف وبرد الشتاء، ويسعى على جسده من أن يصيبه أذىً أو علة أو مرض. . وفوق هذه الغريزة جاءنا التوجيه النبوي الشريف أن نتمسك بالحياة الدنيا ونسعى لها دون يأس أو حزن أو غم.

ـ عن ابن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل** » .

[رواه أحمد في مسنده رقم الحديث ١٣٠٤٨]

ومع هذا الدفاع الغريزي عن الحياة التي أوجدها اللَّه سبحانه في الإنسان كانت المعادلة الإلٰهية ليس في قهر الغريزة إنما في تشذيبها وتهذيبها، لتتوسط النفس في تناول الحياة والسعي نحو الآخرة لأنها دار القرار.

فإذا كان اللَّه قد وضع في الإنسان حب الدنيا والمال والولد، فقد أرشده أيضاً إلى أن الباقيات الصالحات خير عند اللَّه وأبقى.

قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية ٤٦]

أي الطاعة والعبادة والتسبيح وذكر اللَّه، ذلك لأن هذا هو الباقي وأن ما دونه فان.

وقد حققت بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم أعظم معادلة وتوازن للمؤمنين في الحياة الدنيا.

. . . لأن المؤمنين يعلمون حق العلم أنهم إذا عادوا إلى ربهم عادوا إليه راضين مرضيّين مطمئنين بما وعد اللَّه وادَّخره لهم في الآخرة، ولأنَّ في أنفسهم دائماً قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ .

[سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

فهؤلاء لا يخافون من لقاء اللَّه سبحانه ولا يكرهون لقاءه، فليس مما كسبت أيديهم ما يغضب اللَّه ويوجب عليهم العذاب.

. . . ومفترق الطريق الآخر الذي خسر فيه الإنسان نفسه في الدنيا والآخرة بما كفر وعصى اللَّه سبحانه، واطمأن للحياة الدنيا وفرح بها، فهؤلاء يكرهون الموت كراهية شديدة ويكرهون لقاء اللَّه تعالى كما قال تعالى في الحديث القدسي:

«**إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه**».

[رواه البخاري ومالك عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

فتخرج نفسه كارهة خائفة مما ينتظرها من غضب اللَّه سبحانه. . وهؤلاء هم الذين نسوا اللَّه فأنساهم أنفسهم، فضلَّت قلوبهم وعقولهم سواء أكانوا كافرين أم مسلمين عصاة فكرهوا لقاء اللَّه سبحانه فكره اللَّه سبحانه لقاءهم بما قدمت أيديهم من مفاسد ومعاص، فخابت نفوسهم لأنهم دسّوها في الآثام والفواحش والكفر باللَّه وآلائه ونعمه.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فكما أن النفوس الطاهرة تعود إلى بارئها راضية مرضية فكذلك أصحابها لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة بالبشرى لا ينساهم اللَّه من فضله. . كذلك النفوس الفاسدة تعود كارهة نسيهم اللَّه من فضله فلا يذكرهم بخير في الآخرة، وتعود نفوسهم خبيثة دنسة قال تعالى:

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٤]

لحظة الموت بشارة للمؤمن وحسرة على الكافر والعاصي

. . .يتلقى عَزرائيل عليه السلام (ملك الموت) الأمر من اللَّه سبحانه بقبض روح فلان بن فلان في اليوم والساعة وأجزاء الثانية حسب علم اللَّه. .وعزرائيل من إعلام اللَّه سبحانه، يعلم من هو المقبوض وما درجة إيمانه وصلاحه أو كفره وعصيانه.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١١]

فهي لحظة حاسمة في حياة الإنسان بعد أن انتهى زمن تكليفه فهو إمّا أن يفلح وإلى الأبد وإما أن يخيب وإلى الأبد، ولحظة الموت من أعسر لحظات حياة الإنسان الأخيرة بعد أن تركه اللَّه سبحانه وعلى مدى سبعين أو ثمانين سنة أو أكثر أو أقل يفعل ما يشاء والآن جاء دور الحساب، وأما المؤمن فالموت بشارة عظيمة له كما يقول اللَّه تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

. . . فالملائكة تتنزل بأمر اللَّه سبحانه لتبشر المؤمن في لحظة النزع والموت، بعد أن يفقد الذي يُحتضر القدرة على الكلام، ويكشف اللَّه سبحانه عنه بعض الحجاب، فيريه من آياته وهم الملائكة الذين أرسلهم ليبشروه، وكذلك فإن الملائكة تتنزل على المؤمنين من أهل الاستقامة في قبورهم وبعثهم وحشرهم وفي جميع مراحل عالم البرزخ حتى يلقوا ربهم يوم القيامة، وبأمر اللَّه سبحانه تقول الملائكة لهم كما في تفسير الآيات الكريمة: لا تخافوا مما ستقدمون عليه من عالم البرزخ والآخرة، ولا تخافوا على ما خلفتم في دنياكم من الزوج والولد، فإن اللَّه سبحانه وليكم ووليهم، وبعد هذه الطمأنينة يبشرونهم بالجنة التي وعدهم اللَّه سبحانه بها، والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لهم ما يشاؤون فيها وعند اللَّه المزيد خالدون فيها مخلدون وعد اللَّه حقاً إنه لا يخلف الميعاد.

. . . وأما الكافر والفاسق والعاصي وكل من أتى اللَّه سبحانه على غير دين الإسلام فإن لحظة موتهم لحظة العذاب والإهانة والضرب. . وهنا علم اللَّه وقدرته، ينال الكافر والعاصي هذا العذاب في لحظة الموت دون أن يرى أقربُ المقربين إليه شيئاً أو يحس أو يدرك هذا العذاب، وهذه الإهانة غير مرئية لأنها من غيب اللَّه الذي أخفاه عنا ولو أظهره لنا لآمن الناس لأنهم رأوا ما لم يعد غيباً، ولا فضل لهم يومئذ بإيمانهم لأنهم آمنوا لما رأوا العذاب، والفضل كل الفضل لمن آمن بقدرة اللَّه وغيبه الذي يوصله إليه عقله بما أودع اللَّه سبحانه من آياته في هذا الإنسان وفي هذا الكون العظيم، يقول تعالى عن لحظة موت هؤلاء الفاسقين الظالمين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

[سورة الأنفال، الآية: ٥٠]

ويقول تعالى أيضاً عن هذا الموقف العصيب للكافرين في لحظة الموت: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٩٣]

وهؤلاء أيضاً يكشف اللَّه سبحانه عنهم بعض الحجاب، ليسمعوا ويروا الملائكة الذين يضربونهم ويسمعونهم الكلام الشديد المهين، ليذوقوا في هذه اللحظات عذاباً وألماً ورعباً، وخاصةً من رؤيتهم ملائكةَ العذاب الغلاظ الشداد الذين لا يعصون اللَّه سبحانه ما أمرهم، فتزدحم عليهم الكربات وتغمرهم الشدائد.

ويتمنون لو تنشق الأرض فتبتلعهم إلى غير رجعة ودون قرار.

. . . وتبدأ حسرات الكفار والعصاة من لحظة الموت عَبْر حسراتهم وعض أناملهم إلى يوم القيامة. . فيسألون العودة إلى دار الدنيا ليعملوا فيها صالحاً كما أمر اللَّه سبحانه قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠]

لذلك حذرنا اللَّه سبحانه في كثير من آياته الكريمة لحظة الموت لأنه لا يمكن لأحد أن يعود إلى الدنيا مرة أخرى (وهذا من غيب اللَّه أيضاً)، لذلك نسأل ربنا عز وجل في كثير من دعائنا الصلاح والتقوى والعمل الصالح والإنفاق وأداء الفرائض والإكثار من الصدقات والنوافل لنلقاه وهو راضٍ عنا، تتلقانا الملائكة بالبشرى، ولا تكون حياتنا علينا حسرة.

يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ * وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَـٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾.

[سورة المنافقون، الآيات: ٩ ـ ١١]

ومن الآيات الكريمة نستدل على أن الإنفاق في سبيل اللَّه سبحانه له أثر عظيم، يظهر ذلك الأثر من لحظة الموت وفي عالم البرزخ ويوم القيامة.

. . . ولنا في هذا المقام حديث، وهو أنَّ الأحياء في ساعة الموت على درجات كثيرة، فليس كل مسلم أو مؤمن تتلقاه الملائكة بالبشرى ويكون من صنف الآية الكريمة ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ فالمؤمن على درجات كلما سمت درجته وعلت من واقع إيمانه وعمله الصالح وإنفاقه في سبيل اللَّه تلقته الملائكة بكامل البشرى والتبشير، وكلما قلَّ عمله الصالح قلَّت درجات البشرى، وكثير من المؤمنين العصاة أتوا اللَّه سبحانه وهم على معصية، لم يؤدوا ما عليهم من فرائض، ولم يعرفوا للإنفاق في سبيل اللَّه طريقاً، ولم يكن لهم من إسلامهم إلا الاسم، ولم يكن لهم من إيمانهم إلا الأماني الكاذبة، لأن الإيمان كما قال رسول اللَّه ﷺ:

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أفضل المسلمين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى اللَّه عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات اللَّه عز وجل».

[رواه الطبراني في المعجم الكبير [صحيح]

فهؤلاء العصاة ليس لهم بشرى، ولا تتلقاهم الملائكة إلا بضرب وجوههم وأدبارهم ولا تخرج أنفسهم إلا بذل وإهانة وعذاب، وينالهم ما ينال الفاسق الكافر في لحظة الموت، باستكبارهم على اللَّه ورفضهم طاعته وأداء فرائضه وما أمرهم اللَّه سبحانه به واللَّه أعلم.

ما بين الموت والبرزخ (القبر)

. . .هذه ساعات العبرة حيث نجد الميت مسجىً على فراشه أو على الأرض جثة هامدة لا حَراك فيها، فقدت البهاء والجمال وتحولت النضارة في الوجه إلى شحوب وتحول الاحمرار إلى صفرة واسوداد. . .لا ماله ينفعه ولا منصبه، وأهله من حوله يبكون لا يستطيعون أن يفعلوا له شيئاً، والطبيب تنتهي مَهمته بالعجز الكلي عن فعل أي شيء. .وكل ما خوَّله اللَّه سبحانه به في الحياة تركه ولم يعد ينفعه بشيء، وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٤]

فقد انتهت فترة الامتحان التي ترككم فيها اللَّه سبحانه تفعلون ما تشاؤون باختياركم المطلق، واليوم انقطع عنكم أسباب الاختيار وسلمتم الأرواح إلى بارئها، وأما بهاؤكم وجمالكم في أجسادكم فسيتحول إلى جيفة بعد عدة أيام. .وكم من الظالمين وحماتهم الذين يبلغون الآلاف لا يستطيعون أن يفعلوا لهم شيئاً بعد أن كان بإشارة منه يُهرَعون إليه لتنفيذ أمره إمَّا خوفاً منه أو طمعاً في عطاياه، وقد تحدَّى اللَّه سبحانه البشرية كلها في إرجاع ميت واحد إلى الحياة.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيتان: ٨٦، ٨٧]

وفي هذه اللحظات وقبل أن يُغَسَّلَ الميت ويكفَّن يحدثنا رسول اللَّه ﷺ عمّا يحدث للعبد في تلك اللحظات مبيناً حالة المؤمن الصالح وحالة الكافر والعاصي.

. . . عن البراء بن عازب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حَنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرةٍ من اللَّه ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ ـ أي فم ـ السقاء ـ أي بسهولة ورفق ـ فيأخذها ـ أي ملك الموت ـ، فإذا أخذها لم يدعوها ـ أي لم يتركوها ـ في يده طرفة عين حتى يأخذوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على سطح الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيشيِّعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة فيقول اللَّه تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في علّيين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول اللَّه، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول:

قرأت كتاب اللَّه فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء: أن

صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويفسح له من قبره مدَّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الذي يأتي بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول العبد الميت: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي.

قال رسول اللَّه ﷺ: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبالٍ من الدنيا نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح (أي الجلود الغليظة) فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اُخرجي إلى سخطٍ من اللَّه وغضب، قال: فتفرق في جسده فينزعها كما ينزع السَّفُّود (أي حديدة ذات شوك) من الصوف المبلول، فيأخذها ملك الموت، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء فيستفتح له فلا يفتح، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الآية.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

فيقول اللَّه تعالى: اكتبوا كتابه في سِجِّين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٣١]

فتعاد روحه إلى جسده ويأتيه ملكان ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه القبر حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشرْ بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك القبيح يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة»[١].

[رواه الإمام أحمد في مسنده]

وقد ورد في صحيح مسلم في مثل هذا المعنى:

. . .عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا خرجت روح العبد المؤمن، تلقاها ملكان يصعدان بها ـ قال حماد الراوي ـ: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قِبل الأرض صلى اللَّه عليك وعلى جسد كنت تعمُرينه، فيُنطلقُ به إلى ربه عزَّ وجلَّ، ثمّ يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه ـ قال حماد ـ وذكر من نَتْنها وذكر لعناً ـ ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال أبو هريرة: فردَّ رسول اللَّه ﷺ رَيْطَةً كانت عليه على أنفه هكذا» والريطة هي ثوب رقيق أو الملاءة وفعل ذلك كما هو شأن من شمّ رائحة خبيثة كيف يضع على أنفه ما يمنع تلك الرائحة المستقذرة؟.

[رواه مسلم في صحيحه]

(١) ترغيب المنذري: صفحة٣٦٨ وأورد هذا الحديث ابن كثير بروايات مختلفة.

الأعمال والأقوال الواجبة للميت عند الدفن

علَّمنا رسول اللَّه ﷺ بعض الأعمال والأقوال الواجبة للميت المسلم عند الدفن، لتعود عليه بالخير والفائدة فيرحمه اللَّه سبحانه بها[١].

وأول ما علمنا رسول اللَّه ﷺ إذا وضعنا الميت في قبره أن نقول: باسم اللَّه وعلى سنة رسول اللَّه.

... عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إذا وضعتم موتاكم في القبور فقولوا: باسم اللَّه، وعلى سنة رسول اللَّه**».

[رواه أحمد وابن حبان والطبراني]

كذلك علمنا وأوصانا رسول اللَّه ﷺ أن نلقن موتانا بعد الدفن بشهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه، لأن الميت كما ورد في الأحاديث يسمع في هذا الوقت ولكنه لا يستطيع الإجابة، فتلقينه الشهادة تذكيرٌ له ليقولها إذا ما أتاه الملكان منكر ونكير.

... عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**لقنوا موتاكم: لا إلٰه إلا اللَّه**».

[رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي]

---

(١) وأمَّا أحكام الميت الشرعية عند الموت والغسل والصلاة والجِنازة فقد توسعت في ذكرها كتب الفقه ومن أراد أن يتوسع عليه العودة إلى تلك الكتب وأحكام الميت فيها.

ويلقن المسلمون موتاهم في كثير من البلدان الإسلامية علاوة على تلقينهم لا إلٰه إلا اللَّه... بقولهم: اعلم يا عبد اللَّه أنه في هذه الساعة يأتيك ملكان من قبل الرحمن، يقال لأحدهما منكر وللثاني نكير فيسألانك ما دينك؟ وما الذي مت عليه؟ فقل: اللَّه ربي ومحمد نبيّي والقرآن كتابي والإسلام ديني وأنا أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه... وأرى أنه لا بأس بهذا التلقين فهو دال على الشهادة شهادة التوحيد باللَّه تعالى.

وهذا ما يؤيده الحديث الشريف الذي رواه الطبراني وفي إسناده مَقَالٌ، قال النووي رحمه اللَّه فيما رواه أبو القاسم الطبراني في معجمه ولفظه: عن سعيد بن عبد اللَّه الأزدي قال: شهدت أبا أمامة رضي اللَّه عنه وهو في النزع فقال: إذا أنا مِتُّ فاصنعوا بي كما أمرنا رسول اللَّه ﷺ فقال:

«إذا مات أحد من إخوانكم فسوَّيتُم التراب على قبره فلْيقم أحدكم على رأس قبره ولْيقل يا فلانُ ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه (الميت) يقول أرشدنا رحمك اللَّه ولكن لا تشعرون (أي بكلامه ولا بقعوده) فلْيقل: اذكرْ ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك رضيت باللَّه ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كلّ واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلقْ بنا ما يقعدنا عند من لُقِّن حجَّته. قالوا: يا رسول اللَّه فإن لم نعرف أمه؟ قال فينسبه إلى أمه حوَّاء يا فلانُ ابن حواء».

وقد اعتضد هذا الحديث بشواهدَ من الأحاديث النبوية كحديث

(اسألوا له التثبيت)، ووصية عمرو بن العاص، وهما حديثان صحيحان ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا في زمن يُقتدى به وإلى الآن، وهذا التلقين إنما هو في حق المكلَّف الميت أما الصبي فلا يلقَّن واللَّه أعلم.

وقبل أن ينصرف الناس جانباً إلى تعزية أهل الميت، وهي من السنة الشريفة سألنا رسول اللَّه ﷺ أن نسأل لأخينا الميت أن يثبته اللَّه عند سؤال الملكين، لأنه بعد الدفن والتلقين يأتيه مباشرة الملكان منكر ونكير يسألانه.

قال رسول اللَّه ﷺ:

«استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

[أخرجه أبو داود في سننه]

واللَّه سبحانه هو الذي يثبت بفضله ورحمته المؤمنين الصادقين في إيمانهم، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٧]

أمَّا قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي عند الموت وعند سؤال الملكين وهذا قول الفقهاء والمفسرين وهو فزع البرزخ. أمَّا قوله: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي عند الفزع الأكبر يوم القيامة يثبتهم اللَّه سبحانه بالقول الثابت فلا يفزعهم ويحزنهم الفزع الأكبر بل يكونون في حفظ اللَّه وأمانه ورحمته. يقول تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣]

وإذا ما انصرف المشيعون من حول القبر ومن تعزية أهل

الميت حتى إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا، جاءه منكر ونكير ليسألاه، وفي هذه الحال يبقى وحيداً، حتى أقرب المقربين إليه يتركه ويرحل عنه، فقريبه لا يستطيع أن يفعل أكثر مما فعل من واجبات الجِنازة والدفن وقبول العزاء، ولهذه الساعة الرهيبة العصيبة يجب أن يحسب العبد حسابه، وليعلم أنه لو اجتمعت البشرية لنصرته فلن تفيده بشيء ولن يفيده إلا ما أتى به من عمل صالح كتب وسطر في صحيفته.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٩٤]

فأين الأهل والأولاد والأصحاب والمنصب والمال والعز والجاه؟ كله رحل ورجع وتركه وحيداً فرداً ليس بينه وبين اللَّه سبحانه واسطة ولا شفيع.

وفي هذا المقام الجلل يقول رسول اللَّه ﷺ:

. . . عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله فيقال: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللَّه به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً، ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون، وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ».

[رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وأبو داود في السنن]

الفصل الثاني

- عالم البرزخ وزمنه من الموت وحتى نفخة البعث.
- هل العذاب في القبر (عالم البرزخ) واقع على الإنسان؟
- كيفية العذاب وهل العذاب على الجسد؟ أم على النفس والروح؟
- المدة الزمنية التي يلبثها الميت في برزخه.
- هل يحس الميت بالزمن في عالم البرزخ؟

عالم البرزخ وزمنه
من الموت وحتى نفخة البعث

هذا العنوان عالم البرزخ هو الهدف من الكتاب أو قل هو أهم جزء من الكتاب.

... لقد تعددت الآراء حول عالم البرزخ من كثير من العلماء والفقهاء والمفسرين القدامى والمحدثين، والسبب الرئيس لهذا التعدد هو كثرة الأحاديث الشريفة حول هذا العالم المجهول لدينا، وهذه الأحاديث الشريفة منها المسند الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف حسب تصنيف علماء الحديث الشريف، لذا نجد بعض الاختلاف حول هذا العالم البرزخي المجهول من حيث تناوله من قبل الباحثين والكتّاب.

ونضيف على هذا الاختلاف العلم المحدود والبسيط عن هذا العالم البرزخي، فالمعاينة شيء والكلام شيء آخر وليس الخبر كالعيان، ومهما تحدثنا عن العالم البرزخي فإن معاينة أحدنا بعد موته لهذا العالم يجعله يدرك الكثير الكثير الذي لم يطّلع عليه.

... القرآن الكريم تناول الجنة وتحدث عنها باستفاضة، وعشرات الآيات الكريمة تحدثت عن الجنة، فوصفتها ووصفت ما فيها من النعيم المقيم، المتمثل في القصور والحدائق والغرف والأنهار والحور والغلمان والطعام والفاكهة، وكذلك أرضها وشجرها وطيرها إلى ما لا يعد من الأوصاف العظيمة للجنة التي وعد اللّه بها سبحانه

المؤمنين من عباده. . . وكذلك توسعت الأحاديث الشريفة في وصف الجنة وما للمؤمن فيها من كرامة وأجر ومقام عظيم أمين، ولكن يبقى كل هذا في باب الوصف ليقترب التشبيه من العقول والقلوب، ويعمل لها العاملون ويسعى إليها المؤمنون المتقون.

. . . ولكن ومع كل هذا الوصف لم تتم معاينة الجنة، وبقينا في محور الوصف والحديث عنها للتقريب والترغيب، وفي نهاية الأمر تبقى الجنة من (عالم الغيب) الذي أخفاه اللَّه سبحانه عنا، لوجوب الابتلاء والامتحان بعالم الغيب وقدرة اللَّه تعالى وَفق موجودات الكون والخلق. . وهكذا تبقى الجنة فوق مستوى إدراكنا وعقولنا وأفكارنا وتصوراتنا. يقول تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

يقول تعالى في الحديث القدسي:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

[رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه والنسائي في الكبرىٰ]

. . . فلو أن جمال الجنة وما أعدَّ اللَّه سبحانه فيها ضمن تصوراتنا وعقولنا ومداركنا ومفهومنا عن الجمال، فأين ذهب علم اللَّه سبحانه وقدرته وكرمه فيما أعدَّ للمؤمنين؟ كما وعد في كتابه الكريم من أجر عظيم ـ أجر كبير ـ أجر كريم إذا كان الأجر والإعداد كإعداد الدنيا وما فيها من الجمال والمتعة؟

. . . إذاً فالجنة قرَّبها اللَّه سبحانه ورسوله إلينا بالوصف والتشبيه لنستعد لها، مع بقائها خارج حدود مداركنا وعقولنا (لأنها عالم غيبي)

. . . وكذلك فإن عالم البرزخ على كثرة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تناولت هذا العالم البرزخي. . فإنه في النهاية عالم خارج عن حدود مداركنا وعقولنا وتصوراتنا. . وفي كلا الغيبين غيب الجنة وغيب عالم البرزخ رحمة عظمى من اللّه سبحانه لبني البشر على هذه الأرض.

فأجسادنا المخلوقة على هيئتها وشاكلتها التي نراها أمام عيوننا غير جاهزة تماماً لاستقبال هذا الغيب، ولا يمكن لعقولنا وأجسادنا أن تتحمل غيباً واحداً أخفي عنا فيما لو أظهره اللّه سبحانه لنا.

. . . فقدراتنا الفيزيولوجية المخلوقة لها قدرات مسبقة مقدّرة من اللّه سبحانه وتعالى. . وفي كل نوع من الخلق وضع اللّه سبحانه قدرة فيه مغايرة للقدرة الأخرى التي وضعها في مخلوق آخر.

مع تعدد الأنواع من ملائكة وإنس وجن ووحش وطير وما علمنا وما لم نعلم.

فالإنسان له قدرة على الرؤية لا يستطيع تجاوزها فهو لا يستطيع أن يرى الملائكة ولا الجن، فقدرته البصرية المخلوقة لا تتحمل. . فالمصباح الكهربائي إذا زاد من مِئة شَمَعَة إلى ألف شَمَعَة إلى ألفين، ونظر إليه الإنسان فربما يُفقده بصره، فما رأيك برؤية ملك واحد من ملائكة اللّه سبحانه الذي قد يزيد في نوره على ملايين الكيلو واط من الكهرَباء أو النور؟

. . . لذلك فإن اللّه سبحانه ينشئنا يوم القيامة نشأة أخرى غير

نشأة الدنيا، لنستطيع أن نرى الغيب الذي أخفاه اللَّه عنا لعدم قدرتنا على رؤيته، ولأن اللَّه سبحانه جعله من الامتحان والابتلاء للإنسان في نفس الوقت. يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

ويقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .

[سورة ق، الآية: ٢٢]

ولنعد إلى الآية الكريمة ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ ﴾ . .إذاً هناك غطاء حاجز وضع بيننا وبين الغيب الذي يشمل عالم البرزخ ويوم القيامة والجنة والنار، وهذا هو صريح الآية القرآنية الكريمة التي تؤكد وجود مثل هذا الحاجز بيننا وبين الآخرة كلها، بداية من الموت وحتى الدخول إلى الجنة أو إلى النار والعياذ باللَّه، وعلى هذا كما ورد في الحديث الموقوف عن علي بن أبي طالب: « **الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**» . ذلك لأن عالم الحياة الحقيقي هو العالم الذي يبدأ من لحظة الموت والذي يتجه نحو الخلود الأبدي . . فقد شبهت الدنيا وما فيها كأنها حلم عابر أو ساعة من زمن أو ما يشبه العشية والضحى . . قياساً للخلد الأبدي الذي يبدأ مع الموت .

يقول تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ .

[سورة النازعات، الآية: ٤٦]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ .

[سورة يونس، الآية ٤٥]

وكذلك فإن رسول اللَّه ﷺ شبه الدنيا زمنياً برجل استظل في ظل شجرة ثم ارتحل.

. . .عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ».

[رواه أحمد والترمذي وابن ماجه]

هل العذاب في القبر (عالم البرزخ) واقع على الإنسان؟؟

. . . العذاب في القبر (عالم البرزخ) واقع لا محالة ولا شك في هذا مطلقاً، ودليله القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا دليل (قطعي) سواهما مع موافقة العقل لهذا العذاب أو النعيم، لأنه لا يتنافى مع معطيات العقل الإنساني.

يقول تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١٠١]

فحياة الإنسان على مراحل ثلاث ـ الحياة الدنيا ـ عالم البرزخ بعد الموت، ويوم القيامة بعد البعث والنشور. والله سبحانه في الآية الكريمة تحدث عن أنواع ثلاثة من العذاب ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ مرة في الدنيا لنفاقهم أو كفرهم ومرة في البرزخ بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة بعد الحساب فهو الذي أشار إليه الله سبحانه بقوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾.

. . . وقد استدل ابن عباس رضي الله عنه على هذا من قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٢١]

إن العذاب الأدنى هو أحد العذابين، مرة في الدنيا لعلهم بهذا العذاب أو العقوبة يرجعون إلى اللّٰه سبحانه ويؤمنون به. .ومرة في عالم البرزخ جزاء بما قدمت أيديهم في الدنيا، وأما العذاب الأكبر فهو بعد الحساب يوم القيامة وهو عذاب النار الذي أوجبه اللّٰه سبحانه للكفار والمنافقين والعصاة.

. . .وأما الآيتان الكريمتان في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٤٥، ٤٦]

فقد جعلهما الفقهاء والعلماء أصلاً كبيراً في الاستدلال على عذاب البرزخ، فقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾.

فهو العذاب الذي نالهم عند الغرق عندما أطبق اللّٰه سبحانه عليهم البحر بعد أن عبر موسى عليه السلام وقومه.

. . . وأما قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾.

فهذا الجزء من الآية يخص عالم البرزخ لأن النار لم تعرض عليهم في حياتهم الدنيا غدواً وعشياً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾.

فهذا خاص بيوم القيامة بعد حسابهم وعرضهم على اللّٰه سبحانه، يأمر بهم فيدخلون نار جهنم خالدين فيها أبداً، وأما الأحاديث الشريفة الدالة على عذاب القبر فهي كثيرة نورد منها قوله ﷺ عن أنس وابن مسعود رضي اللّٰه عنهما قالا: قال رسول

اللَّه ﷺ: «**إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى إنَّ البهائم لتسمع أصواتهم**».

[رواه الطبراني في المعجم الكبير وروى نحوه البخاري ومسلم]

. . .عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الميت ليعذب ببكاء الحي**».

[رواه البخاري ومسلم]

أي أن الميت ليعذب من العويل والويل وضرب الخدود والأيدي والصراخ من الأهل والأقرباء. . لأن العبد إن كان صالحاً فإنه لا يريد أن يبكي عليه أحد بكاء العويل، لأنه أتى إلى رحمة اللَّه تعالى، وقد أدركها وأحس بها بعد موته وبعد سؤال الملكين وتأمينهما وتطمينهما له لأن رحمة اللَّه تعالى لا تقابل بالصراخ والعويل والبكاء الشديد. والمعنى واللَّه أعلم أن الميت المؤمن الصالح يتعذب نفسياً من صراخ أهله وبكائهم عليه. . وأما الحزن ودمعة العين على فراق الميت فلا بأس بهما لأن هذا يدل على رقة القلب ومكانة الميت في قلب المحزون، وذلك لأن رسول اللَّه ﷺ قال بعد موت ابنه إبراهيم: «**إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنَّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

[رواه أبو داود في سننه]

لذلك على أهل الميت المؤمن الصالح الصبر والاستعانة باللَّه تعالى والاسترجاع وأن يقولوا: للَّه ما أخذ وللَّه ما أعطى ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، وعوضاً عن البكاء ندعو له ونتصدق عنه ونقضي دينه، وأمّا الكافر فيزداد عذاباً فوق عذاب الكفر من بكاء أهله وبما عوَّلوا وصرخوا وشقوا الجيوب ولطموا الخدود.

وقال رسول اللَّه ﷺ عن عذاب القبر أيضاً:

. . . عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **عذاب القبر حق**» .

[رواه الخطيب البغدادي وأورده السيوطي في الجامع الصغير]

. . . عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**» .

[رواه البخاري ومسلم]

وهذا الحديث يؤكد الحديث الشريف: « **إن الميت ليعذب ببكاء الحي**» كما أنه شاهد على عذاب القبر، وقد حمل العلماء التعذيب على من أوصى بالبكاء عليه والعويل.

. . . عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منه**» .

[رواه مسلم وأحمد والنسائي]

وقد أمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نتعوذ من عذاب القبر.

. . . عن زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **تعوذوا باللَّه من عذاب النار، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب النار، قال: تعوذوا باللَّه من عذاب القبر، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر**» .

[بعض حديث أخرجه مسلم في صحيحه]

ولقد استدل بعض العلماء والفقهاء على عذاب القبر من الآية الكريمة من سورة غافر التي سبق ذكرها.

يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ

وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٣]

. . . فقد استدل العلماء والمفسرون من الآية الكريمة على العذاب من قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ فاليوم أي في القبر (البرزخ) لأنّ تجزون لم تسبق بسين الاستقبال أو سوف المستقبلية، كأن يقول: أخرجوا أنفسكم ستجزون عذاب الهون أو سوف تجزون عذاب الهون، بل قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ .

إشارة إلى اليوم (البرزخ) بالمطلقية، لأن بعد وفاته لا يوم له في الدنيا فقد انقطعت أيامه من الدنيا.

وليس هو يومَ القيامة لأن اللَّه سبحانه لم يقل: ويوم القيامة تجزون عذاب الهون فتحدد اليوم قطعاً (بالبرزخ).

مما تقدم من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتبين أن عذاب القبر حق وواقع لا محالة، ونستطيع أن نقول كما يقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ :

[سورة فصلت، الآية: ١١]

إن الاستواء معلوم ولكن الكيف غير معلوم. نقول: إن العذاب واقع معلوم وكيفيته مجهولة، وهذا ما سنفرد له فِقرة كاملة للأهمية القصوى، ولأن محور الكتاب يدور حول البرزخ وحقيقة العذاب في البرزخ، وهل هو واقع أم غير واقع؟ ولا شك

في أن الكثيرين ينكرون عذاب القبر ولا يقرونه، وأيضاً فإن الكثيرين يثبتونه ويؤكدونه بالدلائل والقرائن، ونحن في هذا الكتاب سنقول الحق بإذن اللّه من واقع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية، لأن الإنسان يجب أن يعلم من واقع كتاب ربه الحق حقيقة الأمر وكيف يؤول حاله بعد الموت وبعد البعث والنشور.

كيفية العذاب
وهل العذاب على الجسد
أم على النفس والروح؟

عالم البرزخ عالم اختص بعلمه القرآن الكريم والسنة الشريفة دون غيرهما.

. . . مما أوردنا سابقاً من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نستبين أن عذاب القبر واقع وهو حق لا شك في ذلك طالما أيدته الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

ووجود العذاب أو عدم وجوده لا تؤكده أو تنفيه إلا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وليس لنا من علم يؤكد أو ينفي سواهما، لأنه ومن لحظة الموت إلى يوم القيامة والجنة والنار فهو علم اللَّه سبحانه المطلق، فهذا الأمر علم إلٰهي غيبي، أخبرنا اللَّه سبحانه عنه وأخفى عنا كيفيته رحمة بنا، ولو شاء اللَّه تعالى لما أخبرنا وما أدرانا عن بعض هذا العلم الغيبي شيئاً وما أنزل القرآن الكريم الذي فيه هذا العلم.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

[سورة يونس، الآيتان: ١٥، ١٦]

نفهم من هاتين الآيتين الكريمتين من سورة يونس، أن الإخبار عن الغيبيات من قبل اللَّه تعالى وحسب، والتي من جملتها عالم البرزخ الذي جاء في القرآن الكريم، ولو شاء اللَّه لما أنزل القرآن الكريم علينا ومن ثَم ما عَلِمَ أحد عن مثل هذه الغيبيات شيئاً. . لأن الإنسان مهما تعلَّم ومهما تطور ووصل إلى أعلى مستوى له فإنه يبقى قاصراً عن مثل هذه الأمور، لأنها فوق مستواه العقلي والفكري الدنيوي ولا يستطيع لها سبيلاً. فالروح والتي هي سبب الحياة وسبب الموت هي في علم اللَّه سبحانه اختصها لذاته العلي. يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وهذه الآية إشارة عظيمة إلى أن الأمر بيد اللَّه حتى تقوم الساعة، أي إن الإنسان ومهما تطورت علومه عبر القرون القادمة فليس له من سبيل لمعرفة أمر الروح والحياة والممات بجهده الشخصي لأنها من أمر اللَّه وحده. فعالم البرزخ والذي نحن بصدد الحديث عنه يبقى في علم اللَّه تعالى، أخبرنا اللَّه سبحانه عنه لنستعد لهذا العالم الخفي وما فيه من أمر اللَّه، لأن النفس البشرية واردة إليه لا محالة، وطالما أننا واردون إليه لا نستطيع دفعاً له ولا إبعاداً، فلا بد من الاستعداد له ومعرفة بعض علم عنه من خلال ما أخبرنا اللَّه سبحانه عنه ورسوله الكريم ﷺ لأننا لا نملك علماً آخر يستطيع أن يعرفنا بعالم البرزخ.

. . . لذلك علينا أن نأخذ بما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما الحق في هذا العلم ولا مصدر آخر سواهما.

وكل قول أو رأي أو وهم أو تهويل ليس له أصل في كتاب اللَّه تعالى وسنة نبيه الكريم لا يؤخذ به ولا يعمل به والحديث عنه باطل.

كيفية العذاب:

اختلف العلماء في كيفية العذاب مع اتفاقهم على وجوبه وأنه واقع وحق.

ويبقى هذا السؤال المحير كيف هو هذا العذاب؟ أهو على جسد الميت؟ أم على نفسه وروحه؟؟

. . .يقول بعض المشككين: إنه لو شققنا القبر عن الميت الكافر أو العاصي بعد أيام، فإننا لا نرى على جسده أي آثار تدل على التعذيب أو الضرب فأين دلائل هذا العذاب؟ ورسول اللّه ﷺ كما ورد في الحديث السابق يقول: «**لولا ألا تدافنوا لدعوت اللّه أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع**».؟.

[رواه مسلم وأحمد والنسائي]

والجواب على هذا الاستفسار يكمن في القول:

لو أن العذاب كما نتصور واقع على الجسد ورأينا هذا بأعيننا بعد أن شققنا القبر على الكافر أو العاصي لكشف لنا الغيب ولسقط الابتلاء والامتحان الذي أوجبه اللّه سبحانه علينا كما يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

وأول الامتحان هو امتحان الإيمان بالغيب.

يقول تعالى: ﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

[سورة البقرة ، الآيات: ١ ـ ٣]

فالإيمان بالغيب شرط للإيمان الصحيح الذي لا يشوبه شك

باللّه سبحانه خالق الكون وما فيه، وما أعلمنا وما لا نعلم، ومن خلقه ما أظهره لنا ومنه ما أخفاه عنا وجعله غيباً وجعل له دلائل على وجوده كما جعل اللّه لنا دلائل على وجوده كالنجوم والكواكب والأقمار والأرض وما فيها من بحار وجبال ووديان.

. . . ومن خلقه ما أخفاه عنا وجعله غيباً ولو أظهره لنا لاختلفت معايير سنة الوجود التي أرادها اللّه سبحانه، ومنها خلقه للملائكة والجن فهما خلقان أخفيا عنا، وجعلهما اللّه سبحانه من علم الغيب فأين هم الملائكة جنود اللّه تعالى؟ الذين أخبرنا عنهم اللّه تعالى بقوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾.

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

أين هم وهم معنا وعن يميننا وشمالنا؟ كما يقول تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨]

وقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾

[سورة الرعد، الآية: ١١]

معقبات: أي الملائكة.

أين هم ورسول اللّه ﷺ يقول: ما من موضع شبر في السماء إلا وفيه ملك ساجد؟

. . . عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« أَطَّت السماء ويحق لها أن تئط والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح اللّه بحمده ».

[رواه ابن مردويه وأورده السيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث صحيح وروى الترمذي نحوه بألفاظ مختلفة]

. . . ومن ثم أين الجن الذين هم بين ظهرانينا؟ وتحدث اللّٰه سبحانه عن عالم الجن في آيات كثيرة وأفرد سورة من القرآن الكريم باسم (سورة الجن).

يقول تعالى: ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٢٧]

ومما سبق نتبين أن عوالم كثيرة أخفيت عنا وهي من عالم الغيب، لأن اللّٰه سبحانه لا يريد أن يؤمن الناس من خلال ما يظهر لهم من عالم الغيب، وإنما يريد أن يؤمنوا من خلال دلائل قدرته والتي وضعها بين أيديهم، مع وجود العقل البشري الذي يهتدي من خلال هذه الموجودات إلى اللّٰه الواحد الأحد.

. . . إذاً ما المقصود من هذا الاستطراد في الحديث؟ . . . ويبقى السؤال عن كيفية العذاب في عالم البرزخ الذي ذكره القرآن الكريم وأيدته الأحاديث الشريفة؟

. . . والجواب أن العذاب واقع لا محالة وأخفي عنا عالم كيفيته كما أخفيت عنا عوالم كثيرة مما ذكرت عندما استطردت عن عالم الملائكة وعالم الجن، فالعذاب الواقع هو عذاب النفس والجسد وليس عذاب الجسد وحده الآيل إلى الفناء، ولعذاب النفس أشد ألماً بمرات كثيرة من عذاب الجسد. . إنه عذاب النفس التي يريها اللّٰه سبحانه العذاب بقدرته غدواً وعشياً كما يري نفس المؤمن الصالح النعيم ويعرضه عليه في عالم البرزخ غدواً وعشياً.

. . . إنها قدرة اللّٰه في العذاب، عذابِ النفس والذي هو أشد

بكثير من العذاب لو أوقعه اللَّه على الجسد وحده دون النفس.

والدلائل على أن العذاب عذاب النفس ما نسرده من الحقائق التي تتوافق مع العقل والنقل ولكن دون نفي عذاب الجسد الذي حققه أكثر العلماء، فاللَّه سبحانه قادر على أن يوصل العذاب إلى النفس والجسد دون أن نرى أي أثر للعذاب ولكن نفسر ونحلل بما ملكنا من علم قليل:

١ ـ الجسد الدنيوي إذا فارقته الروح عند الموت يصبح لا قيمة له من الناحية المادية لأن مادة الحياة لهذا الجسد هي الروح فإذا خرجت أصبح الجسم مادة آيلة إلى الفناء والتحول إلى تراب. لكن يوم القيامة ينشئنا اللَّه سبحانه نشأة أخرى ولكن بذات النفس والروح.

يقول تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

... ولا يبقى من هذا الجسد إلّا عجب الذنب الذي تحدث عنه رسول اللَّه ﷺ وهو بقدر حبة الخردل وقال: ومنه تركب الخلائق يوم القيامة.

... عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركّب».

[رواه مسلم وأبو داود والنسائي]

٢ ـ الجسد إذا فارقته الروح فقد الإحساس بالألم حتى لو قطعته المناشير إرْباً إرْباً، ومعنى هذا أنه لا بد من إعادة الروح إلى الجسد حتى يحس الجسد بالعذاب الذي يعذب به في عالم البرزخ أو في القبر، وطالما أن الإنسان مات، فإن الروح لا تعاد إليه مطلقاً إلا عند سؤال الملكين وهذا يدل على أن الجسد يبقى

في القبر بلا روح وإذا بقي بلا روح فالجسد لا يحس بالعذاب كما أسلف.

٣ ـ العذاب الواقع على النفس أشد إيلاماً من العذاب الواقع على الجسد وفي حياتنا الدنيا ننال من عذاب النفس الشيء الكثير، وإذا وقع فإنه ألم شديد لا تحتمله النفس والروح.. فلو أن رجلاً حكم عليه بالإعدام وهو في السجن والتنفيذ بعد شهر، فكم يصيب الإنسان وقتئذٍ من العذاب الأليم؟ علماً أن جسده خلال هذا الشهر سليم لم يمسه أذىً من ضرب أو تنكيل، فعذابه واقع لانتظاره ساعة تنفيذ حكم الإعدام، فيعيش عذاباً نفسياً أليماً لا يحتمله أبداً. ونستطيع أن نقول: إن انتظار العذاب أشد ألماً من وقوعه لأنه يحدث خوفاً ورعباً في النفس لا يطاقان.

٤ ـ لو قلنا: إن العذاب واقع على الجسد وكلنا يعلم بالدليل القطعي أن الإنسان سيؤول إلى عظام ثم إلى تراب بعد فترة وجيزة، فهل عذاب الكافر أو العاصي يقع فقط على مدة بقاء جسده في القبر ثم ينتهي عندما يؤول جسده إلى الفناء أي إن العذاب يطول مدة ثلاثين أو أربعين سنة ثم يتوقف.. وهل توقف عذاب قوم نوح وعاد وثمود وفرعون الذين انتقم اللَّه سبحانه منهم أشد الانتقام بعد موتهم بثلاثين عاماً، بعد أن فنيت أجسادهم بعد موتهم، فهل هؤلاء أيضاً يتخلصون من العذاب لأن أجسادهم أصبحت تراباً؟

٥ ـ المصير الذي سيؤول إليه العبد يوم القيامة اللَّه سبحانه أعلم به ولذلك يكون العذاب في عالم البرزخ أو النعيم هو عرض هذا المصير على المؤمن الصالح أو على الميت الكافر والعاصي في كل يوم غدوة وعشياً في عالم البرزخ على النفس الباقية التي عادت إلى خالقها

لذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾.

[سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨]

فاللّه سبحانه خاطب النفس وأعادها إليه ولم يخاطب الجسد الفاني والذي لا عودة له، فلم يقل اللّه سبحانه يا أيها الجسد ارجع إلى ربك راضياً مرضياً لأن هذا الجسد دنيوي انتهت مهمته بانتهاء حياة الإنسان على الأرض ويعاد كما أسلفنا القول يوم القيامة بنشأة أخرى اللّه سبحانه أعلم بها ثم تعاد إليه نفسه وروحه.

٦ ـ مما تقدّم نستبين أن العذاب هو عذاب العرض ليعيش الكافر والعاصي خوفاً ورعباً إلى يوم البعث والنشور وهذا ما نستوضحه من الآية الكريمة. قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٦]

أي أن مصيرهم النار التي تعرض عليهم في برزخهم في الغداة والعشي حتى يبعثهم اللّه سبحانه يوم القيامة فيحاسبهم ثم يأمر بهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً، وهو العذاب الأكبر الذي يطول الجسد والنفس معاً، ويقول رسول اللّه ﷺ في هذا الأمر:

. . . عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك اللّه إليه يوم القيامة».

[رواه البخاري ومسلم]

٧ ـ لا يعذب اللّه سبحانه أحداً من عباده عذاب الجسد والنفس إلا بعد محاسبته يوم القيامة وهذا من عدل اللّه سبحانه المطلق. . .

وهل يحكم على الإنسان في الدنيا بالسجن المؤبد أو الإعدام أو الأشغال الشاقة إلا بعد عرضه على القاضي ومحاكمته؟ وإثبات التُهَمَة عليه بالأدلة القاطعة والقرائن الثابتة، فإذا كان هذا من الإنسان فكيف بأحكم الحاكمين وأعدل العادلين كما وصف نفسه! وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٩]

٨ ـ النوم أخو الموت كما وصفه رسول اللَّه ﷺ.

...عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**النوم أخو الموت**».

[رواه البيهقي في شعب الإيمان]

وكذلك فإن الآيات الكريمة تدل على أن النوم موت مؤقت، فإذا نام الإنسان خرجت روحه منه فإذا استيقظ عادت إليه روحه وإذا قضى اللَّه الموت على النائم فلا يعيد إليه روحه.

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٤٢]

ويؤكد اللَّه تعالى أن النوم هو الموت وأن اللَّه سبحانه يميتنا ويبعثنا في كل يوم:

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٦٠]

وعلى هذا فالنوم شبيه بعالم البرزخ، لذلك ترتحل الروح والنفس في النوم بقدرة خالقها إلى عوالم لا حصر لها، وتحقق أفعالاً لا يمكن للإنسان أن يفعلها في حياته الدنيا بالمطلقية، وهذا الارتحال هو عرض النفس في النوم الذي هو أخو الموت على تلك العوالم، وليس من أحد منا إلا وعاش هذه التجربة وعاش في حياته أحلاماً ورؤىً فيها من العذاب والآلام الشيء الكثير، وإذا ما استيقظ يحس أنه كان في حالة رعب وفزع شديدين لما رأى في نومه، علماً أن جسده ملقى على السرير لم يمسَّه أذىً، وعكس العذاب النعيم إذ يرى الإنسان أيضاً في نومه أنه يعيش نعيماً عظيماً وسعادة هنيَّة، وإذا ما استيقظ استيقظ مسروراً سعيداً يتمنى أن يعود مرة أخرى إلى النوم عله يستكمل حلمهُ وما كان فيه من النعيم، وكم شاهدنا أناساً نائمين وهم يتألمون ويصرخون فإذا ما استيقظوا تحدثوا عن رؤيا مفزعة وحلم مزعج رأوه في نومهم فأدى إلى هذا الشعور من الألم.

وهذا هو عرض العذاب أو النعيم على النائم من قبل اللَّه سبحانه ومن إرادته، لأن اللَّه سبحانه بيده ما ترى في نومك فإن شاء أراك ما تنعم به وإن شاء أراك ما تتعذب به، وهذا يشبه حالة العرض في عالم البرزخ.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٦٠]

وهذه الآية تدل أن الرؤيا بيد اللَّه سبحانه يري عبده ما يشاء. . وعلى الرغم من تقدم العلوم هذا التقدم العظيم إلا أنهم لم يتوصلوا إلى تفسير كيف يرى الإنسان في نومه ما يرى. . ولو اجتمع

الإنس والجن على أن يحددوا لك ما ستراه الليلة في نومك لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

. . . مما تقدم نستبين أن العذاب هو في علم اللّه سبحانه، ولن يكون بمستوى العقل البشري، بل طريقته فوق حدود وطاقات الفكر البشري، واللّه العالم الخالق أعلم كيف يوصل العذاب أو النعيم إلى جسدِ ونفسِ الذي توفاه حتى يبعثه يوم القيامة، ليحقق له ما كان يعرض عليه في برزخه من العذاب أو النعيم بعد الحساب وإعلان الحكم الرباني عليه.

المدة الزمنية
التي يلبثها الميت في برزخه

..في المدة الزمنية اختلاف وآراء بين المفسرين والفقهاء والعلماء لأنها في الحقيقة علم غيبي أخفي عنا.

...والاختلاف في الرأي جاء من التفسير والتفصيل لآيات القرآن الكريم...حيث إن الآيات الكريمة تشير إلى أن الإنسان يوم القيامة يدرك أو يحس أنه لم يلبث في الدنيا وعالم البرزخ سوى عشية أو ضحاها أو ساعة من نهار أو يوم أو بعض يوم، وفي أعلى الإدراك أو الحس أنهم لبثوا في الدنيا عشرة أيام.

وقبل أن ندخل في التفصيل الدقيق لهذا الأمر المهم علينا أن نستعرض الآيات القرآنية الكريمة الدالة على هذا المعنى.

يقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الروم، الآيتان: ٥٥، ٥٦]

ويقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۞ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۞ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۞ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٤٢ ـ ٤٦]

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]

وقال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ .

[سورة طه، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤]

. . . هذه الآيات الكريمة هي من كتاب اللَّه سبحانه الخالق العليم بخلقه وبما سيكون يوم القيامة. ونلاحظ من الآيات الكريمة أن بعضها إخبار من اللَّه تعالى كقوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

وقوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ .

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ .

ونلاحظ أيضاً أن بعضها على لسان البشر يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ .

. . . وفي كلتا الحالتين هو إخبار من اللَّه سبحانه وتعالى ولكن اللَّه سبحانه أراد أن يؤكد في كتابه أنه يعلم هذا، ومن ثم يدركه البشر يوم القيامة بإحساسهم، لذلك يقولونه بألسنتهم وهذا ما سيكون عليه شعورهم يوم القيامة.

وهذا هو شعور البشر عندما يرون العذاب يوم القيامة فتتضاءل أمامهم الدنيا ونعيمها، فينسون أيامها ولياليها حتى تبدو أمامهم وكأنها ساعة أو يوم أو عشية أو ضحاها، وإذا كان الإحساس الزمني قد ذهب

عن دنياهم فأين ذهب الإحساس والشعور عن عالم البرزخ الذي طال على أحدهم مدة قد تصل إلى عشرة آلاف عام؟

وهل الشعور بتضاؤل الزمن يشمل الحياة الدنيا وعالم البرزخ؟ وهل تعني كلمة (لبثتم) أو (يلبثوا) مدة الحياة الدنيا وعالم البرزخ؟ أم الحياة الدنيا بمفردها دون عالم البرزخ؟؟

والجواب أن مدة اللبث أو لبثتم هي مدة الحياة الدنيا وعالم البرزخ واللَّه أعلم، وإذا انفرد المعنى لأحدهما فهو لعالم البرزخ واللَّه أعلم، وهذا ما تؤيده الآيات التي سنذكرها في الفقرة التالية، والأرجح أنها تشمل الحياة الدنيا وعالم البرزخ لأن الحياة الدنيا أمام البرزخ الذي قد يطول كما أسلفنا إلى عشرة آلاف عام تتضاءل فيشمل المعنى كليهما معاً ولكن يبقى السؤال.

وأنا في عالم البرزخ هل أحس بالزمن، وتلك السنوات التي قد تطول؟ أم فعلاً أنا لا أحس بالزمن في عالم البرزخ ويكون النعيم أو العذاب عرضاً مستمراً يشبه بمن يرى مناماً سعيداً أو مرعباً مخيفاً ولكنه مستمر إلى يوم البعث، وفي الفقرة التالية نعرض لهذا الأمر ليكون أكثر وضوحاً.

هل يحس الميت بالزمن في عالم البرزخ؟؟

. . .قلت: إن اللَّه سبحانه يخبرنا أن الإنسان في يوم القيامة عندما يرى أهوال يوم القيامة يدرك ويحس ويقول: إنه لم يلبث سوى ساعة من الزمن. .ولكن قبل أن يبعث الإنسان هل يحس بالزمن الذي يلبثه في البرزخ؟. . .اللَّه أعلم أنه لا يحس بالزمن. .فلو أحس الإنسان بالزمن في عالم البرزخ والذي قد يمتد آلاف السنين نال فيها من العذاب الذي توعد اللَّه سبحانه المجرمين من الكفرة والعصاة، لما أقسم الكافر يوم القيامة أنه ما لبث في الدنيا إلا ساعة. . .فإذا فقد الإنسان الإحساس بالزمن فإنه لا يفقد إدراكه، فالإنسان الذي بلغ عمره في الدنيا خمسين سنة فإن ما فاته من الزمن يفقده ولكنه لا ينساهُ ولا يفقد إدراكه فيه، وإلا ما تذكَّر من شيء فيما مضى، فالإحساس يموت ويبقى التذكُّر والإدراك، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ﴾.

[سورة النازعات، الآية: ٣٥]

فالإحساس بالزمن يفقده، ويبقى الإدراك والتذكُّر، ولنا في القرآن الكريم خير شاهد على ما نقول: ففي سورة البقرة يذكر اللَّه سبحانه قصة عزير الذي أماته اللَّه سبحانه مِائة عام ثم أحياه وسأله كم لبثت؟ فقال: يوماً أو بعض يوم، وكذلك في سورة الكهف حيث يذكر اللَّه سبحانه قصة أهل الكهف حيث أنامهم اللَّه سبحانه ثلاثمائة عام

وتسع سنين ثم يبعثهم اللَّه سبحانه فيتساءلون بينهم كم لبثتم؟ فقال بعضهم: يوماً أو بعض يوم، قال تعالى في قصة عزير: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٩]

. . . فقد أماته اللَّه سبحانه مِائة عام وسأله كم لبثت؟ فأجاب: يوماً أو بعض يوم، أي بما يشبه نوم الدنيا مع مرور مائة عام كاملة، ويقول تعالى في قصة أهل الكهف: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ١٩]

ثم قال تعالى عن مدة لبثهم في الكهف: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٥]

وفي قصة عزير وأهل الكهف نتبين أن المائة عام والثلاثمائة عام وازدادوا تسعاً كان الإحساس بمدتهما الزمنية لدى أهل الكهف وعزير واحداً، وهو يوم أو بعض يوم مع الفرق في الزمن ٢٠٩ أعوام.

. . وإذا عدنا إلى الآيات الكريمة السابقة التي يتحدث فيها اللَّه سبحانه عن يوم القيامة وعن قيام الساعة، وأن المجرمين يقسمون وقتئذٍ أنهم لم يلبثوا غير ساعة في الدنيا والبرزخ، فهذا يدل على أن الإحساس بالزمن في عالم البرزخ يتضاءل حتى لو بلغ آلاف السنين

إلى يوم أو بعض يوم عند البعث يوم القيامة، وعلى هذا فإن عذاب القبر أو نعيمه عرفناه وما أخفي علينا إلا كيفيته والإحساس الزمني بهذا العذاب أو بهذا النعيم والعلم عند اللَّه. . . وما قدمنا، يفسر القول الذي جاء في الأثر بأن الإنسان إذا مات فقد قامت قيامته، أو بأن الزمن الباقي ليوم القيامة بالنسبة لكل إنسان هو الفترة المتبقية من حياته على أساس أن الزمن في عالم البرزخ يتضاءل إحساساً إلى يوم أو بعض يوم حتى يبعث اللَّه من في القبور.

واللَّه سبحانه وحده أعلم بما كان وبما هو كائن وبما سيكون وهو أعلم بعالم البرزخ وما يكون للإنسان فيه من الأحاسيس والإدراك والشعور، وهو أعلم بإحساس الإنسان بالفترة الزمنية التي يلبثها في برزخه.

لذلك نجد أن اللَّه سبحانه عندما يتحدث عن الساعة وعن يوم القيامة فإنه يشير إليها أنها قريب.

يقول تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ٥ ـ ٧]

ويقول تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية ٦٣]

ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥١]

هذا لأن اللَّه سبحانه أعلم بالساعة وبيوم القيامة، وأعلم بأنها قريب على أي إنسان خلقه على هذه الأرض، على أساس أن الإحساس بالزمن يتضاءل في البرزخ وما تبقى ليوم القيامة فهو الفترة الباقية له من حياته.

الفصل الثالث

- الكفار يعذبون في قبورهم فهل العصاة من المسلمين يعذبون؟
- أهم أسباب عذاب القبر (للمسلم).
- عذاب القبر وتعوذ رسول الله ﷺ منه.
- مراتب نعيم القبر (البرزخ).
- الأسباب والأعمال المنجية من عذاب القبر وفتنته.

الكفار يعذبون في قبورهم فهل العصاة من المسلمين يعذبون؟؟

كل من مات على غير ملة الإسلام وشهادة أن لا إلٰه إلا اللّه وأن محمداً رسول اللَّه فهو كافر يعذب في قبره مقدمة لعذاب الخلد في نار جهنم يوم القيامة.

وأما العصاة من أمة محمد ﷺ فيتفاوت فيهم العذاب بقدر معاصيهم في الحياة الدنيا، ودرجات المعصية كثيرة، وفي هذا المعنى يتحدث رسول اللّه ﷺ.

. . . عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال:

«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة، ثم دعا رسول اللَّه ﷺ بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

[رواه البخاري]

ومعنى قوله ﷺ: «**وما يعذبان في كبير**» أي ليس بكبير عند الناس ولكنه عند اللّه عظيم، وكم من الأعمال يحسبه الناس هيناً وهو عند اللّه عظيم، يقول اللّه تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

[سورة النور، الآية: ١٥]

وفي الغيبة وعظيم أمرها عند اللَّه سبحانه والتي يستهين بها كثير من الناس، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾.

[سورة الحجرات، الآية: ١٢]

. . . فإذا كان العذاب واقعاً على من لم يتنزه من بوله، وعلى المغتاب والنمام الذي ينقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد وإن كان صادقاً في قوله ونقله، فما رأيك بمن أتى اللَّه من المسلمين بغير صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة، أو أتاه بظلم وفواحش من زنى وربا وسرقة وغيرها من الكبائر؟ فلا بد أن العذاب الذي هو بعلم اللَّه كيفيته وزمنه واقع عليه وقوعاً شديداً وأليماً، لذلك أوصانا رسول اللَّه ﷺ ألا نلقى اللَّه سبحانه لا في البرزخ ولا في يوم القيامة وهو علينا غضبان لتركنا الفرائض وأولها الصلاة لأن من تركها فقد كفر.

ـ عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**». .

[رواه مسلم]

أهم أسباب عذاب القبر (للمسلم)

. . . الأسباب التي تؤدي إلى عذاب المسلم في قبره أو برزخه كثيرة جدًّا، وأعظمها شأناً ترك الفرائض والتكاسل عنها، والظلم بأنواعه الكثيرة، والبغي والغيبة والنميمة وعدم التحفظ من النجاسة والغلول ومن مات على ارتكاب المحرمات، ولم يتب منها ـ كالزنا واللواط والميسر والربا والسرقة والغش والتولي يوم الزحف والرشوة والكذب، وشارب الخمر والقاتل وكل جبار متكبر ومراءٍ كذَّاب.

ونذكر بعضاً منها تحديداً كما جاء في الحديث الشريف للبيان والتفصيل:

١ ـ ترك الصلاة:

لقد جعل اللَّه سبحانه لكل عبادة عذراً لعدم أدائها إلا الصلاة فلا عذر لها. . ففي فرض الصيام أذن بالفطر للشيخ الكبير والطفل الصغير والمسافر والمريض وفرض الزكاة على من ملك النصاب وحال عليه الحول والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، أما الصلاة فليس لها واحد من هذه الأعذار فمن لم يستطع أن يؤديها قائماً أداها قاعداً ومن لم يستطع قاعداً أدَّاها مضطجعاً ومن لم يستطع أدَّاها إيماءً أو بعينيه أو في قلبه، ولا تسقط عن أحد ما لم يغرغر أي ما لم تصل روحه إلى حلقه.

لذلك فإن ترك الصلاة أهم الأسباب التي توجب غضب اللَّه وعذابه، وأوله في عالم البرزخ لأن تركها عمداً كفر، والكفر عذابه شديد.

٢ ـ الغيبة والنميمة:

. . .عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: « **إنهما ليعذَّبان وما يعذَّبان في كبير، أمَّا هذا فكان لا يستتر من بوله، وأمَّا هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا رسول اللّه ﷺ بعسيب رطب فشقَّه باثنين فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال: لعلَّهُ يخفف عنهما ما لم ييبسا** ».

[رواه البخاري]

. . .وفي رواية للإمام أحمد والطبراني من حديث يعلى بن سيابة أن النبي ﷺ مرَّ على قبر يعذّب صاحبه فقال:

« **إن هذا كان يأكل لحوم الناس (أي بالغيبة)** ».

وجاء أيضاً في رواية ابن حِبّان عن أبي هريرة رضي اللّه عنه بلفظ: « **وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالغيبة** ».

. . .والحديث الشريف يخص المسلمين لأن رسول اللّه ﷺ عندما سأل أصحابه عن صاحبي القبر كان ﷺ في مقبرة البقيع.

وليس المعنى أن أحدهم مشى في النميمة مرة واحدة أو اغتاب أحدهم مرة واحدة. .بل كان صاحب القبر نمّاماً يمشي في النميمة حيث حل وارتحل.

والنمَّام هو الذي يوقع العداوة والبغضاء بين النَّاس، بنقله الكلام بين الرجلين أو المرأتين أو العائلتين ويزيد عليه من القول بهتاناً وزوراً. . .وهذا فيه ضرر للناس، واللّه سبحانه لا يسامح في حقوق الناس لأنها ملكهم وهذا هو العدل الإلٰهي المطلق. .فإذا تاب العبد غفر اللّه سبحانه له ذنوبه وتبقى حقوق الناس عليه من ظلم وغيبة ونميمة ومال وشهادة زور وفتنة، يتعين عليه أن يتحرر

منها جميعاً قدر استطاعته بطلب السماح أو العفو، وإن لم يفعل فستبقى عليه ديناً إمَّا أن يدفع ذلك من رصيد حسناته وإما أن يعفو اللَّه سبحانه ويرضي الخصماء يوم القيامة لعلمه بواقع التائب وصدقه واللَّه سبحانه وحده عليم في هذا الأمر. . وما على الإنسان إلا أن يكف لسانه ويمسكه في الدنيا قدر ما يستطيع حتى لا يكون سبباً في هلاكه. يقول رسول اللَّه ﷺ:

«وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم».

[رواه ابن ماجه في سننه عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه]

٣ ـ عدم الاستتار من البول (الاستبراء):

. . . وقد يسأل أحدنا: وما هذا الذنب العظيم (الستر من البول) حتى يوجب عذاب القبر؟ والجواب:

. . . هناك أشياء كثيرة يرتكبها الإنسان ويفعلها ولا يلقي لها بالاً، على فرْض أنها أشياء هينة، ولكنها عند اللَّه عظيمة، عظيمة الأثر والجزاء. يقول تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

[سورة النور، الآية: ١٥]

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ أن كثيراً من الأعمال والأقوال يظنها الإنسان دون مؤاخذة وعقاب وحساب، وفيها من الإثم ما اللَّه به عليم.

ومن هذه: عدم الاستبراء من البول وغسل العضو بالماء بعد البول والتأكد من خلوه من أي أثر للبول. . لأن عدم الاستبراء من البول دليل ومؤشر وعلامة واضحة أن صاحبه لا يؤدي (فرض الصلاة) لأن من يؤدي الصلاة يستبرئ من بوله فلا تصح صلاة من غير

طهور.. وهل هناك ذنب أعظم من ترك الصلاة؟ ومن لا يؤدي الصلاة يهون عليه ترك فرض الصيام والزكاة والحج بل يهون عليه ترك أوامر اللَّه سبحانه جميعاً، ومعنى هذا أن تارك الصلاة من الهالكين لعدم طاعته للَّه سبحانه.

يقول رسول اللَّه ﷺ: عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أمَّا هذا فكان لا يستتر من بوله**» الحديث السابق الذكر.

...عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**أكثر عذاب القبر من البول**».

[رواه أحمد وابن ماجه والحاكم]

أي بسبب ترك التحرز من البول والاستبراء منه بوسائل النظافة المعتادة والمتاحة وما أكثرها في هذه الأيام ومن البدهي أن عذاب تارك الفروض وأولها الصلاة لأشد بكثير في البرزخ من عذاب المتنجس بالبول.

٤ ـ الصلاة بغير طهور وعدم الانتصار للمظلوم:

...عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**أمر بعبد من عباد اللَّه أن يضرب في قبره مِائة جلدة فلم يزل يسأل اللَّه ويدعوه حتى صارت واحدة، فضرب فامتلأ عليه قبره ناراً فلما ارتفع عنه أفاق فقال: علام جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم ولم تنصره**».

[رواه الإمام الطحاوي تفرد به ولم أجده عند رواة الحديث]

٥ ـ الغلول وهو الأخذ من المغنم قبل القسمة أي (السرقة):

. . . عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول اللَّه ﷺ:

«كلا إني رأيته في النار في بردة غلَّها ـ أو عباءة ـ ثم قال رسول اللَّه ﷺ: اذهب فنادِ في الناس، إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون».

[رواه الإمام أحمد]

. . . عن أبي رافع رضي اللَّه عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بالبقيع فقال: **أفٍ لك أف لك**، فقال أبو رافع: فظننت أنه ﷺ يريدني بالتأفف فقال: **ما لك؟** قال أبو رافع: قلت: أحدثت حدثاً يا رسول اللَّه؟ قال: **وما ذاك؟** قال: إنك قلت لي ـ ذلك ـ فقال ﷺ: **لا** (أي إنك لم تحدث أمراً) **ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعياً على آل فلان** (أي يجمع الصدقات) **فغلَّ نمرة** (بردة من صوف) **فدرع الآن مثلها ناراً في قبره»**.

[رواه الإمام أحمد]

. . . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة، إنما غنِمنا البقر والغنم والماعز والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول اللَّه ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد أهداه له أحد بني الضباب، وبينما هو يحطّ رحل رسول اللَّه ﷺ إذ جاءه سهم عاثر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً»**.

[رواه البخاري ومسلم]

. . .وفي التعليق والشرح على هذا الحديث الشريف يقول علماء السلف: إذا كان الذي غلَّ شملة هذا مصيرَه ونصيبه من النار وفيها شبهة حق له، ولكنه أخذها قبل القسمة، فكيف بالذي غلَّ أموال الناس وسرقها ظلماً وعدواناً وأخذها قسراً بغير حق؟ وقال علماء السلف أيضاً: إنه ومما تقدم من الأحاديث الشريفة فإن عذاب القبر واقع على كل من: الكذاب وشاهد الزور وآكل الربا وقاتل النفس والملحد وكل جبار متكبر مراءٍ وقاطع لرحمه والله أعلم.

عذاب القبر
وتعوُّذ رسول اللَّه ﷺ منه

. . . لقد تعوَّذ رسول اللَّه ﷺ من عذاب القبر في كثير من أحاديثه الشريفة، وهذا دليل قطعي على وجود العذاب، وإلا ممّ يتعوذ رسول اللَّه ﷺ إذا لم يكن هناك عذاب واقع؟ بل لم يكتفِ رسول اللَّه ﷺ بالتعوُّذ من عذاب القبر بل أمرنا بأن نتعوَّذ نحن منه.

. . . ولقد تعددت صور التعوُّذ، منها ما كان في الصلاة ودُبُر الصلاة وفي كل صباح ومساء. . . ويدل اختلاف التوقيت على الأهمية وأن الأمر جلل وعظيم.

. . . عن زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه قال: بينا رسول ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به (أي مالت ونفرت) فكادت تلقيه وإذا أقبر خمسة أو ستة، فقال ﷺ: **من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟** فقال رجل: أنا (أي أعرفهم)، فقال ﷺ: **متى ماتوا؟** (أي في الجاهلية أو بعدها فهم مشركون أو مؤمنون)، قال: في الشرك (أي ماتوا مشركين بعد بعثتك)، فقال ﷺ: **إن هذه الأمة تُبْتلى في قبورها فلولا ألّا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **تعوَّذوا باللَّه من عذاب النار**، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب النار، قال: **تعوذوا باللَّه من عذاب القبر**، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر، قال: **تعوذوا باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن**، قالوا: نعوذ باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن،

قال: **تعوذوا باللَّه من فتنة الدجال**، قالوا: نعوذ باللَّه من فتنة الدجال» .

[رواه مسلم في صحيحه]

. . . عن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ كان يدعو في الصلاة يقول:

« اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللَّهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» .

[رواه الشيخان]

. . .عن أبي بكرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر الصلاة: « **اللَّهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر**» .

[رواه الترمذي]

. . .عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه وكل صباح ومساء: « **ربِّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر**» .

[رواه مسلم في صحيحه]

وعلى هذا فمن الواجب اتباع سنة رسول اللَّه ﷺ في التعوذ من العذاب في النار والتعوذ من عذاب القبر كما كان يتعوذ ويأمر أصحابه بالتعوذ.

مراتب نعيم القبر (البرزخ)

. . . بلا أدنى شك إن ما نسوقه من تقسيمات وأقوال في موضوع البرزخ إنما جلّه من كتاب اللّه سبحانه أو من سنة رسوله ﷺ الصحيحة والمعتمدة من رواة الحديث المعترف بهم من الأمة وعبر تاريخها المديد. . وهذه مراتب نعيم القبر من آيات اللّه الكريمة وأحاديث رسوله ﷺ.

١ ـ مقام الأنبياء والمرسلين:

. . . عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون**».

[رواه البيهقي وأبو يعلى]

. . . الحياة البرزخية معلومة، ولكن الكيفية مجهولة بقيت في عالم الغيب وليست كلمة قبورهم الواردة في الحديث تعني تلك الحفرة التي يوضع فيها الميت وإنما المعنى في (عالم البرزخ) الواسع الأفق والذي علمه عند اللّه سبحانه، وكيفية الصلاة مجهولة أيضاً، لأن التكليف في العبادات ينقطع عن المؤمن أو عن الإنسان بعد موته، ولكن الأمر عندما يكون بعلم اللّه وقدرته تتوقف العقول عن التفكير وتبقى ضمن مجال حدودها، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وكما في الحديث: «**إن أهل الجنة يُلهمون الحمد والتسبيح في**

الجنة كما يلهمون النفَس »، أي دون عناء وجهد، وكذلك فإن التسبيح والتحميد معلومان ولكن كيفيتهما في الجنة مجهولة. . . ثم إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم عند ربهم خاصية مخصوصة، فهم الأكمل في الدنيا والأكمل في عالم البرزخ والأكمل في الآخرة والأكمل في جنات اللَّه تعالى، وإمامهم في الكمال والمنزلة سيدنا محمد ﷺ الذي له مقام الوسيلة والفضيلة. . وكما صح في الحديث أن أجسامهم لا تأكلها الأرض كما هي الحال بالنسبة لبقية البشر، يقول رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

[رواه ابن ماجه في سننه]

. . . وفي حديث الإسراء والمعراج: أن رسول اللَّه ﷺ لما عُرج به إلى السماء وجد الأنبياء في السموات السبع أحياء، فسلم عليهم وسلموا عليه، وهذا يدل على أن الأنبياء في المقام الأسنى والملأ الأعلى في نعيم اللَّه سبحانه ورضوانه.

٢ ـ مقام الشهداء:

ما عظَّم اللَّه سبحانه فئة من الناس كما عظَّم الشهداء إلا الأنبياء والمرسلين، فقد باعوا أنفسهم وأرواحهم في سبيل اللَّه تعالى، فجعل اللَّه سبحانه لهم في عالم برزخهم حياة خاصة، غير ما سينالهم من المقام الكبير والأجر العظيم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ ـ ١٧١]

فالحياة للشهداء معلومة والكيفية بالنسبة إلينا مجهولة. . ودليل حياتهم المستمرة قوله تعالى: ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ فالحي هو الذي يرزق ليتنعم بهذا الرزق من طعام وشراب وغيره. . وهذه الآية الكريمة دليل أيضاً أن عالم البرزخ عالم كبير أخرج من عقولنا وتفكيرنا، وليست العبرة في هذا الجسد المسجّى في القبر لأننا إذا فتحنا القبر على الشهيد نجده في قبره. . فكيف إذاً هو حي يرزق. . فهو حي في علم اللَّه ويرزق في علم اللَّه، فالخالق أعلم بخلقه وأعلم بتلك الروح التي حجب علمها عن الناس جميعاً. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فالنعيم نعيم الروح والنفس، وأمّا هذا الجسد الدنيوي فهو بعد الموت إلى فناء، ودليله أنه يتحول إلى عظام ثم تراب برؤية العين، ويوم القيامة ينشئنا اللَّه سبحانه نشأة أخرى، يقول تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

واللَّه سبحانه بقدرته قادر على أن ينشئ الشهداء بعد موتهم مباشرة النشأة الأخرى، ويجعلَهم يرزقون وهم أحياء في مقام أعدّه لهم حتى يوم القيامة.

وفي آية أخرى يؤكد اللَّه سبحانه أن حياة الشهداء بعلم اللَّه لا تدركه أحاسيسنا وعقولنا ومشاعرنا، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٤]

فهم في حياة برزخية حجبت عنا لأن ذلك من عالم الغيب الذي

حجب عنا امتحاناً وابتلاء لنا، وربما يكشف اللّٰه سبحانه هذا الغيب لمن أراد من الرسل والأنبياء وبعض خُلّص عبيده.

٣ ـ مقام المؤمنين:

تحدثنا في فِقرة سابقة عن نعيم القبر أو عن نعيم البرزخ، وأن أي إنسان ومهما كان حاله في الدنيا يعرض عليه مقعده صباح مساء حتى يبعثه اللّٰه سبحانه يوم القيامة، وعلى هذا أيضاً فإن الطريقة معلومة والكيفية مجهولة، اللّٰه سبحانه أعلم بها، وعرض المقام يومياً غدواً وعشياً دليل على أن الإنسان ليس مخلوقاً للفناء، وما مرحلة البرزخ إلّا انتقال بين حياتين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهذا الانتقال ليس بفناء وإنما هو نوع آخر من الحياة غير معلومة الكيفية كالحياة في الآخرة والتي تحدث اللّٰه سبحانه عنها في كتابه في عشرات الآيات الكريمة ورسوله ﷺ في عشرات الأحاديث الشريفة إلا أنها تبقى مجهولة الكيفية لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

ولقوله تعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

[رواه أحمد والشيخان]

فقد أعلمنا اللّٰه سبحانه أن هناك نعيماً عظيماً وجناتٍ وأنهاراً وقصوراً وحوراً ولآلئ وجواهر ومعادن لكن لن ندرك بأحاسيسنا الدنيوية كيفيتها. . وهذه حال البرزخ أُخبرنا عنه وعمّا سيحدث فيه ولكن الخبر ليس كالمعاينة والسمع غير الرؤية.

. .عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ إن كان من أهل الجنة فهو من أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك اللّه يوم القيامة** ».

[رواه البخاري ومسلم]

والعرض الذي هو في الحديث الشريف، دليل على حياة غير الحياة التي تعارفنا عليها في الدنيا، ونحن متفقون على أن اللّه سبحانه قادر مقتدر وعليم، وبقدرته يخلق أنواعاً من الحياة لا حصر لها، وما الحياة في البرزخ إلا نوع واحد، فكم هو هين على اللّه سبحانه.

. . . .عن أبي قتادة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ مرَّ عليه بجنازة قال:

«**مستريح ومستراح منه** قالوا: يا رسول اللّه ما المستريح وما المستراح منه؟ **قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة اللّه تعالى، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب** ».

[رواه البخاري ومسلم]

. . . ورسول اللّه ﷺ يتحدث عن رجل مات ورأى جنازته ولا يعرفه فقال هذا الحديث الشريف، وهو دليل على أن الإنسان إذا كان (مستريحاً) فإنه يستريح من عناء الدنيا ونصبها إلى رحمة اللّه مباشرة لا إلى فناء وعدم، ودليله قوله تعالى عن الإنسان الذي يحتضر ويموت: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨، ٨٩]

فالفاء في (فَرَوْح) للتعقيب دون فاصل، فإن مات المؤمن المقرَّب فإلى روح وريحان وجنة نعيم مباشرة.

. . . عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال

رسول اللّه ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنَّة حتى يرجعه اللّه تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه**».

[رواه الإمام أحمد في مسنده عن الإمام الشافعي عن مالك]

حديث شريف يتوقف عنده القلم ليوسعه تفصيلاً وبياناً، وهذا الحديث الشريف أيضاً دليل على حياة نعيمية خاصة يحياها المؤمن في برزخه وإن كان ميتاً ولكن في علم اللّه تعالى، وهذا الحديث الشريف قريب للعقل وسهل بيانه وتفسيره.

.. بدليل القرآن الكريم أن النوم موت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٦٠]

فالنوم في الآية موت ولكنه ليس بفناء، ودليله ما نراه في الأحلام والرؤى من أحداث جسام أو عذاب مقيم أو نعيم عظيم، ونحن نائمون موتى كما يقول تعالى في الآية السابقة، إذاً نحن موتى عندما ننام بمفهوم الحياة الدنيا ولكن ليس بعلم اللّه تعالى، فكم منا من كان يحلم في نومه مع أنه ميت كما تقول الآية الكريمة بنعيم عظيم وهو في جنان وقصور وحور وإذا ما أيقظه أحدهم قال: قطعت عليَّ حلمي الجميل، ثم يسرع للنوم ثانية علَّه يعود إلى هذا النعيم الذي كان يعيش فيه.. تماماً هذه هي حال المؤمن في برزخه، فإنه يعيش نعيماً عظيماً لا يريد أن يوقظه أحد منه إلا إذا بعثه اللّه تعالى يوم القيامة ليجزيه الجزاء الأوفى.

فهذه حقيقة المؤمنين في برزخهم جعلنا اللّه سبحانه وإياكم منهم إنه على كل شيء قدير.

. . . يقول الإمام الغزالي يرحمه اللَّه: اعلم أن المؤمن ينكشف له عقب الموت من سعة جلال اللَّه تعالى ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرْفه أقصاه، فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهي العودة إلى السجن المظلم، وقد ضرب رسول اللَّه ﷺ له مثلاً فقال لرجل مات: «**أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضي ـ بأن كان كامل الإيمان ـ فلا يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه**»

روى الحديث ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلاً ورجاله ثقات، والحديث يُعرِّف ويبيِّن أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم. . . وهذا الكلام يؤيده حديث رسول اللَّه ﷺ:

. . . عن المستورد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل أصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا**».

[رواه الحاكم في المستدرك]

أي أن البحر هو الآخرة وما رجعت به أصبع أحدهم ببعض ذرات الماء العالقة إذا أدخلها البحر هي الدنيا، وهذا تمثيل للمقاربة العقلية، أي سعة الدنيا للآخرة لا شيء البتة.

الأسباب والأعمال المنجية من عذاب القبر وفتنته

للمؤمن الصالح في عموم عمله أسباب منجية له من عذاب القبر وفتنته، فليس على المؤمنين الصالحين حزن وخوف لا في الدنيا ولا في عالم البرزخ ولا في الآخرة، إذ يعيشون في الدنيا مطمئنين بوعد اللَّه سبحانه أن يقيهم همَّ الدنيا وحزن الآخرة، بدءاً من البرزخ وانتقالاً إلى عالم الآخرة، ونهاية في الدخول إلى الجنة. يقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٦٢]

وقد بشرهم ربهم بأنهم لن ينالهم خوف ولا حزن لا في البرزخ ولا في الآخرة بل هم في أمان اللَّه وحفظه ورعايته، تستقبلهم الملائكة بالبشرى منذ لحظة الموت إلى أن يلقوا ربهم وخالقهم يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١ ـ ١٠٣]

. . . ومع ذلك فإننا نستطيع بعون اللَّه تعالى أن نستخلص من

عموم العمل أسباباً ظاهرة ومخصوصة هي في الواقع منجية للإنسان من عذاب البرزخ.

١ ـ الاستقامة:

الاستقامة لها معانٍ كثيرة في عموم لفظها وإذا أخذناها ضمن استطاعة التكليف، وأن اللّه سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها، فهي الشعور بمراقبة اللّه تعالى للعمل الذي يؤدي بدوره إلى الاستقامة في القول والفعل والعمل والهدف والمقصد ضمن قدرة الإنسان واستطاعته بحدود التكليف.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

٢ ـ الرباط في سبيل اللّه تعالى:

وهو أن تقف مدافعاً وحامياً وحارساً ومرابطاً على الحدود والتخوم وفي مواقع الحروب، والنية المعقودة في النفس نصرُ اللّه سبحانه والدفاع عن دينه وحرمةِ ديار المؤمنين الموحدين للّه سبحانه.

. . . عن سلمان رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه وأمن الفتّان».

[رواه مسلم]

أي فتنة وعذاب القبر ومحنته وشدة هوله.

٣ ـ الشهيد في سبيل اللَّه تعالى :

وشروط الشهادة أن تكون خالصة لوجه اللَّه تعالى متمثلة في الدفاع عن دين اللَّه وعن الأرض والجهاد في سبيله.

عن المقدام بن معد يكرب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« للشهيد ستُّ خصال يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه ».

[رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح]

٤ ـ شهادة أن لا إلٰه إلّا اللَّه والإكثار من قولها في الليل والنهار :

. . . ولم لا وهي تاج الوقار على رأس قائلها يوم القيامة، وتاج العز والشرف، وهي القول الفصل لأهل التوحيد، وعلامة بارزة تفصل ما بينهم وبين الأمم الأخرى الكافرة في البرزخ ويوم القيامة، وهي الأمان والحرز والفيصل في الدخول إلى جنات اللَّه تعالى والابتعاد عن النار.

. . . عن ابن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ليس على أهل لا إلٰه إلّا اللَّه وحشة في قبورهم ولا منشرهم، وكأني أنظر إلى أهل لا إلٰه إلّا اللَّه وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد للَّه الذي أذهب عنّا الحَزَن، وفي رواية: **ليس على أهل لا إلٰه إلاّ اللَّه وحشة عند الموت ولا عند القبر ».**

[رواه ابن ماجه والترمذي وهذا لفظه وقال: حسن صحيح]

. . .عن أبي موسى رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« أبشروا وبشّروا مَن وراءكم: أنه من شهد أن لا إله إلا اللّه صادقاً بها دخل الجنة ».

[رواه أحمد والطبراني]

ومن قالها صادقاً فلا بد أنه أحسن العمل بما يرضي اللّه سبحانه، ومن وُعِدَ بالجنة لشهادة أن لا إله إلا اللّه صادقاً بها، فحريٌّ به أن يُوقى عذاب القبر وشدة أهواله.

. . .عن زين العابدين عن أبيه الحسين عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي اللّه عنه يرفعه إلى رسول اللّه ﷺ أنه قال:

« من قال كل يوم وكل ليلة مائة مرة: لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين كان له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر واستفتح به الغنى واستقرع به باب الجنة ».

[أخرجه الديلمي والخطيب وأبو نعيم في الحلية من رواية مالك كما في المواهب وشرحها. . .وقد قال بعض رواة الحديث السالف الذكر. .لو رحلتم في تحصيل الحديث إلى الصين ما كان كثيراً أي لفضله وفضل رواته وعلو وشرف سنده]

٥ ـ الموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة:

. . .عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه اللّه فتنة القبر ».

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب]

وللسائل أن يسأل: ولكن كثيراً من الكافرين والعصاة يموتون

ليلة الجمعة ويوم الجمعة. . والجواب: أنه يشترط الإيمان والعمل الصالح. . وهنا حكمة اللَّه وسنته في خلقه، فلو منع اللَّه سبحانه عن الكافرين والعصاة الموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، لأمن هؤلاء من الموت ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وأن الموت لا يأتيهم في ديارهم يوم الجمعة وليلتها، ولكن قضت سنة اللَّه أن يكون الموت في البشر في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل دقيقة، حتى لا يأمن أحد جانب الموت ولو لساعة من نهار أو ليوم في الأسبوع. . . وهذه حال الموت أيضاً في ديار المسلمين، فإذا لم يتحلَّ الميت بالإيمان والعمل الصالح يوم الجمعة وليلتها، وكان من العصاة فلا أمان ولا وقاية له من فتنة القبر وعذابه الشديد وإن مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.

. . . أما لماذا بالذات يوم الجمعة وليلتها؟ ذلك لأن اللَّه سبحانه عظَّم هذا اليوم وهذه الليلة، وأنزل في كتابة سورة سمّاها (سورة الجمعة) فقد عظَّم اللَّه سبحانه هذا اليوم والعمل فيه، وجعل في صلاة يوم الجمعة أجراً كبيراً، وجعل فيه ساعة ما دعا فيها العبد المؤمن ـ وهو قائم يصلي ـ ربه إلا أجابه إكراماً لهذا اليوم الفضيل، وليلة وفجر هذا اليوم، ومن صورة التفضيل حديث رسول اللَّه ﷺ:

. . . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل اللَّه تعالى فيها خيراً إلا أعطاه اللَّه إياه».

[رواه مسلم ومالك وأحمد]

. . . عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أفضل الصلوات عند اللَّه تعالى صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة».

[رواه البيهقي وأبو نعيم في الحلية وهو حديث صحيح]

والفضل في يوم الجمعة كثير لا يسعنا المقام لذكره.. ولكن خصصنا من ذلك ما يفيد عن فضله وعن وقايةِ اللَّه سبحانه من فتنة القبر لمن مات يوم الجمعة وليلتها.

٦ ـ سورة تبارك (الملك) والمحافظة على تلاوتها:

... عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال:

« ضرب رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ خباءً على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ضربت (أي نصبت ووضعت) خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: هي (أي سورة تبارك) المانعة هي المنجية من عذاب القبر» .

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب]

... عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنه قال: من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه اللَّه عز وجل بها من عذاب القبر، وقال: كنا نسميها في عهد رسول اللَّه ﷺ المانعة.

[رواه النسائي]

وفي ترغيب المنذري: في كتاب اللَّه سورة أي تبارك من قرأ بها كل ليلة فقد أكثر وطاب.

الفصل الرابع

- فضل اللَّه ورحمته بالمؤمنين في الحياة الدنيا .
- الأعمال الدنيوية الصالحة التي تلحق بثوابها الميت في برزخه .
- انتفاع الأموات مما يهديهم الأحياء من الأقوال الطيبة والصدقات والاستغفار والدعاء . . . وانتفاعهم من استغفار الملائكة لهم .

فضل اللَّه ورحمته بالمؤمنين في الحياة الدنيا

. . . المؤمن عند اللَّه عظيم في مكانته تشمله الرحمة الإلٰهية في مراحله الثلاث مرحلة الدنيا ومرحلة البرزخ ومرحلة الخلود في الجنة. . .فهو في ولاية اللَّه سبحانه وحفظه وكرمه.

. . . ففي الدنيا وسع اللَّه سبحانه على المؤمن فكان يكسبه الخير والحسنات في كل حركة من حركاته، وفي كل عمل من أعماله طالما هو مؤمن طائع للَّه سبحانه، وما ذلك إلا ليأتيه المؤمن يوم القيامة وما عليه ذنب أو خطيئة إلا وقد غفرها اللَّه سبحانه له.

. . . عن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال: رسول اللَّه ﷺ:

«عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر، وإذا أصابه خير حمد اللَّه وشكر، إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه».

[رواه الطيالسي والبيهقي (صحيح)]

ومعنى الحديث الشريف: أن المؤمن المسلم يكسب في حياته الدنيا من الحسنات والخير ما لا يعلمه إلا اللَّه ولا يستطيع بشر حصره ولا عده. . . وإذا كانت هذه حالَ اللقمة فكيف هي حال التسبيح والتحميد وقراءة القرآن وحفظه، والصدقات والفرائض والنوافل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصنيعة المعروف وصلة الرحم والصبر

والصدق والقنوت والاستغفار والإنفاق والجهاد والشهادة.

أبواب شرعها اللَّه سبحانه للمؤمن لينال بواسطتها أعظم الأجر فيأتي ربه في البرزخ ويوم القيامة بصحيفة ملأى بالحسنات بعد أن غفر اللَّه سبحانه له ذنوبه بما قدَّم من طاعات وحسنات، يقول تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٢٢]

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

[سورة هود، الآية: ١١٤]

وهذا بفضل اللَّه سبحانه للمؤمن خالصاً دون الكافر الذي يموت على المعصية والضلال، فليس له عند اللَّه عهد ولا ذمة ولا فضل ولا حسنة، حتى لو بنى أحدهم ملجأ للأيتام، بل أجره في الدنيا فقط لأن أي عمل دون الإيمان باللَّه رباً واحداً وطاعته وتنفيذ أمره لا يساوي عند اللَّه شيئاً. يقول تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

والمسلم العاصي الذي يموت متلبّساً بفاحشة الخمر أو الزنا أو الربا أو الظلم أو جاء دون صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج، شأنه في البرزخ ويوم القيامة إن لم يتب شأن الكافر الذي مات على الكفر في العذاب، إلا أنه لا يخلد في النار كالكافر والمشرك، لذلك من لم يسارع من المسلمين إلى التوبة قبل الموت، فإن مصيره مظلم قاتم ينتظره العذاب في البرزخ قبل الآخرة، وويل وكل الويل لمن مات كافراً أو عاصياً لم يتب إلى اللَّه سبحانه ويغتنم رحمته في الدنيا قبل الموت.

وأعظم بيان من اللّٰه تعالى لعباده في الأرض، مهما كان انتماؤهم العقائدي ومهما زادت معاصيهم وبلغوا بها شأواً بعيداً، أن ترك لهم باباً عظيماً مشرعاً مفتوحاً على مصراعيه للتوبة طالما لم يغرغروا[١].

يقول تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]

. . . وفوق كل هذا الفضل العظيم للمؤمن المسلم في حياته الدنيا جعل اللّٰه سبحانه له عملاً عظيم الحسنات، إن قام به يلحقه بعد موته في برزخه، وتبقى صحيفته بيد الملكين مشرَّعةً ومفتوحةً، يسطر فيها حسنات هذا العمل إلى يوم القيامة في كل يوم، ولو امتد الزمن إلى يوم القيامة عشرة آلاف عام.

. . . وقد بيَّن اللّٰه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ أن هذه الأعمال الصالحة التي تلحق المؤمن في برزخه هي من عمله في حياته الدنيا، وما يهديه الأحياء بعد موته من أهله وإخوانه المسلمين، وما يكون من الملائكة من استغفار وطلب الرحمة لهم، وقد جعل اللّٰه سبحانه جزاء هذه الأعمال تصيب بفضلها وعظيم أجرها فاعلها والموهوب له من الأموات . . . وما كانت من المؤمن في حياته الدنيا تلحقه في برزخه كما أسلفت لتصب له في صحيفته من الحسنات ما لا يعلمه إلا اللّٰه، ولبيانها وجِلائها ووضوحها نبيِّن كلاً منها بفقرة مستقلة زيادة في الإيضاح وليسعى جميعنا إلى فعلها قبل مباغتة الموت قدر استطاعتنا.

(١) يغرغروا: أي تصل أرواحهم إلى حلوقهم في حالة النزع.

الأعمال الدنيوية الصالحة التي تلحق بثوابها الميت في برزخه واستغفار الملائكة له

... ليس كل عمل صالح يقوم به المؤمن في حياته الدنيا يلحقه في حياته البرزخية وإلى يوم القيامة، بل حددها رسول اللَّه ﷺ لنسعى لها بكل قوتنا وطاقتنا، فنغتنم ثواب وأجر ورحمة اللَّه سبحانه فيها لتزيد لنا في صحيفتنا حسناتٍ نبعد بها كاهل السيئات أو الذنوب التي قد نكون اقترفناها في دنيانا أو أطغانا بها الشيطان في لحظة ضعف أو ميلٍ أو شهوة.

... عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علَّمه ونشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورّثه أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أكراه (وفي رواية أجراه) أو صدقة من ماله أخرجها في صحته وحياته تلحقه من بعد موته .

[رواه ابن ماجه في سننه بإسناد حسن]

... عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع منه أو ولد صالح يدعو له ».

[رواه مسلم في صحيحه]

. . . عن جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال :

«من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ».

[رواه مسلم في صحيحه]

. . . هذه ثلاثة أحاديث شريفة بيّن فيها رسول اللَّه ﷺ ما يلحق العبد الميت في برزخه من الأعمال الصالحة التي يرضاها اللَّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ وهي على أربعة محاور :

١ ـ العلم. ٢ ـ الصدقة بأنواعها.

٣ ـ الولد الصالح. ٤ ـ السُّنَّة الحسنة.

وهذه المحاور الأربعة نجد لها تعظيماً في القرآن الكريم، ممّا يدل على عظيم أمرها وفاعليتها في الدنيا والبرزخ والآخرة.

. . . (فالعلم) لا يموت بموت صاحبه بل يعمل به وتقرأ كتبه ويزداد الناس به فضلاً وخيراً إلى يوم القيامة، والأمثلة بالآلاف، فهذا البخاري ومسلم والشافعي وأبو حنيفة وابن جرير إلخ من العلماء الذين بلغ علمهم الآفاق، ومثل هؤلاء كثيرون وكثيرون جداً. . واللَّه سبحانه عظَّم العلماء وأهل العلم في كتابه الكريم.

يقول تعالى : ﴿هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ .

[سورة الزمر، الآية : ٩]

ويقول تعالى : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ .

[سورة المجادلة، الآية : ١١]

ودرجات أهل العلم بعلم اللَّه وحده، فكيف لا تلحقهم هذه الرفعة وهذا المقام الإلٰهي العظيم في برزخهم قبل آخرتهم، وهؤلاء أيضاً درجات لكل فضلٌ مما اكتسبوا، فمنهم من أعطى درساً أو دعا إلى اللَّه دعوة أو علَّم كتابه الكريم، أو كتب كتاباً يتعلم منه الأجيال اللاحقة، أو صنع صناعة فيها خير الأمة ونفعها، أو هُديَ على يديه رجل أو سَنَّ سُنَّة حسنة.

... عن أبي رافع رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لأن يهدي اللَّه على يديك رجلاً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت».

[رواه الطبراني في المعجم الكبير (صحيح)]

انظر إلى هذا الفضل العظيم لرجل آتاه اللَّه العلم والحجة، فهدى رجلاً ضالاً إلى طريق اللَّه المستقيم.

... و(الصدقة) بأنواعها وأبوابها الكثيرة التي حددها رسول اللَّه ﷺ في الحديث السابق، والصدقة غير الزكاة وقد أجلّها اللَّه سبحانه وقدّر عظيم أجر فاعلها، ووعده بمضاعفة الأجر أضعافاً كثيرة في الدنيا وفي البرزخ والآخرة.

يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١١]

ويقول تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦١]

انظر إلى آثار رحمة اللّه تعالى في الصدقات وبمن ينفق ماله ابتغاء رضوان اللّه سبحانه، وهو مؤمن، واقرأ آية اللّه سبحانه مراراً وتكراراً وكيف أن اللّه سبحانه جعل أجر الصدقة بعلمه ومضاعفتها بأمره كيف يشاء، حتى لا يظن المتصدق بأن صدقته تقف عند حد سبعمائة ضعف.

(والولد الصالح) الذي يدعو للوالدين بعد مماتهما، يدل على أن من ترك من خلفه ذرية صالحة، علّمها وأدّبها وربّاها على حب اللّه ورسوله ﷺ والعمل الصالح وطاعة اللّه في أمره ونهيه، لدليل على صلاح هذا الميت الذي يستحق أن يكون له فضل وأجر عظيمان من اللّه سبحانه بعد موته، لما تركه من أولاد صالحين يعملون بصلاح مجتمعاتهم وعائلاتهم حاضراً ومستقبلاً، وكذلك فإن اللّه سبحانه جعل في (السُّنَّة الحسنة) التي يستنها أحدهم خيراً وحسنات تلحقه بعد موته وهو في عالم البرزخ، ذلك لانتفاع الناس والعمل بها كأن يقدم أحدهم طريقة سهلة وميسرة لحفظ كتاب اللّه ثبت نفعها وصحتها، أو كمن يسن أحدهم فكرة جميلة وهنية للشباب في تيسير الزواج بحيث يسهل على الناس أمرهم بما يناسب عصرهم الذي هم فيه، أو كمن يسن قانوناً يحمي أسرة الشهيد مادياً ومعنوياً، الذي قدَّم نفسه فداء للّه تعالى والوطن، عُمِلَ به على مدى سنوات طويلة وجيل بعد جيل إلخ..

انتفاع الأموات ممَّا يهديهم الأحياء من الأقوال الطيبة والصدقات والاستغفار والدعاء وانتفاعهم من استغفار الملائكة لهم

. . . ما ذكرته في الفقرة السابقة، هو ما يقدمه الإنسان المؤمن من عمل متعدد الوجوه فعله بذاته في حياته الدنيا قبل الموت. . لكن ومن واقع رحمة اللَّه سبحانه بالمؤمن أنْ جعل الخير والثواب والحسنات تلحقه أيضاً في برزخه من فعل وعمل غيره له، وجعلها اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ متعددة الطرق والسبل وهي:

١ ـ الدعاء والاستغفار للميت.

٢ ـ الحج والعمرة عن الميت.

٣ ـ الصدقة عن الميت.

٤ ـ التقوى خير زاد ينتفع به المؤمن بعد موته.

ولكي يسارع الحي في فعلها وإهداء ثوابها للميت جعل سبحانه له فيها أجراً عظيماً يلحقه كما يلحق الميت.

١ ـ الدعاء والاستغفار للميت:

أ ـ من إخوانه المؤمنين: ودليل قبوله من الحي للميت.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

[سورة الحشر، الآية: ١٠]

فهذه الآية دليل واضح على أن استغفار الأحياء للأموات والدعاء لهم مقبول عند اللّه سبحانه، وفي هذا الدعاء والاستغفار من الأحياء للأموات يغفر اللّه سبحانه لموتى المسلمين المؤمنين، وهم في عالم برزخهم، لا يدرون ماذا حلّ عليهم من المغفرة كلما استغفر لهم المستغفرون.

ب ـ من الملائكة: ودليله قوله تعالى في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ .

[سورة غافر، الآية: ٧]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

[سورة الشورى، الآية: ٥]

واستغفار الملائكة للبشر يلحق الحي والميت معاً.

... وقد أمر الشارع الحكيم بالصلاة على الميت والدعاء له وما ذلك إلا لأنه ينفعه ويزيد من ثوابه.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**».

[رواه أصحاب السنن الأربعة]

عن بريدة بن الحصيب رضي اللَّه عنه قال:

« كان رسول اللَّه ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء اللَّه بكم لاحقون نسأل اللَّه لنا ولكم العافية) ».

[رواه مسلم في صحيحه]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن اللَّه ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنَّى لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك لك ».

[رواه الإمام أحمد]

... ومن واقع رضا الوالد على ولده واستغفار الولد لوالده بعد موته يرحمهم اللَّه سبحانه يوم القيامة.

... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **« إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له: إنهم لم يبلغوا درجتك فيقول: يا رب عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به »**، وقرأ ابن عباس:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾.

[سورة الطور، الآية: ٢١]

[رواه الطبراني]

٢ ـ الصدقات عن الميت:

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة أن ثواب وأجر الصدقات من الأحياء للأموات يصل إليهم ويُسجل في صحيفة أعمالهم.

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا

رسول اللَّه إن أمي افتلتت نفسها[١] ولم توص وأظن أنها لو تكلمت تصدّقت أفلها أجر إن تصدّقت عنها؟ فقال ﷺ: «**نعم**».

[رواه البخاري ومسلم]

... والولد الصالح سواء أكان ذكراً أم أنثى يجب أن يتصدق عن والده ووالدته المتوفييْن قدر استطاعته، فهذا يُرضي اللَّه سبحانه وهذا العمل وفاء للوالدين على ما قدّماه في حياتهما من أجل أولادهما وحتى يكون الوالد شفيعاً لأولاده يوم القيامة كما تقدم في الحديث الذي رواه الطبراني.

٣ ـ الحج والعمرة:

وقد ثبت أيضاً في الحديث الشريف أن الحج والعمرة مقبولان عن الميت، سواء أكان الميت حاجاً أم لم يحج، وسواء أكان معتمراً أم لم يعتمر، وَوهْبُ ثواب الحج والعمرة للميت لا ينقص من أجر فاعلهما وواهبهما شيئاً بفضل اللَّه ومنَّه وكرمه.

عن أبي رزين العقيلي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**حج عن أبيك واعتمر**».

[رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه]

٤ ـ التقوى خير زاد ينتفع به المؤمن بعد موته:

إن المؤمن يجب أن يُعدَّ العدة لهذا اليوم الذي يصبح فيه من عداد الموتى ومن أصحاب القدور فكل نفس ومهما طال بها الأمد ذائقة الموت فما جعل اللَّه سبحانه لأحد من خلقه الخلد في هذه

(١) افتلتت نفسها: أي توفيت فجأة.

الحياة.. وكيف يكون فيها الخلد وهي دار للامتحان والابتلاء؟ وهل دار الابتلاء والامتحان تكون خالدة؟ يقول تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٣٤، ٣٥]

وأمام هذه الحقيقة المطلقة على الإنسان المؤمن أن يتزود وخير الزاد التقوى.

يقول تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٩٧]

وثمار التقوى العمل الصالح، والعمل الصالح رديف الإيمان ولذلك نجد أن كثيراً من الآيات الكريمة التي تتحدث عن الإيمان تتحدث عن العمل الصالح كضرورة لصفة الإيمان.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٧٧]

وقد جعل اللّه سبحانه تلازُمَ صفة الإيمان والعمل الصالح من الأسباب الموجبة لدخول جنات الفردوس برحمة اللّه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ١٠٧]

فإذا كان مما يلحق المؤمن من العمل الصالح بعد موته الصدقة

الجارية والعلم النافع والولد الصالح الذي يدعو له كما قال رسول اللّه ﷺ **عن أبي هريرة ﷺ قال رسول اللّه ﷺ**: « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » رواه مسلم في صحيحه وكذلك الأثر الذي يتركه العبد من إيمانه وعمله الصالح وذكراه الطيبة في أمره بالصدقة والمعروف وسعيه للإصلاح بين الناس كما قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء، الآية: ١١٤]

فإن فعل المؤمن ما أمر اللّه سبحانه به من صدقة ومعروف وإصلاح بين الناس جعل ألسنة الناس دائماً في ذكراه الطيبة خاصة بعد وفاته وتترحم عليه وتسأل اللّه سبحانه له المغفرة وكل هذا يكون في ميزان حسناته إن شاء اللّه تعالى.

انتهى الجزء الثالث من الموسوعة
واللّه تعالى من وراء القصد والحمد للّه رب العالمين

الجزء الثالث

الخاتمة

تم بفضل اللّه تعالى الجزء الثالث من موسوعة الآخرة (الموت، وعالم البرزخ). وكل كاتب يقدم إلى قرائه كتباً يحاول جاهداً أن يقدم لهم مادة علمية صادقة.. يبحث عبر سنوات أو شهور عن هذه المادة العلمية الصادقة الصحيحة.. ولكن هذا لا يعني أن يكون عمل الكاتب كاملاً.. فالكمال للّه وحده والكاتب بشر.. وكل ابن آدم خطاء.. واللّه سبحانه يغفر لمن كان خطؤه سهواً أو قلة دراية أو نقصاً في تحقيق، ولا يغفر لمن تعمد الخطأ وأصر عليه.. ونحن المسلمين علّمنا رسول اللّه ﷺ أن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

[رواه البخاري ومسلم]

وما قدمته في هذا الكتاب من فقرات استندت فيها إلى كتاب اللّه تعالى وأحاديث رسول اللّه ﷺ، وحاولت قدر استطاعتي التحليل والتفسير والبيان لهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ليقف الناس على حقيقة عالم البرزخ المجهول لدى الكثير من الناس.

وعالم البرزخ مثل عالم الجن والشياطين وعالم السحر كثر اللغط فيه وتعددت الآراء وامتلأ الدلو، وغاص بمفاهيم سيطرت عليها بعض الخرافات والأوهام أكثر بكثير من سيطرة الواقع الصحيح

والقول الصحيح والسديد. . . وكما أنني حاولت قدر إمكانياتي في كتابي عالم الجن والشياطين بين الحقائق والأوهام وكتابي: عالم السحر بين الحقائق والأوهام أن أبعد عن هذين العالَمين ما علق في أذهان الناس من خُرافات وشعوذة وأقاويل وأوهام لا تستند إلى كتاب اللّه تعالى ولا إلى سنة رسول اللّه ﷺ. . حاولت أيضاً في هذا الجزء من الموسوعة (الموت، وعالم البرزخ) أن أبيِّن الحقائق وأبعد الأوهام عن أذهان الناس موضحاً أن عالم البرزخ هو من علم اللّه تعالى الذي فيه كامل رحمة اللّه في خلقه المؤمنين الموحدين مبيناً في كتابه الكريم الرضا والقبول والاستقبال العظيم لكل نفس مطمئنة مؤمنة أقرت بالوحدانية والألوهية للّه تعالى. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

فأرجو من اللّه تعالى أن يقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في صحيفة حسناتي وصحيفة كل من ساهم فيه وقرأه وفهمه وعلى اللّه قصد السبيل.

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف
ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن الترِّمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجه.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الرابع

سلسلة

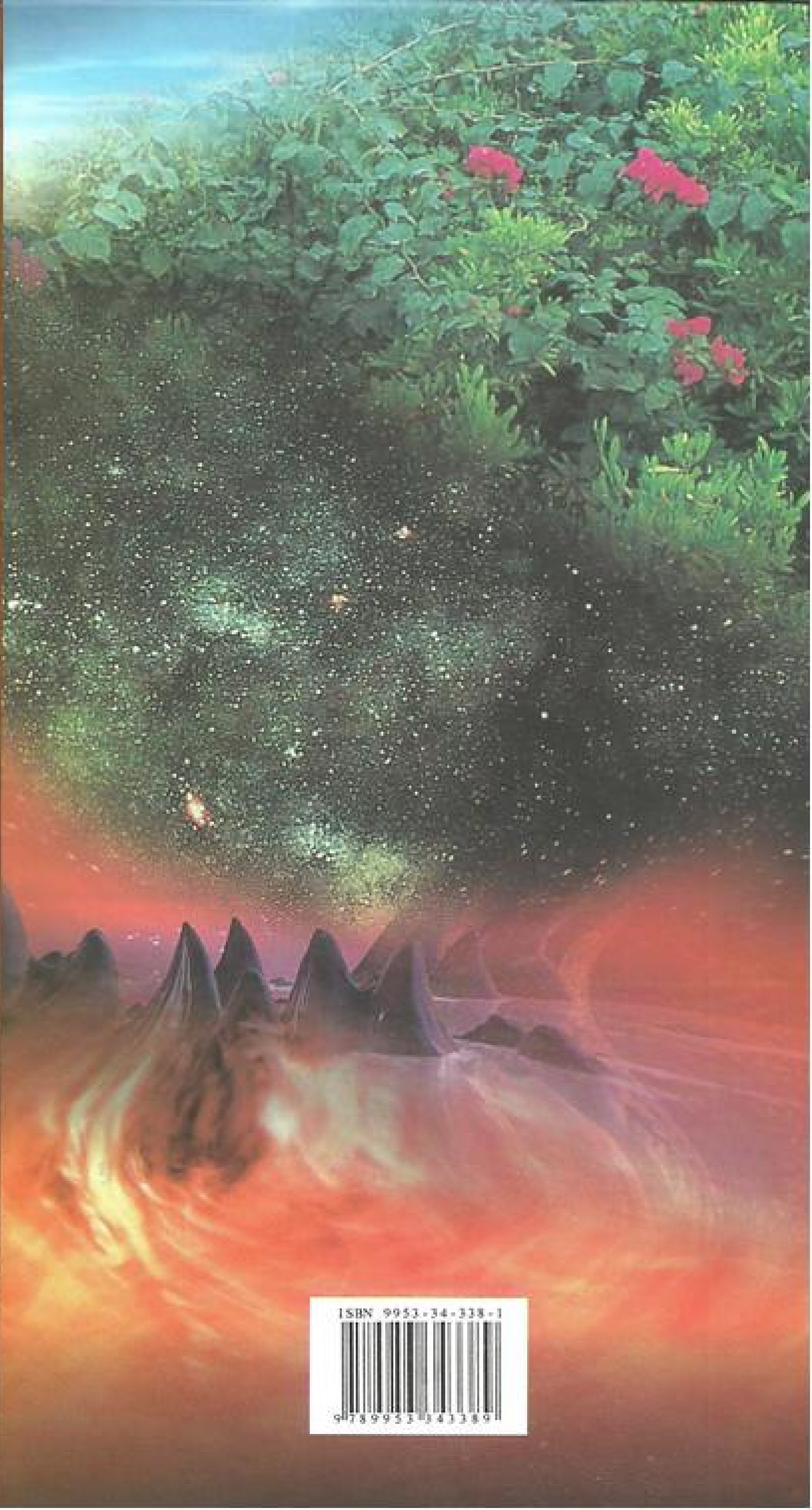
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-338-1

الحشر وقيام الساعة

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
الدكتور محمد جمعة سالم   الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور   الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

سلسلة
موسوعة الآخرة

الحشر وقيام الساعة

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ (٠٧) ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-343-8

بسم الله الرحمن الرحيم

قدَّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ **الجزء الأول**	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ **الجزء الثاني**	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ **الجزء الثالث**	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ **الجزء الرابع**	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ **الجزء الخامس**	: البعث والنشور
٦ ـ **الجزء السادس**	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ **الجزء السابع**	: الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ **الجزء الثامن**	: الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ **الجزء التاسع**	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ **الجزء العاشر**	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ * يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١، ٢]

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ * إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا * كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٤٢ ـ ٤٦]

حديث شريف:

- عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ثم يرسل اللّه ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون، فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور» ... وتقوم الساعة.

[رواه مسلم ٢٩٤٠]

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يَلُوطُ حوض إبله فلا يسقى منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها ».

[رواه البخاري]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ . . .

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن قيام الساعة هو إعلان كامل لإنهاء الحياة على هذه الأرض وفي هذا الكون كله.. وبدء مرحلة جديدة تبدأ بقيام الساعة ثم حشر الناس بعد نفخة البعث الثانية ثم انتقالهم إلى أرض المحشر التي أعدَّها اللَّه سبحانه لكامل يوم القيامة.

وقيام الساعة هو أحد المراحل العصيبة لشدة أهوالها.. فنهاية الحياة يعني تدمير كل شيء لأن دوره قد انتهى سواء أكان في السماوات أم في الأرض فليس قيام الساعة هو موت الناس ثم بعثهم وجمعهم على أرض المحشر... إنما هو زلزال الأرض وإخراج أحمالها وأثقالها وتفجير البحار وتسجيرها وتسيير الجبال وجعلها سراباً وعهناً بعد أن ينسفها اللَّه سبحانه نسفاً، ثم تُمد الأرض مداً شاسعاً ليحشر اللَّه سبحانه عليها كل الخلائق إنسهم وجنهم ووحشهم أولهم وآخرهم... ثم تتشقق هذه السماء المترابطة والمتماسكة والتي وصفها اللَّه سبحانه بالشديدة الربط والإحكام والتنسيق والجمال... حيث تتحول هذه النجوم اللَّامعة إلى قطع مظلمة بعد أن تنكدر وتتحول الشمس التي عشنا في حرارتها ودفئها ونورها وأشعتها إلى أرض مظلمة لا نور فيها بعد أن تكور وتلف كما تلف العمامة.

... وقيام الساعة وأهوال الساعة لا يشهده إلا من بقي من الكفرة الفجرة من البشر الذين عبدوا الأوثان وكانوا أسرع من الطير والسباع في ارتكاب المعاصي والذنوب فقد تحالفوا مع الشياطين

وعبدوهم مع الأوثان وأصبحوا تبعاً لهم. . لذلك يكون عقابهم - غير عقاب الآخرة وجهنم خالدين فيها - عذاباً شديداً لما يرونه من زلازل الأرض وانشقاقها وتسجير البحار وتفجيرها ولما يشاهدونه من نسف الجبال أمامهم وكيف تتحول إلى ذرات صغيرة كأنها العهن. . . وكذلك ما يكون من حال السماء، فإن نظروا من فوقهم لم يروا إلا الدمار وكيف تتحول السماء من فوقهم إلى كتلة هائلة من الحمم الحمراء. . . وإذا نظروا عن أيمانهم وشمائلهم ومن أسفل منهم لم يجدوا إلا زلازل وأعاصير وانفجارات تجعل قلوبهم في حناجرهم من الهلع والفزع. . حيث وصفهم اللّه سبحانه كأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن ما يلقونه ويشاهدونه هو العذاب الشديد، حيث تضع الحامل ولدها من الفزع وكذلك ترمي الأم وليدها من على صدرها خوفاً على نفسها ولما تشاهده من عذاب اللّه - حيث يقول الإنسان: مالِ هذه الأرض وما جرى لها ومال هذه السماء وما جرى لها ذلك أن الذين يشهدون الساعة كما قلت هم الكفرة الفجرة الذين وصل حالهم من الكفر والشرك والظلم والمعاصي بحيث لا يعلمون ما الساعة، وما القيامة ولا الحساب ولا أي معنىً للقاء اللّه سبحانه. . وفي قراءة الجزء الثاني من الموسوعة يتبيَّن للقارئ أن اللّه سبحانه ومن عظيم رحمته بعباده يرسل قبل قيام الساعة ريحاً لينة تقبض روح كل إنسان في قلبه ذرة من الإيمان لأن اللّه ومن فضله العظيم لا يعذب من كان مؤمناً وفي قلبه قليل من الإيمان بهذه المشاهد المرعبة المخيفة من قيام الساعة.

وفي هذا الجزء من السلسلة المعنون (الحشر وقيام الساعة) فصلنا الحديث وبمنتهى الدقة عن قيام الساعة وذكرنا كل ما يتعلق بهذا الشأن العظيم معتمدين على كتاب اللّه تعالى وما ذكر فيه عن قيام

الساعة وأهوالها وكذلك أحاديث رسول اللَّه ﷺ الصحيحة مستبعدين كل الأحاديث الضعيفة أو التي ليس لها سند أو راو معتمد.. وكذلك كل حديث أو تفسير ليس له سند صحيح أو راو معترف به.. وفي الأمر جديد حيث أدخلنا علم الفلك في الحديث عن قيام الساعة وأحدث النظريات العلمية عن السماء وقمنا بعون اللَّه بالتحليل والمقارنة وبيان معنى السماء والسماوات وما فيها من عظمة اللَّه سبحانه.. بعد أن قدَّم لنا علم الفلك المعاصر بتكنولوجيته الحديثة تفسيراً كبيراً عن مكنونات السماء واتساعها ونشأة الكون وتوقعات العلماء بنهايته في يوم قادم.. كذلك أدخلنا بعض علم الجيولوجيا المعاصر كي ننظر كيف تدمر الأرض يوم القيامة وتزلزل وتخرج أحمالها وأثقالها من البشر وغير ذلك من تسجير البحار وانفجارها وفق أحدث النظريات العلمية المعاصرة وكذلك راعينا شؤون اللغة لتكون سهلة ومفهومة، وكذلك جعلنا الأسلوب مبسطاً لا تعقيد في أدائه لتصل المعلومات لكل الناس سهلة لينة طيعة لا لبس فيها ولا غموض.

ونرجو من اللَّه القبول ولا اكتمال لعمل فالكمال للَّه وحده وأرجو اللَّه سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وحسنات كل من ساهم في هذا العمل وقرأ وتمعن واعتبر وفكر واهتدى.

واللَّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

الفصل الأول

- العلامة الكبرى الأخيرة.
- البحر المسجور وعلاقته بالعلامة الكبرى الأخيرة.
- قيام الساعة.
- مدخل.
- السماء الدنيا والسماوات السبع من منظور علم الفلك الحديث وبيان قدرة اللَّه وعظيم كونه وسماواته.
- شرار الناس آخر الخلق.
- لماذا حجب اللَّه سبحانه وقت قيام الساعة.. حتى عن رسله وأنبيائه، ولا تأتي إلا بغتة؟؟
- هل أخفى اللَّه سبحانه عنا... قيام الساعة مطلقاً؟؟
- كيف تقوم الساعة؟
- على من تقوم الساعة؟

العلامة الكبرى الأخيرة
«نار تخرج من أرض عدن... تحشر الناس إلى محشرهم»

قلنا في الجزء الثاني لموسوعة الآخرة أشراط الساعة (العلامات الكبرى): إننا سنرجئ الحديث عن العلامة الكبرى والأخيرة وهي: ـ

(نار تخرج من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر).

وهذه العلامة هي من الآيات العشر التي تحدَّث عنها رسول اللَّه ﷺ، وأنه لا تقوم الساعة إلا بوقوعها جميعاً.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات... فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن (عدن) تطرد الناس إلى محشرهم»[١]. وأما سبب إرجائي لهذه العلامة الكبرى فهو لسببين:

الأول: أنها واقعة وقت وقوع وقيام الساعة ولا فاصل زمني

---

(١) رواه مسلم (٤ / ٢٢٢٥) رقم الحديث (٢٩٠٠).

بينهما، ولا علامة كبرى ولا صغرى ولا أي حدث آخر، وكأني أراها من جنس قيام الساعة.

الثاني: أن في هذه العلامة علماً عظيماً اكتشف مؤخراً سنتحدث عنه مفصلاً، يؤكد وبفضل اللّه تعالى صحة الروايات للمشككين، وبأن رسول اللّه ﷺ لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحيه اللّه سبحانه لنبينا محمد ﷺ.

وقد ذكر النبي ﷺ جملة من الأحاديث الشريفة التي تخص هذه العلامة الكبرى.

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«ستخرج نار من أرض عدن قبل القيامة، قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللّه؟ قال: عليكم بالشام»**[١]

عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ستخرج نار من حضرموت ـ أو من بحر حضرموت[٢] قبل يوم القيامة تحشر الناس»، قالوا: يا رسول اللّه: فما تأمرنا؟ قال: **«عليكم بالشام»**[٣]

ـ عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة، في واد يقال له: برهوت[٤]، تغشى الناسَ، فيها عذاب أليم، تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طير الريح والسحاب، حرُّها بالليل أشد من حَرها بالنهار، ولها دوي بين السماء والأرض كدوي الرَّعد القاصف، هي من رؤوس الخلائق أدنى من**

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح رقم ٢٢١٧.

(٢) حضرموت: اليمن.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٦٩).

(٤) برهوت اسم واد أو بئر في اليمن.

العرش» قيل: يا رسول اللَّه: أَسَلِيمةٌ هي يومئذٍ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: «**وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ؟ هم شر من الحُمُر، يتسافدون كما تتسافد البهائم، وليس فيهم رجل يقول: مهْ مه**»(١).

هذه النار الهائلة التي تخرج من أرض عدن (اليمن) وتغشى الناس، وفيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال إنما تقوم على أولئك الكفرة الفجرة الذين لا ينكرون منكراً ولا يقرون معروفاً في ارتكابهم الذنوب والمعاصي في خفة الطير وأحلام السباع... وذلك كما تقدم بأن اللَّه سبحانه يرسل ريحاً طيبة ألين من الحرير، لا تترك مؤمناً في قلبه ذرة من الإيمان إلا قبضته، فإذا لم يبق إلا هؤلاء الفجرة الكفرة قامت عليهم الساعة بعد أن تحشرهم النار إلى أرض المحشر الشام.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثم يرسل اللَّه ريحاً باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدهم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه**»، قال: سمعتها من رسول اللَّه ﷺ قال: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، ولا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دَارَّةٌ أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور**»(٢).

---

(١) رواه الطبراني وابن عساكر كنز العمال (١٤ / ٣٤٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن، باب خروج الدجال (٤ / ٢٢٥٨) رقم الحديث (٢٩٤٠).

وهذه الريح الباردة التي تقبض أرواح المؤمنين هي من آخر علامات الساعة الكبرى بعد نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، والدخان، وهدم الكعبة وعودة الناس إلى عبادة الأوثان... ولا يبقى بعد هذه الريح الطيبة إلا تلك النار التي تخرج من قعر عدن، تحشر من بقي في هذه الدنيا من المشركين والكافرين والمجرمين الذين لا يذكرون اللَّه تعالى، نسوا اللَّه فأنساهم أنفسهم فيكونون كالأنعام يتهارجون تهارج الحُمُر.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: اللَّه اللَّه**»[١]، وعلى هؤلاء تقوم الساعة بغتة بعد أن عاشوا في بُحبوحة من العيش رزقهم كثير، مالهم وفير دارة أرزاقهم، حسن عيشهم، كما في الحديث عند مسلم الذي أوردناه.

فإذا ما أذن اللَّه سبحانه بقيام الساعة، أخرج من قعر عدن (اليمن) هذه النار الهَائلة التي تجبر الناس على الهروب منها، فهي تسير سير الناس تقيل معهم إذا قالوا وتبيت معهم إذا باتوا، تطردهم جميعاً إلى أرض المحشر بلاد الشام ومن لا يهرب منها ويسير أمامها تأكله تلك النار، لذا فمن الخوف يهربون منها وهي تلحقهم ولا مناص لهم منها أبداً فلا يستطيعون منها فَكاكاً أو هروباً يميناً أو شمالاً، فحيثما كانت هذه النار فإنها تطرد الناس إلى الشام.

ولنقرأ حديث رسول اللَّه ﷺ لنعرف كيف تحشر هذه النار الناس إلى أرض المحشر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصابيح ٣ / ٥٠ رقم الحديث (٥٥١٦).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**يحشر الناس** ـ أي قبل قيام الساعة ـ **على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»(١).

ـ عن معاوية بن حيدة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنكم تحشرون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم ها هنا وأومأ بيده نحو الشام**»(٢).

وقد جاء في حديث البخاري أيضاً أن النار هذه تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ثم إلى بلاد الشام.

ـ عن عبد اللَّه بن سلام أنه بلغه مقدَمُ النبي ﷺ إلى المدينة (أي مهاجراً) فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث: **ما أول أشراط الساعة؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب**»(٣).

ـ عن ميمونة بنت سعد رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الشام أرض المحشر والمنشر**»(٤).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي** (يريد

---

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب الحشر، فتح الباري (٣ / ٣٧٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح الجامع الصغير (٢ / ٢٧٢) رقم الحديث (٢٢٩٨).

(٣) صحيح البخاري، فتح الباري (٧ / ٢٧٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه فتح الباري.

عوافي السباع والطير)، **وآخر من يحشر راعيان من مزينة، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرَّا على وجههما** »[١] عندما يسمعان صعقة البعث.

. . . مما تقدَّم من الأحاديث الشريفة أصبح بيان حشر الناس إلى أرض الشام واضحاً، فالأحاديث الشريفة واضحة بيِّنة لا لبْس فيها ولا غموض، أجارنا اللَّه سبحانه من هذه النار التي يتلبّس فيها الناس بعذاب عظيم يجمع بين الألم والخوف ويذوقون فيه من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، فالساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وحثالتهم.

ولكن يبقى سؤالان من خلال هذه الأحاديث الشريفة؟

السؤال الأول: إن في الأحاديث الشريفة الواردة أن رسول اللَّه ﷺ قال في حديث: « **ستخرج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر** »، وقال في حديث: « **أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب** ».

والجواب أن الجمع بين الحديثين الشريفين وهو أن خروج النار من قعر عدن (اليمن) لا ينافي انتشار هذه النار بسرعة هائلة كما قدمت في الحديث لتحشر الناس أيضاً من المشرق في بلاد خراسان وباكستان وهي في الشرق إلى بلاد الشام وهي في الغرب بالنسبة لمن يعيش في الشرق.

السؤال الثاني: حول الحديث الشريف الذي رواه البخاري « **يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم النار حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا».

ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا الحشر يكون في الآخرة، وعزا القرطبي في التذكرة القول إلى أبي حامد الغزالي وإلى الحَليمي، والبيهقَي، وفي رأيهم هذا استغراب شديد!!! فقد رد كل من الخطابي والطِيبي والقاضي عِياض وابن حجر وابن كثير إلى أن هذا الحشر يكون في آخر عمر الدنيا حين تخرج النار من قعر عدن وتحشر الناس إلى بلاد الشام.

يقول ابن كثير في تفسير هذا الحديث الشريف: « **فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر وهي أرض الشام وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة، فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون تارة أخرى، وهم يتعاقبون على البعير الواحد كما تقدم في الصحيحين، اثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير، يعني يتعاقبونه من قلة الظهر كما تقدم، كما جاء مفسراً في الحديث الآخر، وتحشر بقيتهم النار وهي التي تخرج من قعر عدن فتحيط بالناس من ورائهم وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر ومن تخلف منهم تأكلهم النار كما تقدم**».

وهذا كله يدل على أن هذا في آخر الدنيا حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار.

ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العَرَصات.

. . . ومما سيأتي فإن الحشر يوم القيامة للكافرين يكون بغير

هذه الطريقة الدنيوية حيث تتغير المفاهيم وتنقلب الموازين.

يقول تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

فالحشر للكافرين على الوجوه والمشي على الوجوه، عمياً لا يرون وبكماً لا يتكلمون وصماً لا يسمعون، والذي أمشاهم على أقدامهم في الدنيا قادر على أن يمشيهم على وجوههم يوم القيامة.. فليس من بعير يوم القيامة ينقل الكافرين إلى جهنم، إنما يسيرون على وجوههم، مقرنين في الأصفاد تجرهم الملائكة إلى نار جهنم، وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً عندما يأتي الحديث عن يوم القيامة.

وأما الآن فإلى هذه الجولة العلمية، وآخر اكتشافات القرن العشرين العلمية، وحديث رسول اللَّه ﷺ والذي يتحدث فيه عن النار الهائلة التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر بالشام، والذي كان السبب الرئيس في تأجيل الحديث عن هذه العلامة الكبرى إلى الجزء الرابع من سلسلة موسوعة الآخرة (الحشر وقيام الساعة).

والحديث العلمي المقصود وعلاقته بالحديث الشريف يتعلق بالبحر المسجور الذي ذكره اللَّه سبحانه في سورة الطور.

يقول تعالى: ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾.

[سورة الطور، الآيات: ١ ـ ٦]

فهذه الآيات الكريمة بداية سورة الطور، وهي التي يقسم اللَّه تعالى فيها، والطور: أي أقسم بالطور فهذه الواو للقسم وهكذا إلى أن قال: والبحر المسجور: أي أقسم بالبحر المسجور، والبحر

المسجور لغةً: هو البحر المشتعل بالنار. . علماؤنا فيما مضى لم تكن لديهم أدوات يعرفون بها البحر المسجور، ولم تكن لهم تلك التكنولوجيا المعاصرة ليكتشفوا سر هذه البحار المسجورة أي المشتعلة بالنار. . ولما أراد اللَّه سبحانه أن تكتشف البشرية هذا الإعجاز الإلٰهي وسر قَسَمه بالبحر المسجور واللَّه لا يقسم إلا بعظيم وموجود. . والبحر المسجور موجود ولكن أين؟ وهذا العلم اليوم يدلنا أين هو، وكيف تم الاكتشاف، فعرفنا سر الآية الكريمة ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾، وكذلك حديث رسول اللَّه ﷺ: «**ستخرج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر**».

والجواب من كتاب (آيات اللَّه في البحار) للباحث ماهر أحمد الصوفي مؤلف موسوعة الآخرة والحاصل على موافقة مَجْمع البحوث في الأزهر الشريف شهر فبراير ١٩٩٦ م، ونقدم التفسير كاملاً لتتم الفائدة الإيمانية والعلمية وإن طال التفسير قليلاً، ولكن الفائدة عظيمة ومفيدة جداً حيث نعيش مع إعجاز القرآن الكريم وإعجاز رسول اللَّه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي من اللَّه يوحى إليه، ونستفيد من هذا البحث العلمي في قيام الساعة والتي نحن بصددها وبصددِ دراستها في هذا الجزء من موسوعة الآخرة.

البحر المسجور
وعلاقته بالعلامة الكبرى الأخيرة

عند بداية الاكتشافات البحرية استغرب العلماء هذه الظاهرة الغريبة بوجود أخاديد في أعماق البحار تخرج منها النار والدخان؛ وكانت هذه الاكتشافات البحرية تتوافق تماماً مع الاكتشافات الأرضية، وكان كل من علماء جيولوجية الأرض وعلماء البحار يعملون معاً وفي نفس اللحظة، وكل في اتجاه علمي خاص به.

ولما تقدم العلم وكثرت النظريات العلمية التطبيقية، وجدوا أن تلك الحمم والبراكين والصدوع والشقوق الموجودة على سطح الأرض مهمتها جميعاً حفظ توازن الكرة الأرضية. وبما أن البحار تشكل أربعة أخماس الكرة الأرضية، وهي الجزء الأكبر من الأرض، فمن الطبيعي أيضاً وجود صدوع وشقوق وأخاديد في قاع البحار، مَهمتها أيضاً التنفيس عن تلك الحمم التي تغلي في أعماق الكرة الأرضية[١].

عرفت البشرية وبعد تجارب كثيرة جداً وعلم ومعرفة واختراعات وأدوات، وأقمار صناعية وتلسكوبات كبيرة دقيقة وغواصات. . . . بوجود هذه الأخاديد النارية في قاع البحار والمحيطات، وبعد جهد وعلم عرفت أيضاً أن هذه الأخاديد ضرورية جداً، لأنها هي التي تحمي الأرض من الانفجار والغليان، وهي التي تُنفث عن باطن الأرض الذي

(١) راجع كتاب المعرفة «البحار والمحيطات» الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة.

يشكل حمماً بركانية تغلي غلياناً عظيماً تريد الخروج من مكانها الضيق، ولكن اللّه جعل بها نفاثات طبيعية لتهدِّئ من غليانها ومن ثورتها الهائلة، نعم لقد علموا سرَّ وجود تلك الأخاديد بعد عشرات من السنين كانوا فيها دائبين مجدين في البحث والدراسة.

ولكن هذه الأخاديد التي تسَجّر البحر، عرفت فقط حينما اكتشفوها، أما هي فموجودة منذ ملايين السنين منذ أن خلق اللّه الأرض وبحارها.

نعم إنها موجودة، فإن كان العلماء قد اكتشفوا هذه الأخاديد الآن فهذا لا يُنكر ولا يُجحد لأنها موجودة بقدرة اللّه منذ خلق اللّه الكرة الأرضية.

إذاً اللّه هو العالِم الأول والآخر، وبما أن اللّه يعلم بهذا منذ الأزل، أخبر نبيه محمداً ﷺ بهذا منذ ١٤٢٣ سنة حيث لم تكن العلوم قد اكتشفت، إذ كانت البشرية تعيش قِمة الجهل العلمي.

يا سبحان اللّه. وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

ولولا وعد اللّه الذي لا يخلف ميعاده بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

لما علَّمهم وساعدهم حتى يتوصلوا إلى اختراع تلك الأدوات التي تساعدهم في الاكتشاف والاطلاع.

والذين اكتشفوا تلك العلوم وتلك الأخاديد التي تخرج من قاع البحار ورأوها وصوروها، لا يعلمون شيئاً عن القرآن الكريم، ولا

يعلمون أن اللَّه سبحانه وتعالى أقسم بالبحر المسجور في كتابه الكريم منذ أكثر مِن ١٤٢٣ سنة أي البحر الذي تخرج من قاعه الحمم، والقسم في هذه الآية تأكيد مطلق من اللَّه سبحانه وتعالى على وجود البحر المسجور الذي تخرج من قاعه أخاديد النار، وهذا القسم بوجود البحر المسجور الذي يعلم اللَّه أن البشرية ستكتشفه في يوم من الأيام، هو حجة قوية وقاطعة على المكتشفين، للدلالة على عظمة اللَّه سبحانه والدلالة على صحة القرآن الكريم كي يؤمنوا به ويصدقوه، وإن لم يفعلوا فقد بيَّن اللَّه لهم الحق، وأن كتابه حق وأن رسوله محمداً ﷺ حق. فالإنسان اكتشف فقط الشيء الموجود بقدرة اللَّه ولا علاقة له بهذا ولا حول له ولا قوة، فلا تستطيع البشرية كلها لو اجتمعت على إغلاق تلك الأخاديد الملتهبة وفتحها، لأن علمنا محدود. هذه الأرض التي نعيش عليها و٨٠٪ من العلوم تتجه إلى معرفة الأرض والبحار وأسرارهما، وستقوم الساعة ولا نعلم من أمرها إلا ما شاء اللَّه، وسيبقى الكثير خافياً على البشرية. نعم إن جميع البحار تُسجَّر ولقد اكتشفوا أن التسجير يختلف من بحر إلى بحر، يقوى في مكان ويضعف تقريباً في مكان، كفُتُحات البراكين على الأرض اليابسة موجودة في كثير من مناطق العالم وهي ليست مقصورة على مكان دون مكان، وإن كانت تكثر في مكان كما في اليابان، وأيضاً تكاد تنعدم في مناطق كثيرة من العالم، وتقدير وجودها يعود إلى الخالق، فلا أحد يعرف أين مواقع الانفجار البركاني في داخل الأرض أو في أعمق أعماقها؟ ولا أين يشتد غليان وانصهار الحمم في باطن الأرض؟

وما ينطبق على الأرض اليابسة ينطبق على البحر، فقد وجدوا أن أكثر بحار العالم تسجيراً هو البحر الأحمر، لأن الأخاديد التي

تخرج منها النار تمتد من شماله حتى جنوبه بطول البحر الأحمر من السويس حتى باب المندب، ولاحظوا أن تلك الأخاديد والفتحات والشقوق تزداد كلما اقتربنا من الجنوب باتجاه باب المندب عند مدينة عدن «**حضرموت**» عند المنطقة الفاصلة ما بين البحرين المالحين البحر الأحمر والمحيط الهادئ، والتي تمت دراستها دراسة مستفيضة من قبل البعثات العلمية من شتى أنحاء العالم.

وضوح إثبات ما قاله محمد ﷺ وأن ما أخبر به محمد ﷺ لا يمكن أن يكون إلا بوحي من اللَّه. . .

نعم فكثير من مفسري القرآن الكريم كالسيوطي في تفسير الجلالين والزمخشري والفخر الرازي كانوا إذا مروا بهذه الآيات يحاولون تفسيرها قدر ما يستطيعون وفق ما لديهم أو ما يقدرون عليه، وليس هذا عجزاً منهم أو قلة معرفة ولكن لم تشأ الإرادة الإلٰهية. . في زمنهم كشف هذه الآيات لعلم يعلمه اللَّه، فاعتمدوا في تفسيرها على المعاني اللُّغوية عسى أن توصلهم إلى شيء، ولكن المشكلة كانت ليس بمعرفة البحر المسجور فقد قالوا عنه البحر الذي تشتعل فيه النار، رغم أن السيوطي في تفسير الجلالين قال عن البحر المسجور: البحر الممتلئ بالمياه. وقال غيره: إنه بحر في السماء.

وقالوا عن البرزخ في: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ إنه حاجز موجود بقدرة اللَّه ولكن. . . ليست المعرفة كشرح اللغة، فشرح المفردات أمره يسير ولكن المهم معرفة ما هو البرزخ كحقيقة ومادة ملموسة، وهذا ما اكتشفه العلم الآن والحمد للَّه، وتقدير زمن المعرفة تقدير من اللَّه سبحانه وتعالى.

والبحر المسجور الذي أقسم اللَّه به لأهميته موجود فعلاً لأن

اللّه لا يقسم بشيء غير موجود ولا يقسم إلا بعظيم، والأخاديد وفتحات النار وتسجير البحر رأيناه رأي العين، وعرض على أجهزة التلفاز في كثير من دول العالم، ومنها تلفاز جمهورية مصر العربية الذي عرض برنامجاً عن البحار لعالم البحار كوستو يوم ١٤/ ٥/ ٩٥م وكان عرضاً رائعاً يصور قدرة اللّه في أعماق البحار وتلك الأخاديد التي تقذف تلك الحمم، والحمد للّه أننا رأينا قدرة اللّه بأنفسنا، وأتاح اللّه لنا هذا من خلال ما هيأ لعباده في الأرض من صناعة أدوات تصوير وغطس لتقرَّ أعيننا وتفرح بصدق كتابنا، كتابِ اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نعم ستأتي آيات اللّه فنعرفها كما وعد اللّه، وكما حقق اللّه النصر للروم من خلال وعده للمؤمنين الذين حزنوا على انتصار الفرس على الروم في زمن رسول اللّه ﷺ بقوله:

﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

[سورة الروم، الآيات: ١ ـ ٤]

فأخبرهم اللّه عن المستقبل القريب.

وصدق اللّه وعده، وها نحن يصدقنا اللّه وعده: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وهذه آيات اللّه على لسان نبيه محمد ﷺ النبي الأمي يرونها بأعينهم فإن لم يؤمنوا بها فهي الحجة عليهم لإدانتهم يوم القيامة.

وإذا درسنا هذا الموضوع: موضوع البحر المسجور وحقيقة

وجود الأخاديد والفتحات التي تخرج منها النار والدخان واللَّهب التي أصبحت واقعياً علماً مدروساً ومصوراً، والتي ذكرها القرآن الكريم، فإننا نعيش مع الحقيقة من خلال هذه الحقائق:

١ ـ هل كان محمد ﷺ الناقل للقرآن الكريم أستاذاً محاضراً في علم البحار ليدلي بهذه المعلومات العلمية الصحيحة.

٢ ـ الأخاديد موجودة في قاع البحار بعمق يصل أحياناً إلى عشرة كيلو مترات فكيف وصل محمد ﷺ إلى هذا القاع ليخبرنا عن تلك الأخاديد ويطلعنا أن هناك بحراً مسجوراً.

٣ ـ فالعلم يقول: إن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى عمق أكثر من ثلاثين متراً، وإذا حاول الإنسان أن ينزل أكثر من ذلك فإن غاز النايتروجين في الدم يفور كما تفور زجاجة المياه الغازية، وذلك من ضغط الماء على الجسم، وعليه فإن الدم يخرج من كل فتحة في الجسد ويكون الموت المحتم خلال دقائق من جراء التمزق الجسدي.

٤ ـ هل كان في زمن محمد ﷺ أدوات غوص وغواصات تسير في قاع البحار ليخبرنا عن البحر المسجور ويقسم به تأكيداً لوجوده.

٥ ـ هل كان في زمن محمد ﷺ علماء متخصصون في علم البحار ليأخذ منهم هذه المعلومة عن البحر وقاعه؟ كلا فإن النخبة من البشرية كانوا يعيشون في جهل مُطْبِق بعيداً عن أي نوع من أنواع العلوم الحضارية التي نعيشها الآن.

٦ ـ ثم إن محمداً ﷺ لو كان رجلاً عادياً غير مرسل وادعى النبوة فلا يمكن مطلقاً أن يقحم نفسه بالكلام عن الآفاق والأرض والبحار، ولا يمكن أن تخطر على باله ولا يمكن أن يسبق عصره بآلاف

السنين، فهل يستطيع أحدنا رغم كل هذه العلوم الجبارة في عصرنا هذا أن يتكلم عن علوم تكتشفها البشرية مجتمعة بعد ألف أو ألفي عام بأنها صحيحة وبمنتهى الدقة، فالمنطق يقول: لا، ولكن المنطق في موضوعنا هذا يقول: نعم لأن المتحدث بهذه الآيات هو اللَّه الذي خلق بنفسه وقدَّر بنفسه وهو الذي يعلم غيب السماوات والأرض (١).

وما يهمنا في موضوع البحر المسجور حديثان لرسول اللَّه ﷺ، يتحدث فيهما عن بعض علامات قيام الساعة وقرب قيامها، قال عليه الصلاة والسلام:

« **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى الشام** ». أخرجه مسلم في صحيحه.

وقال رسول اللَّه ﷺ:

« **ستخرج نار من أرض عدن قبل القيامة**، قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللَّه؟ قال: **عليكم بالشام** ». أخرجه الترمذي عن ابن عمر وقال: حديث حسن صحيح.

وقبل أن أدخل في تفصيل وبيان الحديثين لا بد لي أن أقول: لو أن محمداً ﷺ يتكلم من ذاته دون إلهام ووحي من اللَّه، وليس هناك تنزيل ولا قرآن ولا جبريل، فهل يعقل أن يتكلم ﷺ بهذا الأسلوب ويأتي بأحاديث تثير العجب والشك؟ فلقائل أن يقول: ما لمحمد ﷺ وما لمدينة عدن تخرج نار منها أم لا فهذا لا يفيد دعوته بشيء إن كان

---

(١) قال العالم الجيولوجي المشهور (الفريد كرونر): «إن الوسائل العلمية الحديثة الآن يمكنها وبكل وضوح إثبات ما قاله محمد ﷺ وأعتقد أن ما أخبر به محمد ﷺ لا يمكن أن يكون إلا بوحي من اللَّه».

غير صادق، وإن كان محمد ﷺ غير صادق ـ وحاشا للرسول ﷺ أن يكذب ـ فلا بد أن يتحدث فقط عن الحياة المادية التي أمامه؛ ليكون المسيطر على مقدرات الناس والعمل من خلال ما يعلمون فقط، ليكسب منهم أكثر ويتمتع هو بحياته الدنيا، لأنه حينئذ لا يكون له علاقة مع اللّه في شيء.

إذاً فالحديث يشير إلى أن ناراً تخرج من قاع أرض عدن تحشر الناس إلى بلاد الشام، والنار التي تخرج من الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بُصرى الشام، وهذان الحديثان يشيران إلى أن تلك النار ستكون قوية جداً أو ملتهبة، وتصل في ارتفاعها إلى آلاف الأمتار في السماء، وذلك كي يصل نورها إلى آلاف الأميال إلى بصرى الشام، وقطعاً النار التي تحشر الناس من اليمن إلى الشام هرباً منها ومن لهيبها، لا بد أن تكون هائلة وقوية جداً، وهذه حتمية منطقية عقلية.

ونعود إلى أخاديد النار في البحر المسجور التي تزداد كثيراً جداً كما قال علماء البحار عند باب المندب، والمدينة الواقعة على رأس باب المندب هي عدن، إذاً عدن تقع عند نقطة ازدياد أخاديد النار في البحر الأحمر.

ولنربط الآن بين القرآن الكريم وأحاديث رسول اللّه ﷺ، فاللّه سبحانه وتعالى يخبرنا في القرآن الكريم في سورة الطور عن البحر المسجور وقد اكتشفناه ورأيناه بما هيأ اللّه لنا من علم.

والرسول ﷺ يتحدث عن نار تخرج من أرض عدن لقوتها وارتفاعها تحشر الناس إلى بلاد الشام.

نفهم من حديث رسول اللّه ﷺ أن هناك وتحت مدينة عدن ناراً

هائلةً ولكنها كامنة تنتظر أمر ربها بالخروج، وبما أننا اكتشفنا هذه الأخاديد في قاع البحر والملاصق لمدينة عدن فإن الحديث مع الآية القرآنية بينهما تقارب كبير، إذاً النار التي ستخرج من أرض عدن موجودة بعلم اللَّه، فمن أخبر محمد ﷺ عنها وكلنا يعلم أنه في زمن محمد ﷺ لم يكن علم ولا علماء عن طبقات الأرض ولا شيء عن جيولوجية الأرض ألبتة، والعلم لا يعتمد في قوله على مجرد التخمين والحدْس، ولكنه يعتمد على الرؤية الصحيحة والدليل القاطع، وبما أن محمداً ﷺ لا يملك الدليل العلمي القاطع الملموس والمحسوس على حديثه هذا بخصوص عدن والنار التي تحتها، فلا بد أن يكون الكلام من لدن عليم علَّمه وخبيرٍ خبَّره وحكيم أرشده، وآتاه الحكمة وفقهه في القول والعمل.

وصدق اللَّه حينما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ* عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ* ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ٣ ـ ٦]

فمن علَّمه؟ علمه القادر المقتدر اللَّه الذي عنده علم كل شيء ولنعد الآن إلى علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا في عصرنا هذا عصر بداية القرن الواحد والعشرين وبعد ١٤١٥ سنة من حديث رسول اللَّه ﷺ نعود إلى هؤلاء العلماء الذين أشبعوا طبقات الأرض دراسة وتحليلاً في أنحاء الكرة الأرضية، بما يملكون من أسباب العلم والقوة والأدوات الجبارة في معرفة الأشياء. وأعظم الاكتشافات خلال الربع الأخير من القرن العشرين هو السفن الطائرة والمركبات الفضائية التي قدمت للإنسان أكبر خدمة علمية ظهرت على الأرض.

ولنسمع ما يقوله علماء الجيولوجيا. يقولون:

إن مدينة عدن تعيش فوق بركان هائل من النار قابل للانفجار في أي لحظة.

لذا فإن بعض علماء الجيولوجيا ينصحون سكان مدينة عدن بمغادرتها خوف الانفجار الهائل الذي يُنتظر وقوعه في أية لحظة.

اللَّه أكبر اللَّه أعلم، اللَّه أقدر اللَّه عنده العلم من قبل ومن بعد، فإن هذا النبي الأمي أخبرنا عن طبقات الأرض دون دراسة جيولوجية ولا أدوات ولا أقمار ولا مراكب فضائية.

فهل خَبَرَ أساتذة الجيولوجيا وعلم طبقات الأرض ما قاله نبينا محمد ﷺ عن عدن وعن بركانها وعن النار التي ستخرج منها حتماً منذ ١٤٢٣ عاماً.

إنهم لم يخبروا ولم يعلموا، ولكننا نحن المؤمنين المسلمين نربط ما يكتشفون بما عندنا من كتاب اللَّه وحديث رسوله الكريم ﷺ.

والسؤال من أين عَلِمَ محمد ﷺ أنه ستخرج نار من أرض عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر؟

نعم علّمه اللَّه وأنطقه فهو الذي عنده علم كل شيء.

هل يشهد أحدٌ أو يؤكد أنه كان يوجد في زمن النبي محمد ﷺ أي علم ولو كان يسيراً عن الأرض سواء أسطحها أم باطنها؟

طبعاً لا يوجد ولو كان موجوداً لسمعنا به وظهر ما سكت عنه التاريخ.

علوم طبقات الأرض من أدق العلوم وأصعبها وهي التي لا تزال مستعصية في كثير من جوانبها على العلماء، ولا يزال البحث جارياً رغم دقة كل الآلات التي اكتشفوها في بدايته.

مع هذا فإن رسول اللَّه ﷺ يخبرنا عن باطن أرض تصل إلى مئات الأمتار أن فيها ناراً عظيمة ستظهر في زمن يريده اللَّه، إنه علم إلٰهي عظيم لم يكتف بإخبارنا عن النار التي في جوف عدن، ولكنه يحدد متى خروجها، إنه سيكون قبل يوم القيامة علم على علم ومعرفة كاملة من قدرة إلٰهية كاملة.

كتاب اللَّه يخبرنا عن البحار المسجورة، ورسول اللَّه ﷺ يخبرنا عن الأرض المسجورة التي تنتظر أمر اللَّه بالخروج، خبران تَمَّ اكتشافهما للبشرية وأثبتا صحة القرآن الكريم وصدق رسول اللَّه ﷺ.

ربط اللَّه العلم بالقرآن الكريم الذي حكم عليه أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وربط العلم برسوله محمد ﷺ الذي قال عنه اللَّه عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وأكد على صحة كل ما يقوله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

[سورة الحشر، الآية: ٧]

فلو أن اللَّه يعلم أن رسوله ﷺ تكلم في أمور حياتية سواء أكانت شرعية أم فقهية أم علمية فيها خطأ أو بعض خطأ لما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ فهو الذي يعلم أن رسوله ﷺ لن يأتي إلا بالصحيح ولا ينطق إلا بالحق.

وللعلم فإن عشرات المحطات الفضائية في العالم عرضت برامج تصور فيها مجاهل وأعماق البحار عرضت فيها صور تلك الأخاديد والفُوَّهات والفُتحات التي يخرج منها لهب ونار وحمم،

وقد رأيت بعضها بنفسي، وهذه الأخاديد وكأنها تسجِّر البحر أيضاً استعداداً ليوم القيامة كما قال تعالى في علامات يوم القيامة: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ٦][١]

ولقد تم تصوير هذه الأخاديد والفُوَّهات النارية عن طريق الكاميرات الحديثة الموضوعة في غواصات مائية مخصصة للعلم والعلوم[٢].

---

(١) للسير «جيمس جينز» الأستاذ بجامعة كمبردج قول مشهور عن محمد ﷺ يقول: «إن الأمور العلمية التي كشفت عنها دراستي ومشاهدتي خلال خمسين سنة من أنبأ محمداً بها».

(٢) آيات الله في البحار للباحث ماهر أحمد الصوفي.

قيام الساعة

مَـدْخـل:

. . . ليس قيام الساعة أمراً مرتبطاً بالإنسان على هذه الأرض فحسب، إنما أمرها مرتبط مع هذا الكون كله بجميع مخلوقاته وبكل سماواته السبع . . . فإذا ما أراد اللَّه سبحانه بعلمه قيام الساعة، فمعنى هذا موت كل الخلائق، وفي ذات الوقت وبآن واحد من خلال نفخة الصعق التي يطلقها إسرافيل عليه السلام من بوقه، فالأمر عظيم وكبير جداً وأكبر مما تتخيل عقولنا بكثير، فنحن لا نعلم شيئاً عن السماوات وساكنيها ولا عن المخلوقات التي تعيش فيها.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

[سورة يس، الآية ٣٦]

وهل يوجد خلق آخر في السماوات يعيش على أرض مثل أرضنا تقوم الساعة عليهم كما تقوم علينا؟ أم خلق اللَّه سبحانه في السماوات هم الملائكة فحسب؟ فاللَّه سبحانه يقول في كتابه الكريم إنه خلق سبع سماوات وخلق من الأرض أي (مثل أرضنا التي نعيش عليها) سبعاً مثل السماوات.

يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ .

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

فاللَّه سبحانه وحده يعلم دورة هذا الكون، ويعلم دورة حياة مخلوقاته في هذا الكون العظيم، الذي تتجاوز مجراته، وفي السماء الأولى فقط آلاف المليارات من المجرات، وكل مجرة فيها كما قال علماء الفلك ما يزيد عن مائتي مليار كوكب ونَجم ولا ندري ماذا في السماء الثانية والثالثة إلى السابعة.

يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

ـ فملك اللَّه سبحانه لا تحده حدود وليس لا تساعه نهاية وما تحويه هذه السماوات السبع من المخلوقات هي بعلم اللَّه، وما فيها من خلقه من الملائكة بعلمه وحده لا يستطيع أحد حتى البحث في هذا الأمر، لأنه سبحانه اختصه لنفسه.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾.

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

وكل هؤلاء الإنس والجن والملائكة والخلق الذين لا نعلمهم في قوله: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ستقوم عليهم الساعة في آن واحد وفي وقت واحد، يصعقون صعقة واحدة لا تفرق بين أحد منهم مهما عظم خلقه كالملائكة عليهم السلام.

. . . لذلك كان كل الأقوام الذين لا يعلمون عن هذا الأمر العظيم وهذه الساعة التي ستغير حال الكون بأسره، وبمن خلق فيه عبر ملايين السنين، يتحدون أنبياءهم الذين أرسلهم اللَّه إليهم أن يأتوا بالساعة والعذاب اللّذيْن يتحدث عنهما الرسل والأنبياء.

. . . فهم يتصورون أن الساعة أو العذاب كائن في قريتهم التي

يعيشون فيها كقوم عاد وثمود وفرعون وأصحاب الرس وغيرهم.

. . . فكلما تحدث نبي من أنبياء هذه الأقوام عن أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأن هنالك ـ اليوم الآخر ـ وأنه ستقوم الساعة ويجمع اللَّه الأقوام للحساب. . . كانوا جميعاً يقولون: فأتنا بما تعدنا! وأين الساعة التي تقول؟

يقول تعالى على ألسنة تلك الأقوام: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٢]

ويبيِّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه استعجال هؤلاء الأقوام قيام الساعة الناتج عن عدم إيمانهم باللَّه تعالى وبِرسله ولا بقيام الساعة ولا يوم القيامة

يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۞ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ﴾.

[سورة الشورى، الآيتان: ١٧، ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٤٧]

فقد وصفهم اللَّه بالضلال البعيد أي بالجهل المطلق، وتكذيبهم لقيام الساعة ما هو إلا نتيجة عدم المعرفة والعلم. . . ولو أن فيهم قليلاً من الفكر والعلم لعلموا أن هذه الحياة الدنيا لا يستقر لها حال، وليست هي إلا داراً مؤقتة خلقها اللَّه تعالى دار ابتلاء وامتحان، ولا بد أن يجمع اللَّه تلك الخلائق التي تموت تباعاً ليوم الحساب.

. . . لقد كانوا لا يملكون اليقين لقيام الساعة، ويعيشون بالظن الفاسد بمن فيهم مشركو مكة والجزيرة العربية.

يقول تعالى على ألسنة هؤلاء المكذبين الضالين الظانين باللّه ظـنّ الـسَّـوء: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية ٣٢]

قيام الساعة أمْــرٌ...
ويوم القيامة أمــرٌ آخر

قيام الساعة أمر مختلف عن يوم القيامة، لذا جعلت قيام الساعة في جزء خاص وأسميته (الحشرُ وقيام الساعة).

فيوم القيامة يبدأ من أول حشر الناس وجمعهم على أرض المحشر.

... لذلك فكل الأحداث العظام التي تتم قبل الحشر على أرض المحشر مرهونة بقيام الساعة، وتدخل في مجالها نفخة البعث حيث يبعث الناس جميعاً من قبورهم في الأرض، وهذه المرحلة لا تزال تتبع الحياة الأرضية، لأن البعث يكون من الأرض ثم ينقلنا اللَّه سبحانه بقدرته إلى أرض المحشر والتي يقف الناس عليها حفاة عراة غرلاً خاشعين للَّه راجين عفوه ورحمته.

فإذا قامت الساعة بدأت الأهوال، والأهوال كلمة مشتركة ما بين قيام الساعة ويوم القيامة، ونستطيع أن نقول: أهوال قيام الساعة، وأهوال يوم القيامة... فللساعة أهوال وأمور عظام بين فزع ورعب وخوف يحطم كل الصور الدنيوية، والتي كان الناس يعيشون فيها برخاء وأمان، محفوظين من قِبَل اللَّه سبحانه حتى ينتهي امتحانهم في هذه الحياة الدنيا سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٦]

فاللَّه سبحانه صبر عليهم في الدنيا، صبر على كفرهم ومعاصيهم ومجونهم وفسقهم وضلالهم حتى يأتي اليوم الموعود والوعد الحق من اللَّه سبحانه، ولو أن اللَّه سبحانه يؤاخذ الناس على ما يفعلون في هذه الدنيا من الكفر والمعاصي لما ترك على ظهر هذه الأرض من أحد من الخلق.

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٤٥]

ولكن اللَّه سبحانه صبور، ووصف نفسه بالصبور، ومن أسمائه الحسنى الصبور، ولم يأخذ اللَّه سبحانه أحداً من الأقوام بالعذاب إلا بعد أن أعطاهم في الدنيا كل الفرص للعودة إلى اللَّه وإلى الطريق المستقيم، فلقد صبر اللَّه سبحانه على قوم نوح قرابة ألف عام، ومات منهم جيل وخلق جيل آخر ثم مات هذا الجيل وخلق غيره، ولم يجد منهم نوح عليه السلام إلا كل استكبار وضلال.

يقول تعالى على لسان نوح: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ .

[سورة نوح، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

ومع ذلك صبر اللَّه عليهم ما يزيد على عشرة أجيال وهم لا يزدادون إلا كفراً وفجوراً.. نعم إنه الصبور.. وما نشاهده اليوم في جميع أنحاء الدنيا من ضلال وفسق ومعاص وكفر وشرك، وأصحاب هذه الموبقات والمقحِمات يعيشون بأمن وأمان ورغد من العيش الهني، ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام بصبر اللَّه سبحانه عليهم.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٢]

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٧٧]

هكذا قضت سنة اللَّه سبحانه وهو أعلم بخلقه وكونه وسماواته وجناته وناره.

قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

ويقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٤]

ولكن اللَّه سبحانه قضى أن للناس موعداً لا مهرب منه ولا مناص ولا خلاص بعد هذا الصبر، لن يجدوا منه مخرجاً ولا إنظاراً ولا مفراً وهو قيام الساعة ويوم القيامة. يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٧٨]

لذلك حق على هؤلاء الكفرة العصاة تلك البطشة الكبرى عند

قيام الساعة، ولكل أولئك الذين صبر اللَّه عليهم في الدنيا وصبر على كفرهم ومعاصيهم.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٦]

هذه البطشة الكبرى التي تتشقق لها السماوات وتتزلزل الأرض وتُدك الجبال وتُسعَّر البحار بالحمم... لا بد من نظرة علمية خاصة لتلك السماوات، لندرك يقيناً ماذا يعني قيام الساعة؟ وما تعني السماوات؟ وما هي قدرة اللَّه سبحانه في تلك السماوات؟ من قبل أن ننتقل إلى الحديث عنها في الأرض ومنها ندرك عظمة اللَّه سبحانه ومن هو الإلٰه المعبود الذي نعبده.

ولندرك عظمة قيام الساعة وأنها ليست مقصودة لهذه الأرض وساكنيها وحدهم بل تشمل الكون كله وأن اللَّه سبحانه وعد أنه سيبدل هذا الكون كله بعد قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

فلننظر في عظمة هذا الكون وندرك عظمة هذه السماوات وما تحويه من آلاف المليارات من المجموعات الشمسية وآلاف المليارات من المجرات. فإذا ما أدركنا عظمة اللَّه سبحانه في هذه السماوات التي يعتبر إنهاؤُها وتفجيرها جزءاً من قيام الساعة، أدركنا عظمة قيام الساعة وبداية عهد جديد في عالم جديد عالم يوم القيامة وعالم سماوات وأرض جديدة.

فإلى عالم السماوات كما بيَّنه لنا علم الفلك اليوم بواسطة أحدث الأدوات التكنولوجية والأقمار الصناعية والتلسكوبات، والحديث مأخوذ من كتاب (من آيات اللَّه في السماء) للباحث ماهر أحمد الصوفي والذي طبع وتمت الموافقة عليه من مجمع البحوث في الأزهر الشريف ٢٠ / ٤ / ١٩٩٦.

السماء الدنيا والسماوات السبع من منظور علم الفلك الحديث وبيان قدرة اللَّه تعالى وعظيم كونه وسماواته

قبل أن أتحدث عن خلق السماوات والأرض لا بد من أن أعلم شيئاً عن السماوات وما فيها من نجوم وكواكب، وأعلم شيئاً عن الأبعاد والحجوم، وذلك حتى أدرك معنى خلق السماوات والأرض وأرى عظمة الخلق والخالق.

خلق السماوات والأرض ونشأة الكون وبدايته أمر عظيم شغل الناس في القرون الماضية ولم يصلوا إلى شيء.

وشغل علماء الأرض في هذا القرن ووضعت له الدول كل ما تملك من إمكانيات، ولم تبخل على هذا العلم (علم الفلك) بشيء، وما تتكلفه الدول في صناعة سفينة فضائية واحدة يكفي لإعمار حي بأكمله، ومع ذلك فهم لا يبخلون على هذا العلم بشيء أبداً لما له من الأهمية العظمى.

فقد حيرتهم السماء منذ مئات السنين، ولم تستطع البشرية أن تضع قانوناً ونظرية ثابتة في نشأة السماء وبدايتها، كل ذلك ما يزال رغم مئات النظريات محضَ آراء قابلة للتغيير والتبديل، وهذا هو ما يحدث تماماً في هذه الأيام.

فلو أن السماء لا تحوي سوى الشمس وكواكبها التسعة (الزُّهَرة والمِرِّيخ وعُطارد والأرض والمشتري ونبتون وبلوتون وزُحَل وأورانيوس) لعلموها واكتشفوها منذ زمن بعيد فأراحوا واستراحوا، ولكن الذي في السماء المنظورة للعين المجردة آلاف النجوم ولا نتكلم عن غير المنظور، وهو الجانب الأكبر في السماء، والذي يحتوي مليارات المجرات والتي تحوي في داخلها مليارات المجموعات الشمسية المشابهة لمجموعتنا الشمسية هذه.

فالآية القرآنية الكريمة تتحدث عن خلق السماوات والأرض، والسماوات كلمة واحدة ولكن تحوي في داخلها قدرة لا تستطيع العقول وبما تملك من مواهب وعلم أن تدرك كنهها.

فما معنى السماوات؟ هي جمع ومفردها سماء والسماء الأولى هي السماء الدنيا التي تقع فيها مجموعتنا الشمسية، والأرض التي نعيش عليها تابعة لهذه المجموعة الشمسية، وما هذه المجموعة إلا واحدة من آلاف المليارات من المجموعات الشمسية التي تسبح في السماء الدنيا.

أيوجد في السماء الثانية والثالثة حتى السابعة ما هو موجود في السماء الأولى من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات؟ أم في كل سماء علم آخر وحياة أخرى وأمر آخر وقدرة إلٰهية؟

وهل السماء الأولى (السماء الدنيا) هي هذه النجوم والكواكب والمجرات فقط؟ أم ما نراه وما اكتشفه العلم هو مجرد بداية السماء الأولى فقط؟

وهل السماء الدنيا وهذا الاتساع الذي لا نهاية له حسب علومنا، بحجم السماء الثانية؟ أم هي بالنسبة إليها لا تشكل إلا

كحصاة في بحر؟ وهل السماء الثانية هي بحجم السماء الثالثة أم الأخرى لا تشكل بالنسبة للسماء الثالثة إلا كحبة رمل في جبل؟

فإذا كان بعض العلماء في علم الفلك يقولون: «**إن ما اكتشفناه وعلمناه حتى هذه الساعة عن السماء الأولى لا يتعدى أن يكون فلزات للسماء الأولى**»، وعالم آخر يقول: «**على الرغم من كل هذه الاكتشافات الهائلة في علم الفلك واكتشاف مليارات المجرات ودروب المجرات والعناقيد المجرية فإننا لا نزال في بداية الطريق!**»[١].

فالعين المجردة هيأها اللَّه لترى ولمسافة مليوني سنة ضوئية، فكل النجوم التي نراها في السماء بواسطة أعيننا المجردة لا تبعد عن مركز الأرض أكثر من مليوني سنة ضوئية[٢].

وآخر ما توصل إليه العلم منذ سنوات صناعة تلسكوب استطاع به العلماء أن يروا في السماء لمسافة عشرات الملايين من السنوات الضوئية.

ومع هذا فإن مِساحاتٍ هائلةً من السماء لم يجد العلماء أي أثر لخلق مجرات ونجوم، وظنوا أنها منطقة خالية، وأعلنوا ذلك لأن أعلى وأدق وأكبر مراكزهم العلمية لم يعطهم أي إشارات عن وجود أي شيء آخر، وهنا ظن معظمهم أنهم وصلوا إلى نهاية المطاف. إذاً لا بد لنا أن نبحث عن كون آخر فها نحن قد وصلنا إلى نهاية السماء تماماً، ولكنهم رجعوا عن هذا الظن مرة أخرى واعترفوا بشيء آخر، وذلك حينما اخترعت أمريكا التلسكوب الهائل العظيم وأسمته «**هابل**» وجعلته في الفضاء عن طريق إحدى السفن الفضائية وإذا به يرسل لهم

---

(١) «مجلة العلوم» الصادرة عن أكاديمية البحث العلمي ـ القاهرة.

(٢) «الكون ذلك المجهول» جلال عبد الفتاح ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

صوراً مؤكدة عن هذه المنطقة المجهولة في السماء والتي ظنوا أنها خالية من أي أثر لخلق أو حياة أو نجوم، فيها من المجرات والنجوم الهائلة التي لا يعلم عددها إلا اللَّه أقربها إلينا أي إلى الأرض سبعمائة مليون سنة ضوئية[١].

أو ما زلنا في بداية الطريق وبداية السماء الأولى أم قد وصلنا إلى نهاية الطريق ونهاية السماء الأولى.

وبعد خمسين عاماً من الآن ربما تصل البشرية إلى تلسكوب يكشف أبعاداً هائلة أخرى، ويكشف مجرات جديدة ربما منها نجم واحد يسع كل مجموعتنا الشمسية التي اكتشفها العلم الحديث ومن يدري؟!

فالعلم واكتشافاته سلسلة لا متناهية يعيش مع كون غير متناه، وكلما اكتشفوا جديداً كشف هذا الجديد عن جديد آخر.

قديماً ظن الفلاسفة أن هذه الأرض هي محور الكون، قالوا هذا بما كانوا يملكون من علم قاصر، وإذا بهذه الأرض بعد مرور ألف سنة أخرى لا تشكل هي والمجموعة الشمسية التابعة لها والمجرة التي تتبع لها المجموعة الشمسية إلا ورقة واحدة من شجرة واحدة في غابة واحدة.

. . . أنشتاين قال فيما مضى: وعلم الفلك لا يزال في بدايته، إننا لو قسمنا عدد المجرات التي في السماء على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد منا سبعاً وثلاثين مجرة، ولو قسمنا عدد المجرات المكتشفة حتى هذا اليوم على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد منا ألف مجرة وليس سبعاً وثلاثين مجرة.

---

(١) هذا الاكتشاف العلمي أعلنت عنه جميع وكالات الأنباء العالمية والعربية على شاشات التلفاز سنة ١٩٩٥ وفي المجلات المختصة ووسائل الإعلام.

وحتى نزداد معرفة بالسماء ونعرف ما معنى كلمة السماء حجماً وبعداً فلنقرأ من سورة الواقعة هاتين الآيتين:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

فالملاحظ في هاتين الآيتين أن اللّه سبحانه أقسم بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها، وأما لماذا؟

وذلك لأن النجوم أو الكواكب أو الأقمار تمثل حجوماً هائلة في أماكنها، ولكن عظمة بناء السماء لا تكمن في وجود هذه النجوم والكواكب فحسب، بل في هذه المسافات الشاسعة التي تفصل هذه النجوم والكواكب بعضها عن بعض، وبعد أن نقرأ عن هذه المسافات التي تفصل ما بين النجوم بعضها عن بعض ندرك معنى الآية القرآنية وندرك ما معنى المواقع التي قصدها اللّه سبحانه في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ وعلى سبيل المثال نذكر بعضاً من هذه الأبعاد الشاسعة بين النجوم بعضها عن بعض وبين الكواكب بعضها عن بعض(١).

١ ـ كواكب المجموعة الشمسية التسعة وهي عبارة عن عائلة واحدة يسكن بعضها قريباً من بعض تحتضنهم أمهم الشمس، والبعد بينها شاسع.

نذكر من ذلك على سبيل المثال:

الأرض تبعد عن الشمس ١٤٩ مليون ك م.

---

(١) ذهب بعض المفسرين إلى اعتبار النجوم في آية **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾** أنها نجوم القرآن، وذهب بعضهم إلى اعتبار النجوم المذكورة في الآية أنها نجوم السماء ومواقعها أي مطالعها ومشارقها، وأيد هذا التفسير ابن جرير الطبري.

المريخ يبعد عن الشمس ٢٢٧ مليون ك م.

المشتري يبعد عن الشمس ٧٧٧ مليون ك م.

بلوتون يبعد عن الشمس ٦٠٠٠ مليون ك م.

ونذكر على سبيل المثال بعد الأرض عن بعض كواكب المجموعة الشمسية:

الأرض تبعد عن المريخ ٤٩٨ مليون ك م.

الأرض تبعد عن زحل ٦٤٨ مليون ك م.

الأرض تبعد عن نبتون ٤٠٠٠ مليون ك م، وهكذا تقريباً المسافات بين كواكب المجموعة الشمسية الواحدة[١]

٢ ـ نتخطى حدود المجموعة الشمسية، وإن كنا لا نريد أن نتوغل في السماء الأولى بل نريد فقط أن نسافر إلى أول نجم خارج حدود المجموعة الشمسية أو أول كوكب يصادفنا إذا تخطينا حدود مجموعتنا الشمسية التي نتبع لها... يقول علماء الفلك: إن أول نجم بعد المجموعة الشمسية والذي يدخل ضمن مجرتنا يبعد عن الأرض والشمس ٤,٥ أربع سنوات ضوئية ونصف. ما معنى هذا؟ العلماء اختصروا الأرقام واستعملوا الرموز، والرمز الذي اختاروه لاختصار لغة الأرقام هو السنة الضوئية، وكيف يكون هذا؟

سرعة الضوء في الثانية الواحدة (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف ك م.

وإذا ضربنا ٣٠٠٠٠٠ × ٦٠ = فالناتج يعطينا سرعة الدقيقة الضوئية الواحدة وهو / ١٨,٠٠٠٠٠٠ أي ثمانية عشر مليون ك م في الدقيقة الواحدة.

---

(١) «جمال الكون» يمنى الزهار.

١٨,٠٠٠٠٠٠ × ٦٠ = فالناتج يعطينا سرعة الساعة الضوئية الواحدة / ١٠٨٠٠٠٠٠٠٠ أي مائة وثمانية مليار ك م.

١٠٨٠٠٠٠٠٠٠ × ٢٤ = فالناتج يعطينا سرعة اليوم الضوئي / ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠٠ / أي ألفين وخمسمائة واثنين وتسعين بليون ك م.

ثم نضرب هذا الرقم في عدد أيام السنة (٣٦٥) فيكون ناتج مسافة السنة الضوئية الواحد، أرقاماً لا طاقة للبشر بتخيلها دون ذكرها.

وبتعبير آخر فإن علماء الفلك قالوا: إننا لو أردنا أن نصل إلى أقرب نجم لنا خارج حدود المجموعة الشمسية فإننا بحاجة إلى سفينة فضائية تسير بسرعة الضوء أي بسرعة ثلاثمائة ألف ك م في الثانية الواحدة، ومع ذلك نحتاج إلى أربع سنوات ضوئية ونصف للوصول إلى هذا النجم.

هذا عن أقرب نجم لنا، فكيف بأبعد نجم عن مركز الكرة الأرضية؟!!

فإننا إذاً بحاجة إلى آلاف المليارات أو التريليونات من الأعوام للوصول إليه، وكلمة الوصول إليه كلمة احتمالية لإتمام الحديث، وليس استعمالها من أجل حتمية الوصول، ونحن نقول إن دخل الجَمَلُ في سم الخياط فإننا نصل إلى أقرب نجم لنا، وإذا أردنا أن نصل إلى آخر نجم في السماء الأولى فيجب أن ندخل عشرة آلاف جمل معاً وفي نفس الوقت في سم الخياط «**ثقب الإبرة**».

٣ ـ حدود عيوننا الطبيعية التي وهبها اللّٰه لنا، ترى في السماء لمسافة مليوني سنة ضوئية، فأي نجم تراه أعيننا المجردة في السماء

قد يصل ببعده إلى مليوني سنة ضوئية، ومع ذلك فإن الناظر في السماء يرى أن هناك نجمين يكادان يتلاصقان. يقول علماء الفلك: إن ما بينهما من المسافة ما يزيد عن ألف مليون ك م.

إذاً ما مقدار المسافة بين نجمين نرى أحدهما في أقصى الجنوب والآخر في أقصى الشمال؟

فالأرقام قد لا تسعها الكرة الأرضية طولاً لكتابتها.

فنحن حينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٨]

نحس بأن مداركنا أصبحت قريبة من هذه الآية القرآنية[١].

لأن جيل هذا العصر وعلماءه وباحثيه أصبحوا أقرب فهماً وعلماً لمعنى قوله تعالى، حينما يتحدث عن خلقه للسماوات والأرض بعد أن تهيأت لهم أسباب هذا العلم وهذا الفهم، وأصبح بين أيديهم علم اسمه علم الفلك درسوا فيه ما معنى النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات وحددوا مسارها وأحجامها وأبعادها بعضها عن بعض، وعلموا أن هذا يفوق حد تخيل عقول البشر[٢].

فعلماؤنا السابقون رحمهم اللّه لم تكن لهم هذه المعلومات الدقيقة عن حقيقة السماء ولا عن حقيقة تلك النجوم وأحجامها وأبعادها، لذلك ما استطاعوا الدخول في شرح هذه الآيات بأكثر مما

---

(١) هذه الآية الكريمة رد على ما جاء في الإصحاح الثاني في سفر التكوين للتوراة المحرفة وهي أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام وانتهى من خلقها استراح في اليوم السابع؛ لذلك اتخذه اليهود عيداً لهم فهذه الآية رد على هذا الكفر.

(٢) «التفسير العلمي للآيات الكونية» حنفي أحمد.

عندهم من العلوم أو بما تناولوه عن سلفهم وعن أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

ولا يمكنك أن تسهب في التفصيل والشرح لمعنى أي آية قرآنية كريمة إن لم يكن لديك فكرة عامة عن الموضوع، أو بما يتصل بمعنى الآية من علوم، وهذا أيضاً ينطبق علينا نحن أهلَ هذا الجيل، فكثير من الآيات القرآنية لا نزال غير قادرين على الخوض فيها بإسهاب وتفصيل دقيقين، فربما تكون هذه الآية للجيل الذي يلينا، كقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

[سورة الانشقاق، الآية: ١٩]

فأنا لا أستطيع شرحها وبيانها بأكثر من جملة أو جملتين بما أعطاني اللَّه من علم أو فهم. ولكن قد يأتي باحث بعد مِائة عام وتكون قد ظهرت دلائل هذه الآية وعلمها فيتكلم عنها بصفحات كثيرة وبتفصيل دقيق وفق ما لديه من إثباتات علمية حديثة.

والآن ومن منظور اكتشاف العلم لما في بعض السماء الأولى أدركنا قيمة وعظمة خلق السماوات، وأدركنا ما معنى أن اللَّه خلق السماوات، وأدركنا عظمة هذا الخالق الذي تسجد له عقولنا وأحاسيسنا قبل أجسادنا.

فأنت حينما تدرك بعض حقائق السماء وتعلم أن أحد هذه النجوم التي تسطع في السماء الدنيا، وتظهر لك كعقلة الأصبع ما هي إلا شمس قد يتجاوز حجمها حجم الأرض مليوناً أو مليوني مرة، ولكن البعد الشاسع الذي يفصل ما بيننا وبينها وهو ما لا يقل عن مليوني سنة ضوئية، هو الذي يجعل حجمها متمثلاً للناظر إليها لا يزيد عن حجم إبهام مشع ومضيء في صفحة السماء.

فخلقنا كلمة، والسماوات كلمة، والأرض كلمة، وما بينهما كلمة، ولكن هذه الكلمات الأربع تزن ملايين المليارات من الأطنان من القدرة والعلوم، وذلك حينما أدركنا بعض ما في السماء من علم وقدرة، أدركنا من هو الإله القادر العليم وأدركنا ما معنى قيام الساعة وعظيم أمرها حيث تتشقق السماء وتنكدر النجوم وتتفجر على عظيم حجمها وبعد ما بينها وبعدها عن الأرض التي نعيش عليها، وكذلك ندرك ما معنى قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

وندرك حجم الجنة وسعتها العظيمة التي وُعد المتقون بها[1].

---

(١) كتاب آيات الله في السماء ـ ماهر أحمد الصوفي.

شرار الناس آخر الخلق

قدمت أن قيام الساعة لا يكون إلا على شرار الناس وحثالة البشر، الذين تحولوا إلى عبادة الأوثان وأشركوا باللّٰه وكفروا بأنعمه وآلائه، لا ينهون عن منكر رأوه، يسارعون في معصية اللّٰه، لا يعملون إلا ما يغضب اللّٰه سبحانه، في ارتكابهم للآثام والذنوب في خفة الطير وأحلام السباع.

ومن خلال الأحاديث نتبيَّن أن هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة هم من أسوأ الخلق وأشرهم وأضلهم وأشركهم وأكفرهم عند اللّٰه سبحانه وهم أولى الناس صلياً في جهنم يوم القيامة.

عن النواس بن سمعان رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

« فبينما هم كذلك إذ بعث اللّٰه ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها ـ أي يتسافدون ـ تهارج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة »[(١)]

وهؤلاء الذين وصفهم رسول اللّٰه ﷺ بأنهم من شر الخلق عند اللّٰه سبحانه، وبأنهم أشبه بالأنعام بل أضل سبيلاً، ينعِّمهم اللّٰه سبحانه في حياتهم قبل قيام الساعة ليزدادوا إثماً وبهتاناً ومعصية، فهم في طغيان عظيم رغم إمداد اللّٰه إياهم بالرزق والصحة وحسن العيش.

يقول تعالى: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥]

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤ / ١٨١) ومسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٩٣٧).

والذين قصدهم اللَّه سبحانه في الآية الكريمة التالية هم هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة.

يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

[سورة مريم، الآية: ٧٥]

فهؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة هم الذين يمدُّهم اللَّه بنعمه المتواترة ورزقه دارٌّ عليهم والخير يتدفق بين أيديهم.

يقول تعالى موضحاً أمثال هؤلاء: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤]

وفي حديث لرسول اللَّه ﷺ يبيِّن لنا حالة هؤلاء الناس الذين تحشرهم النار إلى أرض المحشر في بلاد الشام، وكيف أنهم كانوا يعيشون قبل قيام الساعة بنعيم عظيم بعد أن قبض اللَّه سبحانه أرواح المؤمنين جميعاً.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثم يرسل اللَّه ريحاً باردة من قبل الشام ـ يعني قبل قيام الساعة بقليل ـ فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون، فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور»[١] أي تقوم الساعة.

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٢٩٤٠، ورواه أحمد في مسنده رقم (٢ / ١٦٦).

من الواضح من أحاديث رسول اللّه ﷺ صفات من هم الذين تقوم عليهم الساعة، وكيف أن اللّه سبحانه ينعمهم في حياتهم بالنعم العظيمة ويبقى السؤال حول أولئك الذين يقبض اللّه أرواحهم قبل قيام الساعة وهم المؤمنون على اختلاف درجاتهم، حتى إن اللّه سبحانه يقبض روح من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. . . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظيم رحمة اللّه تعالى بالمؤمنين، حتى لو كان في القلب مثقال ذرة من إيمان. . . . ذلك أن اللّه سبحانه أعلم بعظيم أهوال قيام الساعة وعذابها وآلامها. . . كيف لا؟ وكل شيء يدمر حول من تقوم عليهم الساعة: النجوم والكواكب والجبال والبحار والأنهار، وتشتعل النار في البحار وتزلزل الأرض في كل مكان زلزلة عظيمة، هذه المشاهد المرعبة يرحم اللّه من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أن يراها رأي العين، فلا يستحقها إلا من ليس في قلبه أدنى مُسْكة من الإيمان، وقد أشرب قلبه الشرك والمعصية وأضحت عبادة الأوثان والشياطين تجري منه مجرى الدماء من العروق كما قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٩٣]

لماذا حجب اللَّه سبحانه وقت قيام الساعة... حتى عن رسله وأنبيائه، ولا تأتي إلا بغتة؟؟

حجب وإخفاء وقت قيام الساعة عن خلق اللَّه جميعاً من الرحمة الإلٰهية لعباده، وحتى لرسله والملائكة المقربين كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعَزرائيل وغيرهم من حملة العرش من الملائكة العظام.

فجبريل عليه السلام من أقرب الملائكة إلى اللَّه سبحانه، وهو رسوله إلى كل رسله وأنبيائه الذين أرسلهم اللَّه سبحانه، واختصهم بالرسالة والهداية والعلم، وقد وصفه اللَّه سبحانه بالأمانة والقوة والطاعة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١٩ ـ ٢١]

هذه هي الصفة التي وصف اللَّه سبحانه بها جبريل، ومع ذلك حجب اللَّه سبحانه عنه وقت قيام الساعة ودليلنا حديث رسول اللَّه ﷺ الطويل عندما جاءه جبريل بصورة رجل ودخل إليه المسجد وسأله عن الساعة، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **ما المسؤول عنها بأعلم من السائل** ».

[رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

ليست المسألة متعلقة بملك مقرب أو نبي مقرب، فهذا جبريل

أقرب الملائكة وأرفعهم مكانة عند اللَّه تعالى، وهذا رسول اللَّه ﷺ أعلى البشر منزلة عند اللَّه سبحانه، ومع ذلك حجبت عنهما وما ذلك إلا أن حكمة اللَّه سبحانه قضت أن لا يطلع على زمن وقوعها أحد من خلقه لعلم يعلمه وحكمة هو أعلم بمرادها.

ومن وجهة نظرنا نحن كبشر نقول: لو أن اللَّه سبحانه أطلع عليها جبريل وأسرها له لما باح بها ومع ذلك أخفيت عنه.... إذاً هناك حكمة عليا.... فجبريل والملائكة والإنس والجن كلهم عباد اللَّه وخلق اللَّه سبحانه، وحكمة اللَّه في خلقه تجري وتسري على جميع الخلق وما يصيب البشر عند قيام الساعة يصيب جميع خلق اللَّه تعالى وجميع خلقه يموتون لم يستثن اللَّه سبحانه أحداً منهم.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

فالباقي هو اللَّه سبحانه ولا أحد سواه، فإذا علم جبريل والملائكة المقربون موعد الساعة فمعنى ذلك أنهم علموا وقت موتهم، والموت سر من أسرار اللَّه سبحانه لم يطلع عليه أحداً من خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٣٤]

هل أخفى اللَّه سبحانه عنا... قيام الساعة مطلقاً؟؟

اللَّه سبحانه لم يخف عنا قيام الساعة مطلقاً، وذلك مما قدَّمنا في الجزء الأول والثاني من الموسوعة عندما كنا نتكلم عن علامات الساعة الصغرى والوسطى والكبرى.

فلو أخفي عنا قيام الساعة مطلقاً لما جعل اللَّه تعالى ورسوله ﷺ لها علامات وأشراطاً، ليتهيَّأ الناس لها ويستعدوا بالطاعة والعبادة ومرضاة اللَّه سبحانه... فعلامات الساعة رحمة من اللَّه للناس وإخفاء قيامها رحمة من اللَّه للناس ففي كليهما رحمة منه سبحانه وتعالى.

فلو لم يكن لها علامات لضاع الناس في زحمة الأيام والليالي الطوال، ولكن في كل جيل من أجيال المسلمين تظهر علامات حددها اللَّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ، فيدرك الناس صحة تلك العلامات ويدركون باليقين أن ما بقي من العلامات قادم، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.. وكذلك فإن كل جيل يدرك أن ما بقي من الزمن لقيام الساعة أقل من الزمن الذي بقي لدى الجيل قبله.

... ونحن في زمننا هذا أدركنا أن الوقت لقيام الساعة أصبح قريباً بما لدينا من علامات لها ظهرت ومن علامات تظهر الآن، وفي حياتنا.

فاليوم نشاهد بأعيننا علاماتٍ متكاثرةً... فتزيين المساجد

وزخرفها وتشييد العمارات الشاهقة الارتفاع وظهور القينات والمعازف واضح جلي لكل ذي عينين، واجتماع اليهود في فلسطين شرط جلي لظهور الدجال وغيرها من العلامات التي تحدث عنها رسول اللّه ﷺ.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾.

[سورة طه، الآيتان: ١٥، ١٦]

ولقد ناقشنا في الجزء الأول من الموسوعة الذي يتحدث عن علامات الساعة الصغرى والوسطى مسألة قرب وبعد قيام الساعة، وقدَّمنا بالدرس والتحليل ما موجزه: أن الساعة قريب من مفهوم الآيات القرآنية التي يتحدث اللّه سبحانه فيها عن قيام الساعة، وكذلك الأحاديث الشريفة، وأنْ نستبعد من أذهاننا فكرة الزمن الطويل والذي يمتد عشرات الآلاف من السنين أو مئات الآلاف من السنين، وقد بيَّنَّا في الأحاديث الشريفة والدلائل العلمية أن زمن وقوع الساعة ليس بعيداً ولا يمتد إلى سنوات طويلة.

... وكل هذا تؤكده الآيات القرآنية الكريمة:

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٧]

ويقول تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآيتان ٥٠، ٥١]

ويقول أيضاً: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾.

[سورة الجن، الآية: ٢٥]

ويقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٣]

ولعل الآية في سورة المعارج هي من أوضح الأمور بأن الساعة أو القيامة قريب زمنها وليس بعيداً.

يقول تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ٥ ـ ٧]

كل هذه الآيات الكريمة تبيِّن أن موعد قيام الساعة قريب وربما أقرب مما نتصور في علم اللَّه سبحانه.

. . . فتحديد الوقت المعلوم للساعة، أو أنها تقوم في سنة كذا أو في أوائل القرن كذا أو بعد قرنين أو ثلاثة أو خمسة، فهذا كله مما لا يصح لأن اللَّه سبحانه أخفي عنا تحديد ميعادها ووقتها وسنتها وشهرها ويومها ـ وكل ما أعطانا إشارة من بعض علم أنها قريب، وأن لها أشراطاً لا تحدث ولا تقع من دونها، ومن ظهور أشراطها المستمر نتأكد أننا منها جِدُّ قريب.

وما قدَّمه رسول اللَّه ﷺ أن الساعة تقوم في يوم جمعة ولكن أي يوم جمعة؟

فهي في علم اللَّه سبحانه، وما ذلك إلا لبيان عظيم يوم الجمعة عند اللَّه سبحانه، والذي خصَّه بسورة في القرآن الكريم، والذي جعل فيه أجراً عظيماً للطائعين العابدين الساجدين، وجعل في صلاة الجمعة وحضور خطبتها أجراً مضاعفاً وكرماً عظيماً منه سبحانه. يقول رسول اللَّه ﷺ.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»(١).

- عن أوس بن أوس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»(٢). ولما كانت الساعة تقع في يوم الجمعة فإن كل المخلوقات ما عدا الإنس والجن تنتظر الساعة في كل يوم جمعة. عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه هبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة، ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الإنس والجن»**(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ـ مشكاة المصابيح رقم الحديث ١٣٥٦.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجهْ ـ مشكاة المصابيح رقم الحديث (١٣٦١).

(٣) رواه الترمذي وأحمد والنسائي والإمام مالك انظر مشكاة المصابيح رقم الحديث (١٣٥٩).

كيف تقوم الساعة؟؟

قيام الساعة هو الأمر من اللّٰه سبحانه ببدء يوم القيامة. . . ولكن قيام الساعة شيء ويوم القيامة شيء آخر.

قيام الساعة هو البداية التي تغير معالم الكون وتنهي الحياة الدنيا بكل أشكالها وصورها.

. . . إنه أمر عظيم. . إن أمر تفجير السماوات وانشقاقها، وانكدار النجوم العظام والتي تبلغ بالمليارات، وإنهاء ما يسمى بالمجرات والعناقيد المجرية، وزوال نور الأقمار في كل أنحاء السماء وتحويلها إلى ظلام دامس لا أثر فيها للحياة وللزينة. . عندها تنتهي زينة السماء بالكواكب وزينة السماء بالمصابيح، تطفأ الأنوار ويعيش الكون ظلامه السرمدي. . مهمة الكواكب تنتهي ومهمة النجوم تنتهي، مَهمتها كزينة ومهمتها كمصابيح مضيئة.

يقول تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١٢]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٦]

وكما تنتهي مهمة السماء ببروجها ومجراتها وكواكبها وساكنيها في لحظة قيام الساعة، كذلك تنتهي مهمة الخلائق جميعاً على الأرض من إنس وجن وحيوان، ففترة الامتحان والابتلاء والخلافة قد انتهت،

وجاء دور آخر وحياة أخرى وبعث آخر، بعد أن أمهل اللّه سبحانه خلقه إلى يوم الوقت المعلوم بعد خلافة في الأرض طويلة، كان اللَّه ينظر فيها إلى أعمالهم وأقوالهم وقلوبهم.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٤]

لقد جاءت الساعة وجاء الوعد الحق الذي أقسم اللّه سبحانه عليه في أكثر من آية قرآنية كريمة.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

على من تقوم الساعة؟؟

تقوم الساعة على أولئك الخلق الذين وصفهم رسول اللَّه ﷺ أنهم أشر الخلق على وجه الأرض، وقد تقدَّم معنا في الأحاديث الشريفة أن اللَّه سبحانه يخرج من قعر عدن ناراً تحشر الناس إلى أرض المحشر (بلاد الشام)، وكذلك تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأظن كذلك أنها تحشر كل الخلق الموجودين على قَيد الحياة في كامل أنحاء الأرض، دون اطلاع ومعرفة حقيقة البشر الذين هم على قيد الحياة في لحظة قيام الساعة، وهل هم في كامل الأرض كما هي الحال اليوم، أم في جزء منها لأن الأحاديث الشريفة لم تشر إلى هذا الأمر ولكنها أشارت إلى أن ناراً ستخرج من اليمن (عدن) فمن قوتها وشديد لهيبها تجبر الناس على الهرب باتجاه بلاد الشام لأن مسير النار إلى بلاد الشام ثم تتوسع النار فتحشر الناس من مشرق الأرض إلى مغربها أي إلى بلاد الشام. فأرض الشام المباركة، والتي بارك فيها رسول اللَّه ﷺ هي أرض المحشر والمنشر التي أرادها اللَّه سبحانه في علمه.

يجمع اللَّه سبحانه كل الخلق الذين ستقوم عليهم الساعة جزاء وِفاقاً لكفرهم وشركهم وعبادتهم للأوثان. . . ولقد تقدم الحديث الشريف الذي يبيِّن فيه ﷺ طريقة حشر ما بقي من البشر بعد أن قبض اللَّه أرواح المؤمنين وأرواح من كان في قلبه ذرة من الإيمان.

. . . فإذا ما اكتمل الحشر لا ندري كم يمكث الناس في أرض

المحشر والمنشر في بلاد الشام حتى تقوم عليهم الساعة. . . ولكن من الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ نتبيَّن أن هناك معيشة لهؤلاء القوم المشركين بعد أن تحشرهم النار وتجمعهم في بلاد الشام، ولكن وقت هذه المعيشة وزمنها غير معروف، لأن هذا من علم الغيب الذي لم يتحدث به اللَّه تعالى ورسوله الكريم ﷺ، فلا يستطيع أحد من البشر مهما أوتِي من العلم أن يتدخل في مثل هذه الأمور أو يبدي فيها رأياً أو يحدد لها وقتاً، ومما يدلّ على معيشتهم لمدة بعد حشرهم ما قاله تعالى في سورة يس.

يقول تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠]

ومعنى الآيات الكريمة:

يقول الكفار للمؤمنين استهزاءً وتهكماً متى يقع هذا الأمر الموعود به وهو الساعة والبعث من القبور إن كنتم صادقين في دعواكم؟ ـ فيأتي الجواب من اللَّه سبحانه: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة (صوتا شديد الإرهاب مهلكاً) وهي نفخة إسرافيل الأولى في الصور، والتي يموت منها الخلائق جميعاً، وتقضي عليهم بسرعة وهم يختصمون في البيع والشراء وأمور الدنيا، فلا يستطيع بعضهم الإيصاء لبعض فيما له وما عليه ولا يعودون إلى أهليهم ومنازلهم من مشاغلهم لموتهم فيها.

ويقول رسول اللَّه ﷺ في هذا الخصوص وعن سرعة موت العباد وهلاكهم حينما تقوم الساعة.

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يلوط حوضه، فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها[1].

(١) رواه البخاري كتاب الفتن انظر فتح الباري (١٣ / ٨٢).

الفصل الثاني

- الأمر بقيام الساعة والنفخ في الصور.
- من هم الذين استثناهم . . اللَّه سبحانه . . . فلا يصعقون عند النفخ في الصُّور؟؟
- حال الناس عند نفخة الصعق.
- ما معنى أن الساعة ثقلت في السماوات والأرض؟؟
- ما معنى أن الساعة لا تأتي إلا بغتة مع أن لها أشراطاً وعلاماتٍ؟؟
- حال الأرض والجبال والبحار . . وقت قيام الساعة كما جاء في القرآن الكريم.
- حال الأرض وقت قيام الساعة.
- حال الجبال عند قيام الساعة.
- حال البحار عند قيام الساعة.
- إشعال البحار بالنار عند قيام الساعة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.
- التفسير العلمي الحديث للآية الكريمة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾.
- تفجير البحار عند قيام الساعة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾.
- التفسير العلمي الحديث للآية الكريمة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾.
- حال السماوات عند قيام الساعة.
- آيات انشقاق السماوات وانفطارها عند قيام الساعة.
- بيان وتفسير آيات انشقاق السماء وانفطارها عند قيام الساعة.

الأمر بقيام الساعة والنفخ في الصور

إذا جاء الأمر بقيام الساعة فمعنى ذلك أن اللَّه سبحانه وفَّى وحقَّق كل ما كان وعد به وصدّق رسوله بكل ما أخبر عنه قبل قيام الساعة، فإذا تحقق الوعد من اللَّه ورسوله ﷺ أمر اللَّه سبحانه إسرافيل بالنفخ في الصور إيذاناً بقيام الساعة، وهي اللحظة الحاسمة ويا لها من لحظة! لحظة البداية التي تشيب لها الولدان وتضع الحامل حملها، وترمي المرضع وليدها، وترى الناس يتخبطون تخبط السكارى الذين فقدوا وعيهم واتزانهم وحتى عقولهم.

يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

هذه هي البداية فما هو الصور؟ ومن الذي ينفخ في الصور؟

الصور: في لغة العرب القَرْن وفسره بعضهم (بالبوق)، وقد سئل رسول اللَّه ﷺ عن الصور ففسره لهم بما تعرفه العرب من كلامها.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «**الصور قرن ينفخ فيه**»[١].

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن حبان وأحمد والحاكم ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١٠٨٠).

. . . وقد جاءت بعض التفسيرات حول معنى (الصور) لا أرى داعياً لذكرها ومنها على سبيل الذكر أن المقصود بالنفخ في الصُّور أي النفخ في الأبدان وليس في الصور الذي هو البوق. . . وقد رُدَّت هذه الآراء لأنها خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، وما عليه أهل السنة والجماعة (أن الصور بوق ينفخ فيه).

وما ذكره أيضاً بعضهم بأن الصور ياقوتة أو من نور فلا نعلم أن هناك حديثاً شريفاً صحيحاً يصف الصور بهذه الصفات.

ولكن السؤال يبقى ما الصور؟ وما صفاته؟ وكم يبلغ حجمه؟

الصُّور: هو بوق مكلف به إسرافيل عليه السلام، لا يعلم قدر حجمه إلا اللَّه سبحانه وتعالى. . فإذا نفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر من اللَّه سبحانه صَعِقَ من في السماوات ومن في الأرض أي مات كل أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء اللَّه أي من استثني منهم من الموت. . ولم يحدد لنا رسول اللَّه ﷺ قدر سعته وحجمه ودائرته. . . ولكن يروى أن دائرته سعة السماوات والأرض. . . هذه رواية عن سعته. . . ولكن ما رأيك ببوق إذا نفخ فيه صعق ومات أهل السماوات السبع والأرض إلا من شاء اللَّه. . . ولقد قدَّمت من قبل عن معنى السماوات السبع ومقدار سعتها، وآلاف المليارات من المجرات والشموس التي تحويها السماء الدنيا فحسب ولا ندري ما في السماء الثانية والثالثة إلى السابعة؟ هذه السماوات بهذا الحجم الهائل والذي لا يمكن أن تسعه عقولنا، يصعق من فيها إذا سمعوا نفخة الصعق من هذا البوق. . . ومهما شططنا في تقدير حجمه وسعته وقطر دائرته فلا أتصور أن نصل إلى رقْم، والتقدير يعود إلى علم اللَّه سبحانه، وهذا لا ينافي الرواية بأن سعته سعة السماوات والأرض واللَّه أعلم.

الصور وإسرافيل عليه السلام:

عُرف أن صاحب الصور والنافخ فيه (إسرافيل) عليه السلام، وهذا ما قاله ابن حجر العسقلاني: « **اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، ونقل فيه الحليمي الإجماع، وكذلك في حديث وهب بن منبه وقع التصريح به.. وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي، وكذلك في حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عند الديلمي** ».

... وإسرافيل ملك من ملائكة اللَّه تعالى المقربين والعظام مع جبريل وميكائيل وعزرائيل وحملة العرش، ولبيان عظيم خلقه إسرافيل الذي يلتقم الصور فيمسك به ويضعه على فيه، نورد حديثاً صحيحاً عن رسول اللَّه ﷺ يصف فيه أحد الملائكة من حملة العرش!!

ـ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللَّه تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام** ».

[رواه أبو داود رقم الحديث ٤٧٢٧]

فتصور حجم الصُّور وعظيم خلقه النافخ فيه إسرافيل عليه السلام بعد الحديث عن أحد ملائكة اللَّه تعالى من حملة العرش.

... وقد أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أن إسرافيل عليه السلام صاحب الصُّور مستعد كما أمره اللَّه تعالى للنفخ في الصُّور.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **إنَّ طرْف صاحب الصُّور** (أي إسرافيل) **منذ وكل به مستعد ينظر حول العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتدَّ إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان** »(١).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١٠٧٨).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كيف أنعَم؟ وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ**». قال الصحابة: كيف نقول يا رسول اللَّه؟ قال: «**قولوا: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل توكلنا على ربنا**»[١].

كم مرة ينفخ في الصور لقيام الساعة؟؟

ينفخ في الصُّور مرتين: مرة لقيام الساعة ومرة لقيام الناس من قبورهم (البعث) لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

ولقد ذهب بعض أهل العلم أمثال ابن تيمية وابن العربي وابن كثير إلى أنها ثلاث نَفخات وهي نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وحجة القائلين بأنها ثلاث نفخات:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٧]

ولكن نقول: إن الأحاديث الشريفة جاءت صريحة بأنهما نفختان واحدة للصعق وقيام الساعة والثانية للبعث ـ بعث الناس من قبورهم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ما بين النفختين أربعون**»[٢].

---

(١) رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية وابن حبان والحاكم ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (١٠٧٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ـ عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول:

« يوم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل اللّه ـ أو قال مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون »(١).

ـ عن أوس بن أوس الثقفي رضي اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ أنه قال:

« أفضل أيامكم الجمعة فيه الصعقة وفيه النفخة »(٢).

من الأحاديث الشريفة ندرك أن هناك نفختين: نفخة الصعق (الموت) ونفخة القيام (البعث) وفي هذا قال ابن حجر العسقلاني والقرطبي وغيرهما:

. . . وعلى اعتبار أنها ثلاث نفخات كما قال بعض العلماء نفخة الفزع ونفخة الصعق (الموت) ونفخة القيام (البعث)، فالأولى هي للفزع، وأما التي تميت الأحياء جميعاً فهي نفخة الصعق، والتي تعيدهم أحياء هي نفخة البعث. قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فهما نفختان كما ورد في الآية القرآنية الكريمة.

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث (٢٩٤٠).

(٢) رواه النسائي وأبو داود وأحمد وابن حبان والحاكم ـ فتح الباري (١١ / ٣٧٠).

من هم الذين استثناهم اللَّه سبحانه... فلا يصعقون عند النفخ في الصُّور؟؟

يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فمن هؤلاء الذين استثنى اللَّه سبحانه من الموت عند النفخة؟؟

لقد اختلف العلماء في هذا الاستثناء، وتعددت أقوالهم وآراؤهم، فمن قائل: إنهم الحور العين والغلمان، ومن قائل: إنهم جميع الملائكة، ومن قائل: إنهم الملائكة المقربون، فلنستعرض أقوال العلماء في هذا الخصوص:

١ ـ ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه إلى أن المراد بهم الذين في الجنة من الحور العين والولدان، وأضاف بعض تلاميذه خازن الجنة رضوان وخازن النار مالك.

٢ ـ يقول ابن تيمية رحمه اللَّه: «**وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، فإن الجنة ليس فيها موت**».

٣ ـ وقال مقاتل وغيره من العلماء: إنهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأضاف غيرهم: حملة العرش.

٤ ـ وفي رأي مغاير تماماً لأبي العباس القرطبى أن المراد بهم الأموات كلهم، لكونهم لا إحساس لهم فلا يصعقون.

ولقد عقد ابن القيم في كتابه (الروح) فصلاً بيَّن فيه أن أهل العلم قد اختلفوا في موت الأرواح ومن هم المستثنون من الموت عند النفخ في الصُّور.

. . . اللَّه سبحانه لم يخبر في كتابه من هؤلاء الذين يستثنيهم من الموت عند نفخة الصعق وكذلك لم يخبرنا النبي ﷺ من هم. ربما لم يوح إليه في أمرهم شيء، ودليل ذلك حديث البخاري عن رسول اللَّه ﷺ في هذا الخصوص.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش ـ جالس ـ بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى اللَّه**»(١).

والحديث الشريف يدل على أن رسول اللَّه ﷺ لم يعط هذا الغيب وإلا دلنا على من استثنى اللَّه سبحانه من الموت عند الصعقة الأولى، ولهذا كان هناك اختلاف في الرأي بين العلماء والفقهاء حول المستثنين من الموت.

. . . وفي رَأي آخر: إنهم الشهداء والأنبياء حيث يصعقون صعق غشية وليس صعق موت، وذهب هذا المذهب البيهقي حيث يقول: «**ووجهه عندي أنهم أحياء عند ربهم ـ الأنبياء ـ كالشهداء فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار**».

. . . وفي رأي جميل معقول للحليمي نقله عنه القرطبي حيث إنه أبي أن يكون المستثنون من الموت في النفخة الأولى حملة العرش

(١) صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء فتح الباري: (٦ / ٤٤١).

أو جبريل أو ميكائيل وعزرائيل أو الولدان أو الحور العين في الجنة.

ولقد بيَّن سبب إنكاره وهو أن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فالصعق في الآية لسكان السماوات والأرض، ولكن كل أولئك: (حملة العرش والملائكة المقربون والحور والغلمان) ليسوا من سكان السماوات ولا الأرض، فالعرش فوق السماوات وكذلك الجنة فهم بمعزل عمن خلق اللَّه للموت من سكان السماوات والأرض... وهذا رأي حسن وفيه دراية وتحليل ممتازان، وفي آخر القول نقول:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأولى بالمسلم التوقف في تعيين الذين استثناهم اللَّه سبحانه لأنه لم يصح في ذلك نص يدل على المراد.

وقال القرطبي: « **قال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، وكله محتمل**»[(١)].

وفي رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية يقول فيه: « **فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من (استثنى اللَّه)، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك لم يخبر اللَّه به وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر**»، واللَّه أعلم[(٢)]

(١) التذكرة للقرطبي صفحة ١٦٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٢٦١).

حال الناس عند نفخة الصعق!!

حال الناس الذين تقام عليهم الساعة ويصعقون من نفخة الصور الأولى، قد وصفها اللَّه لنا في القرآن الكريم، وهو خير وصف من حكيم عليم خلق فسوى وقدر فهدى ويعلم السر وأخفي، بيده علم الماضي والحاضر والمستقبل، وهو أعلم سبحانه بما يكون عليه الناس عند النفخ في الصور والإذن بقيام الساعة.

يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١، ٢]

الخطاب في الآية القرآنية جاء في عمومه للناس، وليس بخصوصه للمؤمنين، لأن الإنذار والتنبيه عن الزلزلة وقيام الساعة يشمل خلق اللَّه سبحانه جميعاً الكافر منهم والمؤمن والطائع والعاصي، مع العلم أن من تقوم عليهم الساعة هم من الناس المشركين الكافرين الضالين وليسوا من المؤمنين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ ﴾ وحق له التقوى اتقوه وخافوه فإنكم لا تعلمون عن قيام الساعة ـ والتي هي المصير الحتمي لجنس البشر على الأرض ـ شيئاً وما يحدث فيها وما هو كائن وحاصل... إن ما هو كائن وحاصل يفوق حدَّ تخيلكم وتصوركم... إن الزلزلة التي ستحدث وقت قيام الساعة حيث تنفجر الأرض وتخرج أثقالها من الداخل من الحمم

والبراكين والصخور الملتهبة وتطير الجبال بعد أن تتفجَّر وتصبح عهناً منفوشاً يتطاير في الهواء، والسماوات فوقكم تتشقق وتبدو لكم كوردة من دهان حمراء قانية ـ فإذا ما رأيتم هذه الزلزلة ـ ترمي الأم وليدها ـ وليس على الأم أحب إلى قلبها وأقرب من وليدها، فترميه هاربة مطلقة ساقيها للريح هرباً وفزعاً، هذا ما تفعله بوليدها فكيف تفعل بباقي الناس؟. ومن شدة الفزع الذي يقصم الظهور ويجعل القلوب في الحناجر، تضع كل امرأه حامل ما حملت في بطنها لا تلوي على شيء هاربة إلى أين؟ لا تعلم... يا أيها الناس... وإذا نظرتم إلى الناس يومئذ يوم قيام الساعة والنفخ في الصور، وجدتموهم كالسكارى يتأرجحون يميناً وشمالاً وهم في حالة هروب وسكر يتخبطون في طريقهم لا يدرون إلى أين يذهبون، ومن شدة الفزع لا تستقيم مشيتهم ولا تحملهم أرجلهم ولا تساعدهم أقدامهم، يركضون فيقعون ثم يقفون ثم يمشون ثم يركضون لا يلوون على شيء وكأنهم في حالة سكر شديدة ـ ولكن يا أيها الناس هؤلاء ليسوا بحالة سكر وإنما هذا عذاب اللَّه تعالى.

ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۞ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠]

تدل الآيات الكريمات من سورة يس: أن الناس عند قيام الساعة يكونون في حالة اجتماعية لا بأس بها حيث هم في حالة بيع وشراء وتخاصم تجاري ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يتخاصمون في البيع والشراء، وتدل أيضاً على أن الناس يكونون كما في كل يوم اعتيادي فيه حياة وحركة وعمل وهم موزعون ما بين الطرقات والأسواق والبيوت... فإذا قامت الساعة بغتة عليهم، فلا يستطيع أي منهم أن يغلق محله

التجاري ثم يعود إلى أهله ومنزله، وكذلك أهله لا يستطيعون أن يأتوا إليه، كل في مكانه يفزع ويصعق بعد أن يرفع رأسه ويمد عنقه للحظة واحدة ليستطلع هذا الصوت الهائل (الصيحة)، أي نفخة البعث التي تأخذه وتأخذ كل من حوله من الكافرين والضالين.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يلوط حوضه، فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»[1].

... ويبقى السؤال؟ - تقول الآيات الكريمات من سورة يس: إنه في لحظة قيام الساعة يكون الناس في حالة بيع وشراء وتخاصم أي أن هناك حياةً اعتيادية، فحركة البيع والشراء والأسواق تدل على هذه الحياة الاعتيادية والطبيعية، فكيف يكون هذا ورسول اللَّه ﷺ يقول وفي حديث قدّمناه: عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ستخرج نار من أرض عدن قبل القيامة. قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللَّه؟ قال: عليكم بالشام»**.

[رواه الترمذي برقم ٢٢١٧]

في هذه الحالة يكون هناك احتمالان لا ثالث لهما:

الاحتمال الأول: وهو الذي قدمنا عنه، وهو أنه لما يكتمل حشر الناس إلى أرض المحشر (بلاد الشام) بواسطة النار التي يرسلها اللَّه سبحانه من اليمن، وتحديداً من قعر عدن والتي تسوق الناس إلى

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن فتح الباري (١٣ / ٨٢).

محشرهم، فإذا وصلوا بلاد الشام والنار من حولهم، تستقر بهم الأحوال فترة من الزمن لا ندري كم هي؟ يستقرون في بيوت ويتبايعون ويشترون لتحقيق مطالب حياتهم.. ثم تأتيهم الساعة بغتة كما في الآيات من سورة يس تأتيهم وهم يتخاصمون في الأسواق فلا يستطيعون فعل شيء ولا يستطيعون إغلاق محالهم والعودة إلى بيوتهم ورؤية أهليهم وزوجاتهم وأولادهم.

الاحتمال الثاني: كما ذكر ابن كثير في تفسيره وأيده فيه شيخ الإسلام ابن تيمية(١) وكذلك السفاريني(٢) وابن العربي الفقيه المالكي. يقول ابن كثير في تفسيره(٣) في قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة (الفزع).

لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٧]

يقول ابن كثير في تفسيره: ينفخ في الصُّور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر اللّه عز وجل إسرافيل أن ينفخ نفخة (يطولها). فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً وهي صفحة العنق يتسمع من قبل السماء، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٢٦٠).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢ / ١٦١).
(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ١٦٥ جزء ٣.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي على ما يملكونه فالأمر أهم من ذلك ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ . . .﴾ ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي يموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث والله أعلم.

ما معنى أن الساعة ثقلت في السموات والأرض؟؟

يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٨٧]

﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ القول بأن تفسيرها يحتمل أكثر من معنى، لأن كلمة (ثقلت) المراد منها بالنسبة إلينا نحن البشرَ أمر صعب، لأنه حتماً هو فوق قدرة تحمل عقولنا، ذلك أن مجاهل السماوات تخفى عنا، وسَعة السماوات وما فيها من علم اللّه وقدرته فقط. وقد قدَّمت معاني السماء وما فيها من المجرات والعناقيد المجرية، وبما أن كل هذا سيكور وينفجر فليس الأمر هيناً.. لذلك فالأمر ثقيل وثقيل جداً على ساكني السماوات وساكني الأرض، وثقيل أيضاً على ما خلق اللّه من النجوم والكواكب مع عظيم خلقها وسعة أماكنها.. هذه الشموس الهائلة التي تتوقد بالنار والتي يبلغ حجم إحداها حجم الأرض ملايين المرات، ستكور وتنكمش وتذهب نارها وتلف وتصبح أخيراً في قبضة الرحمن، والمعنى المراد أيها البشر إن الساعة وقيامها أمر عظيم وهي ثقيلة ليس عليكم فحسب وإنما ثقيلة حتى على السماوات كلها وساكنيها.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا

* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾.

[سورة المزمل، الآيات: ١ ـ ٦]

ومعنى ﴿ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ كما في التفسير عند ابن كثير عن الحسن وقتادة أي ثقيل وقت نزوله من عظمته.. وعلى هذا نقول: إن الساعة ثقلت في السماوات من عظيم أمرها وما يكون فيها من أحداث جسام عظام.

ولنقرأ ما قاله الصحابة في قوله تعالى: ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

قال قتادة: ثقل علمها على أهل السماوات والأرض.

قال الحسن: إذا جاءت ثقلت على أهل السماوات والأرض، يقول: كبرت عليهم.

قال ابن عباس[(١)]: ليس من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة.

قال ابن جريج: إذا جاء انشقت السماء وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وكان ما قاله تعالى فذلك ثقلها.

قال ابن جرير: إن المراد ثقل علم وقتها على أهل السماوات والأرض كما قال قتادة كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ ولا ينفي ذلك ثقلُ مجيئها على أهل السماوات والأرض.

قال السُّدي: خفيت في السماوات والأرض فلا يعلم قيامها حيث تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾.

(١) انظر تفسير ابن كثير ـ مختصر ابن كثير صفحة ٧٠ مجلد ١.

ما معنى أن الساعة لا تأتي إلا بغتة مع أنَّ لها أشراطاً وعلامات؟؟

بغتة: فجأة، ويقول باغتُّه: أي فاجأته.

وعند الحديث في القرآن الكريم عن قيام الساعة، جاءت كلمة ﴿بَغْتَةً﴾ (١٣) ثلاث عشرة مرة مما يدل على أهمية المراد وبأن الساعة لا تأتي إلا بغتة.

إذاً الساعة لا تأتي إلا بغتة مع أن لها أشراطاً وعلامات صغرى ووسطى وكبرى، وهذه العلامات أتت على طول التاريخ الإسلامي منذ بعثة رسول اللَّه ﷺ، ولا تزال تأتي في زماننا، وما بقي منها سيأتي فيما بعد، والعلامات الكبرى لقيام الساعة تأتي قبل قيامها بقليل... إذاً هناك علامات فكيف تأتي بغتة؟

والجواب على محورين:

المحور الأول: لا يعني قيام الساعة بغتة أن لا يكون لها أشراطٌ، ومهمة الأشراط التي قدمناها في الجزء الأول والثاني من الموسوعة أن تقربها إلى أذهان الناس، ليعلموا أن الساعة ونهاية الدنيا أصبحت قريبة فلا تمتدّ مدتها في أذهانهم إلى عشرات الآلاف من السنين، ويكفي في تقريب الساعة إلى أذهان الناس: أن رسول اللَّه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، أنه بعث في نفس الساعة كما أشار في الحديث الشريف إلى أصبعيه السبابة والوسطى لتقاربهما، وهذا ما

قدَّمناه عند الحديث عن أشراط الساعة. . . ومع ذلك ومهما علمنا وشاهدنا من أشراطها حتى يومنا هذا فإنها تبقى في أذهاننا أنها تأتي بغتة، طالما أننا لا نعرف القرن الذي ستكون فيه ولا السنة ولا الشهر ولا اليوم ولا الساعة ولا الدقيقة، لأن لقيام الساعة أخيراً ساعة تقوم بها وإذناً من اللَّه سبحانه في النفخ في الصُّور.

المحور الثاني: إن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس بعد أن يرسل اللَّه ريحاً طيبة باردة من قبل الشام تقبض روح كل مؤمن ولو كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وحتى لو دخل أحدهم في كبد جبل دخلت وراءه وقبضته، وفي هذا يقول رسول اللَّه ﷺ.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة**»(١).

يقول تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾.

[سورة يوسف، الآية: ١٠٧]

ويقول تعالى: ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٠]

ويقول أيضاً: ﴿وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٣]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن، باب ذكر الدجال رقم الحديث ٢٩٣٧.

وقال سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.
[سورة الزخرف، الآية: ٦٦]

ولكن ما معنى قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «**ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة**»؟

المراد (بتهارج الحمر) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك.

ـ عن مرداس الأسلمي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير، أو التمر، لا يباليهم اللَّه بالة**»[1] ـ وفي رواية (حفالة كحفالة الشعير).

... هؤلاء هم الذين تقوم عليهم الساعة بغتة فتبهتهم، لأنهم لا يعرفون عنها شيئاً ولم يسمعوا بها، وإن سمع بعضهم فهو غير مكترث وغير مؤمن بها، حثالة من الناس الفجرة الكفرة تبغتهم الساعة وهم في ضلال مطلق.

هذا ونقول: أما الذين كانوا في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ورأوا آيات اللَّه منها المهدي ـ ونزول عيسى ـ وخروج الدجال وبعدها يأجوج ومأجوج، وهذه العصابة التي هي مع عيسى ابن مريم في ذلك الوقت كما قدَّمت من حديث فقد أحرزهم اللَّه من النار لتقواهم وإيمانهم وحسن أخلاقهم... ألا ترى أن هؤلاء الذين شاهدوا الآيات الكبرى علموا أن الساعة قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى، أو أنها أصبحت على الباب ولا تحتاج إلى مسك

(١) رواه البخاري ـ النهاية لابن كثير (١ / ١٦٨).

المقبض وفتح الباب، وهؤلاء أيضاً لا يعلمون توقيتها على وجه التحديد، وإن علموا من أشراطها شيئاً، وهذا هو السر الذي يبقى في العباد جميعاً، حتى أولئك الذين شاهدوا أكبر علاماتها، وأما من تقوم عليهم الساعة كما قدَّمت فهؤلاء تأتيهم بغتة أولاً وتبهتهم بغتة لأنهم لا يعلمون عن علاماتها شيئاً وما سمعوا بالساعة ولا يملكون أقلَّ علم عنها، وكيف يعلمون وهم كما وصفهم رسول اللَّه ﷺ بأنهم حثالة كحثالة الشعير، وتبهتهم أيضاً لأنهم لا ينتظرون مثل هذا أبداً، واللَّه أعلم.

حال الأرض والجبال والبحار وقت قيام الساعة... كما جاء في القرآن الكريم

كثيرة هي الآيات الكريمة التي فصَّلت حال الأرض التي نعيش عليها وقت قيام الساعة، وجميعها تبيِّن عظيم الهول والخراب والدمار الذي يحل بأرضها ـ وجبالها ـ وبحارها ـ وأنهارها ـ وصحرائها ـ ووديانها وما بقي من آثار حياة آدمية يومئذ على ظهرها من بناء ومساكن وحدائق وطرق وجسور.

وقبل كل شيء فقد بيَّن اللَّه سبحانه أنه جعل ما على الأرض من زينة وخيرات ورزق، ليبتلي عباده ويمتحنهم، فإذا جاء وعد الآخرة ووقت قيام الساعة، فإن اللَّه سبحانه يعيد ما استخلفنا فيه إليه ويعود الإرث لصاحبه الذي وضعه أمانة بين أيدينا ومن ثم يجعل ما عليها من جبال وبحار وأنهار صعيداً جرزاً.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٧، ٨]

صعيداً جرزاً: تراباً أجرد لا نبات فيه، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٤٠]

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٢٣]

ويقول أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

١

حال الأرض وقت قيام الساعة

تفقد الأرض يوم القيامة مقومات بقائها وجمالها ووجودها، بما يحدث فيها من خراب وتشقق وذهاب لكل أثر من حياة، فلا يبقى فيها زرع ولا بهيمة ولا حدائق ولا ماء ولا أنهار ولا بحار ولا جبال، والتي تشكل مجتمعة سر جمال الأرض وسبب تمكينها وثباتها وعدم مَيَلانها وميدها.. فالأرض كل متكامل ويوم تقوم الساعة ينفي اللَّه سبحانه عنها سر بقائها وجمالها، لأن دورها الذي رسمه اللَّه لها قد توقف من حملها لابن آدم على ظهرها طوال هذه الفترة وهو يمتحن عليها.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيات: ١ ـ ٤]

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ .

[سورة الحاقة، الآيات: ١٣ ـ ١٥]

ويقول أيضاً: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ ﴾ .

[سورة المزمل، الآية: ١٤]

ويقول عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ .

[سورة الفجر، الآية: ٢١]

ويقول سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

[سورة الزلزلة، الآيات: ١ ـ ٥]

كل هذه الآيات الكريمات لقيام الساعة، وحال الأرض التي نعيش عليها وقت قيامها... وكلها تقول واللَّه القائل الخبير بملكه وبالأرض وما على سطحها وما في باطنها وأعماق أعماقها يخبرنا عن نهايتها ولفظها ما في باطنها.

... وإذا عدنا قليلاً إلى علماء الجيولوجيا أو علم الجيولوجيا فكلاهما يقول: إن في باطن الأرض أتوناً من الحمم والبراكين والصخور والمعادن المنصهرة، ويقول علماء الجيولوجيا: إن درجة الحرارة في باطن الأرض تتجاوز المئات من الدرجات وما سطح الأرض إلا طبقة رقيقة نسبياً بالنسبة لطبقات باطن الأرض... واللَّه سبحانه بقدرته هو الذي بسط الأرض ومدَّها وبرَّد سطحها لتكون ساكنة بالظاهر يتعايش عليها الناس، وسلك فيها سبلاً وفجاجاً، وبسطها ودحاها فسوَّى نتوءاتها وفرشها بالتراب لتصلح معايش للناس، والآيات في هذا الأمر كثيرة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر.

يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

[سورة نوح، الآيتان: ١٩، ٢٠]

ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ١٠]

ومع ذلك فلولا الجبال التي أرساها اللَّه سبحانه في الأرض فإن

سطح الأرض سيكون دائماً بحالة اضطراب ومرج وميد، ولا يمكن للحياة أن تستمر، ولا يستطيع الناس كسب معايشهم على سطحها بفعل البراكين الهائلة في جوفها وحالة الغليان والانصهار من صخورها ومعادنها الملتهبة.

يقول تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٥]

ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.

[سورة النبأ، الآيتان: ٦، ٧]

فهذه الآيات الكريمات تشير إلى أن اللَّه سبحانه بقدرته مدَّ لنا الأرض وبسطها، وجعل فيها السبل والفجاج، وأرسى فيها الجبال لتكون أوتاداً للأرض، فلا تميد بنا أي تتحرك وتضطرب من تحتنا فلا نهنأ بعيش ورزق أو قل لا يمكن عندئذ للبشر الحياة فوق أرضها.

هذه النعمة الإلٰهية وهذه القدرة الإلٰهية في خلقه للأرض وتسويتها بما يصلح معاشاً للناس تبقى بأمر اللَّه فهي تعطي الكافر والمؤمن والطائع والعاصي لضرورة الابتلاء والامتحان. . . فإذا جاء الوعد الحق وتوقف امتحان البشر على الأرض ولم يعد لبقائها ضرورة، فإن الحال ستتغير ويُعطى لها الأمر من اللَّه سبحانه، فتكون وقت قيام الساعة كما أمرها اللَّه سبحانه وكما بيَّنَّا في آياته التي ذكرت.

فأول الأمر ترجف الأرض رجفاً شديداً وكأنها في بداية زَلزال عظيم ثم ترج رجًّا عنيفاً وهي بداية إزالة ما عليها من معالم من بيوت وقصور وعمارات شاهقة.

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ .

ثم تدك دكاً متتابعاً ثم تدق وتكسر وتتشقق وتتباعد الأرض بعد الانشقاق عن بعضها بعضاً، وربما يصبح بينها أخاديد عظيمة بفعل الدق والدك المستمر المتتابع .

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾ .

ثم تحمل هي والجبال فتدك دكة واحدة وهذا أعظم الهول كمن يرفع شيئاً ثم يخبطه على الأرض خبطاً شديداً فيتحول هذا الشيء إلى فتات متناثر .

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ وتتمة القول ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي بعد هذا الحمل والدك أصبح الأمر فصلاً وليس هَزْلاً، لأن الواقعة وقعت والساعة قامت والقيامة قد أزفت، وأعظم الوصف عن حالة الأرض عند قيام الساعة ما جاء في سورة الزلزلة فإن فيها من الآيات الإلٰهية والمعجزات الشيء الكثير، فيها النهاية، نهاية الحياة على الأرض وفيها البداية ـ بداية القيامة والحساب من إلٰه هو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، حيث يبيِّن اللَّه سبحانه معجزاته في دك الأرض وإخراج أثقالها وفي صدور الناس بعدها أشتاتاً أي إخراجهم من باطنها ليحاسبوا حساباً دقيقاً يفوق خيال البشر لدقته وعدله سواء أكان خيراً أم شراً سواء أكان مقداره مثقال ذرة والتي لا ترى إلا بالمجهر وبعد تكبيره مئات المرات أم أكبر من ذرة أم أصغر، ولنقرأ السورة ولنتمعن آياتها ولندرك عظمتها وإعجازها .

يقول تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ

أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيات: ١ ـ ٨]

يا لها من آيات عظيمة لو تمعنا فيها أو أعدنا قراءتها مراراً، لكفتنا علماً، وأدركنا حقيقة ما سيكون مستقبلاً، وهذا العلم الذي يجب أن نعلمه وندركه، والحقيقة التي لا مهرب منها ولا مناص، حقيقة الساعة والقيامة والعقاب والجزاء، والذي تدور عليه حياتنا الدنيوية، وما وجودنا جميعاً إلا لتتحقق هذه الحقيقة في النهاية.

فالأرض تزلزل زلزالاً عنيفاً وتخرج ما في باطنها من جميع أنواع الحمم والبراكين وتقذف بالصخور والمعادن الملتهبة حالة غليانها وزلزلتها إلى ما فوق الأرض بعشرات الأمتار، ثم تعود بلهيبها لتستقر على الأرض، ثم يقذف غيرها في منظر يجعل القلوب تصل إلى الحناجر هلعاً وخوفاً. . . يومئذ البشرُ على الأرض والذين تقوم عليهم الساعة يسألون بخوف وهلع ـ ماذا حصل ـ وما لها تفعل هكذا؟ وكنا نعيش عليها بسلام وأمان؟ ـ فيومئذ تُحدث أخبارها بعد أن يخرج الناس الموتى من باطنها ويأتون بأعمالهم. . يوم تقول الأرض إن اللّه سبحانه أوحى إليَّ بما ترون من الزلازل والحمم والبراكين. . . ثم يقول اللّه سبحانه يومئذ يخرج الناس من باطنها أشتاتاً موزعين استعداداً ليوم الفصل والحساب والعدل والذي ميزانه يزن مثقال الذرة لعظيم دقته.

. . . واللّه سبحانه جعل لنا في حياتنا الدنيا مثل هذه الزلازل، وكم حدثت وراح ضحيتها الملايين من البشر، وما ذلك إلا ليعلم

الإنسان ما معنى زلزال الأرض عند قيام الساعة. ولو أن الأرض التي نعيش عليها لم تصبها الزلازل مئات المرات لما أدركنا معاني مثل هذه الآيات الكريمة ولكننا أدركنا ولذا نستعد لها ولكن بطاعة اللّه سبحانه.

ولنقرأ في تفسير ابن كثير وما قاله عن سورة الزلزلة وما في تفسيره من أقوال الصحابة والعلماء:

قال ابن عباس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: أي تحركت من أسفلها ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني ألقت ما فيها من الموتى، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.

وفي الحديث: «**تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً**»[(١)]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي استنكر أمرها بعدما كانت قارَّة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر اللّه تعالى ما قد أعده لها، من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ يستنكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا للّه الواحد القهار، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول اللّه ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على**

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً.

كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»(١).

وفي معجم الطبراني: «**تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة**»(٢).

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها واحد، وكذا قال **ابن عباس**: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أوحى إليها، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها، وقال **ابن عباس**: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال لها ربها: قولي، فقالت؛ **وقال مجاهد**: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أمرها، **وقال القرطبي**: أمرها أن تنشق عنهم، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي يرجعون عن موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار، **وقال السدي**: ﴿أَشْتَاتًا﴾ فرقاً.

وقوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي ليجازوا بما عملوه من خير وشر، ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. روى **البخاري** عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر**» الحديث، فسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر؟ فقال: «**ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»(٣).

وروى **الإمام أحمد** عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي.

(٢) أخرجه الحافظ الطبراني.

(٣) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري.

النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ قال: حسبي أن لا أسمع غيرها[١]، **وفي صحيح البخاري** عن عدي مرفوعاً: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة**»، وله أيضاً في الصحيح: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط**[٢]، **وفي الصحيح أيضاً**: «**يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فِرسنَ شاة**»[٣] يعني ظلفها، وفي الحديث الآخر: «**لا تردوا السائل ولو بظلف محرق**».

وعن عائشة أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان**»[٤]. وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت: كم فيها من مثاقيل الذر، **وروى ابن جرير** عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما أنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق رضي اللّه عنه عنده قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول اللّه ﷺ: «**ما يبكيك يا أبا بكر**»؟ قال: يبكيني هذه السورة، فقال له رسول اللّه ﷺ: «**لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر اللّه لكم لخلق اللّه أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم**»[٥].

وروى ابن أبي حاتم، عن **سعيد بن جبير** في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) أخرجه أحمد.
(٥) أخرجه ابن جرير.

كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد اللّه النار على الكبائر، فرغّبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(1) يعني وزن أصغر النمل ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ يعني في كتابه ويسره ذلك؟ قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف اللّه حسنات المؤمنين أيضاً بكل واحدة عشراً ويمحو عنهم بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة.

وروى الإمام أحمد عن عبد اللّه بن مسعود أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إياكم ومحقرَّات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**»، وإن رسول اللّه ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً(2)، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها(3).

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم.

(2) أخرجه الإمام أحمد.

(3) مختصر تفسير ابن كثير في تفسير سورة الزلزلة.

٢

حال الجبال عند قيام الساعة

الجبال هذه الآية العظيمة من اللّه التي زين اللّه سبحانه فيها الأرض وثبتها. . هذه الجبال التي ألقاها سبحانه على الأرض وأرساها وجعلها أوتاداً.

هذه الجبال التي جعلها اللّه سبحانه لنا متاعاً وجمالاً، وجعل فيها من المنافع للبشر الشيء الكثير، وجعل فيها المعادن من الحديد والذهب والفضة منافع للناس في حياتهم الدنيا.

هذه الجبال التي جعلها اللّه سبحانه ذات أحجام وارتفاعات متفاوتة، وذات ألوان خلابة تتناسب والموقع الذي هي فيه، فمن ارتفاع جبال الهملايا في الهند حيث تصل أعلى قمة فيها إلى (٨٨٨٨) متراً إلى مناطق لا يتجاوز ارتفاعها أمتاراً معدودة، وكذلك ألوانها تختلف باختلاف الأرض والبيئة فمن الأصفر إلى البني إلى الأسود إلى الأخضر والأحمر والأرجواني، ومناظرها ومنافعها تمتع الإنسان في حياته الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۞ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

وأما عظيم خلقها حيث يقف الإنسان أمامها مذهولاً من هذه القدرة الإلٰهية! حيث يصل الجبل الواحد في ضخامته إلى آلاف الأمتار طولاً وعرضاً وضخامة!!

. . . كل هذا يتحول عند قيام الساعة إلى سراب وهباء وعهن منفوش كل هذه الجبال والتي يزن الجبل الضخم الواحد منها آلاف الملايين من الأطنان تتحول عند قيام الساعة إلى سراب وإلى قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، دون ديناميت ولا متفجرات ولا قنابل ولا طائرات إنما من وحي لها من ربها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

يقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.

[سورة طه، الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٧]

وإذا نسفت الجبال ومهما كانت صلبة وشاهقة فإنها تتحول إلى فُتات وتراب وهباء.

يقول تعالى عن حال الجبال عند قيام الساعة:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

نسيّر الجبال: نحرك الجبال من أماكنها.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٨٨]

والمعنى هذه الجبال القوية الجامدة في أماكنها ستكون كالسحاب الذي يسير بسرعة.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

[سورة الطور، الآيتان: ١٠، ١١]

تمور السماء: تضطرب وتدور كالرحى ـ تسير الجبال: تتحرك من مكانها.

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٥]

رجّت الأرض: زلزلت وحركت تحريكاً شديداً ـ وبست الجبال: فتتت الجبال.

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾.

[سورة المعارج، الآيتان: ٩، ١٠]

الجبال كالعهن: كالصوف المصبوغ ألواناً.

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٤]

ترجف الأرض والجبال: تضطرب وتزلزل.

﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٤]

كثيباً مهيلاً: رملاً مجتمعاً سائلاً منهالاً.

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾.

[سورة المرسلات، الآية: ١٢]

الجبال نسفت: قلعت من أماكنها بسرعة.

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ١٤]

فكانت سراباً: كالسراب الذي لا حقيقة له.

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾.

[سورة القارعة، الآية: ٥]

كالعهن: كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة[١].

كل هذه الآيات الكريمات تشير إلى أن أمراً عظيماً وجللاً سيحدث لهذه الجبال الراسيات والرواسي الشامخات، والتي هي ثابتة جامدة عند قيام الساعة راسية في مكانها ولكنها كما قال تعالى: ﴿ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ ثم تفتت إلى قطع صغيرة جداً ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ ﴾ ثم تتحول إلى ما يشبه قطع الصوف الصغيرة الملونة التي تتطاير في السماء لخفتها، ثم تتفتت هذه الفتات حتى تتحول إلى حبات رمل مجتمعة ﴿ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ ثم تكون في النهاية سراباً لا حقيقة ولا وجود لها وكأنها لم تكن ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾.

هذه هي حقيقة الجبال عند قيام الساعة، وما ذلك إلا كي تسوَّى الأرض بعد أن تلقي أفلاذ أكبادها من الموتى الذين دفنوا في باطنها وعلى مدى ألوف السنوات، والذين يبلغ عددهم المليارات، بعد أن تتلقى الأمر من اللَّه سبحانه. يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٣ ـ ٥]

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ أي تصير ككثبان الرمال بعدما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ ـ أي وادياً ـ ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴾ أي رابية، ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع.

ويقول أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ أي كقوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ وقال ههنا:

---

(١) معاني الكلمات وبيانها: من كتاب كلمات القرآن الكريم للشيخ حسنين محمد مخلوف.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي تُخَيَّلُ إلى الناظر أنها شيء وهي ليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر.

وقال في تفسير: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ يعني صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، قال مجاهد: ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾ الصوف[١].

(١) مختصر ابن كثير في تفسيره لسورة المزمل والنبأ والقارعة.

٣

حال البحار عند قيام الساعة

البحار ثلاثة أرباع الكرة الأرضية أو أربعة أخماسها أي إنها تشكل معظم الأرض.. وما ذكرت عن دمار ودك وزلزال الأرض وتسيير الجبال وتحويلها إلى سراب، فهذا كله حاصل فقط في ربع الكرة الأرضية فكل هذا الدمار الهائل ونحن لا نزال في ربع الكرة الأرضية.

فماذا عن البحار والتي تشكل الجزء الأكبر فهل تبقى على حالها أم يصيبها كما أصاب الأرض والجبال من الدمار والزلازل والرج والانشقاق.

هذه البحار الرائعة بخيرها وجمالها وما خلق اللّه فيها من ملايين الأنواع من الحيوانات البحرية والإسفنجية والمرجانية، سخرها سبحانه للبشر على هذه الأرض، هذه الحياة العامرة في تلك البحار الرائعة والتي خلقها اللّه سبحانه... فقد أنعم علينا سبحانه أبناء هذا الجيل أننا رأينا جانباً منها بواسطة ثياب الغطس والتصوير وبواسطة آلات الغطس الجبارة كالغواصات والسفن الحديثة. فمتعنا اللّه سبحانه برؤية هذه الحياة العامرة في البحار ورأينا بأم أعيننا قدرة اللّه في الخلق فحبانا دون غيرنا لنرى هذه العظمة وهذه النعمة... وليس هذا فحسب ولكن بواسطة هذه التكنولوجيا والآلات الحديثة تمتعنا بأكل لحوم البحار من شتى الأصناف والأنواع ما لم يحظ به أحد غيرنا..

وكل هذا نعمة لنا ولمن سيأتي بعدنا، وكل هذا سخَّره اللَّه لنا كما سخر لنا الأرض وما فيها والسماوات وما فيها.

وطيَّع قانون الماء وكثافته لتطفو عليه أخشاب الأشجار فنصنع منها الفلك (القوارب) فنستطيع السير في البحار واستغلال ما فيها من خيرات عظيمة.

يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٣٢]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٤]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٣١]

ويبيِّن اللَّه سبحانه لنا أنه سخر لنا الفلك والبحار والأرض والسماوات جميعاً منه رحمة ونعمة وكرماً وعطاء من إلٰه كريم رحيم.

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآيتان: ١٢، ١٣]

... كل هذه النعم في هذه البحار سخرها اللَّه سبحانه لنا في حياتنا الدنيا، ستتحول عند قيام الساعة إلى دمار وخراب وأتّون من النار الملتهب تسعَّر وتسجر وتحترق وتشتعل فيها النيران اشتعالاً، فتبدو معها الأرض كلها تحترق في هذا الأتون الهائل من النيران.

. . . ولقد قدَّمت في فقرة سابقة من هذا الجزء لموسوعة الآخرة معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ في التفسير العلمي الحديث بعد أن اكتشفوا أخاديد النار والحمم في قاع كل بحار العالم.

﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ * وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ * وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

[سورة الطور، الآيات: ١ ـ ٦]

البحر المسجور: هو البحر المشتعل بالنار وهذه خاصية لا تكون بأمر اللَّه إلا عند قيام الساعة حيث يعطي اللَّه الأمر باشتعالها وتسجيرها وفي تذكير لما قلت: عن الاكتشافات العلمية والبحار المسجرة بالنار.

لقد أثبت العلم الحديث عن طريق السفن الغواصة وجود أخاديد تخرج منها النار والحمم في أعماق البحار في أوائل القرن العشرين.. ولما تقدم العلم وكثرت النظريات التطبيقية والعلمية، وجدوا أن تلك الحمم والبراكين والصدوع والشقوق الموجودة على سطح الأرض مهمتها جميعاً حفظ توازن الأرض. وبما أن البحار تشكل أربعة أخماس الكرة الأرضية وهي الجزء الأكبر من الأرض.. فمن الطبيعي وجود صدوع وشقوق وأخاديد في قاع البحار مهمتها أيضاً التنفيث عن تلك الحمم التي تغلي في أعماق الكرة الأرضية[١] . . . لقد عرف العلماء بوجود تلك الأخاديد منذ عشرات السنين فقط ولكنها موجودة بقدرة اللَّه منذ ملايين السنين ومنذ خلق اللَّه سبحانه الأرض.

---

(١) راجع كتاب المعرفة (البحار والمحيطات) الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة.

إذاً اللَّه سبحانه هو العالم بحال الأرض وبحارها فهو الأول والآخر، وهو الذي خلق وهو أعلم بما خلق، وأعلم ببقاع البحار وأعلم بتلك الحمم والأخاديد التي تحفظ الأرض في الحياة والتي تكون سبباً لاشتعال البحار وتسجيرها يوم القيامة مع الشمس التي تتعاون وتلك الأخاديد لاشتعال البحار.

اشتعال البحار بالنار
عند قيام الساعة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٦]

كل هذه الآيات تكون عند قيام الساعة وما نحن بصدده من هذه الفقرة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

وقبل أن أدخل المدخل العلمي في تفسير هذه الآية الكريمة لنستعرض ما قاله الأولون من المفسرين قبل أن تكتشف معاني الآية الكريمة علمياً.

قال ابن عباس: يرسل اللّه سبحانه عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج.

وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» الحديث... **وقال مجاهد:** ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت.

وقال الحسن: يبست، **وقال الضحاك وقتادة:** غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة، **وقال الضحاك** أيضاً: ﴿سُجِّرَتْ﴾ فجرت، **وقال السدي:** فتحت وسجرت[1]، هذا ما قاله الأولون رحمهم اللّه

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٦٠٥ مجلد ٣.

وزادهم فضلاً في تفسير ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فتفسيرهم جاء أكثره من معاني اللغة حيث لم تكن لهم كما لنا نحن اليوم هذه الأدوات الضخمة العلمية والتكنولوجية التي ساعدتنا في تفسير هذه الآية الكريمة.

التفسير العلمي الحديث للآية الكريمة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

إنها آية من آيات اللَّه المعجزات من لدن عليم خبير يعلم سر الخلق بدايته ونهايته، فإذا كانت هناك آيات في قدرة اللَّه في البحار فقد أظهرها اللَّه لخلقه ونفذ وعده الذي قال فيه:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وقد أوضحت وفصلت آيات اللَّه في البحار وكيف تم معرفتها عن طريق العلم والاكتشاف وضمن إرادة اللَّه سبحانه كالبحر المسجور.

وأما هذه الآية الكريمة من سورة التكوير التي يتحدث فيها اللَّه سبحانه عن علامات وأمارات يوم القيامة وهي علامات عظمى تحدث وقت قيام الساعة، يوم لا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل، يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٦]

آيات عظيمة يُخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى ماذا سيحدث مستقبلاً وعند قيام الساعة من انفجار كامل للكون وانفلات قانونه المحكوم

بقدرة اللّٰه وتفكك للهندسة الإلٰهية الرائعة التي تضبط السماء ونجومها والأرض وجبالها وبحارها.

وهذا لا يمكن أن يكون إلا من الخالق نفسه ولا يمكن أن يكون من عند رجل، حتى لو جمع فيه ذكاء عقول أهل الدنيا كلها من أول رجل إلى آخر رجل ومعهم الجن أيضاً، إنه تقدير مستقبلي عظيم. وحينما يتكلم الإنسان عن شيء فإنه لا يستطيع تجاوز عقله أولاً وبيئته ثانياً، فلا يستطيع أن يخبر بأكثر مما يحيط به وفي ساعتها فقط، ولا يستطيع أن يتجاوز أصابع يده في الرأي لا أن يمتد به الخيال فيخبر عما هو أكبر من قدرته وطاقته ويتناول بتقدير كيف تكور الشمس ويذهب ضياؤها وتنكدر النجوم ويختفي لمعانها، وأن البحار ستشتعل بالنيران وتحشر الوحوش وتكشط السماء.

وأنا كمسلم حينما أقرأ هذه الآيات أعلم تماماً أنها من عند اللّٰه لأني إنسان ولي عقل، وأعلم أن عقلي لا يستطيع أن يتجاوز حجمه وقوته، وأعلم أني لا أستطيع أن أخبر بما سيحدث غداً ضمن بيتي وليس ضمن العالم، ومن هنا تأكدت أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من عند محمد ﷺ وأنه لا بُدَّ أن يكون من عند عليم حكيم.

تفسير الآية: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

وإذا: شرطية حذف فعل الشرط لوجود ما يدل عليه (سُجِّرتْ).

البحار: جمع بحر أي كل البحار.

سُجِّرتْ: اشتعلت، والاشتعال لا يكون إلا بالنار.

هذه الآية قلنا: إنها تقدير مستقبلي من اللّٰه تعالى عما سيحدث في البحار لحظة قيام الساعة أو قبلها بقليل. نعم هذه الآية العظيمة ليس فيها سر إعجازي اكتشف أمام أعيننا في هذه الأيام كمعرفة

البرزخ في قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

أو كمعرفة الحاجز والحجر المحجور في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٥٣]

لأن هذا سيحدث في آخر الزمان وقد يكون بعد آلاف الأعوام أو مئاتها أو عشراتها، وذلك في علم اللَّه سبحانه وتعالى ولكن هناك إشارات علمية تقول: إن هذا سيحدث في يوم مؤكد الحدوث وذلك لسببين:

١ ـ أن جميع البحار يوجد في قاعها أخاديد من النار تخرج من قاع البحار، وتقل في بحر وتزيد في بحر وهذا ما ذكرته عن البحر المسجور وقلت: إن البحر الأحمر بالذات تطول فيه هذه الأخاديد وهي ممتدة من شماله حتى جنوبه، وقد يزيد طول بعض الأخاديد عن خمسين متراً، وهذه حقائق لم تعد خافية على أحد فقد تم تصويرها وعرضت على أجهزة التلفاز في شتى أنحاء العالم.

ويعني هذا أن البحار تُسَجّرُ الآن على البطيء وحينما يأتي أمرُ اللَّه تزداد هذه البحار تسجيراً بأمره وتقوى هذه الأخاديد حتى تستطيع بقدرة اللَّه إشعال البحار جميعها وتسجيرها قاطبة.

٢ ـ سورة التكوير تبدأ بقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ومعنى كورت أي تكورت والتفَّت على بعضها فهي تكور وتصغر ثم يذهب ضوؤها ويختفي، أما علماء الكون جميعهم فيقولون: إن الشمس سيأتي عليها يوم سواء أكان بعد مليون سنة أم مليار سنة ينتهي فيها غاز النيتروجين وعليها تصبح شمسنا بلا ضوء وحرارة، ويصبح كوكبنا معتماً لا فائدة منه.

هذه الواقعة قائمة لا حِوَل عنها، وإن كان الخلاف حول وقت حدوثها، المهم العلم يقول: إن البحار ستشتعل بالنار والسبب الشمس، أما كيف؟

فإنهم يقولون: إن الشمس حينما ينتهي غاز النيتروجين منها تنتهي فيها الحرارة الهائلة تدريجياً وعند لحظة الانطفاء الكامل تتوهج توهجاً هائلاً ثم تخمُد نهائياً، وعند حالة التوهج الهائل تعطي حرارة على الأرض أضعاف ما هي عليه الآن، وعليه فإن البحار ستشتعل جميعاً، وضربوا لها مثلاً: «**إنك لو أوقدت شَمَعة وراقبتها حتى النهاية، فإنك تجد أن الشمعة عند اللحظة الأخيرة تتوهج توهجاً زائداً وتعطي أضعاف النور والحرارة ثم تنطفئ**»

وهذا الرأي العلمي يدل على أن الشمس ستكون سبباً في اشتعال البحار، وستكون الشقوق والأخاديد البركانية والحمم في قاع البحار سبباً آخر في اشتعال البحار واللَّه أعلم[1].

(١) من كتاب آيات الله في البحار (ماهر أحمد الصوفي) صفحة ١٣٠ ـ ١٣٤.

تفجير البحار
عند قيام الساعة ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

. . . تفجير البحار يختلف كلياً عن تسجير البحار. . فالتسجير قد عرفناه وهو اشتعال البحار جميعاً بالنار. . فما معنى تفجير البحار؟؟

. . . يحفظ اللّه سبحانه في الحياة الدنيا بقدرته البحار أن تضطرب وتتفجر وتخرج عن قانونها المسيرة به. . . فاللّه سبحانه خلق كل ما في البحار من ثروة حيوانية وسمكية ومرجانية وعشبية. . . وحجز البحار عن بعضها من أجل أن لا تختلط وتختلط معها الحياة البحرية، إذ جعل اللّه سبحانه في كل بحر حياة خاصة معزولة عن الحياة الأخرى في البحر الآخر بواسطة (برزخ) حاجز وضعه سبحانه بين البحار وبين كل بحرين والتفسير العلمي لهذا يطول.

يقول تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٩، ٢٠]

أي إن اللّه سبحانه جعل بين البحرين حاجزاً حتى لا يبغيَ بحر على بحر أي كي لا تختلط حياة هذا البحر بهذا البحر.

ويقول تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٦١]

يؤكد اللّه سبحانه وجود الحاجز بين البحرين. . ولقد أثبت

العلم اليوم وجود هذا الحاجز، وهو عبارة عن بحر ثالث بعرض (١٥) كيلو متراً يختلف في كل شيء عن حياة البحرين اللذين يفصل بينهما.. من حيث الكثافة والملوحة والحياة الحيوانية والمرجانية والعشبية، هذا الحاجز وبقدرة اللّه يمنع اختلاط البحرين، وبين كل بحرين جعل اللّه مثل هذا الحاجز.

... وكل هذه الدقة عند قيام الساعة تنتهي حيث يفجر اللّه سبحانه البحار ويلغي الحاجز بينها، وتختلط المياه والحياة البحرية، وتموج وتضطرب الحياة في البحار والمحيطات[١].

ولنقرأ تفسير الأولين من الصحابة والعلماء لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ثم نتحول إلى التفسير العلمي لتفجير البحار عند قيام الساعة.

يقول تعالى: في علامات الساعة ويوم القيامة: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

[سورة الانفطار، الآيات: ١ ـ ٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ما يخص موضوعنا.

قال ابن عباس: فجر اللّه بعضها في بعض. **وقال الحسن:** فجر اللّه بعضها في بعض فذهب ماؤها. **وقال قتادة:** اختلط عذبها بمالحها. **وقال الكلبي:** ملئت[٢].

---

(١) راجع كتابنا آيات الله في البحار في تفسير الحاجز الذي وضعه الله بين البحرين ص ٣٣.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وإذا البحار فجرَت**﴾ جزء ١ ص٦١.

التفسير العلمي الحديث للآية الكريمة ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ .

وهذه أيضاً حقيقة واقعة يتوقع العلم حدوثها عندما تسجَّرُ البحار وتنفلت من قانونها، عندما تصبح كل الأشياء خارجة عن القانون بأمر من اللَّه وتختلط كل الأوراق، ومنها تنفلت البحار من قانونها؛ وذلك لأن الحياة الأرضية تكون قد انتهت ولا داعي لوجود مثل هذه القوانين في البحار فهي موضوعة لاستمرار الحياة على الأرض، فحينما تتوقف الحياة على الأرض لم يعد وجود الأشياء وانضباطها ضرورياً، فالجبال هي أوتاد الأرض تطير وتصبح كالفراش المبثوث، والنجوم تنكدر والكواكب تنتثر والبحار تفجر والإنسان لم يعد يستطيع الاعتذار لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

وأما عن الفرق بين قوله تعالى في علامات الساعة: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ .

فالآية الأولى يحتم اللَّه اشتعال البحار كلها الأبيض والأحمر والأطلسي والهادئ والأسود والأدرياتيك وغيرها بالنار فتصبح كتلة نارية هائلة جداً وقد فصلت ذكرها فيما سبق.

وأما قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ .

فهي تحوي معنى واسعاً والله أعلم، فكلمة (فُجِّرت) لها معان كثيرة غير كلمة (سُجرت) التي لا تحمل إلا معنى الاشتعال بالنار.

أقول تفجرت الأمور: أي انفلت قانون انضباط الأمور واختلط الحابل بالنابل.

وأقول تفجرت القنابل: أي انفلت انضباطها الموضوع من صِمَام الأمان وأحدثت خراباً ودماراً وفتكاً.

وأقول الانفجار الكبير: وهذا اصطلاح استعمله العلماء لحظة نشوء الكون فحدث انفجار وانشطار هائل في كتلة هائلة أي خرجت هذه الكتلة عن هدوئها وتفجرت.

ونفهم من هذا أن كلمة (فُجِّرت) أي خروج البحار عن قانونها الوضعي المحكومة به الآن لاستمرار الحياة على الأرض، ولحظة انفجارها يتم ضياع القانون في وجود حواجز بين البحار المالحة ووجود الحواجز بين البحار والأنهار العذبة ووجود الحواجز بين البحار وبين المحيطات، فتختلط مع بعضها وتصبح المياه العذبة مالحة والمالح يختلط مع العذب وتدخل مياه البحار مع بعضها، وتصبح أمواجه كالطَّود العظيم أو كالجبال الشامخات، وتموت الحيوانات البحرية بآلاف أنواعها التي تعيش في البحار والتي سخرها الله للإنسان وتصبح ساعتها الحياة مستحيلة في البحار وفي اليابسة.

والعلماء في هذا الموضوع غير معارضين، بل أكثرهم يؤيد اشتعال البحار وانفجارها، إذاً ما جاء به القرآن من إعجاز ـ وإن كان عن المستقبل ـ فهو محتم الوقوع، والله أعلم[١].

---

(١) كتاب آيات الله في البحار (ماهر أحمد الصوفي) صفحة ١٣٧ ـ ١٣٨.

حال السماوات عند قيام الساعة

مدخل: معجزة الخلق الإلٰهي للسماوات:

ما الأرض وجبالها وبحارها وأنهارها إلا كوكباً واحداً يسبح هو وكامل كواكب المجموعة الشمسية في جزء يسير جداً من السماء حتى إن مجرتنا التي ننتمي لها والتي تحوي كما يقول علماء الفلك أكثر من مائتي مليار نجم (شمس) تقبع في أقصى جنوب السماء في منطقة تكاد لا تذكر أمام حجم السماء وما فيها من آلاف المليارات من المجرات والتي تحوي كل منها على مليارات النجوم.

هذه السماوات على عظيم مِساحتها ومواقع نجومها، والتي أقسم اللّٰه سبحانه بها لعظيم أمرها بأن القرآن كتاب كريم أنزله اللّٰه سبحانه إلى الأرض هادياً ومبشراً ونذيراً.

يقول تعالى مبيِّناً عظيم أمر مواقع النجوم التي في السماء: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

وكذلك يبيِّن اللّٰه سبحانه لنا بآيات كثيرة، عظيمَ أمر السماء وما فيها واتساعها العجيب.. وأنها محبوكة حبكاً عظيماً إلٰهياً، وأنها شديدة في متانتها.. وهذه بعض الآيات الكريمة التي تبيِّن عظيم أمر السماء عند اللّٰه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۞ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٧]

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآية: ١٢]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ .

[سورة البروج، الآية: ١]

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ .

[سورة الحجر، الآية: ١٦]

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ .

[سورة الذاريات، الآية: ٤٧]

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ .

[سورة ق، الآية: ٦]

وكثيرة جداً الآيات التي يتحدث فيها اللّه سبحانه عن معجزة الخلق في تلك السماوات وفي السماء الدنيا. . . .

كل هذا. . . سيؤول إلى دمار وانفطار وانشقاق وانفجار عند قيام الساعة حتى تتحول السماء إلى كتلة ملتهبة تسيل بحممها حتى تصبح للعيان كوردة حمراء سائلة تغطي السماء كلها ثم يطويها اللّه سبحانه جميعاً في يمينه ثم يبدلها سبحانه بسماوات أخرى وهذا ما سيأتي في حينه عند الكلام عن يوم القيامة.

والآن كيف تبدو تلك السماوات العظيمة عند قيام الساعة كما جاء في القرآن الكريم؟ وكيف تحدث اللّه سبحانه عن انشقاقها وموارنها وانفجارها وانفطارها؟

آيات انشقاق السماوات وانفطارها عند قيام الساعة

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾.

[سورة الطور، الآية: ٩]

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾..

[سورة الرحمن، الآية: ٣٧]

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ...﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٦]

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٨]

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ...﴾.

[سورة المرسلات، الآية: ٩]

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا...﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٩]

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ...﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١١]

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ...﴾.

[سورة الانفطار، الآية: ١]

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيتان: ١، ٢]

هذه آيات كريمات ذكرها اللّه سبحانه في كتابه المعجز يبيّن فيها

ما يكون من أمر السماء عند قيام الساعة.. وهو العليم الخبير.. أعلم بما خلق ومتى خلق وهو أعلم بما ستؤول إليه السماوات عند قيام الساعة.

ومن عظيم قدرة اللّه سبحانه في خلقه للسماوات، وما ذكرنا عنها بياناً من علماء الفلك، وأن فيها ما فيها من العظمة والقدرة، إلا أنها جميعاً أي السماوات لا تشكل أخيراً شيئاً أمام قدرة اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٨]

لغوب: تعب أو إرهاق أو ما شابه.

لذلك أمر تبديلها يوم القيامة فيما يأتي ذكره عند الحديث عن هذا اليوم لا تشكل عند اللّه سبحانه إلا أن يقول للشيء كن فيكون.

وفي حديث لرسول اللّه ﷺ يبيِّن لنا فيه بعضاً من قدرة اللّه وعظمته وسعة ملكه، ولا أقول سعة السماوات، فالسماوات جزء يسير من ملكه العظيم.

يقول رسول اللّه ﷺ: «**ما السماوات السبع للكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة، وما السماوات السبع والكرسي للعرش إلا كحلقة مرماة في فلاة**»[١].

وصدق اللّه سبحانه إذ يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٣٤٢).

ما هذه العظمة الإلٰهية التي تعجز عقول البشر عن فهمها وإدراكها، ويحار الفهم في قدرتها، وأي قدرة تستطيع أن تفهمها وعلماء الفلك كل يوم في اكتشاف جديد وعلم جديد، كلما ظنوا أنهم وصلوا إلى نهاية الطريق في علم الفلك فإذا بهم أمام اكتشاف جديد يعيدهم أطفالاً يحبون على الأرض[١].

(١) اكتشف علماء الفلك في فرنسا عام ١٩٩٥ تجمع مجرات جديد يحتوي على ٢٧ ألف مجرة تحوي كل مجرة تقديراً على أكثر من مائة مليار نجم على محيط ٢٩٠ مليون سنة ضوئيّة وتبعد عن مركز الأرض ملايين السنوات الضوئية، وللعلم الثانية الضوئية الواحدة (٣٠٠ ألف كم)!! وهذا الخبر أوردته وكالات الأنباء العالمية.

بيان وتفسير آيات انشقاق السماء وانفطارها عند قيام الساعة

عند بيان وتفسير آيات انفطار السماوات وانشقاقها عند قيام الساعة كما وردت في القرآن الكريم ندرك عندها ما يحل في السماء من دمار هائل لتنتهي أخيراً في قبضة الرحمن.

أولا: يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾.

[سورة الطور، الآية: ٩]

قال ابن عباس: تتحرك تحريكاً، **وقال مجاهد:** تدور دوراً، **وقال الضحاك:** استدارتها وتحركها لأمر اللّه وموج بعضها في بعض، **وقال ابن جرير في تفسيره:** هي التحرك في استدارة.

أي هي كالزوبعة الشديدة التي تأتي وتدور حول نفسها بعنف وتدمر كل شيء حولها ثم تستقر في النهاية في مكان وتصغر وتتلاشى.

ثانياً: يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٣٧]

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ أي بعد انشقاقها ـ أي تذوب كما يذوب (الدُّرْدي) وهو ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والدهان والفضة ـ والزيت في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وتارة زرقاء وخضراء وذلك من شدة الأمر وهول قيام

الساعة وتفجر النجوم والكواكب والنيازك والأقمار، **وقال ابن عباس**: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ كالأديم الأحمر، **وقال الحسن البصري**: تكون ألواناً، **وقال السدي**: تكون كلون البغلة الوردة، وتكون كالمهل كدردي الزيت، **وقال مجاهد**: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كألوان الدهان، **وقال ابن جريج**: تصير السماء كالدهان الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم.

... من مجموع هذه التفسيرات ينتج معنا أن السماء تتفجر بنجومها العملاقة وكواكبها العظيمة، ولكثرة عدد النجوم والكواكب والتي هي بالمليارات تصبح السماء ذات ألوان كألوان الطيف ويغلب عليها اللون الأحمر، لأن الحمم والبراكين إذا اشتد أُوارها لا تقذف إلا الحمم الحمراء المخلوطة بالنار، وهذا مصير السماء حتى تبدوَ لمن يراها يومئذ كأنها وردة حمراء وصفراء وخضراء مصبوغة بالألوان كما تصبغ ألوان الدهان.

ثالثاً: يقول تعالى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

[سورة الحاقة، الآيتان: ١٦، ١٧]

كلمة ﴿وَانشَقَّتِ﴾ في الآية الكريمة كلمة واحدة ولكن لها معان عظيمة كما قدَّمنا في آيات أخرى... ولكن المتابع للتفسير يجد أن كلمة انشقت التي أتت في أكثرَ من آية... تحمل في كل آية معنى تفسيرياً آخر يضاف إلى المعاني الأخرى، والسؤال يبقى لماذا لم يستعمل اللّه سبحانه بدلاً من انشقت كلمة تفجرت مثلاً أو تصدعت أو تفتتت؟؟

والجواب: إن كلمة انشقت لا تكون والعلم عند اللّه إلا لشيء متين جداً وقوي جداً يصعب اختراقه أو تمزيقه أو تصدعه أو انفجاره،

لذلك نجد أن اللَّه سبحانه عندما يتحدث عن السماء وبنائها يتحدث عن قوة السماء وتماسكها فشبهها تعالى بالسقف مرة.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٢]

ويقول تعالى عن بنيان السماء وأنها ليس لها فروج أي فتوق وشقوق:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾.

[سورة ق، الآية: ٦]

وفي سورة الملك يبيّن اللَّه سبحانه عظمة السماوات وقوتها وتماسكها وأنها طباق بعضها فوق بعض:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

[سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤]

ووصفها اللَّه تعالى بالشديدة.

يقول تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾.

[سورة النبأ، الآية: ١٢]

وكثيرة هي الآيات الكريمات في هذا الخصوص.

... فرغم كل هذا البنيان العظيم للسماء وأنها ليس لها فروج، شديدة ـ طباق ـ سقف محفوظ ـ وليس فيها تفاوت.. ومع ذلك تصبح عند قيام الساعة ﴿وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة متداعية، بعد هذا الإحكام.. يأمرها اللَّه سبحانه فتتشقق من أمره بعد كل هذا الربط العظيم فتوهى وتضعف وتسرع إلى يمين الرحمن فيطويها جميعاً

بيده.. هذه السماوات والتي فيها مليارات المليارات من النجوم والكواكب والتي يبلغ حجم كل نجم فيها ما يزيد عن مليون مرة حجم الأرض التي نعيش عليها!!

... تصور هذه الأعداد الهائلة من النجوم (الشموس) التي تتوقد ناراً وحمماً تصبح من أمر اللَّه طائعة ذليلة تسعى إلى حتفها ونهايتها ـ هذه الشموس الهائلة...(١) سعة وحجماً وبعداً واتساعاً... فهي ذات أحجام مختلفة يزيد بعضها عن بعض ربما ملايين المرات(٢)، ومهما تحدثنا عن عظمة السماء فإنا لا ندرك شيئاً عن ماهيتها إلا بعض علم أوصلنا اللَّه سبحانه إليه، من أجل أن ندرك معاني السماء وبعض قدرة اللَّه سبحانه... وتكفي هاتان الآيتان من سورة الواقعة ليبيِّن اللَّه لنا سبحانه عظمة السماء.

يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بحقيقة السماء وعظمتها وبمواقع نجومها أي بُعد بعضها عن بعض وأعدادها الهائلة وأحجامها الكبيرة...

... تصوروا كل هذا سيدمر ويتصدع ويتشقق وينفجر ويجمع

---

(١) يقول علماء الفلك إن شمسنا كتلة هائلة ملتهبة من النار تمتد ألسنة نارها إلى مسافة (١٥) خمسة عشر ألف ميل من جميع اتجاهاتها، نعم وإلا كيف تصل أشعتها إلى الأرض، وهي تبعد عنها ٩٤ مليون كم (كتاب الكون ذلك المجهول).

(٢) لقد اكتشف المرصد الفلكي في جنوب فرنسا عام ١٩٩٩م شمساً في إحدى المجرات القريبة، ويبلغ حجمها (٢٥) مليون مرة حجم شمسنا وقد تناقلت هذا الخبر جميع وكالات الأنباء العالمية والمجلات العلمية.

في يد الرحمن، يقول تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

. . . فإذا ما تشققت السماوات وأصبحت وردة كالدهان. . ترى الملائكة والتي لا يعلم عددها إلا اللّه، ولا يعلم أحجامها وأشكالها إلا اللّه.

. . تراها وبأمر من اللّه على أرجاء السماوات تنتظر أمر ربها بما تفعل.

. . . فإذا كانت هذه حالَ الملائكة وحال السماوات. . . فإن هناك من الملائكة ـ ملائكة خصهم اللّه سبحانه بحمل العرش وهذا في قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ ويبقى رقم ثمانية في علم اللّه. . أهو ثمانية ملائكة. . أم ثمانية آلاف أم ثمانية ملايين. . . أرقام واحتمالات لا ندركها، فهي في علم اللّه، ومن أجل العلم والمعرفة نورد مرة أخرى الحديث الشريف عن رسول اللّه ﷺ. . عن صفة واحد من الملائكة من حملة العرش.

ـ عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللّه تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[1].

أي كما بين السماء والأرض ما بين شحمة أذنه وعاتقه. . . وهذا ملك واحد سبحان اللّه وتعالى عما يشركون. . كم سيعض الظالمون على أيديهم حسرة وندماً أنهم اتخذوا لهذا الإلٰه العظيم شريكاً أو ولداً تعالى اللّه عما يقولون.

---

(١) رواه أبو داود.

. . . ولننظر ولنقرأ معاً في بعض كتب المفسرين عن شرح هاتين الآيتين العظيمتين اللتين تصوران تصويراً رائعاً لما يحدث عند قيام الساعة.

﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ **يقول ابن كثير في تفسيره:** ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾:

. . عن علي قال: تنشق السماء من المجرة ـ وقال ابن جريح: هي كقوله: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾. ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء: أي حافاتها، وقال الضحاك: أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ يقول: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض، وقوله ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ـ وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة.

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير:
﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ أي وانصدعت السماء فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، ليس فيها تماسك ولا صلابة ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ أي والملائكة على أطرافها وجوانبها. قال المفسرون: وذلك لأن السماء مسكن الملائكة فإذا انشقت السماء وقفوا على أطرافها فزعاً مما داخلهم من هول ذلك اليوم ومن عظمة ذي الجلال الكبير المتعال ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ أي ويحمل عرش الرحمن ثمانية من الملائكة العظام فوق رؤوسهم. وقال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا اللّه.

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة: أي تشققت السماء وتفرقت أجزاؤها فهي يومئذ ضعيفة، والملائكة على جوانب السماء وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك.

.. من كل التفاسير نجد تفسيراً لهذه المشاهدات التي تفوق خيالنا البشري مما ذكر اللَّه سبحانه في كتابه.. وأن الأمر كبير بل أكبر وأدهى وأعظم من كل التفسيرات والتحليلات، نعم أدهى وأمر لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

رابعاً: يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۞ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾.

[سورة المزمل، الآيتان: ١٧، ١٨]

في تلك الآيتين الكريمتين يتوجه اللَّه سبحانه إلى من يختار طريق الكفر ثم يموت عليه ويلقى اللَّه سبحانه كافراً... فهؤلاء دخلوا تحت لعنة اللَّه سبحانه والملائكة والناس أجمعين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦١]

... أيها الكفار بأي قوة وقدرة لكم تتقون أي تبعدون عنكم هذا اليوم يوم قيام الساعة وأهوالها وما يليها من يوم القيامة... وما ينالكم فيه من عذاب وذل وصغار ومهانة؟.. كيف تتقون هذا اليوم الذي يجعل الولدان (الأطفال الصغار) شيباً من هوله وفزعه.. ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ هذه السماء التي تنفطر وتتشقق وتتصدع ولا نعلم ماذا تُحدث من أصوات مرعبة مخيفة أثناء تشققها وانصداعها من أمر اللَّه سبحانه... أيها الناس إن وعد اللَّه مفعول وسترون بأعينكم وعد

اللَّه وقيام الساعة والبعث والنشور والحشر ـ وأرض الميعاد وستقفون بين أيدي أحكم الحاكمين ليحاسبكم.

ويقول ابن كثير في تفسيره:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ أي كيف لا تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم باللَّه ولم تصدقوا به؟ وكيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع الأكبر إن كفرتم، ومعنى قوله: ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله.

ويقول الطبري في تفسيره:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ أي كيف لا تحذرون وتخافون يا معشر قريش عذاب يوم هائل إن كفرتم باللَّه ولم تؤمنوا به؟ وكيف تأمنون ذلك اليوم الرهيب الذي يشيب فيه الوليد من شدة هوله، وفظاعة أمره؟ قال الطبري: وإنما تشيب الولدان من شدة هوله وكربه ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ أي السماء متشققة ومتصدعة من هول ذلك اليوم الرهيب العصيب ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾ أي كان وعده تعالى لمجيء ذلك اليوم واقعاً لا محالة لأن اللَّه لا يخلف الميعاد.

خامساً: يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾.

[سورة المرسلات، الآيتان: ٨، ٩]

آيتان عظيمتان تتحدثان عن حالة السماء بنجومها وكواكبها وأقمارها ونيازكها وشهبها... لأن النجوم جزء لا يتجزأ من السماء وقد قدَّمنا فيما مضى من صفحات عن عظيم حجم النجوم وعظيم مواقعها، وأن اللَّه سبحانه أقسم بمواقعها لعظيم أمر مواقع النجوم، وبعد بعضها عن بعض على كثرة أعدادها الهائلة حيث يفصل ما بين أقرب نجمين ما يزيد عن آلاف الملايين من الأميال فكم يفصل بين

أبعد نجمين.. هذا بعلم اللَّه ـ وقدَّمنا أن النجوم كتل ملتهبة من النار، تمتد ألسنتها إلى ما يزيد عن خمسة عشر ألف ميل... هذه النجوم ستخمد ويذهب نورها وبدوره يذهب ضوؤها فإذا نظر الناظر بعد قيام الساعة إلى السماء فلا يجد النجوم اللامعة لأنها ذهبت وذهب نورها وانطفأت.. فإذا كنا في ظلمة مطبقة فأشعلنا النار فإنها تضيء ما حولها، وكلما زادت النار زاد نورها فإذا أطفأنا النار عاد الظلام مرة أخرى ولم نتبيَّن موقع النار، وهكذا النجوم عند قيام الساعة إذا ذهب ضوؤها لم نعد نستطيع أن نحدد موقعها.

وأما قوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ أي تشققت وتصدعت بعد أن كانت محروسة متماسكة عليها ملائكة عظام يحفظونها.

يقول تعالى من سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾.

[سورة الجن، الآية: ٨]

فإذا ما أتاها أمر اللَّه سبحانه تترك الملائكة مواقعها من الحراسة فتصبح على أرجائها بأمر اللَّه كما قدمنا في آية قبلها: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ ففرجت السماء عندئذ لأنها ستصبح واهية متصدعة.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ أي محيت وذهب نورها وضياؤها، ويقول في ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾: أي شقت السماء وتصدعت.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ أي ذهب ضوؤها.

كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ أي فطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها.

سادساً: يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾.

[سورة النبأ، الآيتان: ١٨، ١٩]

أفواجاً: أمماً أو جماعات مختلفة الأحوال.

أبواباً: أي صارت ذات أبواب وطرق.

نجد في هاتين الآيتين الكريمتين أسلوباً مغايراً لكثير من الآيات التي تتعلق في نفخة البعث (النفخ في الصور) حيث يأتي الناس أفواجاً.. وكذلك تفتح السماء فتكون أبواباً.

والمعنى أن الناس حينما يخرجون من الأرض عند نفخة البعث فإنهم يقومون سراعاً بصورة جماعات ـ جماعات وربما أمماً أمماً، كل أمة تخرج دفعة واحدة وبالملايين عدداً... فأعداد البشر بالمليارات فلا يعقل أن يخرج واحد تلو الآخر، فهذا يستغرق زمناً طويلاً وهو القائل سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

فكيف يكون يسيراً.. والناس يخرجون واحداً بعد الآخر؟ ثم إن هذا لو حصل ففيه عجز وضعف، وحاشا للّه الضعف والعجز وهو القادر المقتدر القائل: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

أي إن الأمر بقيام الساعة وخروج الناس من قبورهم تشبه عملية لمح البصر والذي لا يستغرق زمناً إلا ثواني معدودة.

... وكذلك فإن الناس إذا خرجوا أفواجاً أفواجاً من قبورهم فإن السماء في ذلك الوقت تضعف وتصبح واهية ثم يكون فيها أبواب مفتوحة بعد أن كانت شديدةً وفيها حرس شديد.

فالسماء في الحياة الدنيا شديدة ومتينة ومليئة بالحرس الشديد من الملائكة الذين يحرسونها حراسة شديدة، فلا يستطيع أحد

اختراقها أو حتى الوصول إليها إلا بسلطان وأمر من اللَّه.

يقول تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

[سورة الجن، الآية: ٨]

فإذا جاء الوعد الحق وأذن اللَّه سبحانه بقيام الساعة ترك الحرس أماكنهم وتوجهوا إلى أرجائها ينتظرون أمر اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾.

... فلم يكن يؤذن لأحد بالدخول فيها ولكن اليوم سيحشر الناس على أرض الدنيا ثم يعرجون إلى أرض المحشر بأمر اللَّه سبحانه... فالطريق في العروج إلى أرض المحشر أصبح سهلاً لتخلي الملائكة عن حراستهم للسماء وتجمعهم على أرجائها.

يقول تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

... **يقول الصابوني في صفوة التفاسير:**

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي يكون ذلك يوم أن ينفخ في الصور نفخة القيامة من القبور، فتحضرون جماعات جماعات وزمراً زمراً للحساب والجزاء، ثم ذكر تعالى أوصاف ذلك اليوم الرهيب فقال: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي تشققت السماء من كل جانب، حتى كان فيها صدوع وفتوح كالأبواب في الجدران، من هول ذلك اليوم كقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وعبر بالماضي ﴿وَفُتِحَتِ﴾ لتحقق الوقوع...

وأما في قول **ابن جرير**: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧١]

وقال مجاهد: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي زمراً زمراً.

وقال ابن كثير: في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة.

سابعاً: يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١١]

كشطت: قلعت كما يقلع السقف.

... في كل آية تخص السماء يوم قيام الساعة يبيِّن اللَّه سبحانه لنا أهوال تدمير السماوات.. ومهما تنوع التدمير فالسماوات عظيمة وكبيرة، وفيها مليارات النجوم والكواكب ومليارات الأقمار والنيازك، فالسماء مع عظيم اتساعها لا بد أن تكون أشكالاً متعددة في انشقاقها وتدميرها وتفجيرها.. لذلك نجد تنوعاً في تناول واقع السماوات عند قيام الساعة، وكذلك عندما تقوم القيامة على طول أمدها والذي يمتد إلى خمسين ألف سنة من سنوات الأرض.

يقول تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي أن السماء ستنتزع من أماكنها ومواقعها وتزال وتكشط وتنزع كما ينزع الجلد من الشاة، وأرى أن هذا التشبيه من اللَّه سبحانه ﴿كُشِطَتْ﴾ وهذا التعبير يستخدم عندما تموت الدابة ثم يكشط عنها جلدها... أي إن الجلد كشط لأن صاحبه مات وانتهى، فالسماء أو السماوات

انتهى دورها الذي خلقها اللّه سبحانه من أجله، فتكشط وتنزع وتقلع من مواقعها كأنها ماتت وانتهى دورها.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

فطالما أنها ستبدل بسماوات أخرى فدورها انتهى وانقضى وكأنها ماتت فكشط عنها مسوغات وجودها وزينتها فانكدرت وانطفأت وانتهت.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ أي وإذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد من الشاة.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ قال مجاهد: اجتذبت، وقال السدي: كشفت، وقال الضحاك: تنكشف فتذهب.

... وكلها معان تتقارب، حول ذهاب وانتهاء السماوات.

ثامناً: يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾.

[سورة الانفطار، الآية: ١]

انفطرت: انشقت عند قيام الساعة.

وفي تفسير ابن كثير: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ أي تشققت كما قال تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ ﴾.

وأما في صفوة التفاسير: **فيقول الصابوني** في قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ أي إذا السماء انشقت بأمر اللّه تعالى لنزول الملائكة كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾.

. . . إذاً ﴿ ٱنفَطَرَتْ ﴾ تشققت وانكدرت نجومها بانطفاء لهيبها بعد أن يأمرها اللَّه سبحانه بذلك ثم يجمعها اللَّه سبحانه كلها بيده بعد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

فكل هذه السماوات والتي لا يعلم مداها إلا اللَّه ولا يعلم ما فيها إلا اللَّه، تطوى كطي السجل للكتب وتصبح جميعاً بقبضة الرحمن إيذاناً كما وعد بتبديلها بسماوات أخرى كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

تاسعاً: يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيتان: ١، ٢]

﴿ ٱنشَقَّتْ﴾ انصدعت عند قيام الساعة.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ استمعت وانقادت للَّه تعالى.

﴿ وَحُقَّتْ﴾ حق اللَّه عليها الاستماع والانقياد.

يقول ابن كثير في تفسيره: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وَذلَّ له كل شيء.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾:

هذه الآيات بيان لأهوال القيامة وتصوير لما يحدث بين يدي الساعة من كوارث وأهوال يفزع لها الخيال، والمعنى: إذا تشققت

السماء وتصدَّعت مؤذنة بخراب الكون. **قال الألوسي**: تنشق لهول يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي واستمعت لأمر ربها وانقادت لحكمه وحق لها أن تسمع وتطيع وأن تنشق من أهوال القيامة.

... إذاً فكل شيء ينصاع لأمر اللَّه تعالى، فلم يعد من شيء خلقه اللَّه سبحانه في يوم القيامة إلا وهو منصاع انصياع قهر وذل للخالق الذي أوجد كل هذا، بَدءاً من أصغر المخلوقات إلى أكبر المخلوقات روحاً وجماداً إنساً وجناً وحيواناً وما نعلم وما لا نعلم... والكون منصاع للخالق ومنذ خلقه اللَّه سبحانه، ولكن يقدم ويؤخر، واللَّه المقدِّم والمؤخر قدَّم أشياء للحياة الدنيا وأخّر أشياء للآخرة، ومن قبل كل خلق منصاع يقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١١]

... ما قدَّمناه هو حال الأرض والجبال والبحار والسماء عند قيام الساعة وما يحدث فيها من تصدع وزلزال ونسف وتفجير وتسجير وتكوير وانشقاق وصعق وموت لكل الخلائق، وهذا كله أول البداية والذي يعقبه (البعث والنشور) الذي سيكون عنوان الجزء التالي وهو الجزء الخامس من موسوعة الآخرة.

الخاتمة

. . . أرجو اللّه سبحانه أن يكون الذي قدمناه مقبولاً لأن قيام الساعة وأحداثها العظام لا يسعه كتيب صغير. . فإن علماء الفلك اليوم يتكلمون عن نجم واحد أو كوكب واحد بمئات الصفحات، فكيف بالحديث عن الكون كله، سماواته وأرضه وبحاره وجباله ووديانه وسهوله وصحرائه ونيازكه وشهبه وكواكبه ومجراته، فقدرة اللّه سبحانه لا يحدها حدود.

ولكن بفضل اللّه سبحانه تكلمنا بما بين أيدينا من بعض علم علمنا إياه رب العالمين ورسوله الكريم، وما اكتشفه علم الفلك من مجرات ونجوم وكواكب ونيازك عن طريق التلسكوبات والمراكب الفضائية التي باتت تغزو الفضاء كل حين، حتى توسعت مداركنا العلمية واستطعنا بهذه الاكتشافات فَهم كثير من الآيات القرآنية الكريمة وتفسير أحاديث رسول اللّه ﷺ كتفسير النار التي تخرج من اليمن (عدن) تحشر الناس إلى أرض المحشر. . ولقد بيَّن لنا علم الفلك معاني السماء وبيان قدرة اللّه سبحانه ومن هو الإلٰه المعبود الذي نعبده، فهو القادر على طَيِّ السماء وقبض الأرض وقيام الساعة وإحياء الموتى وبعثهم من جديد، ليقفوا بين يديه للعرض عليه والحساب وصدق اللّه سبحانه إذ يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩١]

أي أن كثيراً من الناس ما تبيَّن لهم قدرة اللّه وما عرفوا عنها

شيئاً وهؤلاء هم الكفرة الفجرة الذين ألهتهم الحياة الدنيا وغرَّهم باللَّه الغَرور، فنسوا لقاء اللَّه سبحانه والعودة إليه ليحاسبهم على ما اقترفوه من ظلم وشرك وكفر، وعند قيام الساعة سيعلم الذين نسوا اللَّه سبحانه أي منقلب ينقلبون.

وبعد فكلي أمل من اللَّه سبحانه أن يقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ويعفو عني إذا أخطأت في تقدير أو تحليل أو تفسير ما قدَّمناه، فهو ضمن عقولنا وإمكانياتنا، فقيام الساعة خارج عن حدود تفكير وعقول البشر إلا القدر اليسير من علم بيَّنه اللَّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ.

وكلي أمل أن يجعل اللَّه سبحانه عملي هذا في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.. وكذلك أرجو أن يجعل هذا العمل في صحيفة حسنات كل من ساهم في طبع ونشر هذا العمل (موسوعة الآخرة).

وأرجو من اللَّه سبحانه أن تشمل رحمته من قرأ هذه الموسوعة وعلم منها فرشد واهتدى.. واللَّه من وراء القصد.. وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.

٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.

٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).

٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟

٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.

٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.

٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.

٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.

٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.

١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.

١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.

١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.

١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.

١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.

١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).

١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.

١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية.

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخاري.

٣ ـ صحيح مسلم.

٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..

٥ ـ مسند الإمام أحمد.

٦ ـ سنن التِّرمذي.

٧ ـ سنن ابن ماجه.

٨ ـ سنن النسائي.

٩ ـ صحيح ابن حِبان.

١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.

١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.

١٢ ـ سنن أبي داود.

١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.

١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.

١٦ ـ المستدرَك للحاكم.

١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة ـ محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

سلسلة

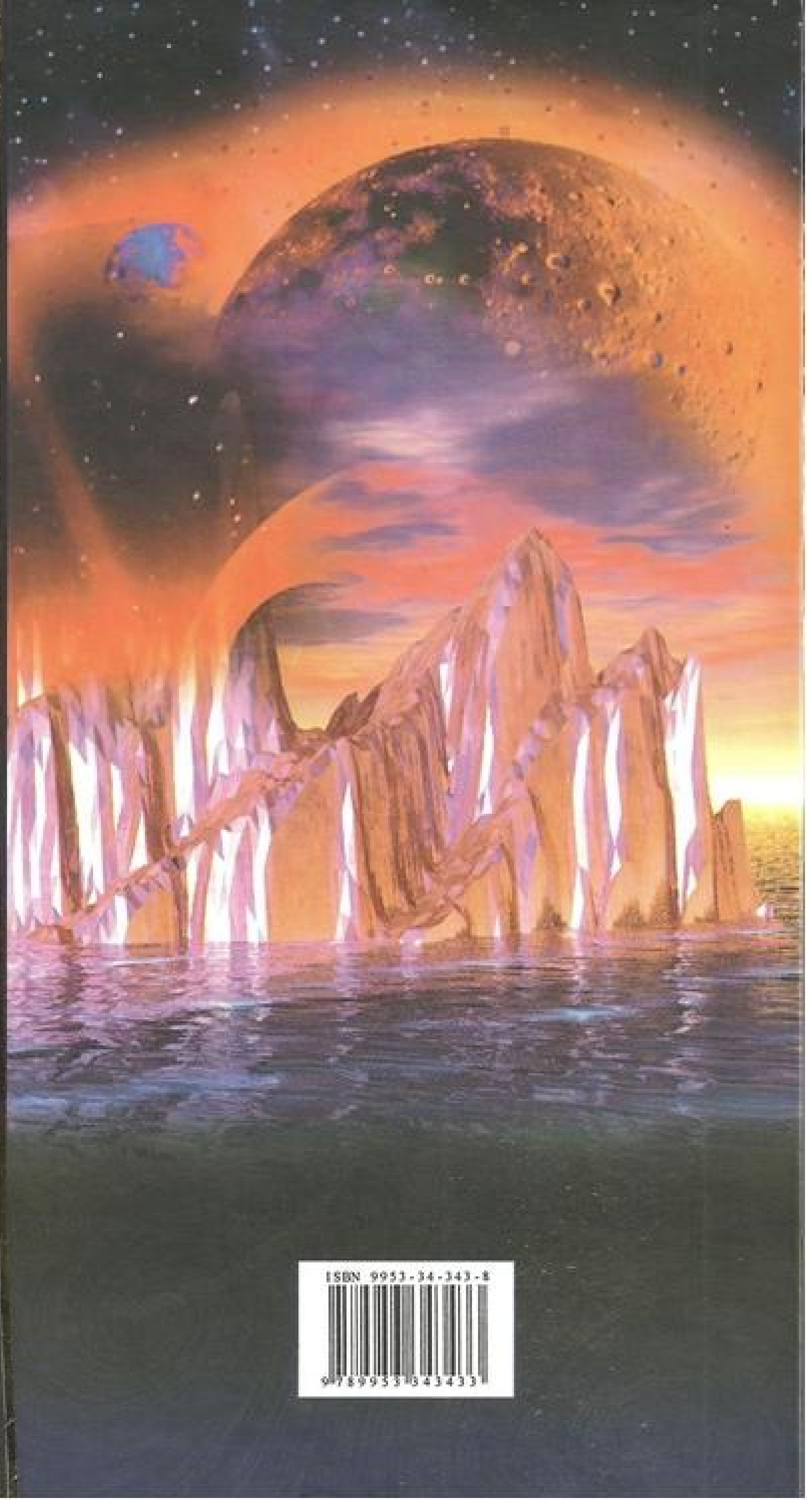
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-343-8

البعث والنشور

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
الدكتور محمد جمعة سالم   الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور   الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

البعث والنشور

ماهر أحمد الصوفي

المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

البعث والنشور

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق ـ ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ ـ ٦٣٢٦٧٣ ـ ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت ـ لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق ـ ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ ـ ٦٣٢٦٧٣ ـ ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت ـ لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري ـ ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ ـ ٧٢٩٢٥٩ ـ ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا ـ لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-342-X

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم

في الجزء الأول

من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٨]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

حديث شريف:

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول:

«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل ـ أو قال: ينزل اللَّه مطراً كأنه الطَّل أو الظِّل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»

[رواه مسلم رقم ٢٩٤٠]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما بين النفختين أربعون»** قالوا لأبي هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، **«ثم ينزل اللَّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل»**. قال ﷺ: **«وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**.

[متفق عليه]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾.

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده. . .

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه. . .

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللّه بها عليه، فأسأل اللّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

البعث والنشور

سلسلة ـ موسوعة الآخرة ـ الجزء الخامس
دراسة واقعية لعالم البعث والنشور مستندةٌ

- إلى كتاب اللّٰه تعالى : القرآن الكريم الذي أقسم اللّٰه سبحانه فيه على البعث والنشور .
- إلى أحاديث رسول اللّٰه ﷺ التي أكدت بعث ونشور الخلائق جميعاً .
- إلى حقيقة الحياة الدنيا وحقيقة صيرورتها إلى عالم الفناء .
- إلى كل المعطيات الفكرية التي تؤكد بعث الناس ونشرهم ووقوفهم بين يدي اللّٰه سبحانه للحساب والجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

قضية البعث والنشور قضية تعيش واقعها مع البشرية، منذ خلق اللَّه سبحانه آدم عليه السلام، وبقيت مثار جدل شديد بين الأنبياء وأقوامهم الذين أرسلهم اللَّه سبحانه إليهم. . وبقيت الأجيال من بعدهم في صراع وجدل شديدين حول قضية البعث والنشور، منهم من آمن وصدق وهم قلة، ومنهم من كفر باللَّه وبالبعث والنشور بل أنكروها نكراناً شديداً، وهم الغالبية من البشر خلال تلك الأجيال المتعاقبة منذ عهد آدم عليه السلام وإلى يومنا هذا.

. . . . ولا أدري لماذا كانت البشرية تصر على عدم البعث والنشور؟ ولا أدري ما الذي كانت تجنيه من وراء مكابرتها ومعاندتها؟

فهل يعيش الإنسان بدون أمل؟ وهل تتحقق السعادة في متعة مؤقتة، يعيشها الإنسان في حياته القصيرة التي لا تتجاوز في المتوسط ما بين ٦٠ ـ ٧٠ ـ عاماً ثم يتحول إلى تراب وفناء أبدي لا رجعة فيها ولا حساب ولا جزاء للمحسن ولا عقاب للمسيء. . فالعقل البشري لا يمكن أن يقبل هذه الخرافة ولم يخلقه اللَّه تعالى ليقبل هذه المقالة الفاسدة، بل خلقه اللَّه سبحانه على فطرة الإيمان باللَّه تعالى وبالبعث والنشور، فالعقل هو المِيزة التي ميز اللَّه سبحانه بها الإنسان على كثير ممن خلق، وأكرمه به، ولا يمكن أن يقبل قضية الفناء الأبدي والتي هي أضغاث أحلام وأن يقول: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت فيها ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر بأيامه ولياليه. . . فكيف بعقل خلقه اللَّه

سبحانه ثم يكفر به وبالبعث والنشور ويوم القيامة والجنة والنار؟ . . . .
لذلك جاء القرآن الكريم ليقر حقيقة البعث والنشور، وأنها البداية الحقيقية لحياة الإنسان بعد امتحانه وابتلائه في حياته الدنيا، جاء القرآن الكريم ليقسم اللَّه سبحانه فيه على لسان رسوله ﷺ على البعث والنشور وأنه حقيقة مطلقة لا شك فيها ولا لَبْس.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ .

[سورة التغابن، الآية: ٧]

وبيَّن اللَّه سبحانه في كتابه الكريم وفي كثير من الآيات الكريمة خسران وبطلان دعوى الأجيال السابقة على نكرانهم لحقيقة البعث والنشور، حيث أصروا واستكبروا وكفروا لقاء متعة زائلة ينالونها في بعض سنوات حياتهم الدنيا، أنكروا البعث والنشور نكراناً مطلقاً، لأن الإيمان به يلغي من حياتهم الدنيا متطلباتِ الشهوة المحرمة والمتعة المحظورة ولا بدَّ لهم أن يستقيموا كما أمر اللَّه سبحانه على لسان رسله وأنبيائه وأن يعبدوا اللَّه سبحانه ويطيعوه عن حب ورغبة.

يقول تعالى على لسان أولئك الأقوام:

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٢٤]

بل ذهبوا مذهب الاستهزاء من رسلهم وما يقولونَهُ عن الساعة والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٣٢]

ثم توجه القرآن الكريم توجهاً آخر لقبول حقيقة الساعة والبعث والنشور، حيث طلب من البشر أن يسيروا في الأرض لينظروا كيف خلق اللَّه الخلق، وكيف تموت الخلائق ويفنى كل شيء، وكذلك طلب منهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، من خلال ما وهبهم اللَّه سبحانه من العقل، لأن في التفكير نتيجةً حتمية إلى قبول سنة اللَّه سبحانه في هذا الكون، والإيمان قطعاً أن هناك بعد الحياة بعثاً ونشوراً وحساباً، لأن من تمام الخلق تمام الحكمة ومن تمام الحكمة تمام العدل ولا يمكن للعدل المطلق إلا أن يكون حقيقة نهائية لخلق هذه الخلائق، وهذا لا يتحقق إلا بعد امتحان البشر على هذه الأرض وبعد الموت والبعث والنشور.

. . . . فالمنكرون للبعث والنشور لم تدلهم عقولهم على النكران، لأن هذا يخالف عقولهم المخلوقة، إنما دلتهم شياطينهم التي أغوتهم بتفضيل متعة زائلة وشهوة عارضة على قبول حقيقة البعث والنشور، وأرى أن هذا عذاب من اللَّه سبحانه لتلك البشرية التي أصرت وكابرت وعاندت الحقائق الموجودة فيكونون للشياطين أولياء، وقد بيَّن اللَّه سبحانه ذلك على لسان إبراهيم عليه السلام وهو ينصح أباه آزر بأن لا يمسه من اللَّه عذاب فيصبح للشيطان ولياً.

﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٤٥]

لذلك لمّا وقع من هؤلاء الكفار والمشركين النكرانُ للوحدانية والبعث والنشور أرسل لهم الشياطين تؤزهم أزًّا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ .

[سورة مريم، الآيتان: ٨٣، ٨٤]

. . . . ولو أن الإنسان نظر إلى ما حوله وإلى حقيقة هذا الكون وما يجري من حوله لدلته الحقائق إلى لقاء اللّه سبحانه في نهاية الأمر. . . . فما من ذرة في هذا الكون إلا وهي تشير إلى حتمية فنائه، وما من مثقال حبة من خردل في هذا الكون الذي خلقه اللّه سبحانه إلا وتشير إلى زواله، وقيام الساعة ثم البعث والنشور لهذه الخلائق فلا إيمان بالبعث والنشور إلا من خلال الإيمان باللّه. . وقل لي: أي شيء في هذا الكون الذي من حولنا والذي نرى منه جزءاً يسيراً من خلال أبصارنا يشير إلى ديمومة الحياة؟ أين مَن قبلنا وما بنوه؟ ألم يصبح خراباً؟ أين أولئك الأقوام الذين عَمَروا حضاراتٍ واسعةً؟ ألم يدفنوا هم وحضاراتهم ولم يبق فيها إلا الذكرى وبعضُ دلائلها، ليعتبر البشر بما وصل إليه الذين من قبلهم؟ ألم يقل اللّه تعالى في محكم كتابه:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٧]

. . . . وأخيراً نقول: لو أن البشرية اقتنعت أنه لا بعث ولا نشور، فإننا بالمقابل نكون قد اقتنعنا بالفوضوية والعشوائية واللعب بهذا الكون وهذا الخلق، لأن من تمام التنظيم تمامَ الحقائق التي تدل كلها على البعث والنشور، وحتى لا يعيش الإنسان هذه العشوائية والفوضى وأن الكون والخلائق خلقت هكذا تحيا وتموت ولا بعث

ولا نشور ولا جزاء، دلَّهم اللَّه سبحانه في كتابه الكريم إلى أن هذا الكون وهذه الخلائق لم تخلق لعباً ولهواً إنما خلقت لهدف وحق من حكمة مطلقة وعدل مطلق لإله حق خلق بالحق وسيبعث بالحق وسيحاسب بالحق.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيات: ١٦ ـ ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

ويقول تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠]

الفصل الأول

- مَدخل . . . . كل شيء هالك إلا وجهه .
- وعد اللّٰه سبحانه بالبعث والنشور .
- الأمثال التي ضربها اللّٰه سبحانه لنا في القرآن الكريم عن كيفية إحيائه للموتى وبعثهم ونشرهم .
- القاسم المشترك بين إحياء الأرض بعد موتها وإحياء الناس بعد موتهم وبعثهم .
- ما يكون من أحداث بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث .
- كيف ترسل الأرواح إلى الأجساد؟
- بيان قدرة اللّٰه سبحانه في نشره وبعثه للخلائق جمَيعاً .
- جدل البعث والنشور بين الأنبياء وأقوامهم في التاريخ الإنساني .

مَدخل
كل شيء هالك إلا وجهه

قلنا في الجزء الرابع من الكتاب: إن اللّه سبحانه يميت كل الخلائق من النفخة الأولى في الصور إلا من يستثني اللّه سبحانه بعلمه. يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

ولقد بيَّنَّا كذلك الآراء حول الذين استثناهم اللّه سبحانه من الصعق (الموت) عند النفخة الأولى... لكن الآيات القرآنية تؤكد أنه وقبل النفخة الثانية للبعث والنشور يميت اللّه سبحانه كل أولئك الذين استثناهم من الموت عند النفخة الأولى، ودليل ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى بيَّن لنا في الآيات الكريمة التي تخص يوم القيامة أن كل الخلائق هالك وميت ولا يبقى إلا وجهه الكريم، وما ذلك إلا لتعلم الخلائق جميعاً ومهما كان وضع أحدهم وقربه من اللّه سبحانه أنه يصيبه ما يصيب الخلائق من الحياة والموت والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٦]

ويقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

ويقول سبحانه:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

وتؤكد الآية الكريمة من سورة القصص هلاك كل مخلوقات اللَّه تعالى دون استثناء لأحد.

يقول تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

وفي هذه الآيات الكريمة بيان من اللَّه سبحانه أنه غني عن العالمين ملائكته وإنسه وجِنّه وما لا نعلم من خلق اللَّه سبحانه.. ولقد أكَّد اللَّه سبحانه في أكثرَ من آية كريمة استغناءه عن العالمين جميعاً.

يقول تعالى: ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٦٤]

ويقول تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٦]

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٦]

ويقول أيضاً: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٣]

وكذلك فإن اللَّه سبحانه في إهلاكه لكامل الخلق وتحقيق الموت فيهم جميعاً، بيان منه جل جلاله بأنه أحكم الحاكمين وأعدل

العادلين، ففي تعميم الموت يجمع اللّه كامل العدل الإلٰهي الذي وصف نفسه به.

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ٤٥]

ويقول تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

[سورة التين، الآية: ٨]

ويقول سبحانه:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٥]

نعم لا تبديل لكلماته وهو القائل: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

.. وأما قوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٣]

فإن في معناها الكثير ـ فاللّه سبحانه يقول: إنه الغني، الغني عن خلقه جميعاً ملائكة وإنسٍ وجنٍّ، ولكنه ذو الرحمة.. فإذا أماتهم جميعاً قبل يوم القيامة، فَمَنْ يكون الشاهد على اللّه سبحانه في إعادة خلقه وقد ماتوا جميعاً؟ ولم يبق لا شهيد ولا رقيب من ملك ولا رسول؟... ولكن رحمة اللّه تكفي. ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾ فمن رحمته يعيد خلقه ويبعثهم ليوم القيامة ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى والجنةِ والذين كفروا بجهنمَ خالدين فيها أبداً.

وعد اللّه سبحانه بالبعث والنشور

لقد وعد اللّه سبحانه في كتابه العزيز رسله والناس جميعاً بالبعث والنشور والعودة إليه، وأقسم على هذه العودة ثم بيَّن لنا بالحجة والبراهين بعث الناس من قبورهم وعودتهم إلى اللّه سبحانه لحسابهم وجزائهم، وتعددت الآيات القرآنية الكريمة، وقد عرضها اللّه سبحانه بالمحاجّة العقلية من خلال هذا العقل الإنساني الذي وهبه اللّه سبحانه للبشر، والذي يوصلهم إلى أن اللّه سبحانه حق وأن خلقهم حق وبعثهم حق وحسابهم حق وأن الآخرة حق وأن يوم القيامة لا ريب فيه من خلال قدرة اللّه سبحانه على الخلق والإعادة.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٥]

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٤]

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٦٠]

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١١١]

. . . نعم إنه الوعد الحق من اللّه سبحانه، ومن أصدق من اللّه وعداً؟ ومن أعظم من اللّه رحمة؟ ومن أقدر من اللّه على البعث والنشور؟ وهو الخالق وهو الذي يحيي ويميت وبيده الأمر وإليه يرجع الأمر كله، وكم من الآيات الكريمة التي بيَّن اللّه سبحانه لنا فيها أنه يحيي ويميت وليس غيره قادراً على فعل ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، مهما كَبُر أمره وشأنه وعظم خلقه، فلا يملك أحد سواه الحياة والموت والنشور.

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣]

فلا أحد من العباد يملك الموت والبعث والنشور سوى اللّه سبحانه، فهو القادر على هذا وحده دون خلقه أجمعين، وصفة الإحياء والإماتة صفتان إلٰهيتان. وهذه البشرية وعمرها على الأرض عشرات الآلاف من السنين ماذا فعلت بالموت؟ فهل استطاع أحد أن ينفيه عن نفسه أو أن يدفعه؟ وكم حاول الكثير من البشر الاحتفاظ بحياتهم أو تطويلها أو الاحتفاظ بشبابهم فما استطاعوا لذلك سبيلاً.

يقول تعالى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦٨]

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٧٨]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٧]

واليوم في عصر الحضارة والتكنولوجيا حاول كثير من العلماء إطالة العمر أو دفع الهرم والموت فما استطاعوا لذلك سبيلاً أيضاً. . . ذلك أن اللَّه سبحانه وفي أساس خلقه لم يجعل للهرم ولا للموت دواء يدفعهما أو يؤخرهما. . فخلايا الإنسان مبرمجة من اللَّه سبحانه نشوء وقوة ثم هرم ثم موت لا محالة، ولا سبيل للخلاص أبداً منهما، مهما تطور العلم ووصل إلى أعلى المراتب التي يمكن أن يصل إليها العقل البشري، ذلك أنَّ البشرية تبقى أولاً وأخيراً ضمن الدائرة التي رسمها اللَّه سبحانه لها.

يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم**»[١].

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت**»[٢].

ويؤكد اللَّه سبحانه أنه هو الذي يميت، وهو الذي يحيي الموتى في عشرات الآيات القرآنية، وذلك لتطمئن قلوب العباد، واعتبر اللَّه سبحانه الذين يمارون في إحياء الموتى أنهم لفي ضلال بعيد، ولفي ضلال كبير، والذين لا يقدرون للَّه حقه ولا يعتقدون بالبعث والإحياء

(١) رواه الحاكم في المستدرك حديث صحيح. السيوطي في الجامع الصغير.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك. السيوطي في الجامع الصغير.

والنشور أولئك الذين لا يعلمون عن اللَّه شيئاً ولا يقدرون قدرته وعلمه وعظمته، وأنه الخالق الذي يقدر على الخلق ويقدر على الموت ويقدر على الإحياء والبعث للخلائق جميعاً. يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٦]

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٥٨]

وفي آية جامعة شاملة يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨]

ولقد أقسم اللَّه سبحانه على هذه العودة وعلى هذا البعث، وقال عنه: إنه حق وقول فصل مثلما أنكم تتكلمون وتنطقون، فكما أن كلامكم ونطقكم لا ريب فيه كذلك فإن العودة والبعث والنشور حق لا ريب فيه أبداً.

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠]

ثم يقسم اللَّه تعالى مؤكداً قوله وينبّه الناس ثم يبيِّن لهم عظمته وقدرته ليس في إحياء الميت وبعثه ونشره فحسب، بل في إعادة بنانه كما كان قبل الموت وهي عملية إعجازية في الخلق والإعادة كون الإبهام له بصمة إنسانية منفردة بواسطة خطوطها الحلزونية.

يقول تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ١ ـ ٤]

وحتى لا يقف الإنسان مستغرباً أو متعجباً كيف تكون إعادة الأموات أحياء بعد فنائهم وبلائهم، وتحولهم إلى عظام نخرة وتراب، بيَّن اللَّه سبحانه لنا أن إعادة البشر إلى الحياة بعد الموت هي عملية أهون عليه من الخلق، وكلا الأمرين على اللَّه سبحانه هيِّن، ولكن حتى تطمئن قلوب الناس ولا تتساءل نفوسهم عن كيفية عودتهم مرة أخرى إلى حياة وقد تحولوا عظاماً وتراباً.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٧]

ثم يتوجه اللَّه سبحانه إلى البشرية بالخطاب العقلي والتوجه القلبي والإثبات الفكري طالباً منهم النظر والبحث والتقصي.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

الأمثال التي ضربها اللَّه سبحانه لنا في القرآن الكريم عن كيفية إحيائه للموتى وبعثهم ونشرهم

. . . ضرب اللَّه سبحانه لنا في القرآن الكريم ثلاثة أمثلة على إحيائه الموتى لثلاث حالات، تختلف كل واحدة عن الأخرى، ليبيِّن اللَّه سبحانه لنا أنه لا يعجزه شيء، ومهما كان وضع الموتى الذين يريد إحياءهم.. ولقد ضرب اللَّه سبحانه هذه الأمثلة للناس ليطمئنوا إلى أن اللَّه سبحانه قادر على إحياء الموتى وقادر على إعادتهم ومحاسبتهم ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات.

يقول تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٨]

أينما يكون الإنسان بعد موته في ظلمات البر والبحر، أو في مجاهل الأرض وأعماقها، أو في فضاء السماء وغيرها فإن اللَّه قادر على أن يأتي بهم جميعاً.

المثل الأول ـ من سورة الكهف نقتبسه من قصة أصحاب الكهف الذين أنامهم اللَّه ثلاثمائة وتسع سنين ثم بعثهم وأحياهم.

يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٩ ـ ١٢]

وقال اللَّه تعالى من سورة الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ١٩]

ثم قال تعالى من سورة الكهف: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٥]

. . . أهل الكهف مجموعة من الشبان عاشوا في عهد ملك ظالم كافر قبل بعثة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام بزمن. . . ومن ظلم وكفر الحاكم التجأ هؤلاء الشبان إلى أحد الكهوف في الجبال القريبة من بلادهم، واجتمعوا فيه، وتوجهوا إلى اللَّه سبحانه بالدعاء أن يهديهم سواء السبيل، وأن يهيِّئ لهم من أمرهم رشداً، وأن يؤتيهم من رحمته ويلهمهم الصواب في عملهم ورأيهم، واشتكوا إلى اللَّه في دعائهم من الحاكم الظالم وكفر الرعية. . . واللَّه أعلم بكفرهم وظلمهم، فأراد اللَّه سبحانه ومن رحمته وعلمه أن يجعلهم مثلاً للعالمين، فأنامَهم جميعاً في هذا الكهف وهم على حالهم وجلوسهم وفي ثيابهم ومعهم كلبهم الذي افترش الأرض ومد يديه. وأنامهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ثم بعثهم وهم على حالهم ووضعهم الذي كانوا فيه قبل النوم في الكهف. ولذلك عندما تساءلوا عن الوقت الذي استغرقوا كما ظنوا في نومهم قال قائل منهم: يوماً أو

بعض يوم ـ أي ما يشبه حالة النوم العادية التي ينامها الإنسان في يومه. . . والقصة طويلة ومن أراد زيادة التفصيل فعليه بالعودة إلى كتب أئمة التفسير ـ ابن كثير ـ تفسير الفخر الرازي ـ ابن جرير وغيرهم كثير، حيث استفاضوا في الشرح والتفصيل والتفسير. . . المهم هذا مثل ضربه اللَّه لنا كيف بعث من نام بعد ثلاثمِائة سنة وازدادوا تسعاً وحالهم على ما هي عليه حتى ظنوا أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم. . معجزة من معجزات اللَّه تعالى علينا الأخذ بها فنزداد إيماناً بالبعث والنشور.

المثل الثاني من سورة البقرة: من قصة عزير الذي أماته اللَّه مائة عام ثم بعثه وأحياه.

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٩]

قال جمهور السلف رضي اللَّه عنهم: إن هذا الذي مر على قرية هو العزير أحد الصالحين من بني إسرائيل، مر على بلد بيت المقدس بعدما دخلها بختنصر وخرّبها، فرآها العزير وهي خاوية على عروشها أي ساقطة على سقوفها باعتبار أن سقوف البيوت تسقط أولاً ثم تتهدم الجدران وتتساقط عليها أي على السقوف: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. قال ذلك استعظاماً لأمر القرية الخربة وتفخيماً وتعجباً من

عظمة قدرة اللَّه تعالى القدير على كل شيء لا من باب الاستبعاد والإنكار، وذلك نظير قول زكريا عليه السلام فيما أخبر اللَّه تعالى عنه لما بشر بالغلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾

[سورة مريم: الآية: ٨]

يعني أن ذلك الأمر عظيم وجدير بأن يتعجب من عظمته وفخامته.

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه بعد موته ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ وهكذا السؤال ورد لإظهار عجز العزير وغيره عن الإحاطة بشؤون اللَّه تعالى وعظيم قدرته ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وإنما قال ذلك لأنه مات ضحى النهار وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل أن ينظر إلى الشمس: يوماً، ثم التفت فرأى أن الشمس لم تغرب بل آثار أنوارها على الأماكن العالية فقال: أو بعض يوم، على طريق الإضراب ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير في هذه المدد الطويلة والسنين العديدة وكان طعامه على ما روي عنباً وتيناً، وشرابه عصيراً أو لبناً. ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف نخرت عظامه، وتفرقت أوصاله، وهكذا أمره اللَّه تعالى أن ينظر أولاً إلى طعامه وشرابه حيث إنه لم يتغير حتى يبيّن له أن الذي حفظ له طعامه وشرابه من التغير والفساد على طول السنين المائة ـ هو الذي حفظه من التغير ومن أن تأكله الأرض وتفسده على السنين العديدة بل أبقى له جسمه بعد موته وحفظه من البلى لأن اللَّه تعالى قادر على كل شيء.

وأمره اللَّه تعالى أن ينظر ثانياً إلى حماره وقد بلي وتفرق وتمزق ليزداد يقيناً بأنه مر عليه مِائةُ سنة، ثم قال تعالى له: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي عبرة ودليلاً على قدرة اللَّه تعالى على إحياء الأموات وبعثهم، وأنه سبحانه قادر أن يحفظ أجساد من أراد حفظهم وأنه

سبحانه قدير على كل شيء ولا يعجزه شيء ثم قال له: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ أي عظام الحمار البالي المتفرقة أوصاله وعظامه ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ أي كيف نرفعها من الأرض ونركبها فوق بعضها ونعيدها كما كانت قبل الموت والتمزق. ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ أي نستر العظام باللحم كما نستر الجسد باللباس ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ اتضح له اتضاحاً تاماً وعاين كيفية الإحياء ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وذلك علم رؤية وعِيان فوق ما أنا عليه من اليقين والإيمان.

المثل الثالث: قصة إحياء الطيور على يد الخليل سيدنا إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام وقد ذكرها اللّٰه تعالى في القرآن الكريم بعد قصة العزيرعليه السلام.

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦٠]

اختلفت الأخبار المنقولة عن العلماء السلف رضي اللّٰه عنهم في سبب سؤال الخليل ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى.

فجاء عن الحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم: أن الخليل عليه الصلاة والسلام سأل ربه ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس الخبر كالمعاينة إن اللّٰه تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت**».

وروي عن ابن عباس والسدي بن جبير أن المَلَكَ بشر الخليل عليه السلام بأن اللَّه تعالى قد اتخذه خليلاً وأنه يجيب دعوته وأنه يحيي الموتى بدعائه فلذلك سأل اللَّه ما سأل.

وروي عن محمد بن إسحاق أن سبب سؤال الخليل ذلك ـ هو منازعة النمرود إياه في إحياء الموتى حين قال له الخليل: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ورد على النمرود زعمه أن العفو عن المجرم هو إحياء له، وأن تنفيذ القتل فيه إماتة له، وراح النمرود يتوعد الخليل بالقتل إن لم يحي اللَّه الموتى على يد الخليل، بحيث يشاهد النمرود ذلك، فدعا سيدنا الخليل ربه حينئذ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ﴾ أي ألم تعلم وتؤمن بأني قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألني عنه؟

أو لم تؤمن بأني قد اتخذتك خليلاً، أو لم تؤمن بأن الجبار النمرود لا يستطيع أن يقتلك، ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ أي أنا مؤمن بذلك إيماناً لا شك فيه ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ بانضمام رؤية العِيان إلى الإيمان والإيقان بأنك القادر على ذلك، وليطمئن قلبي بالخُلَّة التي تفضلت بها علي وأكرمتني بها وبلوازمها من إجابة الدعاء وما وراء ذلك. أو ليطمئن قلبي بأن الجبار لا يقتلني بعدما يشاهد كيفية إحيائك للموتى على يديَّ.

وعلى كل فسؤال الخليل لم يكن عن شك أصلاً بدليل قوله ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ أي أنا مؤمن ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾.

وقد قطع النبي ﷺ دابر الوهم الذي يتلاعب في بعض الخواطر فيخيل إليها أن الخليل عليه السلام قد اعتراه بعض الشك، فلذلك سأل ما سأل فإن نبيّنا ﷺ قطع دابر الوهم الباطل بقوله على سبيل

التواضع والتبرئة كل البراءة، فقال كما في الصحيحين عن أبي هريرة: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام إذ قال ربِّ أرني كيف تحيي الموتى**»، ويعني بذلك ﷺ أنا لم نشك أصلاً فلم يشكّ إبراهيم الخليل أصلاً فكأنه ﷺ يقول: إن شكَّ إبراهيم فنحن أحق بالشك ولكنا نحن لم نشكّ فإبراهيم لم يشكّ صلوات اللّه تعالى على حبيبه وخليله وآلهما أجمعين[1].

(١) كتاب الإيمان في عوالم الآخرة ومواقفها للشيخ عبد الله سراج الدين.

القاسم المشترك بين إحياء الأرض بعد موتها وإحياء الناس بعد موتهم وبعثهم

اللافت للنظر في كثير من الآيات القرآنية.. أن اللَّه سبحانه كلما أراد أن يتحدث عن إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة... يضرب لنا مثلاً في إحياء الأرض بعد موتها... أي عندما يمتنع الماء عن أي أرض فإنها مع الوقت تيبس ثم تتشقق ثم تموت فلا يكون فيها حياة أبداً إذا لم ترتوِ من الماء... ومهما مضى من زمن على أي أرض بعد موتها ولو كان مئات السنين، فإذا ما أنزل اللَّه سبحانه عليها ماء اهتزت وربت وعاشت بعد موت طويل وأنبتت من كل زوج بهيج.

... وقد جعل اللَّه سبحانه من آياته في الدنيا إحياء الأرض بعد موتها، وما ذكر اللَّه آية يبيِّن فيها إحياء الأرض بعد موتها إلا توجه في نهاية الآية الكريمة إلى البشر يخاطبهم... إن في ذلك لآية لقوم يعقلون.. لقوم يتذكرون.. لقوم يعلمون.. لقوم يسمعون.. أو بيَّنَ معجزة خروجهم وبعثهم.. تنبيهات شتى حتى يعقل الناس ويدركوا أن اللَّه قادر على كل شيء.

يقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦٤]

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٦٥]

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٦٣]

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ١٩]

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ٥٠]

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٩]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٥٧]

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ * وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ .

[سورة ق، الآيات: ٩ ـ ١١]

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي يبيّن اللّه سبحانه فيها لعباده من

البشر أن إحياءهم وبعثهم ونشرهم مثلُ إحياء الأرض بعد موتها، ولا فرق بين هذا الأمر (إحياء الأرض) و(إحيائكم) كما في قوله تعالى بعد أن يتحدث عن الماء الذي ينزله من السماء فيحيي به الأرض بعد موتها: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ والمعنى لا فرق مطلقاً، فلم هذا التأكيد وهذه الأمثلة من اللّه سبحانه؟ وما علاقة البشر وأجسادهم التي هي من لحم وعظم بإحياء الأرض التي هي من تراب؟

لماذا لم يضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً عن إحيائنا بولادة نجم في السماء أو ولادة كوكب أو قمر جديد، أو بالمرض ثم الشفاء، إلخ من الاحتمالات نقول:

١ ـ إن الإيمان باللّه وبآياته فيما مضى من تاريخنا كان قوياً جداً، حتى لو لم يدرك الناس معنى تشبيه إحياء الموتى بإحياء الأرض، ذلك أن القرآن الكريم فيه مئات الآيات القرآنية الكريمة التي فيها إشارات (علمية)، والتي كان من الصعب فهمها الفَهم العلمي الصحيح، لعدم توفر العلوم الجيولوجية والفلكية والفيزيائية في تلك الأوقات الطويلة من تاريخ الإسلام، ولكن كان إيمانهم الراسخ باللّه سبحانه وبأنه قادر على كل شيء يكفيهم لكل ما أنزله اللّه سبحانه من آيات القرآن الكريم. . . وكذلك نحن بفضل اللّه سبحانه فإيماننا باللّه أقوى وأعظم من كل شيء، ولكن اللّه سبحانه أراد ومِن وعدٍ منه لعباده أنه سيريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وما رأينا من الآيات في هذا العصر مما لا يحصى فنحمد اللّه

رب العالمين عليه. ومنها بفضل اللّه تعالى بعد أن وصل علم التشريح الجسدي في الإنسان إلى درجة عالية من المعرفة وتحليل الإنسان، وأنه يتكون من الماء ومجموعة من المعادن كالحديد والمغنيسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والأملاح إلخ بنسب مختلفة، وكذلك تبيَّن لعلماء الجيولوجيا وعلم الأرض أن الأرض بترابها تتكون من تلك المعادن التي ذكرت، والموجودة في جسم الإنسان. . . وهذا العلم اليوم لم يعد خافياً على أحد، فقد أصبح من العلوم البسيطة التي تدرس في المدارس وفي المراحل الأولى من التعليم.

٢ ـ . . . . لذلك وبما أن الأرض في تكوينها الجيولوجي تشبه إلى حد كبير تكوين الإنسان البيولوجي، لذلك يتقاربان بالموت والإحياء فالذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الإنسان بعد موته ولكن الكيفية بعلم اللّه تعالى.

. . . كمّ هائل من الآيات الكريمة التي تحدث اللّه سبحانه فيها أن الإنسان خلق من تراب، وأن آدم أبا البشر عليه السلام خلق من تراب، وأن الأنبياء والرسل خلقوا أيضاً من تراب، وأن البشر كلهم خلقوا من تراب.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٥٩]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٠]

وغيرها من الآيات التي تجمع على أن خلْق الإنسان من

تراب.. ولذلك عقدت المقارنة بين إحياء الأرض وهي من تراب وإحياء الإنسان الذي هو من تراب.

٣ ـ وفي أول سورة الحج من الآية ١ ـ ٥ صورة حركية رائعة، وكأنك تعيش في أجواء الساعة وقيامها، وتُعقد المقارنات وتوضع الأسباب وتتحقق النتائج ـ ثم يقدم الله لنا وبالعقل وبالمنطق الإنساني صحة الخلق وعملية تدرجه، لينفي الشك عن قلوب عباده في قضية العودة إلى الحياة ثم يختتم الله الآيات الخمس، بأن الأرض تكون هامدة فإذا أنزل الله سبحانه الماء عليها اهتزت وربت وعاشت وأنبتت من كل زوج بهيج، وكذلك أيها الناس خلقكم وكذلك بعثكم.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

[سورة الحج، الآيات: ١ ـ ٥]

وإذا أخذنا من الآيات الخمس قوله تعالى في مسألة إحياء الأرض بعد موتها: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

هامدة: ميتة يابسة قاحلة.

اهتزت: تحركت بعد جمود وكمود.

ربت: ازدادت وانتفخت.

في هذه الآية الكريمة نقلنا اللّه سبحانه إلى التجربة العملية حتى لا يكون الاكتفاء بالأمر نظرياً.

يقول الشيخ الدكتور عبد المجيد الزنداني في تفسير هذه الآية الكريمة علمياً وجيولوجياً:

إن الأرض من تراب، والتراب عبارة عن ذرات وحبات متناهية في الصغر، لا تُرى الواحدة منها منفصلة إلا عن طريق جهاز التكبير مئات المرات تماماً كالإنسان المكون من خلايا تعد بآلاف المليارات والخلية الواحدة لا يمكن أن ترى إلا بواسطة جهاز التكبير كذرة التراب.

يقول الدكتور عبد المجيد: إن الأرض وترابها في حال انقطاع الماء عنها تنزوي ذراتها وحباتها، وتتفرق أشلاؤها وتتفكك عن بعضها، فإذا ما وضعنا جهاز التكبير على ذرات من الأرض الميتة يتبيَّن لنا هذا الأمر، وقد تمَّ عرض هذه الحالة في محاضرة له على التلفاز وبيَّن كيف تكون حالة ذرات التراب في حال موت الأرض والتراب. . . فإذا ما أنزل عليها الماء يقول: تهتز وتتحرك بسرعة وبتفاعل مشترك بين كل الذرات كأنها فرحة بعودة الحياة إليها عن طريق الماء ﴿ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ وبعد هذه الحركة تخرج من انزوائها وتقوقعها وهزلانها فتنتفخ وتزداد وتتآلف وتعود إليها الحياة مرة أخرى. . يقول الشيخ الدكتور. . . إن ما يحدث في الأرض والتراب في حال نزول الماء عليها هو تماماً كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

والسؤال... من علَّم سيدنا محمداً ﷺ كل هذا؟ وهل كان عالماً في علم الجيولوجيا؟ وكيف عرف الإنسان أن خواص التربة وخواص الإنسان شيء واحد لوجود المعادن في كل منهما؟ إنه قوله تعالى الذي خلق وهو أعلم بما خلق ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

٤ ـ إن اللَّه سبحانه إذا أراد أن يحيي الموتى يوم القيامة ينزل مطراً كالطَّل على الأرض بين النفختين نفخة الصعق ونفخة الإحياء، وهذا سيأتي بيانه فيما بعد، وسنضطر لذكره لتحقيق الموقف وبيان دلائل إحياء الموتى.

يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فماذا يحدث بين النفختين؟ لنستمع إلى رسول اللَّه ﷺ.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**»، قيل: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قيل: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قيل: أربعون سنة؟ قال: أبيت. «**ثم ينزل اللَّه من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**»(١).

... فالحديث يشير ـ وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً في الفِقرة التالية وأن إحياء الموتى يوم القيامة ونمو أجسادهم مرة أخرى إنما يكون من إنزال الماء من السماء تماماً كما يحيي اللَّه الأرض بعد موتها.

---

(١) رواه البخاري ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث ٢٩٥٥.

ما يكون من أحداث بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث

يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.
[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

لقد تحدثنا عن نفخة الصعق (الموت) في الجزء الرابع (قيام الساعة وأهوالها) باستفاضة، وبينّا ما يكون من أحداث جسام ودمار لكل هذا الكون سمواته وأرضه وجباله وبحاره وأنهاره... ولكن هل من زمن يفصل ما بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث أم أن النفختين متعاقبتان لا زمن بينهما؟

الذي دلت عليه الأحاديث الشريفة أن هناك زمناً يفصل ما بين النفختين وأن هناك أموراً تحدث في ذلك الوقت الواقع بين النفختين.

... في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم أن هناك زمناً يقع ما بين النفختين يطول أربعين سنة أو أربعين شهراً أو أربعين يوماً حيث إن راوي الحديث أبا هريرة رضي اللّه عنه نسي عند ذكره للحديث ما قاله رسول اللّه ﷺ عن الأربعين.. هو تذكر أن رسول اللّه ﷺ قال: أربعون... ولكن أربعون سنة، أو أربعون شهراً، أو أربعون يوماً لم يتذكر... فخاف أن يكذب على رسول اللّه ﷺ لذلك كلما سئل قال: أبيت.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا لأبي هريرة ـ أربعون يوماً؟ قال: أبيت، (أي لا أجزم بأنها أربعون يوماً) قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، «**ثم ينزل اللَّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل**». قال ﷺ: «**وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنبِ ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[1].

فهذا حديث صحيح متفق عليه.. يثبت أن هنالك زمناً واقعاً بين النفختين وإن لم يبيِّن أبو هريرة حقيقة الزمن لشكه وخوفه من الوقوع بالخطأ فلم يجزم.. ولكن جاء في رواية لأبي داود: إنها أربعون سنة وهي الفترة الواقعة بين النفختين.

في هذه الأثناء يلف الأرض حالة من السكون المطبِق بعد أن دمر فيها كل شيء، وذهبت معالمها وجبالها وأنهارها وبحارها وكورت شمسها وجمعت هي والقمر فيكونان كما سيأتي بيانه كثورين عقيرين منزويين ينتظران أمر ربهما.. وهذه العمارات الشاهقات قد دمرت، وذهب كل ما بناه الإنسان من طرقات وحدائق وما صنعه من آلات.

... ثم يأمر اللَّه سبحانه السماء فتمطر على الأرض مطراً، ولكن ليس كمطر الدنيا إنما مطر لزج كالطَّل أو كالظِّل يشبه مني الرجال لزوجة، لاحتوائه عناصر بيولوجية تساعد في إنبات أجساد الناس وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ نوعية هذا المطر اللزج.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا**

---

[1] حديث متفق عليه.

أصغى ليتاً، ورفع ليتاً[١] فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل اللَّه ــ أو قال: ينزل اللَّه مطراً كأنه الطَّل أو الظِّل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[٢].

وللسائل أن يسأل ولم هذا المطر؟ واللَّه سبحانه قادر على أن يحيي عباده بأمر منه لأنه إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون.. والجواب عن هذا التساؤل إن وقع.. إن اللَّه سبحانه خلق كل شيء من أعظمه وأكبره إلى أصغره وأدناه بنظام متكامل، هيأ له الأسباب الموجبة للخلق ثم قال له: كن فيكون، ذلك أن اللَّه سبحانه بنى كل خلقه وكونه وَفق نظام وقوانينَ ثابتةٍ علمية من علمه. فاللَّه سبحانه من أسمائه الحسنى العليم، والقدير، فمِن علمه سبّب الأسباب ومن قدرته خلق الأشياء بعد وضعها في ميزان منضبط... فإذا وقف الإنسان في أي مكان من هذه الأرض، ونظر إلى ما حوله وما تحته وما فوقه يجد أن كل شيء خلقه اللَّه سبحانه له نظام وقانون، لم يُخلق عشوائياً أو هكذا خلق، بل خلق بعلم اللَّه وتقدير اللَّه لذلك سألنا اللَّه سبحانه أن نسير في الأرض وننظر كيف بدأ الخلق.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

والخطاب للعقلاء حتى يدركوا عظمة اللَّه سبحانه ونظامه وبناء السموات.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن

---

(١) الليت: صفحة العنق. وأصغى ليسمع.
(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢٥٨) رقم الحديث ٢٩٤٠.

تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ * ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾.

[سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤]

. . . فاللَّه سبحانه يقول: إنه خلق سبع سموات طباقاً لا يوجد بينها اختلاف وعدم تناسب، فإذا نظرت إليها لا تجد في بنائها خللاً ولا شقوقاً ولا تصدعاً، حتى لو أعدت النظر مراراً فسينقلب البصر إليك خاسئاً لأنك لن تجد أي خلل في البناء والنظام الإلٰهي.

هكذا خلق اللَّه سبحانه وهكذا بنى الكون. . فاللَّه سبحانه خلق الإنسان وفق نظام دقيق جداً، قدمنا عن ذلك في سورة الحج، وكيف أنه خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة. . . وهكذا لتكون الإعادة وفق نظام دقيق من إلٰه عليم ﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ بذات النظام والعلم. . فهذا المطر الذي يستمر نزولهُ أربعين عاماً بين النفختين، هو لتكوين الأجساد مرة أخرى التي أصابها البلى والفناء وتحولت إلى تراب.

ويقع السؤال مرة أخرى. . على من ينزل المطر؟ وقد بليت الأجساد وتحولت إلى تراب. . فما فائدته؟ وعلى من ينزل؟ ولم ينزل؟ وللجواب عن هذا نقرأ حديث رسول اللَّه ﷺ ثم نعمِد إلى التحليل والنظر ومشاركة العلم اليوم في زمن أصبحت فيه التكنولوجيا تمثل كل جوانبه.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا لأبي هريرة ـ أربعون يوماً؟ قال: أبيت، (أي لا أجزم بأنها أربعون يوماً) قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت «**ثم ينزل اللَّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت**

البقل». قال ﷺ: «**وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجبُ الذَّنَبِ ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[١].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً منه يركب الخلق يوم القيامة**». قالوا: أي عظم هو يا رسول اللَّه؟ قال: «**عَجْبُ الذَّنَبِ**»[٢].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب**»[٣].

... قال الإمام النووي في تفسير عَجْب الذَنَب: هو العظم اللطيف الذي هو في أسفل الصُلب وهو رأس العصص، ويقال له عجم بالميم [وهو أول ما يخلق من الأرض في ابن آدم] وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه.

... في هذه الأحاديث الشريفة الثلاثة بيان لكيفية إعادة اللَّه تعالى الخلائق بعد موتها وبعثها وإخراجها من قبورها...

في هذا المقام أشار رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة إلى ما يكون من الأمور والأحداث في الفترة الماضية والواقعة ما بين نفخة الصعق الأولى ونفخة البعث الثانية. وهذا غيب لا يمكن لأي تفسيرات علمية مهما وصلت من الرقي والتقدم أن تنظر في هذا الأمر وتقدم له تحليلاً أو دراسة.

... ولو استخدموا أرقى أجهزة الكمبيوتر لأخذ جميع الاحتمالات المتوقعة، فهذا علم تتوقف حدوده عند اللَّه سبحانه وتعالى.

---

(١) حديث متفق عليه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) رواه مالك وأبو داود والنسائي.

وما أخبرنا به رسول اللَّه ﷺ عن ما يكون بين النفختين، هو علم من عند اللَّه ألهمه اللَّه إياه أو علمه إياه عن طريق جبريل عليه السلام، وهذه رحمة من اللَّه سبحانه وتعالى. وقد أخفى اللَّه عنا تأريخ الأحداث ولكنه لم يخف عنا تفصيل وبيان الأحداث من خلال كتابه الكريم أو على لسان نبيه محمد ﷺ لنكون على علم، ولتكون الأحداث وتفاصيلها سبباً في قوة إيماننا ودفعنا للعودة إلى طريق اللَّه سبحانه، وبذلك يكون اللَّه أنذر خلقه لما سيحدث ويَكون.

إن في هذا الحديث إيجازاً، ولكن يحمل في طياته تفاسير كثيرة، وخاصة ونحن في عصر تقدم فيه العلم تقدماً كبيراً نستطيع أن نستفيد منه في تفسير هذا الحديث النبوي الشريف.

فما معنى أن كل شيء يفنى من ابن آدم الذي يصبح بعد وفاته تراباً وعظاماً إلا هذا الأثر، وهو عجب الذنب والذنب هي عظمة في مؤخرة ابن آدم تسمى العصعص هذه العظمة تفنى أيضاً ويبقى (لبها) الذي هو عجب الذنب.

وكما أن الإنسان بقليل علمه الذي أتاه اللَّه إياه استطاع أن يخترع شيئاً أسماه مكروفيلم لا يتجاوز طوله سنتيمترات، استطاع أن يختزن به معلومات تمتد إلى مئات الأعوام وآلاف الأحداث بدلاً من شريط يبلغ طوله مئات الكيلومترات أو في اختراعه جهاز الكمبيوتر الذي لا يتجاوز طوله سبعين سنتيمتراً أن يختزن به كمية هائلة من المعلومات.

أفلا يكون في هذا العَجْب الذي يبلغ حجمه حجم حبة العَدَس كلُّ صفات هذا الإنسان وسره، وهي مختزنة ومضغوطة بهذا الحجم؟

ثم انظر إلى هذه العلاقة الوطيدة بين نزول المطر الذي يشبه

الطَّل أو مني الرجال، ويكون لزجاً مغذياً وبين الإحياء بواسطته، ولِمَ ينزل اللَّه هذا المطر؟ وعلى من ينزل هذا المطر؟ وما فائدة نزوله وقد أفنى اللَّه خلقه جميعاً؟

إذاً هذا المطر يكون من أجل إنبات هذه الأجساد، ولكن هل تنبت الأجساد من هذا المطر وليس له أي أثر؟ فهذا يؤكد وجود أثر باق من الإنسان الفاني هو عجب الذنب الذي يشبه حبه العدس أو أصغر منها أو كحبة الخردل مضغوطة ومكثفة ببرنامج إلٰهي، فيه سر الإنسان نفسه وتكويناته من خلايا وصبغيات وعلامات وإشارات فكل إنسان له شيفرة خاصة وعلامة خاصة وبنان متفرد، فالجسد ومكوناته له تركيب خاص ينفرد عن أي إنسان آخر منذ أن خلق اللَّه آدم وحتى يوم القيامة.

والدليل على ذلك مريض الكلى فإن جسده يرفض أي كلية من أي إنسان آخر حتى لو تتطابقت أنسجة جسده وكليته مع جسد آخر فإن التطابق المطلق ١٠٠٪ غير موجود على الإطلاق، وأي تبادل (كلية) من جسد إلى آخر يجب أن يعيش صاحبها رغم كل هذا التطور العلمي على المنشطات والمثبتات لجهاز المناعة، حتى لا يُرفض الغريب من الجسد مهما كان نوعه.

إذاً حينما يفنى الإنسان وتبلى عظامه ويصبح تراباً، يبقى هذا العجب من الذنب والذي لا يبلغ حبة العدس حجماً ووزناً، ولا يمكن لأحد أن يراه لاختلاطه بالتراب ولكن اللَّه تعالى يعلم مقره ومستودعه، وحينما ينزل اللَّه هذا المطر بين النفختين والذي هو كالطَّل لزوجة يدخل بخاصيته التي وضعها اللَّه فيه ثنايا التراب الأرضي، وربما إلى أعماق سحيقة، ولهذا فإن النزول يكون لأربعين

يوماً أو شهراً أو سنة حتى يتمكن من الأرض كلها، ويصل إلى أي أثر للإنسان ولو دفن في باطن الأرض.

قال اللَّه تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٤٨]

وبعد اكتمال التحام المطر بعجب الذنب تنبت الأجساد كما ينبت البقل، فيكون الجسد بذات تركيبته الدنيوية وبذات الأحاسيس والشعور بتلك النفس التي كانت في الدنيا، وذلك من اكتمال العدل الإلهي، فاللَّه هو الحكم والعدل فالمفروض أن يكون الحساب يوم القيامة على ذات الأعضاء وذات الأحاسيس والشعور، فالإنسان ذاته يعود كما كان في الدنيا بكامل مكوناته، والتغيير الذي يحدث يوم القيامة بالإنسان ليس تغيير مكونات الجسد وأحاسيسه السابقة، إنما يزيد اللَّه في طول الجسد وقوته ليتناسب مع النعيم في الجنة أو عذاب النار، وتزداد قوة البصر ليستطيع الإنسان أن يرى ما لم يستطع أن يراه في الدنيا، لأن مؤهلاتهِ الجسديةَ البيولوجية في الدنيا لا تؤهله لرؤية ما لم يكن يراه.

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وقال اللَّه تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

وقال اللَّه تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ٢١، ٢٢]

وحينما تكتمل الأجساد في الأرض إنباتاً وتصبح جاهزة

لاستقبال الأرواح، يأمر اللّه سبحانه وتعالى إسرافيل بعد أن يحييه، أن يلتقم الصور ثم ينفخ فيه مرة أخرى وهي نفخة بعث الأجساد المتكاملة الجاهزة في تلك اللحظة.

وهذه الحالة تشبه حالة سيدنا آدم عليه السلام عندما خلقه اللّه وقبل أن يرسل الروح لتدخل جسده، وحينما نفخ اللّه فيه الروح أصبح بشراً متكاملاً تدب فيه الحياة.

كيف ترسل الأرواح إلى الأجساد؟

حينما يحيي اللَّه تعالى إسرافيل عليه السلام ويأمره أن يلتقم الصور، يضع اللَّه سبحانه جميع الأرواح الموجودة في علم اللَّه في هذا الصور، وحينما ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ترسل الأرواح بما يشبه لمح البصر، وكل روح تدخل في جسد صاحبها، ولا يمكن لأي روح أن تخطئ جسدها، وذلك منطقي وعقلي فإن الروح لها شيفرة خاصة مبرمجة، والجسد له ذات الشيفرة المبرمجة ولا يمكن أن يتم التحام خاطئ، فالجسد يرفض دخول أي روح أخرى لأنها لا تتوافق مع تركيبه ونسجه، فليس في الكون كله روح تناسب جسدي إلا روحي التي كانت معي في حياتي الدنيا، وهنا تكمن قدرة اللَّه تعالى التي لا يمكن لعقولنا أن تحيط بها أو ببعض منها إلا ما شاء اللَّه تعالى.

وعملية الالتحام بين الروح والجسد عملية تخرق قانون الزمن ويتضاءل معها الزمن حتى يكون صفراً.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

والدليل على انقهار عامل الزمن قوله تعالى في كتابه الكريم.

قال اللَّه تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمَر، الآية: ٦٨]

فلا نجد في هذه الآية الكريمة أي وجود لعامل الزمن، فلحظة

النفخ لحظة القيام والنشور، وأول كلمة تقولها البشرية حينما ترى آيات اللَّه حقيقة أمام أعينها، حيث لم تعد غيباً ولم تعد إنذاراً إنما هي حقيقة جلية للجميع يحسونها بكل أحاسيسهم - هي كلمة الحسرة والندم والخوف (يا ويلنا).

قال اللَّه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ٥١، ٥٢]

وربما يدخل هذا التساؤل عموم الناس في البداية لأن منظر الحشر لمليارات البشر دفعة واحدة يخرجون من أجداثهم عراة حفاة، لا يُميَّز فيه بين كبير وصغير ولا عبد ولا أمير، ولكن يثبت اللَّه الذين آمنوا في البداية ويحقق لهم ما وعدهم من الوعد الحق.

قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣]

وحينما تنتهي لحظة المفاجأة المذهلة، يعود كل إنسان إلى ذكرى من يكون هو؟ ثم ما كان عليه.

قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾.

[سورة النازعات، الآية: ٣٥]

فاللحظات الأولى ذهول مطلق للجميع، ثم تظهر حقائق النفوس من خلال التذكر السريع، فيعود المؤمن إلى نفسه سريعاً، ويتذكر العلاقة الطيبة بينه وبين ربه في الدنيا، وأما الذين نسُوا اللَّه وباعوا دينهم بدنياهم وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة وتجبروا على اللَّه واستكبروا في أنفسهم عن الإيمان باللَّه وعبادته فهؤلاء هم الذين

قال فيهم الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

وتكون الذكرى لأولئك الذين كفروا بالله مؤلمة ألماً شديداً فتراهم يقولون كما قال الله تعالى حاكياً عنهم: ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٢٧]

والآية تعبر عن حالة هؤلاء تعبيراً يؤكد أن الندم والحسرة يكونان في أعماقهم ولات ساعة خلاص، فما هم فاعلون ولو افتدَوا بملء الأرض ذهباً فلن يحميهم ويعصمهم من غضب الله سبحانه، وهم حينما يرون بداية الحقيقة أمامهم، تصعقهم الآلام ويتمنون العودة إلى قبورهم ونومهم، ولا يفيقون أبداً، فإنهم يعلمون حق العلم ما ينتظرهم من العذاب والآلام والذل والمهانة لأن الله توعدهم بالعذاب المهين، وهو أشد أنواع العذاب إيلاماً، وأما العصاة وعصاة أمة محمد ﷺ فتختلف آلامهم وعذابهم النفسي في هذه اللحظة عن المشركين والكافرين، فتكون آلامهم منصبة في هيئة الندم العميق على ما فعلوا في حياتهم من ألوان المعاصي والفجور، ومنهم مَن يعتصره الألم اعتصاراً لعدم ثباته في الدنيا على طاعة ربه سبحانه وتكاسله عن أداء الكثير من حق الله وحق العباد.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۞ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ .

[سورة النازعات: الآيات: ٣٥ ـ ٤١]

والسرعة في الحشر تفوق التصور البشري، فجمع رفات عشرات المليارات من البشر من بواطن البحار والجبال والوديان والصحراء في لحظات أمر إلٰهي، فوق مستوى العقل البشري وهذا في علم اللَّه.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فعلم الحياة الدنيا الميسر البسيط من أجل معيشة البشر انتهى وذهب، وجاء علم اللَّه الذي وعد عباده أنه سيريهم آياته ومعجزاته.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

ألم يقل بعض البشر كما قال تعالى على لسانهم:

قال اللَّه تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٤٧]

هذه الآية الكريمة لسان حال الكافرين والفاسقين.

ثم أجابهم اللَّه سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

فهذا علم أنكروه، وأنكروا قدرة اللَّه فيه، والآن وقد انتهت أسباب الدنيا وجاءت عجائب الآخرة فسيرون من قدرة اللَّه ما يرون، والندم واقع على من أنكروا وجحدوا قدرة اللَّه، وقد رأوا قدرته من خلال كونه في حياتهم الدنيا ورأوا السماء وما فيها، والأرض وما

عليها وكلها دلالات تشير إلى وجود اللَّه وقدرته، فهل يعقل أن تبنى هذه السماء ومليارات المليارات من النجوم التي تسبح فيها بهذا النظام وهذه الدقة دون قدرة إلٰه خالق.

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

وحينما استغربوا في دنياهم كيف يعودون مرة أخرى بعد أن يكونوا تراباً وعظاماً! أعطاهم اللَّه ما هو أقوى وأشد.

قال اللَّه تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾.

[سورة القيامة، الآيتان: ٣، ٤]

ومعنى الآية أن اللَّه (وبعد أن تكونوا تراباً وعظاماً) قادر على أن يعيدكم مرة أخرى بذات البنان الذي كنتم عليه، أي بذات البصمات التي كنتم تميّزون بها بعضكم عن بعض في الحياة الدنيا، وهي بحد ذاتها في الدنيا معجزة الخلق البشري، فلا تتساوى بصمات إنسان مع آخر منذ أن خلق اللَّه آدم وحتى آخر مخلوق قبل يوم القيامة، وشكل البصمات على اليد تتراءى للإنسان أنها واحدة ولكن هي بالفعل رسومات إلٰهية مختلفة تميّز أي إنسان عن إنسان آخر وحتى يوم القيامة.

بيان قدرة اللَّه سبحانه في نشره وبعثه للخلائق جميعاً

. . . كثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة التي تحدث فيها اللَّه سبحانه عن بعث العباد من قبورهم أو من أي مكان دفنوا فيه، ولو كان في أعماق باطن الأرض والبحار ورؤوس الجبال أو في الوديان السحيقة أو في طبقات الجو أو السماء، فالآية واضحة تبيِّن قدرة اللَّه سبحانه على جمع الخلائق والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٨]

فلا فوت ولا هرب لأحد، ولا يملك أحد لنفسه نجاة أو ملجأ، ولا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه وما كان ربك نسياً.

فكل ما في هذا الكون مُلكه، وكل ما خلق مما علمناه وما لم نعلم ملكُه وهو تحت علمه وقدرته وإرادته. . . فأين نذهب. . فأي مكان نذهب إليه ملكه.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٢٦]

وقال اللَّه سبحانه على لسان الجن ما تقوله الجن بعد أن أدركوا

أنهم لن يعجزوا اللَّه سبحانه في أرضه ولن يعجزوه هرباً، على الرغم مما تملكه الجن والشياطين من قُوى خارقة وقدرة على الطيران، حتى إنهم كانوا يصعدون إلى السماء الدنيا فيسّمعون إلى الملأ الأعلى.

يقول تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

[سورة الجن، الآية: ١٢]

ولقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا في الآيات من آخر سورة مريم بعد أن تحدث عن الكافرين الذين قالوا: إن اللَّه اتخذ ولداً، إن هذا إلا دعاء الذي يدعيه أهل الشرك والكفر تكاد السموات تتفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ثم أوضح اللَّه سبحانه أنه لا إلٰه سواه وأن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً وفرداً لا ينسى أحداً منهم أبداً لأنه أحصاهم وعدهم عداً وما كان ربك نسياً.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٨٨ ـ ٩٥]

اقرأ هذه الآيات العظيمة وأعد قراءتها مرات، تدركْ عظيم معانيها وكلماتها... وعظيم الأمر وهولَ القول فيمن قال اتخذ الرحمن ولداً أو كان للرحمن ولد... هذا الإلٰه العظيم لا ينبغي أن يتخذ ولداً ولا أن يكون له ولد، وليس في هذا الكون كله على عظيم اتساعه إلا حقيقة لا إلٰه إلا اللَّه، عليها قامت السموات السبع والأرض ومنها كانت الجنة والنار، فلا حقيقة في كل هذا الكون إلا حقيقة لا

إلٰه إلا اللَّه.. وكل شيء مخلوق بقدرة اللَّه سبحانه يعلم بالفطرة حقيقة وحدانيته وحقيقة لا إلٰه إلا اللَّه حتى السموات والأرض والجبال ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾.

ثم يبيّن اللَّه سبحانه أن كل من في السموات والأرض من إنس وجن ومن مَلك عظيم مقرب، حتى لو كان جبريل وميكال وإسرافيل وعَزرائيل وحملة العرش إلا سيأتي الرحمن فرداً يوم القيامة لا حول له ولا قوة له إلا حول اللَّه وقوته، كل يأتيه داخراً راجياً عفوه ورحمته ومهما عظمت هيئته وخِلقته ولو بلغ حجمه كما بين السماء والأرض فإنه يأتي يوم القيامة مطأطأ الرأس خاشعاً لا يرجو إلا رحمة اللَّه وكرمه وعفوه...

يقول رسول اللَّه ﷺ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى أذن لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة اللَّه تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمِائة عام**»(١).

هذا المَلك على عظيم خَلْقه بهذه الصورة التي تفوق حد تخيّلنا وليس تفكيرنا... يوم القيامة لا يرجو إلا رحمة اللَّه سبحانه... فماذا يفعل بنفسه من أعماه الباطل عن الحق ومات على كفره وشركه وضلاله واعتقاده بأن للَّه ولداً أو أن اللَّه اتخذ لنفسه ولداً.

... ثم لنتابع الآيات القرآنية ففيها وعيد اللَّه للكافرين بأنهم سيأتونه داخرين صاغرين، وفيها اطمئنان للمؤمنين أن اللَّه سبحانه لن

---

(١) أخرجه أبو داود حديث صحيح.

يترهم أعمالهم ولن ينسى عند البعث والنشور والخروج وتشقق الأرض أحداً من المؤمنين.

﴿ لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ .

[سورة مريم، الآيتان: ٩٤، ٩٥]

هكذا يُبعث الناس لا يُنسى منهم أحد، ويكون البعث بمنتهى الدقة والعلم الإلٰهي لا عشوائية ولا فوضى ولا استهتار ولا نسيان، فهذه صفات آدمية وليست صفاتٍ إلٰهيةً، فاللَّه سبحانه الذي خلق السموات السبع بكل هذه الدقة وهذا النظام، وخلق الأرض وخلق أقواتها بعلم ونظام يفوق كل تخيلاتنا وعلمنا ومهما أوتينا من العلم. . . فالبعث سيكون منظماً وأحداثه تباعاً دقيقة ومفصلة مرتبة ترتيباً إلٰهياً عجيباً.

فلننظر في مشاهد وآيات البعث والنشور في القرآن الكريم وفي هذه اللحظات الحاسمة لحظات البعث والنشور والخروج من القبور. . وكيف يكون الموقف يومئذ، وما شعور البشرية بعد أن تستفيق من موتتها وغفلتها وتشاهد الحقائق التي تبدأ ولا نهاية لها، والتي بذل الكفرة كل جهد جهيد في دنياهم لنكرانها وبطلانها وتكذيبها، وذلك بعد فترة جدل البعث والنشور بين الأنبياء وأقوامهم في التاريخ الإنساني.

جدل البعث والنشور بين الأنبياء وأقوامهم في التاريخ الإنساني

بعث الخلائق ونشرهم قضية محورية هامة، إذ كانت محور الجدل القائم بين كل الأنبياء والرسل الذين أرسلهم اللَّه سبحانه إلى أقوامهم، وحسب آيات القرآن الكريم أنه ما جاء نبي أو رسول إلى قوم إلا كذبوا قيام الساعة والبعث والنشور... كذبوه تكذيباً قاطعاً. وكم من الآيات الكريمة التي نقل لنا فيها القرآن الكريم المحاورات التي كانت تتم بين الأنبياء وأقوامهم.

... كانوا لا يصدقون ما يقوله الأنبياء عن الساعة والبعث والنشور ويوم القيامة والحساب والعقاب... كان الكفر قد أعمى قلوبهم والجهل أعمى أبصارهم، كانوا لا يسمعون ولا يريدون أن يسمعوا... بل وصل بهم الأمر مع نبي اللَّه نوح عليه السلام أنه إذا تكلم جعلوا أصابعهم في آذانهم وألقوا ثيابهم على رؤوسهم حتى لا يسمعوا ولا يشاهدوا ما يهديهم إليه نبي اللَّه نوح عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾.

[سورة نوح، الآيات: ٥ ـ ٧]

كان الكفر قد سيطر على قلوبهم، والجهل على عقولهم فلم يؤمنوا بقدرة اللّه سبحانه على قيام الساعة وبعثهم بعد حياتهم فما قدروا اللّه حق قدره وكانت غشاوة على قلوبهم وبصائرهم... بل كانوا يتوعدون أنبياءهم بالقتل عندما يجادلونهم في الساعة والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية ٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى على لسان أقوام الأنبياء وهم يوجهون كلامهم إلى أنبيائهم:

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

[سورة يس، الآية: ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾.

[سورة الشعراء، الآية: ١١٦]

ولقد أقسم اللّه تعالى في كتابه الكريم على العودة والبعث والنشور

يقول تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٣٨]

ويقول تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

تصوروا أن اللَّه العزيز الحكيم القوي القادر الغني عن عباده جميعاً يقسم في القرآن الكريم على أن بعث الناس حق، وأنه وعد من اللَّه سبحانه الذي لا يخلف ميعاداً، ويبيِّن اللَّه سبحانه أن بعث العباد أمر يسير وهو أهون عليه من الخلق، وكلٌّ هين على اللَّه سبحانه..

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٧]

.. فماذا يُريد البشر أكثر من هذا من اللَّه سبحانه؟ إنه يعدهم بالعودة إليه ويقسم عليها، أهذا أفضل؟ أو يتركهم تراباً ويحولهم إلى سراب بعد موتهم وانتهاء أمرهم إلى أبد الآبدين.. فلا أرى أن من ينكر البعث والنشور إلا من أغلق قلبه وسمعه وعقله ولهذا سئل أصحاب النار: ما جاء بكم إلى جهنم؟ قال تعالى على لسان ما يقوله الكافرون والمنكرون للبعث وهم في جهنم:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

الفصل الثاني

ـ مشاهد وآيات البعث والنشور في القرآن الكريم .
ـ كل الخلائق تبعث يوم القيامة كبعث نفس واحدة .
ـ المنكرون للبعث والنشور في التاريخ الإنساني وفي العصر الجاهلي .
ـ كيف يخرج الناس من القبور؟ ومن هو أول من ينشق عنه القبر؟
ـ هل تتغير الأجساد عند بعثها وخروجها من القبور والأجداث؟
ـ هل يبعث وينشر الجن والوحش مع الإنسان عند نفخة البعث؟
ـ إذا بعث الناس ونشروا وحشروا على أرض الدنيا فهل يأكلون ويشربون؟
ـ بعث وحشر الزمان والمكان (الأيام، والأرض) .
ـ حشر يوم الجمعة وفيه (صلاة الجمعة) أعظم الأيام عند اللَّه سبحانه .
ـ البعث والنشور والقيامة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

مشاهد وآيات البعث والنشور في القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾.

[سورة ق، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠١]

ويقول تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾.

[سورة القمر، الآيات: ٦ ـ ٨]

ويقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٥١ ـ ٥٣]

ويقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ١٤]

ويقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ .

[سورة الانفطار، الآيتان: ٤، ٥]

ويقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ .

[سورة الانشقاق، الآيات: ١ ـ ٤]

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآية: ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ .

[سورة القارعة، الآية: ٣]

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ .

[سورة المدثر، الآيات: ٨ ـ ١٠]

ويقول أيضاً: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ .

[سورة النازعات، الآيات: ٩ ـ ١٢]

ويقول تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ٤٢ ـ ٤٤]

هذه الآيات الكريمة التي ذكرت من مشاهد البعث والنشور والتي تحدث عنها اللَّه سبحانه بشيء من التفصيل، وكل آية من هذه الآيات الكريمة تفصل حالة من الحالات الكثيرة التي تقع للناس في لحظة القيام والبعث والنشور.. فكل آية أو أكثر من السورة الواحدة تمثل مشهداً حقيقياً لواقع البعث والنشور عند نفخة البعث، عندما يأمر اللَّه سبحانه إسرافيل فينفخ في الصور فتبعث الخلائق من أجداثها وقبورها ومخابئها التي كانت مدفونة فيها، كمن غرق في مجاهل وأعماق البحار أو من حرق وبعثرت ذراته في الهواء كما يفعل أقوام كثيرون، أو من قطعت أجسادهم أشلاء وأذيبت أو من ماتوا وهم في السماء في رِحلات فضائية أو من أكلتهم السباع،..... فلنعد للآيات الكريمة ونفسرها ونتبيَّن ما فيها من إعجاز إلٰهي وما يكون عليه الناس مؤمنهم وكافرهم وعاصيهم وفاسقهم وأهل الضلال منهم وأهل الأعمال الصالحة والصادقون والشهداء والعلماء وأهل الغنى وأهل الفقر والعبيد والقادة وأهل الكبر وأهل التواضع.... ويجب أن نعلم وقبل الدخول في التفسير والبيان واستعراض أقوال الصحابة والفقهاء أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**».

[رواه مسلم وابن ماجه]

فعلينا أن لا نموت بإذن اللَّه تعالى إلا مؤمنين مسلمين طائعين عابدين للَّه سبحانه نؤمن بالغيب وباليوم الآخر ونؤمن أن وعد اللَّه حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٢]

ويقول تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٨٥]

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الحشر، الآية: ١٨]

وفيما يلي تفسير وبيان وتحليل ودراسة لآيات البعث والنشور يقول تعالى:

١ ـ ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾.

[سورة ق، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية بأمر من اللّه سبحانه، فإن كل من في السموات والأرض إلا يظن أن هذه الصيحة العظيمة آتية إليه من مكان قريب، فإذا ما سمعوها وهم لا يزالون في أجداثهم جاهزين للخروج عندئذ تشقّق الأرض عنهم سريعاً ويخرجون من أجداثهم في لمح البصر وهذا حشر على اللّه يسير.

ويقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ ذلك أن اللّه سبحانه ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر اللّه تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فإذا نفخ فيه خرجت الأرواح تتوهج إلى الجسد الذي كانت تَعْمُره، فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم

فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر اللّه[١].

يقول تعالى:

٢ ـ ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾.

[سورة القمر، الآيات: ٦ ـ ٨]

يقول اللّه سبحانه لمحمد ﷺ: تول عن الكفار من قريش، وانتظر لهم ولأمثالهم يوماً حين ينفخ إسرافيل في الصور نفخة البعث، فيدعون إلى يوم فظيع مخيف على الكافرين غير يسير، يخرجون من أجداثهم خاشعة أبصارهم ذليلة رقابهم من كفرهم وشركهم... ثم ينقلنا اللّه سبحانه إلى هذا المشهد عند الخروج من الأجداث، وكأن الناس يطيرون في السماء مثل الجراد، ومثّل اللّه هذا المشهد بالجراد لكثافة الناس يومئذ وأعدادهم الهائلة. فإذا كان اليوم عدد سكان الأرض ما يزيد على ستة مليارات إنسان، فكم يكون العدد عند البعث والنشور حيث تجمع الخلائق جميعاً الأولون والآخِرون، مهطعين أي مسرعين مادين أعناقهم استجابة لمن دعاهم، ويصيح الكافرون يومئذ خوفاً وهلعاً، ويدركون أن هذا اليوم عسير عليهم في ذله وهوانه وعذابه.

وفي تفسير ابن كثير: يقول اللّه: فتول عنهم يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون: هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾ أي إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والأهوال ﴿ خُشَّعًا

(١) تفسير ابن كثير مختصر ابن كثير صفحة ٣٧٩.

أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جرادٌ منتشر في الآفاق ولهذا قال ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي يوم شديد الهول عبوس قمطرير، كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾(١).

٣ ـ ويقول تعالى في ذات المعنى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾.

[سورة القارعة، الآيات: ١ ـ ٤]

وهذه صورة أخرى وصفها اللّه سبحانه لحال الناس عند نفخة البعث الثانية وبعد خروجهم من القبور كأنهم فراش مبثوث.. فمرة وصفهم بالجراد المنتشر ومرة وصفهم بالفراش المبثوث.. وفي هذين توافق لأن الجراد يأتي بصورة أفواج هائلة العدد ينتشر في السماء بسرعة كبيرة.

ويقول ابن كثير في قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم.

٤ ـ ويقول تعالى في ذات المعنى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾.

[سورة النبأ، الآية: ١٨]

نعم يأتون أفواجاً أفواجاً أي أمماً أمماً أو جماعات جماعات مثل أفواج الجراد وأفواج الفراش، وفي هذه طامة كبرى وذل كبير

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير.

فأين أنت من هذه الأفواج الهائلة إن لم تأت اللّه بقلب سليم وإيمان كبير وعمل صالح يقيك شر هذه الأهوال؟

يقول تعالى في سورة يس واصفاً هذه الحالة الحرجة والمفزعة والرهيبة والمخيفة، لأنه أول اصطدام للبشر بحقائق يوم القيامة في مشهد تصويري حركي، وكأن اللّه سبحانه يصور أمامنا الحدث:

٥ ـ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ .

[سورة يس، الآيات: ٤٨ ـ ٥٣]

إن هذه الآيات من سورة يس حقيقةً، هي مشهد حركي يظن كل من يقرؤها أن المشهد يخصه، ويتصور نفسه كيف سيخرج من قبره فجأة؟ وكأنه كان في مرقد للنوم واستفاق فجأة، فرأى الحقائق التي كان يتحدث عنها كتاب اللّه في الدنيا وقرأها مرات ومرات.. يا لها من لحظة حاسمة.. وإنها البداية التي لا نهاية لها والتي لا نملك من أمرنا فيها شيئاً.. فالتفويض الذي وهبنا اللّه إياه في الدنيا دار الاختبار والامتحان والعمل بحرية الرأي والتفكير والعمل قد انتهى.

يقول تعالى عن دار الدنيا: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

هذه آية للدنيا ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ أما الآن فلا مشيئة لكم في أي شيء فالأمر للّه وحده دون معين ولا واسطة ولا شفيع إلا من أذن له الرحمن.

ـ الجميع صاغر بصره شاخص، الهول يفجأه ويبهته، والعض على

الأنامل بدأ والحسرة في القلب تجيش، والقلوب عند الحناجر، والرؤوس خشعت، وهذه الهامات للجبابرة ذلت، وملائكة العذاب تستعد لتتلقف المجرمين بعد أن يصلوا إلى أرض المحشر إنه موقف الويل والثبور ﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ وموقف ذكرى الأعمال ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ وموقف الحسرة والندم، وما يفيد الندم وما تفيد الحسرة، والعودة لإصلاح العمل أصبحت مستحيلة والإنظار الإلٰهي انتهى فلا نصر ولا إنظار من الإلٰه ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ترهق الكافرين والعصاة ذلة وهوان وفزع وخوف، يخرجون حفاة عراة ينتظرون الآتي وهو الأمرّ والأصعب والأهول. . . وأما المؤمنون وإن يفجأهم الخروج والبعث من القبور، إلا أنهم سرعان ما تعود بهم ذاكراتهم إلى عملهم الصالح وإيمانهم باللَّه وطاعتهم وعبادتهم فتهون عليهم لحظات البعث والنشور، ولكن لا تقضي على خوفهم وفزعهم فكل يستصغر عمله الصالح ساعتئذ، ولا أحد يأمن على نفسه في ظل هذا الحدث العظيم.

ولننظر في تفسير ابن كثير وما يقول هو والصحابة رضوان اللَّه عليهم في تفسير هذه الآيات من سورة يس. . .

يقول متحدثاً عن النفخة: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

هذه هي النفخة الثالثة وعند غيره من المفسرين (النفخة الثانية) لأن ابن كثير يقول: ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق (الموت) ونفخة البعث ـ يقول: هي نفخة البعث للقيام من الأجداث ولهذا قال تعالى: ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ والنسلان هو المشي السريع كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ الآية ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ

بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.. وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم لأنه بالنسبة لما بعده من الشدة كالرقاد، قال أبي بن كعب ومجاهد والحسن: ينامون نومة قبل البعث، قال قتادة: وذلك يكون بين النفختين، فلذلك يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ فإذا قالوا أجابهم المؤمنون: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ وقال الحسن: إنما يجيبهم الملائكة[١]، وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ نقله ابن جرير، واختار الأول وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في الصافات ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ قد جلت عظمته ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾، وقال جل جلاله ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي إنما نأمرهم أمراً واحداً فإذا الجميع حاضرون[٢].

... ومن خلال عرضنا لتفسير ابن كثير، فإننا تبيَّنَّا رأي الصحابة الأجلّاء والمفسرين الكبار رحمهم اللّه جميعاً ورضي عنهم.. ونجد في التفسير آراء مختلفة، ولكنه اختلاف رأي في تفسير

---

(١) قال ابن كثير: ولا منافاة بين القولين إذ الجمع ممكن والقول الأول قاله غير واحد من السلف والله أعلم... وأرى أن قول الحسن ربما يكون أقرب فالملائكة هي التي تجيب لأن جميع الخلق كافرهم ومؤمنهم في لحظات البعث يكونون في حالة خوف شديد ثم يطمئن المؤمنون بعد ذلك.

(٢) تفسير ابن كثير مختصر ابن كثير صفحة ١٦٦ ـ ١٦٥.

آية كريمة. . كاختلافهم في من هو القائل ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هل الملائكة هي القائلة أم عموم المؤمنين الذين يبعثون؟ فمنهم من قال: الملائكة، ومنهم من قال: المؤمنون، هذا اجتهاد يبقى ولا يؤثر في معاني التفسير لأن كلا الوجهين محتمل ـ ونحن بدورنا نؤيد رأي القائل هم الملائكة وربما غيرنا من المعاصرين يؤيد رأي أن المؤمنين هم القائلون.

٦ ـ ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠١]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

[سورة الروم، الآية: ١٤]

هذه القضية مهمة جداً. . .فإنه ومن نفخة البعث وقيام الناس من قبورهم ملبين نداء اللّه سبحانه تقطع الأنساب ويتفرق الأحباب، فلا الأب يعرف ابنه أو يتعرف عليه، ولا الابن يعرف أباه أو يتعرف عليه، ويفر المرء من زوجهِ وأخيه وأبيه وأمه وجميع أقربائه وحتى من جميع أصدقائه، وهذا ما يأتي بيانه مفصلاً عند الحديث عن يوم القيامة بعد أن يُحشر الناس في أرض المحشر. . ولكن المهم أن الأنساب تنقطع ومنذ اللحظة الأولى لقيام الناس لرب العالمين. . . إذ ينظر الإنسان إلى ما حوله فلا يرى إلا بشراً منتشرين كالجراد وكالفراش، أعدادهم بالمليارات، فلا يعرف أباً ولا أخاً ولا أماً، وقد يكونون مدفونين إلى جواره، وينشرون إلى جوار بعضهم فلا يلتفت أحد إلى أحد ولا ينظر إليه وكأنه لا يراه، وأي رؤية وحديث وعتاب في يوم عسير أهواله عظيمة، فالأمر أكبر من أن ينظر أحد إلى أحد وتزداد هذه الشقة وهذا

البعد عندما يبدأ فصل الحساب على أرض الميعاد ويرى الناس ما يرون من أهوال يوم القيامة.

. . . قطعت الأنساب وتمزقت أشلاؤها وتفرقت كياناتها التي كانت في الدنيا ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ نعم تقطع الأنساب ويتفرق الأقرباء والأحباب في الدنيا. . . وكل الناس يشاهدون هروب الآخر، وهو يهرب ويتفرق عنهم وهم يهُربون منه ويتفرقون عنه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ وهنا يقع السؤال لكل أولئك الذين يخالفون أمر اللّه سبحانه في تربية أولادهم وتوزيع الميراث عليهم وعلى أزواجهم وحرمان البنات وتسجيل أملاكهم للذكور. . أو في سعي الأب إلى الحرام من أجل تأمين معيشة أولاده بالمستوى اللائق وفي تأمين حياتهم من بعده.

كثيرون أولئك الذين يقسمون ميراثهم على أبنائهم في حياتهم الدنيا يدفعهم التعالي على اللّه والخوف على ذريته من بعده، فيعطي هذا ويحرم هذا أو يعطي الذكور دون الإناث. . أو يكتب رزقه كله باسم بناته إن لم يكن له ذكور من أجل أن لا يرث إخوته منه شيئاً. . . وقصص كثيرة بهذا الشأن شاهدناها، وسمعناها وكل هؤلاء يُنصِّب نفسه مشرعاً ومخططاً لمستقبل أولاده، وينسى ما أمر اللّه سبحانه في كتابه، وكيف وزع الإرث بعدله وأمر الناس جميعاً أن يطبقوه، وتوعد من يخالف أمره نار جهنم خالداً فيها إن استحلّ ذلك، يقول تعالى في سورة النساء بعد أن بيَّن أحكام الميراث وأعطى كل ذي حق حقه:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

[سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤]

وليعد أحدكم إلى آيات الميراث من سورة النساء من آية ٧ ـ ١٢ ثم ليقرأ آية ١٣ ـ ١٤ كما أوردنا، عندها يدرك حدود اللَّه ويدرك أنه في الدنيا مؤتمن على أولاده وزوجته، وراع لهم يؤجر عليهم حتى في اللقمة التي يأكلونها إن كانوا على طاعة للَّه سبحانه، ويعرفون حدود اللَّه فلا يتعدونها ويعرفون معاصيهُ فلا يقربونها. . . أن تسعى لابنك وتعطيَه من الكسب بالحلال فهذا يرضي اللَّه سبحانه ويأجرك عليه، أما إذا خالفت أمر اللَّه وسعيت لأنجالك في المال الحرام فاعلم أنه لا أنساب بينك وبين ابنك أو زوجتك أو أحد إذا قامت الساعة وعلى طول يوم القيامة.

وفي تفسير تلك الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ **يقول محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير**: أي فلا قرابة ولا نسب ينفعهم يوم القيامة لزوال التراحم والتعاطف من شدة الهول والدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه لاشتغال كل واحد بنفسه. وعن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

[سورة الروم، الآية: ١٤]

يقول الصابوني: أي ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرق المؤمنون والكافرون[١].

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني صفحة ٨٨٦ وصفحة ١٠٣٥.

ومن آيات البعث والنشور العظيمة ذات الدلالات الكثيرة عن واقع وحال الأرض عند البعث والنشور وبعد نفخة البعث حيث يبيِّن اللَّه سبحانه وتعالى كيف يمد الأرض.

٧ ـ يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ١ ـ ٥]

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾

مُدَّت: بسطت وسويت كمد الأديم.

وألقت ما فيها: لفظت ما في جوفها من الموتى.

وتخلت: أي خلا ما في جوفها غاية الخلو بحيث لم يبق في جوفها أحد إلا غادرها إلى سطحها.

آيتان كريمتان تستوجبان التوقف عندهما، وقفة المتمعن المتفحص والمتأني ليدرك المعنى المراد.. فلماذا تمدُّ الأرض وهي آيلة إلى نهاية بعد حين، وبعد أن ينقل اللَّه سبحانه العباد إلى أرض المحشر؟

. . . . وإذا استعرضنا جميع الآيات القرآنية التي يتحدث اللَّه سبحانه فيها عن الأرض عند قيام الساعة، نقرأ أن كل ما في الأرض سيدمر، الجبال والوديان والبحار والأنهار ـ وهذه الجبال الشاهقات ينسفها اللَّه نسفاً فتتطاير في الهواء وتصبح ذرات كالعهن المنفوش. . . . بعد ذلك تمدُّ الأرض وتسطح فلا عَلَم فيها ولا جبل ولا بحر ولا وادياً ولا أي أثر، ثم يخرج الناس بعد نفخة البعث من قبورهم على أرض مستوية. . فإذا نظر أحدنا فهو لا يدري أين هو، فلا الأرض هي الأرض ولا السماء هي السماء ويرى الأرض مستوية

استواءً دقيقاً حيث ترى عيناه إلى مسافة بعيدة ولا يرى إلا رؤوس بشر نشرت وخرجت من قبورها وهي بالمليارات ويا لهول المنظر ويا للخوف الذي يرعب الناس. .

نعم تمد الأرض مدًّا كبيراً لا يعلم مداه إلا اللّه سبحانه، لتسع المخلوقات من جن وإنس ووحش والتي لا يعلم عددها إلا اللّه. . ونعود إلى القول: إن عدد سكان الأرض اليوم من البشر ما يزيد على ستة مليارات ولا يعلم عدد الوحوش والأنعام والطير والجن فيها إلا اللّه ـ فماذا نقول عن الزمان الطويل الذي كان قبلنا والزمان الذي سيأتي بعدنا. . هؤلاء جميعاً ينشرون ويبعثون نشراً واحداً وبعثاً واحداً وفي لحظة واحدة ومن صيحة واحدة ومن زجرة واحدة فلا بد أن تمد الأرض وتلغى جبالها ووديانها وبحارها وتصبح أرضاً واحدة مستوية ليحشر الخلق عليها سوية دون نقصان لواحد منهم، وما كان ربك نسياً.

قال ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي بسطت وفرشت ووسعت، وفي الحديث الشريف «**إذا كان يوم القيامة مدَّ اللّه الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه**»[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت عنهم ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره لأن العظيم لا يمانَع ولا يغلب بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء.

وقال الزحيلي وأصحابه في الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير هاتين الآيتين:

---

(١) أخرجه ابن جرير عن علي بن الحسين مرفوعاً.

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أي إن الأرض بسطت ومدت كما يمد الجلد وذلك بزوال جبالها وقذف جميع ما فيها، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أي ألقت ما فيها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها وخلت خلواً تاماً مما كان في جوفها.

وقال الصابوني في صفوة التفاسير في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أي إذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها وآكامها وصارت مستوية، لا بناء فيها ولا وهاد ولا جبال، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز والمعادن وتخلت عنهم.

وقال القرطبي: أي أخرجت الأرض أمواتها وتخلت عنهم وألقت ما في بطنها من الحمل وذلك يؤذن بعظم الهول.

. . . . وهكذا نجد هنالك تقارباً في التفاسير، والاختلاف فقط في تفسير اللغة ومعاني الكلمات، ولكن كلها ومع ما قلنا تصب في إناء هول قيام الساعة وهول البعث والنشور.

كل الخلائق تبعث يوم القيامة كبعث نفس واحدة

يقول تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٨]

آية عظيمة يجب أن نتوقف عندها ونتأملها وننظر فيها إلى عظمة اللَّه سبحانه فهذه قضية مهمة في عالم البشر.. فاللَّه سبحانه يعلم ذاته وقدرته بعلمه وهو يعلم كيف يحيي الخلائق جميعاً كإحيائه لنفس واحدة، فهو الخالق وهو أعلم بما خلق.... ولكن اللَّه سبحانه يتوجه في هذه الآية الكريمة للبشر مؤمنهم وكافرهم مطيعهم وعاصيهم، المؤمن منهم بالبعث والنشور والمنكر للبعث والنشور وذلك لتطمئن قلوب الجميع فيزداد إيمان المؤمن.. وعسى بهذه الآية تطمئن قلوب المنكرين إذا قرؤوها وتهديهم.. والقرآن الكريم كله آيات هداية وتنوير وتبصير، تماماً كخطابه الموجه للناس الذين في قلوبهم ريب من البعث علهم يعودون كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

يقول المنكرون للبعث وإعادة الأموات إلى الحياة مرة أخرى

بعد أن تحولت أجساد الموتى إلى عظام وتحولت العظام إلى تراب. . يقولون: كيف يعيد اللّه آلاف المليارات من الخلائق وقد تحولوا إلى تراب بعد طول زمان؟ يهولهم الأمر ويستعجبون منه ولا يصدقونه!!

وليسأل أحدنا نفسه سؤالاً هيناً ليناً فيقول: هل يعجز هذا الإلٰه العظيم خالق السموات والأرض والناس أجمعين أن يحيي ميتاً واحداً وأن يعيد نفساً واحدة ويبعثها؟. . فالجواب حتماً أن اللّه لا يعجزه أن يحيي نفساً واحدة من كل هذه الخلائق. . فتقول: إن الذي يعلم سر إرجاع نفس واحدة يعلم سر إرجاع الخلق جميعاً.

. . . . فلو أن الطب عرف كيف يشفي مريضاً واحداً بمرض السرطان بدواء جديد صنعوه وجربوه على هذا المريض، فإذا شفي منه فيعني هذا شفاء جميع مرضى السرطان، لأن سر المرض اكتشف باكتشاف دوائه وكذلك المذياع فإنه في يوم لم يكن موجوداً، ولكن لما تم اختراع وصناعة مذياع واحد وعُرف سره، نسخت منه ملايين النسخ فيما بعد، وكذلك أي آلة لم تكن معروفة فعرفت وصنعت منها الآلة الأولى، تكرر منها ملايين النسخ فيما بعد.

فالإنسان لا يستطيع أن يحيي الميت لأنه لا يملك هذا العلم، وعقله المخلوق عندما خلقه اللّه سبحانه، أوقفه عن علم إحياء الميت، ومهما تطور العقل وارتقى فلن يصل إلى هذا العلم. . ولكن اللّه يعلم كيف يحيي الميت. . وكما أن صناعة المذياع الأول والهوائي الأول والهاتف الأول يعني صناعة ملايين النسخ، كذلك فإن علم اللّه بإحياء ميت واحد يعني إحياء المليارات، وخلق الإنسان الأول آدم عليه السلام يعني خلق المليارات مثله.

. . . . فالأمر يسير على اللّه وأيسر مما نتخيل، فإذا ما اكتمل

نبات الأجساد وكما قدَّمنا من قبل بالمطر الذي ينزله اللَّه سبحانه بين النفختين، يرسل اللَّه سبحانه عند النفخة الثانية (نفخة البعث) الأرواح التي كانت في الأصل في الأجساد قبل موتها. . أي يعيد اللَّه سبحانه تلك الأرواح إلى أجسادها دون أن تخطئ روح واحدة في دخول جسدها، لأن لها شيفرة ولغزاً وتطابقاً وحيداً فقط مع جسدها لا يمكن أن تخطئ، فلا تدخل في جسد آخر لأنه يرفضها وهي ترفضه. . . . تنظيم إلٰهي فوق قدراتنا العقلية وتخيلاتنا الفكرية.

. . . . لذلك قال تعالى وفي أكثر من آية ذكرناها أن هذا الحشر عليه يسير: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٤]

يسير لأنه يعلم سر إعادتهم جميعاً كإعادة نفس واحدة وما ذلك على اللَّه بعزيز.

المنكرون للبعث والنشور في التاريخ الإنساني وفي العصر الجاهلي

قدَّمت في فِقرة سابقة أن أكثر أقوام الأنبياء والمرسلين أنكروا قيام الساعة، وأنكروا البعث والنشور، إلا قلة ممن آمن مع الرسل والأنبياء، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا هذا الجدل بين الأنبياء والمرسلين وبين أقوامهم وبين نكرانهم للبعث والنشور ويوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٣٢]

وكذلك وقع الجدل بين المشركين والمنكرين للبعث والنشور وبين محمد ﷺ، فقد صح في الحديث أن رجلاً جاء إلى رسول اللَّه ﷺ وبيده عظام بالية أمسك واحدة منها ثم فتتها فتحولت إلى ما يشبه التراب، وقال لمحمد ﷺ: من يعيدها إلى الحياة الدنيا مرة أخرى مستهجناً ومستغرباً ومنكراً العودة وبعث هذه من جديد، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩]

فما هي الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى نكران البعث والنشور؟؟

. . . . إن ما يؤدي إلى نكران البعث والنشور لدى كثير من الناس نوجزه فيما يلي من النقاط:

أولاً ـ إن الكفر والشرك سببان رئيسان لنكران البعث والنشور فما الفرق بين المؤمن والمشرك؟ . . المؤمن يؤمن باللّه واليوم الآخر والمشرك لا يؤمن بمن يبعث الخلائق وينشرهم ويحشرهم ليوم الحساب.

ثانياً ـ إن الذين ينكرون البعث والنشور هم أولئك الذين رضوا بالحياة الدنيا، ويتمتعون بكل الشهوات التي فيها، ولا يريدون أن يمنعوا عنها. فالربا ـ والزنا ـ والخمر ـ والمخدِّرات ـ والتعري ـ والقيْنات ـ والمعازف والفواحش وكل ما حرمه اللّه هو جزء من حياتهم ومتعتهم. . وإيمانهم باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والعقاب يمنعهم من هذه المتعة وهذا الفحش.

ثالثاً ـ المنكرون أيضاً هم أولئك الذين لم يعرفوا ربهم حق المعرفة وما قدروه حق قدره وما علموا عنه شيئاً. . وما علموا أنه خالق السموات والأرض وما علموا ما معنى السموات والأرض وعظيم أمرهما وقدرة اللّه سبحانه في بنائهما وإيجادهما. . وما قدروا اللّه حق قدره في وجودهم وحياتهم وخلقهم فهم يصدقون ما يرون وينكرون كل ما لا يرون لجهلهم بالخالق وقدرته وعظيم علمه وقوته وجبروته وسلطانه وسعة ملكه.

يقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

وقدَّم اللّه سبحانه لهؤلاء في القرآن الكريم عشرات الآيات

القرآنية وسوراً بكاملها، تجادل هؤلاء وتبيِّن لهم قدرة اللَّه التي لا يعجزها شيء في السموات ولا في الأرض، ففي سورة الرحمن قدَّم اللَّه سبحانه الكثير من البراهين على قدرته في آيات متتابعات بين كل آيتين، الآية: كقوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ١٦]

وكذلك توعده المكذبين ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات بعد أن بيَّن قدراته ومعجزاته في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[سورة المرسلات، الآيات: ٢٠ ـ ٢٨]

وفي الجدل القائم بين موسى عليه السلام وفرعون يقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

[سورة طه، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

ففرعون يجهل من هو رب موسى وما قدرته وعن أي إلٰه يتكلم موسى؟ عليه السلام، لذلك قال تعالى في آية أخرى على لسان فرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

[سورة القصص، الآية: ٣٨]

جهل مطلق من فرعون وقومه باللَّه سبحانه وقدرته، ولما جاءهم من عند اللَّه رسول يبيِّن لهم الحق، أنكروا عليه خوف ضياع مكانتهم وملكهم وضياع شهواتهم ومتعة غرائزهم.

رابعاً ـ غير المنكرين هنالك المشككون بالبعث والنشور ليسوا منكرين ولا هم متيقنين.. غلبت عليهم شهواتهم وحبهم

للدنيا ومتعتها، فهُرِعوا إلى ارتكاب الآثام والفواحش بمختلف أشكالها وألوانها، فغلب عليهم الشك في البعث والنشور وباؤوا بالخسران المبين، وإلا كيف تفسر ارتكابهم للمعاصي والآثام والفواحش دون التوبة والعودة إلى اللَّه؟ إلا أن الشك قد غلبهم فتحولوا إلى صنف المنكرين للبعث والنشور، وما دفعهم إلى ذلك إلا إصرارهم واستمرارهم في ارتكاب المعاصي التي حولتهم أخيراً إلى منكرين للبعث والنشور.

خامساً ـ وهناك نوع من المنكرين ممن تلبستهم عقائد منكرة للبعث والنشور واليوم الآخر وهؤلاء يجادلون في اللَّه وهم لا يملكون من علم عن اللَّه شيئاً، وليس لديهم حجة إلا سفسطائية الكلام والزبد منه، وقد وصفهم اللَّه سبحانه وصفاً بيِّناً واضحاً في قوله سبحانه وتعالى.

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٨]

نعم هم يجادلون في الباطل ليدحضوا به الحق، لحبهم للدنيا وزينتها ومتعتها، ولا يحبون أن ترحل عقولهم أكثر من تحقيق أحلامهم في الدنيا وتمكين أنفسهم وأجسادهم من النيل من متعتها وشهواتها.

سادساً ـ وفي محاورة تقع يوم القيامة في جهنم بين خزنة النار من الملائكة وبين أصحاب النار من الكافرين والمشركين والضالين والمنكرين للبعث والنشور واليوم الآخر.

يقول اللّه تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۞ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۞ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۞ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ١١]

ففي الآيات الكريمة نفى أصحاب السعير عن أنفسهم العقل وحسن الاستماع إلى الحق والحقائق في الدنيا، فلم توصلهم عقولهم التي استعملوها للدنيا فقط، إلى ما وراء هذه الدنيا، حجبهم عن ذلك آمالهم الدنيوية ورغباتهم الشهوانية.

سابعاً ـ كثيرون من المنكرين للبعث والنشور أغلق اللّه قلوبهم وأصم آذانهم وأعمى أبصارهم وختم على قلوبهم، لعلم اللّه سبحانه ما في قلوبهم من الكفر والشرك والنفاق وحب الدنيا وفعلهم للمنكر وارتكابهم للمعاصي.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٦، ٧]

ويقول تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ١٠، ١١]

ويقول تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٣٣]

وما ذلك إلا لعلم اللَّه بنفوس خلقه، فلم يختم على قلوب هؤلاء المنكرين بالعشوائية أو بالانتقاء، فلو أن اللَّه سبحانه يعلم أن في قلوب هؤلاء ذرةً من الإيمان لنمَّى هذه الذرة حتى تصبح جبلاً من الإيمان في قلوبهم، ولكن حتى هذه الذرة مفقودة من قلوبهم فيختم عليهم بالضلال وعدم الهداية.

يقول تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٢٥]

فإذاً ختم اللَّه على قلوب هؤلاء الضالين، وما أكثرهم في هذه الدنيا كما يقول تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]

هؤلاء يظنون أنفسهم أنهم على حق، وما يعتقدونه هو الحق وكل ما يفعلونه حق، وأنهم يحسنون صنعاً في كل عمل وفعل ورأي.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤]

ثامناً ـ هؤلاء المفكرون لا يصدقون إلا ما يرون، وهذه حدود

عقولهم وإمكانياتها. . يريدون أن يكون الإلٰه العظيم ضمن مفهومهم وقدراتهم العقلية. . . . فإن صح هذا فكيف يكون إلٰهاً وهو ضمن قدراتنا العقلية. . . فلا بد أن يكون الإلٰه المعبود فوق قدراتنا وتصوراتنا وحتى تخيلاتنا، وأن لا يشبهه شيء وهذا ما أكده اللَّه سبحانه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١١]

وأن يكون أمره لوجود أي شيء أن يقول له: كن فيكون، وهذا ما أكده اللَّه في آيات كثيرة:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

[سورة يس، الآية: ٨٢]

وأن يكون القاهر فوق عباده وهذا ما أوضحه اللَّه سبحانه لنا:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٨]

وأن يكون فوق الجدال وفوق تصور العقول فهو شديد المحال لكل خلقه.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ١٣]

وأن تكون له صفات القدرة المطلقة والعلم المطلق والحكمة المطلقة والرحمة المطلقة. . وهذا كله أكده اللَّه سبحانه.

وكيف تعرف اللَّه وتؤمن به وبقدراته وعلمه وعظمته إن لم تتفكرْ في ملكوت السموات والأرض، وقد طلب اللَّه سبحانه منَّا

هذا، فإذا عرفنا عنها بعض العلم أدركنا من هو الإله الذي نعبده ونثق به وبوعده الذي وعد وأقسم عليه، وأنه يحيي ويميت وأنه سيبعث من في القبور ليوم الفصل والقضاء.

يقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ٦، ٧]

تنبيه وتعليق ورأي وتحليل:

كثيراً ما أتخيل أنني أعيش في هذه الدنيا أو يعيش كل الناس في هذه الدنيا وهم لا يعلمون شيئاً عن الآخرة، إذ أن اللَّه سبحانه لم يرسل رسلاً أو ينزل كتباً... وهكذا يموت جيل ويرثه جيل آخر، لا إيمان ولا عقائد ولا هدف سوى الحياة الدنيا والنيل من متعتها وشهواتها وتحقيق رغبات النفس وكل انحرافاتها دون رادع أو خوف أو شعور بالمسؤولية أو الخوف من عقاب وحساب ومساءلة.

... أتصور أنني سأكون أتعس مخلوق على هذه الأرض، أو في هذا الكون.. وأحقر شيء في هذه الدنيا أن يعيش الإنسان بلا هدف ولا أمل ولا رؤية حقيقية لما يجري من حوله أو معرفة حقائق الأمور، ففي داخلي يبقى ـ حتى لو ملكت مُلكاً عظيماً وتمتعت بكل ما أستطيع وما أجد أمامي من متعة وحققت لنفسي كل رغباتها ـ أنني سأموت وأتحول إلى تراب كما مات غيري وتحول إلى تراب وأصبح منسياً ويطويني الزمان إلى أبد الآبدين... كم أتمنى أن أدخل في أعماق من يكون هكذا لا يؤمن

باللَّه ولا يؤمن باليوم الآخر ولا بالحساب ولا بالجزاء ولا بالجنة ولا بالنار.. يقول كما قال الأولون:

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٢٤]

أو كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ .

[سورة الدخان، الآيتان: ٣٤، ٣٥]

... نعم أتمنى أن أدخل في أعماقه لأرى كيف أعماه شيطانه وتسلطت عليه نفسه الفاجرة وغلبت عليه شقوته، نعم لأعرف كيف تكون هذه النفس التي حَرَمَها اللَّه من رحمته جزاءً موافقاً لأعمالها فباءت بغضب وسخط من اللَّه سبحانه.. لأعرف كيف يمسه عذاب الرحمن فيكون للشيطان ولياً؟

يقول تعالى في آية عظيمة لها معان عميقة ذات دلالات واسعة وذلك على لسان إبراهيم مخاطباً أباه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٤٥]

نعم إن كل منكر للبعث والنشور والحساب بين يدي اللَّه هو الذي يعيش عذاباً نفسياً شديداً ومريراً، يلتجئ إلى تلبية رغبات الجسد وشهواته ليغطي أو ينسى هذه الآلام وهذا العذاب الذي يعيشه من داخل نفسه وكيانه.

... فأين يذهب هؤلاء؟ ألا يعلمون أن من أعظم الرحمة الإلٰهية أنه سيعيدنا مرة أخرى إلى الحياة الخالدة الأبدية في مقعد

صدقٍ عند مليك مقتدر لنعيش الأبد في رحمته، ألا يعلمون أن اللَّه سبحانه خلقنا من رحمته ونعيش في الدنيا في رحمته... ويوم القيامة نعيش خالدين في رحمته.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧]

.. فأي نعيم ومتعة وراحة مهما عظمت وكثرت وطابت وليس لها صفة الديمومة، فلا قيمة لها طالما أنها ستنتهي وينتهي صاحبها ويتحول إلى تراب، فالنعيم الحقيقي فقط هو الذي يحمل صفة الخلود في جنات اللَّه الخالدات، وهذا لا يكون إلا لمن آمن باللَّه ورسوله واليوم الآخر وعمل له العمل الصالح الذي يرضي اللَّه سبحانه... ولا راحة نفسية ولا جسدية ولا عقلية ولا فكرية إلا مع الإيمان والطاعة والعمل لما بعد الدنيا الزائلة الفانية.

وأخيراً يجب أن نعلم جميعاً أن اللَّه سبحانه نفى عن نفسه صفة العبث واللعب، وحاشا للَّه الذي كتب على نفسه الرحمة أن يخلقنا عبثاً ولعباً، ويتركنا هكذا نموت بدون هدف ولا رجاء ولا أمل ولا رحمة من اللَّه سبحانه، وحتى لا يكون تقويل للقائلين ولا مجال لمشككين، ولا افتراء للمفترين، ولا ادّعاء للمدعين.

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ١٦، ١٧]

ويقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠]

فكل ما يحيط بنا من خلق السموات والأرض وما بُثَّ فيهما من دابة، وكل ذرة من ذرات هذا الكون تشير إلى نهاية هذا الوجود كله، كذلك قال علماء الفلك: كل شيء آيل إلى نهاية.. وطالما أن النهاية حتمية هذا الوجود، فلا بد من بداية جديدة وعهد جديد.. وهل الشر والخير واحد؟ وهل العمل الصالح والسَّيِّئ واحد؟ وهل من يقترف الحسنات مثل الذي يقترف السيئات؟ وهل من المنطق والعدل أن يذهب سدى من يعمل الخير ومن يعمل الشر؟ وهل هذه نواميس الوجود وحقيقة الكون؟

... قبل بعثة رسول اللَّه ﷺ وفي العصر الجاهلي أو عصر الفترة ما بين عيسى عليه السلام ورسول اللَّه ﷺ.. توفي رجلان في يوم واحد أحدهما كان بمنتهى الشر والآخر تشهد له الناس بالحكمة والعقل والخير.. وقف زعيم القبيلة لحظة دفنهما ونظر إلى السماء وقال: أنا لا أعرف ولا أعلم ولكن لا أظن أن هذين الرجلين سيذهبان سدى، هذا بخيره وهذا بشره... هذا الرجل رغم أنه كان من أهل الفترة على الشرك إلا أن عقله أوصله إلى أن هناك حقيقة لا يعرفها ولكن لا بد من وجودها.. نعم إنها حقيقة

البعث والنشور والحساب... نعم لن يذهب هذان الرجلان سدى، ولا بد من عودتهما وحسابهما لكمال الحق الإلٰهي والعدل الإلٰهي، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا أن هذا لن يكون ولن يذهب صاحب الشر وصاحب الخير سدى، فهما لا يتساويان عند اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢١]

ويقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ * وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٤، ٩٥]

هذا هو عدل اللَّه فلتطمئن كل القلوب المؤمنة أنه لا كفران لسعيهم، وأنهم ملاقو أرحم الراحمين الذي لا يضيع عنده مثقال ذرة من خير في ميزان العدل الإلٰهي.

كيف يخرج الناس من القبور؟
ومن هو أول من ينشق عنه القبر؟

وصف تلك الحالة ليس بالأمر الهيِّن، ووضع الناس يومئذ عسير. يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

[سورة المدثر، الآيات: ٨ ـ ١٠]

وقلت فيما سبق: إن اللحظات الأولى للبعث والخروج من القبور صعبة على الناس جميعاً، ولكن سرعان ما يطمئن المؤمنون الصالحون العاملون بما يرضي اللَّه سبحانه.. ففي كل مرحلة من مراحل يوم القيامة يرسل اللَّه بقدرته ملائكة تطمئن عباده المؤمنين لئلا يصابوا بالخوف والهلع والرعب.. وهذا من رحمة اللَّه وعدله فمن خافه في الدنيا أمّنه في الآخرة. يقول تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣]

.... فاللَّه سبحانه حدد عُسر هذا اليوم على الكافرين فهو غير يسير عليهم، وكذلك على العصاة والطغاة والظلمة وإن كانوا من أمة محمد ﷺ.

فإنهم يخرجون من الأجداث سراعاً أذلّاء خاشعة أبصارهم يصرخون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ـ أي من قبورنا.. هذا ما

وعدكم الرحمن به وكذبتم به واستكبرتم على اللَّه، فقد جاءكم ما كنتم تستعجلون به، وهذا أول الذل والمهانة فقد بدأ عذابكم وهذه أول ساعة منه.

. . . . نعم يخرج الناس من قبورهم مؤمنهم وكافرهم حفاة عراة غرلاً، على أرض قد مدَّت مد الأديم (الجلد) فلا أثر ولا علم ولا جبل ولا تلَّة ولا مرتفع ولو قدرَ قِيد أنملة، يستطيعون أن يصعدوا عليه ليروا ما حولهم أو ما أمامهم وما خلفهم. . ليس بأيديهم شيء ولا يملكون أي شيء يستطيعون أن يفعلوا به أي شيء، لقد تبدَّلت معالم كل شيء وليس من شيء يعرفونه، لقد انتهى امتحانكم أيها الناس في الدنيا وتوقف عن العطاء كل ما أمر اللَّه سبحانه في الدنيا أن يعطيكم ويستجيب لكم. . إنهم يقفون على أرض ملساء صُلبة لا تتفتت ولا تستجيب لهم ولا يملكون إلا أجسامهم العارية حتى من قطعة لباس.

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنكم ملاقو اللَّه حفاة عراة غرلاً**»[(١)].

فلا معول يحفِرون به الأرض ولا عصا يتكئون عليها ولا صخرة يرتفعون عليها ولا ملك يُنصب له المقام والعرش ولا أمير يأمر ولا خفير يستجيب ولا سيد يُوَزَّع له في المقام ولا عبد يضرب من سيده ويهان. . كل ليس له أكثر من موضع قدميه، فلا تجد إلا أجساداً عارية تكاد تتلاصق ورؤوساً تزدحم، ليس لهم من الأمر شيء ولا لأحد من خلق اللَّه لا من ملك مقرب ولا رسول ولا نبي منتخب، فالأمر يومئذ للَّه وحده.

---

(١) رواه البخاري كتاب الجنة ونعيمها رقم الحديث ٢٨٦٠.

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ .

[سورة الانفطار، الآية: ١٩]

هذه حال الناس يوم يدعوهم اللّه سبحانه فيستجيبون بحمده، لا يستطيع أحد أن يتخلف عن هذه الدعوة وكل أتوه صاغرين.

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٥٢]

. . . . فإذا ما انشقت القبور وخرج الناس سراعاً استجابة لأمر اللّه فإن أول من ينشق عنه القبر رسول اللّه ﷺ.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع . . وأول مشفع** »(١).

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: « **استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول اللّه ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى اللّه عز وجل** »(٢).

. . فإذا ما انشق القبر عن رسول اللّه ﷺ « **يسأل جبريل عليه السلام ويكون عنده في هذه الساعة العظيمة ـ ماذا فعل اللّه بأمتي يا جبريل**

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل رقم الحديث ٢٢٧٨.

(٢) جامع الأصول (٨/ ٥١٣) رقم الحديث ٦٣٠٨.

فيقول له جبريل: أنت أول من تنشق عنه الأرض» ثم تبدأ الأرض تتشقق بسرعة كبيرة عن الصالحين الأول فالأول.

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين**»(١).

وإكراماً من اللَّه سبحانه لهذه الأمة المحمدية فإن كل إنسان يبعث على ما مات عليه، فإن مات حاجاً بعث وهو يقول: (لبيك اللَّهم لبيك)، وإن مات شهيداً فإنه يبعث يوم القيامة جرحه يثعب، اللون لون الدم والريح ريح المسك.... ومن هنا يستحب أن يلقن الميت لا إلٰه إلا اللَّه حتى يبعث عليها يوم القيامة فيخرج من قبره وهو يقول: لا إلٰه إلا اللَّه.. ذلك ما جاء في الحديث الشريف:

ـ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا اللَّه دخل الجنة**».

[رواه أبو داود برقم ٣١١٦]

ـ عن عبد اللَّه بن عباس قال: إن رجلاً كان مع النبي ﷺ فوقصته نافته وهو محرم فمات، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً**»(٢).

ما معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾؟؟

[سورة النازعات، الآية: ٤٦]

الذين تقوم عليهم الساعة هم جزء يسير من البشر،

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم ـ مختصر مسلم ـ للمنذري.

يُشهدهم اللَّه سبحانه وتعالى لشديد كفرهم ومعاصيهم وضلالهم انفجار السموات وتشققها وانكدار النجوم وكذلك زَلزلة الأرض وتسجير البحار وانفجارها. . . وفي هذه المشاهد من الرعب والخوف والهلع الذي يصيب هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة ما لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه، جزاء وفاقاً لما اقترفته أيديهم وأرجلهم وألسنتهم وأجسادهم من الكفر والمعاصي، حتى إن رسول اللَّه ﷺ وصفهم كما تقدم من أحاديث شريفة بحثالة البشر التي تشبه حثالة الشعير، وكذلك وصفهم بشرار خلق اللَّه سبحانه لا يقرون معروفاً ولا ينكرون منكراً يعبدون الأوثان وهم من أشد الناس كفراً وشركاً ومعصية.

. . . ثم يميتهم اللَّه سبحانه من جراء نفخة الصعق وهي النفخة الأولى التي تميت كل خلق اللَّه في السموات والأرض إلا من يشاء اللَّه، وكل ذلك تقدم الحديث عنه.

ثم يكون الزمن ما بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث أربعين يوماً أو شهراً أو سنة كما في الحديث، ثم يبعث اللَّه الخلق جميعاً بنفخة البعث وهي النفخة الثانية. . . نعم يبعثهم جميعاً الكافرين والمشركين والمؤمنين والطائعين والعاصين. . جميعهم يخرجون من أجداثهم سراعاً. . وقد وصف اللَّه سبحانه هذا الحشر بأنه يسير عليه وهيِّن وأهون من خلق الناس.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٤]

ويبدأ البشر بالخروج من القبور ومجاهل الأرض فيبهتون بما يرون، ويُفاجؤون بما حولهم، إذ الأرض غير الأرض والحال غير

الحال، وما حولهم لا علاقة له بما كانوا عليه في حياتهم الدنيا، وما كان قولهم إلا أن قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

[سورة يس، الآية: ٥٢]

إنها الطامة الكبرى وبداية عذاب لا نهاية له إلا من رحم اللّه من المؤمنين الصالحين... في هذه اللحظات الحاسمة تتضاءل الحياة الدنيا التي عاشها الكافرون والمشركون والضالون والعصاة.. كل النعيم الذي عاشوا فيه صغُر وتضاءل حتى أصبح لا يساوي أكثر من ساعة من الزمن.... حيث في ساعات الألم والفزع والخوف لم يعد للنعيم إلا ذكريات قصيرة الزمن، حتى لو عاشوا أمداً طويلاً في الحياة الدنيا الفانية.

يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ * إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٤٢ ـ ٤٦]

فاللّه سبحانه أعلم بخلقه وأعلم بما خلق وأعلم بنفوسهم جميعاً، وأعلم بما سيكون عليهم حالهم وشعورهم عند قيام الساعة وعند البعث والنشور وعند الوقوف في أرض المحشر وعند العرض على اللّه سبحانه.

ومن علم اللّه سبحانه صور لنا في آيات قرآنية كريمة، مما سيأتي الحديث عنه عند الحديث عن مواقف يوم القيامة.. ما سيكون عليه الناس يوم القيامة وكيف يحدثون بعضهم عند الخوف والفزع والعذاب في أرض المحشر، وما الآية القرآنية الكريمة إلا أحد هذه التصورات البشرية التي يكون عليها حالهم عند البعث والنشور.. فهي

تصوير حي من عليم خبير. . . . فمن دقة علم اللّه سبحانه بالإنسان أنه يعلم ما توسوس به نفسه:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ .

[سورة ق، الآية: ١٦]

. . وفي آيات أخرى يصور اللّه سبحانه لنا ما يقوله المجرمون والمشركون والكافرون عند قيام الساعة وعند البعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ٥٥]

وأمّا قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَا لَبِثُوا۟ ﴾ .

ليست هي فقط للزمن الذي عاشوا فيه في حياتهم الدنيا، بل مدة لبثهم في حياتهم الدنيا مع مدة لبثهم في برزخهم (قبورهم) حتى لو كانت عشرة آلاف سنة. . . فكل هذا الزمن الذي عاشوا فيه، وما مضى في برزخهم عند قيامهم من قبورهم ومشاهدتهم وعد اللّه الحق. . كأن لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها في آية كريمة. . وفي آية لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

. . . ولكي ندرك معنى قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ .

نقول: مثلاً رجل عاش خمسين سنة أو ستين سنة في نعيم منقطع النظير توفرت له في حياته كل وسائل المُتعة والرفاهية. . . وفي يوم كان في رحلة بالطائرة فحدث فيها عطل مفاجئ، هوت على أثره فوق صحراءَ قاحلةٍ، مات الجميع ولم يبق إلا هو. . . وحيث سقط لم يكن هناك إلا الصحراء برمالها الصفراء وأشعة الشمس التي تلفح

الوجوه والرؤوس بحرارتها، حيث لا ظلَّ يستظل به ولا ماء ولا طعام ولا مأوى ولا أمل في نجاة، وبعد أن تتقطع أمعاؤه جوعاً ويحترق جوفه وحلقه وفمه عطشاً... وهو في هذه الحالة المؤلمة الفظيعة كم يتمثل له يومئذ زمن حياة الترف والنعيم التي عاشها وعلى طول ستين عاماً؟؟

... نعم لا تمثل له ولا النعيم الذي كان عليه إلا وهماً وسراباً وخيالاً لا يتجاوز ساعة من نهار.

... فإذا كانت هذه حالَهُ وهو في الحياة الدنيا... فكيف تكون حاله إذا جاءت الطامة الكبرى وجاءه العذاب وجاءه الموت من كل مكان وما هو بميت، لا شفيع ولا نصير ولا أمل من نجاة، وهو يعلم عندئذ حق العلم أن ما هو آت أشد بمرات كثيرة لما هو عليه، عند البعث والنشور وعند قيام الساعة.

.. وكذلك يفعل الكافرون والمجرمون عندما يجمعهم اللّه سبحانه في أرض المحشر يوم القيامة ـ يتساءلون ـ ويقسمون ـ ويحسون ويدركون ويقولون فيما بينهم إنهم ما لبثوا في الأرض إلا ساعة من نهار.. وهذا سيأتي بيانه عند الحديث عن يوم القيامة وأهواله وأحداثه الجسام العظام....

هل تتغير الأجساد عند بعثها وخروجها من القبور (الأجداث)؟

قلنا في فِقرات سابقة: إن كل شيء يفنى من ابن آدم بعد موته إلا (عجب الذنب) الذي تتركب منه الخلائق بعد نفخة الصعق الأولى. وللتذكير بحديث رسول اللّه ﷺ.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا لأبي هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، (أي لا أجزم بذلك) قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، «**ثم ينزل اللّه من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[1].

ففي عَجْبِ الذَّنَبِ صفات الإنسان (فلان) مضغوطة تماماً كما نجمع اليوم آلاف المعلومات في ميكروفيلم لا يتجاوز سنتيمترات أو نجمع مئات الكتب على (سي دي)، وعندما تريد أن تقرأ عن أي معلومة أو كتاب لتكشف كل ما فيه تضع السي دي في الكمبيوتر وخلال ثوان تكون المعلومات أمامك على الشاشة وهذا صناعة الإنسان!! . فكيف يكون خلق اللّه وصبغته؟ . . هذا العجب من الذنب مبرمج ومشفر كل إنسان بداخله (كأنه سِي دي حجمه

(١) رواه البخاري ومسلم.

ربع سم) فيه المعلومات الكاملة عن هذا الإنسان.. وكل واحد له عجب ذنب لا يفنى يبقى مع التراب حتى يرسل اللَّه سبحانه الأرواح إلى تلك الأجساد فتقوم واقفة بإذن اللَّه تعالى... كل هذا قلناه وقدمنا عنه.. ولكن سقناه من أجل أن تقول... إن معلومات الإنسان المشفرة بداخل عجب الذنب كاملة لا نقصان فيها وكذلك لا مرض ولا فيروس فيها.. فإذا ما نبت جسد الإنسان من ماء الطَّل ينبت كاملاً.. فمن مات وقد نقصت ساقه تعود إليه ساقه عند البعث. ومن فقد عقله ـ كذلك ـ ومن فقد يده كذلك ومن أجريت له عملية كلية أو نزع أي عضو من جسده فإنه يعود إليه، ففي لحظة البعث والخروج من القبور والأجداث ومجاهل الأرض نخرج سليمين معافين لا ينقصنا من أجسادنا شيء أبداً ولكن يبقى السؤال؟

... في حياتنا الدنيا لا نستطيع أن نرى الملائكة ولا الجن ولا كثيراً ممَّا أخفي عنا بأمر اللَّه سبحانه، ومن خلقنا الفيزيولوجي، فأجسادنا في الدنيا لا تستطيع عجزاً وقصوراً في تركيبها ونسجها وقدرتها أن ترى بعض الغيب والملائكة والجن.

... فالجن بخلقهم الفيزيولوجي يستطيعون أن يروا الناس في الحياة الدنيا والإنسان لا يستطيع أن يراهم، وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٢٧]

. . . وعند البعث والنشور تتغير القوانين . . فقوانين الدنيا زالت وبدأت قوانين ونواميس وشؤون الآخرة . . . وأول هذه القوانين والنواميس تغيراً هي فيزيولوجية الإنسان . . . فالذي لم يكن يراه كشف عنه الغطاء فصار بصره حديداً يرى يومئذ جميع خلق اللَّه تعالى والتي كانت محجوبة عنه في الدنيا .

وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا هذا في كتابه الكريم، وأن أول التغير يحصل في قدرة الإبصار، فاللَّه بيده الخلق وبيده العلم، ففي نسيج عجب الذنب الذي تنبت منه الأجساد تكون فيزيولوجية العين بكامل قوتها وقدراتها التي تستطيع أن ترى يومئذ ما حولها من الملائكة والجن . . أما في الدنيا عندما كنا لا نرى فإن اللَّه سبحانه قد نزع من العين شيئاً وهو أعلم بخلقه حتى يحجب عنها رؤية بعض الغيب ومنه رؤية الملائكة والجن .

يقول تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۞ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۞ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .

[سورة ق، الآية : ١٩ ـ ٢٢]

ما أعظم هذه الآيات الكريمة! وما أجملها! وما أروعها . . إنها تحكي وبإيجاز رائع قصة الموت والنفخ في الصور والحشر الذي يساق إليه الناس عن طريق السائق والشهيد، ويتحدث اللَّه سبحانه عن غفلة الناس عن هذا اليوم وعن هذه الساعة العصيبة العسيرة على الضالين، ثم يتحدث اللَّه سبحانه عن تغير معالم الجسد الإنساني في كشف الغطاء عن هذا البصر، حتى يشاهد

يومئذ ما أخفاه اللَّه عنه في الدنيا لضرورة الامتحان والابتلاء، وفي رؤيتهم يومئذ حَمْد وشكر للَّه من المؤمنين، وعذاب وألم للكافرين، لأنهم يصطدمون ويُفاجؤون بالحقائق التي أنكروها.

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

[سورة النحل، الآية: ٩٣]

. . . إذاً أول التغيير تغيير في فيزيولوجية البصر، إذ يتحول بقدرة اللَّه فتكون له قوة كبيرة جداً بحيث يرى فيها كل شيء أخفاه اللَّه عنا. . . . هذا هو التغيير الجسدي الحاصل عند قيام الناس من قبورهم لرب العالمين.

وللسائل أن يسأل. . إن اللَّه سبحانه يقول في سورة الواقعة:

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٦٠ ـ ٦٢]

فالآيات تشير إلى نشأة أخرى وخلق آخر للإنسان وليس مقتصراً على البصر فقط؟؟؟

نقول وباللَّه العون. . إن اللَّه سبحانه لما تحدث في سورة ق كما أوردت من آيات ـ تحدث عن الموت ثم النفخ في الصور ثم الحشر ثم كشف الغطاء ثم البصر الحديد. . فهذا التغيير الأول يكون عند الخروج من الأجداث (القبور) ويبقى هذا التغيير طوال يوم القيامة. . ولكن قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهو حاصل والعلم عند اللَّه عند حشر الناس في أرض المحشر، التي يجمع اللَّه فيها الأولين والآخِرين إنساً وجناً وطيراً ووحشاً. . . ثم

يجمع ملائكته عليهم السلام. عند ذلك يتغير الجسد وتتغير فيزيولوجية خلقه وتتم النشأة الأخرى لتتناسب مع يوم القيامة كله ومع الجنة ومع النار، وهذا سيتم الحديث عنه في حينه. . . . المهم هنا أن التغير الجسدي بعد البعث يتم في البصر فقط كما دلت عليه الآيات الكريمة والله أعلم.

هل يبعث وينشر الجن والوحش مع الإنسان عند نفخة البعث

. . . الذي تشير إليه الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أنهم ينشرون كما ينشر الإنسان، فهم ممن تشملهم آية النفخ في الصور (الإماتة) والنفخة الأخرى (الإحياء).

يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فهذه الآية الكريمة تشمل كل الخلائق في الأرض وفي السموات وليست هي مخصوصة بالإنسان وحده. . وهذا يعني أنها تشمل الجن وتشمل الوحش والطير.

ومما يؤكد حشر الوحوش جميعاً الآية الكريمة من سورة التكوير وهي في سياق الحديث عما يحدث عند قيام الساعة من تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار وحشر الوحوش وتسجير البحار.

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٧]

فقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أتت في سياق آيات لحظة قيام الساعة، وهذا مما يؤكد تأكيداً مطلقاً على حشرها ونشرها وبعثها مع الإنسان.

وكذلك مما يؤكد حشرها قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٨]

كل خلق اللَّه سبحانه، خلقهم أمماً لها كيانها ووجودها وطريقتها في الحياة، خلقها اللَّه سبحانه بمنتهى الدقة والقدرة والعلم، صغرت كالنمل أو كبرت كالفيلة ضعفت كالفراش أو قويت كالنسور . . . وكلها تسبح بحمد ربها دون استثناء لأمة منها أبداً.

يقول تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وكذلك دلت أحاديث رسول اللَّه ﷺ على حشر الوحوش (الحيوانات) كلها أليفها ووحشها وطيرها.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد ـ أي يقتص ـ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[١].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقتص**

(١) رواه مسلم في صحيحه.

للخلق بعضهم من بعض حتى للجمّاء من القرناء وحتى للذرة من الذرة »[1] .

وأما بعث الجن ونشرهم وحشرهم فهذا أيضاً مؤكد، ودليله الصحيح من الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد حشر الجن مع الإنس والوحش.

يقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٢٨]

وهذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على حشر الجن وحسابهم كما يحاسب الإنس، ويقفون بين يدي اللّه تعالى كما يقف الإنس بل اللّه يجمعهم يوم القيامة مع بعضهم ويسألهم عما جرى بينهم في الدنيا من التضليل والإغواء ومن الاستمتاع والانتفاع على الوجه المحرم.

وأما استمتاع الإنس بالجن فهو ما كانوا يلقون إليهم من استراق السمع والسحر والكهانة وتزيينهم الأمور التي كانوا يهوونها.. واستمتاع الجن بالإنس هو طاعة الإنس للجن في المعاصي والكفر والضلالة والغواية والفساد.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ورواته رواة الصحيح كما في الترغيب.

إذا بعث الناس ونشروا وحشروا على أرض الدنيا فهل يأكلون ويشربون؟

. . . بعث الناس وحشرهم على أرض الدنيا. . . فهذه كما قدمت حالة مؤقتة ليست دائمة وليست طويلة. . . فإذا ما اكتمل الحشر وجمعت الخلائق من إنس وجن ووحش وطير ينقلهم اللّٰه فيكونون جميعاً على أرض المحشر مع بداية يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

وسيأتي بيان وتفسير هاتين الآيتين الكريمتين من سورة النازعات في الجزء السادس من الموسوعة عندما نتحدث عن بداية يوم القيامة وأرض المحشر.

فإذا ما أصبحت الخلائق على أرض المحشر يختلف الأمر اختلافاً كثيراً حيث يطول هناك أمر الوقوف حتى يكون خمسين ألف سنة وهو كامل يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

في هذا اليوم العظيم الطويل يتحدث رسول اللّٰه ﷺ عن

موضوع الأكل والشرب في هذا اليوم (يوم القيامة) والناس يومئذ على أصناف ثلاثة ـ المؤمنون ـ والعصاة من المؤمنين ـ والكافرون والمشركون ولكل صنف وفئة وضع خاص في هذا الأمر..

سوف نتحدث عنه بإذن اللَّه تعالى عند الحديث في الجزء السادس والسابع من هذه الموسوعة.... ونبيِّن كيف يأكل الناس ويشربون في يوم القيامة كما دلنا على ذلك رسول اللَّه ﷺ.

... المهم أن الناس عند قيامهم لرب العالمين، وعند بعثهم ونشرهم تكون الحالة مؤقتة، ولم يرد عن طعامهم وشرابهم شيءٌ..

وأظن والعلم عند اللَّه سبحانه أنه في هذا النشر والحشر على أرض الدنيا لا يوجد طعام ولا شراب إنما انتظار وخوف وهلع، وترقب وانتظار لما سيكون بعد ذلك واللَّه أعلم.

بعث وحشر الزمان والمكان (الأيام، والأرض)

من عظيم قدرة اللَّه سبحانه ولاكتمال عدله وحكمته يبعث الأيام على هيئتها التي عاشت فيها الخلائق ـ ويبعث الأرض التي عاش عليها الخلق.. ليكون الزمان والمكان شاهدين على أعمال الناس... وهذا لا يمكن أن تدركه عقولنا... وكيف تدرك عقولنا قدرة اللَّه سبحانه وهو القائل:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فكيف تشهد علينا الأيام؟.. وكيف تشهد علينا الأرض؟ فهذا الأمر للَّه. المهم ستشهد الأرض على أعمالنا يوم القيامة، ولا أحد يستطيع أن ينكر ما تشهد الأرض على ما فعله الإنسان فوقها، ولا ينكر أحد ما تشهد عليه الأيام والليالي وما فعل فيها من خير وشر.. وهنا تكمن مطلقية العدل الإلٰهي وتحقيق الشهود على العمل كي لا يكون للإنسان أو الجن حجة على اللَّه سبحانه.

فالإنسان ومهما استخفى بالليل أو بالنهار أو دارى نفسه في الأرض فهي شاهدة عليه، وله معقبات من بين يديه

ومن خلفه أي ملائكة، يقول تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ * سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ * لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾.

[سورة الرعد، الآيات: ٩ ـ ١١]

وقال تعالى إخباراً عن الأرض يوم القيامة:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾.

[سورة الزلزلة، الآية: ٤]

قال أبو هريرة: قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال: **«أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: أن تشهد على كل عبد وأمة ـ أي على كل ذكر أو أنثى ـ بما عمل على ظهرها، تقول: «عملت يوم كذا كذا فهذه أخبارها»**[(١)].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يسمع صوت المؤذن شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له»** وفي رواية أبي داود:

«يشهد له كل رطب ويابس»[(٢)].

عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أن أبا سعيد رضي اللَّه عنه قال له: **«أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا**

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه وأبو داود.

يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة». قال أبو سعيد: سمعته من رسول اللّه ﷺ، ورواه مالك والنسائي وابن ماجه وزاد: «**ولا حجر ولا شجر إلا شهد له**»[(١)].

(١) رواه البخاري ومالك والنسائي وابن ماجه.

حشر يوم الجمعة وفيه (صلاة الجمعة) أعظم الأيام عند اللَّه سبحانه

. . . يوم الجمعة من أعظم الأيام عند اللَّه سبحانه ولا يعدله يوم في السنة كلها إلا يوم عرفة. . . ولعظيم مقامه عند اللَّه سبحانه أنه تعالى خصهُ في القرآن الكريم بسورة كاملة أسماها (سورةَ الجمعة).

حيث يبدأ هذا اليوم ومنذ صلاة الفجر بالخير والبركة والأجر العظيم من اللَّه سبحانه.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **أفضل الصلوات صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة** »[(١)].

ثم جعل اللَّه سبحانه فيه صلاة الجمعة التي عظمها في كتابه وعظم أجرها وفاعلها، يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الجمعة، الآية: ٩]

وقد تحدث رسول اللَّه ﷺ عن فضل يوم الجمعة وعن فضل صلاة الجمعة في كثير من الأحاديث الشريفة. .

---

(١) رواه البيهقي وأبو نعيم وذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال عنه: حديث صحيح.

ـ عن أوس بن أبي أوس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة. فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(١).

ـ عن أوس بن أوس قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»(٢).

ـ وكثيرة هي الأحاديث الشريفة عن الجمعة وفضلها وفضل وثواب العبادة والطاعة فيها، لهذا فإن اللَّه سبحانه يأتي بها يوم القيامة بزمانها وهيئتها. . . . أما كيف فهذا علمه عند اللَّه سبحانه ونكرر ما قاله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«تحشر الأيام على هيئتها وتحشر الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى خِدرها تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، وينظر إليهم الثقلان أي لا يطرفون ـ أي لا يدعون النظر إليها ـ تعجباً

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم، وذكره السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٦٢٦٩، وكذلك رواه الدارمي والطبراني في المعجم الكبير.

حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»[(١)] .

.... فكيف لا يتعلق بها المؤمنون الذين كانوا من أهل الجمع ومن أهل المحافظة عليها والتبكير إليها استجابة للّه سبحانه وتعالى؟.. وكيف هي لا تكرمهم وقد وعد اللّه سبحانه بهذا الإكرام العظيم لأهل الجمع وأهل صلاة الجمعة ومن كانوا على طاعة مع اللّه سبحانه.

.... وهذا الحديث يدل أن الأيام ستأتي يوم القيامة كما يأتي اللّه بالمكان ليكونا معاً شاهديْن على أعمال ابن آدم في الأرض خيراً كان أو شراً.

---

(١) قال الحافظ المنذري ـ رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه.

البعث والنشور والقيامة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى

لا يملك أهل الكتاب من النصارى واليهود هذه التفاصيل الدقيقة عن البعث والنشور ويوم القيامة والحساب والجنة والنار كتلك التي يملكها المسلمون عن طريق كتاب اللّه تعالى القرآن الكريم وأحاديث رسول اللّه ﷺ.

. . . . فالنصارى يؤمنون بالبعث والقيامة وحتى الجنة والنار، ولكن يعتقدون أن الذي يعذب أو ينعم هو الروح فحسب وليس الجسد، وعليه فإنه لا يوجد عندهم في الجنة طعام ولا شراب ولا حور عين ولا غلمان طالما أن الروح هي التي تنعم دون الجسد، ولنا جولة سريعة في الأسفار والأناجيل لنتعرف على قول بعضها في خصوص البعث والنشور.

١ ـ في إنجيل متَّى يقول: «**فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان**» الفِقرة ٨ من الإصحاح الثامن عشر من إنجيل متى.

٢ ـ وفي إنجيل لوقا إشارة إلى عذاب القبر، فقد جاء فيه: «**ومات الغني ودفن فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب، فالمقبور من أهل الفجور يكون في العذاب ويرى مقعده من النار والهاوية في**

النار» الفقرة ٢٢ من الإصحاح السادس من إنجيل لوقا.

٣ ـ وأما إنجيل برنابا: فهو من أكثر الكتب التي تحدثت عن الجنة والنار.. فقد ذكر أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتبولون ولا يتغوطون لأن طعامهم وشرابهم ليس فيه خبث ولا فساد ولكن النصارى يكذّبون بهذا الإنجيل لأنه يخالف أناجيلهم.

وأما في الأسفار.. فقد ذكر ببعض نصوصها الحياة الأبدية والحشر والبعث.

١ ـ في سِفر المزامير.. يذكر الحشر إلى النار فيقول: **«مثل الغنم إلى النار يساقون ـ الموت يرعاهم، ويسورهم المستقيمون غداة وصورتهم تبلى والهاوية مسكن لهم»** الفقرة (٥) من المزمور ـ ٥٥ ـ.

٢ ـ في سفر دانيال يقول: **«كثيرون من الراقدين تحت التراب يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي»**. الإصحاح ١٢ من سفر دانيال.

... وتصور أن التوراة التي تنسب إلى موسى لا تجد فيها إلا نصًّا واحداً يصرح بيوم القيامة:

«أليس هو مجموعاً عندي مختوماً في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم». الإصحاح الثاني والثلاثون من التوراة السامرية.

... وأما في التوراة العبدانية ففيها نص يقول: **«أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني، عند نفخة الجزاء في وقت تزلّ أقدامهم»**.

. . . وأما عند اليهود فهم على قسمين . . . قسم لا يؤمن بالبعث والنشور وهؤلاء هم (الصادقيّون) والعجب أن هؤلاء هم الذين يؤمنون بتوراة موسى فقط فحجتهم أن التوراة لا تدل دلالة قطعية وكافية وواضحة على البعث والنشور، والقسم الثاني من اليهود الذين يؤمنون بالبعث والنشور يسمون (بحزب الكتبة) .

. . . وقد ذكر إنجيل متى أن الطائفة المكذبة بالقيامة جاؤوا إلى عيسى وجادلوه في القيامة . . . . يقول إنجيل متى : « **في ذلك اليوم جاء إليه الصادقيون الذين يقولون لا قيامة** » . وأجاب عيسى عن سؤال أحد تلامذته القائل : « **أيذهب جسدنا الذي لنا إلى الجنة؟** » فقال عيسى عليه السلام : « **احذر يا بطرس من أن تصير صدوقياً، فإن الصدوقيين يقولون : إن الجسد لا يقوم أيضاً، وإنه لا توجد ملائكة، لذلك حرم على جسدهم وروحهم دخول الجنة** »[(١)] . إنجيل متى الإصحاح ٢٢ فقرة ٣٣.

وهكذا نجد أن النصوص عندهم التي تتحدث عن اليوم الآخر والبعث والنشور والموت والحساب والعقاب والجنة والنار نادرة جداً والنادر لا حكم له وإنما الحكم للغالب . . وما أرسل اللّه سبحانه أنبياءه جميعاً إلا ليحذروا الناس من اليوم الآخر ليستعدوا بالعمل والصلاة والطاعة، فأين ذهبت هذه الآيات التي أرسلها اللّه وأنزلها مع كتبه جميعاً وعلى لسان جميع الأنبياء تتحدث عن اليوم الآخر وملاقاة اللّه تعالى والوقوف بين يديه للحساب؟ ـ أين هذه الآيات التي

(١) د. عمر سليمان الأشقر ـ القيامة الكبرى ص٩٤.

تتحدث عن الموت والبعث والساعة والنشور؟ . . . فهل كل ما ذكره اللَّه في كتبه عن القيامة هو بعض آيات لا تتجاوز أصابع اليد عدداً . . ربما ذهبت في طريق آخر يتحدث عن غير يوم القيامة!! والقرآن الكريم مليء بالآيات الكريمة التي تتحدث عن تحريف اليهود للكتب السماوية بما تهوى أنفسهم وتكسب أيديهم.

الخاتمة

لقد تم بفضل اللَّه تعالى الجزء الخامس من سلسلة موسوعة الآخرة بعنوان البعث والنشور. . ولقد بذلنا ما بوسعنا أن نقدم في هذا الجزء الحقائق كاملة بما في أيدينا من العلم عن البعث والنشور، وأسندنا بعض الحقائق وأيدناها بالعلم الحديث الذي لا يخالف في جميع نظرياته حقيقة انتهاء الحياة في هذا الكون، ولكن لا يملك العلم ومهما تطور وتطورت تكنولوجيته أن يؤكد لنا حقيقة أن هناك بعثاً ونشوراً لتلك الخلائق والأجيال التي تعاقبت ومنذ آدم عليه السلام. . فالعلم يؤكد أنه في يوم ستنتهي الحياة في هذا الكون لأن ما يراه أن كل شيء آيل إلى فناء ونهاية. . ولكن أنّى له العلم بقيام حياة أخرى بعد قيام الساعة وبعث الخلائق ونشرهم وحسابهم. . . فهذا يبقى في علم الغيب ولولا أن اللَّه سبحانه أخبرنا في كتابه الكريم وفي جميع كتبه السماوية وعلى ألسنة جميع رسله وأنبيائه عن حقيقة البعث والنشور لما علمنا عن هذا الأمر شيئاً. . ولكن. . طالما أن العلم يؤكد حقيقة هذا الفناء فإن العقل يؤكد حقيقة البعث بعد الموت والحساب بعد العمل والجنة أو النار مصيراً. . . ولقد قدَّمنا ما نستطيع في هذا الجزء (البعث والنشور) الأحداث الحقيقية لكيفية البعث ودلائله من القرآن الكريم وسنة رسول اللَّه ﷺ وعمدنا بفضل اللَّه إلى بعض التفسير والتحليل وتقديم الرؤية الواضحة

لحقيقة البعث وثبوت ذلك قطعاً عند أهل العلم، وقدَّمنا أيضاً الكثير من التفسيرات والبيانات عند أهل التفسير لكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.. ومما لا شك فيه عند أهل العلم جميعاً يقيناً أن البعث والنشور حقيقة مطلقة لا يجوز أن يردهما الإنسان، وعليه الاستسلام لقدرة الخالق الذي أوجده وأحياه وأماته، ولا حقيقة بعد الموت وعالم البرزخ إلا الساعة، ومن ثَمَّ البعث والنشور والوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للحساب والجزاء والعقاب ولا يمكن لعاقل أن ينكر هذا أبداً... ولا يمكن لعقل مخلوق أن يرد هذا أبداً إلا إذا اتخذ الشيطان له ولياً من دون اللَّه سبحانه.

وما قدَّمنا من مراحل للبعث والنشور لا يخالف العقل، فكل الأحداث منسجمة مع الحقائق المقبولة، وجمع رفات البشر معجزة إلٰهية ولكنها ليست معجزةً يخالفها العقل بل يتوافق معها، وخاصة بعدما رأينا قدرة الإنسان الضعيف على فعل المعجزات العلمية ووصوله إلى تلك التكنولوجيا التي أوصلته إلى بعض كون اللَّه سبحانه من كواكب وأقمار فاطلع على بعض ما يجري من حوله ولا يجد لها تفسيراً، واللَّه سبحانه يعلم أن هذا حق وأن قيام الساعة والبعث والنشور حق ولكنه أقسم للناس حتى يزدادوا اطمئناناً وقَبولاً ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

وأخيراً أرجو اللَّه سبحانه أن يعفو ويصفح عن ما بدر منَّا من تفسير وتحليل إن أخطأنا فيهما، فاللَّه سبحانه وحده مطلع

على القلوب ويعلم ما توسوس به النفوس كما أرجو من ربي وخالقي ومعيني الذي لا تضيع عنده مثاقيل الذر من العمل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وميزان حسنات كل من ساهم في هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) كتابة ومراجعة وقراءة ومساهمة والله من وراء القصد.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.

٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.

٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).

٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟

٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.

٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.

٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.

٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.

٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.

١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.

١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.

١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.

١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.

١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.

١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).

١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.

١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّٰه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.
٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.
٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.
٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.
٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.
٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.
٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.
٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.
٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.
٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.
٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.
٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.
٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.
٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.
٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.
٣٦ ـ البعث والنشور.
٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللَّه سبحانه .

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات .

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها .

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها .

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخاري.

٣ ـ صحيح مسلم.

٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..

٥ ـ مسند الإمام أحمد.

٦ ـ سنن التِّرمذي.

٧ ـ سنن ابن ماجه.

٨ ـ سنن النسائي.

٩ ـ صحيح ابن حِبان.

١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.

١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.

١٢ ـ سنن أبي داود.

١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.

١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.

١٦ ـ المستدرَك للحاكم.

١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر ـ دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

سلسلة

موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-342-X
9789953343426

بداية يوم القيامة

أرض المَحشَر - الحوض
الشفاعة العظمى

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

بداية يوم القيامة

ماهر أحمد الصوفي

سلسلة
موسوعة الآخرة

بداية يوم القيامة

أرض المحشر - الحوض
الشفاعة العظمى

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم | الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور | الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق ـ ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ ـ ٦٣٢٦٧٣ ـ ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت ـ لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق ـ ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ ـ ٦٣٢٦٧٣ ـ ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت ـ لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري ـ ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ ـ ٧٢٩٢٥٩ ـ ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا ـ لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-334-9

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ **الجزء الأول** : علامات الساعة الصغرى والوسطى

٢ ـ **الجزء الثاني** : علامات الساعة الكبرى

٣ ـ **الجزء الثالث** : الموت وعالم البرزخ

٤ ـ **الجزء الرابع** : الحشر وقيام الساعة

٥ ـ **الجزء الخامس** : البعث والنشور

٦ ـ **الجزء السادس** : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى

٧ ـ **الجزء السابع** : الحساب والعرض على اللَّه سبحانه

٨ ـ **الجزء الثامن** : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات

٩ ـ **الجزء التاسع** : النار أهوالها وعذابها

١٠ ـ **الجزء العاشر** : جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآيات: ٣٨ ـ ٤٠]

ويقول تعالى:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١ ـ ١١]

ويقول تعالى:

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة المطففين، الآيات: ٤ ـ ٦]

حديث شريف:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم»**. قيل: يا رسول اللَّه، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: **«إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»**.

[رواه الترمذي رقم الحديث ٣٠٤٢]

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل...** يقول سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض، أم الذي يكتحل به ـ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه»**.

[رواه مسلم برقم ٢٨٦٤]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«سبعة يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة اللَّه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في اللَّه، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللَّه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللَّه خالياً ففاضت عيناه».

[متفق عليه]

الإهــداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم .

إلى رسول اللَّه ﷺ . . .

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة .

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده. . .

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه. . .

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلَهي أن يجنِّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللَّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللّه بها عليه، فأسأل اللّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الجزء من الموسوعة هو أول البداية ليوم القيامة بعد أن انتهت العوالم الأرضية بعد ظهور علامات الساعة الصغرى والوسطى والكبرى وبعد أن انتهى عالم البرزخ وكذلك قيام الساعة... حيث تتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزت الخلائق للّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

نعم برزوا للّه الواحد القهار على أرض المحشر التي أعدَّها اللّه سبحانه ليوم القيامة على طوله والذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، هذه الأرض التي ليس فيها علم لأحد حيث انتهت جميع مظاهر الاستخلاف من ولاية وإمارة وسيادة ووجاهة ومال.

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٤]

فكل أتى ربه يوم القيامة فرداً وعبداً فقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا.

يقول تعالى:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا * لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا * وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾.

[سورة مريم، الآيتان: ٩٣، ٩٤]

وأرض المحشر أرض مستوية بيضاء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد، لا يعلم مقدار حجمها إلا اللَّه سبحانه، جهزها وأعدَّها لأن تكون أرضاً تسع وتجمع جميع خلق اللَّه سبحانه على اختلاف أنواعهم من ملائكة وإنس وجن ووحش وطير. . فإذا كانت أرض المحشر لا يعلم سعتها وحجمها إلا اللَّه سبحانه فكذلك خلق اللَّه سبحانه الذين سيجتمعون عليها لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه: ﴿ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴾ فسبحان اللَّه القادر المقتدر العليم الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السماوات ولا في الأرض وهو الخبير العليم.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

وليس هذا فحسب فكل هذه الخلائق بأعدادها الهائلة يعلم اللَّه سبحانه عنهم كل شيء وبمنتهى الدقة والتفصيل فقد أحصاه اللَّه سبحانه لهم جميعاً.

يقول تعالى:

﴿ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

إن كل فرد من هذه الخلائق سيتيقن يوم القيامة وساعة العرض على اللَّه سبحانه بأنه لا تخفى عليه خافية من أحد بل ينبئهم بما كانت توسوس به أنفسهم يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٦]

.. إن بداية يوم القيامة لشيء عظيم، فقد رحلت الدنيا وما شاهدناه فيها وما علمناه عنها فكل شيء يوم القيامة يختلف عن الحياة الدنيا بكل المعايير والنواميس الكونية والخلقية.. لقد مضى زمن امتحان البشر على الأرض وجاء دور الحساب والجزاء.

إن أهوال يوم القيامة تظهر للخلائق ومنذ لحظاته الأولى حيث تدنو شمس أعدَّها اللَّه سبحانه لأرض المحشر من رؤوس الخلائق فتغلي أدمغتهم ويعرقون حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ينال فيه الكافرون والمشركون والعصاة من الأهوال ما لا تتحمله الأجساد والنفوس، ولكن اللَّه سبحانه قضى أنه لا موت ولا خروج للأرواح من أجسادها فهي باقية معهم إلى أبد الآبدين.

.. وفي هذا الجزء تظهر عظمة ومكانة سيد الخلائق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ إذ يأذن اللَّه سبحانه على يديه بالشفاعة العظمى بعد يوم عظيم طويل يمتد إلى خمسين ألف سنة تنال فيه الخلائق من الأهوال والشدائد ما لا يحتمل إلا من رحم اللَّه من المؤمنين... ومع فقرات هذا الجزء من الموسوعة نرحل إلى عالم يوم القيامة وأرض الحشر والشفاعة العظمى حيث نبيِّن فيه الأحداث جميعاً وبمنتهى الدقة والتفصيل ليكون الاستعداد لهذا اليوم كبيراً وبكثير من العمل الذي يرضي اللَّه سبحانه.

الفصل الأول

مدخل

- هل أرض الدنيا هي أرض المحشر يوم القيامة؟
- صفة أرض المحشر واتساعها.
- صفات أهل المحشر وأجناسهم.
- كيف يحشر الناس يوم القيامة على أرض المحشر؟
- حشر الخلائق على أرض المحشر دون نقصان أحد من الخلق.
- بداية يوم القيامة وبداية أحداثه وأهواله.
- هل يوم القيامة خمسون ألف سنة كما جاء في الآية الكريمة وحديث رسول الله ﷺ؟؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

قدَّمنا في الجزء الخامس من موسوعة الآخرة (البعث والنشور) كيف أن الأرض تمد ثم يخرج الناس من قبورهم من جرَّاء نفخة البعث الثانية.

يقول تعالى:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

وقد بيّن اللَّه سبحانه كيف يخرج الناس من أجداثهم في أكثر من آية كريمة وقدَّمنا في الجزء الخامس أكثرها... ولا بد من إعادة بعض الآيات الكريمة، لأنه لا بد منها لما لها من علاقة وطيدة في عنوان هذا الجزء من موسوعة الآخرة (بداية يوم القيامة، أرض المحشر، الحوض، الشفاعة العظمى) حيث إن هناك اختلافاً أو خلافاً حول بعض الأحداث... وخاصة حول الأرض التي يتم عليها حشر الناس يوم القيامة (أرض المحشر) التي يحشر الناس عليها ويعرضون على اللَّه سبحانه للحساب.

يقول تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۞ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ٥١، ٥٢]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ .

[سورة ق، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ .

[سورة القمر، الآيات: ٦ ـ ٨]

ويقول تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ٤٢ ـ ٤٤]

هذه الآيات الكريمة جميعاً تشير إلى كيفية الخروج من القبور (الأجداث) بأمر اللّه سبحانه، لكنها جميعاً لا تشير إلى أن أرض الدنيا هي الأرض التي يحشر الناس عليها ويتم عليها الحساب، ففي الآية الأولى يقول تعالى: ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ .

[سورة يس، الآية: ٥١]

وفي الآية الثانية يقول الحق تعالى:

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٤]

وفي الآية الثالثة يقول الحق تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

وفي الآية الرابعة يقول الحق تعالى:

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٧]

وفي الآية الخامسة يقول الحق تعالى:

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤٣]

كل هذه الآيات تشير إلى نشور الناس وبعثهم من قبورهم وتحمل ذات المعنى ولكن بتعبيرات مختلفة، وصفاً لحالة الناس عند النشر والحشر. . ولكن كلها تصب في معنى أن الناس في قبورهم إذا ما دعاهم اللَّه سبحانه عن طريق إسرافيل بنفخة البعث الثانية، يخرجون سراعاً بعد أن تشقق عنهم الأرض، فينسلون من قبورهم بيسر وسهولة لأن هذا الحشر يسير على اللَّه سبحانه خالقهم وخالق الأرض، وكل من خلق اللَّه فإنه واقع تحت أمر اللَّه سبحانه حياتهم ومماتهم وبعثهم ونشرهم فيلبون سريعاً لا حول لهم ولا قوة فالقوة للَّه والحول للَّه تعالى.

. . . فإذا خرجوا ووقفوا على هذه الأرض (أرض الدنيا) وهم بالمليارات يكاد أن لا يجد الإنسان لنفسه موطئ قدم، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة إلا من رحم اللَّه سبحانه.

هل أرض الدنيا
هي أرض المحشر يوم القيامة؟؟

هل هذه هي الأرض التي يحشر عليها الإنس والجن والوحش وكذلك تحشر عليها الملائكة؟ وكيف تسع هذه الأرض لكل هذه الخلائق، وأعظمهم وأكثرهم عدداً الملائكة والذين لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه، يقول تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

وكذلك بيّن رسول اللَّه ﷺ أن أعداد جنود اللَّه سبحانه من الملائكة لا يعلمها إلا اللَّه سبحانه حيث تمتلئ بهم السموات السبع.

ـ عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع إلا وملك واضع جبهته ساجداً للَّه»[١].

فهل تسع هذه الأرض الأولين والآخرين من هذه الخلائق؟؟

هنا يكمن السؤال وفي ذات الوقت نحتاج إلى جواب.. هل أرضنا هي أرض المحشر؟ أم أنّ هناك أرضاً أخرى قد جهزها اللَّه سبحانه كي يحشر عليها الخلائق يوم القيامة، ومن دون استثناء لأحد،

---

(١) رواه الترمذي في سننه ورقم الحديث (٢٣١٨) وقال: حديث حسن.

لا من ملك ولا إنس ولا جن ولا وحش ولا طير، سيدهم وخادمهم، فقيرهم وغنيهم، زعيمهم وعبدهم.

بادئ ذي بدء علينا أن نستعرض الآيات القرآنية من سورة الانشقاق ثم نعمد إلى التحليل والتفسير ورأي أهل العلم من الصحابة والتابعين.

يقول تعالى:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ١ ـ ٥]

هذه الآيات الخمس من سورة الانشقاق تحكي لنا حال قيام الساعة وانشقاق السماء وانصياعها لأمر اللَّه، وكذلك تحكي لنا حالة الأرض وكيف أنها ستمد مَدًّا عظيماً بعد اندكاك جبالها وتصييرها إلى سراب وعهن منفوش وكذلك بعد تسجير البحار. ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾. ثم تحويلها بعد ذهاب مائها إلى أرض يابسة تمد مع باقي الأرض في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ ثم بعد المدِّ تُلقي الأرض ما في داخلها من الأموات. ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾.

أي ألقت بهم من باطنها إلى ظاهرها بسرعة فائقة بعد تشققها، فإذا أصبح الخلق على ظهرها دخلت الأرواح في أجسادهم ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾. ذلك من نفخة البعث في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

... في هذا الترتيب الإلهي يحشر الناس على أرض الدنيا ليس لأحدهم إلا موقع قدمه، ولا يرى إلا الرؤوس والتي تعد بآلاف المليارات من الخلائق، إنسهم وجنهم ووحشهم كلهم ينتظرون أمر

اللَّه سبحانه شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة، ينتظرون ما يكون من أمرهم وما سيؤول عليهم حالهم.

فهل هذه أرض المحشر؟ أي هل أرض الدنيا هي أرض المحشر بعد أن مد اللَّه فيها مداً لا نعلم مقداره ولا يعلمه إلا اللَّه سبحانه وتعالى؟ لنقرأ رأي بعض العلماء من السلف الصالح لنكون على بيِّنة من أمرنا، فمنهم من قال: إن أرض الدنيا بعد أن تُمدَّ وتتسع اتساعاً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾. فتكون هي أرض المحشر، فعلى قولهم: إن التغيير الذي سيحدث إنما يكون في صفات الأرض لا في ذاتها.. أي إن الأرض تتغير في صفاتها حيث تدك جبالها وتسوَّى وديانها وتذهب بحارها وأنهارها ثم تمد مداً، وفي هذا تغيير لصفات الأرض ولكن ذات الأرض باقية وهي عندهم أرض المحشر..

ومن ذهب إلى أن التغيير يقع في صفات الأرض لا في ذاتها فسندهم ما أخرجه الحاكم عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق**»[1].

ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تمد الأرض مد الأديم ثم لا يكون لابن آدم إلا موضع قدميه**»[2].

... وقال الزهري معلّقاً على هذا الحديث.. هذا يقع لأرض الدنيا ولكن أرض الموقف غيرها.

وقال في الفتح: إن أرض الدنيا تضمحل وتعدم وإن أرض

(١) رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد.
(٢) رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد.

الموقف تتجدد إشارة منه إلى أن أرض المحشر هي أرض غير أرض الدنيا.

... والخلاف إن وقع إنما وقع في تفسير قوله تعالى:

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾.

وأخرج في هذا الخصوص عبد بن حُميد والطبري في تفاسيرهم والبيهقي في شعب الإيمان.. عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾.

قال: تبدل الأرض أرضاً كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة، أي إن أرض المحشر غيرُها.

... ونقل في تفسير الألوسي عن بعض العلماء أن الأرض تبدل أولاً صفتها ثم تبدل ذاتها (أي تبدل غيرها) وتبدل الذات سيكون بعد أن تحدّث الأرض أخبارها، أي بعد أن تزلزل وتدك جبالها ويحشر الناس عليها وبعد أن يخرجوا من قبورهم...

هذه بعض الآراء، لكن عموم الرأي من العلماء والفقهاء أن أرض الدنيا ليست هي أرض المحشر فأرض المحشر غيرها. والقول الفصل بعون اللَّه تعالى في هذا الأمر:

... إن أرض المحشر هي أرض غير أرض الدنيا.

... فقد انتهى دور أرض الدنيا بعد أن يفجر اللَّه بحارها وأنهارها ويدك جبالها ويمدها مداً كبيراً ليحشر الناس بعد نفخة البعث فيجمعهم جميعاً إنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم، فيلاقون ما يلاقون من العذاب والذل، فإذا ما اكتمل الحشر.. وعلم اللَّه سبحانه بعلمه الأزلي أن الخلائق كلَّهم مجموعون دون نقصان لأحد منهم، نقلهم بقدرته إلى أرض المحشر التي يتم الحساب عليها يوم القيامة الذي يمتد إلى خمسين

ألف سنة. وأما دليل أن أرض المحشر غير أرض الدنيا التي يحشر الناس عليها بعد خروجهم من القبور قوله تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

فهذه الآية الكريمة هي ليوم القيامة باتفاق جميع المفسرين والعلماء، فمعنى قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾؛ أي تصعد الملائكة والروح إشارة إلى أنّ الخلائق جميعاً التي لها أرواح وأجساد ستحاسب يوم القيامة...

ومعنى العروج: الصعود.

يقول تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٤]

فالخلائق بعد حشرها على الأرض بصفة مؤقتة، يأتيها الأمر الإلهي في قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

وهذه الآية الكريمة هي الدليل الصحيح على أن الخلائق بعد أن يُحشروا على الأرض يزجرون زجرة واحدة، فينتقلون بقدرته إلى أرض المحشر، فاستخدم اللّه سبحانه كلمة: (زجرة واحدة).

وعندما أخرج اللّه سبحانه عباده من باطن الأرض لم يستعمل مثل هذا الأسلوب ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾، وإنما كانت

الآيات التي قدّمت لها بغير هذا الأسلوب، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾.

فترى في هذه الآيات أسلوباً مختلفاً تماماً عن الآيتين الكريمتين..

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾.

فالآيات الأولى هي آيات حشر الناس على أرض الدنيا والآيتان الكريمتان الأخيرتان هما لحشر الخلائق على أرض المحشر والتي يبدأ عليها حساب الخلائق... فالزجرة هي أمر اللّٰه سبحانه الذي إذا قال للشيء كن فيكون لقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

صفة أرض المحشر واتّساعها

أرض المحشر أرض مختلفة عن أرض الدنيا ليس كما عهدنا أن تكون الأرض، فلقد عهدنا أن الأرض التي نعيش عليها قد ميّزها اللَّه سبحانه وتعالى لنعيش عليها فجعل فيها جبالاً ووديانا وأنهاراً وتلالاً، ووفر لنا فيها جمالاً، وأنبت اللَّه سبحانه لنا فيها الأشجار والأزهار والخضار، وأوجد لنا فيها الماء الفرات العذب والطعام، وكذلك أوجد لنا كل المعادن لنستخدمها في حياتنا الدنيا كالحديد والفولاذ والذهب والفضة وغيرها.

يقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

ويقول تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢٥]

والآيات في هذا الخصوص كثيرة جداً. . . ولكن إذا جاء وعد

الآخرة وعرج اللَّه بنا إلى أرض المحشر، تغيّر الحال والمآل وكل ما كنا نجده في الدنيا لا نجده مطلقاً في أرض المحشر ولا واحدة من تلك النعم التي أنعم اللَّه علينا بها في الدنيا. . . لقد انقضت دنيا الامتحان والابتلاء والبلاء والحرية في العمل.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٧، ٨]

فكل هذه الزينة التي هي أدوات الامتحان في الدنيا ليست موجودة في أرض المحشر لا في أرض الحساب ولا حين العرض على اللَّه سبحانه وتعالى، فلم يعد هناك لهذه الأدوات الامتحانية سبب ولزوم، فما هي هذه الأرض، وما صفتها، وما اتساعها؟

خير جواب عن هذا السؤال حديث رسول اللَّه ﷺ الذي يصف هذه الأرض (أرض المحشر) التي يجتمع فيها الأولون والآخرون من جميع الخلائق ملائكةً وإنساً وجناً وحيواناً وطيراً ولقد سمَّاها اللَّه سبحانه بالساهرة.

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

ساهرة: لسعة إطرافها وتباعد أكنافها وشدة مخاوفها، وكذلك فإن من يحل بها إنما يحل ساهراً لا ينام ولا يسهو ولا يغمض له جفن لشدة الفزع والهول والخوف إلا من أمَّنه اللَّه من فزع يومئذٍ.

ـ عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس

فيها علم لأحد» ، وفي رواية : « **ليس فيها معلم لأحد»** . رواه الشيخان .

معاني الكلمات :

عفراء = بيضاء ليس بناصع ، وقال عياض : العفر بياض إلى الحمرة قليلاً ، وقالوا : معنى عفراء خالصة البياض (فتح الباري) **كقرصة النقي** = كالرغيف المصنوع من الدقيق النقي الخالي من الغش ، **ليس فيها معلم لأحد** أي ليس فيها علامة لأحد الخلائق من ارتفاع أو صخرة أو شجرة لا لملك ، أو سيد ، أو أمير أو مقرب ، أو نبي مرسل .

. . . فلماذا صفة أرض المحشر هكذا بيضاء عفراء لا علم فيها لأحد . . . في أرض الدنيا كنا نستخرج منها الحديد والفولاذ والنحاس ونستخدمه كأدوات في حياتنا الدنيا . . . أما اليوم فأرض المحشر بيضاء ملساء ناعمة صلبة لا يستطيع أحد من البشر ثقبها أو حفرها فلا هو يستطيع فعل ذلك ولا الأرض تستجيب له . . كل شيء بأمر اللَّه . . . الأرض في الدنيا كانت مطيعة للمؤمن ومطيعة للكافر بأمر اللَّه . . . ولو أن اللَّه سبحانه أمر الأرض في الدنيا أن لا تستجيب للإنسان لفعلت ، ولكن الامتحان الذي أوجبه اللَّه على الخلق في الدنيا كان من لزومه استجابة الأرض له ليتمَّ ما أراد اللَّه سبحانه . . .

وأما اليوم في أرض المحشر فلم يعد هناك من هذا شيء . . . والأرض البيضاء الملساء في حر الشمس ولهيبها تؤلم الإنسان وتزعجه وتضايقه أيما ضيق ، وإذا كانت بيضاء على حمرة تكون أشد إزعاجاً وألماً .

وفي فتح الباري : « **قال عبد بن حميد عن طريق الحكم بن أبان عن عكرمة : بلغنا أن هذه الأرض يعني أرض الدنيا تطوى ، وإلى جنبها أخرى يحشر الناس إليها ، وفي حديث الصور الطويل : (تبدل الأرض غير الأرض والسموات) . فيبسطها ويمدها مدّ الأديم العكاظي ، لا ترى فيها**

عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر اللّه الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل مواضعهم في الأولى »(١).

وفي فتح الباري أيضاً.. يقول: وقد جاءت نصوص كثيرة عن عدد من الصحابة تفيد معنى الحديث: « **يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد** » الذي رواه الشيخان.. فقد أخرج عبد بن حميد والطبري في تفاسيرهم والبيهقي في شعب الإيمان عن طريق عمر بن ميمون عن عبد اللّه بن مسعود في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾.

قال: تبدل الأرض أرضاً كأنها الفضة لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة، ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف وأخرجه البيهقي من وجه آخر مرفوع، وقال: الموقوف أصح(٢)، وكذلك أخرج الطبري والحاكم من طريق عصام بن زر بن حبيش عن ابن مسعود بلفظ: « **أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة** »، وقال: رجاله مُوَثَّوقون(٣).

فهذه الأحاديث والروايات الصحيحة كلها تؤكد معاني بعضها، وتؤكد جميعها أن أرض المحشر هي أرض صلبة بيضاء ملساء كسبيك فضة، والفضة معروفة بنعومة ملمسها وصلابة معدنها ولا تذوب الفضة إلا بالصهر بدرجة عالية جداً من النار، وأما عن اتساع أرض المحشر... فإنها تفوق الخيال والتصور البشري وما ذلك على اللّه بعزيز... يمدها مداً عظيماً ليس بشكل كروي فإن قانون الآخرة يختلف عن قانون الدنيا فالنجوم والكواكب فيها شبه كروية تسبح في

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

السماء وتدور حول نفسها وتدور حول شموسها وكل في فلك يسبحون، أما في الآخرة فتلك الأرض التي ستحشر عليها الخلائق ستكون مستوية بمد عظيم قد تكون حجمها حجم آلاف الشموس إذا اجتمعت.

. . . ونحن نرى في السماء نجوماً كثيرة، يقول علماء الفلك: إن معظمها أكبر من شمسنا والتي تبلغ حجم الأرض (١,٣٠٠) مليون وثلاثمائة ألف مرة، وقد أوردت في جزء قيام الساعة وأهوالها أن تلسكوبات فلكية في جنوب فرنسا اكتشفت شمساً في إحدى المجرات القريبة، قدروا حجمها حجم شمسنا بـ٢٥ مليون مرة، فاللَّه القادر على خلق شمس واحدة من بليارات الشموس التي في السماء يزيد حجمها عن حجم شمسنا ٢٥ مليون مرة لقادر أن يجعل الأرض (أرض المحشر) تزيد عن حجم شمسنا ملايين وملايين المرات كي تسع كل هذه الخلائق وفي توقيت واحد.

صفات أهل المحشر وأجناسهم

من هم أهل المحشر..؟ هم الإنس والجن والملائكة... ويحشر معهم الوحش والطير.

هل تحشر الملائكة على أرض المحشر؟

نعم تحشر كما تحشر الخلائق.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٣٨]

ويقول تعالى:

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾. [سورة الفجر، الآية: ٢٢]

هل تحشر الوحوش (أي الأنعام والطير والسبع)؟

نعم تحشر كما تحشر الخلائق.

يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيتان: ٤، ٥]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٨]

وقال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٩]

وقال ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى: (وأما البهائم فجميعها يحشرها اللّه سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنّة).

هل تحشر الجن؟

نعم تحشر كما تحشر الخلائق.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٨]

ويقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]

وفي يوم الموقف على أرض المحشر يصرُخ الكافرون طالبين من اللّه سبحانه أن يريهم الجن والإنس اللذيْن كانا سبب ضلالهما ليجعلوهما تحت أقدامهم في أرض المحشر.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

وأما آيات حشر الإنسان فهي كثيرة وهي محط الشاهد ولا خلاف في ذلك.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾.

[سورة الانشقاق، الآية: ٦]

﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾.

[سورة القيامة، الآية: ٣٦]

﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾.

[سورة عبس، الآيات: ٣٣ ـ ٣٧]

وكثيرة هي الآيات الكريمة في هذا الخصوص... لنترك حشر الخلائق الآن، ولننظر كيف يُحشر البشر وهم الأهم من بين المخلوقات.

كيف يحشر الناس على أرض المحشر؟

خير من يعبّر عن هذه الكيفية التي يحشر عليها الناس في أرض المحشر رسول الله ﷺ.

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**»(١). قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**». قالت عائشة رضي الله عنها: يا

---

(١) غرلاً: غير مختونين.

(٢) رواه البخاري الفتح ١٤/ ١٧٦ ومسلم برقم ٢١٩٤.

رسول اللَّه فكيف بالعورات؟ فقال ﷺ: «**لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**»(١).

يعني أن كل واحد منهم مشغول بأحواله وما يراه من الأهوال عن التطلع والنظر إلى غيره.

عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهم قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «**إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده، وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم الخليل**»(٢).

هذه الأحاديث الشريفة تصف وصفاً دقيقاً ما يكون عليه حال الناس على أرض المحشر... حفاة عراة غرلاً، إنها حالة من الذل والصغار، إنه نوع من عذاب النفس المهين تماماً كما أتت البشرية من بطون أمهاتها حفاة عراة غُرْلاً... لا يملكون من أمرهم شيئاً إلا الصراخ والبكاء... ولتحقيق العلم فقد ورد عند الشعراني.

في مختصر التذكرة للقرطبي قال: رأيت في كتاب كشف علوم الآخرة للإمام الغزالي أنّه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر في أكفانها وسائر الأمم عراة حفاة**»(٣).

وحاول ابن حجر التعليق على هذا الكلام فقال: يخرج المؤمنون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم... ونقول:

---

(١) رواه النسائي. رقم الحديث (٢٠٩٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

(٣) مختصر التذكرة للشعراني ص٤٥ وهذا الحديث يعارض الأحاديث الصحيحة التي وردت عن الكتب الصحاح للبخاري ومسلم حتى أن صاحب التذكرة قال عن هذا الحديث: لم أقف عليه واللَّه أعلم بصحته.. كذلك أقول: إن هذا الحديث طالما ذكر دون راوٍ فلا يعتد به وإنما ذكرته لتحقيق العلم لا أكثر.

طالما أن الحديث من دون راوٍ فهذا مجرد تعليق على ما ليس له أصل ولا أرى داعياً له والله أعلم. . . وقد سبق وقدّمت في الأجزاء السابقة أن أي كلام ليس له راوٍ صحيح عن رسول الله ﷺ لا يؤخذ به.

المهم أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً دون استثناء لأحد ويتساوى في هذا الأمر جميع الأمم والأقوام أولهم وآخرهم ذكورهم وإناثهم.

. . . حال شديدة صعبة قاسية على النفوس جميعاً. . أجساد تتلاصق ومواقع تكاد الأقدام تأخذ منها مكاناً، وتجتمع الرؤوس حتى يبدو للناظر من فوقهم أنه لا يوجد في أرض الحشر إلا رؤوس الخلائق، ليس بيدهم شيء يفعلون به أي شيء، أجساد عارية وأرض بيضاء ملساء صلبة، الأبصار شاخصة، الأعناق ممتدة، والزعيم كالعبد وأغنى غني في الأرض مَثَله مثل أفقر فقير في الأرض، يتطاولون برؤوس أصابع أقدامهم علّهم يرون شيئاً فلا يرون إلا رؤوساً وشمساً تلفح أجسادهم، ورؤوسهم العارية، الحسرة تعتصر قلوبهم، والألم يمزق نفوسهم، والندم يشتعل في أجسادهم كنار تحرقهم، ولا أحد ينظر إلى أحد كل مشغول بنفسه، حتى لو كان بجواره أعز الناس إليه في الدنيا، فلا أنساب ولا أصحاب ولا أقرباء وأخوة، ولا آباء، ولا أبناء، كلهم غرباء عن بعضهم، كلهم يجادل عن نفسه كلهم يريد النجاة بنفسه ولا يهمه أمر كل من في الموقف العظيم.

يقول تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠١]

ويقول تعالى:

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۞ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٤]

فليس ما يرونه مناماً ولا حلماً ولا كابوساً ولا حالة مؤقتة ولا عذاباً بعده يكشف، ولا امتحاناً، فقد مضى زمن الامتحان، وليس هو بلاء ولا ابتلاء، إنها البداية الأبدية والخلود الأبدي واليوم الذي لا ينتهي ما بعده، إنها الحقيقة التي كذب بها الكافرون والمنافقون، إنه اليوم الذي استخف به العاصون والضَّالون.

لقد ارتكبوا ما حرم اللّه، إنه اليوم الذي ترى فيه الكاسيات العاريات اللاتي خالفن أمر ربهن عذاباً لا يطاق وموقفاً مهيناً لا يحتمل، هذا اليوم الذي جاء بالمتكاسلين والمستهزئين والمستَهْترين والمستكبرين، هذا اليوم الذي جاء بالظالمين والمرابين والزناة وآكلي لحوم الناس والوالغين في أعراضهم، هذا اليوم الذي جاء بأعوان الظلمة والمرائين والكاذبين والمنافقين.. هذا اليوم الذي جاء بالحق من عالم الحق الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات ولا في أنفسنا ولا في نفوس خلقه جميعاً، ملائكتهم وإنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

كيف يحشر الناس يوم القيامة على أرض المحشر؟

إذا ما انتقلت الخلائق من أرض الدنيا إلى أرض المحشر التي أعدَّها اللَّه سبحانه لحشر الناس عليها، حيث يتم عرضهم على اللَّه سبحانه لحسابهم.. وذلك من زجرة بأمر من اللَّه سبحانه وتعالى.

يقول تعالى:

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

ولقد وصف اللَّه سبحانه لنا هذا الانتقال وكيفية الحشر وطريقته وذلك في كتابه الكريم.

يقول تعالى:

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

في الآيات من سورة (ق) تسلسل. حيث تموت النفس وذلك حق على كل عباد اللَّه تعالى، ثم ينفخ في الصور إيذاناً بقيام الساعة ثم ينفخ فيه مرة أخرى ليقوم الناس من الموت ومن القبور استجابة لرب العالمين ثم يزجر إسرافيل بهم زجرة واحدة بأمر من اللَّه بعد

اكتمال حشرهم على أرض الدنيا فإذا هم جميعاً على أرض المحشر يوم القيامة. وفي الزجرة اختلاف فمنهم من يقول: هي من اللَّه، ومنهم من يقول: هي من إسرافيل بأمر من اللَّه سبحانه.

يقول اللَّه تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي كل نفس يكون معها ملكان من ملائكة اللَّه تعالى واحد مَهمته أن يسوق هذا الإنسان إلى موقفه من أرض المحشر، وملك آخر يبقى معه شهيداً على عمله في الدنيا.

ولنا وقفة في تفسير ابن كثير وابن جرير والصابوني حول هذه الآية الكريمة.

في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ لنتعرف على حقيقة السائق والشهيد في قول المفسرين الأوائل رحمهم اللَّه تعالى.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

أي وجاء كل إنسان برًّا كان أو فاجراً معه ملكان، أحدهما يسوقه إلى أرض المحشر والآخر يشهد عليه بعمله، وقال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم هي الأيدي والأرجل، وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان ملك يسوقه وملك يشهد عليه.

وقال ابن جرير في تفسيره: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ السائق ملك والشهيد ملك، ملك يسوقه إلى أرض المحشر وملك يشهد على أعماله... وكذلك رأي الشيخ الصابوني.

وأما ابن كثير فيقول: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى اللَّه تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة، وقال أبو هريرة: السائق الملك والشهيد العمل، وكذا

قال الضحاك والسدي وابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه.

. . . ومن التفاسير نجد أن اتفاقاً بين الجميع أن السائق الذي يسوق الإنسان إلى أرض المحشر ملك يرسله اللَّه سبحانه لكل إنسان فيأخذه إلى موقعه من أرض المحشر.

فكل إنسان له موقع في أرض المحشر. . . فليس الحشر عشوائياً ولا فوضوياً بل بمنتهى الدقة والتنظيم من إلٰه عليم خبير.

. . . نعم بمنتهى الدقة والتنظيم رغم هذه الأعداد الهائلة والتي لا يمكن أن يعلم عددها أو يحصيها إلا اللَّه سبحانه وتعالى، فالارتباك والفوضى في حالة ازدحام الناس يكون من الإنسان في الدنيا لأنه لا يملك قدرات تؤهله على التنظيم في حالة كثرة الناس.

ويبقى السؤال إلى أين يأخذني الملك؟ وأين يضعني؟ وإلى أي مكان يتجه بي؟

. . . هنا تكمن المعجزة الإلٰهية في تنظيم مواقع الناس. . . فلا يمكن أن يحشر المؤمن وسط جموع الأمم الكافرة، وكذلك لا يمكن للكافر أن يحشر مع المؤمنين أو في وسطهم فأول الدقة والتنظيم. . . أن كل أمة من الأمم تحشر مع بعضها.

يقول اللَّه تعالى:

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٢٨]

وكذلك فإن الأمة الواحدة قد تبلغ آلاف الملايين فأين يكون موقع الإنسان من هذه الأمة. . فهل تجمع بشكل جماعي عشوائي أم أن لكل فرد منها مكاناً يجب أن يأخذه؟ . . نعم لكل فرد منها

مكان معلوم يجب أن يقف فيه لا يتقدمه ولا يتأخر عنه . . . فالجنة درجات حسب العمل، وجهنم درجات حسب العمل، وأرض الموقف درجات حسب الإيمان والكفر والعمل .

يقول تعالى :

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية : ١٦٣]

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية : ١٣٢]

والحديث عن الدرجات يطول وليس هنا موضعه، ولكن ما قصدت إليه هو أن الوقوف في أرض المحشر استعداداً لبداية يوم القيامة حسب درجات كل منهم، حتى لو كان كافراً ومشركاً فهم درجات بكفرهم وشركهم، فمنهم العُتُل الشديد، ومنهم المنافق، ومنهم الذي يظلم ويقتل ويأمر بالكفر، ومنهم من هو كافر ولكن لم يكن قاتلاً ولم يظلم أحداً، لذلك قال تعالى :

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآيتان : ٦٩، ٧٠]

. . . . وللسائل أن يسأل؟ وما فائدة الموضع طالما أنها كلها أرض المحشر وهي أرض سيقف عليها الخلق جميعاً ليحاسبوا من اللّه سبحانه؟ . . هذا سؤال صحيح . . ولكن إذا علمنا السبب وأهمية الموقع أدركنا ما معنى السائق والموقع وأهميته العظمى بالنسبة للإنسان الذي يحشر على هذه الأرض للعرض على اللّه والحساب .

فلنقرأ حديث رسول اللّه ﷺ ثم نجيب عن التساؤل .

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**، يقول سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض أم الذي يكتحل به ـ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار بيده إلى فيه**»(١). إذاً يدني اللَّه سبحانه وتعالى شمساً من أرض الموقف (أرض المحشر) كم حجمها وما مقدار حرها؟ اللَّه أعلم لتتناسب مع أرض المحشر التي لا يعلم حجمها واتساعها إلا اللَّه سبحانه فتكون فوق رؤوس العباد قدر ميل.. في هذه الحالة سيتصبب العرق من الأجساد صباً من حرارة الشمس الهائلة... وهنا يقع الجواب كما يقول رسول اللَّه ﷺ: «**فيكون الناس على مقدار أعمالهم**»(٢).

أي يكون الناس في مواقعهم على قدر أعمالهم.. وحسب عقائدهم: مسلم ـ مسلم عاص ـ مسلم مستَهْتر ـ كافر ـ مشرك... وفي كل حالة مئات الدرجات من العمل أو المعصية أو الكفر.

... الكرة الأرضية التي نعيش عليها تبعد جميعها عن الشمس ٩٤ مليون كم... فكما يبعد خط الاستواء عن الشمس ٩٤ مليون كم كذلك يبعد القطب الجنوبي والشمالي ٩٤ مليون كم.. ومع ذلك فإن الحرارة عند خط الاستواء ٦٠ درجة فوق الصفر، ودرجة الحرارة عند القطبين الشمالي والجنوبي ٦٠ درجة تحت الصفر، مع أن كلاهما خط الاستواء والقطب الشمالي يبعد عن الشمس نفس المسافة ٩٤ مليون كم.

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم الحديث ٢٨٦٤.

إذاً ما هو السبب في اختلاف درجات الحرارة بهذه الدرجة الكبيرة والبعد عن الشمس واحد. . . نعم إن في الأرض زوايا ميل وأقطاباً وأطرافاً وأوساطاً تزيد في درجة الحرارة أو تنقص منها واللَّه سبحانه من قبل أن يخلق البشر على الأرض يعلم هذا وهو الخالق. . . وكذلك فإن أرض الموقف (أرض المحشر) أرض عظيمة، اللَّه سبحانه أعلم بها وأعلم أين تكون الشمس التي تدنو من رؤوس العباد كما في الحديث قدر ميل ـ ذات حرارة عالية فيكون منها العرق بحيث يلجم الناس، وأين تكون أقل من ذلك فيكون العرق من الإنسان إلى ركبتيه ثم إلى كعبيه. . . لذلك يساق الناس إلى مواضعهم حسب أعمالهم عن طريق الملك الذي يخصصه اللَّه سبحانه لكل إنسان مخلوق.

حشر الخلائق على أرض المحشر دون نقصان أحد من الخلق

وهذه هي المعجزة الإلٰهية العظيمة أن يأتي اللَّه سبحانه بخلقه جميعاً بعد فنائهم وموتهم وتحولهم إلى تراب دون أن ينقص واحد من خلقه. . وفي هٰذا كمال العدل الإلٰهي ولو نقص واحد منهم لنقص العدل وحاشا للَّه أن ينقص كماله وعدله وحكمته وصدق اللَّه تعالى إذ يقول:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٦٤]

يقول تعالى عن حشر الخلائق يوم القيامة ووعده أن لا ينقص عند الحشر أحد من خلقه لأنه أحصاهم جميعاً وعدَّهم عدًّا. . . وفي هذا ويل للكافرين والمشركين واطمئنان للمؤمنين الذين علّمهم اللَّه في حياتهم الدنيا أن يدعوا بقوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ٨، ٩]

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٤]

وكيف يخلف اللَّه الميعاد وينسى خلقه أو ينقص أحداً آمن به وعمل صالحاً ودعا ربه أن لا يخزيه يوم القيامة؟ . . . وكيف يخلف اللَّه وعده وينسى الكافر والمشرك فلا يبعثه يوم القيامة لينال جزاء كفره وشركه وظلمه وادعائه أن للرحمن ولداً.

يقول تعالى . . عن حشر الناس يوم القيامة وتوعده الكافرين .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

[سورة مريم، الآيات: ٨٨ ـ ٩٥]

نعم لقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا ولم يستثن اللَّه أحداً لا في السموات ولا في الأرض، فكل أتوه صاغرين طائعين ملبين لا يستطيع أن يتخلف أحد عن هذه الدعوة .

ويقول تعالى :

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٥٢]

عند ذلك يبدأ يوم القيامة الذي يطول فيكون خمسين ألف سنة نجَّانا اللَّه من أهواله ومواقفه، وجعلنا من الذين يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله .

بداية يوم القيامة وبداية أحداثه وأهواله

. . . وبدأت البداية. . وبدأت رحلة تطول خمسين ألف سنة تحمل من الأهوال والعذاب والمواقف ما لا تتحمله أجساد الخلق وعقولهم ونفوسهم. . .

وكل حدث أو موقف أو هول أو عذاب يميت الإنسان عشرات المرات. . . ولكن لا موت. . . ولا خروج للأرواح من أجسادنا. . لقد جاء الخلود الأبدي بما يحمله من العذاب أو النعيم. . بما يحمله من مهانة أو يحمله من كرامة، بما يحمله من عذاب مهين وبما يحمله من أمان عظيم. . كل قدر عمله. . إنها البداية التي تشيب لها الولدان.

بقوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٧]

إنه يوم القيامة وقد بدأت بدايته بعد أن اكتمل الحشر دون نقصان لأحد من خلق اللَّه تعالى، وإن أول ما يكون وبعد أن يأخذ كل مخلوق مكانه من أرض المحشر أن يأتي اللَّه بشمس عظيمة قد تبلغ ملايين المرات من شمس الدنيا، فتكون فوق رؤوس العباد على قدر ميل لتجعلهم يعيشون عذاباً لا يحتمل ولا يطاق فتبدأ أجسادهم بالتعرق فيخرج من أجسادهم سيل من العرق له رائحة نتنة لا تقبلها النفوس، فيشعرون منها بآلام نفسية وعذاب نفسي لا يحتمل.

. . . والشمس بحرارتها ونارها المتأججة تلفح وجوههم وتجعل رؤوسهم وأدمغتهم تغلي كغلي الماء على المرجل، لا يكسو أجسادهم العارية شيء لقوله ﷺ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً»(١).

حاسرة رؤوسهم ليس عليها ما يقيهم بعض نار الشمس الملتهبة، لا يستطيعون أن يمسكوا بشيء، فليس ما حولهم شيء يتمسكون به وليس في موضعهم إلا هذه الأرض البيضاء الصلبة الملسة التي تحت أقدامهم.

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. يقول: سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض، أم الذي يُكتحل به ـ **والناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه»**(٢).

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال:

«يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه ـ أي عرقه ـ إلى أنصاف أذنيه»(٣).

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عزّ وجلّ يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم»(٤).

---

(١) رواه مسلم ورقم الحديث ٢١٩٤.

(٢) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم الحديث ٢٨٦٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٤٨٧١.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **يجمع اللَّه الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس منهم** »(١).

ـ عن سلمان الفارسي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **تعطى الشمس يوم القيامة حرَّ عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس** »(٢).

نتبيَّن من الأحاديث الشريفة الخمسة التي قدَّمنا عن دنو الشمس من رؤوس العباد في أرض المحشر، وهذه الأحاديث تؤكد بعضها بعضاً وأن رواتها رواة الصحيح فلا شك في هذا الأمر أبداً... وهذا الأمر من أشق الأمور وأصعبها على الناس في المواقف وهو ملازمهم لا فكاك منه ولا مخرج حتى يأذن اللَّه سبحانه بعد طول يوم عظيم بفصل الحساب...

ولهول الأمر أن الناس من شدة عذابهم وآلامهم وما ينالونه من حرارة الشمس والعرق الذي يطوف من حولهم سواء أكان إلى الكعب أم إلى الركبة أم إلى أنصاف الأذن والروائح النتنة الخارجة من العرق.

.. ومهما كان حال أحدهم فإنهم يصرخون جميعاً ويقولون خذونا ولو إلى النار.. ولا أحد يجيبهم... ومن يجيبهم؟ وليس من ملك أو رسول يجيبهم لأن الأمر للَّه وحده.

يقول تعالى:

﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾.

[سورة الانفطار، الآية: ١٩]

وكيف يغيثهم اللَّه وقد توعدهم بيوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير بإسناد صحيح.

هل يوم القيامة خمسون ألف سنة كما جاء في الآية الكريمة وحديث رسول اللّه (ﷺ)؟؟

. . . نعم إن يوم القيامة خمسون ألف سنة من سني الأرض بداية من اللحظة الأولى لاكتمال الحشر على أرض المحشر كما قدَّمنا سابقاً. ويبقى السؤال هل حقيقة أن يوم القيامة خمسون ألف سنة؟ وهل تشمل هذه المدة المؤمن والكافر؟

وهل يمكن لخلق ومهما أوتوا من القوة الجسدية تحمل هذا الزمن الطويل؟

وهل تبقى الشمس التي تدنو من رؤوس الخلائق طوال هذه المدة تسطع فوق رؤوسهم؟

ولهول الأمر والموقف لا بد أن نسهب قليلاً في هذه الفقرة لأن الأمر جلل وهو من أعظم الأمور والأحداث في يوم القيامة.

وللإجابة عن هذه التساؤلات نستعرض آيات اللّه سبحانه وأحاديث رسول اللّه ﷺ، فالآيات والأحاديث هي القول الفصل في هذا الأمر، يقول تعالى:

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۞ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۞ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۞ تَعۡرُجُ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ١ ـ ٧]

هذا ما قاله تعالى في محكم كتابه. . . ونستعرض رأي المفسرين أولاً ثم نتحدث عن هذا الأمر الجلل.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ : أي هو صادر «العذاب» من اللَّه العظيم الجليل، صاحب المصاعد التي تصعد بها الملائكة، وتنزل بأمره ووحيه، ثم فصل ذلك بقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، أي تصعد الملائكة الأبرار وجبريل الأمين الذي خصَّه اللَّه بالوحي إلى اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا. قال ابن عباس: (هو يوم القيامة) جعله اللَّه على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار[١]. . .

قال المفسرون: والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة:

﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، أي أن القيامة مواقف ومواطن وأن هذه المدة الطويلة تخف على المؤمن حتى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة.

ويقول ابن كثير في تفسيره: إن فيها أربعة أقوال، فالأول: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل سافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة. . . وعن ابن عباس

---

(١) وهذا أيضاً تفسير الطبري ١٨/ ٢٨٢.

أنه قال في تفسير الآية: أي منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات خمسين ألف سنة... والقول الثاني...

أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق اللَّه هذا العالم إلى قيام الساعة، قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحدٌ كم مضى؟ ولا كم بقي إلا اللَّه؟.. وأما القول الثالث: إنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهذا قول ضعيف.

... وأما القول الرابع وهو الفصل فيقول: إن المراد بذلك يوم القيامة، وبهذا الرأي قال الضحاك وابن زيد وعكرمة.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ .

قال: هو يوم القيامة جعله اللَّه تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

ومما يؤيد هذه التفاسير وهذه الأقوال وأن الآيات من سورة المعارج المقصود بها يوم القيامة وطولُه، أحاديثُ رسول اللَّه ﷺ في هذا الخصوص.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال:

قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل ـ أي الكنز ـ صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجبينه وظهره حتى يحكم اللَّه بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ممَّا تعدُّون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»(١).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٩٠٠٦).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول اللَّه فالإبل؟ قال: **«ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**.

قيل: يا رسول اللَّه، فالبقر والغنم؟ قال: **«ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها شيئاً، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**[(١)].

إذاً يوم القيامة من بدايته إلى نهايته بطول خمسين ألف سنة كما ثبت في كتاب اللَّه تعالى وسنّة نبيه ﷺ.

فإذا كانت حياتنا الدنيا لا تزيد في المتوسط عن ستين إلى سبعين سنة نعيش فيها ويتوفر لنا المأوى والكساء والأكل والمشرب والعشرات من الأشياء التي فيها الرفاهية والهناء والسعادة والمتعة. . . ومع ذلك نعاني من الدنيا ومن هذه المدة القصيرة ما نعاني من عذاب

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٩٨٧.

ومرض وجوع وضيق نفسي، وكل منا يعلم هذا ويعلم ما يصيبه في هذه الحياة، وهذه سنّة اللّه في خلقه.

يقول تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٥]

فكيف هي الحال ولا مقارنة مطلقاً بين الحياة الدنيا ببعض بلائها وهمومها وبين يوم القيامة الذي يطول حتى يكون خمسين ألف سنة، فيه من العذاب والأهوال ما فيه، وفيه الشمس التي تدنو من رؤوس العباد لا تغادرهم أبداً... فأي عذاب هذا؟ ومن هو الذي يحتمل؟... فلولا أن اللّه سبحانه قضى لا موت ولا خروج للأرواح من الأجساد لمات المرء في الموقف خمسين مليون مرة ويزيد، وهذا هو العذاب الحقيقي عذاب بلا موت وشقاء بلا أمل وأهوال بلا انقطاع.

الفصل الثاني

ـالنشأة الأخرى وتغيّر الأجساد في أرض المحشر.

ـيوم القيامة أحوال بشرية ومراحل زمنية.

ـمشاهد وآيات من كتاب اللَّه تعالى ليوم الموقف العظيم.

ـكيف يحشر ويساق المؤمنون والكافرون إلى مواقفهم في أرض المحشر؟

ـالشمس التي تدنو من رؤوس العباد قدر ميل في أرض المحشر.

ـأحوال المؤمنين والعصاة والكافرين في هذا اليوم العظيم.

أولاً: أحوال المؤمنين في الموقف.

١ ـالسبعة الذين يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله.

٢ ـالمتحابون في جلال اللَّه تعالى.

٣ ـمن أنظر معسراً.

٤ ـالمتصدقون.

٥ ـالمفرجون عن المكروبين والمكثرون من الصلاة على النبي ﷺ.

٦ ـواصل الرحم ـ والمرأة تحبس نفسها على تربية أولادها وكافل اليتيم.

٧ ـالمراقب لربه الذي يعلم أن اللَّه معه حيث توجه.

٨ ـالذين لا يبخسون الحق لهم أو عليهم

٩ ـ أهل الخلق الحسن.

١٠ ـ أهل الوضوء على المكاره والمشي إلى المساجد.

١١ ـ حملة القرآن الكريم.

١٢ ـ المؤذنون.

ـ تعليق وتنبيه.

ثانياً: أحوال العصاة وأهل الكبائر في الموقف:

١ ـ المتكبرون ـ آكلو الربا.

٢ ـ الذين يسألون الناس من غير حاجة.

٣ ـ مانعو الزكاة الذين لا يؤدون حق اللَّه في أموالهم وحق الناس عليهم.

٤ ـ الذين يحملون أوزار ظلمهم وغلولهم.

٥ ـ الذين لا يعدلون بين زوجاتهم.

ثالثاً: أحوال الكفار والمشركين والمنافقين في الموقف.

النشأة الأخرى
وتغيّر الأجساد في أرض المحشر

أتصور والعلم عند اللَّه سبحانه أن تغير الأجساد البشرية كائن يوم القيامة على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

وهي عند قيامهم بعد نفخة البعث الثانية حيث يصبح البصر حديداً أي قوياً شديداً يستطيع أن يرى الإنسان ما أُخفي عليه في الحياة الدنيا ـ كرؤية الملائكة والجن وما أخفاه اللَّه سبحانه عنا ممَّا لا نعلم، وقد قدَّمت لهذه المرحلة في فقرة سابقة، ودليلها كما قلت في كتاب اللَّه تعالى.

يقول تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ٢١، ٢٢]

المرحلة الثانية:

وهي عندما يتم نقل الخلائق من أرض الدنيا إلى أرض المحشر وهي الأرض التي أعدَّها اللَّه سبحانه كما قدَّمنا ليوم القيامة، والذي يطول حتى يكون خمسين ألف سنة من سني الدنيا، تدنو الشمس من رؤوس العباد حتى تكون قدر ميل كما ورد في الأحاديث الشريفة.

ـ عن المقداد رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

« **تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل** يقول سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض أم الذي يُكتحل به ـ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه**»[١].

فدنو الشمس من رؤوس العباد حتى تكون قدر ميل منهم حقيقة واقعة مروية عن طريق الأحاديث الصحاح، والسؤال... كيف تتحمل هذه الأجساد الضعيفة والتي لا يزيد وزنها عن مائة كيلو وطولها عن المترين في المتوسط... حرارة الشمس وهي على علو ميل واحد من رؤوسهم.. ألا يذوبون ويصبحون سراباً من نارها وحرها؟

... في الحياة الدنيا تبعد الشمس عن الأرض ٩٤ مليون كم ومع ذلك في فصل الصيف ترتفع الحرارة قليلاً فتكاد تهلكنا[٢]... فكيف الحال على أرض المحشر؟

... في هذه الحالة يتم تغيّر الأجساد مرة أخرى واللّه أعلم وهي المرحلة الثانية من التغير، لتتناسب مع هذه المرحلة الشديدة من يوم القيامة، والتغيير ثابت في القرآن الكريم.

يقول تعالى:

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٦٠ ـ ٦٢]

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم الحديث ٢٨٦٤.

(٢) في صيف عام ٢٠٠٣م ارتفعت الحرارة في فرنسا إلى ٤٠ درجة مئوية... فمات من جراء ذلك حسب آخر إحصاء أوردته وكالات الأنباء (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف نسمة.

وهذه الآية الكريمة: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . . .﴾ مخصوصة ليوم القيامة . . . أي إن اللَّه سبحانه سوف ينشئنا يوم القيامة نشأة جديدة ولكنها بعلم اللَّه، لم يطلعنا اللَّه سبحانه على كيفية هذه النشأة . . ما أعلمنا أنها ستكون نشأة جديدة في يوم القيامة؟

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات الكريمة: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ: أي صرفناه بينكم، وقال الضحاك: ساوى فيه أهل السماء والأرض، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: أي وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: أي نغيّر خلقكم يوم القيامة، ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي من الصفات والأحوال، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي قد علمتم أن اللَّه أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾: أي نحن قدرنا وحكمنا عليكم بالموت وساوينا بينكم، سواء الشريف والوضيع والأمير والصُعلوك، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: أي وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: أي على أن نهلككم ونستبدل قوماً غيركم يكونون أطوع للَّه منكم.

كقوله تعالى:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. وأما قوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي ولسنا بعاجزين أيضاً أن نعيدكم يوم القيامة في خلقة لا تعلمونها ولا تصل إليها عقولكم، والغرض أن اللَّه قادر على أن يهلككم وأن يعيدهم وأن يبعثهم يوم القيامة، ففي الآية تهديد واحتجاج على البعث.

. . . فكل المفسرين أكدوا أن التغيير في الخلق واقع يوم القيامة ولم يخالف مفسر واحد في هذا الأمر . .

ونقول ـ وباللَّه العون ـ: إن البشر وفي حال سوقهم إلى أرض المحشر تتغير أجسادهم فيزيد اللَّه سبحانه وتعالى من طولها وحجمها بما يتناسب مع حال الموقف وحال الشمس ولهيبها وحرارتها وبما أعدّه اللَّه سبحانه لأهل الموقف من المشركين والكافرين والضالين والعصاة من العذاب والآلام.

وهذا التغيير لن يكون التغيير الأخير، بل هو تغيير لهذه المرحلة فقط . . . ولنقرأ حديث رسول اللَّه ﷺ في صحيح البخاري ثم نناقش مسألة التغيّر الجسدي للبشر في هذه المرحلة العظيمة، والتي هي من أشد مراحل يوم القيامة عذاباً وهولاً وفزعاً وخوفاً ورجاء واستغاثة وويلاً وثبوراً وحسرة وندماً وبكاء وعويلاً.

روى البخاري ومسلم . . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[1].

. . . فالعرق يبلغ في ارتفاعه سبعين ذراعاً أي ما يقرب من ضعف طولنا عشرين مرة . . فيلجم الناس حتى يبلغ آذانهم . . . فهذا يعني أننا سنضخم ويزاد طولنا في يوم الموقف ما يقرب من عشرين مرة من طولنا في حياتنا الدنيا . . . والحديث صحيح رواه البخاري ومسلم وهو متفق عليه.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق رقم الحديث ٦١٦٧.

وهذا يتناسب مع واقع حال الإنسان في أرض المحشر وما نقوله هو استنتاج من حديث رسول اللَّه ﷺ والاستنتاج محله الخطأ ومحله الصواب وقد جاء الاستنتاج من واقع الأحاديث الشريفة الصحيحة التي تؤيد أن الكافر يضخم في النار حتى يكون ضرسه كجبل أُحد وجلده مسيرة ثلاثة أيام، وهذا سيأتي بيانه في الجزء التاسع عندما نتكلم عن النار وأهلها، وأما واقع الحال من حيث دقته وكيفيته فهذا يبقى بعلم عالم الغيب والشهادة. . . ولو يشاء اللَّه سبحانه لضاعف جسد ابن آدم يوم القيامة مئات المرات أو حتى آلاف المرات. فاللَّه سبحانه خلق النملة ولها كامل مواصفات الحياة من بصر وسمع وإحساس وجهاز هضمي وتنفسي، وخلق الفيل الذي يبلغ حجمه حجم النملة ملايين المرات له ذات المواصفات، له سمع وبصر وإحساس وجهاز هضمي وتنفسي، فالذي خلق النملة هو الذي خلق الفيل والذي خلق الإنسان بما لا يزيد عن مترين قادر على أن ينشئه يوم القيامة بذات المواصفات والأحاسيس الدنيوية ويجعله على طول سبعين ذراعاً. . . فجسد ابن آدم خلايا تنمو بأمر اللَّه وتصغر بأمر اللَّه. . وتكبيرها وتصغيرها بأمر اللَّه. . . . فمن أعطى الأمر للخلايا أن تقف عن النمو بعد سن الشباب في الإنسان؟ ومن أعطاها الأمر بالنمو في مراحل الطفولة؟ فهذا الخلق بعلم اللَّه وقدرته.

المرحلة الثالثة: المرحلة الثالثة من التغيير يتم إن شاء اللَّه عند الدخول إلى الجنة أو النار. . . وهذا ما سيتم بيانه عندما نتحدث عن الجنة ونعيمها. . والنار وأهوالها في الجزء التاسع والجزء العاشر من الموسوعة.

يوم القيامة أحوال بشرية ومراحل زمنية

ليس يوم القيامة حالة واحدة ومرحلة واحدة. . إنما تتعدد أحواله ومراحله على طوله الذي يمتد حتى خمسين ألف سنة.

. . . ولكن أشده بلا شك حالة الوقوف. . وقوف الناس تحت أشعة الشمس وحرها على مدى خمسين ألف سنة.

. . . فما هي تقسيمات هذا اليوم ومراحله وأحواله؟

المرحلة الأولى:

وهي المرحلة الأولى من يوم القيامة مرحلة الوقوف في أرض المحشر، والشمس التي تدنو من رؤوسهم والعرق الذي يلجمهم، وطريقة حشر الناس، وزمن هذه المرحلة في كتاب اللَّه سبحانه خمسون ألف سنة وكذلك هي في أحاديث رسول اللَّه ﷺ.

يقول تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

ويقول رسول اللَّه ﷺ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها

جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار»(١).

والآيات كثيرة التي تبيِّن حال الناس في هذه المرحلة العصيبة من يوم القيامة.

المرحلة الثانية:

وهي الأهوال والأحداث العظام التي تحدث على طول هذا اليوم الذي يمتد حتى خمسين ألف سنة وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يخص الكافرين والمشركين والفاسقين والمنافقين والضَّالين.

القسم الثاني: ما يخص العصاة من أمة محمد ﷺ وأهل الكبائر والذين كانوا لا يؤدون حق اللَّه وفرائضه من صلاة وصيام وحج وزكاة.

القسم الثالث: ما يخص المؤمنين الذين يعملون الصالحات بكل ما تحمل كلمة الصالحات من معنى ـ إقامة الشعائر ـ وإتيان النوافل ـ الجهاد في سبيل اللَّه ـ الشهداء ـ أهل القرآن الكريم، أهل الصدقات الصابرون المحتسبون للَّه ـ العلماء ـ المسبّحون ـ المستغفرون. . . ولقد وصفهم اللَّه سبحانه بكثير من الآيات القرآنية الكريمة نذكر منها:

يقول تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة (٢/ ٦٨٠) رقم الحديث ٩٨٧.

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٧٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤]

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة الشفاعة العظمى التي يأذن اللَّه سبحانه بها بعد انقضاء الخمسين ألف سنة التي ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه وذكرها رسول اللَّه ﷺ، والشفاعة العظمى هي لبدء العرض على اللَّه سبحانه والوقوف بين يديه وحساب الخلائق... ولقد اختص اللَّه سبحانه هذه الشفاعة العظمى لبدء الحساب بسيدنا محمد ﷺ حيث لا تكون إلا على يديه فهو ﷺ حامل لواء الحمد والشفاعة يوم القيامة، حيث تأتي الأقوام في طول هذا اليوم العظيم على جميع الأنبياء من أجل الشفاعة لهم بتعجيل الحساب وتخليصهم من هذا اليوم العظيم الذي ذاقوا منه آلاماً وعذاباً وذلاً وهواناً...

ولكن الأنبياء عليهم السلام ما رأوا أنفسهم أهلاً لهذه الشفاعة العظمى دون رسول اللَّه محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين.

وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً عند الحديث عن الشفاعة العظمى.

المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة العرض على اللَّه سبحانه، والعرض على اللَّه يطول حيث يبدأ بعرض الأمم وسؤالها وموقف الاختصام والشهادة، وشهادة الرسل على أقوامهم وسؤال المرسلين، وشهادة رسولنا ﷺ وسؤال اللَّه سبحانه عن التكاليف الشرعية وعن العلم والعمر والمال.. وكل هذا يأتي بالتفصيل في الجزء السابع من الموسوعة الحساب والعرض على اللَّه سبحانه إن شاء اللَّه تعالى.

المرحلة الخامسة:

وهي عالم الحساب الفردي حيث تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتحاول دفع العذاب عنها، وفي هذه المرحلة يكون الإنسان في أدق مراحل يوم القيامة والقلوب لدى الحناجر، ويعتري الإنسان خوف من مصيره بعد حساب اللَّه سبحانه له وإقراره لجميع أعماله، وبمنتهى الدقة ولو كان مثقال ذرة يأتي بها اللَّه سبحانه عند محاسبته للإنسان، ويتنوع الحساب والسؤال وأحواله حول العبادات وأولها الصلاة.. وحقوق العباد وباقي الفرائض.. وبيان أنواع الحساب حيث منها اليسير الذي ذكره اللَّه سبحانه في كتابه ومنه العسير... وكذلك من لا حساب عليه.. وكل هذا سيأتي في موقعه إن شاء اللَّه بمنتهى الدقة والتفصيل.

المرحلة السادسة:

وهي عالم الميزان والصحف والصراط.

وهي مرحلة وزن أعمال الإنسان بميزان العدل الإلٰهي الذي يزن الذرة من العمل وما دونها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيات: ٦ ـ ٨]

وكذلك استلام الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ من خلفه ووجوه ترهقها قترة، ووجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وأخيراً العبور على الصراط... وحديث الصراط يطول وفيه ما فيه من الأهوال والفزع والخوف حيث يمر الناس وهم أصناف كثيرة، فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر بأسرع جواد ومنهم من تخدشه النار ومنهم من يهوي من فوق الصراط في جهنم بعد أن تتخطفه الكلاليب والشوك وكل هذا يأتي بتفصيل دقيق كلاً في بابه.

المرحلة السابعة:

وهي عالم الجنة وما فيها من نعيم اللَّه وهي الدخول إلى الجنة عالم الخلود في مقعد الصدق عند مليك مقتدر، جنات اللَّه الخالدات التي فيها من الجمال والمتعة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والسابقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.. وكلهم في رحمة اللَّه خالدون وارثون، لهم ما يشاؤون فيها وعند اللَّه مزيد.

المرحلة الثامنة:

عالم النار وجهنم.

وهو خلود الكافرين والمشركين والمنافقين في جهنم حيث يلقون فيها عذاباً دائماً لا خروج منه ولا خلاص منه، خالدين فيه أبداً لا يخفف عنهم العذاب، وهم فيه مبلسون، يصرخون، ويبكون ويجأرون ويستغيثون، ولا مجيب لهم، ولا ناصر ولا هم يُنظرون ولا

يفتر عنهم العذاب. . إن عالم جهنم عالم فظيع، آلامه لا نهاية لها وعذابه لا انقطاع له.

وعالم الجنة له جزء خاص في هذه الموسوعة وكذلك عالم جهنم له جزء خاص في هذه الموسوعة. . حيث يطول الحديث فيهما عن نعيم الجنة وعذاب جهنم في هذه الموسوعة. . . جعلنا اللّه سبحانه من أهلها وساكنيها وواردها وأبعدنا عن جهنم والنار وعذابها إنه سميع مجيب.

بذلك قدَّمت تقسيمات لتلك المرحلة التي يكون عليها البشر في يوم القيامة حتى دخول الجنة. . أو الدخول في النار.

وفي كل مرحلة أحداث وتقسيمات كثيرة يأتي كل منها في حينه وموقعه من الموسوعة، إذ لكل مرحلة تفصيلات كثيرة حيث بسطت ما في كل مرحلة من أحداث جسام وأصول بشرية ومواقف متعددة.

مشاهد وآيات من كتاب اللَّه تعالى ليوم الموقف العظيم

في هذه الفقرة اخترت الآيات الكريمة التي تخص يوم الموقف أي من أول الحشر على أرض المحشر حتى يأذن اللَّه سبحانه بعد الشفاعة العظمى لنبيِّنا محمد ﷺ ببدء الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

فهذا اليوم العظيم على طوله على الكفار والمشركين والمنافقين حتى يمتد عليهم إلى خمسين ألف سنة.. كيف تحدث اللَّه سبحانه في آياته عنه.. وكذلك نستعرض أحاديث رسول اللَّه ﷺ في خصوص هذه المدة من أول الحشر إلى أن يأذن اللَّه سبحانه ببدء الحساب.

... نذكر الآيات الكريمة ونقدِّم بين يديها شيئاً من التفسير والتفصيل والبيان بما يعيننا اللَّه سبحانه وتعالى كل منها في مرحلته.

يقول تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ .

[سورة غافر، الآية: ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۞ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۞ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠]

ويقول تعالى:

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآيات: ٤ ـ ٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۖ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٣٩]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٤١]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۞ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۞ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ .

[سورة النبأ، الآيات: ٣٨ ـ ٤٠]

كيف يحشر ويساق المؤمنون والكافرون إلى مواقعهم في أرض المحشر

قلنا في فقرة سابقة: إن اللّه سبحانه يرسل لكل إنسان ملكين ملك يسوقه إلى أرض المحشر وملك يشهد عليه.

قال تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢١]

ولكن اللّه سبحانه بفضله ورحمته يعز المؤمن الصالح فيحشره إلى موقعه من أرض المحشر عزيزاً راكباً آمناً من الفزع والخوف.. ويحشر الكافرين أذلاء يمشون ولكن ليس على أرجلهم وإنما على وجوههم زيادة في الذل والمهانة والصغار.

وفي سورة الواقعة يبيّن اللّه سبحانه لنا هذا المحشر...

يقول تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا * وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١ ـ ١١]

وهذا هو تصنيف الناس يوم القيامة.. والسابقون هم الرسل

والأنبياء والصديقون والشهداء والعلماء وجميع أهل التقوى والصلاح فهؤلاء جميعاً يحشرون يوم القيامة ركباناً.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[1].

[سورة مريم، الآيتان: ٨٦، ٨٧]

وأما الكافرون فزيادة على ذلهم وهوانهم على اللّه سبحانه فإنه لا يحشرهم وهم يمشون، ولكن على وجوههم صماً وبكماً وعمياً. . .

يقول تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

وقد وضح لنا رسول اللّه ﷺ الأمر في هذا الشأن.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم** » قيل: يا رسول اللّه، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « **إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك** »[2].

نفهم مما سبق أن الحشر على ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: حشر السابقين وقد قدَّمنا عنهم وأن هؤلاء هم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء والعلماء. . وأهل القرآن وأهل

---

(١) وفداً ـ ركباناً ـ ورداً ـ أي كالدواب التي ترد الماء (عطاشاً).

(٢) رواه الترمذي في سننه ورقم الحديث ٣٠٤٢.

الصلاح والتقوى.. وجميع هؤلاء يحشرون راكبين على ركاب يجهزه اللَّه لهم يوم القيامة.. ولا بد أن يكون ركاباً حسناً وجميلاً وهنيئاً لينظر إليهم أهل الموقف وأهل الجمع ويتساءلوا من هم هؤلاء الذين أكرمهم اللَّه سبحانه هذا الإكرام؟

الطريقة الثانية: حشر المؤمنين من أهل اليمين وهؤلاء يحشرون مشاة ولكن معهم الملائكة ويسيرون برحمة اللَّه أعزاء ليسوا أذلاء لا يحزنهم الفزع والخوف لأنهم في مأمن من هذا حتى يصلوا إلى مواقعهم من أرض المحشر.

الطريقة الثالثة: وهي لعموم الكفار والعصاة وأهل الكبائر، وهو الحشر الذليل المهين الذي فيه عذاب اللَّه الأليم وعذاب اللَّه العظيم وعذاب اللَّه المهين. وهؤلاء يحشرون ليس فقط قد سلبهم اللَّه سمعهم وأبصارهم ونطقهم، إنما يمشون ولكن ليس على أرجلهم إنما على وجوههم زيادة في الذل والمهانة، وأما كيفية المشي فهذا كائن بعلم اللَّه ولكن قدرة اللَّه سبحانه لا يعجزها شيء.. وهذا الثعبان في الدنيا يسير بسرعة كبيرة ولا يدين له ولا قدمين.. ولو أنا لم نر الثعبان في حياتنا الدنيا، وجاء من يخبرنا أنه رأى حيواناً يسير بسرعة كبيرة ولكن ليس له يدان ولا قدمان، ربما كنا لا نصدقه حتى نرى..

المهم أن هؤلاء يذلون ذلاً ما بعده ذل، ويهانون إهانة كبيرة، وهم يسيرون مقلوبين على وجوههم لا يملكون سمعاً ولا بصراً ولا يستطيعون الكلام.. فكم يتجرعون كأس المرارة والعذاب؟ وهؤلاء كثيرون تجدهم أصنافاً كثيرة من الناس، كانوا في الدنيا أصحاب عزَّة وجاه وسلطة ونفوذ ومال ومنصب، ولكنهم أشركوا باللَّه وكفروا وعصوا وضلوا وفسقوا.

يقول تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٦]

فإذا ألقى اللَّه سبحانه الكافر في جهنم يوم القيامة يقول له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٤٩]

تنبيه: حالة الكفار هؤلاء وهم يمشون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ليست حالة دائمة أي لا يسلب منهم السمع والبصر والنطق طوال يوم القيامة.. فهم ينتقلون ويتقلبون في يوم القيامة وطوله الذي يصل إلى خمسين ألف سنة، إلى أكثر من حالة فمرة يسمعون ويبصرون.. ومرة لا يسمعون ومرة لا يتكلمون.. حالات يتعرضون لها في طول هذا اليوم العظيم كما يأمر اللَّه سبحانه ويريد.

الشمس التي تدنو من رؤوس العباد قدر ميل في أرض المحشر

شمس عظيمة ـ غير شمس الدنيا التي كورت وذهبت ـ هي التي يأمرها اللَّه سبحانه وتعالى لتكون فوق رؤوس العباد في أرض المحشر. . .

فأرض المحشر لا يعلم عظيم اتساعها إلا اللَّه سبحانه، تلك الأرض التي تسع الخلائق جميعاً أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم بالإضافة إلى الملائكة الكرام.

. . . وكذلك فإن الشمس التي تكون فوق رؤوس العباد في تلك الأرض العظيمة لا يعلم حجمها وقوة لهيبها إلا اللَّه سبحانه.

. . . فإذا أخذ الناس مواقعهم المحددة لهم مسبقاً من اللَّه سبحانه بمنتهى الدقة والتنظيم ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى مكانها المحدد في أرض المحشر وشهيد يشهد عليها وعلى أعمالها يوم القيامة. . يأمر اللَّه سبحانه الشمس فتأتي ثم تدنو وتدنو حتى تأخذ موقعها من فوقهم قدر ميل من مسافة الأرض. . . فتتفاعل الشمس وحرارتها ـ والتي تغلي الأدمغة من شدتها ـ مع تلك الأجساد التي قضى اللَّه سبحانه عليها (أنه لا موت)، وهنا يكون العذاب العظيم، والذي مهما قدَّمنا له من تفسير وبيان وشرح وتحليل

فإننا لا نصل إلى حقيقة هذا العذاب الذي ستناله النفوس والأجساد من دنو الشمس فوق رؤوسهم لهذه المسافة القريبة جداً، والإنسان في الدنيا ورغم كل هذه الظلال الوارفة والحياة الهنية إلا أنّه إذا تعرّض لأشعة الشمس التي تبعد عنا (٩٤) مليون كم وليس ميلاً كما في أرض المحشر، فقد تصيبه بدُوار أو ضربة شمس أو حمى فتفقده توازنه فتراه يتَّقيها بيده أو بشيء معه فيهرب منها إلى ظل يظله منها فيقيه أشعتها الشديدة. . .

. . . فماذا تفعل تلك الخلائق بتلك الشمس التي تدنو من رؤوسهم قدر ميل؟. . ولو شاء اللَّه سبحانه لأذابهم ثم أحياهم ثم أذابهم، ولكن اللَّه سبحانه يصرف عذابها وحرَّها إلى أن يخرج من أجساد البشر الواقفين في أرض المحشر عرقاً له رائحة كريهة يتصبب منهم دون انقطاع حسب أعمالهم من كفر أو شرك أو معصية. فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه ومنهم من يصل إلى ركبتيه ومنهم من يصل إلى بطنه ومنهم من يصل إلى أذنيه وفمه فيغطهم العرق غطًّا كالغريق الذي يستنجد من الموت بعد أن غطه الماء فوصل إلى فيه وأذنيه.

يقول رسول اللَّه ﷺ في وصف هذا الموقف الرهيب المزعج المرعب المؤلم الذي يتمنى معه الواقف الموت وبأي وسيلة كانت.

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض، أم الذي يُكتحل به؟ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه،**

ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه»[1].

وهكذا يفيض منهم العرق حتى يمضي في الأرض سبعين ذراعاً. عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[2].

ويقال: إنهم في هذه الأحوال ومن شدة آلامهم يتمنون الانصراف ولو إلى النار.

ومما روى ابن جرير الطبري في تفسيره.

قال الأعمش عن خيثمة عن ابن مسعود، قال: «**الأرض كلها يوم القيامة نار، والجنة من ورائها ترى كواعبها، وأكوابها، ويلجم الناس العرق أو يبلغ منهم ولم يبلغوا الحساب**»[3].

روى الأعمش عن المنهال، عن قيس بن سكن، عن ابن مسعود قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾. قال: أرض كالفضة البيضاء، نقية لم يسفك فيها دم، ولم يعمل فيها ذنب، ولم يعمل فيها خطيئة ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة كما خلقوا، أراه قال: حتى يلجمهم العرق[4].

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في صفة يوم القيامة رقم (٢٨٦٤).

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري كتاب الرقاق باب قوله تعالى: **﴿ألا يظن أولئك﴾** (٨/ ١٣٨).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ١٣/ ٢٥١) وقال المنذري: رواه الطبراني بإسناد جيد.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٢٤٩).

«يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه ـ أي عرقه ـ إلى أنصاف أذنيه»[(١)].

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عزّ وجلّ يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال (أي الأقوياء الأشداء) **إلى أنصاف آذانهم»**[(٢)]. وروى ابن المبارك في كتاب الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان الفارسي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين وتدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل»**.

وتؤكد هذه الأحاديث الشريفة جميعها شدة الموقف الذي يأتي من طوله، فهو كما ثبت من الآية الكريمة وأحاديث رسول اللّه ﷺ يمتد إلى خمسين ألف سنة كما تقدّم.

. . . الحقيقة أنني عندما أقرأ وأكتب هذه الأحاديث والنصوص أتوقف قليلاً وأضع القلم جانباً ثم أُحلِّق مع تخيلاتي كيف يكون هذا اليوم، وهذا الموقف؟ كيف يكون اليوم بطول خمسين ألف سنة بذات الحرارة وذات الشمس التي لا تغادرهم ولا ترتفع عن رؤوسهم ولا يفتر عنهم نوعية هذا العذاب وهم يسيحون في عرقهم ذي الرائحة النتنة الكريهة التي تكفي أن تكون وحدها عذاباً لا يطاق؟ . . كيف يكون أهل الموقف والعرق ينضح من أجسادهم نضحاً ويتصبب منهم تصبباً دون انقطاع، حتى يكون من حولهم كبحر من ماء آسن نتن

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٤٨٧١).

يسبحون فيه ليس لهم من شفيع ولا رجاء من خلاص ولا أمل من نجاة ولا يؤذن لهم بالكلام. . . فكم سيدفع الكفار والمشركون والعصاة ثمن جرائمهم واستكبارهم واستهزائهم وسبهم وشتمهم ومؤامراتهم على دين اللَّه تعالى الإسلام؟. . وكم سيدفع العصاة ثمن استهتارهم بأحكام وفرائض وأوامر اللَّه سبحانه؟ وكم سيدفع الكسالى الذين تكاسلوا عن الصلاة والصيام والحج والزكاة ثمن تكاسلهم؟وكم سيدفع الذين لا يعرفون للتسبيح معنى ولا لذكر اللَّه معنى ولا يعرفون شيئاً اسمه صلاة الفجر؟ وكم سيدفع أولئك الذين وضعوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم فما تلوه وما قرؤوه وما سألوا اللَّه الهداية والرحمة والغفران؟

. . . وإن سألت هؤلاء الهدى والتقوى أخذتهم العزة بالإثم واستهزؤوا وتمردوا وسعوا في الأرض فساداً واللَّه لا يحب الفساد.

يقول تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٤ ـ ٢٠٥]

نعم. . إنها الطامة، والصَّاخة، والحاقة، والتي ستكون عليهم وبالاً ما بعده وبال، وشراً ما بعده شر، وعذاباً ما بعده عذاب، وخوفاً ما بعده خوف. . . كل من ذكرت لأنهم ما خافوا اللَّه ولا عذابه الوجيع في حياتهم الدنيا، وإلا كيف تكون حالتهم هكذا وكانوا من الذين يخافون اللَّه سبحانه في دنياهم؟

. . . فكيف سيعامل اللَّه سبحانه أولئك الذين لم يخافوه ورفضوا ما أمر به بل استهزؤوا وسخروا وضحكوا ولعبوا وغرتهم الأماني؟

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ يروي عن ربه جلَّ وعلا قال: « **وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة** »[(١)] .

وكيف يكون أولئك الذين أعرضوا عن ذكر اللَّه وما يشتمل عليه من صلاة وصيام وزكاة وحج وصدقات وبر؟

يقول تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ .

[سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦]

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم الحديث ٦٤٠.

أحوال المؤمنين والعصاة والكافرين في هذا اليوم العظيم

قال تعالى:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[سورة المطففين، الآيات: ٤ ـ ٦]

هذا هو القيام الطويل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تدنو منهم الشمس، وهم حفاة عراة غرل حتى تكون قدر ميل من فوق رؤوس الخلائق ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فالله سبحانه قال: ﴿يَقُومُ﴾ أي إن الخلائق في حالة قيام ووقوف حتى يأذن الله لفصل القضاء والحساب بشفاعة محمد ﷺ.

وقبل أن ندخل في تفصيل أحوال المؤمنين والعصاة والكافرين في هذا الموقف العظيم نستعرض أقوال العلماء واجتماع الرأي حول الناس وموقفهم في هذا الموقف العظيم.

يقول العلماء:

وظاهر بعض الأحاديث يعم جميع أهل الموقف.. ولكن هناك أحاديث أخرى تدل أن العرق وأهوال الموقف تعم الكفار جميعاً وتعم المذنبين على قدر ذنوبهم... وأما الأنبياء فهم في أمان من جميع ذلك وكذلك أتباعهم من الشهداء والصديقين والصالحين وأهل الخير كما تقدّم.

ذلك أن اللّه سبحانه يقول في محكم كتابه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٨٢]

وقال المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة: وأراد أن موقفهم في أرض المحشر وموقفهم للحساب هو في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا[١] .

(١) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها للشيخ الفاضل عبد اللّه سراج الدين رحمه اللّه تعالى.

أولاً

أحوال المؤمنين في هذا الموقف

هذا الموقف الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، للناس فيه مراتب ومواقف فهم على درجات كبيرة ومتفاوتة.. فالمؤمنون الصادقون على درجات والعصاة من أمة محمد ﷺ على درجات والكفار على درجات وإن جمعتهم ملة الكفر الواحدة.. فهذا اليوم على طوله لا بد أن يكون الناس على درجات متفاوتة، وذلك من عدل اللَّه سبحانه، العدل المطلق والذي لا تظلم عنده نفس شيئاً وفي كل مواقف يوم القيامة على اختلافها وتنوعها وتعدد مواقفها وأشكالها، فحشر الناس على أرض الموقف (أرض المحشر) يوم القيامة وامتداده الطويل يختلف عن الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للعرض عليه، وكذلك يختلف عندما يبدأ اللَّه سبحانه فصل الحساب، وكذلك عند استلام الصحف والميزان والصراط ـ فكل موقف له حالة.. فالمؤمنون في أحوال متعددة من هذه المواقف والكفار في أحوال متعددة من هذه المواقف.

... لذلك فإن الحديث الآن عن الموقف في أرض المحشر والذي يبدأ من حشر الناس على أرض المحشر وينتهي ببداية فصل القضاء والعرض على اللَّه سبحانه... فما سنذكره ليس له علاقة فيما بعده ولا فيما قبله.

... فما أحوال المؤمنين في هذا الموقف؟؟

المؤمنون في هذا الموقف مراتب متعددة ودرجات متفاوتة، فمنهم على منابر من نور في ظل عرش الرحمن وهم الأنبياء

والسابقون والمتحابون في اللَّه، ومنهم من يكون في ظل العرش من أعمالهم الصالحة وأفعالهم المحمودة، وأجلها أهل الصدقات.

وقد بيّن رسول اللَّه ﷺ صفات المؤمنين الذين يكونون في ظل عرش الرحمن حيث يقف الناس في أرض المحشر تدنو الشمس من رؤوسهم قدر ميل فيغطون في العرق حتى يصل إلى بعضهم إلى أذنيه وفمه ويغطه العرق غطاً.

١ ـ السبعة الذين يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«سبعة يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة اللَّه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في اللَّه، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللَّه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللَّه خالياً ففاضت عيناه»(١).

٢ ـ المتحابون في جلال اللَّه تعالى:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»(٢).

٣ ـ من أنظر معسراً:

عن أبي اليسر كعب بن عمرو رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله اللَّه في ظله»**(٣).

---

(١) متفق عليه الفتح ٤/ ٣٥ ومسلم ٧١٥.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ١٩٨٨.

(٣) رواه مسلم رقم الحديث (٢٣٠٢) ورواه الحاكم وابن ماجه.

٤ ـ المتصدقون :

عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبه بن عامر يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس**» أو قال: « **يحكم بين الناس**» قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئه يوم إلا تصدق به بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا(١) .

٥ ـ المفرجون عن المكروبين، والمكثرون من الصلاة على النبي ﷺ :

والمكثرون من الصلاة على النبي ﷺ روى الديلمي عن أنس مرفوعاً: « **ثلاثة تحت ظل العرش يوم القيامة: من فرج عن مكروب من أمتي وأحيا سنتي وأكثر الصلاة علي**» شرح الزرقاني على الموطأ.

٦ ـ واصل الرحم ـ والمرأة تحبس نفسها على تربية أولادها ـ وطاعم اليتيم :

عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: واصل الرحم يزيد اللَّه في رزقه ويمد له في أجله، وامرأة مات زوجها وترك لها أيتاماً صغاراً فقالت: لا أتزوج أقيم على أيتامي حتى يموتوا أو يغيثهم اللَّه، وعبد صنع طعاماً فأضاف ضيفه وأحسن نفقته وأدنى عليه اليتيم والمسكين فأطعمهم لوجه اللَّه عزّ وجلّ**»(٢) .

٧ ـ المراقب لربه الذي يعلم أن اللَّه معه حيث يتوجه :

عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال:

« **ثلاثة في ظل اللَّه عزّ وجلّ يوم لا ظل إلا ظله: رجل حيث توجه**

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٤٧).

(٢) رواه الديلمي وأبو الشيخ والأصبهاني ـ الديلمي في الفردوس كما في الفتح.

علم أن اللَّه تعالى معه، ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية اللَّه، ورجل أحب لجلال اللَّه »[١].

٨ ـ الذين لا يبخسون الحق لهم أو عليهم:

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال: «**أتدرون من السابق إلى ظل اللَّه يوم القيامة؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: الذين إذا أُعطوا الحق قبلوه وإذا سُئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم**»[٢].

٩ ـ أهل الخلق الحسن:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**أوصى اللَّه إلى إبراهيم عليه السلام: يا خليلي حَسِّن خُلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار وإن كلمتي سبقت لمن حسَّن خلقه أن أظلله تحت العرش، وأن أسقيه من حظيرة قدسي وأن أدنيه من جواري**»[٣].

١٠ ـ أهل الوضوء على المكاره والمشي إلى المساجد:

عن جابر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**ثلاث من كن فيه أظله اللَّه تحت ظله: الوضوء على المكاره، والمشي إلى المساجد في الظلم، وإطعام الجائع**». قال في الفتح: رواه أبو الشيخ في الثواب، والأصبهاني في الترغيب.

١١ ـ حملة القرآن الكريم:

عن علي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته،**

---

(١) رواه الطبراني. صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٤٥٣٦).

(٣) رواه الطبراني: ترغيب المنذري.

وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل اللّٰه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»(١) .

١٢ ـ المؤذِّنون:

المؤذِّن الذي كان يرفع صوته بالنداء للصلاة في الدنيا يظهر فضله يوم القيامة وعند الحشر.. إذ يجعل اللّٰه سبحانه للمؤذنين أعناقاً أطول من أعناق أهل المحشر جميعاً.

عن معاوية رضي اللّٰه عنه قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: **« المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»**(٢) .

قصر ذلك اليوم على المؤمنين وخفته:

ما ذكرت عن أحوال المؤمنين الذين يظلهم اللّٰه سبحانه بظله يوم لا ظل إلا ظله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

يقول تعالى:

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ١ ـ ٤]

إن هذا اليوم على طوله يخفف على المؤمنين السابقين المذكورين آنفاً والذين يكونون في ظل اللّٰه سبحانه يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي سعيد رضي اللّٰه عنه قال: قيل: يا رسول اللّٰه، يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول اللّٰه ﷺ:

---

(١) انظر شرح الزرقاني على الموطأ والفتح الكبير وعزاه أيضاً إلى الشيرازي ومسند الفردوس ورواه ابن النجار.

(٢) رواه مسلم برقم ٣٨٧.

«والذي نفسي بيده إنه يخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يوم القيامة على المؤمنين كمقدار ما بين الظهر والعصر»(٢).

. . . وعند أبي يعلى برجال الصحيح: **«فيهون أو فيكون ذلك للمؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب»**.

. . . وعند الطبراني من حديث ابن عمر: **«ويكون ذلك اليوم أقصرَ على المؤمن من ساعة من نهار»**.

تعليق وتنبيه:

. . . للسائل أن يسأل كيف تمضي خمسون ألف سنة على المؤمنين في هذا الوقت القصير كوقت صلاة الفرض أو ساعة من نهار أو ما بين أن تدنو الشمس من المغيب إلى أن تغيب. . أي تقريباً ساعة من نهار الدنيا؟؟

والجواب عن هذا السؤال. . . إن الآخرة لها قوانين تحكمها غير قوانين الدنيا، ومع ذلك ضرب اللَّه سبحانه لنا مثلاً عن أهل الكهف الذين أنامهم اللَّه (٣٠٩) سنوات ثم بعثهم فسأل بعضهم بعضاً قالوا كم لبثتم قالوا: يوماً أو بعض يوم.

. . . وكذلك المثل الذي ضربه اللَّه سبحانه لنا في سورة البقرة عن العزير الذي أماته اللَّه سبحانه مائة عام ثم بعثه قال: كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم. . . فأين ذهبت الأعوام حتى أصبحت نصف يوم وهذا في الدنيا أما في الآخرة فيختلف القانون كما قلت. . فإن اللَّه سبحانه قد

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١١٧٧٧)، وابن حبان في صحيحه برقم (٧٣٣٣).
(٢) رواه الحاكم والبيهقي صحيح الجامع (٦/ ٣٦٦).

يلقي على عباده المؤمنين سُهاداً (بما يشبه النوم) يستغرق هذا الزمن كله دون أن يدركوه أو يحسوا به والعلم عند اللَّه سبحانه. . أليس اللَّه بقادر على كل شيء؟. . أليس اللَّه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون؟. . . . أين آلاف المليارات من السنين التي انقضت من عمر الكون ولم نكن قد خلقنا، هل أدركناها أو أحسسنا بها، ذلك أننا كنا بعالم اللاإحساس، وكذلك وبقدرة اللَّه سبحانه نحول إلى عالم اللاوجود بما يشبه السهو أو النوم من اللَّه سبحانه، فيمضي هذا الزمان الطويل وكأنه لحظات. . وهنا تكمن عظمة اللَّه سبحانه وإلا ما معنى أنه الإلٰه القادر المقتدر العليم الخبير القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السماوات ولا في الأرض؟

واللَّه سبحانه يقول:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

. . . فما أخبر عنه الصادق المصدوق هو الحق. . . كل هذا ويجب أن نعلم أن اللَّه سبحانه لم يجعل عباده المؤمنين الموحدين الصابرين الذين عبدوه في الدنيا حق عبادته، وأطاعوا أمره واجتنبوا نواهيه في ظل العرش يوم القيامة إلا من أجل أن لا يحسوا ويشعروا ويدركوا ويشاهدوا أهوال هذا اليوم وهذا الموقف العظيم. . فلقد مضى زمن امتحانهم ونجحوا. . فلا عذاب لهم بعد الموت وليس لهم إلا رضى اللَّه وجناته وما ينتظرهم من النعيم فيها، لذلك يُقَصَّرُ عليهم هذا اليوم والحمد للَّه على مَنِّه وكرمه ورحمته بالمؤمنين.

يقول تعالى:

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٦٠]

ثانياً

أحوال العصاة وأهل الكبائر في الموقف

هؤلاء ليس لهم ظل يتظللون ويتفيؤون به يوم القيامة، فكيف يظلهم اللَّه سبحانه وهم عصاة وجاؤوا ربهم بالكبائر؟ وإلا ما معنى ما قدَّمنا من صفات المؤمنين الذين يظلهم اللَّه سبحانه في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهنا تظهر كرامة المؤمنين الذين يظلهم، الصادقين الذين أحسنوا فأحسن اللَّه إليهم.. أما هؤلاء العصاة وأهل الكبائر والذين ماتوا على غير توبة ماتوا مصرين على معاصيهم وفواحشهم.. هؤلاء يقفون في الموقف مع أهل الموقف من الكفار والمشركين ولكن ليسوا مثلهم فلكل مقامه ومكانه من أرض المحشر فهم يبقون من أهل التوحيد الذين لم ينكروا شهادة أن لا إله إلا اللَّه ولكن لم يعملوا بمقتضاها من الأعمال الصالحة.

ولقد قلنا فيما سبق: إن كل إنسان يأتي أرض المحشر، معه ملكان ملك يسوقه إلى أرض المحشر وإلى المكان المخصص له وملك يشهد عليه.

قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢١]

. . . فإذا استقر الناس على أرض المحشر تدنو منهم شمس عظيمة فتكون على رؤوسهم قدر ميل، فيعرقون ويتألمون ويتعذبون عذاباً عظيماً.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

«**تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم قدر ميل،** يقول ابن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض أم الذي يُكتحل به؟ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار بيده إلى فيه**»[١].

إذاً هناك درجات ومواقع وأمكنة تخص كل أنواع الأعمال في أرض الموقف، وهنا تظهر لنا قدرة اللَّه سبحانه، إذ يجمع هذه المليارات، ويعلم اللَّه موقع كل إنسان من أرض المحشر لذلك يوصله إليه الملك الموكل به وعندما تدنو الشمس تصيب كل واحد حسب موقعه فأرض المحشر لا يعلم مداها إلا اللَّه سبحانه، واللَّه أعلم بزوايا ميل الشمس كما في الأرض هناك أماكن تزيد فيها الحرارة إلى ما فوق ٦٠ درجة مئوية وأماكن إلى ما تحت ٦٠ درجة مئوية ونحن نعيش على أرض واحدة، فيوضع عصاة المؤمنين وأهل الكبائر منهم حسب ارتكابهم لهذه الذنوب والفواحش لذلك قال رسول اللَّه ﷺ:

«**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**».

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٤).

فصاحب الكبيرة الواحدة غير صاحب الكبيرتين، وصاحب الكبيرتين غير صاحب العشرة كبائر، وصاحب العشرة كبائر غير الكافر والمشرك الذي يغطه العرق غطًّا حتى يصل إلى فيه.

ولكن يبقى السؤال هل العصاة من أهل التوحيد يعيشون العذاب إلى مدى خمسين ألف سنة، وإن كان العرق يغطهم إلى أكعابهم وركبهم؟ . . . والجواب أن اللَّه سبحانه أعلم بهم وأعلم بمعاصيهم وفواحشهم وتركهم لفرائض اللَّه سبحانه، فمن مات على غير صلاة وهو جاحد لها فهو كافر . . لقول رسول اللَّه ﷺ:

« بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » .

[رواه مسلم وأحمد والترمذي]

. . . ما نعرفه أن اللَّه سبحانه أعلم بهم وبأدق مما نتخيل أو نتصور وربما يكون لكل واحد منهم أو مجموعة من اللَّه سبحانه أمر وشأن.

يقول تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

ولكن رسول اللَّه ﷺ ضرب لنا أمثلة عن حال بعض فئات أهل الكبائر والعصاة الذين ارتكبوا الآثام والفواحش، وإن كانوا مسلمين وكيف يكون حالهم.

١ ـ المتكبرون:

المتكبرون يحشرون يوم القيامة كالذر تطؤهم الخلائق بالأقدام لهوانهم وحقارتهم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**المتكبرون يوم القيامة كالذر تطؤهم الخلائق بالأقدام**»[(١)].

وأولئك هم الذين يستكبرون على اللَّه سبحانه وعلى عباده ويتطاولون عليهم استكباراً وغروراً وظلماً وهم يتجاهلون أنهم وإياهم سواء عند اللَّه سبحانه.

٢ ـ آكلو الربا:

هؤلاء يحشرون كالمجانين بسبب أكلهم الربا.

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

وهذه حالتهم في المحشر، وقد توعدهم اللَّه سبحانه بأشد العذاب يوم القيامة، فقد وجّه اللَّه سبحانه إليهم حرباً منه ومن رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩]

. . . فما مصير من قال اللَّه سبحانه فيه هذا القول؟

٣ ـ الذين يسألون الناس من غير حاجة:

هؤلاء يحشرون يوم القيامة وليس في وجوههم مزعة من لحم، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

«لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة من لحم»(١).

٤ ـ مانعو الزكاة الذين لا يؤدون حق اللَّه في أموالهم وحق الناس عليهم:

يقول تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

لقد توعَّد اللَّه بالعذاب الشديد مانعي الزكاة، وبحشرهم يوم القيامة يحملون على رقابهم ما منعوا زكاته من أموال وأنعام ويلقون عذاب الهون.. وهكذا فإن اللَّه سبحانه اختص بعض الذنوب وتركَ بعض الفرائض مثل الزكاة بعذاب عظيم.. علينا أخذ الحيطة والحذر... ذلك أن الزكاة فيها حق للآخرين، وإقامة لمجتمع مسلم متكامل فإذا منعت ضعف المجتمع وتألم كثير من الناس حرماناً وجوعاً وبذلك خانوا ما استخلفهم اللَّه سبحانه فيه من الأموال وجعله أمانة بين أيديهم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليه في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجبينه وظهره حتى يحكم اللَّه عزّ وجلّ بين

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ مسلم كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس رقم الحديث (١٠٤).

عباده، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»(١).

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«من كانت له إبل، لا يعطي حقها في مجدبها، ورسلها، يعني في عسرها ويسرها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذى ما كانت وأسمنه، وأكثره، وأنشره، حتى يبطح لها، بقاع قرقر، فتطؤه بأخفافها، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، ويرى سبيله، وإذا كانت له بقر، لا يعطي حقها في مجدبها ورسلها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذى ما كانت، وأسمنه وأكثره وأنشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر كل ذات ظلف بظلفها، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، ليس فيها عقصاء، ولا عضباء، إذا جاوزت أخراها أعيدت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، فيرى سبيله، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في مجدبها ورسلها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذى ما كانت، وأسمنه، وأنشره، حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله»(٢).

ولقد روى البخاري ومسلم نحوه وسنقدمه في فقرة أخرى إن شاء اللّه.

٥ ـ الذين يحملون أوزار ظلمهم وغلولهم:

يقول تعالى:

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣١]

---

(١) رواه مسلم برقم ٩٨٧ وأحمد برقم (٢/ ٢٦٢).

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (١٦٦٠) في الزكاة باب حقوق المال.

ويقول تعالى:

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٦١]

عن أبي حُميد الساعدي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **واللّه لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي اللّه تعالى يحمله يوم القيامة إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تعير** » . ثم رفع يديه حتى رُئِيَ بياض إبطيه فقال: « **اللهم هل بلغت** »(١) .

٦ ـ الذين لا يعدلون بين زوجاتهم:

لقد نبّه اللّه سبحانه في كتابه الكريم إلى وجوب العدل بين الزوجات إذا اختار الإنسان لنفسه أن يتزوّج ثانياً وثالثاً ورابعاً، ومن يأت يوم القيامة ولم يعدل بين زوجاته وكان ظالماً في تعامله مع بعضهن جاء يوم القيامة على صورة رجل مشلول.

روى أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل** »(٢) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ مسلم كتاب الإمارة باب تحريم المال رقم (٢٦/ ٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١١٤١) وأبو داود برقم ٢١٣١.

ثالثاً

أحوال الكفار والمشركين والمنافقين في الموقف

أول حال هؤلاء الثلاثة أنهم ومنذ أول الحشر يحشرون إلى أرض الموقف عمياً وبكماً وصماً. . يمشون على وجوههم بقدرة اللَّه سبحانه.

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾.

[سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦]

وقال تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٢]

وقال سبحانه:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

وقال أيضاً:

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١٠٢]

فالآيات الكريمة تشير إلى أن الكافرين والمجرمين والمشركين والمنافقين يحشرون سود الوجوه على هيئة منكرة عمي العيون خرس الألسنة لا يسمعون يمشون مقلوبين على وجوههم.

ولما سئل الرسول ﷺ عن حشر الكافرين في أرض المحشر على وجوههم كيف يمشون غليها؟ أجاب ﷺ إن الذي أمشاهم على أقدامهم لقادر على أن يمشيهم على وجوههم.

ومن الآيات الكريمة نتبيّن أن كل أنواع الذل والمهانة والعذاب والآلام واقعة في الكافرين والمنافقين.. وهؤلاء هم الذين يغطهم العرق فيلجمهم حتى يبلغ آذانهم وأفواههم، والشمس من فوقهم قدر ميل واحد، تغلي أدمغتهم وأجسادهم فيسيح من أجسادهم عرق يتصبب صباً لا يتوقف عنهم العذاب ولا يُفتَّر بل هم فيه مبلسون.

... فتصور أن نفساً وجسداً ـ بلا بصر ولا سمع ولا لسان، وهو مقلوب على وجهه يمشي عليه لا يدري أين هو ولا يدري ما يحدث، لا يستطيع السؤال ليستطلع الخبر ولا يستطيع أن يسمع إذا تكلم أحدهم، وكذلك لا يعلم لماذا هو مقلوب على رأسه يقفز عليه ويمشي.. فلم يقض اللّه عليه بالموت (فلا موت) وذلك حتى يبقيهُ الإحساس بالآلام يقظاً ومنتبهاً، ليذوق الكافر والمجرم أشد أنواع الذل والألم والحسرة، نعم لقد ذهب زمن امتحانهم، والآن جاؤوا بشهادة الرسوب وعدم النجاح.

هؤلاء الذين يعيشون حقيقة الموقف وطوله الممتد إلى خمسين

ألف سنة بكل صوره وأشكاله وهوانه وعذابه، لا يرجون خلاصاً ولا أمل لهم في نجاة، ولا يؤذن لهم فيتكلمون، فأي عذاب هذا؟ وأي ذل هذا؟ ومن يستطيع أن يتحمل طول هذا اليوم الفظيع وعذابه المرير؟ وكيف هي نفوسهم وأعماقهم وحالهم في هذا الموقف؟ كم يتقطعون ندماً وحسرة؟

كم يمقتون أنفسهم؟ ويلومونها على ما فعلوه؟ كم هم أعداء بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً؟ وكم يلعنون شياطينهم؟ وعندما يؤذن لهم بالكلام في بعض المواقف، يقولون أول ما يقولون كما أخبر عنهم تعالى:

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

وإن كل ما ذكرته عن عذاب العصاة وأهل الكبائر وهم في أرض المحشر ينال الكفار مثله بل وأشد بكثير لأنهم يحملون أثقالاً مع أثقالهم... يحملون أثقال الكفر وأثقال الذنوب مثل الجبال.. لأن الكفر يورث الأعمال المَشينة المغضبة للَّه سبحانه من شرب الخمر ـ والزنى ـ والربا ـ واللواط، لأن الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر لا يردعهم شيء أبداً عن فعل المنكرات كلها فمن أي شيء يخافون؟.. فلا القانون الأرضي يمنعهم، حيث لا يعاقب القانون الوضعي في مكان معيشتهم على فعل المنكرات، وكذلك لا يمنعهم الخوف من اللَّه سبحانه من اجتراح الآثام والمقحمات.

... كذلك حرموا في الدنيا من نعمة العبادة والذكر

والتسبيح للّه سبحانه فكانت الحيوانات والجمادات التي تسبح للّه سبحانه أفضل منهم.

قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

فقد كانوا عمياً وبكماً وصماً عن آيات اللّه في الدنيا فيحشرهم اللّه يوم القيامة جزاء وفاقاً لهم عمياً وبكماً وصماً.

. . . في الدنيا ننظر إلى هؤلاء، فنجدهم أقوياء معافين متمتعين بأكثرَ مما يتمتع به المؤمنون. . فنعجب من عطاء اللّه سبحانه لهم، وهم قائمون على كفرهم ومعاصيهم وفحشهم، بل يزدادون فيها كل يوم ولأنهم لا ينالهم عقاب في الدنيا يتمادون بهذا الغي والكفر ظناً منهم أنهم على الحق، وأن غيرهم من المؤمنين على باطل، فيُزيِّن لهم عملهم ويسخرون من المؤمنين، ويغرّهم ما مدَّهم به اللّه من مال وبنين وحالة من الرخاء والتمتع الزائل، يقول تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢١٢]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآيات: ٢٩ ـ ٣٢]

ويقول تعالى منبهاً إلى أن ما فيه الكفار من نعيم إنما هو إملاء

وإمهال من اللَّه لهم ليزدادوا فيه إثماً، وحتى لا يكون لهم حظ في الآخرة من النعيم ورضا اللَّه وجناته.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٧٨]

وكذلك قال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٧]

لذلك يكون حسابهم عسيراً يوم القيامة، فقد نالوا نعيمهم وجنتهم في الدنيا، وتمتعوا بكل ما حرَّمه اللَّه من خمر ولحم خنزير وزنى وميسر وربا وكل فاحشة مبينة.

وهذه الحال التي هم عليها لا ينفكون عنها حتى يأذن اللَّه سبحانه بفصل الحساب والعرض عليه، أي بعد قيام رسول اللَّه ﷺ قيامه المحمود بالشفاعة واللَّه سبحانه لا يلتفت إليهم ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم..

فإذا أذن اللَّه سبحانه لرسول اللَّه ﷺ بالشفاعة العظمى بدأ فصل الحساب.. ولكن يبقى السؤال هل موقف الحساب والعرض على اللَّه سبحانه أهون من الموقف في أرض المحشر على الكافرين أم هو أذل وأدهى وأَمَرُّ؟ هذا ما سنعرفه عندما نتعرض لهذا الأمر في الجزء السابع من الموسوعة.

الفصل الثالث

- حوض رسول اللَّه ﷺ وأحواض الأنبياء.
- الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في صفات الحوض.
- لكل نبي حوض.
- من شرب من حوض رسول اللَّه ﷺ في الموقف لم يظمأ بعدها أبداً.
- صد رسول اللَّه ﷺ بعض الناس عن حوضه في أرض المحشر.
- الذين يمنعون عن حوض رسول اللَّه ﷺ.
- موقع الحوض الشريف.

حوض رسول الله ﷺ وأحـواض الأنـبـيـاء

مدخل:

إن أمر الحوض يوم القيامة أمر عظيم، إذ تكون الخلائق بأمس الحاجة إلى الماء لما يصيبهم من عطش شديد يقطّع حناجرهم ويشقق شفاههم ويحرق أفواههم وأجوافهم.

... كلنا في الدنيا أصابه العطش يوماً ما.. بل قل أذاقه اللّه العطش وأذاقه الإحساس به، فشعر بجفاف حلقه وحريق فمه وتشقق شفتيه.. وإن لم يحصل هذا فقد حصل في شهر رمضان المبارك وخاصة إذا كان الصيام في أيام الصيف الحار.

... فإن أهم ما يعانيه الناس في أرض المحشر وعلى طول يوم القيامة انعدام الماء، والعطش، وحريق أجوافهم، وجفاف أفواههم.

ولكن من رحمة اللّه سبحانه بالمؤمنين، فهو أعلم بحاجتهم إلى الماء في هذا اليوم العظيم أن جعل لكل نبي حوضاً يَسقي منه المؤمنين الصادقين الذين اتبعوه في الحياة الدنيا وكانوا مع نبيهم مؤمنين.

وأعظم الأحواض سعةً حوضُ رسول اللّه ﷺ، بل هو أكثرهم واردة لكثرة المؤمنين المسلمين الموحدين الذين آمنوا باللّه رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وأقروا بالشهادتين وعملوا صالحاً قياساً على المؤمنين من الأقوام الأخرى.

.. من رحمة اللَّه بالمؤمنين أن يسقيهم من الأحواض التي جهزها لأنبيائهم.

... وعقاباً للكافرين على كفرهم أن يحرمهم اللَّه سبحانه من هذا الماء ومن الورود إلى تلك الأحواض.. وكذلك يفعل اللَّه سبحانه بالعصاة وأهل الكبائر على ما ارتكبوه في حق اللَّه سبحانه من ظلم وعدم طاعة وعبادة وإصرار على الموبقات.

ولقد أعطى اللَّه سبحانه من عظيم رحمته لرسول اللَّه ﷺ نهر الكوثر، قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

[سورة الكوثر، الآيات: ١ ـ ٣]

قال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول اللَّه ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مُتبَسِّماً، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت يا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أنزلت علي آنفاً سورة**» فقرأ: بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

ثم قال: «**هل تدرون ما الكوثر**»؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**نهر أعطانيه ربي عزّ وجلّ في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته كعدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» هذا ثلاثي الإسناد[١].

(١) رواه الشيخان والإمام أحمد (٣/ ١٠٢).

ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، من حديث ابن فضيل، ورواه أحمد أيضاً عن عبد الصمد، عن هشام، عن قتادة، وعن عبد الوهاب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، وعن عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، فسئل رسول اللَّه ﷺ عن عرضه، فقال: «**من مقامي إلى عمان**»، وقال عبد الرزاق: «**ما بين بصرى وصنعاء، وإما ما بين أيلة ومكة**»، أو قال: «**من مقامي هذا إلى عمان**»، وسئل عن شرابه، فقال: «**أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، ينبعث فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من وَرِق**»[١].

قال أبو داود الطيالسي: حدّثنا أبو عوانة، حدّثنا عطاء بن السائب، قال: قال لي محارب بن دثار: ما كان سعيد بن جبير يقول في الكوثر؟ قلت: كان سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس، قال: هو الخير الكثير، فقال محارب: أنى يقع رأي ابن عباس؟ قال محارب: حدّثنا عبد اللَّه بن عمر، قال: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قال رسول اللَّه ﷺ: «**هو نَهَر في الجنة حافتاه من ذهب، يجري على الدر، والياقوت، تربته أطيب ريحاً من المسك، وطعمه أحلى من العسل، وماؤه أشد بياضاً من الثلج**»[٢]. رواه البيهقي من حديث ابن زيد عن عطاء بن السائب، وقال الترمذي: حسن صحيح.

الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في صفات الحوض:

قال أحمد: حدّثنا حسين بن محمد، حدّثنا ابن عياش، عن محمد بن المهاجر، عن العباس بن سالم اللخمي، قال: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحَبَشي، فحمل إليه على البريد،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٨١) ـ الورق: الفضة.

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٣٦١) والبيهقي في البعث والنشور (١٢٩).

ليسأله عن الحوض، فقدم إليه، فسأله فقال: سمعت ثوبان يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن حوضي من عدن إلى عَمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكاويبه عدد النجوم، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين**»، فقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: من هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**هم الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السُّدد**»، قال عمر: لكني نكحت المتنعمات ونكحت فاطمة بنت عبد الملك، واللَّه لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ(١).

عن جابر بن سمرة، عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**إني فرطكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيله كأن الأباريق فيه نجوم**»(٢).

حدّثنا أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه يقول: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**أنا على الحوض أنظر من يرد عليَّ، قال: فيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب: مني، ومن أمتي، فيقال: وما يدريك ما عملوا بعدك؟ ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم**».

قال جابر: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الحوض مسيرة شهر، وزواياه سواء يعني عرضه مثل طوله ـ وكيزانه مثل نجوم السماء، وهو أطيب ريحاً من**

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٠): رواه الطبراني، وفي رواية عنده: (وأكثر الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين) (وأكثر من يرده)، ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح، ورواه الترمذي (٢٤٤٤) في صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض، وابن ماجه (٤٣٠٣) في الزهد، باب: ذكر الحوض.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ٢٣٠٥.

المسك، وأشد بياضاً من اللبن، من شرب منه لم يظمأ أبداً»[١] . . .

لكل نبي حوض:

عن سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن لكل نبي حوضاً، يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة**»[٢].

يُبعد أقوام من أمة محمد عن حوض رسول اللَّه ﷺ:

عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إني فرطكم على الحوض، من يمر عليَّ يشرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**».

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «**فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي**»[٣].

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«**إني آخذ بحجزكم أقول: إياكم وجهنم، إياكم والحدود، إياكم وجهنم، إياكم والحدود، ثلاث مرات، إذا أنا متُّ تركتكم، وأنا فرطكم على الحوض، فمن ورد أفلح، ويؤتى بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أحسبه قال: فيقال: ما زالوا بعدك يرتدون على أعقابهم**»[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٤).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٤٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٣) في الرقاق، باب: في الحوض.

(٤) رواه البزار في كشف الأستار (٣٤٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٤): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه، (بحجزكم): جمع حجزة، وهي معقد الإزار.

طول وعرض حوض رسول اللَّه ﷺ

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«حوضي مسيرة شهر، وزواياه كذا سواء، وأكوابه عدد نجوم السماء، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، من شرب منه شَربة لم يظمأ بعدها أبداً»(١).

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن لي حوضاً في الجنة، مسيرته شهر، وزواياه سواء، ريحه أطيب من المسك، ماؤه كالورِق، أقداحه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً»(٢).

عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(٣).

عن قتيبة، عن الليث، من حديث يحيى بن أيوب، عن

---

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٦٦.

(٢) رواه البخاري رقم الحديث ٦٥٧٩ ومسلم برقم الحديث ٢٢٩٢.

(٣) رواه البخاري رقم الحديث ٢٥٧٦.

يزيد بن أبي حبيب رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيله إلى الجحفة، وإني لست أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا، كما هلك من كان قبلكم**»، قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول اللَّه ﷺ على المنبر[1].

(١) رواه مسلم (٢٢٩٦) في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته. أيله: مدينة في طرف الشام على ساحل البحر.

من شرب من حوض رسول اللَّه ﷺ في الموقف لم يظمأ بعدها أبداً

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة»[١].

عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، ما آنية الحوض؟ قال: **«والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»**[٢].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال:

«بينا أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار واللَّه، قلت: وما شأنهم؟ قال: ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٠١) ابن أبي عاصم ٧٢٣.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٣٠٠ في الفضائل باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

النار واللَّه، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم »[١].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي »[٢].

(١) رواه البخاري رقم الحديث (٦٥٨٧) في الرقاق باب: في الحوض.
(٢) رواه البخاري رقم الحديث ٦٥٨٨.

صدُّ رسول اللَّه ﷺ بعض الناس عن حوضه في أرض المحشر

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن، هو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من النجوم، وإني لأصد الرجل من بين الناس عن حوضي»، قالوا: يا رسول اللَّه، أتعرفنا يومئذ؟ قال: **«نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون علي غرًّا محجلين من أثر الوضوء»**(١).

قال البخاري: وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي، حدّثنا أبي عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب رضي اللَّه عنه عن أبي هريرة: أنه كان يحدث أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»(٢).

عن أبي عبيدة رضي اللَّه عنه قال: **«سألتُ عائشة أم المؤمنين عن الكوثر، فقالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ في الجنة، حافتاه در مجوف، عليه من الآنية عدد النجوم»**(٣).

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث (٢٤٧).

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٨٥.

(٣) رواه البخاري (٤٦٩٥) في التفسير، باب: سورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾، ورواه البيهقي في البعث والنشور (١٢٤).

عن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن أبي مليكة؛ أنه سمع عائشة رضي اللَّه عنها تقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه:

«إني على الحوض أنتظر من يرد عليَّ منكم، فواللَّه لينقطعن دوني رجال، فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم»(١).

وما ذكرت جزء من أحاديث رسول اللَّه ﷺ التي ذكر فيها الحوض وفي هذا دليل على أنه ﷺ كان كثيراً ما يحدث أصحابه رضي اللَّه عنهم عن الحوض وأوصافه، ولذلك جاءت أحاديث الحوض عن جم غفير من الصحابة في قياسات متعددة ومن ثم ذكره علماء التوحيد في جملة العقائد الإيمانية.

وهكذا نجد أن أحاديث الحوض بلغت التواتر فهي بلا شك يسند بعضها بعضاً وهي صحيحة فيجب الإيمان بالحوض إيماناً مطلقاً لا شك فيه أبداً.

وأما عن اختلاف المسافات وتعدد الروايات نقول:

واختلاف هذه المسافات التي ضربها رسول اللَّه ﷺ أمثلة لعرض حوضه الشريف، هذا الاختلاف جاء لإعلام المخاطبين بسعة الحوض فإن منهم من يعرف ما بين أيلة وصنعاء ومنهم من يعرف مسافات أخرى غير تلك، فضرب رسول اللَّه ﷺ أمثلة لسعة الحوض كما جاء في بقية روايات أحاديث الحوض، والقليل من هذه المسافات داخل تحت الكثير، والكثير باق على ظاهره كما قال الإمام النووي: وليس في القليل من هذه منع الكثير والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة واللَّه أعلم.

قال القاضي عياض رحمه اللَّه تعالى: وهذا الاختلاف في قدر

---

(١) رواه مسلم (٢٢٩٤) في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب أي في أحاديث الحوض فإنه ـ أي الاختلاف ـ لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواية عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضرب لها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة فبهذا تجمع الروايات.

الذين يمنعون عن حوض رسول اللّه ﷺ:

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن هؤلاء الذين يُمْنَعُونَ عن حوض النبي ﷺ هم المنافقون الذين أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، وكذلك المرتدون الذين أسلموا أولاً ثم كفروا وماتوا وهم كفار.

قال العلماء: فيجوز أن يحشر هؤلاء بالغرة والتحجيل باعتبار أن المنافقين كانوا مسلمين بالظاهر، ومصلين بالظاهر، وكذا المرتدون، فإنهم كانوا مسلمين في أول أمرهم ومصلين، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم (إن هؤلاء بدلوا بعدك)، أما المنافقون فإنهم لم يموتوا على ما ظهر من إسلام، وأما المرتدون فإنهم بدلوا حيث كفروا بعد إيمانهم. وهذا الحديث لا يتنافى مع الحديث الدال على عرض أعمال الأمة على النبي ﷺ، كما في قوله ﷺ: «**تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت اللّه، وما رأيت غير ذلك استغفرت لكم**». الطبقات لابن سعد.

فالذي يعرض عليه ﷺ هو أعمال أمته المؤمنين به حقاً ليستغفر ويدعو اللّه لهم، وأما الكفار من أمته ـ ومنهم المنافقون والمرتدون ـ فإن أعمالهم لا تعرض هذا العرض على النبي ﷺ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يستغفر لهم، ويدعو لهم، فلا فائدة في عرض أعمالهم على النبي ﷺ.

قال أهل المعرفة: والحكمة في ذوده ﷺ بقية الأمم عن حوضه هو

إرشاد كل واحد من سائر الأمم إلى حوض نبيه، فيكون هذا من إنصافه، ﷺ، ورعايته إخوانه النبيين، وتكريمه لهم، لا أن يطردهم عن حوضه فإنه ﷺ أجود بني آدم وأكرم خلق اللّه تعالى أجمعين ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن سمرة بن جندب رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**».

وقال الإمام الغزالي: «**أي وهو أكثرية أتباعه الواردين على حوضه الشريف**»[١].

الحوض رحمة من اللّه سبحانه لرسوله محمد ﷺ وبأمته وهو من جملة الفضائل والخصال التي أكرم بها رسول اللّه ﷺ أمته.

ـ حدّثنا ابن هُبيرة أنه سمع أبا تميم الجيشاني، يقول: أخبرني سعيد، أنه سمع حذيفة يقول: غاب عنا رسول اللّه ﷺ يوماً، فلم يخرج، حتى ظننا أنه لن يخرج، فلما خرج سجد سجدة، فظننا أن نفسه قد قبضت فيها، فلما رفع رأسه قال: «**إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي، ماذا أفعل بهم؟ فقلت له كذلك، فقال: لن أخزيك في أمتك يا محمد، وبشرني أن أول من يدخل من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً، ليس عليهم حساب، ثم أرسل إلي، فقال: ادع تجب وسل تعط، فقلت لرسوله: أو معطي سؤالي؟ فقال: ما أرسلني إليك إلا ليعطيك، ولقد أعطاني ربي عزّ وجلّ ولا فخر، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطاني ألا تجوع أمتي، ولا تغلب، وأعطاني الكوثر، وهو نهر في الجنة، يسيل في حوضي، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي شهراً، وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة، وطيبت لي ولأمتي الغنيمة، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج**».

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٩٣).

موقع الحوض الشريف:

إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده؟ فالجواب أن ظاهر ما تقدَّم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يذاد عنه أقوام، يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم، ومذ فارقهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين فبعيد حجبهم عن الحوض، لا سيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال رسول اللَّه ﷺ:

«**أعرفكم غُرًّا محجلين من آثار الوضوء**» ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجياً مسلَّماً، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، فالأصح ـ واللَّه أعلم ـ أن الحوض قبل الصراط.

قال العلامة الزَبِيدي في شرح الإحياء: فصل في محل الحوض **وقال القرطبي في التذكرة**: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح أن النبي ﷺ له حوضان أحدهما: في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثراً.

قال الزبيدي وتعقبه الحافظ في الفتح: بأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثراً لكونه يمد منه.

خلاصة ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف وهم عطاش، فيرد المؤمنون الحوض ويتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال لهم: ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. . . وأرى أن أصح الأقوال أن الحوض قبل الصراط واللَّه أعلم.

الفصل الرابع

الشفاعة العظمى والمقام المحمود

- أحاديث الشفاعة أهمها وأوثقها .
- الحديث الأول
- الحديث الثاني
- الحديث الثالث
- الحديث الرابع
- تنبيه وتعليق مهمان حول أحاديث الشفاعة .
- لماذا رسول اللّه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى دون غيره من الأنبياء؟؟
- تصوير المحاسبي ليوم القيامة وأهواله .

الشفاعة العظمى والمقام المحمود

من أعظم الأمور أهمية يوم القيامة (الشفاعة) من حيث شدة حاجة الناس إليها فتكون عندهم الرجاء والأمل في الخلاص من كثير من مراحل يوم القيامة والتي فيها شديد عذاب اللّٰه سبحانه. . .

وأعظم هذه المواقف وأشدها على الناس عذاباً وألماً وطولاً وإرهاقاً الوقوف في أرض المحشر، حيث يغط الناس بعرقهم النتن إلى شحوم آذانهم ووسط أفواههم وهم يصرخون من العذاب والآلام لعل أحداً يسمعهم فينقذهم مما هم فيه من الكرب والهموم.

. . . وكل هذا يحدث واللّٰه سبحانه لا ينظر إلى أحد من المغضوب عليهم ولا يأذن بشفاعة، فإنه اليوم الذي غضب فيه غضباً شديداً على أولئك الكفرة الفجرة، فيبطش بهم بطشة كبرى وينتقم منهم انتقاماً عظيماً، وكان أوله هذا الموقف الذليل المهين الذي تتقطع فيه النفوس من الألم، وتكاد تميز من الحسرة والندم.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٦]

وهذا هو اليوم الذي يكون من بدايته إلى نهايته يوماً عسيراً وشاقاً على كل من أتى اللّٰه سبحانه منافقاً وكافراً ومشركاً وعاصياً مصراً على معصيته.

... كم يحتاج الناس في هذا اليوم للشفاعة؟ وكم يعظم أمرها؟ ولكن من يجرؤ على طلبها والرسل تقول في هذا الموقف: إن اللَّه قد غضب اليوم غضباً شديداً لم يغضب مثله أبداً.. من يجرؤ على طلب الشفاعة واللَّه لا يعطيها إلا لمن أذن له... ولكن لمن يأذن اللَّه سبحانه وهو أول موطن للشفاعة؟

... ولقد ذكر اللَّه سبحانه الشفاعة في كتابه الكريم وبيّن أن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الرحمن.. ورضي له قولاً. وقال صواباً.. وحتى لو كان من أقرب المقربين إليه، إن لم يأذن اللَّه سبحانه له، فلا شفاعة له حتى لو كان ملكاً من ملائكة السماء أو نبياً من الأنبياء، أو صديقاً أو شهيداً أو عالماً، وهذا يدل على عظيم أمر الشفاعة عند اللَّه سبحانه، وأنها لن تكون إلا لمن رضي اللَّه عنه وأذن له ورضي له قولاً وشفاعة.

يقول تعالى:

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٢٦]

ويقول تعالى:

﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٨٧]

ويقول تعالى:

﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ۞ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾.

[سورة طه، الآيتان: ١٠٨، ١٠٩]

ويقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

. . . هذه بعض الآيات عن الشفاعة التي ذكرها اللّه سبحانه في كتابه الكريم التي تبيّن أن الشفاعة لا تكون لأحد إلا لمن يأذن له اللّه سبحانه. وهو أعلم بخلقه جميعاً وبمن يستحقها، فالميزان عند اللّه سبحانه في الشفاعة (التقوى).

. . . ويقول اللّه سبحانه على لسان الذين نسوا اللّه وكتابه ماذا يقولون يوم القيامة وفي هذا الموقف العصيب.

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ * هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيتان: ٥٢، ٥٣]

لقد خسر أولئك الأمل في الشفاعة، أو الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً كما جاءت به الرسل ولكن هيهات لا رجوع ولا شفاعة لهم. . . بل زيادة في ذلهم يوم القيامة فإن اللّه سبحانه يناديهم أن ينادوا شركاءهم وشفعاءهم. . أي الذين عبدوهم

واتخذوهم أولياء من دون اللَّه سبحانه فليشفعوا لهم عند اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٥٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٤]

. . . من الآيات الكريمة نتبيّن أن الناس في موقفهم يوم القيامة يستغيثون مما هم فيه وعندما لا يجدون مناصاً لهم من العذاب. . يبحثون بين الخلائق من هم من أصحاب المنازل العالية عند ربهم كأبينا آدم والأنبياء عليهم السلام ليشفعوا لهم بتخليصهم من هذا العذاب. . . قلنا: إن يوم القيامة على طوله المديد مواقف ـ فما يكون العبد فيه في موقف من صفات قد تتغير وتتبدل. . . فالكافرون والمشركون يحشرون إلى أرض المحشر كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

. . . ولكن هل هم على طول اليوم الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة عمياً وبكماً وصماً؟ لا. . . ولكن هناك تبدلات كثيرة تطرأ على أرض المحشر فهم يحشرون عمياً وبكماً وصماً وعلى وجوههم. . ولكن تتغير حالهم على طول الموقف، فيرون ويسمعون ويتكلمون

ليشاهدوا عذاب اللَّه سبحانه في هذا الموقف، وليسمعوا كلام الملائكة أو يجادل بعضهم بعضاً، أو يلعن بعضهم بعضاً، فتشتعل الحسرة والألم عندما لا يسمع لهم على طول هذا الموقف. . . وفي نهاية الأمر ربما يكونون في حالة رؤية وسماع وكلام، وينزاح عنهم العرق قليلاً فيلجؤون كجماعات يستغيثون بآدم والأنبياء، كل هؤلاء تكون لهم شفاعة عند ربهم لعلو مكانتهم وعظيم شرفهم كأنبياء اختصهم اللَّه سبحانه دون الخلق أجمعين. ورسول اللَّه ﷺ يبيّن لنا في أحاديثه الشريفة كيف يكون أمر الشفاعة وأمر هؤلاء الذين يستغيثون بآدم وبالأنبياء، ثم تكون الشفاعة له ﷺ بعد أن يأذن اللَّه سبحانه بها ولا يقبلها من أحد غيره، وقد تعددت أحاديث الشفاعة نورد أهمها وأوثقها:

أحاديث الشفاعة أهمها وأوثقها

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: أتي رسول اللّه ﷺ بلحم، فدفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال:

«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع اللّه الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الهمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون».

فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا تنظرون من يشفع لنا إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك اللّه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول الرسل إلى الأرض، وسمّاك اللّه عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي اللّه وخليله من أهل

الأرض، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول اللَّه، اصطفاك اللَّه برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول اللَّه، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لن يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول اللَّه وخاتم النبيين، غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عزّ وجلّ، ثم يفتح اللَّه عليَّ ويلهمني من محامده، وحُسْن الثناء عليه، ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، وكما بين مكة وبصرى»[١].

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢) في التفسير، باب: (ذرية من حملنا مع نوح)، ومسلم (١٩٤)=

الحديث الثاني:

عن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

« يُطوّل على الناس يومُ القيامة، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا عزَّ وجلّ فليقض بيننا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنتَ الذي خلقك اللَّه بيده، وأسكنك جنته، فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنّي لست هناكم، ولكن ائتُوا نُوحاً رأسَ النبيين.

فيأتونه، فيقولون: يا نوح، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنّي لَسْت هُناكُم، ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ اللَّه عزّ وجلّ.

قال: فيأتونه، فيقولون: يا إبراهيم، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنّي لست هناكم، ولكن ائتوا موسى الذي اصطفاه اللَّه عزّ وجلّ برسالاته، وبكلامه.

قال: فيأتونه، فيقولون: يا موسى اشفع لنا إلى ربك عزّ وجلّ فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، ولكن ائتوا عيسى رُوحَ اللَّه وكَلِمَته، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى اشفع لنا إلى ربّك فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ فإنه خَاتَمُ النبيين وإنه قد حضر اليوم، وهو قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، ويقول عيسى: أرأيتم لو كان متاع في وعَاء وقد خُتِمَ عليه، هل كان يُقدر على ذلك الوعاء حتى يُفَضّ الخاتَم؟ فيقولون: لا، قال: فإن محمَّداً ﷺ خاتم النبيين.

قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: فيأتونني، فيقولون: يا محمد، اشفع لنا

= في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، وأحمد رقم (٢/ ٤٢٥). نهس: أخذ بأطراف أسنانه. صعيد: هو الأرض الواسعة المستوية. ينفذهم البصر: يبلغهم ويجاوزهم. شركاء الناس: يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب. إن لما بين المصراعين: المصراعان: جانبا الباب. هجر: مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين.

إلى رَبّك، فلْيَقْض بيننا، قال: فأقول: نعم، فآتي باب الجنة، فآخذ بحَلقة الباب، فأستفتح، فيقال: من أنتَ؟ فأقول: محمد، فيفتح لي، فأخر ساجداً، فأحمد ربي عزّ وجلّ بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي، ولا يحمده بها أحد كان بعدي، فيقول: ارفع رأسك، وقُلْ يُسمَع منك، وسل تُعطَهْ، واشفع تُشفع، فأقول: أي رب أمتي، فيقال: أخرج مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمان فأخرجُهم، ثم أخِرُّ ساجداً فذكر مثل ذلك، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال بُرة من كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمان، قال: فأخرجهم»[١].

الحديث الثالث:

عن أبي نضرة المنذر بن مالك رضي اللَّه عنه قال: خطبنا ابن عباس رضي اللَّه عنهما على منبر البصرة، فقال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر.

قال: ويطول يوم القيامة على الناس، حتى يقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبينا فليشفع لنا إلى ربنا عزّ وجلّ فليقض بيننا، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: يا آدم، أنت الذي خلقك اللَّه بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، اشفع لنا إلى ربنا فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، وإني قد أخرجت من الجنة بخطيئتي، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا نوحاً رأس النبيين».

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٦) في التوحيد، باب: ما جاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿وكلم اللَّه موسى تكليماً﴾، ومسلم في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. رواه أحمد (٣/ ٢٤٧)، (لست هناكم) أي لست أهلاً لذلك.

فذكر الحديث، كنحو ما تقدم إلى أن قال: «**فيأتونني، فيقولون: يا محمد، اشفع لنا إلى ربك، فليقض بيننا، فأقول أنا لها، حتى يأذن اللّه لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد اللّه تبارك وتعالى أن يفصل بين خلقه، نادى مناد أين أحمد وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، آخر الأمم، وأول من يحاسب . . .**»[1].

وذكر تمام الحديث في الشفاعة، في عصاة هذه الأمة.

الحديث الرابع:

عن أنس رضي اللّه عنه قال: حدّثني نبي اللّه ﷺ قال:

«**إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد، يسألونك، أو قال يجتمعون إليك، يدعون اللّه عزّ وجلّ أن يفرّق جمع الأمم إلى حيث يشاء اللّه، لغمّ ما هم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو كالزكمة وأما الكافر فيتغشاه الموت، قال: قال لعيسى: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي اللّه ﷺ حتى قام تحت العرش. فلقي ما لم يلق ملك مصطفى، ولا نبي مرسل، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى جبريل: اذهب إلى محمد، وقل له: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع.**

قال: فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، فما زلت أتردد على ربي عزّ وجلّ، فلا أقوم مقاماً إلا شفعت، حتى أعطاني اللّه عزّ وجلّ من ذلك أن قال: يا محمد، أدخل من أمتك من خلق اللّه عزَّ وجلّ من شهد أنه: لا إله إلا اللّه يوماً واحداً مخلصاً، ومات على ذلك».

[رواه أحمد برقم ٣٢٦٣/ ٢٣]

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٣): رواه أبو يعلى وأحمد ورجاله رجال الصحيح.

المقام المحمود

المقام المحمود الذي يناله رسول اللَّه ﷺ يوم القيامة هو (الشفاعة العظمى) وقد بيَّنت الأحاديث الشريفة الأربعة السابقة مكانة رسول اللَّه ﷺ، وأن أحداً لم يرض اللَّه سبحانه به شفيعاً للأمم في أن يبدأ اللَّه سبحانه فصل الحساب إلا رسول اللَّه ﷺ وهذا هو المقصود من الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٩]

وكذلك بيّن رسول اللَّه ﷺ أن الشفاعة العظمى التي يؤذن بها لمحمد ﷺ هي المقام المحمود الذي وعده به ربه يوم القيامة: عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة»[1].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا داود المعافري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

قال: (الشفاعة)[2].

---

(١) رواه البخاري (٦١٤) في الأذان، باب: الدعاء عند النداء، ورواه مسلم وغيره. (النداء): الأذان. (الوسيلة): المنزلة العالية. (الفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق. (حلَّت) وجبت واستحقت أو نزلت عليه.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٤٤) وإسناده حسن.

وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث جابر وغيره، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلّت لي الغنائم، ولم تحلّ لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأعطيت الشفاعة ـ يعني بذلك الشفاعة التي تطلب من آدم ـ **وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس كافة»**[(١)].

فقوله: (**وأعطيت الشفاعة**) يعني بذلك الشفاعة التي تطلب من آدم، فيقول: لست بصاحب ذاكم، اذهبوا إلى نوح، فيقول نوح كذلك ويرشدهم إلى إبراهيم، فيرشدهم إلى موسى، ويرشدهم موسى إلى عيسى، فيرشدهم عيسى إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين، فيقول: **(أنا لها، أنا لها)**.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»[(٢)].

ولمسلم أيضاً، عن أُبيّ بن كعب رضي اللَّه عنه، في حديث قراءة القرآن على سبعة أحرف، قال رسول اللَّه ﷺ:

«فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ فيه الخلقُ كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الصلاة، باب: قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، ومسلم (٥٢١) في المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٨) في الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

(٣) رواه مسلم (٨٢٠) في صلاة المسافرين وقصرها.

عن الطُّفيل بن أُبيّ بن كعب رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ:

« إذا كـان يَوْمُ القيامة كنتُ إمام الأنبياء وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غَيْرَ فَخْر »[١].

عن كعب بن مالك رضي اللَّه عنه أنّ رسول اللَّه ﷺ قال:

« يُبْعَثُ الناسُ يَومَ القيامة فأكون أنا وأمّتي على تلّ ويعطيني ربي عزّ وجلّ حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء اللَّه أن أقول ثم يقال: خذ فإن لك المقام المحمود »[٢].

عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« أنا أول من يُؤْذَنُ له بالسجود يوم القيامة؛ وأنا أول من يُؤْذَنُ له أن يرفع رأسه، فأنظر بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم؛ ومن خلفي مثل ذلك؛ وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك »، فقال رجل: يا رسول اللَّه؛ كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: **« هم غر محجلون من أثر الوضوء؛ ليس أحد كذلك غيرهم؛ وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذراريهم »**[٣].

هذه هي الشفاعة العظمى والمقام المحمود لرسول اللَّه ﷺ، وهذه الشفاعة هي الأولى، ولرسول اللَّه ﷺ شفاعات كثيرة في أمته في العصاة وأهل الكبائر ومن كان في قلبه ذرة من الإيمان، بعد أن ينال هؤلاء حسابهم وجزاءَهم وعقابهم من اللَّه سبحانه ويأتي الحديث

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٣٧)، والترمذي (٣٦١٣) في المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، وابن ماجه (٤٣١٤) في الزهد، باب: ذكر الشفاعة.

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٥٦).

(٣) رواه الإمام أحمد برقم (٥/ ١٩٩) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق..

عن هذا عندما نتكلم في الجزء الثامن من الموسوعة عن (أنواع الشفاعات).

تنبيه وتعليق مهمان حول أحاديث الشفاعة:

لقد أورد إسماعيل بن كثير الشافعي في كتابه أهوال يوم القيامة تعليقاً حول موضوع أحاديث الشفاعة.. ذلك أن الناس عندما يأتون إلى آدم ليشفع لهم بالإذن ببدء فصل الحساب والعرض على اللّه سبحانه وتخليصهم من الموقف العظيم يدلهم على نوح عليه السلام وهذا بدوره يدلهم على غيره من الأنبياء حتى يصلوا إلى صاحب المقام المحمود رسول اللّه ﷺ. فيقول: أنا لها، أنا لها، فإذا جاء ربه أذن له في الشفاعة. الأحاديث بطولها تعود إليها، فإذا قال له ربه: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع، فيقول عندئذٍ رسول اللّه ﷺ يا رب أمتي وعَجل بالفصل بين الخلائق.

فالتعليق أنه جاء ليشفع للأمم كلها بفصل الحساب فكيف يسأل ربه عن أمته فقط وأين شفاعته بباقي الأمم؟ لهذا الإشكال نسمع رأي علمائنا الأفاضل ثم نعلِّق على هذا الموضوع.

يقول الإمام إسماعيل بن كثير الشافعي:

قد ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق، والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث في أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في أن يأتي الرب لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور، كما تقدم، وهو المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فَمن بعده من الأنبياء، في أن يفصل بين الناس، ويستريحوا من مقامهم ذلك كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه،

فإذا وصلوا إلى الشفاعة إنما يتذكرون الشفاعة في عصاة الأمة، وإخراجهم من النار.

وكان مقصود السلف من الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة؛ الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها؛ يذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث؛ وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور كما تقدم أن الناس يذهبون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، ثم يأتون رسول اللَّه ﷺ فيذهب فيسجد للَّه تحت العرش، في مكان يقال له الفحص، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: ما شأنك؟ وهو أعلم، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة فشفِّعني في خلقك، فاقض بينهم، فيقول: شفَّعتك، أنا آتيك فأقضي بينكم، فأرجع، فأقف مع الناس، ثم ذكر انشقاق السموات وتنزل الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرب تعالى لفصل القضاء، والكروبيون والملائكة المقربون يسبحونه بأنواع التسبيح؛ قال: فيضع كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يقول: إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع أقوالكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا إليَّ، فإنما هي أعمالكم وصُحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

[رواه الحاكم في المستدرك، وروى نحوه الطبراني في المعجم الكبير]

يقول تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٠]

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين؛ زين العابدين، قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة مدَّ اللَّه الأرض مدَّ الأديم، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه»، قال رسول اللَّه ﷺ: **«فأكون أول من يدعى، وجبريل عن يمين الرحمن عزّ وجلّ، واللَّه ما رآه قبلها، فأقول: أي رب، إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليَّ؛ فيقول اللَّه: صدق، ثم أشفع، فأقول: يا رب، عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال: فهو المقام المحمود»**[١]، هذا مرسل من هذا الوجه وعندي أن معنى قوله: عبادك عبدوك في أطراف الأرض، أي وقوف في أطراف الأرض أي الناس مجتمعون في صعيد واحد، مؤمنهم وكافرهم، فيشفع عبد اللَّه أي محمد ﷺ ليأتي لفصل القضاء بين عباده، ويميّز مؤمنهم من كافرهم في الموقف، ويفرّق المصير في الحال والمآل، ولهذا قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: هو المقام الذي يقومه رسول اللَّه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

وقال البخاري: حدّثنا إسماعيل بن أبان، حدّثنا أبو الأحوص، عن آدم بن علي، سمعت ابن عمر قال: **«إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان، اشفع، يا فلان، اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه اللَّه مقاماً محموداً»**[٢].

ورواه حمزة بن عبد اللَّه، عن أبيه، عن النبي ﷺ.

وقد أسند عن عبد اللَّه بن أبي جعفر: سمعت حمزة بن عبد

---

(١) ورواه الحاكم (٤/ ٥٧٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٨) في التفسير، باب: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾**.

اللَّه بن عمر، سمعت عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد** ﷺ » .

زاد عبد اللَّه بن يوسف: حدّثني الليث، عن ابن أبي جعفر:

« **فيشفع ليقضى بين الخلق؛ فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب؛ فيومئذٍ يبعثه اللَّه مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم**»[١] .

ابن جرير، عن وكذا رواه محمد بن عبد اللَّه بن الحكم، عن شعيب بن الليث عن أبيه، نحوه[٢] كتاب أهوال القيامة لابن كثير الشافعي.

وقال شارح الطحاوية بعد إيراده لبعض أحاديث الشفاعة التي سقناها: (والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، كما ورد في حديث الصور، فإنه المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار، وكأن مقصودهم السلف ـ في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث ـ هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث

(١) رواه البخاري (١٤٧٤) في الزكاة، باب: من سأل الناس تكثراً.

(٢) رواه البخاري رقم الحديث ١٤٧٥.

الذي فيه النص الصريح من الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث).

ثم ساق مضمون حديث الصور.

وقال ابن حجر العسقلاني نقلاً عن الدراوردي فإنه قال:

«كأن راوي هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله، وذلك أن في أول ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط، وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج»[(١)]. قال ابن حجر بعد نقله كلام الدراوردي: (وهو إشكال قوي)[(٢)].

ولعل ما ذهب إليه **القاضي عياض وتابعة النووي وابن حجر وغيرهما** عليه أكثر دقة وتوفيقاً مما قاله شارح الطحاوية، قال ابن حجر: (وقد أجاب عن هذا الإشكال عياض وتبعه النووي وغيره بأنه قد وقع في حديث حذيفة المقرون بحديث أبي هريرة بعد قوله: (فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له) أي في الشفاعة، وترسل الأمانة والرحم، فيقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق) الحديث، قال عياض: فبهذا يتصل الكلام، لأن الشفاعة التي لجأ إليه الناس فيها هي الإراحة من كرب الموقف، ثم تجيء الشفاعة في الإخراج، وقد وقع في حديث أبي هريرة. . . الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم يميّز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٣٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٣٧).

هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف، قال: وبهذا تجتمع متون الأحاديث، وتترتب معانيها. فتح الباري ٤٣٨، وقد زاد الحافظ ابن حجر هذه المسألة إيضاحاً، وأورد النصوص الدالة على أن في بعض الأحاديث شيئاً من الاختصار فقال: قلت: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، وستأتي بقيته في شرح حديث الباب الذي يليه وفيه: (**حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي جانبي الصراط كلاليب مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار**) فظهر منه أنه ﷺ أول ما يشفع ليقضى بين الخلق، وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك.

وقد وقع ذلك صريحاً في حديث ابن عمر اختصر في سياقه الحديث الذي ساقه أنس وأبو هريرة مطولاً. وقد تقدم في كتاب الزكاة عن طريق حمزة بن عبد اللّه بن عمر عن أبيه بلفظ: إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذٍ يبعثه اللّه مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم. ووقع في حديث أُبيّ بن كعب عند أبي يعلى: «**ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط وهو منصوب بين ظهراني جهنم فيمرون**».

ـ وفي حديث ابن عباس من رواية عبد اللّه بن الحارث عنه عند أحمد: (**فيقول عزّ وجلّ: يا محمد ما تريد أن أصنع في أمتك؟ فأقول: يا رب عجِّل حسابهم**)، وفي رواية عن ابن عباس عند أحمد وأبي يعلى: (**فأقول أنا لها، حتى يأذن اللّه لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد اللّه أن يفرغ من خلقه نادى مناد: أين محمد وأمته**).

لماذا رسول اللَّه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى دون غيره من الأنبياء؟؟

قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» فيه إعلان بمقام سيادته، وإعلام لجميع الأنام بسؤدده العام، وذلك من باب تحدثه بنعم ربه وتكريمه إياه، لا من باب المفاخرة؛ قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾، ولذلك كان ﷺ يقول: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر**».

وإنما خصّ ذكر يوم القيامة لذلك مع أنه ﷺ له السيادة على ولد آدم كلهم في الدنيا والآخرة، ولكنه إنما ذكر ذلك في الآخرة لأن الناس كلهم يومئذ يقرّون بسيادته، ويعترفون بفضله؛ الأبرار والفجار، السعداء والأشقياء، وأما في الدنيا فلا يقرّ بذلك إلا من آمن باللَّه ورسوله ﷺ حقاً. ومن المعلوم أن سيد القوم هو كريم القوم وشريفهم الذي يهتم بشأنهم، ويسعى لما فيه صلاح أمرهم، يفزعون إليه في المهمات، ويقصدونه في النائبات، ويرجون خيره وبره في الشدائد والضائقات.

ولذا أعلن ﷺ بمقام سيادته ليقصدوه في أشد الحالات والكربات، ألا وهي كربات الموقف وأهواله ومضايقه، وبيّن ﷺ أنه لا ينقذهم من أهوال ذلك الموقف وشدائده إلا سيدهم ﷺ وحينذاك كلهم يرون مقام سيادته، ويقرّون له بذلك.

قال الإمام النووي رضي اللَّه عنه في شرح مسلم: والحكمة في أن اللَّه تعالى ألهمهم (أي ألهم أهل الموقف) سؤال آدم ومن بعده من الرسل صلوات اللَّه تعالى عليهم في الابتداء (أي ليشفعوا بهم) ولم يلهموا سؤال نبيّنا محمد ﷺ، والحكمة في ذلك هي ـ واللَّه أعلم ـ إظهار فضيلة نبيّنا محمد ﷺ، فإنهم (أهل الموقف) لو سألوه الشفاعة ابتداء لكان يحتمل أن غيره من الرسل يقدر على هذا ويحصله، وأما

إذا سألوا غيره من رسل اللّه تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة، وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس، قال: وفيه تفضيله ﷺ على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة، فإن هذا الأمر العظيم ـ وهي الشفاعة العظمى ـ لا يقدر على الإقدام عليه غيره ﷺ وعليهم أجمعين. واللّه أعلم. اهـ.

وإنما لم يقدر أحد من الرسل أن يتقدم للشفاعة العظمى لأن التجلي وقتئذٍ بالغضب الشديد، ولذا قال كل رسول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولذلك لم يستطع أن يتقدم للشفاعة إلا أحب حبيب إلى اللّه تعالى، وأقرب مقرب، ألا وهو السيد الأكرم ﷺ.

وحتى لا يقع الإنسان في سؤال الشك حول ذكر بعض أخطاء أو ذنوب الأنبياء المذكورة في حديث الشفاعة فنقول: هل يخطئ أو يذنب الأنبياء وهم معصومون من اللّه سبحانه؟؟

لقد أجاب العلماء المتقدمون عما أضيف إلى الأنبياء من نسبة الذنوب، بعد أن دلّ الكتاب والسنّة دلالة قطعية على عصمتهم من المخالفات والمحرمات؛ وكل من العلماء المتقدمين ـ نفعنا اللّه بهم ـ أجاب بجواب فيه بيان نزاهة الأنبياء، وبيان كمالهم وشرفهم وبراءتهم من الفواحش والقبائح، ولولا خشية الإطالة وباعتبار أن هذا البحث ليس موضع تفصيله هنا، لذكرنا تلك الأقوال مفصلة، ولكن نذكر الآن قولاً منها مشهوراً بين العلماء والعرفاء قريب التناول، مذكوراً في كتب علماء السلف، ومبيّناً في كتب علماء الخلف. وهو أن الذنوب المضافة للأنبياء صلوات اللّه عليهم الوارد ذكرها في الآيات

والأحاديث، هي ليست كذنوب غيرهم أصلاً، بل ذلك من باب القاعدة المقررة المشهورة بين جميع طبقات العلماء والعرفاء، سلفاً وخلفاً: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومباحات العوام سيئات الأبرار.

فما ورد من إضافة الذنب إلى الأنبياء في آية أو حديث فهو يعد ذنباً بالنسبة لمقامهم العالي، وبالنسبة لمنزلة قربهم الخاص بهم، وإن ذلك بالنسبة لغيرهم لا يعد ذنباً أصلاً بل يعتبر حسنة.

والله أعلم وأحكم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تصوير المحاسبي ليوم القيامة وأهواله

بعد أن اطلعت على تصوير المحاسبي رحمه اللَّه ليوم القيامة وأهواله فأعجبني هذا التصوير الرائع فأحببت أن أزين به هذا الجزء من الموسوعة.

يقول الحارث المحاسبي رحمه اللَّه واصفاً ما يقع في ذلك اليوم من أهوال:

حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حسّ يسمع ولا شخص يُرى، وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على اللَّه عزّ وجلّ بالذل والصغار منك ومنهم. فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك، وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى، فطار فؤادك، وشاب رأسك للنداء، صيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء ـ فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض على رأسك، فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائم على قدميك، شاخص ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبّرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم. فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك

وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة صُموتٌ أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدّة المنادي، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة، قد نزع المُلْك من ملوك الأرض ولزمتهم الذلة والصغار، فهم أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدراً بعد عتوّهم وتجبرهم على عباد اللَّه عزّ وجلّ في أرضه.

ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها لذلّ يوم القيامة بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بليّة نابتها ولا خطيئة أصابتها، فتوهم إقبالها بذلّها في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور.

وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على اللَّه سبحانه. فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور. حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامّها، واستووا جميعاً في إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها. فبينما أنت والخلائق على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم،

فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هَوْل صوت انشقاقها في سمعك، ثم تمزقت حتى إذا انقطعت أعناقهم من العطش، واحترقت أجوافهم من الجوع انصرف بهم إلى النار، فسقوا من عين آنية قد آن حرها، واشتد نفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلّم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه أن يشفع لهم في الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار من وقوفهم، ففزعوا إلى آدم ونوح ومن بعده إبراهيم، وموسى وعيسى من بعد إبراهيم، كلهم يقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، فكلهم يذكر شدة غضب ربه عزّ وجلّ وينادي بالشغل بنفسه فيقول: نفسي نفسي، فيشتغل بنفسه عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلاصها، وكذلك يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾.

[سورة النحل، الآية: ١١١]

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه، ينادي نفسي نفسي، فلا تسمع إلا قول: نفسي نفسي. فيا هول ذلك، أنت تنادي معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه، فما ظنك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم، والخليل إبراهيم، والكليم موسى، والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على اللّه ـ عزّ وجلّ ـ وعظم قدر منازلهم عند اللّه عزّ وجلّ، كل ينادي: نفسي نفسي، شفقاً من شدة غضب ربه، فأين أنت منهم في إشفاقك في ذلك اليوم واشتغالك بذلك اليوم، وبحزنك وبخوفك؟ حتى إذا أيس الخلائق

من شفاعتهم أتوا النبي محمداً ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم إليها، ثم قام إلى ربه عزّ وجلّ واستأذن عليه فأذن له، ثم خرَّ لربه ساجداً، ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق، حتى أجابه ربه عزّ وجلّ إلى تعجيل عرضهم والنظر في أمورهم[١].

(١) كتاب التوهم والأهوال: ص٥.

الخاتمة

الحمد للَّه الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة المتفضل علينا بنعمة الإيمان والإسلام، ومن حمده أرجو أن أكون قد قدمت عملاً مفيداً يرضى عنه اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ في هذا الجزء الذي تكلم عن بداية يوم القيامة وأرض المحشر والحوض والشفاعة العظمى. لقد كان للحديث في هذا الجزء شأن خاص لأن الحديث عن أرض المحشر وما يلاقيه المشركون والكافرون والعصاة وأهل الكبائر من الأهوال والشدائد لجدير بالتوقف عنده كثيراً والتفكر فيه كثيراً. . .

لأن القلم مهما حاول أن يبيِّن ويفسّر ويحلّل ويناقش فإنه يبقى عاجزاً عن وصف يوم يمتد إلى خمسين ألف سنة على الكافرين والمشركين والعصاة لأن الأحداث فيه متلاحقة ومتواصلة وكثيرة وكبيرة وهائلة ومفزعة ومخيفة وشديدة لتنوع ما يحدث، وموقف هؤلاء الكفرة، وحالهم وما يتعرضون له من الشدائد المتصلة، واستغاثتهم الدائمة حيث لا مجيب ولا مغيث ولا شفيع. . . فوصف حالة هؤلاء وآلامهم وصراخهم وحيرتهم في كل حين يحتاج إلى مجلدات.

. . . ولكن من أين لنا العلم بذلك؟ ومن أين لنا تفصيلات كل قول واستغاثة وتصوير حالة الآلام الشديدة؟. . . وكيف لنا بوصف حالة كل أمة وأهل كل معتقد وتفاوتهم في موقف المهانة والذل؟

ومن أين لنا أن نصف حالة كل مجموعة أو حالة كل فرد

والدخول في أعماقه لنستعلم ما يعانيه وما يكابده وما يفكر فيه.

وحجم الحسرة والألم والندم التي تعتصر كل فرد من أهل الموقف على أرض المحشر.

وعلى أرض المحشر لا ليل ولا نهار لنصف حالة الناس في كل يوم كما نصفها في الدنيا بل هو زمن مستمر لا توقف فيه والذي يقدره هو اللّه سبحانه وهو أعلم بحسابه وكيف يكون خمسين ألفاً من سني الدنيا..

وعندما ينتهي بعلم اللّه سبحانه الوقوف بأرض المحشر تعطى الشفاعة لمن أراد اللّه ورضي اللّه به شفيعاً كي يأذن سبحانه ببدء الحساب والعرض، وقد تبيّن لنا أن هذا المقام المحمود المقام العظيم لا يكون إلا لمحمّد رسول اللّه ﷺ إظهار لمقام ومكانة سيد الخلق محمد ﷺ إمام الأمم والخلائق جميعاً، وأرجو اللّه سبحانه أن أكون قد قدمت عملاً صحيحاً مستمداً العون من اللّه سبحانه وكتابه الكريم وأحاديث رسول اللّه ﷺ، واللّه ورسوله ﷺ خير عون للكتاب وما فيه من عمل، فأرجو اللّه سبحانه أن يسمح عني فيما أخطأت فيه وأن يأجرني فيما أصبت فيه وأن يشملني برحمته وعفوه وكرمه كما أرجو أن يأجر كل من ساهم معي في هذه الموسوعة. نشراً وطباعة وتدقيقاً وتقديماً ومراجعة.

فاللّه سبحانه من وراء العمل والفعل والهدف والقصد توكلنا عليه فهو نعم المولى ونعم الوكيل، وصدق اللّه تعالى إذ يقول: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

الباحث

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.
٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.
٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.
٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.
٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.
٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.
٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.
٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.
٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.
٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.
٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.
٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.
٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.
٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.
٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.
٣٦ ـ البعث والنشور.
٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ - الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.
٣٩ - الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.
٤٠ - النار أهوالها وعذابها.
٤١ - جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجه.
٨ ـ سنن النَّسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ - كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ - القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ - الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ - الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ - آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ - آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ - اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ - جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ - يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ - التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ - لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ - الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ - شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ - مختار الصِّحاح: دار المعارف ـ مصر.
٥٠ - الكبائر: للذهبي.
٥١ - الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ - الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ - التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ - الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ - القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ - المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

سلسلة

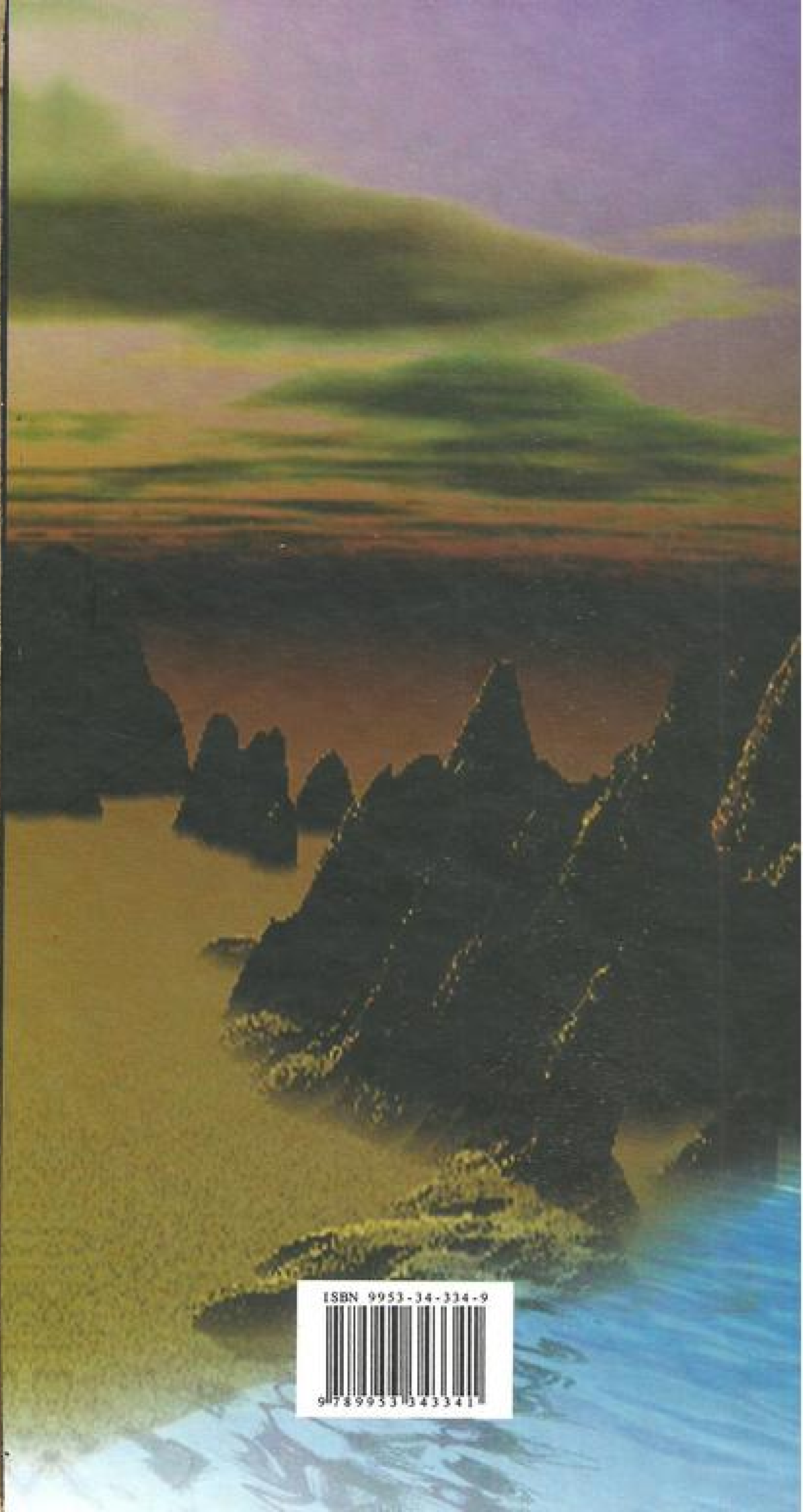
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعّدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-334-9
9 789953 343341

الحساب

والعرض على الله سبحانه

جلّ جلاله

الله

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

الحساب والعرض على الله سبحانه جلّ جلاله

ماهر أحمد الصوفي

المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

الحساب والعرض على الله سبحانه

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدّم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-337-3

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم	: وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.
٣- الدكتور عكرمة سليم صبري	: خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.
٤- الدكتور محمود عاشور	: وكيل الأزهر الشريف سابقاً.
٥- الدكتور فاروق حمادة	: أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم

في الجزء الأول

من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٤٧ ـ ٤٩]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ * وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآيات: ٢٦ ـ ٢٩]

حديث شريف:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **يقول اللّه عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد** » قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول اللّه، أينا ذلك الرجل؟ فقال: « **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة** » فحمدنا اللّه وكبرنا ثم قال: « **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » فحمِدنا اللّه وكبرنا ثم قال: « **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إنما مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار** ».

[متفق عليه]

الإهـــداء

وهبت عملي....

إلى اللَّه تعالى.. ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

فتقبَّل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ...

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا.. اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد للّه الذي أسبغ عليَّ نعمه، وأتم عليَّ نعمته وكرمه، بكتابة الجزء السابع من الموسوعة (الحساب والعرض على اللّه سبحانه)، وهذا الجزء هو من أهم الأجزاء العشرة أو قل هو أهمها لأن الوقوف بين يدي اللّه سبحانه والعرض عليه والمحاسبة لهما الفيصل في رضا اللّه سبحانه، أو غضب اللّه سبحانه، ومن غضب اللّه عليه في هذا الموقف العظيم بين يديه فقد هوى وخاب وخسر خسراناً عظيماً، لأن المآل بعد غضب اللّه سبحانه هو النار. . فالبشر يومئذ ليسوا في دار الدنيا إن خاب أحدهم أو خسر يقول: سأعوض ما خسرته وخبت فيه في الأيام القادمة. . فليست هناك بعد الحساب والوقوف بين يدي اللّه والعرض عليه إلا الجنة أو النار. . نعم إلا الجنة خالداً فيها، وإما النار خالداً فيها، أو نار يعذب فيها قدر أعماله إن كان مؤمناً ولكنه كان عاصياً ومن أصحاب الكبائر التي توعد اللّه سبحانه فاعلها بالعذاب في نار جهنم.

. . . ففي هذا الموقف إما أن يحاسب الإنسان حساباً يسيراً ويعفو اللّه سبحانه عنه ويتجاوز، وإما أن يحاسب حساباً عسيراً فلا يغفر اللّه سبحانه له ولا يعفو ولا يتجاوز.

يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ .

[سورة الانشقاق، الآيتان: ٧، ٨]

. . . وقبل أن يُعرض البشر على اللّه سبحانه ويأذن ببدء

الحساب بعد الشفاعة العظمى لسيدنا محمد ﷺ كان الناس في موقف شديد أليم ذليل تحدثنا عنه في الجزء السادس من الموسوعة. . . حيث ترك اللَّه البشر وأقصد المشركين والكافرين والعصاة في أرض المحشر قرابة خمسين ألف سنة ذاقوا فيها أشد أنواع العذاب والآلام والمهانة. . وعلى الرغم من عظيم الموقف في أرض المحشر إلا أنه لا يشكل شيئاً أمام الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه والعرض عليه. . حيث يتمنى المشركون والكافرون والعصاة أن تسوى بهم الأرض، فهي أهون عليهم من العرض على اللَّه سبحانه وبيان كفرهم وشركهم ومعصيتهم عند الذي لا تخفى عليه خافية.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٢]

والموقف مهيب جليل حيث تجثو الخلائق على ركبها عند العرض على اللَّه سبحانه أمماً أمماً ليس بيدها حول ولا قوة ولا ترجو إلا رحمة اللَّه سبحانه، حتى الملائكة وحتى الرسل الذين اختصهم اللَّه بالفضل والحكمة والعلم والرسالة والنبوة تضيع منهم الإجابة عن سؤال اللَّه سبحانه لهم عن تبليغهم رسالة ربهم إلى أقوامهم من هول الموقف وهيبته وعظمة الخالق.

يقول تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١٠٩]

فإذا كان هذا موقفَ الرسل بين يدي اللَّه سبحانه، فماذا سيكون موقف عامة المؤمنين؟. . بل قل ما سيكون موقف أهل الشرك والكفر

والمعاصي والكبائر الذين تحدوا اللّه في الدنيا وعصوه وعبدوا غيره وأشركوا معه إلٰهاً آخر وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، بل عصوا اللّه جِهاراً نهاراً على أعين الناس دونما حياء ولا رادع ولا خوف.

يقول تعالى عن هؤلاء في كتابه الكريم: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾.

[سورة المائدة، الآيتان: ٧٩، ٨٠]

فهؤلاء سخط اللّه عليهم في الدنيا، وغضب اللّه عليهم غضباً عظيماً في الآخرة في أرض المحشر وعند العرض عليه، وأما عند حسابهم فإن اللّه سبحانه يفضحهم على رؤوس الخلائق جميعاً.

. . . وفي هذا الجزء السابع (الحساب والعرض على اللّه) رحلة طويلة جداً وبيانٌ واضح مفصل كيف يكون العرض على اللّه؟ وكيف يحاسب الناس؟ ومن هم الذين ينجون؟ ومن هم الذين يهوون؟ ويسقطون؟ وكيف تكون رحمة اللّه بالمؤمنين؟ وكيف يكون غضب اللّه على الكفرة والفجرة والعصاة وأهل الكبائر الذين لم يرعوا حرمةً للّه سبحانه في الدنيا؟ فحالهم عند اللّه يومئذ أنه لا عهد لهم ولا أمان.

الفصل الأول

- المدخل .
- نزول الملائكة من أرجاء السموات .
- العرض على اللَّه سبحانه .
- عرض الأمم على النار .
- بداية العرض على اللَّه بعد أن يأذن سبحانه بفصل القضاء .
- أول العرض دعوة آدم عليه السلام ليخرج من ذريته أهل النار .
- دعوة الرسل جميعاً لسؤالهم عن تبليغ رسالات اللَّه إلى أقوامهم .
- سؤال عيسى ابن مريم عليه السلام وتبرؤه ممن اتخذه وأمه إلٰهين من دون اللَّه سبحانه .
- دعوة الأمم وسؤالهم مجتمعين أمة أمة .
- شهادة اللَّه سبحانه على الأمم أعظم الشهادات .
- الشهادة يوم القيامة وإكرام أمة محمد ﷺ بشهادتهم على جميع الأمم .
- شهادة الرسل على أقوامهم وأممهم .
- دعوة الشركاء الذين زعم الكافرون أنهم شركاء للَّه سبحانه وتعالى عما يشركون .
- براءة الملائكة من تهمة التأليه من الأقوام المشركة والكافرة .
- الاختصام يوم القيامة بين الجماعات والأمم في الكفر والحقوق .
- الاختصام بين الإنس والجن ومحاسبة الجن والشياطين .
- القصاص من الوحوش والأنعام ومحاسبتها وتحويلها تراباً .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

لقد قدَّمنا في الجزء السادس من هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) كيف أن اللَّه سبحانه وتعالى يقبل شفاعة رسول اللَّه ﷺ التي تعم جميع أهل الموقف على مختلف أديانهم وعقائدهم، ليتخلصوا من أحوال الموقف وكرباته بعد اشتدادها وطولها، حيث امتدت إلى خمسين ألف سنة من سنوات الأرض... وذاق فيها المشركون والكافرون والمنافقون والضالون وأهل الكبائر والفواحش التاركون لفرائض اللَّه المستهزئون بدينهم وعودتهم إلى اللَّه سبحانه وتعالى من أهل الإسلام... ذاقوا الويل والثبور والعذاب والمهانة والذل والصغار والجوع والعطش، حيث تقطعت أحشاؤهم واحترقت أجوافهم وهم يستصرخون.. هل من منقذ لنا؟... هل من مخلِّص لنا..؟... هل من شفيع يشفع لنا عند اللَّه سبحانه وتعالى.. وعلى طول هذه السنوات لا يجيبهم أحد ولا يسمعهم أحد سماع قبول، ولا ينجدهم أحد.. ومن الذي يستجيب لهم والأمر يومئذ للَّه وحده؟ .. لا يقبل شفاعة من أحد إلا بإذنه.. ولا يقبل شفاعة إلا من ارتضى شفاعته... وقد بيَّنت أن اللَّه سبحانه وتعالى أراد عندما قبل شفاعة رسول اللَّه ﷺ أن يظهر للثقلين من أهل الموقف وعلى اختلاف أديانهم وعقائدهم سماوية كانت أو أرضية... من هو رسول اللَّه ﷺ، ومن هو الإسلام، ومن هم المسلمون، الموحدون الذين عُودوا من قبل أمم شتى في الحياة الدنيا واتخذوهم سخرياً، وما فتئوا على

محاربتهم والكيد لهم والتآمر عليهم ووصفهم بأوصاف بشعة وكذلك الكيد لدينهم ولكتابهم (القرآن الكريم) بكل وسائل الكيد والتآمر من أهل الكتاب والمشركين وأصحاب العقائد الأرضية الضالة، لقد صوَّر لنا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة معاداة هذه الأمم لأمة الإسلام ودينهم وكتابهم ونبيهم.. أهل الحق وأصحاب دين اللّه (الإسلام) الذي ارتضاه اللّه برحمته للعالمين جميعاً.. ولكنهم رفضوا وما فتئوا بالكيد والأذى يتآمرون.

يقول تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٦]

وكان جل سعي الكفار في الدنيا أن يطفئوا نور اللّه في الأرض، نور الإيمان ونور الإسلام ونور الحق

يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

[سورة الصف، الآية: ٨]

ويقول تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٢٠]

هم يريدون أن يخلصوا من هذا اليوم العسير حيث ألجمهم العرق الذي يخرج من أجسادهم فوصل إلى أفواههم كما غطتهم ذنوبهم وآثامهم وكفرهم وشركهم إلى أعلى من شحمات آذانهم... نعم شَحَمات، يريدون أن يخلصوا من هذا اليوم ولكن إلى أين.. إلى

الوقوف بين يدي اللَّه تعالى والعرض عليه.. وهذا أشد عليهم من يوم الموقف.. لأنه ليس بين أيديهم حسنات ولا يحملون على ظهورهم عند لقائهم باللَّه ومحاسبتهم إلا الذنوب والمعاصي والكفر والشرك وتحديهم للَّه في حياتهم الدنيا واستكبارهم في الأرض على طاعة اللَّه ووحدانيته... وماذا بعد العرض على اللَّه سبحانه إلا الذل والهوان والأغلال والقَطِران، وجهنم التي ستصب من فوق رؤوسهم الحميم والحمم والسموم، وكلاً من يحموم وأشواك وزقوم ونار تلفح الوجوه وتسقط اللحوم وطعام وشراب يقطع الأمعاء... نعم قبل اللَّه سبحانه الشفاعة العظمى من رسول اللَّه ﷺ ببدء الحساب والعرض عليه.. ولكن ليس رحمة بالكافرين والمشركين... ولكن ليحكم بعد حسابهم وتقريرهم بشركهم وكفرهم ومعاصيهم ومؤامراتهم واعتدائهم على هذه الأمة الإسلامية وعلى دينه الحق إلى ما هو أشد وأعظم وأدهى وأمر.. إلى نار جهنم وبئس المصير.. خالدين فيها أبداً لا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

نزول الملائكة من أرجاء السموات

يقول تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ١٦ ـ ١٩]

قدَّمنا عند الحديث عن قيام الساعة هذه الآياتِ الكريمةَ عندما تحدثنا عن انشقاق السموات وتفجرها وانكدار نجومها.. والله سبحانه يشير في هذه الآيات الكريمة أنه في حال انشقاق السماء فإن الملائكة الذين يتواجَدون في جميع السموات يصبحون بأمر الله سبحانه على أرجائها ينتظرون أمر الله سبحانه... ثم يُجمع الناس في أرض المحشر في الدنيا ثم ينقلهم الله سبحانه بزجرة واحدة إلى أرض المحشر التي خصَّها الله سبحانه ليوم القيامة، ثم تقف الخلائق بأمر الله سبحانه على أرض المحشر خمسين ألف سنة من سني الدنيا، حيث تدنو الشمس من رؤوسهم قدر ميل كما قدَّمنا في الأحاديث الشريفة، فينالون من العذاب ما لا يطاق ولا يحتمل ويذوقون من أصناف العذاب وألوانه ما هو شديد ومهين... وتبقى حال الخلائق على هذا العذاب ما عدا المؤمنين من الأقوام والمسلمين الطائعين من أمة محمد ﷺ، فهم يومئذ في رحمة الله تعالى، ثم يأذن الله سبحانه بعد شفاعة رسول الله ﷺ بفصل القضاء والحساب فتأتي الخلائق أمماً أمماً تجثو على ركبها استعداداً لفصل القضاء ثم تبدأ الملائكة بالنزول من

أرجاء السموات بأمر اللَّه سبحانه إلى أرض المحشر التي تتجمع عليها الخلائق منتظرة الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٠]

وقال سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢١ ـ ٢٣]

لقد تعددت الآيات الكريمة التي يتحدث اللَّه سبحانه فيها أنه بجلاله وعظيم قدرته سيجمع الخلائق إنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم، وكذلك يجمع اللَّه المرسلين ثم يجيء سبحانه في ظلل من الغمام مع الملائكة لفصل القضاء والحساب بين الخلائق.

فاللَّه سبحانه سيجيء والملائكة ولكن هذا من علم اللَّه سبحانه أعلمنا أنه سيجيء والملائكة، ولكن الكيفية المشابهة للمخلوقات مستحيلة في حقه.

والقارئ للآيات الكريمة التي قدَّمناها يجد أن اللَّه سبحانه يتحدث فيها أنه سيجيء مع الملائكة وفيها يتحدث سبحانه أن الملائكة تأتي وتنزل من السماء لوحدها دون معية اللَّه سبحانه.

كما في قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٥]

ويمكن تفسير هذا بأن ملائكة اللَّه سبحانه لا يعلم عددها وخلقها وحجومها إلا اللَّه سبحانه، وهم كما قدَّمت بعد انشقاق

السماء عند قيام الساعة يقفون على أرجاء السموات ينتظرون أمر اللّه سبحانه. . فإذا جاء الأمر إليهم هبطوا من أرجاء السموات إلى أرض المحشر ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. . فربما يختص اللّه سبحانه ملائكة وهم المقربون فيجيئون مع اللّه وهم الملائكة العظام الشهود على الخلائق جميعاً ـ حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والملائكة الكتبة الحافظون الشاهدون على أعمال الخلائق. . واللّه أعلم.

. . . ولقد ذكر في حديث الصور المتقدم أنه إذا ذهب رسول اللّه ﷺ ليشفع عند اللّه سبحانه ليفصل بين عباده بعدما يُسأل آدم في ذلك والأنبياء من بعده فكل يقول: لست بصاحب ذلكم حتى ينتهي الأمر إليه ﷺ فيشفع عند اللّه ببداية الحساب والعرض على اللّه. . ثم يرجع إلى مقامه الأول. . .

حينئذ تنشق السموات بغمام النور. . وتتنزل الملائكة تنزيلاً، فينزل أهل سماء الدنيا من الملائكة، فيحيطون بالإنس والجن والوحش سكان الأرض دائرة، ثم كذلك ملائكة السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فكل أهل سماء يحيطون بمن قبلهم دائرة. . .

ثم ينزل الملائكة الكروبيون، وحملة العرش، والمقربون. . ولهم زجل بالتسبيح، والتقديس، والتعظيم، يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبحان ربنا الأعلى يا رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الذي يميت الخلائق ولا يموت.

. . . ويقول ابن كثير . . . فإذا رأى أهل الأرض المجتمعون في هذا الموقف العظيم الملائكة وهم ينزلون من السموات فزعوا إليهم ويقولون: هل فيكم ربنا؟ وذلك لعظيم أحجامهم ونورهم . . فيفزعون من ربهم، ويقولون: سبحان ربنا، ليس فينا وهو آت، وهكذا تتحلق الملائكة بعد أن تنزل من أرجاء السموات بالخلائق صفاً صفاً حتى يكتمل نزول الملائكة من السموات السبع وكل ملائكة سماء تتحلق حول الخلق حتى تكتمل سبعة صفوف . . وقد بيَّن اللَّه سبحانه في كتابه العزيز أن الملائكة تنزل وتأتي صفاً أرض الحشر، يقول تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ .

[سورة الفجر، الآيتان: ٢١، ٢٢]

فإذا ما اكتمل حشر الخلائق أمماً أمماً والملائكة صفوفاً صفوفاً، مُنع الكلام منهم فلا يستطيع أحد أن يتكلم ولو بكلمةٍ واحدة إلا إذا أذن اللَّه سبحانه ورضي له قولاً وقال حقاً وصواباً[1] .

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ .

[سورة النبأ، الآية: ٣٨]

. . . يا له من موقف جليل مهيب . . . والخلائق إنسها وجنها ووحشها وطيرها والذين لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه . . . وكذلك الملائكة الذين قال عنهم اللَّه سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

الخلائق جاثية والملائكة صفوف . . . وكلهم صامتون لا يتكلمون

(١) ابن كثير كتاب الأهوال يوم القيامة صفحة ١٠٣ طبعة دار اليمامة دمشق

ولا يستطيعون الكلام، يمنع اللّه سبحانه الكلام عنهم ويأمر ألسنتهم بالسكوت فلا تستطيع الكلام. . . أليس هو الخالقَ؟ ألا يعلم كيف يأمر الألسنة فلا تستطيع الكلام؟ ألم يضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً؟

. . . عندما دعا زكريا ربه أن يهب له غلاماً فاستجاب اللّه سبحانه لدعائه وكان شيخاً كبيراً وامرأته عاقراً. . . لذلك سأل ربه كيف يكون ذلك؟ فأجابه ربه إنه يفعل ما يشاء وهو قادر على كل شيء. . . عند ذلك سأل زكريا ربه أن يجعل له آية في ذلك يعني دليلاً. . فقال له ربه: إن الدليل أنك لن تكلم الناس ثلاثة أيام. . . أي يمنع اللّه لسانه من النطق مع أنه صحيح معافى.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ٤١]

والذي يعلم السر في خلق إنسان واحد يعلم السر في خلق جميع الخلائق، والذي يستطيع أن يمنع اللسان عن النطق يستطيع أن يسكت الألسنة جميعاً ولو كان عددها آلاف المليارات. . .

وصدق اللّه تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ . . . تصوَّر هذا الموقف الجليل المهيب! ولا أحد من خلق اللّه يستطيع أن يتكلم، سكوت وصمت وسكون لا ندري أهو مخيف أم مهيب؟. . ولكنها المهابة والخشية في حضرة اللّه سبحانه أعظم.

. . . إن هذا الموقف العظيم له ما يشبهه وأنت في الصلاة في المسجد وآلاف الخلق تصلي وراء الإمام. راقب هذا الهدوء والسكوت المطبِق وأنت في حضرة اللّه سبحانه في الصلاة السرية أو عند التشهد.

ولقد ثبت في الحديث الشريف (ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل) وقد عقد البخاري باباً في ذلك.

. . . كل أمر يوم القيامة في غاية التنظيم والدقة والترتيب، فالعشوائية والفوضوية واختلاط الحابل بالنابل والهرج ليس موجوداً يوم القيامة، فهذه صفات إنسانية بشرية، إذا ما وقفوا في الازدحام تكون عندهم الفوضى والاختلاط والعشوائية، أما في حضرة الإلٰه حيث يجمع بقدرته بليارات الخلائق. . وكل فرد منها عرف مكانه وموقعه صفوفاً منظمة وأمماً جاثية، وأعناقاً مشرئبة، وعيوناً شاخصة، وألسنة لا تنطق، وآمالاً عريضة بالنجاة. .

ولكن هيهات هيهات. . فالجميع في حضرة الخالق الذي لا تخفى عليه خافية ولو كان قدر ذرة من خير أو شر. . . . بعد ذلك يبدأ العرض على اللّٰه سبحانه ثم عرض الأمم على النار ثم إخراج بعث النار ثم يؤتى بالنبيين والمرسلين والشهداء. . . . . .

العرض على الله تعالى

. . . ماذا يعني العرض على اللَّه سبحانه؟؟

إنه يعني الوقوف بين يدي جبار السموات والأرض مالك الملك الذي بيده الأمر من قبل ومن بعد، أرحم الراحمين على المؤمنين والمنتقم الجبار من الكافرين والمشركين. . . فواللَّه لو أن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن عرضت على اللَّه سبحانه ووقفت بين يديه يوم القيامة لذابت وانصهرت خجلاً وحياء وخشية وهيبة لهذا الإلٰه العظيم الذي خضعت لعظمته الرقاب ودانت لقدرته الخلائق. . ولو نظرت في أرض المحشر ورأيت الملائكة العظام والذي ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعمائة عام لرأيتهم خاشعين للَّه سبحانه قد طأطؤوا رؤوسهم خشية من اللَّه وحياء منه وإجلالاً لعظمته واحتراماً لقدرته وتحقيقاً لربوبيته.

. . . فماذا تفعل تلك الأمم إنسها وجنها ووحشها وطيرها إذا وقفت بين يدي اللَّه سبحانه للعرض عليه وبدء فصل القضاء والحساب. . حساب الخلق أمماً أمماً وجماعاتٍ جماعات وأفراداً أفراداً يُخرج سبحانه منهم جميعاً مقدار الذرة من خير أو شر، لا تخفى منهم خافية ولا يستطيعون هرباً ولا مواراة ولا تخفياً. . ولا يستطيعون نفاقاً ولا كذباً ولا غشاً ولا عذراً ولا غدراً ولا خيانة. . ليس لهم من الأمر شيء ولا يقدرون على شيء، ولا يملكون شيئاً يدافعون به عن أنفسهم، ولا يملكون لأنفسهم حيلة بل لا يملكون لأنفسهم من أنفسهم شيئاً إذ ستشهد

عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم ولا يستطيعون نوماً ولا سهراً ولا راحة ولا يفتر عنهم الذل والهوان، فليس لهم وزن ولا قيمة ولا اعتبار، ولهوانهم وصغارهم وذلهم يتمنون أن يكونوا أنعاماً أو وحوشاً حتى يصيروا تراباً، كما صارت الوحش والطير تراباً بأمر مالك الملك وفي الدنيا قال لهم سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

فاليوم لا مشيئة لهم بشيء، فالمشيئة للّه وحده فهو الحاكم والآمر والناهي مشرئبة أعناقهم شاخصة أبصارهم.. لا يرتد إليهم الطرْف وأفئدتهم هواء وقلوبهم جوفاء يتمنون الموت فلا يجدونه، من خلفهم ومن أمامهم ملائكة اللّه الغلاظ الشداد الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويكفي البشر يومئذ رؤية ملائكة العذاب من حولهم رعباً وخوفاً وهلعاً.

... يأذن اللّه سبحانه بفصْل الحساب والعرض عليه، وتأتي الأمم بين يديه كل أمة وما كانت تعبد حفاة عراة، سيدهم وخادمهم وزعيمهم وعبدهم سواء.. وكل أمة تجثو بين يدي اللّه سبحانه تنتظر فصل القضاء ومحاسبة اللّه سبحانه.. فإذا ما أخذت كل أمة موضعها الذي حُدد لها ومكانها الذي يختاره اللّه سبحانه لها حينئذٍ تجثو كل أمة على ركبها.

يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآيات: ٢٦ ـ ٢٩]

. . . فأول العرض أن تأتي كل أمة مع كتابها وهي بحالة الجثي أي جاثية على ركبها من رهبة الموقف وعظمته. . ويقال هذا أيضاً إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا على ركبتيه من الهول والفزع، حتى ذكر ابن كثير في تفسيره: إن هذا الموقف يشمل حتى الأنبياء، وإبراهيم عليه السلام يقول: نفسي نفسي، وهذا سيأتي في حينه. . فإن الأمم تأتي عند العرض على اللّه تعالى جاثية على ركبها حتى أمة محمد ﷺ ثم يؤمِّنها اللّه سبحانه من الفزع فيما بعد إن شاء اللّه.

ـ عن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: « **كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم** ».

. . . فعند العرض على اللّه كل أمة تجثو على ركبها معها كتابها، منظمة صفوفاً تنتظر أمر ربها وتنتظر حسابها.

يقول اللّه: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۞ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٤٧ ـ ٤٩]

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٨]

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

فهذه الآيات الكريمة تبيِّن لنا كيف يُعرض الناس على ربهم قبل بداية الحساب. . . فالعرض شيء وبداية الحساب شيء والإذن فيه شيء آخر. . وهناك (زمن ما) يكون بين العرض والحساب. . والأمم صفاً صفاً جاثية على ركبها.

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**»[1].

. . وفي هذه الحالة ينشغل كل إنسان بنفسه ولا ينظر إلا لنفسه ولا يدعو إلا لنفسه، لا يؤذن لأحد بالكلام، كل يجثو على ركبتيه في صف منظم. . . كل لا يعلم مصيره ولا إلى أين يذهب، حتى المؤمنون يخافون ويتذكرون بعضاً من أخطائهم وذنوبهم فيظنون أنها ستهلكهم، الجميع خائف يرجو رحمة اللَّه سبحانه، ينسى أحبابه وأقرباءه وأباه وأمه وأبناءه ويأتيهم التأنيب من ربهم ـ فيخاطب الكافرين والمشركين:

﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٨]

زيادةً في التأنيب والعذاب النفسي بعد طول موقفهم لا يكلمهم اللَّه في طول الموقف الذي امتد إلى خمسين ألف سنة على الكافرين، وعند العرض على اللَّه يكلمهم تأنيباً على تكذيبهم في الدنيا. . وأنهم لن يعودوا ولن يجمعهم اللَّه كما وعد على لسان جميع أنبيائه ورسله

(١) رواه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم الحديث (٢٤٢٥).

وعلى لسان كل الكتب السماوية، فهذا زعمكم الذي زعمتم به. وهذا موعدكم وهم في حالة الذل والهوان جاثين على ركبهم تتحلق حولهم الملائكة.. فإذا خاطبهم اللّه كما قلت فإنه تأنيب لهم.

... وتقول الملائكة يومئذ: نعم هؤلاء هم الذين كذَبوا على ربهم وكذَّبوا بالساعة والقيامة.. بل كذبوا بذات اللّه سبحانه.. فتلعنهم الملائكة في هذا الموقف الذليل.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وتدرك الأمم الكافرة على أنواعها الكثيرة ومن طول الموقف وتأنيب اللّه سبحانه لهم وشهادة الشهود من الملائكة واللعنات التي تنصب عليهم أنهم هالكون.. عند ذلك كل واحد فيهم يفكر كيف يرد الكفر والشرك والمعصية عن نفسه باتهام غيره أنه كان السبب أو يكذب الشهود والرسل والملائكة... وكذلك المنافقون الذين يظنون أو ظنوا أن ظاهر العمل الذي كانوا يعملون به من أعمال صالحات خداعاً وكذباً من أجل مصالحهم الدنيوية وتحقيق رغباتهم.. إن ظاهر الأعمال ينفعهم.. وهم لا يعلمون أن اللّه عالم بأحوالهم وبواطنهم وسرائرهم مثل علمه بظاهر أعمالهم.. فإذا كانوا على هذه الحالة من الهوان والصغار جاءهم من اللّه ما لا يحتسبون.

عرض الأمم على النار

وخلال هذا العرض على اللّه سبحانه يأمر اللّه سبحانه جهنم فَتُسعَّر، كما يأمر الجنة أن تزلف أي تتقرب من أهلها وأصحابها ووارثيها وهم في حالة العرضِ على اللّه سبحانه. . . فإذا ما سُعرت النار. . . يأمر اللّه الملائكة الموكلين بالنار أن يخرجوا منها عنقاً نارية تمر على أهل الموقف وعلى جميع الأمم. . تمر من فوقهم ومن تحتهم وعن أيمانهم وشمائلهم. . تلفح بحرها الكافرين والمشركين والضالين وتبتعد عن المؤمنين الموحدين المسلمين ولكنهم يرونها أمامهم تمر على الأقدام. . . فتصبح القلوب عند الحناجر، ولولا أن اللّه سبحانه قضى أنه لا موت لمات كل من رأى هذه النار ولو من بعيد. . !

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴾.

[سورة الشورى، الآيتان: ٤٤، ٤٥]

في هذه الآيات الكريمة يبيِّن اللَّه سبحانه لنا كيف تعرض النار على أصحابها وذلك قبل دخولهم في جهنم. . . إنما يعرضهم اللَّه سبحانه على النار ويعرض النار عليهم في أكثر من موقف من المواقف الطويلة الرهيبة يوم القيامة على طوله، وأشدها عند العرض عليه.

وهذا العرض إنما يكون عند انتظار الناس أن يبدأ اللَّه فصل الحساب. . . ذلك حتى لا يُترك الكافرون والمشركون في راحة أبداً. ومنذ نفخة البعث والحشر في أرض الدنيا ثم الحشر على أرض المحشر بيومه الطويل الذي أسلفنا ذكره، والمواقف فيها ذل ومهانة، وعذاب للكافرين لا يطاق من اللَّه سبحانه، أولئك الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، فكفروا وأشركوا وضلوا وأضلوا وحاربوا المؤمنين بكل ما لديهم من وسائلَ وأساليب ولقد تركهم اللَّه في الدنيا يسرحون ويلعبون ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام. . . أما اليوم فلا. . فالأمر يومئذ للَّه وحده. . . في هذه الأثناء يعرضون على النار. . وتسعر النار وتؤمر أن يُخرج منها شيء.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

فتسعر النار وتجيء وتقترب ويخرج منها الأهوال وتقرب من الكافرين، فيخرج منها عنقٌ وأعناقٌ فتمر من فوقهم كجبل أظلهم.

يقول تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥]

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يؤتىٰ**

بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١) .

فإذا خرجت النار من جهنم على شكل زمام يجره الملائكة تتغيظ وتزفر من الكافرين، وتغيظها وزفيرها يدخل على القلب رعباً لا يوصف.. ثم يزداد غضبها وغيظها على من أنكر وحدانية اللّه وشهادة لا إله إلا اللّه.. فتشهق وهي تفور بأصوات مرعبة تزيد من الخوف والألم والحسرة.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

ويقول تعالى: ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٨]

فكيف تتصور حال الناس عندئذ؟؟ هذه المشاهد يراها الكافرون وأعوانهم ويراها أيضاً المسلمون الموحدون وإن كانوا في مأمن منها ولكنهم يرونها.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق ويقول: إني وكلت بثلاثة: بمن دعا مع اللّه إلٰهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين»**(٢)

ويعني بالمصورين الذين ينحتون التماثيل.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه

(١) رواه مسلم كتاب الجنة.. باب في شدة حر جهنم رقم الحديث ٢٨٤٢.

(٢) رواه الترمذي كتاب صفة جهنم رقم الحديث ٢٥٧٤.

ﷺ : « **يخرج عنق من النار فيتكلم فيقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع اللّه إلٰهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم**» .

[رواه الإمام أحمد]

وأما قوله ﷺ: فيقذفهم في غمرات جهنم. . ليس القذف نهائياً، لأنهم في حالة عرض على اللّه بل وراءه عودة وربما قذف كثير وعَود كثير حتى يدخلوا جهنم خالدين فيها أبداً. . والعلم عند اللّه، هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم رسول اللّه ﷺ في الحديث ينطوي عليهم العُنُق من النار وهم في موقف العرض على اللّه فيلتقطهم من بين الخلائق لأن لهم سيما سواد الوجوه من الضلال والكفر والشرك ومعصية اللّه سبحانه.

. . تماماً كما يلتقط الطائر حب السِّمْسِم وكما يلتقط العُقاب والنَّسر فريسته بعد أن يعاينها وهو في السماء فيهوي إليها بسرعة فيلتقطَها دون أن يخطئها.

وكل هذا وما يراه الكافرون إنما هو من وعد أجَّله اللّه سبحانه لهم إلى هذا اليوم.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

ففي هذا الموطن الرهيب كل الأمم جاثية على ركبها ومنهم أمة محمد ﷺ، لأن في هذا الموطن لا بد أن تجتمع كل الأمم، لأن اللّه

سبحانه بعد هذا سيبدأ ويأذن بفصل الحساب والقضاء، وأول ما يبدأ بمحاسبة الأمم كأمة مجتمعة ثم يتفرقون في الحساب فرادى.

.. فإذا ما خرج هذا العنق من النار الذي يسقط القلوب ويحرق النفوس ويدخل الرعب على أي كان من أهل الموقف حتى لو كانوا أنبياء ومرسلين... صحيح أنه لا يصيبهم ولكن الإنسان إنسان وما يراه بأم عينيه ويشاهده يدخل الرعب عليه، فلا يفكر الإنسان إلا بالنجاة ولو على حساب البشرية جمعاء.

قال عبد الرزاق: «**حدثنا معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: إن جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خرَّ وتُرعَد فرائصه، حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ويقول: رب لا أسألك إلا نفسي**»[1]

.. نحن في الدنيا إذا سمعنا صوت رعد قوي أتبعه بَرق ثم أتبعه رعد بما يشبه الصاعقة، تطير قلوبنا فزعاً أو حدث زَلزال أو حريق أو هدم أو ما يشابه ذلك، كل ذلك على صغره وبساطته لا يشكل شيئاً ولا يقارن بما سيحدث في الآخرة.. مع ذلك نمتلئ رعباً وتُرتعد فرائصنا ونسأل اللّه سبحانه اللطف ونلحُ في الدعاء.

أما ابن كثير في تفسيره فقد أوضح مثل هذه المواقف فقد قال: «**وترى كل أمة جاثية**» أي على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه حتى إبراهيم الخليل عليه السلام يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى إن عيسى عليه السلام ليقول: «**لا أسألك اليوم إلا نفسي**».

[مختصر تفسير ابن كثير ص ٣١٢]

(١) رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي هاشم(الدر المنثور) (٦/ ٢٣٩).

بداية العرض بعد أن يأذن اللَّه سبحانه بفصل القضاء

. . . إذا انتهى عرض الأمم على اللَّه سبحانه، ومن ثَمَّ عرض النار عليهم كما تقدم، تعرف كل أمة حقيقة موقعها ووزنها وقيمتها من بين الأمم، فينال الكافرون والمشركون والعصاة ما ينالون من مواقف الذل والمهانة والعذاب، يأتي اللَّه سبحانه (بآدم) أبي البشر ويوقفه بين يديه ويكلمه بكلام تسمعه الخلائق جميعاً، ويقول له: أن يخرج من ذريته بعث النار أي أصحاب النار الذين يستحقون الدخول فيها ما بين خالد فيها إلى معذب فيها قدر معاصيه وكبائره. . ولقد بيَّن لنا رسول اللَّه ﷺ في أحاديث شريفة هذا الموقف العصيب على الأمم جميعاً بما فيهم أمة محمد ﷺ.

أول العرض دعوة آدم عليه السلام ليخرج من ذريته أهل النار

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عزّ وجلّ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**». قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله، أيّنا ذلك الرجل؟ فقال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة**»، فحمدنا الله وكبّرنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فحمِدنا الله وكبّرنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر[١] أهل الجنة، إنما مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة[٢] في ذراع الحمار**».

[متفق عليه][٣]

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: يا آدم، قم فابعث بعث النار، فيقول: لبيك وسعديك، والخير بين يديك، يا رب، وما**

(١) شطر: نصف.

(٢) كالرقمة: قطعة بيضاء تكون في باطن الذراع.

(٣) متفق عليه مسلم ٢٠١ الفتح (١٩/ ١٧٩).

بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، قال: فيومئذ يشيب المولود. ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ٢]

قال: فيقولون: أيّنا ذلك الواحد؟ فقال رسول اللّه ﷺ: « **تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد** » . قال: فقال الناس: اللّه أكبر، فقال رسول اللّه ﷺ: « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، واللّه إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، واللّه إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة** » .

قال: فكبّر الناس، فقال رسول اللّه ﷺ: « **ما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض** »[(١)] .

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: « **أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته**[(٢)] ، **فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث**[(٣)] **جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مِائة تسعةً وتسعين** » ، فقالوا: يا رسول اللّه إذا أخذ منا من كل مِائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: « **إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود** »[(٤)] .

تنبيه: في حديث قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٤١) ومسلم برقم (٢٢٢) وأحمد برقم(٣/ ٣٣).
(٢) أي تنظر إليه وتتمكن من رؤيته.
(٣) البعث: بمعنى المبعوث وأصلها من السرية التي يبعثها الأمير.
(٤) رواه البخاري الفتح ١٤/ ١٧٨.

وفي حديث قال: من كل مائة تسعة وتسعون. . . في ظاهر الحديثين تعارض ولكن نقول: في حديث أبي سعيد حمل على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد. . وفي حديث أبي هريرة حمل على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرة.

. . . ومنها أيضاً: إن حديث أبي سعيد يتعلق بالخلق جميعاً وإن حديث أبي هريرة يتعلق بهذه الأمة خاصة.

. . . وعندما تستمع الخلائق في هذا العرض إلى اللّه سبحانه والأمم جاثية على ركبها، تنتظر حسابها ورحمة اللّه سبحانه بها، بعد أن أدركت عظيم جُرمها ما عدا أمة محمد ﷺ في حق اللّه، وما فرطت في حياتها الدنيا واستهْترت وكذبت وأشركت وتبعت شياطينها وسعت وراء شهواتها وملذاتها. . .

بعد أن تسمع الخلائق أن الناجي من هذه الحشود الهائلة والتي تعد بعشرات المليارات من الخلق لا يتجاوز عشرة من كل ألف. . وأن ما ينتظرهم أسوأ مما فات على عظيم هوله وعذابه وآلامه. . .

. . . لقد شفع لهذه الأمم الهائلة المحتشدة رسول اللّه ﷺ ليخلصوا من هول الموقف الذي امتدَّ إلى خمسين ألف سنة. واستجاب اللّه سبحانه لمحمد ﷺ وأذن بالعرض عليه وحساب الأمم والأفراد.

. . . فإذا كان رسول اللّه ﷺ شفع لهم عند اللّه سبحانه وتعالى ببدء فصل القضاء والحساب. . فمن يشفع لهم بعد الآن؟. .

من يشفع لتلك الأمم الكافرة المشركة الضالة التي عاندت ربها في الحياة الدنيا وتحدت الإله بكفرها وعصيانها؟. . من الذي يشفع ولا شفيع إلا بإذن اللّه تعالى؟

وكيف يأذن اللّه سبحانه أن يُشفع لكفر وشرك؟. . . وهل للشرك والكفر شفاعة يوم القيامة؟

هؤلاء الكفرة لا يرجون شفاعة لعلمهم بحالهم وما فعلوه في حياتهم الدنيا. . . ولكن أملهم الوحيد الذي يبقى عندهم هو أن تسوى بهم الأرض، أو يكون حظهم كحظ الوحوش والأنعام، حيث يقول اللّه سبحانهُ لها بعد حسابها: كوني تراباً فيتمنوا أن يتحولوا إلىٰ تراب. . . كان اللّه سبحانه يدعوهم في الدنيا ليؤمنوا به ويطيعوه ويؤدوا ما عليهم من طاعة وعبادة. . . ولهم في هذه الآخرة التي هم واقفون فيها جنات النعيم، ولقد عقد اللّه سبحانه لهم هذه المقارنة في كتابِهِ الكريم عَلّهم ينتبهون ويدركون عظيم فعلهم وشركهم ونتائجه المرعبة التي أدركوها الآن في هذا الموقف.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

لقد أعطاهم اللّه سبحانه في الدنيا حرية العمل والاعتقاد، وبهذه الحرية ظنوا أن اللّه سبحانه غافل عنهم وعن كفرهم وأفعالهم ـ تمادَوا على اللّه سبحانه وعلى رسوله فكذبوهما. .

وكذبوا كل دعوة تدعو إلى اللّه سبحانه. . نعم كانت لهم الحرية في الدنيا فاختاروا الكفر. . ولا حرية لهم اليوم، فالأمر اليوم للّه سبحانه وحده دون أي أحد من خلقه ـ ففي القرآن الكريم أعطاهم اللّه سبحانه حرية الاعتقاد فمن شاء منهم آمن ومن شاء منهم كفر، ولكن توعد كل مَنْ يختار الكفر جهنم خالدين فيها أبداً. . . كما وعد الذين يختارون الإيمان جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. .

فاللَّه سبحانه بيّن وأعطىٰ وأظهر للناس أجمعين ما يكون وما سيكون، ولا حجة لأحد عند اللَّه سبحانه ولا يحق لقوم أن يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين.

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ٢٩ ـ ٣١]

هذا هو الحق من اللَّه سبحانه ـ لكم المشيئة.. ولكن للذين يختارون الكفر هذه النار خالدين فيها، وللذين يؤمنون هذه الجنات خالدين فيها.

دعوة الرسل أجمعين لسؤالهم عن تبليغ رسالات اللَّه إلى أقوامهم

ما أعظم عدل اللَّه وحكمته وإظهاره للحق المطلق يوم القيامة؟

إن أول من يدعوه اللَّه سبحانه للوقوف بين يديه (آدمُ) أبو البشر، فمنه كانت هذه الأقوام المحتشدة فهي ذريته، ليكون شاهداً عليهم جميعاً، وليعلم أن اللَّه سبحانه هو الحق وحسابه حق وميزانه حق وحكمه حق، واللَّه سبحانه لن يظلم أحداً من ذريته عند حسابهم.

. . . فإذا ما انتهى سؤال اللَّه تعالى لآدم بإخراج أي تعيين بعث النار (أصحابها وأهلها ومستحقيها) . . . ينادي اللَّه سبحانه الرسل فيدعوهم جميعاً للمثول بين يديه دون استثناء أحد منهم، ثم تكون المحاورة بين اللَّه سبحانه ورسله ليشهد الخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم سؤال اللَّه تعالى لرسله عن تبليغهم رسالات اللَّه وكتبه التي أرسلها لهذه الأقوام . . .

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١٠٩]

هذه الآية تأكيد من اللَّه سبحانه أن أول السؤال والحساب

سيكون للرسل جميعاً على مرأى ومسمع من أقوامهم.. ولا يخلو قوم من رسول شاهد عليهم وأنه أبلغهم رسالة ربه... ذلك أن اللّه سبحانه يقول في القرآن الكريم: إنه ليس من أمة إلا جاءها رسول أو نبي نذير من اللّه سبحانه في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٢٣]

... ويكون السؤال من اللّه سبحانه على صورة جماعية للأنبياء جميعاً.. فليس السؤال في البداية موجهاً إلى نوح عليه السلام أو إبراهيم عليه السلام... وإنما السؤال عام لجميع الأنبياء والمرسلين..

في هذا السؤال.. يكون الموقف عظيماً فهم بين يدي جبار السموات والأرض مالك الملك.. هم ليسوا في الدنيا.. هم في الآخرة وقد عاينوا ما أصاب الأمم في الموقف الطويل.. وشاهدوا عظمة اللّه سبحانه.. وشاهدوا بأعينهم الملائكة العظام والذين ما بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه مسيرة سبعمائة عام، كما ورد في الحديث المتقدم.. كلهم خاشعون للّه سبحانه لا يرجون إلا رحمته.. لقد شاهدوا أممهم كيف تجثو على ركبها وقد امتلأت قلوبهم خشية ورهبة وهلعاً، كلهم يسعى للنجاة بنفسه.. في هذا الموقف الرهيب الجليل بين يدي خالق الخلق ومالك يوم الدين.. تضيع الإجابة من ألسنة الرسل جميعاً... ربما لقليل من الوقت أو بعض الوقت أو كثير من الوقت.. فيرجعون الإجابة إلى اللّه سبحانه فهو مالك الملك وعلام الغيوب

وهو أعلم منهم بأقوامهم وبماذا أجابوهم.. إنه موقف الرهبة والخشية من ذي الجلال والإكرام.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية العظيمة في هذا الموطن العظيم يوم القيامة:

هذا إخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة عما أجيبوا به من أممهم الذين أرسلوا إليهم.

كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. وأما قول الرسل ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾... فقد قال مجاهد والحسن البصري والسدي: إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم.

وقال الأعمش عن مجاهد: يفزعون فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ثم نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على أقوامهم، وقال ابن عباس: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ يقولون للرب عز وجل: لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا، رواه ابن جرير واختاره على هذه الأقوال، ولا شك أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله: أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء[(١)].

وإذا كانت هذه الآية الكريمة تبيِّن أن الرسل في هذا الموطن لم يجيبوا الله سبحانه خشية ورهبة.. فإن هذه الآية لا تتعارض مع الآيات السابقة التي تثبت جواب الرسل حيث يسألهم الله تعالى عن أممهم وتثبت شهادة الرسل على أممهم، ولدفع التعارض فإن يوم القيامة

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٥٦.

مواقفه كثيرة لكل موقف خاصية وشأن يختلف عن غيره من المواقف.

. . . ولقد أقسم اللَّه سبحانه في كتابه الكريم بأنه سيسأل جميع الرسل وسيسأل الخلق أجمعين.

يقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣]

وكذلك فإن اللَّه سبحانه بيَّن في آية أخرى أنه سيسأل المرسلين . . سيسأل المرسلين عن أمانة الرسالة التي بعثهم بها إلى أقوامهم، ليقيم الحجة على تلك الأقوام، ويبيِّن اللَّه عدله وحكمه أنه لا يعذب أحداً إلا إذا أرسل إليهم رسولاً ينذرهم لقاء يومهم هذا.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

وفي آية أخرى يبيِّن أنه ما من أمة أو قوم إلا جاءهم رسول ونذير. يقول تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٢٣]

وعلى هذا فإن جميع الأمم محاسبة ومسؤولة، واللَّه سبحانه أعلم حيث أرسل لجميع خلقه رسلاً تهديهم وتنذرهم يوم الآزفة يوم لقاء اللَّه سبحانه والعرض عليه وأنهم ورسلهم مسؤولون. يقول تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۞ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٦ ـ ٩]

وجاءت السنة الشريفة تبيِّن تفصيلاً كيف يُدعى الأنبياء والرسل للسؤال بين يدي اللَّه سبحانه.

ـ وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا حمزة بن العباس، حدثنا عبد اللَّه بن عثمان، أنبانا ابن المبارك، أنبانا رشدين بن سعد، أخبرني ابن أنعم المعافري، عن حيان بن أبي جبلة، بسنده إلى النبي ﷺ قال: «**إذا جمع اللَّه عباده يوم القيامة كان أول من يُدعى إسرافيل، فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلَّغت عهدي؟ فيقول: نعم يا رب، قد بلَّغته جبريل، فيقال له: هل بلَّغك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلَّغت الرسل، فيدعى الرسل، فيقول لهم: هل بلَّغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيخلى عن جبريل.**

ويقال للرسل: ما فعلتم بعهدي؟ فيقولون: بلّغنا أممنا، فتدعى الأمم، فيقال لهم: هل بلَّغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المكذب ومنهم المصدق، فيقول الرسل: إن لنا شهوداً يشهدون أن قد بلَّغنا مع شهادتك، فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمة محمد ﷺ.

فيقال لهم: أتشهدون أن رسلي هؤلاء قد بلّغوا عهدي إلى من أرسلوا إليهم؟ فيقولون: نعم، ربنا شهدنا أن قد بلَّغوا، فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول لهم الرب تعالى: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا، بعثت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقضيت علينا أنهم قد بلَّغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب: صدقوا.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١)».

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، قال: فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته».

وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

قال: والوسط: العدل، قال رسول الله ﷺ:

«فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم»(٢).

وقد رواه الإمام أحمد بلفظ أعمَّ من هذا فقال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه، فيقول لهم: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلَّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟**

---

(١) رواه ابن مبارك في الزهد(١٥٩٨) وابن جرير في تفسيره(٢/ ١٠) وفي الدر المنثور(١/ ٣٥١).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٤٨٧) والترمذي برقم (٢٩٦١) والنسائي.

فيقولون: جاءنا نبينا وأخبرنا: أن الرسل قد بلّغوا قال:

فذلك قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[1] ».

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

وفي حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة أن رسول اللّه ﷺ قال: : « **أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على اللّه سبحانه وتعالى** »[2] .

(١) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٥٨ وابن ماجه برقم٤٢٨٤.

(٢) رواه ابن ماجه برقم ٤٢٨٧.

سؤال عيسى ابن مريم عليه السلام وتبرُّؤه ممن اتخذه وأمه إلهين من دون اللَّه

. . . إن من أحد المواقف العصيبة يوم القيامة وفيه رهبة وخشية أن يأتي اللَّه سبحانه بعيسى ابن مريم لسؤاله عن اتخاذ الناس له ولأمه إلٰهين من دون اللَّه سبحانه. . . وكل من اتخذ عيسى ابن مريم وأمه إلٰهين من الخلائق، يشهد وقوف عيسى ابن مريم بين يدي اللَّه ويسمع سؤال ربه إليه، فالوقوف والسؤال على مرأى ومسمع من الخلائق جميعاً. . وأخصُّ أولئك الذين كفروا بربهم وأبوا إلا أن يتخذوا عيسى ابن مريم إلٰها أو ابن الإلٰه ولم يسمعوا كلام اللَّه سبحانه، وعصوا واستكبروا وعملوا ما استطاعوا في تقويض دين الإسلام الذي يفند دعواهم ويثبت بالآيات الكريمة والحجج العقلية بطلان ما يقولون. . . فالأمر مهم إذ يتجاوز عدد الذين اتخذوا عيسى ابن مريم إلٰهاً بالمليارات، فإحباط معتقدهم يوم القيامة وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم على مرأى ومسمع من سؤال ربه له وجوابه لربه. . . إنما هو تبكيت لهؤلاء الكفار وتأنيب وحسرات تغمر أفئدتهم وندم يعتصر نفوسهم حتى إنهم ليتمنون في تلك اللحظات العصيبة في معرفة الحق وبطلان كفرهم أن تسوى بهم الأرض.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ

عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

[سورة المائدة، الآيات: ١١٦ ـ ١١٨]

يقول عيسى عليه السلام: يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي، يا رب لا يخفى عليك شيء يا رب ما أمرتهم إلا بما أرسلتني به: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، وكنتُ شهيداً عليهم مدة مكثي بينهم وأنا يا رب بريء مما أحدثوا من بعدي والأمر بيدك يا رب فافعل بهم ما تشاء.

فمع عظم مقام عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى أمه السلام عند اللَّه جل ثناؤه، إلا أنّه أعظم جُرم قومه وقولَهم هذه الكلمة العظيمة من حيث اعتقادهم بأن عيسى ابن اللَّه، تعالى اللَّه عما يقولون علواً كبيراً فإن إخلالهم بالتوحيد جعلهم من شفاعته عليه السلام محرومين ومن رحمة اللَّه تعالى مطرودين.

قال اللَّه تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ١١٩]

يقول تعالى مجيباً رسوله عيسى عليه السلام: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ أي الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين، بما يكون لهم من ثواب في جنان الخلد التي تجري من تحتها الأنهار ورضوان من اللَّه أكبر وذلك هو الفوز العظيم.

دعوة الأمم
وسؤالهم مجتمعين أمة أمة

أول السؤال من اللَّه سبحانه للخلائق وهم مجتمعون في صعيد واحد لا تخفى على اللَّه منهم خافية ـ عن التوحيد وعن شهادة (أن لا إلٰه إلا اللَّه) فيناديهم اللَّه بنداء يسمعه الخلائق جميعاً بلغة يفهمها جميع الخلق فيسألهم عن الإيمان باللَّه وبأنبيائهم المرسلين إليهم.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٦]

وهذا سؤال عام ليس لأمة مخصوصة... أجيبوني ماذا فعلتم بأنبيائكم الذين أرسلتهم إليكم؟ وهل أجبتم دعوتهم؟: «**واللَّه سبحانه يعلم ما فعلت تلك الأقوام بأنبيائها**».

والقرآن الكريم بيَّن لنا مواقف تلك الأمم الكافرة مع أنبيائها... فلا يلقى اللَّه سبحانه جواباً، لأن الأخبار والأعذار عميت عنهم فهم لا يجيبون، ولا يحتجون، ولا يسأل أحدهم الآخر لعله يلقنه الجواب، بل أغلق عليهم كل باب، وفي داخلهم حسرة تقطّع أوصالهم ندماً على ما فرطوا في جنب اللَّه سبحانه، إلا أمة محمد ﷺ أمة التوحيد وشهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه... وهذا الموقف يشبه إلى حد ما موقف الكافر في قبره عندما يأتيه الملكان فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه...

فأما المؤمن فيثبته اللّه سبحانه بالقول الثابت، ثم يقول: ربي اللّه وأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، وأما الكافر فيقول كما جاء في الحديث الذي ذكرناه في الجزء الثالث (الموت وعالم البرزخ): هاه هاه لا أدري، ولهذا يأتي الكافر يوم القيامة ولا جواب له حيث يسأل.

وعن هذا الموقف تكلم اللّه سبحانه فقال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٢]

والمراد في الآية الكريمة عمى البصيرة حيث لا يرى الكافر في دنياه دلائل وجود اللّه وقدرته ووحدانيته، حيث عميت قلوبهم عن الحق وأن اللّه حق وأن الآخرة حق.

يقول تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٤٦]

فمن كان أعمى البصيرة في الدنيا فهو في الآخرة أشد عمى.. لذلك لا تستطيع جميع الأمم (إلا أمة محمد ﷺ) ومن آمن من تلك الأمم أن تجيب ربها على سؤاله لها ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وهذا الموقف من المواطن الرهيبة التي تكون فيها الخلائق بموقف الاعتراف، وما أشد الألم على النفس في مثل هذه المواقف حيث يسلب الناس قدراتهم، وتفقد ألسنتهم القدرة على الكلام والجواب بقدرة قادر وحول عليم كما وعد في كتابه العزيز: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾. قال تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ

ﵟٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَﵞ.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٧، ٨]

وفي هذه الآية الكريمة تأكيد من اللَّه سبحانه (والنون للتوكيد) أنه سيسأل الذين أرسل إليهم أي (الأمم) كما يسأل المرسلين عن رسالاتهم، فاللَّه سبحانه سيخبرهم جميعاً يوم القيامة عن مواقفهم، فليس اللَّه بغافل عنهم أو كان غائباً، بل شاهداً عليهم يوم يجمعهم ليوم القيامة.. وفي هذا الإخبار من اللَّه تعالى عما يجريه من السؤال على تلك الأمم... تنبيه للعباد حتى يستعدوا للجواب، ذلك أن اللَّه سبحانه سوف يسأل الأمم عن مواقفها مع رسلها، وهل استجابوا لدعوتهم أم لا؟ وهل أطاعوا الرسل وآمنوا برسالتهم؟ ثم كيف كان حالهم مع رسلهم، وأعظم السؤال وأوله كما قلت عن شهادة التوحيد لأنه لا يعلوها شيء من عمل أو قول أو فعل يوم القيامة، فعلى شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه ترتكز كل الأحداث والأفعال والأعمال يوم القيامة..

عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تسألون عن: لا إلٰه إلا اللَّه**»[1].

وقال تعالى مقسماً أنه سيسأل الخلق أجمعين عما كانوا يعملون: ﵟفَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَﵞ.

[سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣]

فهذا القسم من اللَّه تأكيد آخر وشاهد حق على سؤال الناس أجمعين في هذا الموطن العظيم.

---

(١) رواه الترمذي وأبو يعلى الموصلي وابن جرير، وأخرجه البخاري في تاريخه من وجه آخر عن أنس مرفوعاً.

في خطبته ﷺ ـ وفي خطبة الوداع قال رسول اللّه ﷺ:

« أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم فاعلون؟ » قالوا كلهم: نشهد يا رسول اللَّه أنك بلغت وأديت ونصحت. فقال ﷺ: **« ألا هل بلَّغت، اللَّهم فاشهد »**.

ونقول: إنه لا شك أن الرسل قد بلَّغوا رسالات ربهم، وأدوا واجبهم على أكمل الوجوه، ونصحوا الأمة أفضل نصح، واللَّه سبحانه يعلم ذلك كله.. وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا في قصص القرآن الكريم حالة الأقوام مع رسلهم كقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم تبع وقوم فرعون...

ولكن... في هذا السؤال عدلٌ مطلق من اللَّه سبحانه، ثم الإتيان بالجواب فيما بعد عند المحاجة والتخاصم والشهادة ثم إقامة الحجة على المنكرين والمكذبين للمرسلين، وإعلانٌ للملأ الكبير هناك أنه لا عذر لمعتذر، ولا حجة لمنكر، لأن الرسالات السماوية بلَّغها الرسل وأقاموا الحجج والبراهين على حقيقتها وصدقها.

وفي هذا الموطن موطن السؤال وتقرير الأمم مجتمعة ـ تشهد الرسل أنهم قد بلّغوا أممهم البلاغ الحق كما أمر سبحانه، وما تهاونوا وما استكانوا في دعوتهم لتوحيد اللَّه سبحانه والعمل الصالح وتنبيههم وإنذارهم إلى أنهم مجموعون ليوم القيامة لا ريب فيه...

شهادة اللَّه سبحانه على الأمم أعظم الشهادات

اللَّه سبحانه ليس بحاجة إلى شهادة أُمّة أو فرد يوم القيامة فهو العليم الذي لا تخفى عليه خافية لا في السماء ولا في الأرض.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

فالذي لا يخفى عليهِ مثقال ذرة، أيخفى عليه ما فعلته تلك الأقوام برسلهم جماعات وأفراداً وهو الذي يعلم ما توسوس به النفس؟

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٦]

ولكن اللَّه سبحانه وهو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين يظهر حقيقة كمال عدله بالشهود حتى لا تكون لنفس حجة يوم القيامة... ومن قبل شهادة أمة محمد ﷺ على الأمم، فقد جعل اللَّه الشهداء كثيرين على الأمم وعلى الأفراد، فاللَّه سبحانه شاهد، والملائكة شهود، والصحف شهود، والأعضاء شهود، والمكان والزمان شاهدان

أيضاً . . فقد تعددت الشهادات يوم القيامة لبيان عدل الله في حكمه

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ١٧]

ويقول تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

[سورة الفتح، الآية: ٢٨]

ويقول سبحانه : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٤٣]

ويقول أيضاً : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾ .

[سورة يونس، الآيتان: ٢٨، ٢٩]

هذه الآيات الكريمة تثبت أن اللَّه سبحانه هو الشهيد على خلقه وهو الحَكَم عليهم، ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر فهو الشاهد، والحكم بين الفرقاء والخصماء، والأمم والأفراد، ونعم باللَّه حكماً وشهيداً، الذي لا تظلم عنده نفس شيئاً ولو مثقالَ حبة من خردل.

الشهادة يوم القيامة وإكرام أمة محمد ﷺ بشهادتهم على جميع الأمم

إكراماً لهذه الأمة المحمدية، جعلها اللّه سبحانه شهوداً على الأقوام جميعاً مع أنها آخر الأمم، وما ذلك إلا لأن اللّه سبحانه يعلم صحة إيمان هذه الأمة وأنهم لم يحرفوا كتاب اللّه القرآن الكريم فهو كما نزل باق إلى يوم القيامة.. واللّه سبحانه ذكر فيه قصص الأنبياء والأقوام الذين أُرسل إليهم بالتفصيل، وموقف كل أمة مع رسولهم.. وصدق اللّه ومن أصدق من اللّه حديثاً، فإذا شهدت أمة محمد ﷺ وأخبرته بما فعلوا فهذا قوله الحق، في كتابه الحق، فكيف لا يكون حقاً وتكون شهادتهم عند ربهم مقبولة لا باطل فيها، وهم يشهدون بما أخبرهم سبحانه في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

وسطاً: عدلاً أي أمة عدولاً. تعدلون في شهادتكم ولا يأخذكم الباطل فيها، وقبول اللّه سبحانه شهادة أمة محمد ﷺ على الأمم إكرام لها، ذلك أن رسول اللّه ﷺ شهد لأمته باتّباعه، وأنها كانت أمة عدلاً

مؤمنة وصادقة، ولقد أكّد رسول اللّه ﷺ شهادة أمته على باقي الأمم يوم القيامة وأنه سيكون عليهم شهيداً. . . فأي تكريم وتعظيم لهذا النبي فهو حامل لواء الحق والشفاعة والشاهد على الأمم وعلى أمته وصاحب المقام المحمود.

ـ عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، قال: فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته».

وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

[رواه أحمد (٣/ ٣٢) والبخاري ٤٤٨٧ والترمذي ٢٩٦١والنسائي]

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتسأل أمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فيجاء بكم فتشهدون»، ثم قرأ رسول اللّه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

[رواه البخاري]

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلّغوا فذلك قوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: يقول: عدولاً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

[رواه أحمد وصحّحه الألباني]

ـ عن حبان بن أبي جبلة، بسنده إلى النبي ﷺ :

« **إذا جمع اللّه عباده يوم القيامة كان أول من يدعى إسرافيل، فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلَّغت عهدي؟ فيقول: نعم يا رب، قد بلَّغته جبريل، فيقال له: هل بلّغك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلَّغت الرسل فيُدْعون، فيقول لهم: هل بلّغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيُخلى عن جبريل.**

ويقال للرسل: ما فعلتم بعهدي؟ فيقولون: بلّغنا أممنا، فتدعى الأمم، فيقال لهم: هل بلّغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المكذب، ومنهم المصدق، فيقول الرسل: إن لنا شهوداً يشهدون أن قد بلَّغنا مع شهادتك، فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمة محمد ﷺ، فيقال لهم: أتشهدون أن رسلي هؤلاء قد بلَّغوا عهدي إلىٰ من أرسلوا إليهم؟ فيقولون: نعم، ربنا شهدنا أن قد بلّغوا، فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول لهم الرب تعالى: كيف تشهدون علىٰ من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا، بعثت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا عهدك، وكتابك، وقضيت علينا أنهم قد بلَّغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب: صدقوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ » .(١)

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ١٥٩٨ وابن جرير في تفسيره ٢/ ١٠، والسيوطي في الدر المنثور ١ / ٣٥١.

ومن تعظيم اللّه سبحانه لهذه الأمة المحمدية أن يجعلها عند شهادتها تقف على كوم مرتفع تشرف فيه على الخلائق عند شهادتها ليسمعها جميع الخلائق، وليعلموا من هي هذه الأمة التي أعزَّها اللّه سبحانه في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة.

عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، وما من أحد من الناس إلا ودّ أنه منّا، وما من نبي كذّبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلَّغ رسالة ربه عزّ وجلّ** ».

[رواه ابن أبي حاتِم وابن مردويه.. انظر تفسير ابن كثير]

حقاً إن هذا المنصب لشريف ورفيع في يوم تجثو الأمم على ركبها تنتظر أمر ربها، وهذا ما سأله المؤمنون ربهم كما في كتاب اللّه تعالى.

يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٨٣]

قال ابن عباس رضي اللّه عنهما في هذه الآية: أي اكتبنا مع محمد ﷺ وهم الشاهدون الذين يشهدون لنبيهم أنه قد بلّغ، ويشهدون للرسل أنهم قد بلّغوا.

[رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه.. انظر تفسير ابن كثير]

والشهادة ذات مدلول قوي وفاعل لذلك نجد في القرآن الكريم بياناً في كثير من الآيات الكريمة، فإذا كانت تخص المؤمنين على العموم (أمة محمد ﷺ) كذلك تخص المؤمنين الذين آمنوا مع رسلهم واستجابوا لدعوة اللّه سبحانه..وقد ضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً في

ذلك حواريّ عيسى ابن مريم عليه السلام الذين سألوا اللّه سبحانه أن يكتبهم مع الشاهدين.

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ٥٢، ٥٣]

فكل المؤمنين الذين آمنوا باللّه وبرسلهم وصدقوهم وتبعوهم هم من الشهداء يوم القيامة، ويعزّهم اللّه سبحانه كما يعزّ أمة محمد، وما كان اللّه ليضيع إيمانهم جميعاً.

شهادة الرسل
على أقوامهم وأممهم

وهي الشهادة العظمى والكبرى، والرسل أولى بالشهادة الحق على أممهم، فاللّه سبحانه هو الذي ارتضاهم واختارهم وخصهم وجعلهم مرسلين بين اللّه وخلقه أجمعين، فهم أولى بالشهادة وأصدق بها من جميع خلقه... وقد بيَّن اللّه سبحانه واقع تلك الشهادات في كتابه الكريم.

يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.

[سورة النساء، الآيتان: ٤١، ٤٢]

إن من أعظم المواقف أن يشهد على فعلك السيئ والمنكر شاهد يدينك أمام القضاء وأمام الناس.. فكيف إذا كانت الشهادة أمام اللّه سبحانه، وأمام مليارات من الخلق وكلهم يسمعون هذه الشهادة التي تدين الأمم الكافرة بكفرهم وشركهم وضلالهم... هؤلاء يتمنون أن يتحولوا إلى تراب الأرض وأن يُمحقوا أو تسوّى بهم الأرض فيختلطوا معها، ولا يقفون هذا الموقف الذي يدينهم بكفرهم أمام هذا الإله العظيم، الذي يستشعرون عظمته وقوته وقدرته بهذا الموقف.

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا

بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٨٩]

هذه الشهادة عدل مطلق من اللّه، إذ يبعث في كل أمة شهيداً من أنفسهم ليكون حجة قاطعة عليهم، فكل نبي أعلم بقومه وما فعلوه معه ومع رسالة ربه، فأقوى الشهادات شهادة صاحب البيت على أهله، وزيادة في قوة الشهادة جعل شهادته أربع شهادات في الدنيا فما بالك في الآخرة؟

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٨٤]

فلا يؤذن لهم، أي للكافرين في اعتذار، ولا حجة، ولا يقبل اعتذارهم بل هم أذلاء، شاخصة أبصارهم يدعون على أنفسهم بالويل والثبور.

عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(«**اقرأ عليَّ القرآن**» قلت: يا رسول اللّه، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «**نعم، فإني أحب أن أسمعه من غيري**» قال ابن مسعود: فقرأت سورة النساء حتى انتهيت إلى هذه الآية: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ** ﴾ ـ الآيةَ...

فقال ﷺ: «**حسبك الآن**» فإذا عيناه تذرفان... أي تدمعان)[(١)].

قال العلامة النسفي في تفسير هذا الحديث الشريف: أي شاهداً على من آمن بالإيمان، وعلى من كفر بالكفر، وعلى من نافق بالنفاق.

---

(١) رواه البخاري والترمذي.

دعوة الشركاء الذين زعم الكافرون أنهم شركاء لله سبحانه وتعالى عما يشركون

لقد كان الجدال قوياً في الحياة الدنيا بين الأنبياء وأقوامهم، حيث إنهم كانوا يدّعون أن لله شريكاً أو شركاء أو أبناء، سبحانه وتعالى عما يشركون أو أن آلهتهم التي يعبدونها هي الإله ولا إله سواها... وكان الجدل بين الأنبياء والأقوام المشركة يصل درجة العقم فلا تنفع معهم هداية، ولا إرشاد، ولا نصح، ولا بيان عقلي، والآيات في هذا الخصوص كثيرة جداً في القرآن الكريم حول الشرك والشركاء والكفر والكافرين.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

[سورة التوبة، الآيتان: ٣٠، ٣١]

ويقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآيتان: ٥، ٦]

ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ١٠٠]

وكثيرة هي الآيات الكريمة التي بيَّن اللّه سبحانه فيها كفر وشرك الكافرين والمشركين، فإذا جاء وعد الآخرة واجتمع الناس أمماً أمماً، جاثية على ركبها زيادة في الذل والمهانة، نادى اللّه سبحانه المشركين والكافرين أن يدعوا، في هذا الحشد العظيم الذين كانوا يعبدونهم ويشركون بهم ويتخذونهم أنداداً للّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥]

عندما يرى الذين أشركوا عذاب اللّه يوم القيامة ببصائرهم التي أعموها في الدنيا عن رؤية الحق. . . يناديهم ربهم: أن هاتوا شركاءكم الذين زعمتم، يقول تعالى موضحاً ما سيكون يوم القيامة، وكيف يدعوهم ليدعوا شركاءهم الذين عبدوهم في الدنيا وفضّلوهم على اللّه سبحانه. . كي ينقذوهم مما هم فيه من العذاب والهوان.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ

وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾.

[سورة يونس، الآيتان: ٢٨، ٢٩]

وفي هذه الآيات الكريمة يتبرأ الذين اتخذهم المشركون آلهة من دون اللّه، ويقسمون ويشهدون اللّه سبحانه أنهم كانوا عن عبادة هؤلاء المشركين لغافلين.. ذلك أن المشركين كانوا يعبدون ما يرثون عن آبائهم دون أدنى تفكير أو مراجعة.. وكل نبي إذا ما خاطبهم كانوا يقولون: إنا وجدنا آباءنا على ذلك، ونحن لِما كان يعبد آباؤنا عابدون، بل كانوا يهددون أنبياءهم بالقتل إذا حاولوا منعهم عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم.. ذلك أن المعبود الذي كانوا يعبدونه من دون اللّه من التماثيل والأصنام لها أصل وجدوى في الحياة الدنيا وكانوا رجالاً صالحين، يقول ابن كثير وابن جرير في تفسير سورة نوح:

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾.

[سورة نوح، الآية: ٢٣]

ويقول ابن جرير عن محمد بن قيس: (ويغوث ويعوق ونَسراً) قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق إلى العبادة فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم... فهؤلاء يتبرؤون من عبادة هؤلاء المشركين لهم، فهم صالحون في أنفسهم، وغافلون عما حدث بعدهم واللّه أعلم بذلك.

. . . ثم يأمرهم اللَّه سبحانه أن يدعوا آلهتهم مراراً زيادة في الحسرة والألم والندم.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾.

[سورة القصص، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]

فاقرأ آخر الآيات ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾. ما أعظم اللَّه وما أرحمه بعباده فاللَّه لا يريد لعباده إلا الخير والهداية. . . هؤلاء الذين أشركوا وعاندوا وماتوا على شركهم يقول عنهم اللَّه سبحانه: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾. لما نالهم من العذاب ما نالهم ولا كانوا في نار جهنم خالدين، ولكنهم اختاروا بحريتهم وإرادتهم الكفر والشرك على الإيمان، وهكذا في كل موقف يزداد المشركون والكافرون والمنافقون والضالون عذاباً وألماً وحسرة تقطع أفئدتهم وتعصر نفوسهم وتهتك مهجهم.

براءة الملائكة من تُهَمَةِ التأليهِ من الأقوام المشركة والكافرة

لقد ادعى الكفار والمشركون في الدنيا أن الملائكة إناثٌ، وليسوا ذكوراً، وتوعدهم الله سبحانه أن شهادتهم هذه على الملائكة بأنهم إناثٌ ستكتب، ويسألون عنها يوم القيامة، ولقد اعتبر الله سبحانه هذه الشهادة على الملائكة بأنهم إناثٌ أمراً عظيماً لأنهم يقولون على الله ما لا يعلمون.

يقول تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٠]

ويقول تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ١٩]

ويقول سبحانه: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ * أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ * أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ١٤٩ ـ ١٥٣]

ويظهر إفك الذين ادعوا أن الله سبحانه جعل الملائكة إناثاً، يومَ

يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للكافرين والمشركين، فيتبيَّن لهم كذب ما ادعوا على اللَّه ظلماً وعدواناً، وأما عن تبرئة الملائكة حيث عبدهم الكافرون والمشركون من دون اللَّه سبحانه، حيث يبرئهم اللَّه سبحانه على مرأى ومسمع من الخلائق جميعاً، إن الملائكة لا ذنب لهم فيما اتخذه الكافرون في الدنيا، فتتبرأ الملائكة من المشركين ويبرئهم اللَّه سبحانه من هذه التهم الإنسانية لهم. . ذلك أن من الملائكة من كانوا رسلاً بين اللَّه سبحانه وبين عباده، وهناك الملائكة الذين خصهم سبحانه بالنزول إلى الأرض، حيث إن مع كل مخلوق في الدنيا ملكين عن اليمين وعن الشمال قعيد، فالملائكة لها اختلاط مع البشر في الأرض. . . وحتى ينالوا البراءة من اللَّه سبحانه فلا بد أن يكون هذا على مشهد من الخلق أجمعين.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

[سورة سبأ، الآيات: ٤٠ ـ ٤٢]

ولقد اتهم هؤلاء الكفار في الدنيا ربهم أنه لو شاء ما عبدوا الملائكة فهي إرادته، والعياذ باللَّه من هذا القول العظيم.

يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ١٩، ٢٠]

وفي تفسير ابن كثير عن الآيتين في سورة سبأ يقول:

إن اللَّه سبحانه يقرِّع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق

فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى اللّه زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾.

أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى في سورة الفرقان ﴿ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾. . . وهكذا تقول الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾.

أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إلٰه: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾: أي نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾.

يلعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم، ويقول في قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾: أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي ادّخرتم عبادتها لشدائدكم وكروبكم، فاليوم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً. . . وهكذا نجد أن الكافرين ينقلون من مرحلة إلى مرحلة ومن تقرير إلى تقرير، وهم يزدادون همًّا على همّ وألماً على ألم، وحسرة على حسرة، فلا شيء ينْصرهم، ولا حليف يدفع بنصرهم عنهم، ولا معتقداً اعتقدوه في الأرض كان سنداً لهم أو حجة لهم.

الاختصام يوم القيامة بين الجماعات والأمم في الكفر والحقوق

وهذا موقف آخر من مواقف العدل الإلٰهي المطلق.. فالحساب الفردي لا يبدأ حتى تأخذ الجماعات والأمم حقوقها ممن ظلمها، ويحكم اللّه سبحانه بينهم فيما اختلفوا فيه، وفيما سلبه بعضهم من بعض بغير حق، حتى لو كان السالب بغير حق من أمة محمد ﷺ والظالم بغير حق من أمة محمد ﷺ، ولا يدخل الجنة أحد ولا النار أحد حتى يأخذ كل ذي حق حقه أمماً وجماعاتٍ وأفراداً... فكم من شعوبٍ اعتدت على غيرها وسلبتها أرضها ومالها؟ وكم من الأمم خاضت حروباً ظالمة راح ضحيتها ملايين القتلى ظلماً وعدواناً؟... والحاكم يومئذ أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، حيث لا تظلم عنده أمة ولا جماعة ولا فرد، ميزانه الحق، وحكمه الحق، وقوله الحق، ألم يقل اللّه في محكم كتابه في أكثر من آية، إنه الحكم العدل فيما كانوا فيه يختلفون كجماعات وأمم وأفرادٍ.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٣]

إذاً هناك حكم عام بين الأمم المتخاصمة والتي أصرت كل واحدة منها على موقفها سواء أكان باطلاً أم حقاً. . هنا يحكم اللّه سبحانه بين تلك الأمم التي أمضت وقتاً طويلاً في نزاعها واختلافها والتي ربما أدت إلى وقوع حروب ظالمة أو عادلة قتل فيها ظلماً العشرات والمئات والآلاف والملايين. . فلا بد أن يقتص اللّه سبحانه من الأمم الظالمة ويأخذ حق الأمم المظلومة مهما كان انتماؤها العَقَدي، ثم تحاسب كل أمة بعد ذلك على الكفر والشرك والعصيان والطغيان أو الإيمان. . . كذلك يكون العدل بين المتنازعين والمختلفين حتى لو كانوا على الإيمان والإسلام، فهذا لا ينفي ظلم بعض الفئات أو اعتداء بعض الفئات المؤمنة على فئات مؤمنة أخرى، تكون بينهما مقتلة عظيمة، والتاريخ مليء بمثل هذه الحوادث التي راح ضحيتها آلاف المسلمين وكل فئة تدعي أنها كانت على حق.

يقول تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

[سورة الحجرات، الآية: ٩]

واللّه سبحانه يعلم أنه ستكون فُرقة واختلاف وعصيان وحرب وقتل وسفك بين المسلمين. . ولكن هذا كله سيكون يوم القيامة في ميزان العدل الإلٰهي الذي لا يظلم عنده أحد، ولو كان مقدار مثقال ذرة، وفي القرآن الكريم شواهدُ على تلك المواقف بين الأمم والجماعات. . إذ يَعِدُ اللّه سبحانه بحسابهم جميعاً، أَخَّرَ عليهم الحساب والحكم في الدنيا إلى يوم القيامة لكلمة سبقت من ربك لهذا

التأجيل ولولا هذه الكلمة التي سبقت لحكم اللّه سبحانه بين المتخاصمين في الدنيا وقضى بينهم.

يقول تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٥]

وهذه الآية بلغة الجمع والحساب سيكون جمعاً أي يسمى كل الأحزاب المختلفون ظالمين بل ويل للذين ظلموا منهم على ظلمهم واعتدائهم.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٤]

ويقول تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٤١]

ويقول سبحانه: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٨٧]

ويقول أيضاً:

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ٥٦، ٥٧]

ثم يقع الخصام بين تلك الأمم والجماعات والقبيلة من القوم والفئات من الناس حتى يكون الخصام بين اثنين فقط... وهذا هو الحق، أن يبدأ اللَّه سبحانه بحساب الأمم ليقضي للظالم فيها من المظلوم، ويأخذ كل مظلوم من الأمة الظالمة حقه ثم يتدرج الحساب إلى الفئات الأصغر حتى ينتهي ما يكون بين اثنين من خصام وجدال وظلم في الدنيا، فيأخذ اللَّه سبحانه للفرد المظلوم من الفرد الظالم حقه ولو كان مقدار حبة من خردل.

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآيتان ٣١، ٣٢]

يقول ابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة: يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال والضعيف المستكبر، ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: أي إنكم ستنتقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند اللَّه تعالى في الدار الآخرة، تختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي اللَّه عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين، ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعيْن في الدنيا حيث تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة.

ومن صور الاختصام والمجادلة يوم القيامة بين العباد الظالم

والمظلوم والمؤمن والكافر. . وبمن كانوا تبعاً لأسيادهم في الكفر والشرك، فتتسع المجادلة العنيفة بينهم: إنه لولا أنتم أيها الأسياد الذين أجبرتمونا على الكفر ما كنَّا كافرين، فيرد عليهم أسيادهم: بل أنتم مجرمون، كفرتم بحريتكم ورأيكم. . وهكذا يسمح اللّه سبحانه بالاختصام والمجادلة ليعلموا أخيراً أن اللّه سبحانه ليس بظلام للعبيد. . وكلهم يستغيث باللّه أن يحكم بينهم عندما يزداد الاختصام والجدل وكل يتهم الآخرَ بالظلم والاعتداء.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة سبأ، الآيات: ٣١ ـ ٣٣]

وقال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة ق، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة البقرة، الآيات: ١٦٥ ـ ١٦٧]

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

وهكذا نجد أن اللّه سبحانه وفي محكمته العادلة يسمح للخصوم بالمرافعة والمجادلة والقول بما لديهم.. فاللّه سبحانه يسمع اختصامهم، وبيان كل مختصم حجته، ولكن اللّه سبحانه والذي لا تخفى عليه خافية أعلم بالظالم وأعلم بالمظلوم.. فإذا ما أنهى المتخاصمون خصامهم يكون الحكم للّه بعدها، ويبيّن للظالم ظلمه ويبيّن ما يخفيه من الحق، ولا بد في هذا الموقف أن يعترف الظالم بظلمه إذ لا سبيل له في نهاية الاختصام إلا بالاعتراف بظلمه واعتدائه، لأنه يعلم رغم دفاعه عن نفسه بالباطل أن اللّه سبحانه لا يمكن أن ينصره على باطله، وأن اللّه سبحانه لا ينتصر إلا للحق... ولكن الظالم والكافر يحاول ما يستطيع أن يدافع عن نفسه علّه أن يخلص مما ينتظره من عذاب أليم مرير مهين.

وفي السنة الشريفة بيان من رسول اللّه ﷺ لمثل هذه المواقف من الاختصام بين الخلائق أمماً وجماعاتٍ وأفراداً.

عن عبد اللّه بن الزبير عن أبيه الزبير رضي اللّه عنهما قال: (لما نزلت هذه السورة على رسول اللّه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ . قال الزبير رضي اللّه عنه: أي رسولَ اللّه، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواطر الذنوب؟ فقال ﷺ: «**نعم ليكررن عليكم حتى يؤدَّىٰ إلى كل ذي حق حقه**» قال الزبير: واللّه إن الأمر لشديد).

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

وروى الإمام أحمد من حديث عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل، عن جابر ابن عبد اللّٰه: أنه اشترى راحلة، وسار إلى عبد اللّٰه بن أُنيس شهراً ليسمع منه حديثاً بلغه عنه، فلما سأله عنه، قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول:

«**يحشر الناس يوم القيامة، أو قال: العباد عراة غرلاً بُهماً**» قلنا: وما بُهْماً؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة**» قال: قلنا: وكيف وإنّا إنما نأتي اللّٰه بُهْماً؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ في الحديث الإلٰهي الطويل:

«**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد اللّٰه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه**»(٢)

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٣]

ومن دلائل عدل اللّٰه المطلق حديثُ رسولِ اللّٰه ﷺ، عن أبي سعيد رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنه يختصم حتى الشاتان فيم انتطحتا؟**».

[رواه الإمام أحمد في المسند]

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٦): رواه أحمد ورجاله وثقوا ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وعن أبي ذر رضي اللَّه عنه أنه قال: رأى رسول اللَّه ﷺ شاتين تنتطحان فقال: «**أتدري فيم انتطحتا يا أبا ذر؟**» قلت: لا، فقال ﷺ: «**لكن اللَّه يدري وسيحكم بينهما**».

إن دقة الحكم والعدل الإلٰهي أنه سيحكم بين الشاتين أو الوحشين أو الطيرين فيم اختصما ومن الذي اعتدى على الآخر... هذا لا يمكن أن يكون إلا من اللَّه سبحانه.. وهذه شهادة من رسول اللَّه ﷺ أن اللَّه سبحانه يعقد محكمته ويحاكم ما قل وما كثر وما كبر وما صغر، حتى لو كان قدر مثقال حبة من خردل، ليدرك الظالمون أنه سبحانه حكم عليهم بالحق بعد أن يروا كيف يحكم بين الأنعام ويأخذ حق الضعيفة من القوية التي اعتدت عليها وما ذلك إلا لإظهار العدل المطلق أمام الخلائق جميعاً، وليحمد اللَّه المؤمنون على عدله سبحانه وأنه لا تضيع عنده مثاقيل الذر من الخير، وليزداد الكافرون شقاء وحزناً حيث يتمنون أنفسهم أنعاماً ووحوشاً قضى بينهم ربهم بالعدل ثم حولهم إلىٰ تراب.. يتمنون أنفسهم تراباً... وقد سألهم اللَّه سبحانه في الدنيا الإيمان ليعيشوا معززين مكرمين في جنات اللَّه الخالدة. وكل ما قدمت من مواقف الاختصام إنما هي قبل محاسبة اللَّه سبحانه الأفراد، فتلك محاسبة الأمم واقتصاص اللَّه سبحانه الحقوق لتلك الأمم بعضها من بعض كما وعد في كتابه العزيز: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٣]

وحتى عندما يبدأ اللَّه سبحانه بمحاسبة عباده فرداً فرداً. فإن أول حساب هو القصاص ما بين الأفراد، فلا بد لكل فرد أن يأخذ حقه ممن ظلمه أو اعتدى عليه أو تكلم عنه، أو أكل ماله، أو شتمه،

أو ضربه، أو أذله، أو أهانه، إلى مئات الحقوق التي تكون بين العباد، وسيأتي هذا التفصيل في فِقرات قادمة إن شاء اللّه، لأن اللّه سبحانه ومن كمال عدله لا يحاسب الفرد على أعماله قبل أن ينظر فيما له من حقوق وما عليه من حقوق، فإذا ما اقتص اللّه سبحانه للعباد بعضهم من بعض حتى اللطمة والكلمة.. يقف العبد بين يديه منفرداً يحاسبه على أعماله وطاعته وعبادته وإيمانه وما فعل بجسده وماله وحياته وشبابه وهرمه ورعيته من الأولاد والزوجة، وبخله وكرمه وصدقاته إلى مئات الأعمال الصغيرة والكبيرة.

الاختصام بين الإنس والجن ومحاسبة الجن والشياطين

لقد تحدث اللَّه سبحانه عن عالم الجن والشياطين في كتابه الكريم وفي عشرات الآيات القرآنية الكريمة. . . إذ كانت الشياطين مادة امتحانية للبشر وبلاء عظيماً، والدخول في عالم الجن والشياطين يستوجب بحثاً مفصلاً يطول به المقام جداً[١].

ولكن ما يهمنا من أمر الجن والشياطين وعلاقتهما بالإنس في هذا الجزء من الموسوعة. . . أن اللَّه سبحانه بيَّن ومن فضل رحمته على العباد ماهية الجن وخلقهم وقدراتهم، وأنهم عالم قائم بذاته كما أن الإنس عالَم قائم بذاته، خلقوا من نار، منهم المؤمن، ومنهم الكافر، وهم الشياطين وأنهم يأكلون، ويشربون، ويتزوجون، مثل الإنس، وكذلك يتناسلون.

ولقد حذَّرنا اللَّه سبحانه وتعالى في عشرات الآيات القرآنية الكريمة من الشياطين وأنهم عدو للبشر على هذه الأرض، ونبَّهنا ألا نتخذهم أولياء، بل نتخذهم أعداء وأن لا نسمع لهم ولا لوسوستهم ولا لإغوائهم لأنه ليس منهم إلا الشر، ولا يدُلُّون إلا على طريق الشر ولا يدعون إلا إلى الكفر وإلى النار ومعصية اللَّه سبحانه، ولقد بدأت قصتهم منذ خلق اللَّه سبحانه آدم وأمر الملائكة أن تسجد لآدم وكان

(١) راجع كتابي: ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

إبليس يقف مع الملائكة فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر عن السجود، وقال لربه: كيف أسجد لمن خلقت طيناً وأنا خير منه؟ فعصى إبليس ربه واستكبر على أمر ربه.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[سورة الحجر، الآيات: ٢٨ ـ ٤٣]

هذه هي البداية، ووقع عصيان إبليس ووعد أنه سيغوي عباد اللّٰه في الأرض حتى لا يعبدوا اللّٰه سبحانه، ويتخذوا غيره إلٰها من حجر وأصنام وبشر أو يتخذوا الشياطين أرباباً.

.. وهوى كثير من الناس، ووقعوا تحت غواية الشياطين فاستمتعوا ببعضهم، وعبد بعض الإنس الشياطين ووقعوا في الكفر، ووقعوا في المحظور، مع أن اللّٰه سبحانه نبّههم إلى هذا الأمر الخطير وألا يقعوا تحت أي سبب تحت غواية الشياطين... فإذا جاؤوا جميعاً يوم القيامة واللّٰه اعلم بالإنس والجن.. وما كان بينهم ومن هوى من الإنس في الكفر والشرك والاستعانة بالشياطين.

يقول تعالى محذراً عباده من الشياطين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى

ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٥٣]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٦]

وقد بيَّن اللَّه سبحانه أن الشيطان لربه كفور، لذلك لا يأمر من اتبعه إلا بالكفر باللَّه.

يقول تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٢٧]

وكذلك بيَّن اللَّه سبحانه لعباده أن الشيطان وأعوانه يزينون لهم العمل ليتبعوهم ويحذرهم من ذلك.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ .

[سورة الأنفال، الآية: ٤٨]

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٦٤]

وقد دلَّنا اللَّه سبحانه إلى أن أقواماً من الكافرين ستتخذ الشياطين أولياء من دون اللَّه سبحانه: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٠]

ثم يوضح اللَّه سبحانه خسارة أولئك الذين يتخذون الشياطين أولياء من دون اللَّه.

يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾.
[سورة النساء، الآية: ١٩]

ويقول أيضاً: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ * كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.
[سورة المجادلة: الآيتان: ١٨، ١٩]

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾.
[سورة الزخرف، الآية: ٣٦]

ولقد حكم اللَّه سبحانه على الشياطين بالكفر، وعلى من اتبعهم بالكفر لذلك يجتمعون عند اللَّه يوم القيامة: الشياطين من الجن والكفرة من الإنس (شياطين الإنس) ثم يحكم اللَّه بهم إلى النار، فالجن يحشرون كما يُحشر الناس، ويحاسبون كما يُحاسب الناس، ويدخل شياطينهم النار ويدخل المؤمن من عالم الجن الجنة، والعلم عند اللَّه سبحانه فإذا ما كان الحشر يوم القيامة وبعد أن يأذن اللَّه بفصل القضاء في يوم يمتد إلى خمسين ألف سنة... فتعرض الخلائق جميعاً على اللَّه سبحانه الإنس والجن والوحش والطير... ويجمع اللَّه بيَّن كفرة الجن (الشياطين) وكفرة الإنس شياطين الإنس ويعنفهم.

... يقول اللَّه سبحانه يوم القيامة للإنس الذين اتبعوا الشياطين واتخذوهم أولياء من دون اللَّه سبحانه وعبدوهم واتخذوهم أرباباً من دون اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ * هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٦٠ ـ ٦٣]

عند هذا الموقف تحاول الشياطين أن تتبرأ من الإنس الذين اتبعوهم بعد أن يروا ما يرون يوم القيامة فقد انتهت المهلة التي أعطاها اللّه سبحانه لإبليس في الدنيا . . . ويوم الحشر يدرك الشيطان خذلانه وأنه واقع في نار جهنم لا محالة فيحاول أن يتبرأ . . دفاعاً عن النفس .

تصوَّر . . أن الشياطين تحاول أن تدافع عن نفسها، وتتبرأ من كل الإنس الذين كانوا لهم في الدنيا تبعاً ويزعمون أمام اللّه سبحانه أنهم لم يضلوهم بل كانوا هم الضالين . . . وهذا دفاع كل أهل الشرك والكفر أمام اللّه سبحانه دفاع الباطل . . واللّه أعلم بدفاعهم وكذبهم ونفاقهم .

يقول تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٢١، ٢٢]

ولقد بيَّن اللّه سبحانه لنا كيف أن الجن (الشياطين) قد حكم عليهم بالخسران وبالدخول إلى النار، بعد حسابهم كما يُحاسب الإنس ويدخلون أمماً في النار مع الإنس حيث يتساقط الكفرة أمماً أمماً في النار .

يقول تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٥]

والله سبحانه وتعالى يعاتب ويعنف تعنيفاً شديداً أولئك الجن (الشياطين) حيث أتتهم رسل ينذرونهم لقاء يومهم هذا (يوم القيامة مع ربهم) حتى ينتهوا عن الكفر والشرك وإضلال الخلائق.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآيتان: ١٢٩ ـ ١٣٠]

ويقول تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

ويقول تعالى موضحاً خلود الكافرين من الجن والشياطين في النار مثلما يخلد كفار الإنس ومشركيهم: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ *

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الحشر، الآيتان: ١٦، ١٧]

وبيّن سبحانه على لسان الجن أن منهم الصالحين، ومنهم المسلمين ومنهم دون ذلك، وهذا بيان واضح من اللّه سبحانه على صلاح بعضهم ودخولهم الجنة وفساد بعضهم الآخر ودخولهم النار.

يقول تعالى في سورة الجن.. على لسان الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ۞ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا ۞ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ .

[سورة الجن، الآيات: ١١ ـ ١٥]

وأما الشياطين فلا صالح بينهم، بل جميعهم كفار ومشركون، ولقد توعدهم اللّه سبحانه بالحضور حول جهنم جثياً ثم الدخول فيها أبد الآبدين مع من كانوا تبعاً لهم من أهل الدنيا من البشر.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]

ويقول تعالى: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ .

[سورة هود، الآية: ١١٩]

ويقول سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ

جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٦٧ ـ ٧٠]

وهكذا فقد بيَّن لنا القرآن الكريم محاسبة الجن وعقابهم ودخولهم جهنم أو الجنة، أما الشياطين فليس لهم إلا جهنم كما بيَّنَّا من الآيات الكريمة. . .

القصاص من الوحوش والأنعام ومحاسبتها وتحويلها تراباً

. . . لقد قدَّمنا أثناء الحديث عن الحشر أن اللّه سبحانه يحشر الوحوش والأنعام والطير بجميع أنواعها يوم القيامة أو قل جميع البهائم التي خلقها اللّه سبحانه في الأرض، فحشر البهائم ثابت في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وأما في القرآن الكريم فدليله من سورة التكوير، إذ يتحدث اللّه سبحانه في أول السورة عن الأحداث التي تكون عند قيام الساعة من انكدار للنجوم وتكوير للشمس وتسيير للجبال وتسجير للبحار. . ثم يتحدث عن حشره للوحوش يوم القيامة لمحاسبتها واقتصاص بعضها من بعض.

بقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ .

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٦]

وأما دليل حشر البهائم (الوحوش) من السنة الشريفة.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(١) .

(١) رواه مسلم في صحيحه.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجلحاء من القرناء وحتى الذرة من الذرة»[١] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة، حتى الشاتان فيما انتطحتا»[٢] .

عن أبي ذر رضي اللَّه عنه أنه قال: رأى رسول اللَّه ﷺ شاتين، وفي تفسير ابن جرير رواية أخرجها عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن اللَّه يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم: كوني تراباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ » .

وعن ابن جرير أيضاً. . . عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: **« إذا كان يوم القيامة مُدَّ الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني تراباً، قال: فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ »** .

لا شك أن أمر حشر البهائم بأعدادها الهائلة والتي قد تبلغ أضعاف أضعاف الإنس والجن، لأمرٌ عظيم يستدعي الوقوف ساعات للتفكير بهذا الحديث. .

فلقد أشكل على أهل العلم تفسير أحاديث رسول اللَّه ﷺ في

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

الاقتصاص من البهائم، ولقد بيَّن هذا **النووي** في شرحه على صحيح مسلم فقال:

«هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره.. عقلٌ ولا شرع، وجب حمله علىٰ ظاهره فقد قال العلماء والقول للنووي: ليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب... وأما القصاص من القرناء للجلحاء، فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة (والجلحاء) بالمد هي الشاة التي لا قرن لها واللَّه أعلم».

وقال **الشيخ علي القاري** في المرقاة: **«وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين المكلفين كافة، فإنه إذا كانت هذه حالَ الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف؟»**(١).

... **وأما حجة الإسلام الإمام الغزالي** فقد قال: إنه لا يحشر غير الثقلين لعدم كونه مكلفاً ولا أهلاً لكرامة بوجه، وليس في هذا الكتاب نص من كتاب أو سنة يُعَوَّلُ عليهما يدل على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر مسلم والترمذي وإن كان صحيحاً لكنه يخرج مخرج التفسير للآية الكريمة، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام.. وهذا رأي فالحق نقول بحشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض هو الحق والصواب كما ورد في الآية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ،

---

(١) المرقاة (٤ / ٧٦١).

وهذا ما ذهب إليه الجمهور وذكره **الآلوسي** في تفسيره[١] وبه جزم **الشوكاني** في تفسير آية التكوير[٢].

وأرى أن المراد من حشر البهائم بيان لعدل الله سبحانه المطلق وزيادة في ذل ومهانة الكافرين، حيث يتمنون أن يكونوا مثل هذه البهائم تحاسب ويقضى بينها، ولا تعذب، ولا تذل، ولا تهان إذ يحولها سبحانه إلى تراب، كونها غير عاقلة وغير مكلفة بالتكاليف التي كلّف بها الإنس والجن، لأن الله سبحانه وصف الكافرين في كتابه بالأنعام بل اعتبرهم أضل سبيلاً، أي إن الأنعام وإن كانت غير عاقلة إلا أنها أمم تُسبح ربها كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

فالبهائم في الدنيا تسبح الله سبحانه، والكافرون يستكبرون فلا يسبحون، لذا وصفهم الله سبحانه بأنهم أضل من الأنعام سبيلاً لفقدهم مِيزة التسبيح والتوحيد، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا * أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

---

(١) تفسير الآلوسي (٩/ ٢٨١).

(٢) فتح القدير (٥/ ٣٧٧) الشوكاني.

عند حشر الوحوش والاقتصاص منها سيدرك الكافرون أن هذه البهائم كانت أمماً وإن كانت لا تعقل ولكنها تسبِّح بحمد ربها وتشكر. . . وهنا يقع الألم والحسرة. . . أتت تلك البهائم وقد كانت أفضل منهم في الدنيا على الرغم أنها لم تكن مكلفة وهم مكلفون، وأنها لا تعقل وهم يعقلون. فالذي لا عقل له يسبِّح ربه في الدنيا وهم يتمتعون بالعقل ونعم اللّه، ولكنهم عاشوا وماتوا وهم كفار لا يعلمون عن التسبيح والذكر شَيئاً. . واللّه أعلم.

تنبيه: إن أنواعاً أخرى من التخاصم ستكون بعد أنواع التخاصم التي ذكرت. . ولكن ما يأتي سيكون تخاصماً بين أفراد ذاتِ المجموعة أو بين الفرد وخصمه أو بين السيد والعبد أو بين الإنسان والشيطان. . وأما ما ذكرت سابقاً فهو التخاصم والاقتصاص والحكم بين الأمم والشعوب. . .

الفصل الثاني

عالم السؤال والحساب:

عالم السؤال: .

ـ عالم السؤال وأهم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة.

ـ أولا: السؤال عن الإيمان والكفر.

ـ ثانياً: السؤال عن الأهل (الزوجة والأولاد) وعما استرعاه اللَّه سبحانه.

ـ ثالثاً: السؤال عن السمع والبصر والفؤاد.

ـ رابعاً: السؤال عن العمر والعلم والمال والجسد وعن مرحلة الشباب والقوة.

ـ خامساً: السؤال عن النعيم (النعم والآلاء).

ـ سادساً: السؤال عن العهود والمواثيق.

عالم الحساب:

ـ آيات الحساب في القرآن الكريم.

ـ أول الحساب وضع المظالم وأخذ الحقوق وردها إلى أصحابها.

ـ الحساب الفردي ـ القاعدة الإلٰهية في الحساب، حساب الأعمال بالنيات.

ـ العدل المطلق في الحساب ـ لا ظلم اليوم إن اللَّه سريع الحساب.

ـ لا ترجمان ولا حميم ولا شفيع عند الحساب بين يدي اللَّه سبحانه.

ـ إتيان اللَّه كتبهم ليقرؤوها فيحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

ـ تصوير القرطبي لمشهد الحساب.

عالم السؤال والحساب

عالم السؤال وأهم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة

.. لقد نبَّهنا رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أن هناك أموراً سيسأل عنها العبد يوم القيامة ليستعد لها المسلم المؤمن، وليعلم أن هناك سؤالاً عنها من اللَّه سبحانه.. فليس كل شيء سيسأل عنه الإنسان في دنياه إذ إن أموراً كثيرة لا تكليف فيها.. فأنا لا أحاسب عن قولي وأنا نائم ولا عن قولي وأنا مغشي عليَّ، ولا عن النسيان والسهو، وكذلك لست محاسباً عن عملي قبل سن التكليف، ولست مسؤولاً عن غيري إلا ضمن ما كلَّفني اللَّه سبحانه به، وكذلك لست مسؤولاً عن حركة الكون والأرض والهواء، والحرارة، والبحر، والنهر، والنبات، والحيوان إلا ضمن ما كلَّفني اللَّه سبحانه به، وكثيرة هي الأمور التي لا علاقة لي بها ولا أسأل عنها ولا عن آبائي وأجدادي ومن قبلهم، فكل أمة مسؤولة عن نفسها وكل فرد مسؤول عن نفسه وما كلّف به. يقول تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٣٤]

ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

وكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تبيِّن أن الإنسان مسؤول عما كلفه اللَّه سبحانه به، وما استرعاه وما استخلفه

وما حدَّ له من حدود وما أوجبه عليه من إيمان وطاعة وعبادة، وقد بيَّن لنا اللَّه في كتابه ورسوله ﷺ في سنته الشريفة هذه المسؤولية وحدد أنواعها وأنه لا يمكن أن نحاسب يوم القيامة حتى نسأل عنها جميعاً.

أولا: السؤال عن الإيمان والكفر:

قد أعطى اللَّه سبحانه للبشر في الدنيا حرية الإيمان والكفر. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

... فإذا وقف الكافرون بين يدي اللَّه تعالى سئلوا عن كفرهم ولماذا كفروا؟ ويطلب اللَّه سبحانه منهم أن يأتوا بشركائهم. يقول تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾.

[سورة الشعراء، الآيتان: ٩٢، ٩٣]

ولقد أقسم اللَّه سبحانه أنه سيسأل الكفار عن افترائهم واتخاذهم أنداداً للَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٥٦]

ويقول تعالى عن المشركين:

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[سورة النحل، الآيات: ٩١ ـ ٩٤]

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ١٣]

والافتراء هو الكفر باللَّه تعالى والشرك به لذلك سيسألون عن كفرهم وشركهم، وويل للظالمين من مشهد يوم عظيم.

ثانياً: السؤال عن الأهل (الزوجة والأولاد) وعما استرعاه اللَّه سبحانه:

. . . لقد نبَّهنا اللَّه سبحانه في كتابه العزيز إلى هذه المسؤولية الجسيمة والتي هي من أهم المسؤوليات الكبيرة المكلف بها الإنسان والمسؤول عنها يوم القيامة، ألا وهي رعاية الأهل من زوجة وأولاد وتربيتهم على الإيمان وإقامة العبادات للَّه سبحانه من صلاة وصيام وتأديبهم بآداب الإسلام. . فالزوجة والأولاد تبع للأب في البيت وهم كما يعلِّمهم ويدربهم ينشؤون، واللَّه سبحانه يعلم هذا، فالولد طيع لأبيه في صغره، فإذا أدّبه بآداب الإسلام وعلّمه الصلاة والصيام ومحبة اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ تدرب عليهما ونشأ عليهما وداوم على هذا الأمر طوال حياته الدنيا. . . وإن كان الأب مهملاً وكسولاً وترك أولاده بلا تأديب بآداب الإسلام، وتعليم وتدريب على العبادة نشأ الأولاد على غير طاعة اللَّه سبحانه، وهذا ما نجده اليوم في كثير من بيوت المسلمين. . وحتى لا يقول المسلم يوم القيامة عند ربه: يا رب إني مسؤول عن نفسي فقط، نبّهه اللَّه ورسوله ﷺ أن يتقي اللَّه بزوجه وأولاده.

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

فمن ظاهر الآية مسؤولية الأب والأم عن الأولاد ومسؤولية

الأب عن الزوجة والأولاد أن لا يوردهم موارد الهلاك، وأعظمها مهلكاً نار جهنم يوم القيامة.

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن اللّه سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيَّع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»(١).

وأهمها التكاليف الشرعية وتدريب أهله عليها وتعليمهم تعاليم الإسلام، عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«كلكم راع ومسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته»(٢).

والمرأة في بيتها راعية ومسؤولة تماماً مثل الرجل عن أولادها وعن تربيتهم وما قدمته لهم في معرفة دينهم وتعليمهم شريعة اللّه الإسلام، وأهمها الصدق ومحبة اللّه ورسوله ﷺ وإقامة الصلاة والصيام، والتكليفات الشرعية كافة، وكذلك مسؤولة يوم القيامة عما استرعاها اللّه سبحانه في الحفاظ على بيت زوجها وماله وحفظ عرضها وشرفها وإقامة ما كلّفت به.

ثالثاً: السؤال عن السمع والبصر والفؤاد:

هذه الثلاثة أهم أعضاء الجسد المكلفة، وكم تحدث اللّه

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

سبحانه ورسوله ﷺ عن هذه الأعضاء الثلاثة في جسد الإنسان. . . لما لها من علاقة وطيدة بالإيمان باللَّه سبحانه ورسوله ﷺ وباستقامة المرء أو ضلاله، وكلنا يملك هذه الثلاثة السمع والبصر والفؤاد والحمد للَّه. . وكلنا يعلم كم لها من تأثير في بناء الشخصية المسلمة المؤمنة من حيث استقامة هذه الأعضاء الثلاثة أو انفلاتها نحو كل محرم.

. . . فإما أن أنظر إلى حرام وأتابع فيه حتى يدخلني البصر مداخل الحرام، وإما أن أكفه وأردعه فيدخلَني مدخل الرضا. . وكذلك السمع.

فالأذن جاهزة أن تسمع كل شيء حراماً كان أو حلالاً مباحاً كان أو محرماً، وأنا ومن واقع مسؤوليتي أمنع سمعي أن يتجسس بما حرم اللَّه سبحانه عليَّ أو أن أسمع إلى كذب فأنقله فتكون الفتنة.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾.

[سورة الحجرات، الآية: ١٢]

وهذه مسؤولية الأذن أن لا تتجسس ولا تسمع الحرام.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]

والسؤال من اللَّه سبحانه يأتي يوم القيامة لِمَ سمعت ما لا يحل لك سماعه؟ ولِمَ نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه؟ كالعورات

مثلاً، وعن القلب يسأل اللّه: لِمَ عزمت بقلبك على ما لا يحل لك العزم عليه؟ ولِمَ تعلَّق قلبك بما لا يحل لك شرعاً؟ ولِمَ كرهت ما يحبه اللّه؟ ولَم أحببت ما يبغضه اللّه وأنت تعلم؟

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي اللّه عنهما قالا:

قال رسول اللّه ﷺ: « **يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول اللّه تعالى: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخّرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع؟ وفي رواية لصحيح مسلم: ترتع** (أي تنعم بالمأكل والمشرب) **أفكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟** (أي هل كنت تعتقد انك سوف تلقاني في هذا اليوم يوم القيامة) **قال: فيقول العبد** (أي الكافر): **لا، فيقول اللّه تعالى له: اليوم أنساك كما نسيتني**».

أي اليوم أتركك في العذاب كما تركت في الدنيا شريعتي وديني ولم تؤمن بلقائي[١].

عن شَكل بن حميد رضي اللّه عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي اللّه علِّمني تعويذاً أتعوَّذ به، قال: فأخذ بيدي ثم قال: « **قل اللّهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وشر قلبي وشر مَنيِّ**» قال: فحفظتها[٢].

فليتق الإنسان ربه في سمعه وبصره وفؤاده وليعلم أن كل ما يمر عليه سمعه وبصره وفؤاده ويتوجه إليه، فهو مسؤول عنه أمام اللّه سبحانه، فإن كان توجهه خيراً فقد أُجر من اللّه سبحانه، وإن كان توجهه في الشر خسر وباء بخسران مبين.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الستة.

رابعاً: السؤال عن العمر والعلم والمال والجسد وعن مرحلة الشباب والقوة:

وفي كل هذا سيسأل العبد يوم القيامة... لأن هذه هي التكاليف إضافة إلى تكليف الإيمان والعبادة... إذ أن أكثر السؤال يوم القيامة سيكون من اللّٰه سبحانه عن عمره وعلمه وماله وجسده.. فقد ذكر رسول اللّٰه ﷺ في أحاديثه الشريفة أن العبد لا ينتقل إلى مكان آخر أو مرحلة أخرى من مراحل يوم القيامة إلا أن يسأل عن هذه الأربعة أو الخمسة، ويقف لها وربما يطول به الموقف في السؤال والجواب.. وهذا سؤال غير الحساب على العمل.. فهو يسأل ماذا فعلت؟ وهو يجيب بما فعل.

روى الإمام الترمذي وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟**».

قال الحافظ المنذري: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه البيهقي وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟**».

وعن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وما عمل فيما علم؟**».

قال الحافظ المنذري: رواه الترمذي أيضاً والبيهقي، وما ذكره رسول اللّه ﷺ عن السؤال هو ما استرعاه اللّه ابن آدم ولذلك هو مسؤول عنه.. فالتكليف أمانة والعمر أمانة والجسد أمانة والمال أمانة والعلم أمانة.. ولا بد أن نُسأل عن هذه الأمانة، ولقد أقسم اللّه سبحانه بالعصر أي بالوقت والزمن والعمر بأن الإنسان قد خسر إذا لم يرع حق اللّه فيما سأله فعله وطلب منه إنجازه.

يقول تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

[سورة العصر، الآية: ١ ـ ٣]

ويكون السؤال عن مرحلة الشباب والقوة في الإنسان، وهنا موضع الشاهد، فالإنسان لا يعطي إلا بقوة الشباب، فأعظم الطاعة وأحبها إلى اللّه سبحانه ما كانت في مرحلة القوة والشباب حيث يقهر الإنسان نفسه وقوته وشبابه في سبيل اللّه، ومن أجل طاعة اللّه، فإذا ما هرم الإنسان ضعف عن الطاعة والتكليف بسبب هرمه لذلك سألنا رسول اللّه ﷺ أن نغتنم خمساً قبل خمس ومنها «**شبابك قبل هرمك**».. لذلك يكون السؤال عن الشباب شديداً فإذا نجح فيه بما يرضي اللّه كان من السبعة الذين يظلهم اللّه سبحانه يوم لا ظل إلا ظله، كما ورد في الحديث الشريف الذي أوردناه: «**وشاب نشأ في طاعة اللّه**».

... وأما المال الذي استخلفه اللّه بين أيدينا فهو الداء الذي يصيب بامتحانه وبلائه أكثر الناس، فيهوون من أجله مهاوي الردى

والهلاك.. وكم من المال سيكون مهلكة لصاحبه يوم القيامة؟ وإن كثيراً من الناس سواء أفي عذاب أرض المحشر أم عذاب في النار كان السبب مالَهم الذي كان بين أيديهم، فلم يحسنوا استخدامه أو استخدموه في معاصيهم وضلالهم أو بخلوا به على اللّه سبحانه وعلى المؤمنين، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

... وليس من يوم أسعد من يوم القيامة على الذين وضعوا مالهم وما استخلفهم فيه اللّه سبحانه في رضا اللّه وفي سبيل اللّه، وأوسعوا دائرة صدقاتهم فهؤلاء أجرهم لا يعلمه إلا اللّه وهم الذين أقرضوا اللّه، والوفاء يوم القيامة.. فما رأيك بمن أقرض اللّه فكيف يرد اللّه له هذا القرض؟

يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

وأما العلم فالإنسان مسؤول عنه ومحاسب عليه هل عمل به للدنيا ومن أجل الدنيا ومصالحه في الدنيا.. أم كان يبتغي بهذا العلم وجه اللّه سبحانه، وأعظم العلم ما كان للّه وفي سبيل اللّه.. وكم عظَّم اللّه سبحانه العلم في كتابه وعظَّم العلماء ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٩]

وكذلك فعل رسول اللّه ﷺ عندما جعل خير الناس على وجه

الأرض من تعلَّم القرآن وعلَّمه «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**» رواه البخاري عن علي رضي الله عنه، وأما من كان علمه لذاته وآذى به خلق الله سبحانه كصناعة القنابل التي تفتك بملايين الناس، أو تعلَّم لغير دين الله من أجل الدنيا، فكلٌّ هذا يأتي عند محاسبة الله للعبد.

خامساً: السؤال عن النعيم (النعم والآلاء):

إن نعم الله سبحانه على عباده في الدنيا لا تعد ولا تحصى وهذه حقيقة واقعة ملموسة جهل بها من جهل وعلم من علم، أقر من أقر وأنكر من أنكر.

إن نعمة الله على عباده لا تحصى ولا تعد.. ولكن العبد يظن أن النعم هي فقط تلك التي تحيط به في جسده ورزقه وأهله... لا فإن نعم الله أعظم من هذا بكثير.. فمن نعمة الإيمان إلى نعمة الإسلام إلى نعمة العافية، والولد، والزوجة والأهل من أب وأم وإخوة إلى الرزق الذي لا ينقطع، إلى الماء الذي نشربه إلى الأشجار، والبحار والأنهار... وفوق هذا نعم السموات التي سخرها الله سبحانه لعباده.. فمن منا يستطيع أن يحصي نعمة السماوات وما بطن فيها من النعم.

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

ومن أعظم النعم التي أنعم الله سبحانه علينا أن خلقنا وأوجدنا

وهدانا إلى صراطه المستقيم.. ولولا اللَّه سبحانه لما خُلقنا ولما وُجدنا ولما تمتَّعنا بهذا النعيم، وفوق كل هذا النعمة العظمى وهي جنات اللَّه الخالدات والتي يحيا فيها المؤمن خالداً فيها أبداً.

يقول تعالى مبيناً أنه سوف يسأل الناس أجمعين عن النِّعم التي أنعمها عليهم.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[سورة التكاثر، الآية: ٨]

ومعنى الآية الكريمة أن اللَّه سبحانه سيسأل عموم الناس عن النِّعم التي مرت عليهم وعايشوها في الدنيا ونعموا بها وتلذذوا، من صحة البدن ولذة الطعام والشراب ولذة الظلال والمأوى ونعمة النظر والسمع والبصر والإحساس والتذوق والنوم... فالنعيم لا يحصى لكثرته، يقول تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٨]

عن الزبير بن العوام رضي اللَّه عنه قال: لما نزلت: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال الزبير: يا رسول اللَّه، وأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان الماء والتمر؟ فقال ﷺ: «**أما إنه سيكون**».

[رواه الترمذي في سننه]

يعني أنه سيكون السؤال عن نعمة الماء وغيرها من ألوان الأطعمة والأشربة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: خرج رسول اللَّه ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال لهما ﷺ: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» فقالا: الجوع يا رسول اللَّه، فقال ﷺ: «**وأنا والذي**

نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا » فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **أين فلان؟** » قالت: ذهب ليستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد للَّه ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني.

قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا، وأخذ المدية (أي السكين) ليذبح شاة، فقال له رسول اللَّه ﷺ: « **إياك والحلوبَ** » أي لا تذبح شاة حلوباً.. فذبح لهم شاة غير حلوب، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما شبعوا ورووا قال ﷺ لأبي بكر وعمر:

« **والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم** »(١).

عن زيد بن أسلم عن رسول اللَّه ﷺ في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ يعني شبع البطون وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم(٢).

لذلك ينبغي علينا إذا طعمنا أن نسمي اللَّه سبحانه، وإذا شبعنا أن نحمَد اللَّه تعالى، وإذا لبسنا أن نحمد اللَّه تعالى، وإذا نمنا، ثم استيقظنا أن نحمد اللَّه تعالى، فكل أمر بحاجة إلى حمد.. وهذا هو جواب سؤال النعيم أنك كنت في الدنيا حامداً وشاكراً اللَّه سبحانه على نعمه لذلك جاءت كلمة الشكر والحمد في الدنيا ووقعت مواقع الغفران والشكر والحمد على الآلاء والنعم، فعظَّم اللَّه أجرها في الآخرة وأدام على

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

العبد في الدنيا تلك النعم من واقع الشكر والحمد. عن معاذ بن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **من قال عند طعامه: الحمد للّه الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**» . رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. وللعلم فإن اللّه سبحانه يسأل الكافر سؤال تعنيف وتوبيخ وتحقير لأنه كفر بهذه النعم، ويسأل المؤمن سؤال تشريف وتلطيف وتذكير لأنه حمِدها وشكرها.

سادساً: السؤال عن العهود والمواثيق:

لقد عظّم اللّه سبحانه العهد والميثاق وعظَّم فاعله والملتزم به وأنّب الذين ينقضون عهده والعهود والمواثيق على عمومها.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٣٤]

والعهد أخذه اللّه على نفسه، وألزمها به وهو الحق المبين، لذا سألنا أن نلتزم به وفي أكثر من آية كريمة بيَّن اللّه سبحانه لنا أن العهد مسؤول عنه، وأنه سبحانه ما عهده لنفسه سيعطيه لعباده، ومن أصدق من اللّه عهداً ومن أصدق من اللّه وعداً؟

يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٨٠]

ولقد نبَّه اللّه سبحانه على الوفاء بالعهود والمواثيق وأنذر أولئك المخالفين.

يقول تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٩١]

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٩٥]

والآيات كثيرة، لذا كان العهد مسؤولاً هو وصاحبه بين يدي الحق تعالى، ومن نكصه ونبذه فأولئك عند اللّه هم الضالون، وضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً ببني إسرائيل وقطعهم للعهود ومخالفتهم إياها ونقضها.

يقول تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٠٠]

فالعهد مسؤول وصاحبه مسؤول، فانظر بما عاهدت ولم تف أو فثبّت فؤادك على ما عاهدت اللّه عليه وما عاهدت من عباده.

عالم الحساب

مَدخل:

عالم الحساب عالم كبير ويوم الحساب شأنه كبير وأمره خطير إلا من تغمده اللّه بواسع رحمته... وهو يوم الفصل ليس فيه هزل، إذ تقف القلوب عند الحناجر وتُرتعد الفرائص وتهتز أعضاء الجسد جميعها خوفاً وهلعاً، فالقلوب ترتجف، والنفوس تحتضر، والعيون شاخصة... والرجاء والأمل والعفو والمغفرة والرحمة ما تنتظره الخلائق عندما يعلن عن بدء الحساب والوقوف فرادى بين يدي أرحم الراحمين ليس من ترجمان ولا شفيع ولا وسيط...

... لا كذب ولا خداع ولا نفاق ولا دجل ولا مواربة ولا لف ولا دوران ولا رجوع ولا تقدم ولا يمين ولا شمال ولا مخادعة ولا مداهنة، ولا صناعة كلام، ولا تخطيط لمكر، ولا مراءاة، ولا مديح ينفع، ولا معسول الكلام يُربح، ولا منافق ينجح، ولا اعتذار يفلح، ولا نفعاً ولا حكماً... أعضاء البشر عليهم شهود، وألسنتهم شهود وجلودهم شهود، قد فرَّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لا حرس ولا جنود ولا مال ولا جاه، ولا سلطان، ولا حكم، ولا إمارة، ولا زعامة، ولا قيادة.. كل هذا التخويل تركوه وراء ظهورهم وجاؤوا ربهم فرادى كما خلقهم أول مرة حفاة عراة غرلاً بهماً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ

وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٤]

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ .

[سورة مريم، الآيات: ٩٣ ـ ٩٥]

وقال تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ .

[سورة الحاقة، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ .

[سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥، ٣٦]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ .

[سورة الطور، الآية: ٤٦]

. . . هذه الآيات التي ذكرت تبيِّن معنى الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للحساب، وكيف لا يكون هذا الموقف جليلاً مهيباً وأنت بين يدي جبار السموات والأرض، القاهر فوق عباده، الحي القيوم المطلع على الكبائر والصغائر لا يخفى عليه مثقال الذرة. .؟؟

فكيف لا يكون الموقف جليلاً مهيباً. .؟ وقد جئنا فرادى لا سند ولا معين، تركنا كل ما خوَّلنا اللَّه في الدنيا من رئاسة ومال وجاه وسلطان؟

وكيف لا يكون الموقف جليلاً مهيباً وأنا واقف بين يدي اللَّه سبحانه فرداً، ما أغنى عني ماليه إلا بالحق ولا سلطان إلا بالحق ولا يغني كيد أو مراءاة، أو مداهنة، أو بكاء، أو ندم.

. . . وكيف لا يكون الموقف للحساب بين يدي الحق سبحانه عسيراً، وما بعده إما خلود في الجنة أو خلود في النار، أو عذاب في النار لزمن طويل؟ فليس الأمر في الدنيا إن لم أفلح أعيد الكرة مرات ومرات ولكن اليوم لا مرات ولا كرة ولا عودة. . بل حساب ـ جزاء ـ عقاب

. . . فاليوم شعار النجاة القلب السليم وشعار الهلاك القلب الرديء السيئ الدنيء.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

[سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩]

. . . لقد بدأ يوم القيامة الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، ذاق فيه الكافرون والمشركون من أصناف الذل والهوان والعذاب ما ذاقوا. . ثم جاء موقف عرض الخلائق على اللّه. . كانت الأمم جاثية على ركبها ذليلة مهانة إلا أمة محمد ﷺ من آمن منهم وعمل صالحاً. . . ثم يأذن اللّه بالحساب.

لقد انتهت المقدمات الطويلة ليوم القيامة وجاءت لحظات الفصل والمحاسبة والحكم. .

. . . نعم لقد عُقدت محكمة العدل الإلٰهي التي لا تظلم مثقال ذرة ولا حبة من خردل، ولا يخفى فيها على أحكم الحاكمين مثقال ذرة من خير أو من شر، ومن آلاف مليارات عباده الذين يقفون بين يديه، والعدل المطلق من اللّه سبحانه تبيّنه ثلاث آيات كريمة:

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا

وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

آيات الحساب في القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٦٢]

ويقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٢]

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ٤]

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٢١]

ويقول أيضاً: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٤٠]

﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٤١]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ .

[سورة ص، الآية: ١٦]

﴿ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ .

[سورة غافر، الآية: ١٦]

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ٢١ ـ ٢٦]

هذه بعض الآيات التي ذكرها اللَّه سبحانه عن الحساب وأنه الحكم العدل يوم القيامة.. ومما نلاحظه في هذه الآيات أن اللَّه سبحانه يختم بعضها بأنه سريع الحساب وأنه أسرع الحاسبين... واللَّه سبحانه يؤكد أنه سريع الحساب، ذلك أن المرء قد يسأل نفسه وهو واحد من الخلق الذين يتجاوز أعدادهم المليارات.. فمتى يكون دوره في هذا الحشد العظيم؟ وكم يطول أمد انتظاره حتى يأتي دوره؟ وحتى لا يسأل المؤمن نفسه هذا السؤال كان جواب اللَّه سبحانه من قبل أن يسأل المؤمن: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾، أي له جلَّ وعلا الحكم وحده يوم القيامة وله الفصل والقضاء لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن يحاسب الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا كما ورد به الحديث.

... وفي خِضَمِّ هذا التفسير وأن اللَّه سبحانه سريع الحساب وأنه أسرع الحاسبين نقول:

١ ـ إن اللَّه سبحانه يدل على عظيم قدراته وأنه قادر على أن يحاسب هذه المليارات في زمن لا يتخيله عقلنا.. والقضاة في الدنيا يعقدون جلسة حكم في قضية شخص واحد تستغرق معهم نصف

يوم، ثم تؤجل الجلسة لمرات أخرى وقد تستغرق القضية الواحدة أعواماً طويلة حتى يحكم فيها الحكم النهائي وقد يكون هذا الحكم ناقصاً.

. . . فتصوروا محاكمة اللَّه سبحانه وحسابه لتلك الخلائق التي تتماوج كتماوج البحر والتي لا يعلم عددها إلا اللَّه سبحانه، والمحاكمة والحساب على مدى الحياة كلها وليست على قضية واحدة أو حدث واحد أو جريمة واحدة. . . فتصور قدرة اللَّه سبحانه.

٢ ـ إن المؤمنين يقفون كما تقف الخلائق جميعاً كافرهم ومشركهم وضالهم وعاصيهم وفاسقهم والوقت يشملهم كما يشمل الأقوام الكافرة. . . وذلك على غير الموقف في أرض المحشر والذي امتد زمنه على الكافرين والمشركين ما يقرب من خمسين ألف سنة وقصر زمنه على المؤمن كالوقت الذي يستغرقهُ رجل توضأ وصلى فريضة الظهر. . فإكراماً للمؤمنين يسرع اللَّه في حساب الأمم وزيادة في التكريم تكون أمة محمد ﷺ أول الأمم التي تحاسب.

٣ ـ إن اللَّه سبحانه يسرع في حساب الأمم الكافرة والمشركة حتى يلقوا في نار جهنم مأواهم ومستقرهم خالدين فيها، لأن الوقوف بين يدي اللَّه رغم ما فيه للكافرين من ذل وهوان فهم في فترة عن العذاب الذي يستحقونه لأن الوقوف بين يدي أرحم الراحمين رحمة. . وهم لا يستحقونها واللَّه أعلم.

أول الحساب وضع المظالم وأخذ الحقوق وردها لأصحابها

في فقرات سابقة بيَّنَّا أن اللَّه سبحانه يقتص للأمم المظلومة من الأمم الظالمة، بعد أن يسمع اللَّه سبحانه الاختصام بين تلك الأمم، ثم يحكم بينهم كما وعد في كتابه الكريم في أكثر من آية، وقد بيَّنَّا ذلك كله.

. . . فإذا بدأ اللَّه سبحانه بحساب الناس فرادى، توضع المظالم وتؤخذ الحقوق حتى لا يبقى لمظلوم مظلِمة ولا دين من مدين لدائن إلا أخذه حتى لو كان من مؤمن لكافر، وهذا تمام عدل اللَّه وهو أحكم الحاكمين.

وروى الإمام أحمد، من حديث عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد اللَّه: أنه اشترى راحلة، وسار إلى عبد اللَّه بن أُنيس شهراً ليسمع منه حديثاً بلغه عنه، فلما سأله عنه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«**يحشر الناس يوم القيامة، أو قال: العباد عراة غرلاً بهماً**» قلنا: وما بهماً؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة**» قال: قلنا: وكيف وإنا إنما نأتي اللَّه بُهْماً؟

قال: « **بالحسنات والسيئات** » . .

[رواه الإمام أحمد]

ـ وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ في الحديث القدسي الطويل: « **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه** » .

يقول تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة يس، الآية: ٥٤]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

[سورة يونس، الآية: ٤٤]

ويقول سبحانه: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ويقول أيضاً: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٩]

ويقول تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ .

[سورة الشورى، الآيتان: ٤١، ٤٢]

ويقول تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١١١]

. . فويل لمن ظلم أخاه أو جاره أو أي أحد من خلق اللَّه تعالى، فهذه الآيات الكريمة التي ذكرت تبيِّن سوء أمر الظالمين يوم القيامة عند الاقتصاص منهم من قِبل اللَّه سبحانه وهو الذي نبَّههم في الدنيا أن لا يتظالموا وأنه حرَّم الظلم على نفسه، وقد قال تعالى في الحديث القدسي:

«إني حرَّمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته محرَّماً بينكم فلا تظالموا».

[رواه مسلم عن أبي ذر رضي اللَّه عنه]

فالذي يخيب ويخسر هو الذي ظلم الناس واعتدى على حقوقهم واستهان برد حقوقهم يوم القيامة، والقبض والدفع في يوم المرء فيه بأشد الحاجة إلى حسنة واحدة ـ هو الحسنات والسيئات ولا يملك المرء غيرهما لتصفية الحسابات.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلَّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[١].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: **«إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»**[٢].

فالدفع هناك ليس بالعملات ولا بالذهب والفضة ولا بالاعتذار

---

(١) رواه البخاري الفتح ٦/ ٢٦.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ١٩٩٧.

من صاحب الحق ولا بالأسف، ولا بالندم. . . إنما الدفع بالحسنات. . واللَّه سبحانه يقدر الحق وكيف يكون الدفع من الحسنات. . فإذا انتهت حسناتك أي انتهى رصيدك من الحسنات أو لم يكن لك في الأصل حسنات يؤخذ من سيئاتهم ثم توضع في صحيفة أعمالك وهكذا يكون بين الفرد والفرد، والفرد والاثنين، والفرد والثلاثة، والفرد والجماعة من الناس. . . فتصور أنه يؤخذ من حسناتك وأمام نظرك وبصرك، وأنت لا تستطيع دفع ذلك، وأنت بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة لتثقل بها صحيفتك وميزانك، أو تصور أنهم يطرحون عليك سيئات غيرك وأنت لم تقترفها وأنت بحاجة إلىٰ من يرفع عنك من صحيفتك سيئة واحدة أو من يحمل عنك بعض ذنوبك. .

والمظالم والحقوق عديدة بيَّنها رسول اللَّه ﷺ في حديثيه المتقدمين وأولها شأناً القضاء في الدماء أي في القتل. عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(١). حيث يتعلق المقتول بالقاتل ويقول: يا رب خذ لي حقي ممن قتلني. إذاً أول ما يقضى في الحقوق يقضى في القتل وهي أشدها حساباً لأن القاتل تعدى على أكبر حق وهو حق الحياة الذي وهبه اللَّه سبحانه لعباده.

••وبعد حق الدماء حق الأموال والتي تمادى فيها الناس في هذه الأيام، حتى إنه لا يلتفت كثير من الناس إلى المال، هل أخذه بحقه أم بغير حقه؟ هل أخذه من حرام أم حلال؟ فالمهم عنده أن يكسب المال. . فواللَّه لو كان درهم واحد أخذه ظلماً وعدواناً متعمداً سيدفعه هناك المرء مما معه من الحسنات.

---

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق ٨/ ١٣٨ ورواه مسلم.

. . . ثم يكون الحساب على الكلمة من نميمة أو غيبة، أو شتيمة أو سب، وكم يكون لبعضهم في ذمة بعضهم الآخر من حسنات سيدفعونها لهم يوم القيامة وهم لا يعلمون. . . فكم شُتم أناس من وراء ظهورهم وهم لا يعلمون؟ وكم نُم على أناس من وراء ظهورهم وهم لا يعلمون؟

وكم اغتاب فلان فلاناً وهو لا يعلم؟

وكم يقع الإنسان في حياته الدنيا في مصيبة وهو لا يعلم فاعلها؟ ولكن اللّه يعلم وسيأخذ له حقه يوم القيامة؟

فسبحان الذي لا تضيع عنده الأعمال والأقوال، وسبحان الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور! وسبحان الذي يعلم ما توسوس به أنفسنا، وسبحان الذي أحصى كل شيء قولاً وفعلاً وعدداً.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

سيفاجأ الناس يوم القيامة بدقة ميزان وحساب اللّه سبحانه حتى إن اللّه سبحانه سيأتي يوم القيامة بما ظنه الناس هيناً لا قيمة له ولا وزن.

قال تعالى: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

وفي خطاب لقمان لابنه بيّن له فيه عظمة ودقة علم اللّه وأنه لا تضيع عنده مثاقيل الذر من الخير.

يقول تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ١٦]

... وفي هذا الموقف العظيم.. تظهر عظمة اللَّه سبحانه وعلمه.. علمه بنفوس خلقه وما كانوا عليه... فاللَّه سبحانه يقضي بين الأفراد في مظالمهم وحقوقهم، فهناك من قتل في ساحة الجهاد وهناك من قتل خطأ وهناك من أكره وأجبر.. وأيضاً هناك من أخذ أموال الناس يريد أداءها ولكن أصابه عجز أو خسارة عن غير قصد، وفي نيته الدفع والأداء ولكن عاجلته المنية في الدنيا أو طال به الزمن وعجز عن الوفاء، وهناك الضرب لعقاب، وهناك السب غير المقصود، وهناك من تاب ولم يجد من أساء إليه ليعتذر منه، وهناك من هيأ اللَّه الرزق له فأراد أن يدفع دينه ولكن لم يجد المدين فتصدق عنه، وهناك من منعه من الاعتذار حدوث فتنة فأسرَّ التوبة في قلبه وسأل ربه الغفران... كل ذلك يعلمه اللَّه سبحانه فيتولى سبحانه القضاء والدفع ومصالحة الخصماء.

... ومن سوى اللَّه سبحانه يعلم كل هذا ومن بين مئات المليارات من البشر الواقفة بين يديه للحساب؟ وسيأتي بيان إرضاء اللَّه سبحانه للخصوم في حينه.

... وهكذا في هذا الموقف العصيب تأخذ محكمة العدل الإلٰهي الحق من صحيفة هذا وتضعه في صحيفة هذا، وتأخذ من سيئات هذا وتضعه في صحيفة هذا، ويرضي اللَّه الخصماء حتى تتم التصفية النهائية، ولم يعد لأحد حق عند أحد ولا مظلمة لأحد عند أحد، يبدأ اللَّه سبحانه بحساب الفرد عن أعماله بعد أن انتهت صحيفة

أعماله من الذي له والذي عليه وبقي معه ما سجل له فيها من الحسنات والسيئات.

... نعم يبقى عمله وما قدَّمه في حياته الدنيا من عبادات وطاعات ومعروف وإحسان وصدقة وإصلاح بين الناس وما قدَّمه من نوافل العبادات وما نوى فعله وفعله، وما نوى فعله ولم يفعله سواء أكان خيراً أم شراً.

الحساب الفردي
القاعدة الإلهية في الحساب، حساب الأعمال بالنيات

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرى ما نوى**»[١].

وإلا ما معنى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.
[سورة غافر، الآية: ١٩]

وإلا ما معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.
[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

وفي الدنيا بيَّن لنا رسول الله ﷺ كيف أن الله سبحانه يحاسب على ظاهر العمل وباطنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
«**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك: فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، وإن همّ بها وفعلها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمِائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها ـ أي: تخوفاً من الله تعالى كتبت له حسنة كاملة، وإن همَّ بها ففعلها كتبت له سيئة واحدة**». لذلك قال تعالى مبيِّناً لعباده أن النفاق في العمل: حيث يكون ظاهره غير باطنه.

يقول تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٤]

وهذا يكون للمنافقين الذين يتظاهرون بشيء وفي نياتهم وبواطنهم أشياء أخرى، فالنفاق إظهار العمل على غير صورته أو مراده، أما من نوى السيئة ولم يفعلها فهذا أمر آخر لأن اللّه سبحانه لا يعذب إنساناً على ذنب إلا إذا اقترفه كما بيَّنَّا في الحديث الشريف.

وكذلك فإن اللّه سبحانه تجاوز لأمة محمد عما حدثت به أنفسها دون أن تعمل به.

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن اللّه تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا به»(١).

وفي رواية: **«ما وسوست به صدورها»**.

وهذا من رحمة اللّه سبحانه وإلا كان الحساب شديداً عسيراً لا ينجو منه أحد.

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: إن أصحاب النبي ﷺ قالوا:

«يا رسول اللّه، إنَّ أحدنا ليجد في نفسه فَلأن يحترق حتى يصير حُمَمة أو يخر من السماء إلى الأرض أحبّ إليه من أن يتكلم به»(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ سألوه.. إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به! قال: «**أو قد وجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**ذلك صريح الإيمان**»[١].

وفي رواية لأبي داود قال ﷺ: «**الحمد للّه الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة**».

(١) رواه مسلم.

العدل المطلق في الحساب لا ظلم اليوم إن اللَّه سريع الحساب

.. لقد نفى اللَّه سبحانه عن نفسه الظلم وبيَّن في أكثر من آية كريمة أن اللَّه سبحانه ليس بظلام للعبيد ـ فسيتم الحساب يوم القيامة، وإن حاول الإنسان أن يدافع عن نفسه في كثير من أمور الحساب، إلا أنه يعلم أن اللَّه سبحانه لم يظلمه ولن يظلمه ولو قدر أنملة أو حبة أو مثقال ذرة أو حبة من خردل.

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٢]

ويقول تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

ويقول سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٩]

وعن يوم القيامة وحساب الناس بالعدل المطلق وأنه لا ظلم لأحد ولن يكون امرؤ مظلوماً عند الحساب.

يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ

ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ * وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

[سورة غافر، الآيات: ١٧ ـ ٢٠]

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

لا ترجمان ولا حميم ولا شفيع عند الحساب بين يدي اللّه سبحانه

يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٨]

ـ عن عدي بن حاتم رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجُمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلَّا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[١].

. . . إنه موقف الرهبة بين يدي العزيز الجبار، فإنها واللّه ساعة لا تخفى على الموقنين رهبتُها ولا على المتقين شدتها.

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري ١٧/ ٢٥٥.

إتيان اللَّه سبحانه العباد كتبهم ليقرؤوها فيحاسبوا أنفسهم قبل أن يُحاسبوا

. . . إن من عدل اللَّه سبحانه أنه يعطي كل عبد من العباد كتابه المسطور به جميع أعماله، صغيرها وكبيرها التي كتبها عليه الملكان الموكلان به في الدنيا. . . وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا هذا في كتابه الكريم حتى لا يقول العبادُ يوم القيامة: إنَّا كنا عن هذا غافلين. . أو إننا لا ندري أن لنا كتباً أو جاءنا رسل وأنه موكل بنا ملائكة تكتب جميع أعمالنا.

يقول تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٦٥]

وجاءت الآيات القرآنية الكريمة صريحة وواضحة وضوح الشمس والقمر ليس من دونهما سحاب، أن الإنسان سيقرأ كتابه قبل أن يحاسبه اللَّه سبحانه ليعلم أن اللَّه سبحانه لم يظلمه، وأن الملكين الموكلين به لم يظلماه، وأن ما سطر وكتب هو الحق والعدل فلا زيادة ولا نقصان ولا ظلم ولا افتراء ولا مسايرة، فكل كلمة نطق بها مسطورة وكل فعل مسطور وكل حركة مسطورة من غمز ولمز قصد بهما الاستهزاء والاستخفاف والسخرية، وكل بسمة وضحكة وبكاء وعويل وكل كذب ونفاق ودجل، وكل خير ولو كان قدر ذرة واحدة من فعل وقول وعمل. . تماماً كما وعد اللَّه ورسوله ﷺ، فالخطوات إلى المساجد محسوبة بمنتهى الدقة، والخطوات إلى الحرام محسوبة بمنتهى الدقة، والخطوات التي يسعى فيها

إلى مصالحة الناس رغبة في ثواب اللَّه محسوبة، والحب في اللَّه محسوب، والبغض في اللَّه محسوب، وكل ذلك سواء أكان في الليل أم في النهار، فالملكان معه في الليل والنهار منذ ولادته وحتى موته لا يفارقانه أبداً حتى في نومه ينتظرانه حتى يستيقظ.. دقة متناهية وعدل مطلق لا زيادة ولا نقصان، واللَّه أعلم بالملكين وما يكتبانه ويعلم أن ملائكته ملائكةٌ عدول لا يخونون اللَّه سبحانه ولا يفعلون إلا ما يؤمرون.

يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤]

فإذا استلم العباد كتبهم وهي سجلات كبيرة ضخمة واضحة كتب فيها مسيرة حياتهم الدنيا منذ تكليفهم وحتى مماتهم.. فكم يتكلم الإنسان من كلام في اليوم ويعمل أعمالاً.. فتصور حجم هذه الكتب وكم سطر فيها من خير وشر... فإذا استلموها قرؤوها بتفصيل دقيق، كلمةً كلمة وعملاً عملاً، يظهر فيها الصدق والكذب والحق والمراءاة والنفاق والوفاء.

... فأما الكافر والمشرك والضال والعاصي والمجرم والأفاك والأثيم والحلاف والكذاب فيصرخ ويبكي ويقول: يا ويلتي يا ويلتي ما لهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وكتبها ـ يا ويلتي لقد نسيت هذا كله.. وا حسرتاه على ما فرطت في جنب اللَّه.

يقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ولنقرأ في كتب المفسرين حول هذه الآية العظيمة، والتي تصور حال الضالين والعصاة من الخلائق ساعة قراءتهم لكتبهم، حيث يدرك الهالك هلاكه ويدرك الناجي نجاته فلا ظلم اليوم عند الله سبحانه.

يقول ابن كثير في تفسيره:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾؛ أي كتاب الأعمال، الذي فيه الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، والصغير والكبير، ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾؛ أي من أعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة، ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾، أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرَّطنا في أعمارنا ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾؛ أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها، أي ضبطها وحفظها، وقوله: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ﴾؛ أي من خير وشر كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٣٠]

وقوله: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلقه، بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم، ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، ثم ينجِّي أصحاب المعاصي، ويخلِّد فيها الكافرين، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أي وضعت صحائف أعمال البشر وعرضت عليهم ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾؛ أي فترى المجرمين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾؛ أي يا حسرتنا ويا هلاكنا على ما فرَّطنا في حياتنا الدنيا ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾. . . أي ما شأن هذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ضبطها وأحاط بها؟ ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾؛ أي مكتوباً مثبتاً في الكتاب ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، أي لا يعاقب إنساناً بغير جُرم ولا ينقص من ثواب المحسن: أي وجعل كتاب صحيفة الأعمال لكل إنسان في يده حين الحساب، فترى المجرمين خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ويقولون: يا هلاكنا، ما شأن هذا الكتاب لا يترك سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا عدَّها وأثبتها، ووجدوا ما عملوا في الدنيا من المعاصي مكتوباً مثبتاً في كتاب كل واحد منهم، ولا يعاقب ربك أحداً من غير ذنب ولا يتجاوز ما حدَّه من العقاب.

وأما إذا قرأ المؤمن كتابه ورأى أعماله مسطورة ما نقص منها شيء، بل وجد فيها ما وعد اللّه سبحانه من مضاعفة الحسنات في أي عمل قام به كما مرَّ معنا في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم:

«إن اللّه كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، وإن همَّ بها وفعلها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة». رواه البخاري ومسلم. ثم يقرأ المؤمن الصالح أن اللّه سبحانه تجاوز عن كثير من أخطائه وذنوبه وهفواته.

. . . ألم يقل رسول اللّه ﷺ كما ورد:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[1].

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كفارات الخطايا: إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة»(١)

... وكثيرة هي الأعمال التي تمحو الخطايا وتحطها حطًّا.

... فإذا قرأ المؤمن الصالح هذا ووجد رحمة الله في كتابه، وأن كتابه مليء بالحسنات طار فرحاً وأخذ ينادي بين الناس هاؤم اقرؤوا كتابيه.. وأي سعادة أعظم من هذه السعادة والناس في همٍّ عظيم وخوف شديد؟

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

[سورة الحاقة، الآيتان: ١٩، ٢٠]

وقد بيَّن الله سبحانه لنا في كتابه الكريم أن لكل إنسان ملكين يكتبان أقواله وأعماله: ملك عن يمينه، وملك عن شماله، لا يكتبان إلا الحق ولا يزيدان ولا ينقصان.

يقول تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨]

ويقول تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٨٠]

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

[سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢]

---

(١) رواه ابن ماجه.

وقد نبَّه اللَّه سبحانه أنه سيخرج لهم يوم القيامة كتاباً ينطق على كل عبد بالحق، لأن اللَّه سبحانه يستنسخ ما كان الناس يقولونه ويعملونه.

يقول تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾.

[سورة يس، الآية: ١٢]

ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٨١]

لذلك عندما يقرأ العباد كتبهم ويعلمون أن كل ما فيها حق، ويتذكرون كل مسطور فيها من أقوالهم وأعمالهم بعد أن نسوها تماماً، يسألهم ربهم: هل ظلمكم كتبتي أي الملائكة؟ وهل تنكرون من هذا المكتوب شيئاً؟ فلا يستطيعون أن يكذبوا على اللَّه سبحانه.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن اللَّه سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب»(١).

وللحديث بقية سنعرضه في حينه.

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني.

لذلك سأل اللّٰه سبحانه عباده المؤمنين العفو والمسامحة في الدنيا عن المظالم لينالهم أجر عظيم في الآخرة، وبيَّن رسول اللّٰه ﷺ ما يعفو عنه اللّٰه يوم القيامة وما لا يعفو عنه ومنها مظالم العباد، عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن النبي ﷺ قال:

«الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر اللّٰه منه شيئاً، وديوان لا يعبأ اللّٰه به شيئاً، وديوان لا يترك اللّٰه منه شيئاً. قال ﷺ: فأما الديوان الذي لا يغفر منه شيئاً فالإشراك باللّٰه تعالى، وأما الديوان الذي لا يعبأ اللّٰه به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فإن اللّٰه يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز، وأما الديوان الذي لا يترك اللّٰه منه شيئاً فمظالم العباد، بينهم القصاص لا محالة»(١).

قال العلامة الطيبي رحمهُ اللّٰه تعالى: إنما قال ﷺ في القرينة الأولىٰ: لا يغفر اللّٰه منه، ليدل على أن الشرك لا يغفر أصلاً، وفي الثالثة لا يترك ليؤذن بأن حق الآخرين لا يهمل قطعاً، فإما أن يقتص من خصمه أو يرضيه اللّٰه سبحانه وتعالى.

... لذلك عظَّم اللّٰه سبحانه أمر (العفو) في كتابه الكريم ووعد العافين في الدنيا أجراً عظيماً في الآخرة، ذلك رحمة من اللّٰه في المؤمنين في الدنيا حتى لا يقف المؤمن موقف الذليل يوم القيامة عند مطالبة الخصم بحقه إن لم يقدر على وفائه في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾.

[سورة آل عمران: الآيتان: ١٣٣، ١٣٤]

---

(١) رواه الإمام أحمد والحاكم في المستدرك.

فانظر كيف وصل اللّٰه سبحانه بيَّن دخول جناته وبين أولئك الذين ينفقون في السراء والضراء والذين يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس.

ويقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٩]

وكذلك فإن اللّٰه سبحانه طلب من المؤمنين أن يعفوا عن المَدِين المُعسِر الذي لم يعد يستطيع الوفاء ولأمر ألَمَّ به ووعدهم بأجر عظيم.

يقول تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٠]

أي أن تعفوا عن الدين فهو خير لكم عند ربكم.

تصوير القرطبي لمشهد الحساب

قال القرطبي مصوراً مشهد الحساب: فإذا بعث العباد من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء اللّه، حفاةً عراةً، وجاء وقت الحساب الذي يريد اللّه أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه.

وأنشدوا:

مثّل وقوفك يوم العرض عُرياناً ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... علىٰ العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... اقرأ من عرف الأشياء عرفانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهَّم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هلمَّ إلى العرض على اللّه تعالى، وقد وكلت الملائكة بأخذك، فقربتك إلى اللّه، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذا قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغيّر لونك، وطار قلبك، تُخطيَ بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت في أيديهم،

وقد طار قلبك، واشتد رعبك، لعلمك أين يراد بك.

فتوهَّم نفسك، وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكّركها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص، فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً! فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك.

فأما من أوتي كتابه بيمينه، فيعلم أنه من أهل الجنة، فيقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه، وذلك حين يأذن اللّه، فيقرأ كتابه، فإذا كان الرجل رأساً في الخير يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر من تبعه عليه، دعي باسمه واسم أبيه، فيتقدم حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض، في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها ويصفر وجهه ويتغيَّر لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد غفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً، ثم يقلب كتابه، فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحاً، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك، قد ضوعفت لك، فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج، فيوضع على رأسه، ويكسى حلتين، ويحلى كل مفصل فيه، ويكون بطول ستين ذراعاً، وهي قامة آدم. ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشّرهم، وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾، قال اللّه تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾، أي مرضية قد رضيها ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾ في السماء ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿دَانِيَةٞ﴾ أدنيت منهم. فيقول لأصحابه:

هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة اللّه، من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشّر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ أي قدّمتم في أيام الدنيا.

وإذا كان الرجل رأساً في الشر يدعو إليه، ويأمر به، فيكثر من تبعه عليه، ونودي باسمه واسم أبيه، فيتقدَّم إلى حسابه، فيخرج له كتاب أسود، بخطٍ أسود، في باطنه الحسنات، وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها، ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه حسناتك، وقد ردت عليك، فيسود وجهه، ويعلوه الحزن، ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه، فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد ضوعفت عليك، أي يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل. قال: فيعظم إلى النار، وتزرق عيناه، ويسود وجهه، ويكسى سرابيل القطران.

ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فينطلق وهو يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ * وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ * يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ يعني الموت ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ تفسير ابن عباس رضي اللّه عنهما: هلكت عني حجتي.

قال اللّه تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي اجعلوه يصلى الجحيم ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ اللّه أعلم بأي ذراع. قال الحسن وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما: سبعون ذراعاً بذراع الملك ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾ قيل: يدخل عنقه فيها، ثم يُجَرّ بِها، ولو أن حلْقة منها وضعت على جبل لذاب.

فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفوني؟ فيقولون: لا، ولكن قد

نرى ما بك من الحزن، فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، لكل إنسان منكم مثل هذا.

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، فتخلع كتفه اليسرى، فيجعل يده خلفه، فيأخذ بها كتابه. وقال مجاهد: يحوّل وجهه في موضع قفاه، فيقرأ كتابه كذلك.

فتوهَّم نفسك إن كنت من السعداء، وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه، قد حلّ بك الكمال والحسن والجمال، كتابك في يمينك، آخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً. وأما إن كنت من أهل الشقاوة، فيسود وجهك، وتتخطى الخلائق، كتابك في شمالك، أو من وراء ظهرك، تنادي بالويل والثبور، وملك آخذ بضبعيك ينادي على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

الفصل الثالث

حساب المؤمنين ومنهم أمة محمد ﷺ :

ـ أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم .

ـ أول الناس حساباً وقضاءً يوم القيامة المراؤون والمنافقون .

ـ عظم شأن الدماء وأول ما يُقضىٰ بين العباد في الدماء .

ـ عصاة المؤمنين عند الحساب وأحوالهم .

أولاً : الذين لا يؤدون فريضة الصلاة .

ثانياً : الذين لا يؤدون فريضة الزكاة .

ثالثاً : التاركون لفرض الصيام .

رابعاً : التاركون لفريضة الحج .

خامساً : آكلو الربا .

سادساً : مدمنو الخمر .

سابعاً : العاق لوالديه .

ثامناً : المتكبرون .

تاسعاً : الغادرون وفضيحتهم .

عاشراً : الغلو .

أحد عشر : صاحب الوجهين .

اثنا عشر : المنان بما أعطى .

ثلاثة عشر : غاصب الأرض .

أربعة عشر : الديوث والشيخ الزاني والمرأة المسترجلة .

خمسة عشر : الحاكم الذي يحتجب عن رعيته

ستة عشر : الذي يسأل الناس وعنده من الرزق ما يكفيه ويغنيه .

سبعة عشر : الذين يكذبون في حلمهم ويستمعون للناس وهم لهم كارهون .

ثمانية عشر : السحرة والعرّافون .

تسعة عشر : آكلُ أموال اليتامى ظلماً .

عشرون : التولي يوم الزحف (الجهاد) .

واحد وعشرون : قذف المحصنات المؤمنات الغافلات .

اثنان وعشرون : كتم العلماء لعلمهم واحتجابهم عن الناس .

ثلاثة وعشرون : أصحاب الأيمان الكاذبة .

أربعة وعشرون : جر الثوب استكباراً وخيلاء .

حساب المؤمنين
ومنهم أمة محمد ﷺ

١ ـ عصاة المؤمنين عند الحساب وأحوالهم .

٢ ـ الأتقياء من المؤمنين عند الحساب وأحوالهم .

أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم

في هذا اليوم العظيم تكون لأمة محمد ﷺ إكرامات وأولويات عن سائر الأمم وإن كانوا آخر الأمم إلا أن اللَّه سبحانه يجعلهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يدخل الجنة.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بَيْد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه اللَّه علينا هدانا اللَّه له، والناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد »(١).

عن أبي هريرة وحذيفة رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ:

« نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق »(٢).

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال: **« نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيّها؟ فنحن الآخرون الأولون »**(٣).

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٥٨٥.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ٥٨٦.

(٣) رواه ابن ماجه في السنن برقم ١٤٣٤ وصححه الألباني والهيثمي.

ـ أول الناس حساباً وقضاءً يوم القيامة المراؤون والمنافقون:

لقد بيَّن رسول اللّه ﷺ أن المرائين والمنافقين هما أول من يقف بين يدي اللّه سبحانه، واللّه يعلمهم جميعاً فيدعون دعوة واحدة ويقفون موقفاً واحداً وما ذلك على اللّه بعزيز.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأُتي به، فعرّفه نعمهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أمر به، فسُحب علىٰ وجهه، حتى ألقي في النار. . . ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع اللّه عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرّفه نعمهُ، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»(١).

ـ عظم شأن الدماء وأول ما يقضى بين العباد في الدماء

من أعظم الأمور عند اللّه أن يسفك العباد بعضهم دم بعض في غير الطريق الذي شرعه اللّه تبارك وتعالى، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الترمذي عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم، رقم الحديث ١٩٠٥.

«يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: يا رب، هذا قتلني: فيقول: لم قتلته؟

فيقول: قتلته لتكون العزة لك.

فيقول: فإنها لي.

ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: أي رب، إن هذا قتلني.

فيقول الله: لِمَ قتلته؟

فيقول: لتكون العزة لفلان.

فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه».

وفي السنن للترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، فيقول: يا رب، سل هذا فِيمَ قتلني؟ حتى يدنيه من العرش**»[١].

ولعظم أمر الدماء فإنها تكون أول شيء يقضى فيه بين العباد.

فقد روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[٢].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: وفي الحديث عظم أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك[٣].

ولا تعارض بين هذا الحديث وحديث: «**إن أول ما يحاسب عليه**

(١) صحيح الجامع الصغير: (٦/ ٣٢٤) ورقم الحديث: ٧٨٨٧.

(٢) جامع الأصول: (١٠ / ٤٣٣٦، ورقمه: ٧٩٦٨).

(٣) فتح الباري: (١١/ ٣٩٧).

العبد الصلاة» ، قال ابن حجر العسقلاني: ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة رفعه:

« **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته»** الحديث أخرجه أصحاب السنن، لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق. والثاني: فيما يتعلق بعبادة الخالق. وقد جمع النسائي في روايته في حديث ابن مسعود بين الخبرين، ولفظه:

« **أول ما يحاسب العبد عليه صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء»**[(١)] .

---

(١) فتح الباري: (١١/ ٣٩٦).

عصاة المؤمنين
عند الحساب وأحوالهم

مدخل :

ليست حال عصاة المؤمنين الموحدين عند العرض على اللّه سبحانه والحساب حالاً واحدة إنما هي حالات كثيرة ودرجات كثيرة. . . فهم كما يتفاوتون عند البعث من القبور والحشر والموقف في أرض المحشر الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، كذلك يتفاوتون عند العرض على اللّه سبحانه قبل بدء فصل القضاء والحساب كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٨]

. . . كذلك هم يتفاوتون عند الحساب فهم حالات ودرجات، وكل حسب عمله ودرجة إيمانه وما قدَّمه في حياته الدنيا من خير أو شر ومن طاعة أو معصية.

. . . فحال عصاة المؤمنين عند الحساب تختلف باختلاف ما ارتكبوه من معاصٍ وذنوب وترك لفرائض اللّه سبحانه، وأيضاً ما ارتكبوه من كبائر حرَّمها اللّه سبحانه عليهم.

. . . فمنهم من كان يرتكب كبيرة واحدة ولا يأتي غيرها، ومنهم من كان يرتكب كبيرتين، أو ثلاثاً، أو خمساً. . ومنهم من كان

يأتي فريضة الصيام ولكنه لا يأتي فريضة الصلاة.. ومنهم من كان يأتي فريضة الصلاة والصيام ولكنه لم يؤدِ فريضة الحج وما عليه من زكاة في ماله.. ومنهم من أدّى زكاة ماله سنوات وانقطع سنوات، ومنهم من صلَّى الفروض سنوات وانقطع سنوات.

.. ومنهم من كان يأتي الكبيرة في السنة مرة واحدة، ومنهم من كان يأتيها في السنة مِائة مرة.. ومنهم من كان يرتكب كبيرة الزنا ولكنه لا يرتكب كبيرة الربا والخمر.. ومنهم من كان قائماً على فروضه كلها مرائياً ولكنه يزني ويرابي ويشرب الخمر إلى مئات بل آلاف الاحتمالات والحالات بين العصاة.

.. واللَّه سبحانه يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

فلا بد أن يكون لكل عبد حالة ودرجة في كل موقف من مواقف يوم القيامة.

... فلو أن رجلين تشابها في كل أعمالهما ولكن أحدهما زاد عليه في عمره صلاة فريضة واحدة في المسجد، أداها هو الآخر في بيته لكان بينهما تفاضل عند الذي لا تضيع عنده مثاقيل الذر.

... وكثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ التي بيَّنت هذه الحالات وبيَّنت عقاب أهل الكبائر وجزاء أهل الخير من المؤمنين الأتقياء.. وقد فصَّل اللَّه سبحانه ورسوله هذه الحالات.. وعقوبة أو جزاء كل حالة منها يوم القيامة.

... فصغائر ذنوب المؤمنين الصالحين قد غفرها اللَّه سبحانه وتعالى في الدنيا بفضل عبادتهم وأعمالهم الصالحة، والأحاديث

الشريفة قد أشارت إلى هذا كقوله ﷺ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»(١).

وأما عصاة المؤمنين الذين ماتوا على المعاصي والكبائر، ولم يؤدوا ما عليهم من فرائض وطاعات فإن الصغائر تبقىٰ معهم كما تَبقىٰ الكبائر، لأنّ الصغائر كما قدّمت لها شروط لغفرانها فإذا لم تؤت لم تغفر لهم..

... ولقد جعل اللّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ لكل كبيرة ومعصية وترك الفرض حالة من العذاب يوم القيامة.. فحالة الذين لا يؤدون الزكاة تختلف عن حالة الذين لا يؤدون الصلاة، أو الصيام أو الحج.

... وكذلك حالة مرتكب الزنى غير حال مرتكب الربا (المرابون) فلكل حالة موقف وعذاب.

... وفي الفقرات التالية نتناول تلك الحالات وعذابها نسأل اللّه برحمته أن يجنِّبنا إياها ويتوب على مرتكبها في الدنيا كي يأمن من سخط اللّه يوم القيامة ويأمن من عذابها المذل المهين، أجارنا اللّه سبحانه وإياكم من مثل هذه المواقف، وأبعدنا عن العذاب والذل والهوان.

أولاً: الذين لا يؤدون فريضة الصلاة:

لقد جعل اللّه سبحانه لفرائضه التي افترضها على عباده أعذاراً

---

(١) رواه مسلم وأحمد في مسنده والترمذي في السنن.

إلا الصلاة فلم يجعل اللَّه سبحانه لها أي عذر فقد أُمِر بها الصغير وهو ابن عشر، وهي مفروضة على الكبير، والشيخ العجوز، والمعافى، والمريض، والمقيم، والمسافر، والأعمى والبصير، والسيد والعبد، والرئيس والمرؤوس، لم يعف منها أحد من المسلمين، فمن لم يستطع أن يصليها واقفاً فقاعداً، ومن لم يستطع أن يصليها قاعداً فمضجعاً، ومن لم يستطع أن يصليها مضجعاً فبلسانه أو في قلبه وفكره. . . ففرض الزكاة على من يملك المال وفرض الحج على من يستطيع إليه سبيلاً، وفرض الصيام على الذين يستطيعونه، أما الصلاة فلا أعذار لها. لذلك يكون الحساب على الصلاة عسيراً جداً يوم القيامة. . وقد فرَّق رسول اللَّه ﷺ الكافر عن المؤمن بترك الصلاة. قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**».

فمن ترك الصلاة عامداً متعمداً جاحداً لفريضتها فهو كافر بحكم الشرع من حديث رسول اللَّه ﷺ، لذلك يكون الحساب عسيراً على ترك الصلاة وهي الركن الأول من أركان الإسلام، وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ موقف تارك الصلاة يوم القيامة وهو بين يدي اللَّه سبحانه عند الحساب.

ـ عن أنس بن حكيم الضبي قال: خاف من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقي أبا هريرة، قال: فنسبني فانتسبت له، فقال: يا فتى ألا أحدثك حديثاً؟ قال: قلت: بلى رحمك اللَّه، قال يونس: وأحسبه ذكره.

عن النبي ﷺ قال:

«**إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وان كان انتقص منها شيئاً قال:**

انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم وتؤخذ الأعمال علىٰ ذاكم»[١].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وان فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك»[٢].

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز وجلَّ لملائكته: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا، هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال بعد ذلك»[٣].

. . . فإن كان تارك الصلاة عامداً طوال حياته ومات على ذلك فهو مع الكافرين في النار لكنه لا يخلد فيها إن كان مؤمناً لم يرتد عن دينه وهو من أهل شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه. . فهذا أمره إلى اللَّه. . . وفي مرحلة من المراحل تصيبه الشفاعة فعلمه عند اللَّه سبحانه.

. . . أما من صلحت صلاته فكما في الحديث فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت كأن تكون صلاته نفاقاً أو مراءاة فقد خاب

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢/ ٤٢٥ وأبو داود في السنن ١/ ٢٠٠١.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه صحيح الجامع ٢/ ١٨٤رقم ٢٠١٦.

(٣) رواه أبو داود وأحمد والنسائي والحاكم صحيح الجامع (١/ ٣٥٢ رقم ٢٥٦٨٢).

وخسر، وأما من كانت صلاته ناقصة، فينظر في صلاة التطوع من سنن ونوافل هل تكمل الفروض أم لا تكمل.. فإن كانت لا تكمل حوسب حساباً شديداً على الفروض التي تركها.. أما إذا كان متكاسلاً عن الصلاة وسها عنها بصورة دائمة أو لا يصلي إلا يوم الجمعة أو ما شابه فقد قال تعالى في هؤلاء:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

[سورة الماعون، الآيات: ٤ ـ ٧]

ثانياً: الذين لا يؤتون الزكاة:

الزكاة فرض فرضه اللّٰه سبحانه على المؤمنين وشدَّد سبحانه على الناس المالكين للنصاب في أداء هذا الفرض لما له من أهمية عظيمة في إقامة المجتمعات المسلمة القادرة على مسيرة الحياة بما يريده اللّٰه سبحانه.

فكما أن اللّٰه سبحانه وعد دافعي الزكاة والمتصدقين في سبيل اللّٰه تعالى أجراً وجزاءً عظيماً يوم يلقونه، يوم القيامة، كذلك توعَّد اللّٰه سبحانه مانعي الزكاة بعذاب شديد، وقد أمر اللّٰه سبحانه بإيتاء الزكاة واعتبرها من صفات المؤمنين الذين يؤمنون باللّٰه تعالى.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

[سورة البقرة: الآية: ٣]

وقد قرن اللّٰه سبحانه الصلاة في أكثر الآيات بالزكاة لما لها من أهمية اجتماعية عظمى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٤٣]

وبشّر المؤمنين المقيمين للصلاة والمؤدين الزكاة:

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۞ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

[سورة النمل، الآيات: ١ ـ ٣]

ولقد وصف اللّه سبحانه المشركين بأنهم لا يؤتون الزكاة وتوعدهم بالويل يوم القيامة، إذ إن من أسوأ أمور الشرك أن صاحبه لا يؤدي الزكاة.

يقول تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ .

[سورة فصلت، الآيتان: ٦، ٧]

ولقد توعد اللّه سبحانه مانعي الزكاة بعذاب أليم:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

ومانع الزكاة يبدأ عذابه منذ لحظات الاحتضار وتتوالى عليه المخازي والمآسي والحسرات.. وتارك الزكاة كما يعذّب في قبره فإنه يعذّب في مواقف الآخرة على شدتها وتنوعها، ويعذّب في حسابه فيشدّد عليه.

عن علي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن اللّه فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع

أغنياؤهم، ألا وإن اللَّه يحاسبهم حساباً شديداً ويعذّبهم عذاباً أليماً».

[رواه الطبراني في الأوسط والصغير]

وقد صوَّر اللَّه سبحانه في القرآن الكريم عذاب مانعي الزكاة وتوعدهم بشديد العذاب.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآيتان: ٣٤، ٣٥]

- عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوق به عنقه، ثم قرأ علينا النبي ﷺ مصداقه من كتاب اللَّه تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾»(١).

أما عذابه في مواقف الآخرة: فكما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منهما حقهما إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار».

قيل: يا رسول اللَّه فالإبل؟

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له، وكذلك رواه النسائي بإسناد صحيح.

قال ﷺ: **« ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها ـ إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، كلما مر عليها أولاها رُدَّ عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار »**.

قيل: يا رسول اللَّه، فالبقر والغنم؟ قال ﷺ:

« ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها شيئاً ليس منها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »(١).

فالعذاب الذي يفرضه اللَّه سبحانه على مانعي الزكاة شديد جداً لا تحتمله أجساد ولا أنفس ولا عقول ولا قلوب.. ومنع الزكاة من الأمور التي يبغضها اللَّه سبحانه ويبغض أصحابها، فالبخيل بعيد من اللَّه بعيد من الناس قريب من النار عسى من قرأ هذه الأحاديث الشريفة وكان قد امتنع عن الزكاة أن يعود إلى أداء ما عليه من زكاة مال من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، ومن قبل. . . . أن يأتي الموت فيقول العبد: ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق ولكن اللَّه لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها.

يقول تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ثالثاً: التاركون لفرض الصيام:

الصيام فرض من الفروض، تاركه عمداً وجحوداً كافر ولا أتصور أن تارك الصيام عمداً إلا تاركاً لفرض الصلاة والحج، فالعمد في ترك فرض يجر تلقائياً إلى ترك باقي الفروض على الأغلب.

. . . ولقد أفرد اللّه سبحانه آيات في القرآن الكريم تتحدث عن فرض الصيام. يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٨٣]

ويقول تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٨٥]

ويكفي تارك فرض الصيام أن خسر جزاءً وأجراً عظيماً من اللّه سبحانه سيخصه للمؤمنين الصائمين في الدنيا.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: قال اللّه تعالى: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**».

[رواه البخاري]

ويكفي أيضاً أنه حرم من الدخول من باب الريان أحد أبواب الجنة الذي خصه اللّه سبحانه للصائمين.

. . . فتارك فرض الصيام وهو مقتدر عليه له في هذا الموقف من محاسبة اللّه سبحانه عذاب أليم شديد.

رابعاً: التاركون لفرض الحج:

التاركون لفرض الحج عامدين متعمدين جاحدين، كتاركي

فرض الصلاة والزكاة والصيام عامدين متعمدين جاحدين فهم في حكم الكافر.

والحج أمر اللَّه سبحانه وهو له، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٩٧]

فاللَّه سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾. ثم قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلم يقل سبحانه: ومن تركه، فإن اللَّه غني عن العالمين ولكن قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وهذه إشارة من اللَّه سبحانه أن من تركه فكأنه كفر.

ويقول تعالى في الحديث القدسي:

«إن عبداً أصححت له بدنه وأوسعت عليه في الرزق، ثم لم يفد إليَّ بعد أربعة أعوام لمحروم». رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه.

خامساً: آكلو الربا:

آكلو الربا ومانعو الزكاة توجد بينهما صلة ورابط، فهم أي آكلو الربا، في ذات الوقت مانعون للزكاة، فلا يمكن لإنسان يؤدي حق اللَّه في ماله أن يقبل على نفسه أكل الربا، ولا يمكن لآكل الربا أن يدفع حق اللَّه في ماله فهما صنوان، وعذاب الاثنين على مرأى ومسمع من الناس، ويا هول عذاب آكل الربا فإنه يحشر كالمجانين الذين يقومون ويقعدون ويتخبطون تخبط الذي مسه الشيطان بأذى وسوء فيكون أشبه بالمجنون الذي فقد عقله.

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى

يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٧٥]

ولذلك آكل الربا عذابه عظيم عند اللَّه، وربما رحمة اللَّه لا تشمل أمثال هؤلاء، لأن هؤلاء لم يكن ضررهم على أنفسهم إنما كان في حق العباد، فكم آذوا من أشخاص وكم شتتوا من أسر فنمت ثَرَواتهم على حساب هؤلاء الذين احتاجوا إليهم مضطرين، فهدّوا البيوت، وشردوا أصحابها، وبنوا قصورهم علىٰ أجسادهم، وسرقوا جهدهم، وعرقهم وعملهم، وتركوهم في ضياع، فحق علىٰ اللَّه أن يحشرهم يوم القيامة شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة، ثم يكونون كالمجانين يتخبطون في أرض المحشر ليس لهم راحم ولا شفيع.

ويكفي آكلو الربا إثماً وذنباً أن رسول اللَّه ﷺ اعتبر أكل الربا من السبع الموبقات.

يقول رسول اللَّه ﷺ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

. . . فأكل الربا من السبع التي توبق صاحبها وتوقعه في عذاب اللَّه يوم القيامة، وتكون من الأسباب التي تدخل النار زيادة على ما ذاقوه من عذاب على طول يوم القيامة.

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي في السنن.

سادساً: مدمنو الخمر:

أولئك الذين عاشوا وماتوا ولم يتوبوا إلىٰ اللّه سبحانه وهم عصاة للّه سبحانه في شربهم للخمر.. وجميعنا يعلم أن اللّه سبحانه حرَّم الخمر تحريماً قطعياً وأنذر شاربها بالعذاب لمخالفته أمر اللّه سبحانه.. ذلك أن الخمر لها تأثيران سلبيان علىٰ الشارب في الحياة الدنيا فهي أولاً تنسيه ذكر اللّه وواجباتِه الشرعية، وتذهب عقله ثانياً، وقد تذهب بأسرته وتضيعها لضياع صاحب الأسرة وضياع ماله وإنفاقه على ما حرَّم اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٩٠]

ورسول اللّه ﷺ قال في أكثر من حديث شريف: إنَّ شارب الخمر لا يكلِّمه اللّه سبحانه يوم القيامة ولا يزكيه ولا يدخله الجنة.

عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ثلاثة قد حرَّم اللّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدَّيوث الذي يقر في أهله الخبث»(١).

عن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى»(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في السنن والحاكم في المستدرك.

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر**»[(١)].

لذلك فإن موقف شاربي الخمر وهم بين يدي الله، موقفٌ شاق أليم مهين، وهم محرومون من رحمة الله في ذلك الموقف، وقد توعَّدهم الله سبحانه ورسوله بحرمانهم من الجنة ودخولهم النار.

سابعاً: العاق لوالديه (العقوق):

لقد شدَّد الله سبحانه في كتابه الكريم على طاعة الوالدين والإحسان إليهما وكان ذلك قضاءه في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

[سورة الإسراء: الآية: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ١٥]

وقد أوجب الله سبحانه مصاحبتهما والإحسان إليهما، حتى لو طلبا منه الكفر، لكنه لا يجيبهما لطلبهما الظالم.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

[سورة لقمان، الآية: ١٥]

وكذلك نبّه رسول الله ﷺ في عشرات الأحاديث الشريفة على طاعة الوالدين ووجوب الإحسان إليهما، ومن ثم أنذر المؤمنين بأن

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير وهو صحيح.

اللَّه سبحانه أعدَّ للعاق عذاباً أليماً، وأنه محروم من رحمة اللَّه والجنة يوم القيامة لِمَا لطاعة الوالدين من أهمية عظمى.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»[١].

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة قد حرَّم اللَّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث»[٢].

عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر إليهم اللَّه يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن للخمر، والمنان بما أعطى»[٣].

ثامناً: المتكبرون:

الكبر من أعظم الذنوب فهو جريمة كبرى في حكم اللَّه تعالى واللَّه سبحانه يبغض المتكبرين بغضاً شديداً ويبعثهم يوم القيامة بصورة ذليلة مهينة.

ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٣٠٦٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده.

(٣) رواه أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك.

« يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة، في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان »[١].

روى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

« أخنع اسم عند اللَّه يوم القيامة، رجل تسمى ملك الأملاك » وزاد مسلم في رواية: (لا مالك إلا اللَّه عز وجل)[١].

ورواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة بلفظ: **« أغيظ رجل على اللَّه يوم القيامة، وأخبثه، وأغيظه عليه: رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا اللَّه »**[٢].

قال القاضي عياض: أخنع: معناه أشد الأسماء صغاراً، وقال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء، كان من تسمى به أشد ذلاً[٣].

والمتكبرون أصناف عديدة يوم القيامة، ولا يشترط أن يكون المتكبر سيداً أو أجيراً أو غنياً.. بل منهم من كان فقيراً ولكنه مستكبر في فقره.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ثلاثة لا يكلِّمهم اللَّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر »[٤].

وقد توعَّد اللَّه سبحانه من يستكبر عن عبادته ودعائه جهنم.

---

(١) رواه الترمذي مشكاة المصابيح (٢/ ٦٣٥ برقم ٥١١٢).
(٢) سلسله الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٩١٤.
(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٨٩).
(٤) رواه مسلم والنسائي في السنن.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٦٠]

ومن المتكبرين الذين يسبلون إزارهم خُيَلاء وتِيهاً وتكبراً.

عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ثلاثة لا يكلمهم اللّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:

المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلّا منّةً، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ».

[رواه مسلم وأحمد]

ويقول تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٧٦]

وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٢٣]

فمن استكبر فقد حلَّ عليه بغض اللّه سبحانه وغضبه ومن يحلل عليه بغض اللّه وغضبه فقد هوى.

تاسعاً: الغادرون وفضيحتهم:

الغدر ليس من شيم المؤمن ولا من مدرسة الأخلاق الحميدة التي تخرج منها المسلمون وأدَّبهم بها القرآن الكريم وسنة رسول اللّه ﷺ.

ولقد نبَّهنا اللَّه سبحانه أن لا نخون ولا نغدر ولا نعتدي في الدنيا حتى لو كان المعاهَد كافراً أو مشركاً، فالمؤمن الحق لا ينقض عهداً ولا ميثاقاً ولا يغدر بعهده ولا بذمته.

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٦]

فهذا عهد للمشركين فكيف يكون حال العهد بين المسلمين جماعاتٍ أو أفراداً؟.. فاللَّه سبحانه لا يحب الغادرين الخائنين.. لذلك توعَّدهم يوم يلقونه بعذاب وذل وصغار ومهانة.. وكذلك فإن كلمة غادر تحمل معنى الذي يواعد على أمر ولا يفي به.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا جمع اللَّه الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان»(١). واللواء: الراية.

فكل غادر غدر في الدنيا ترفع له راية تكتب عليها غدرته لزيادة ذله وهوانه فيفضح بذلك أمام الناس وتجعل الراية خلفه عند استه مهانة وصغاراً.

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة»(٢). استه ـ ثَقْب مؤخِّرته.

وترتفع الراية كلما كانت الغدرة كبيرة حتى يزداد الغادر فضيحة في هذا الموقف العظيم.

---

(١) صحيح مسلم رقم الحديث ١٧٣٥.

(٢) رواه مسلم برقم ١٧٣٨.

ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة»(١).

وغدر أمير الجماعة أكبر بكثير من غدر أمير العامة لأنّ الضرر يتجاوزه إلى خلق كثير فيلحق بهم الأذى والضرر.

عاشراً: الغلول:

.. الغالّ الآخذ من الغنيمة في الخفاء تحت طمع وأَثَرة وضعف من الإيمان.. وقد توعد اللّه سبحانه الغالَّ بفضحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد عندما يُعرض الناس للحساب بين يدي اللّه سبحانه ويحمل ما غلَّ على رقبته يوم القيامة إمعاناً في الهوان والذل.

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦١]

ومعنى الآية الكريمة أن الغَالَّ يأتي بما غلَّ يوم القيامة حاملاً ما غَلَّه على ظهره أو رقبته معذباً بما يحمل من حمله، وصوته المرعب فوق رقبته وذلك على رؤوس الأشهاد، فضيحة وهواناً وبياناً بما فعل وغَلَّ.

ومن الغلول غلول الحكام والعمال والموظفين والمديرين والولاة من الأموال العامة التي بين أيديهم.. ولقد بيَّن رسول اللّه ﷺ في أكثرَ من حديث شريف ما يلقاه الغالون عند الحساب والوقوف بين يدي اللّه سبحانه للعرض والحساب.

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٦١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قام فينا رسول اللَّه ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظَّمه، وعظَّم أمره، ثم قال:

«لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رأسه رقاع تخفق، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول اللَّه، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك»(١).

وأخرج الطبراني في (معجمه الكبير) والبيهقي في (السنن) والحميدي في مسنده أن الرسول ﷺ استعمل عبادة بن الصامت على الصدقة، ثم قال له: **«اتق اللَّه يا أبا الوليد أن تأتي يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاه لها ثؤاج»**(٢).

وقد ساق ابن كثير في تفسيره الأحاديث المرهبة من الغلول، ومنها أحاديث غلول العمال من الصدقات، وساق حديث أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول اللَّه ﷺ رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أُهدي لي.

---

(١) رواه الشيخان واللفظ لمسلم مشكاة المصابيح رقم الحديث(٣٩٩٥).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث(٨٥٧).

فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فقال:

«ما بال العامل نبعثه على عمل، فيقول: هذا لكم، وهذا لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيُهْدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»(١).

أحد عشر: صاحب الوجهين:

إن من شر الناس يوم القيامة، من كان له وجهان فيأتي بعض الناس بوجه وبعضهم الآخر بوجه آخر دليل نفاقه وكذبه وخداعه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(٢).

عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كان له وجهان في الدنيا كان له لسان من نار يوم القيامة»(٣).

اثنا عشر: المنان بما أعطى:

هذا الصنف من الناس يبغضه الله سبحانه وقد بيَّن جلَّ جلاله في كتابه الكريم سوء وفحش وأذى وضرر هؤلاء على الفقراء والمساكين.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم مشكاة المصابيح رقم الحديث ٤٨٢٠.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود.

وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾.

[سورة البقرة، الآيات: ٢٦٢ ـ ٢٦٤]

وقد بيَّن رسول اللّه ﷺ عقوبة المنان بما أعطى والذي يؤذي الناس بصدقته.

عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ثلاثة لا يكلمهم اللّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا مِنَّةً، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»(١).

فتصور عقوبة الذين يمنون، عند وقوفهم بين يدي اللّه سبحانه حيث يعرض عنهم، فلا يكلمهم ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، فكم خسر أولئك وكم ستضيع عليهم من رَحَمات، فلو سكتوا عن المنِّ لكان لصدقاتهم أجرعظيم وجنات تجري من تحتها الأنهار، فعسى من قرأ ما قلت وكان يمنُّ بصدقاته أن ينتهي عن فعله ويستغفر اللّه سبحانه عن ما بدر منه.

ثلاثة عشر: غاصب الأرض:

حقوق العباد بعضهم على بعض كثيرة، ولكنَّ من الحقوق حقوقاً عظَّم اللّه ورسوله أمرها فتكون يوم القيامة وبالاً على من اقترفها ومن جملة العقوبات التي يعذب ويهان فيها المعتدي غاصب الأرض.

ـ عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»(٢).

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده.

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق فتح الباري ١٠٣/٥.

أربعة عشر: الديوث والشيخ الزاني والمرأة المسترجلة:

الديوث: هو الذي يقر بأهله الخبث والزنى.

الشيخ الزاني: الذي يزني وقد بلغ من العمر سناً متقدمة.

المرأة المسترجلة: التي تتشبه بالرجال ـ لباسهم ـ عملهم ـ تصرفاتهم.

عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«ثلاثة لا يكلِّمهم اللّٰه يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[(١)].

عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه ﷺ.

«ثلاثة لا ينظر اللّٰه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»[(٢)].

والشيخ الزاني ـ له عذاب ومهانة عند اللّٰه سبحانه يوم القيامة عند الحساب والوقوف بين يدي اللّٰه، حيث أطال اللّٰه سبحانه بعمره كي يتوب ويرجع ولكنه بقي على عيبه وضلاله مرتكباً فاحشة الزنى وهو في مرحلة الشيخوخة، فبدلاً من أن يتوب ويرجع في آخر العمر يرجو رحمة ربه يزيد في فاحشة الزنى فيستحق العذاب والمهانة.

وما رأيك بالديوث؟ الرجل الذي يقبل على أهله الزنى من أم وزوجة وبنت ثم يموت على هذا ألا يستحق الذل والهوان يوم القيامة؟ . وكذلك المرأة التي خلقها اللّٰه سبحانه بأنوثة ونعومة خاصة ترفضها وتقلد الرجال في أعمالهم وتصرفاتهم ولباسهم، وما أكثرهن هذه الأيام.

---

(١) رواه مسلم والنسائي.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي والحاكم.

خمسة عشر: الحاكم الذي يحتجب عن رعيته:

الحاكم ولّاه اللّه سبحانه بأمره وقدرته وإرادته حكم الرعية، وأوجب عليه متابعة شؤونهم وأموالهم، فإذا ما احتجب عنهم دون أن يلتفت إلى مصالحهم ومطالبهم وخَلَّتهم وشؤونهم حجبه اللّه يوم القيامة عن خلقه وحاجته عند اللّه سبحانه.

- عن أبي مريم الأزدي قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من ولي من أمور المسلمين شيئاً فاحتجب دون خَلَّتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم، احتجب اللّه عنه يوم القيامة دون خَلَّته وحاجته وفاقته وفقره»(١).

ستة عشر: الذي يسأل الناس وعنده من الرزق ما يكفيه ويغنيه:

فالذي أغناه اللّه سبحانه عن السؤال وأعطاه من رزقه ما يكفيه ويكفي من يعول، ثم يقوم يسأل الناس فإنه ناكر لفضل اللّه ونعمته لا يكفيه ما أغناه اللّه عن السؤال.. ومع ذلك يسأل الناس، لذلك يبعثه اللّه يوم القيامة في وجهه خدوش وكدوش علامة مميزة له زيادة في ذله وهوانه.

- عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من يسأل وله ما يغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوماً في وجهه...

قيل: يا رسول اللّه، وما يغنيه؟

قال: خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»(٢).

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح. صحيح الجامع رقم ٦٤٧١.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٤٩٩).

وما أكثر هؤلاء في أيامنا حيث إن أناساً كثيرين في هذه الحال، وكم من الناس الذين يسألون الناس تبيَّن فيما بعد أنهم أغنياء ومالكون لكثير من الرزق؟ والله أعلم بهم وحسابهم يوم القيامة على الله تعالى.

سبعة عشر: الذين يكذبون في حلمهم ويستمعون للناس وهم لهم كارهون:

كثر أولئك الذين يكذبون ويدعون رؤية أحلام وما رأوْها، لأمر في نفوسهم من ادِّعاء وكذب وبيانِ فضل لهم..

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«**من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شَعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه، صب في أُذنيه الآنك يوم القيامة**»[1].

ثمانية عشر: السحرة والعرَّافون:

لقد توعد الله سبحانه السحرة والمشعوذين عذاباً أليماً وذلاً وهواناً عند عرضهم على الله سبحانه وحسابهم.

يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٠٢]

---

(١) صحيح البخاري. فتح الباري(١٢ ـ ٤٢٧).

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

أي ما لهم في الآخرة شيء من الخير أو قدر من الخير.

. . . لقد عظَّم رسول اللّه ﷺ أمر السحر والسحرة واعتبر الذين يذهبون إليهم على صنفين.

ـ عن بعض أمهات المؤمنين رضي اللّه عنهن قلن: قال رسول اللّه ﷺ:

«من أَتىٰ عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[1].

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد»[2].

هذا من أتى العراف أو الساحر فكيف بالساحر والعراف وما هي عقوبتهما عند لقائهما مع رب العالمين.

. . ويكفي السحر إثماً عظيماً أن رسول اللّه ﷺ جعله من السبع الموبقات.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللّه الا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصَنات المؤمنات الغافلات»[3].

تسعة عشر: أكل أموال اليتامى ظلماً:

لقد بيَّن اللّه سبحانه لنا في كتابه الكريم عظيم جريمة أكل أموال اليتامى ظلماً، وتوعدَه لآكلي أموالهم بالنار التي تملأ بطونهم وأجوافهم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده.

(٢) رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

يقول تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٢]

ومعنى: ﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أي ظلماً عظيماً.

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠]

وكذلك فإن أكل مال اليتيم من السبع الموبقات التي ذكرها رسول اللَّه ﷺ في الحديث الشريف الذي تقدم برقم ثمانية عشر.

عشرون: التولي يوم الزحف (الجهاد):

يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

[سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦]

وقد اعتبر رسول اللَّه ﷺ أن التولي يوم الزحف في الجهاد من السبع الموبقات.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

واحد وعشرون: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات:

أمر مَشين وظلم أن يفتري الإنسان على المرأة المؤمنة الغافلة، ويقذفها بالزنى والحرام وهي بريئة من هذا القذف أو هذا الكلام، فإشاعة الفاحشة في المؤمنات الغافلات أمر غير هَيِّن عند اللَّه سبحانه، وهو من الأمور التي لا يعفى عنها لأنه يترتب عليها حقوق الآخرين، واللَّه سبحانه لا بد أن يعطي لكل ذي حق حقه يوم القيامة، وحق المؤمنة الغافلة عظيم عند اللَّه سبحانه والقاذف لتلك المرأة المؤمنة الغافلة سيلقى الهوان والعذاب يوم القيامة وله موقف الذل والمهانة عند اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾.

[سورة النور، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

وتعددت الآيات في هذا الخصوص ـ وكذلك فإن رسول اللَّه ﷺ اعتبر قذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات بالحديث المتقدم بالفِقْرة عشرين.

اثنان وعشرون: كتم العلماء لعلمهم واحتجابهم عن الناس:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

«**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»(١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي.

« ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلجام من نار»[(١)] .

ثلاثة وعشرون : أصحاب الأيمان الكاذبة :

هؤلاء يشملهم غضب اللّه سبحانه يوم العرض عليه والوقوف بين يديه .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ٧٧]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« ثلاثة لا يكلِّمهم اللّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعته: لقد أُعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول اللّه يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»[(٢)] .

أربعة وعشرون : جر الثوب استكباراً وخُيَلاء :

ـ عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« ثلاثة لا يكلِّمهم اللّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» .

قلت: يا رسول اللّه، من هم؟ خسروا وخابوا.

قال: أعاده رسول اللّه ﷺ ثلاث مرات.

---

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/ ٤١٩).

قال: « **المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان** »[١].

- عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال:

« **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر اللّه إليه يوم القيامة** »[٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

« **لا ينظر اللّه يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطراً** »[٣].

- عن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **الإسبال في الإزار والقميص والعِمامة، من جر منهما شيئاً تخيلاً لم ينظر اللّه إليه يوم القيامة** ». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وإسناده صحيح.

---

(١) رواه مسلم وأهل السنن وأحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم. مشكاة المصابيح رقم الحديث ٤٣١٢.

(٣) رواه البخاري ومسلم. مشكاة المصابيح (٢/ ٤٧٢) رقم الحديث ٤٣١١.

الأتقياء من المؤمنين وحالهم عند العرض على اللّٰه سبحانه وحسابهم

مدخل:

التقوى درجات كثيرة، وكلما زادت درجة تقوى المؤمن في الدنيا زاد عزه ومقامه رِفعة يوم القيامة، وكان في مأمن من الفزع والخوف ومنذ اللحظة الأولى لبعثه من قبره عند نفخة البعث وإحياء الموتى.

فاللّٰه سبحانه قال عن نفسه إنه ولي المؤمنين الصادقين الذين يؤمنون باللّٰه ويستقيمون ويعملون الصالحات. فهو وليهم في الدنيا ووليهم عند البعث ووليهم يوم القيامة على امتداده ووليهم يوم العرض عليه والوقوف بين يديه، ووليهم عند الحساب والميزان واستلام الصحف والمرور على الصراط، وفي جناته الخالدة هكذا وعد اللّٰه سبحانه ومن أصدق من اللّٰه وعداً؟ ومن أصدق من اللّٰه قيلاً؟ ومن أصدق من اللّٰه عهداً؟.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

ويقول تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣]

ويقول تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ٦٨، ٦٩]

فالأتقياء والأولياء والمؤمنون الصادقون لا يخافون يوم يخاف الناس ولا يفزعون يوم يفزع الناس.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١ ـ ١٠٣]

وكثيرة هي الآيات الكريمة التي يبيِّن فيها اللَّه سبحانه صفاتهِ لأولئك الذين استقاموا كما أمر اللَّه سبحانه بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾.

[سورة طه، الآية: ١١٢]

ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾.

[سورة الرعد، الآيتان: ٢٠، ٢١]

ويقول سبحانه: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٢]

ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٨٢]

وقال رسول اللّه ﷺ:

ـ عن شداد بن أوس أن رسول اللّه ﷺ قال: قال تعالى: **«وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادي»** ـ.

[رواه أبو نُعيم في الحِلية. سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٧٤٢)]

. . . فإن أول ما يناله المؤمنون الصادقون من رب العزة الأمن والأمان فلا يحزنهم خوف ولا فزع. . . وللمؤمنين مراتب عظيمة في الموقف بين يدي اللّه سبحانه، وتظهر كرامة المؤمنين كلٌ حسب عمله وما قدمه في سبيل اللّه، فكل عبد مؤمن له كرامة وله علو في عمل قدمه ينجيه وينقذه ويجعله من أهل الكرم، على أن يكون صالحاً في بقية أعماله وطاعاته وعباداته، ولكنه برَّز في واحدة مما تعهد اللّه سبحانه بولايته من أجلها. كمن برّز في فعله للصدقات، أو الذكر والتسبيح، أو المحافظة على الصلوات في المساجد، أو عرف وبرز في خدمته للناس، أو كان من أهل القرآن، أو كان من المحبين لحضور مجالس العلم والذكر. . . إلى كثير من الاحتمالات، ولكن قلت: أن يكون صالحاً في بقية أعماله

برز في واحدة مما وعد اللّٰه بإكرام صاحبها إذا فعلها. كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.
[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

فربما يكون الذاكر للّٰه قليلَ الحج ولكنه أدى فريضة الحج عندما كان مستطيعاً، وقد يكون قواماً في الليل كثير الصلاة ولكنه قليل الصيام إلا أداء ما عليه من شهر رمضان. وقلنا في البداية: التقوى والصلاح درجات، فإذا جمع العبد الكثير من كل هذا العمل الصالح الذي يحبه اللّٰه سبحانه، ارتفع وعلا ووضع على رأسه تاج العز والوقار وكان في الدرجات العلا، وإن أول أهل الكرامات الواضحة وعلى طول يوم القيامة أولئك السبعة الذين ذكرهم رسول اللّٰه ﷺ.. فهؤلاء ومن الحشر على أرض الموقف الذي يطول إلىٰ خمسين ألف سنة هم في ظل اللّٰه ورحمة اللّٰه وأمان اللّٰه سبحانه.

فإلى هؤلاء جميعاً ونذكر من هم أهل الكرم والأمن والكرامة والعز والشرف والمقام الرفيع في الموقف بين يدي اللّٰه سبحانه.

أولاً: السبعة الذين يظلهم اللّٰه يوم لا ظل إلا ظله:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«سبعة يظلهم اللّٰه في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابا في اللّٰه اجتمعا عليهِ وتفرقا عليهِ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللّٰه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللّٰه خالياً ففاضت عيناه»[1].

(١) رواه البخاري. فتح الباري (٢/ ١٤٢).

. . . هذا الحديث الشريف واضح الكلمات بيِّن المعاني سلس الأسلوب يفهمه الجميع.

. . . هؤلاء السبعة يبتدئ ظلهم في ظل عرش الرحمن ومنذ اللحظة الأولى للحشر على أرض المحشر. . . وتستمر حالهم على هذا الإكرام إلى حين العرض على اللَّه والوقوف بين يديه للحساب، فإذا ما وقفوا كانت لهم الكرامة والوعد ورحمة اللَّه تعالى.

ثانياً: المتحابون في جلال اللَّه تعالى:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن اللَّه يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[١].

ـ عن معاذ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن المتحابين في اللَّه في ظل العرش**»[٢].

ـ عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: قال اللَّه تعالى: «**حقت محبتي على المتحابين، أظلهم في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظلي**»[٣].

ثالثاً: أهل الصلاة وعمار المساجد والمشاؤون إليها:

أهل الصلاة وعمار المساجد والمشاؤون إليها هم أهل الإيمان الحقيقيون، وقد وصفهم اللَّه سبحانه بأهل الإيمان والتقوى والورع، فهؤلاء لهم كرامة وأمن وتجاوز من اللَّه عن سيئاتهم أو ذنوبهم إن

---

(١) رواه مسلم. رقم الحديث ٢٥٦٦.

(٢) ـ رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن حبان والحاكم في مستدركه الجامع الصغير رقم الحديث (١٩٣٣).

(٣) ـ صحيح الجامع رقم الحديث (٤/ ١١٦) ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح.

وجدت أو وجد منها شيء.. لأن المساجد لا تعمُر إلا بالقلوب المؤمنة الصادقة التقية فهؤلاء يُرفعون بدرجاتهم ويُحلّون بحلل الكرامة والعز وهم بين يدي اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١٨]

ولقد امتدحهم اللّه سبحانه في كتابه الكريم في أكثر من آية كريمة، ومن يمتدحه اللّه سبحانه فقد فاز فوزاً عظيماً.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٢٢]

وقد وعدهم اللّه سبحانه بالفلاح والأجر العظيم يوم اللقاء لقاء اللّه سبحانه في هذا الموقف العظيم الذي يظهر فيه أهل الصلاة وأهل التقوى فترفع درجاتهم ويكونون في مأمن من الفزع والخوف.

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ٢، ٣]

ويقول تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

[سورة النور، الآيتان: ٣٧، ٣٨]

والآيات في هذا الخصوص كثيرة جداً يبيِّن اللَّه سبحانه وتعالى فيها أهمية الصلاة وعظيم ثوابها وأجرها عند اللَّه سبحانه وتعالى.

. . . وأما في السنة النبوية الشريفة فقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ كذلك عظيم أجر وثواب الصلاة عند اللَّه تعالى، مفصِّلاً هذا الثواب كي يراه الإنسان أمامه يوم القيامة عند العرض علىٰ اللَّه سبحانه.

وكذلك فإن الأحاديث كثيرة في هذا الخصوص نذكر منها شواهد لنعلم جميعاً ما معنى الصلاة وإعمار بيوت اللَّه والمشي إليها في الظلمات حيث يصبح نورهم في وجوههم وبين أيديهم ومن خلفهم ينادون ربهم أن يتم عليهم نورهم.

ـ عن أنس وعن سهل بن سعد رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ:

«بشِّر المشَّائين في الظُّلَم إلىٰ المساجد بالنور التام يوم القيامة»[1].

وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ أن المؤمن إذا خرج من بيته إلى الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه اللَّه بها درجة وحطّ بها عنه خطيئة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء،

---

(١) رواه أبو داود والترمذي في السنن وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه اللّه بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد»[1].

وكذلك بيَّن رسول اللّه ﷺ فضل الرواح والغدو إلى المسجد وما أعد اللّه له في ذلك.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ اللّه له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح»[2].

وكذلك بيَّن رسول اللّه ﷺ أجر النوافل من سنن وقيام وصلاة الضحى.

ـ عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من ركع ثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة»[3].

. . . بل ذهب رسول اللّه ﷺ إلى بيان عظيم، حيث بيَّن أن ركعتي الفجر أي سنة الفجر إذا أقامها المؤمن، فهي خير من الدنيا وما فيها.

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ:

«ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»[4].

فأي كرامة؟ وأي مقام؟ وأي فخر؟ سيصيب أهل الصلاة عند لقائهم رب العالمين؟؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وأبو داود.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وهو حديث صحيح.

(٤) رواه مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي في السنن.

رابعاً: المتوكلون على الله سبحانه:

كم من الآيات الكريمة التي يحثنا الله سبحانه فيها على أن نتوكل عليه ويعد أن من يتوكل عليه فهو حسبه أي معينه وفي معيته.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

[سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣]

وكذلك بيّن الله سبحانه أنه يحب المتوكلين ومن يحبه الله سبحانه فهو في ضمانه وأمنه في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩]

وزيادة فإن الله سأل المتوكلين وهم متوكلون أن يستمروا ويحافظوا على توكلهم لمحبة الله سبحانه ذلك في عباده.

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[سورة يوسف، الآية: ٦٧]

ويبشر الله سبحانه المتوكلين ببشرى عظيمة.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٨، ٥٩]

وكذلك أعلمنا الله سبحانه أن كل أمر عائد إليه، لذلك أمرنا أن نعبده ونتوكل عليه حق التوكل ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٢٣]

ويكفي المتوكلين على اللَّه حق توكله أنه يرزقهم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً.

ـ عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لو أنكم توكلون علىٰ اللَّه تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً، وتروح بطاناً»(١).

وأما في الآخرة فالجزاء الأعظم والكرامة العليا والمقام الرفيع مع رسول اللَّه ﷺ وصحبه الكرام ومع الصِّديقين والشهداء والعلماء وحسن أولئك رفيقاً.

حيث يدخلهم اللَّه سبحانه جناتِه دون حساب مع الذين يدخلون الجنة بلا حساب إكراماً وإجلالاً لهم ولتوكلهم على اللَّه سبحانه، وسيأتي الحديث الشريف في فِقْرة قادمة عندما نتحدث عن الذين يدخلهم اللَّه سبحانه الجنة بلا حساب ومنهم المتوكلون على اللَّه سبحانه.

خامساً: أهل الصبر والبلاء:

أهل الصبر هؤلاء هم الذين يصب عليهم الأجر يوم القيامة صباً، ويوفون جزاء صبرهم أجراً بلا حساب وكأن نهراً من الحسنات يصب عليهم صباً.

ولو رجعنا إلى آيات الصبر في القرآن الكريم لتبينَّا كم يحب اللَّه الصابرين؟

وكم سأل اللَّه سبحانه عباده المؤمنين أن يتصفوا بصفة الصبر وأن يتحلوا بها، وكذلك نجد في آيات اللَّه سبحانه وعدَه للصابرين بالأجر العظيم الذي يلقى عليهم من دون حساب ولا سؤال، وتكون

---

(١) رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

لهم العزة والكرامة في الوقوف بين يدي اللّه سبحانه، وهو أعلم بهم وبصبرهم حباً باللّه سبحانه وإيماناً بعلمه وبما ابتلاهم به في هذه الدنيا من مرض أو فقر، أو حرمان، أو جوع، أو آلام، أو ابتلاء من حاكم ظالم أو سيد متعسف أو ولي جائر أو من ظالم متجبر، فمن صبر كما أمر اللّه سبحانه كُتب من الصابرين الصادقين، وكان له الفضل العظيم عند اللّه سبحانه كما وعده واللّه لا يخلف وعده.. ويعاين العبد رحمة اللّه به جزاءَ صبره عند الوقوف بين يديه للعرض والحساب، وآيات الصبر كثيرة في القرآن وكثير فيها وعد اللّه سبحانه المؤمنين الصابرين أجراً عظيماً يوم يلقونه.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

[سورة الرعد، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٥]

ويقول تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١١]

وقد جمع اللّه بين الصبر والتوكل، لأن الصابر هو المتوكل فينال أجر الاثنين.

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٩]

وقد وعد اللَّه سبحانه الصابرين أن يؤتيهم أجرهم مرتين. . . كل الناس ترجو من اللّه الأجر مرة واحدة، ولكن الصابرين يؤتون أجرهم مرتين.

يقول تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٥٤]

ولقد وعدهم اللّه بالأجر والوفاء والعطاء من دون حساب.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٠]

. . . فأي مقام هذا المقام وأي أجر هذا الأجر اللّهم اجعلنا منهم ومن الصابرين المحتسبين أجرهم عند ربهم.

. . . ولكن لا ينال أجر الصابر إلا من صبر حقاً على البلاء الذي يبتلى به، من نقص من الأنفس والأموال والثمرات والرزق والمال والعافية، فليس الصبر أن أكون منعماً وأقول: أنا صابر، فالصبر صبر الامتحان والابتلاء والتوكل على اللّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧]

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «**إذا وجهت إلىٰ عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو ماله، أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً وأن أنشر له ديواناً**»(١).

---

(١) رواه الترمذي في سننه وابن عدي في الكامل والديلمي في مسند الفردوس. حديث صحيح.

سادساً: أهل القرآن الكريم القارئون والحافظون العاملون به:

أهل القرآن الكريم في الدنيا والآخرة أهل اللّه وخاصته.

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **إن للّه أهلين من الناس أهل القرآن هم أهل اللّه وخاصته** ».

[رواه أحمد وابن ماجه]

ويقول تعالى في الحديث القدسي:

« **من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي، أعطيته ثواب الشاكرين** ».

[رواه ابن خزيمة عن أبي سعيد]

ويقول تعالى في الحديث القدسي: « **من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين** ».

[رواه الترمذي عن أبي سعيد]

ويقول رسول اللّه ﷺ مبيِّنا أن كتاب اللّه أحق ما يأخذ الإنسان عليه أجراً يوم القيامة وفي الدنيا.

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب اللّه** ».

[رواه البخاري]

عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **من قرأ حرفاً من كتاب اللّه فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف** ».

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

وأما عظمة قارئ القرآن وحافظه فتظهر بعد الدخول إلى الجنة حيث يقال له بعدما نال من أجر عظيم.. الآن اقرأ كتاب

اللَّه وارتق مع كل آية تحفظها لتكون في منزلة بقدر ما تحفظ .

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه منه » .

[رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في السنن من دون كلمة (منه)]

ويكفي قارئ القرآن ومعلمه أنه من خير الناس في الدنيا ومن خيرهم في الآخرة.

عن عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه » .

[رواه البخاري]

سابعاً: أهل الصدقات المؤقتة والصدقات الجارية:

سيفاجأ أهل الصدقات المؤقتة والصدقات الجارية ما ينتظرهم عند ربهم عند اللقاء وعند العرض عليه وعند حسابهم، لما يرون عظيم ما أعد اللَّه لهم من الأجر يوم القيامة يفوق التصور والخيال الإنساني!!

. . . في القرآن الكريم يبيِّن اللَّه سبحانه أنه مالك خزائن السموات والأرض:

يقول تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .

[سورة الحجر، الآية: ٢١]

ـ وفي الحديث القدسي: يبيِّن سبحانه أن ملكه لا ينقص مهما أعطى خلقه وتكرَّم عليهم.

ـ عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: قال اللَّه تعالى: **« يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد**

واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ».

[رواه مسلم وابن حبان والحاكم]

ومع هذا الخير العميم الذي لا انقطاع له يسأل اللّٰه سبحانه عباده في كتابه الكريم امتحاناً وابتلاء أن يقرضوه قرضاً حسناً. . . أي أن يدفعوا من أموالهم صدقات للفقراء المحتاجين في الدنيا، ووعدهم أن المكافأة والأجر والتعويض يوم القيامة سيكون عظيماً.

يقول اللّٰه تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

ويقول تعالى: ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١٢]

ويقول سبحانه: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ١٧]

ويكفي ما وعد الحق سبحانه أهل الصدقات من تعويض في الدنيا وفي الآخرة إلىٰ سبعِمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة تركها اللّٰه سبحانه بعلمه وتقديره.

يقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦١]

وأما أهل الصدقات الجارية فهؤلاء هم الذين يجري عليهم الأجر والثواب والحسنات وهم في عالم برزخهم الذي طال أو يطول إلىٰ مِئات السنين والأجر يكتب في كل يوم . .

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع منه أو ولد صالح يدعو له » .

[رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده]

فالإنسان لا يدري كم يلبث في قبره ولا يدري كيف يسجل له هذا العمل فالتقدير من اللّه سبحانه، ولذلك سيفاجأ يوم القيامة بما له عند اللّه سبحانه من أجر حتى إنه كما جاء في حديث الطبراني في المعجم الكبير لا ينصب له ميزان.

ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم البلاء يعني أهل البلاء والصبر ـ ولا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الأجر، إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب اللّه لهم » . رواه الطبراني في المعجم الكبير صحيح. والمرء في ظِلِّ صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين العباد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فهو في ضمان اللّه وظله حتى يقف بين يدي اللّه للعرض عليه ثم يرى عظيم ما أعده اللّه له لصدقاته وإحسانه وكرمه . . فاللّه أكرم وأعظم وأرحم.

ثامناً: الشهداء في سبيل اللّه والمجاهدون:

هؤلاء هم من أجلِّ من يكرمهم اللّه سبحانه . . فهم أحياء عند

اللَّه مكرمين فرحين منصورين يرزقون ويأكلون وينعمون والناس أموات في برازخهم وقبورهم . .

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآيات : ١٦٩ ـ ١٧١]

. . . فإذا كانت هذه حالَهم ولم تقم القيامة بعد فكيف حالهم يوم القيامة؟ وكيف حالهم عند العرض علىٰ اللَّه؟ وكيف حالهم إذا دخلوا الجنة .

ـ عن معدي كرب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« للشهيد عند اللَّه ست خصال يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه »(١) .

ـ عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال :

« رباط يوم خير من صيام دهر ، ومن مات مرابطاً في سبيل اللَّه أمن من الفزع الأكبر وغدي عليه برزقه وريح من الجنة ، ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه اللَّه »(٢) .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده ، لا يُكلم أحد في سبيل اللَّه ، واللَّه أعلم بمن

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه . مشكاة المصابيح (٢/ ٣٥٨/ برقم ٣٨٣٤) .

(٢) رواه الطبراني بإسناد صحيح . صحيح الجامع الصغير رقم ٣٤٧٣ .

يُكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك»[١] .

ـ عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من قاتل في سبيل اللَّه فُواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن خرج في سبيل اللَّه أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها المسك»[٢] .

تاسعاً: أهل الذِّكر والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ:

هذا الفضل فضل أهل الذكر والتسبيح والاستغفار سيظهر واضحاً جلياً يوم القيامة وعند العرض على اللَّه سبحانه والوقوف بين يديه للحساب، والقرآن الكريم عظَّم شأن المستغفرين والمسبِّحين والذاكرين ومن كان في صلاة علىٰ رسول اللَّه ﷺ.

. . . والدخولُ في عمق وفلسفة الذكر والتسبيح والاستغفار موضوعٌ طويل يحتاج إلى بحث خاص، فقد تعددت آيات القرآن الكريم في فضل وأجر المسبِّحين الذاكرين المستغفرين، إلى العشرات من الآيات الكريمة بل تجاوزت المِائتي آية قرآنية كريمة وكلها تتحدث عن المعاني القيِّمة والعظيمة لها جميعاً وتعد أصحابها بالأجر العظيم.

يقول تعالى في فضل الذكر والتسبيح: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى: في فضل الاستغفار: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾

---

(١) رواه البخاري ومسلم. ويكلم أي يجرح أو يصاب في الحرب.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود بإسناد صحيح.

ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ * كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ * وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآيات: ١٥ ـ ١٨]

ولبيان فضل الاستغفار والذكر والتسبيح والصلاة على النبي ﷺ نورد بعضاً من هذا الفضل والذي سوف يلقونه عند اللقاء مع اللّه سبحانه.

فضل الاستغفار:

لقد جعل اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ للاستغفار شأناً عظيماً، وفضلاً كبيراً، وأجراً كريماً، وقد شمِل فضل الاستغفار الدنيا والآخرة، فلم يؤجل أجره للآخرة بل جعل اللَّه سبحانه ورسوله من أجر الاستغفار وفائدته وخيره نعيم المؤمن في دنياه، وأجَّل خيره وأجره العظيم إلى الآخرة لينعَم المؤمن بهذا الخير وهذا الأجر كنعمة توافق خلوده الأبدي.

والاستغفار بمعناه العام ومعناه الخاص، هو صلة وثيقة وحبل متين بين العبد وربه، والحبل المتين هو رضا رب العالمين، ومتى رضي اللَّه سبحانه على عبده فتحت له أبواب رحمة اللَّه كلها في الدنيا والآخرة.

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من لزم الاستغفار جعل اللّه له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

[رواه أبو داود وابن ماجه]

وهذا الحديث النبوي الشريف بيان واضح لمعاني الاستغفار وبيان أنه والدعاء واحد، فالإنسان يدعو ربه لضيق صدره وهمّ لزمه ورزق ضاق عليه.

ـ عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر اللّه الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر اللّه له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا». رواه أحمد والترمذي واللفظ له عن عبادة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كُتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة».

[رواه الطبراني]

عن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« طوبى لمن وُجِد في صحيفته استغفار كثير». [رواه ابن ماجه]

وبيَّن الحديث التالي أن الاستغفار جزاؤه الجنة والغفران.

عن شداد بن أوس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« سيِّد الاستغفار أن تقول: اللَّهم أنت ربي، لا إلٰه إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

[رواه البخاري]

فضل ذكر اللّه سبحانه:

الذكر بمعناه العام أن تستحضر عظمة اللّه سبحانه في قلبك وأن تجعل لسانك رطباً به، وأن تدخل به إلى عقلك وقلبك فتخضعهما لقدرة اللّه وجلاله وقوته ووحدانيته.

والذكر في حقيقة ماهيته عبادةٌ ودعاء واستغفار واستسلام

وتسليم واعتراف بنعم اللّٰه وآلائه وقدرته، وهو طريق للأجر والثواب، وهو القوة الكافية الكفيلة في تحريك قوة الإيمان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا * وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا * هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾.

[سورة الأحزاب، الآيات: ٤١ ـ ٤٣]

ـ عن جابر رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«**أفضل الذكر لا إله إلا اللّٰه**».

[رواه ابن ماجه وابن حبان والترمذي والنسائي]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«**لا يقعد قوم يذكرون اللّٰه تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم اللّٰه فيمن عنده**».

[رواه مسلم]

... فما رأيكم بهؤلاء؟ وكيف يكون لقاؤهم مع اللّٰه سبحانه وكيف سيكون فضلهم وأجرهم؟

ـ وعن أبي موسى رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«**أبشروا وبشروا مَن وراءكم: أنه من شهد أن لا إله إلا اللّٰه صادقاً بها قلبه دخل الجنة**».

[رواه أحمد]

ـ عن عبادة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«**من شهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمداً رسول اللّٰه حرَّم اللّٰه عليهِ النار**» أي نار الخلود وإلا فإن جماً غفيراً يشهد بذلك وهو من أهل المقحِمات إلى النار.

[رواه مسلم]

فضل تسبيح اللّه سبحانه:

التسبيح ذكر للّه سبحانه وتعظيم لجلاله وقوة تكسبها الذات البشرية، ولعظيم أمر تسبيح اللّه سبحانه استفتح اللّه سبحانه سبع سور من القرآن الكريم بكلمة التسبيح فمنها.

قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

[سورة الجمعة، الآية: ١]

وقال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

[سورة الصف، الآية: ١]

ولقد ذكر اللّه سبحانه التسبيح والمسبِّحين وفضلهما في إحدى وتسعين آية كريمة من آيات القرآن الكريم، وفي هذا دلالة واضحة على مكانة التسبيح العظيمة عند اللّه سبحانه ودليل أيضاً على أهميتها في عالم المسلم وحياته الدنيا.

ولقد تناول رسول اللّه ﷺ فضل التسبيح وأثره العظيم في شخصية المسلم:

- عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن أحبَّ الكلام إلى اللّه سبحان اللّه وبحمده».

[رواه مسلم]

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من قال: سبحان اللّه وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

[رواه البخاري ومسلم]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم».

[رواه البخاري ومسلم]

فضل لا حول ولا قوة إلا باللَّه:

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ما علىٰ الأرض أحد يقول: لا إلٰه إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه إلا كفّرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر».

[رواه الترمذي]

فضل الصلاة على النبي ﷺ:

الصلاة على النبي ﷺ أمر إلٰهي لجميع المؤمنين، وقد بدأ اللَّه جلَّ في علاه بها بنفسه، وثنَّى بملائكته في الصلاة علىٰ النبي، ثم أمر المؤمنين أن يصلّوا عليه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٥٦]

وقد فصَّلت السنة النبوية الشريفة كيفية الصلاة على النبي ﷺ وبيَّنت معانيها وأجرها العظيم، وأولها وأجلها وأعظمها مكانة شفاعة رسول اللَّه ﷺ لمن يصلي عليه يوم القيامة.

ـ عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة».

[رواه الطبراني]

ـ عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة**».

[رواه الترمذي وابن حبان]

ـ عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من صلَّى عليَّ واحدة صلى اللَّه عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات**».

[رواه الحاكم والنسائي بمعناه وأحمد بدون (ورفع له عشر درجات)]

ـ عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من قال حين يسمع النداء: اللَّهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه اللَّهم مقاماً محموداً الذي وعدته حلَّت له شفاعتي يوم القيامة**». رواه البخاري والترمذي. اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه، واجعلنا اللَّهم بالصلاة عليه من الفائزين وعلى حوضه من الواردين وبسنته من العاملين، واجعله اللَّهم لنا يوم القيامة من الشافعين.

عاشراً: التائبون الصادقون:

إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فمن تاب إلى اللَّه سبحانه توبة نصوحاً معاهِداً ربهُ أنه لا عودة إلى معصية وإثم وفاحشة، وصدق في نيته وتوبته واللَّه أعلم بنفوس خلقه وأعلم بمن تاب توبة نصوحاً... وتظهر عند اللَّه سبحانه التوبة النصوح يوم اللقاء والعرض عليه.

... فإن كان العبد المؤمن صادقاً في توبته فإنه يرىٰ من اللَّه سبحانه رحمةً قد تفوق كثيراً بعض أهل الموقف حيث تجد أن اللَّه سبحانه قد أبدله جميع سيئاته حسنات.... فإذا قرأ التائب كتابه كما في

قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ يصاب أول ما يصاب بالفزع والهلع حيث يجد جميع ذنوبه موجودة في صحيفته ليراها ويتذكرها، ثم بعد ذلك يجد أن اللّه سبحانه أبدله بتلك السيئات حسنات كما وعد اللّه سبحانه.

بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]

وهؤلاء هم الذين استجابوا لربهم في الدنيا فتابوا توبة نصوحاً فتظهر كرامتهم في الآخرة.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

ولقد وعد اللّه سبحانه التائبين والمستغفرين من ذنوبهم عند توبتهم مغفرة منه وجنات تجري من تحتها الأنهار.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦]

أحد عشر: فضل العلماء وأهل العلم:

لقد رفع اللّه سبحانه في كتابه الكريم أهل العلم درجاتٍ كبيرةً جداً.

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ١١]

وقال تعالى مميزاً بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون أنهم لا يستوون عند اللّه سبحانه:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٩]

ولقد بيَّن رسول اللّه ﷺ في كثير من الأحاديث الشريفة فضل العلم والعلماء، وأجرهم وثوابهم عند اللّه سبحانه في الموقف وعند اللقاء مع اللّه سبحانه، وعند الحساب والميزان والصراط المستقيم والمقام الرفيع بإذن اللّه في جنات اللّه الخالدة.

ـ عن ثعلبة بن الحكم قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يقول اللّه تعالى للعلماء إذا جلس على كرسيه للقضاء: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي»(١).

ويكفي العلماء مقاماً وعزاً وسؤدداً وشرفاً أنهم من الشفعاء الذين يشفعون للناس يوم لا يأذن اللّه بالشفاعة إلا لمن ارتضى قولاً وعملاً.

ـ عن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:

«يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»(٢).

ومَنْ غير العلماء والدعاة إلىٰ اللّه أحسن قولاً في الدنيا؟ فكيف لا يكونون أحسن قولاً في الآخرة ويقبل اللّه سبحانه شفاعتهم؟

---

(١) رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢٦: رجاله موثقون.

(٢) رواه ابن ماجه في السنن وهو صحيح.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٣٣]

ويكفي العلماء ما خلَّفوه من علم وكتب ومؤلفات تقرأ أو يقرأها المسلمون أو الناس على العموم.. وكل علم تركه العلماء فهو صدقة جارية لهم منذ وفاتهم إلىٰ يوم القيامة.

قال رسول اللّه ﷺ:

«**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**». رواه الإمام أحمد والبخاري في تاريخه عن أبي هريرة، فأي حسنات سيلقاها العالم وهو بين يدي اللّه سبحانه وكم سيسعد عندما يقرأ كتابه الذي يخرجه اللّه إليه.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٤]

وأي مقام عال هم فيه إن كانوا صادقين؟ وتعلموا وعملوا بما يرضي اللّه سبحانه، ولا يشترط أن يكون العالم عالماً في الدين فحسب وإن كانوا هم في الدرجات الأولى، فكل عالم ومهما كان علمه إن كان يخدم البشرية ويرضىٰ اللّه عنه، ويبتغي بعلمه رضا اللّه ويجمع بين علم الدنيا مثلاً علم الكيمياء أو الفيزياء والجيولوجيا وعلم الفلك إلخ من العلوم، وعلم الآخرة.. لأن اللّه سبحانه كما ورد في الحديث الشريف يبغض كل عالم في الدنيا جاهل في الآخرة.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**إن اللّه يبغض كل عالم في الدنيا جاهل بالآخرة**»[1].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، الجامع الصغير للسيوطي وقال: حديث حسن.

اثنا عشر : الذين يتجاوزون عن المعسرين ويضعون عنهم ويتصدقون :

قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية : ٢٨٠]

وقال رسول اللّه ﷺ في فضل وأجر من ينظر معسراً أو يضع عنه في سبيل اللّه، من أجل أن يتجاوز اللّه عنه يوم القيامة كما تجاوز عن الناس ووضع عنهم ديونهم.

ـ عن أبي اليَسَر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله »(١) .

عن أبي قتادة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« من نفَّس عن غريمهِ أو محا عنه ، كان في ظل العرش يوم القيامة »(٢) .

وكذلك فإن الذين يدفعون الديون عن الغارمين : **« المديونين »** الذين ضاقت عليهم الأمور وعجزوا عن دفع ديونهم لهم إن شاء اللّه من الأجر مثل أولئك الذين تحدث رسول اللّه ﷺ عنهم .

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :

« من نفَّس عن غريمه أو مما عنه كان في ظل العرش يوم القيامة »(٣) .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:

« كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً تجاوز

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٣٠٠٦، وكذلك رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه أحمد والدارمي في المسند. صحيح الجامع الصغير رقم ١٤٥٢.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

عنه، لعل اللّه أن يتجاوز عنا، قال: فلقيَ اللّه فتجاوز عنه»[(١)].

وروى النسائي وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل اللّه يتجاوز عنا.**

فلما هلك قال: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أدين الناس، فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل اللّه أن يتجاوز عنا. قال اللّه: قد تجاوزت عنك»[(١)].

وفي مستدرك الحاكم بإسناد صحيح عن حذيفةَ، وعقبة بن عامر، وأبي مسعود رضي اللّه عنهم، عن رسول اللّه ﷺ قال:

«**أُتيَ اللّهُ عز وجل بعبد من عباده آتاه اللّه مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال: ما عملت من شيء يا رب، إلا أنك آتيتني مالاً، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلقي أنْ أُيَسِّر على الموسر وأنظر المُعسر.**

قال اللّه تعالى: «**أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي**»[(٢)].

ثلاثة عشر: الذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خَلتهم ويصلحون بينهم:

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١١٤]

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية العظيمة: يقول تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾؛ يعني كلام الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

(١) صحيح الجامع الصغير (٢/ ٢٠٤) رقم الحديث ٢٠٧٣.
(٢) صحيح الجامع الصغير (١/ ٩٢) رقم الحديث ١٢٤.

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحِۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ ؛ أي إلا نجوى من قال ذلك أي إلا من فعل ذلك من الخير في الصدقات والمعروف وإصلاح بين الناس.. كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه ابن مردويه عن أم حبيبة قالت: قال رسول اللّه ﷺ: **«كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر اللّه عز وجل أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر»**.. وقال الإمام أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة والصدقة، قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه، قال: «إصلاح ذات البين». قال: **«وفساد ذات البين هي الحالقة»**، وكذلك رواه أبو داود والترمذي، وأما قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾. أي مخلصاً في ذلك محتسباً ثواب ذلك عند اللّه عز وجل: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ؛ أي ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً.

... وأين يظهر هذا الثواب الجزيل.. إنه يظهر للعبد عند العرض على اللّه سبحانه والوقوف بين يديه للحساب.

... أتعلمون لماذا هذا الأجر العظيم؟.. ذلك أن الإنسان في فعله هذا يرتفع عن الأنانية، ويكون من الذين يؤثرون على أنفسهم، حتى لو كان بهم حاجة، وهذا دليل نقاء وصفاء القلب المؤمن وطيبه، وهذا ما يحبه اللّه في عبده.

... فما أعظم أن يسعى العبد في الدنيا في تفريج كربات المكروبين ومساعدة المحتاجين والتيسير علىٰ المعسرين وإقالة عثرات النادمين الزالين.

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر اللّه عليه في الدنيا والآخرة،

ومن ستر مسلماً ستره اللّه في الدنيا والآخرة، واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[١] .

أربعة عشر : فضل عتق الرقاب المسلمة :

ـ عن عمرو بن عَبَسة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«من بنى مسجداً ليذكر اللّه فيه يبنِ اللّه له بيتا في الجنة، ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة» .

[رواه الإمام أحمد]

ـ عن أبي نجيح قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«أي مسلم أعتق رجلاً مسلماً فإن اللّه جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار، وأي امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن اللّه جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظماً من عظام محررتها» .

[رواه ابن جرير في تفسيره]

قال عمرو بن عبسة رضي اللّه عنه: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«من أعتق رقبة مسلمة كانت فَكاكه من النار عضواً بعضو، ومن شاب شيبةً في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل» . رواه أحمد، وروى أبو داود والنسائي بعضه. . . وهكذا نجد أن عتق الرقاب من الأعمال التي تمكن صاحبها من اقتحام العقبات الشاقة والشديدة يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ .

[سورة البلد، الآيات: ١١ ـ ١٣]

---

(١) صحيح مسلم. مشكاة المصابيح رقم الحديث ٢٠٤.

خمسة عشر: فضل قيام الليل:

قيام الليل شرف المؤمن في دنياه ونور له يوم القيامة، إذ يدخل في محبة اللَّه ورسوله، ويدخل فيمن امتدحهم اللَّه سبحانه وجعلهم من خُلَّص عباده، ولهم المقام الرفيع عند اللقاء مع اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

قال رسول اللَّه ﷺ: عن سهل بن سعد وعن جابر وعن علي رضي اللَّه عنهم قالوا: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامهُ بالليل، وعزَّهُ استغناؤه عن الناس»(١).

وكان رسول اللَّه ﷺ لا يدع قيام الليل أبداً.

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ:

«كان لا يدع قيام الليل، وكان إذا مرض أو كَسِل صلىٰ قاعداً»(٢).

(١) رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان وهو صحيح.
(٢) رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وهو صحيح.

إن أهل الليل الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع في الليل أي لا يداومون على النوم ولا يستلذون به بقدر لذتهم إذا قاموا إلىٰ عبادة اللّه في الليل والناس نيام. . . لا يعلم أحد ما أخفي لهم من أجر وثواب وهناء وسرور وقرة أعين بما تَقَرُّ به عيونهم ويسعدون به أيما سعادة.

ستة عشر: فضل الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس مرضاة للّه سبحانه:

إن من أعلى درجات الخلق الرفيع التي تستوجب القرب من رسول اللّه ﷺ كظمَ الغيظ والعفو عن الناس عند المقدرة.

يقول تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤]

فالإنسان في حياته الدنيا يتعرض لكثير من مواقف تثير غضبه ويكون مقتدراً على الرد، ولكن منهم من يكتم هذا الغيظ الذي يفور من صدره امتثالاً لأمر اللّه، وليس ضعفاً منه أو خوفاً ممن أهانه أو لا يستطيع الرد لظروف، المهم أن يكون العمل للّه سبحانه وتنفيذاً لأمره سبحانه في كتابه.

ـ عن سهل بن معاذ بن جبل عن أبيه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفِّذه دعاه اللّه سبحانه علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره في أي الحور العين شاء»(١).

(١) رواه الترمذي وأبو داود، مشكاة المصابيح رقم الحديث ٦٣٩.

سبعة عشر: التائبون الصادقون الذين يبدِّل اللَّه سيئاتهم حسنات:

هؤلاء تشملهم رحمة عظيمة من اللَّه سبحانه في ذلك الموقف العظيم بين يدي اللَّه سبحانه، فإذا كانت توبتهم نصوحاً صادقين فيها، بدَّل اللَّه لهم سيئاتهم حسنات تضاف إلى حسناتهم التي فعلوها بعد توبتهم فيأتون اللَّه بجبل من الحسنات بعد أن بدَّل اللَّه سبحانه لهم سيئاتهم حسنات.

يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ٧٠، ٧١]

هذا وعد من اللَّه سبحانه في كتابه الكريم لأهل المعاصي والذنوب، أنهم إذا تابوا وعادوا ورجعوا إلى اللَّه سبحانه، معاهدين مخلصين تائبين ومستغفرين أن يمن اللَّه عليهم ويعفوَ عن كبائرهم وصغائرهم بل يبدِّلها لهم حسنات، فأي كرم إلٰهي هذا الكرم؟ وأي رحمة هذه التي تشمل التائبين، ألم يقل اللَّه في كتابه وهو ينادي المسرفين علىٰ أنفسهم من أهل المعاصي والذنوب أن لا يقنطوا من رحمة اللَّه إنه يغفر الذنوب جميعاً؟

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها: رجل يؤتى به القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا

عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول يارب: قد عملت أشياء لا أراها ههنا، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[(١)].

ثمانية عشر: فضل الدعاة إلىٰ الله والخطباء والواعظين والمؤذِّنين:

إنْ صَدَق هؤلاء جميعاً في دعوتهم إلى الله سبحانه وفي وعظهم ودروسهم وخطبهم وحثهم الناس على طاعة الله تعالى فهم من أفضل الناس عند الله سبحانه يوم القيامة.

وعلى الداعي والواعظ والخطيب أن يكون القدوة في درسه وخطبته لا أن يكون كما قال تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة الصف، الآية: ٢]

فلذلك هؤلاء مسؤولون عن دعوتهم إلىٰ الله تعالى، فإن كان كاذباً أو يقول شيئاً ويفعل ما يخالفه فإنه من المرائين الذين يسحبون إلى جهنم أول الناس كما تقدم في الحديث.. وأما إن كان من الدعاة الصادقين الذين يعملون الصالحات فهؤلاء أحسن الناس عند الله سبحانه، ولهم من الأجر في دعوتهم ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وهم في رعايته يوم القيامة وعند العرض عليه وفي دخولهم الجنة.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٣٣]

فلم يفضِّل الله سبحانه عليه أحداً من الخلق ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾؛ أي هو أحسنهم.. لأن الداعي الصادق والواعظ الصادق والخطيب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

الصادق لا بد أنه من أهل الصلاة والصيام والزكاة والحج ومن أهل النوافل إذ لا يجتمع مع صدق الدعوة إلا العمل الصالح الذي يشمل العبادات فروضها ونوافلها. . . وللعلم ما من خطيب أو واعظ أو إمام إلا وسيقف بين يدي اللّه وهو سائله عن وعظه وخطبه وما أراد بها.

ـ عن مالك بن دينار عن الحسن رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«ما من عبد يخطب خطبة إلا اللّه عز وجل سائله عنها، أظنه قال: ما أراد بها؟»(١).

فكان مالك بن دينار رضي اللّه عنه إذا حدَّث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع، ثم يقول: تحسبون أن عيني تقرّ بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن اللّه عزّ وجلّ سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به؟

فهنيئاً لمن صدق في دعوته ووعظه وإمامته في الصلاة إن كان مخلصاً وصادقاً وعاملاً للصالحات، فإن ما ينتظره من اللّه أعظم بكثير مما يتوقعه لأن فضل اللّه كان على هؤلاء عظيماً وهم يدعون إليه في الدنيا بقلوب مخلصة وعمل صادق لا يبتغون فيه الأجر إلا من اللّه سبحانه.

. . . وأما عن فضل المؤذنين. . فيكفيهم فخراً وعزاً أنهم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، وهذا دليل رضا اللّه سبحانه.

ـ عن معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»(٢).

---

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا مرسلاً بإسناد جيد.

(٢) صحيح مسلم. رقم الحديث ٣٨٧.

. . . والمؤذِّنون يشهد لهم كل شيء في ذلك اليوم سمع صوته عندما كان يرفع صوته بالأذان في الدنيا.

عن أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الرحمن بن صعصعة: «**إني أراك تحب الغنم في البادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذَّنت فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذِّن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»[(١)].

تسعة عشر: الذين يشيبون في الإسلام:

يكون الشيب نوراً لصاحبه إذا كان مسلماً صادقاً صالحاً مات على طاعة اللّه سبحانه في يوم القيامة، كما صحت بذلك الأحاديث، ففي سنن الترمذي والنسائي عن كعب بن مرة أن رسول اللّه ﷺ قال:

«**من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة**»[(٢)].

وفي مسند أحمد وسنن الترمذي والنسائي وابن حبان عن عمرو ابن عبسة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**من شاب شيبةً في سبيل اللّه كانت له نوراً يوم القيامة**»[(٣)].

وروى البيهقي في شعب الإيمان بإسناد حسن عن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة**»[(٤)].

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**لا تنتفوا**

(١) صحيح البخاري. فتح الباري (١٣/ ٥١٨).
(٢) صحيح الجامع الصغير: (٥/ ٣٠٤)، ورقم الحديث: ٦١٨٣.
(٣) صحيح الجامع الصغير: (٥/ ٣٠٤)، ورقم الحديث: ٦١٨٤، والحديث صحيح.
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٣/ ٢٤٧)، ورقم الحديث: ١٢٤٣.

الشيب، فإنه نور يوم القيامة، من شاب شيبة في الإسلام كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة ».

[رواه ابن حبان بإسناد حسن][(١)].

وروى ابن عدي والبيهقي في الشعب عن فَضالة بن عُبيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«الشيب نور في وجه المسلم، فمن شاء فلينتف نوره »[(٢)].

عشرون: فضل الوضوء والطهارة:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٢٢]

فالذين أقاموا الصلاة وأتوا بالوضوء كما أمر اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ يُدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء »[(٣)].

غراً: لمعة بيضاء تكون في الجبهة ـ محجلين: المراد بها هنا النور في الأيدي والأرجل من آثار الوضوء...

ـ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«تبلغ الحِلية من المؤمن حيث بلغ الوَضوء ».

وبهذه الحلية النورانية تتميز هذه الأمة يوم القيامة، وبها يعرف الرسول ﷺ أمته من بين الخلائق، لا فرق بين أصحابه وغيرهم، ففي

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٣/ ٢٤٧)، ورقم الحديث: ١٢٤٤.

(٣) رواه مسلم.

صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ أتى مقبرة فقال: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، وددت أنّا قد رأينا إخواننا»**.

قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول اللَّه؟

قال: **«أنتم أصحابي، إخواننا الذين لم يأتوا بعد»**.

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول اللَّه؟

قال: **«أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم بُهم، ألا يعرف خيله؟»**.

قالوا: بلى يا رسول اللَّه.

قال: **«فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض»**[(١)].

وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك».

فقال رجل: يا رسول اللَّه، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟

قال: **«هم غرٌّ محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم»**[(٢)].

---

(١) مشكاة المصابيح: (١/ ٩٨)، ورقم الحديث ٢٩٨.

(٢) مشكاة المصابيح: (١/ ٩٩)، ورقم الحديث ٢٩٩.

واحد وعشرون: العادلون في حكمهم على ما ولوا من أهلهم والرعية:

هؤلاء إن صدقوا فإن اللَّه سبحانه أعدَّ لهم منابر من نور يوم القيامة يجلسون عليها عن يمين الرحمن.

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن المقسطين عند اللَّه على منابر من نور، عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[1].

(١) رواه مسلم. صحيح الجامع الصغير (١/ ٩٢) رقم الحديث ١٢٤.

الفصل الرابع

الحساب الفردي وأنواع الحساب للمؤمنين

أولاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

١ ـ المتوكلون على اللَّه سبحانه.

٢ ـ القائمون الليل.

٣ ـ قارئ القرآن ابتغاء وجه اللَّه تعالى، وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه وبين مواليه.

٤ ـ العلماء العاملون.

٥ ـ الشهداء والعافون عن الناس.

٦ ـ الحمادون في السراء والضراء، ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه تعالى.

ثانياً: الحساب اليسير والحساب العسير:

ـ الحساب اليسير.

ـ الحساب العسير.

ثالثاً: مناقشة المرائين وافتضاح أمرهم.

رابعاً: عرض اللَّه سبحانه ذنوب عبده عليه.

خامساً: معاتبة اللَّه تعالى عبده فيما وقع منه من تقصير.

سادساً: المصوِّرون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

سابعاً: صفة أنعم أهل الدنيا وأشد الناس بؤساً.

ثامناً: تمثّل الأعمال خيرِها وشرها وكل بصورة مناسبة.

الحساب الفردي وأنواع الحساب للمؤمنين

أولاً

الذين يدخلون الجنة بغير حساب

وأول الكلام. . . اللَّهم ألحقنا بهم وأدخلنا في زمرتهم وما ذلك على اللَّه بعزيز. . . والذين يدخلون الجنة بغير حساب على أصناف متعددة من الأعمال متفاوتة المراتب. . وجميعهم المؤمنون العاملون الصادقون كل حسب ما يسَّره اللَّه سبحانه في الدنيا له من عمل فأخلص فيه وابتغى وجه اللَّه سبحانه، وقد قدَّمت عن هذه الأصناف الذين يختصهم اللَّه سبحانه بالفعل والخير عند لقائه والعرض عليه.

فمن هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب؟ وكم عددهم؟ وما هي صفاتهم؟

١ ـ المتوكلون على اللَّه سبحانه:

روى البخاري في صحيحه: باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب. ثم أسند إلى ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر ومعه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد ـ أي أشخاص ـ كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ فقال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير، فقال جبريل: هؤلاء أمتك،

وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

[رواه البخاري]

وروى الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم علىٰ قلب رجل واحد، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً**».

فقال أبو بكر رضي اللّه عنه: فرأيت أن ذلك آتٍ علىٰ أهل القرى ومصيبٌ من في حافات البوادي..

[رواه الإمام أحمد]

وروى أيضاً الإمام أحمد عن ثوبان رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً**»[1].

وروى الطبراني عن عتبة بن عبد السلمي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفِّع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حَثَيات، فكبَّر عمر، وقال: إن السبعين الأول يشفعهم اللّه تعالى في آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم، وأرجو أن يجعلني اللّه في إحدى الحثيات الأواخر**». وروى الطبراني عن عتبة بن عبد السلمي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي عز وجل بكفيه ثلاث**

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: إسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون فهو حديث صحيح.

حثيات، فكبَّر عمر، وقال: إن السبعين الأول يشفعهم اللَّه تعالى في آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم، وأرجو أن يجعلني اللَّه في إحدى الحثيات الأواخر».

٢ ـ القائمون الليل:

ـ عن أسماء بنت يزيد رضي اللَّه عنها عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«يحشر الناس في صعيد واحد فينادي مناد فيقول: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس إلىٰ الحساب».

[رواه البيهقي]

٣ ـ قارئ القرآن ابتغاء وجه اللَّه تعالى وعبد أحسن ما بينه وبين ربه:

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم حساب وهم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه اللَّه تعالى، وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه».

[رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد حسن]

٤ ـ العلماء العاملون:

ـ عن ثعلبة بن حكم رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يقول اللَّه عز وجل للعلماء (أي العاملين) يوم القيامة: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم علىٰ ما كان منكم ولا أبالي»[١].

ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال:

«يبعث اللَّه العباد يوم القيامة ثم يميّز العلماء فيقول: يا معشر

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات.

العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذِّبكم اذهبوا فقد غفرت لكم»[(١)] .

٥ ـ الشهداء والعافون عن الناس :

وروى الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال :

«إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعو سيوفهم على رقابهم تقطر دماً ، فازدحموا على باب الجنة ، فقيل : من هؤلاء؟ قيل : الشهداء كانوا أحياء يرزقون ، ثم نادى مناد : ليقم من أجره علىٰ اللّه فليدخل الجنة ، ثم نادى الثانية : ليقم من أجره على اللّه فليدخل الجنة ، قيل : ومن ذا الذي أجره على اللّه؟ فقال ﷺ : العافون عن الناس ، ثم نادى الثالثة : ليقم من أجره على اللّه فليدخل الجنة فقام كذا وكذا ألفاً فدخلوها بغير حساب» .

[ترغيب المنذري]

٦ ـ الحمادون في السراء والضراء ، ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه تعالى :

روى البيهقي في : «الشعب» وابن مردويه وابن أبي حاتم وغيرهم ـ عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : قال رسول اللّه ﷺ :

«يجمع اللّه الناس يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، فيقوم مناد فينادي : أين الذين كانوا يحمدون اللّه في السراء والضراء؟ فيقومون ، وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يعود فينادي أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون ، وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، فيعود فينادي : أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه؟ فيقومون ، وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب»[(٢)] .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في الكبير .

(٢) تفسير ابن كثير والدر المنثور في تفسير سورة النور .

ثانياً

الحساب اليسير والحساب العسير

١ ـ الحساب اليسير:

هم الذين يحاسبون حساباً يسيراً وهم على الأغلب المؤمنون الصادقون من عموم المؤمنين من غير تلك الأصناف التي ذكرت، وهم سواد كثير وأعداد كثيرة فليس كل المؤمنين علماءَ وقراء وشهداء وقوامين بالليل، ولكن منهم من كان له عمله في الدنيا وقد حافظ على طاعته وصلاته وصيامه وحجه وزكاته ومات على ذلك، فهو إن شاء اللّه من الذين يحاسبون حساباً يسيراً وهم من أهل اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، فهؤلاء يحاسبون حساباً يسيراً بلا مناقشة ولا تشديد، وإنما تُعْرض أعمالهم عرضاً ثم يتجاوز اللّه سبحانه عن سيئاتهم ويغفرها برحمته.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ٩]

ـ عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: **«من نوقش الحساب عذّب»**.

وفي رواية: **«من حوسب عذّب»** أي من حوسب حساب مناقشة وتشديد وتفتيش عذّب لا محالة.

قالت عائشة رضي اللّه عنها: فقلت: يا رسول اللّه، أليس قد

قال اللَّه عز وجل: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ فقال ﷺ: « **ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، ومن نوقش يوم القيامة عذّب** »(١).

وفي تعليق حسن للعلامة الخازن يقول فيه: الحساب اليسير هو أن يُعرض على العبد أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويُتجاوز عن المعصية. فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له: لَمَ فعلت هذا؟ ولا يطالب بالعذر فيه ولا حجة له فإنه حتى لو طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **ثلاث من كن فيه حاسبه اللَّه حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته** ».

قالوا: وما هي يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي؟ قال: « **تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة** »(٢).

٢ ـ الحساب العسير:

إن هناك صنفاً يحاسبون حساباً عسيراً مناقشة وتدقيقاً فهؤلاء يهلِكون ويعذبون كما قال رسول اللَّه ﷺ:

« **من نوقش الحساب عذّب** »وهو كما وصفه تعالى بسوء الحساب.

﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾. [سورة الرعد: الآية: ٢١]

فالآية وصف للمؤمنين الصادقين الذين يخافون: « **سوء الحساب** » أي إن هناك سوء حساب منذر بشدته وقوته ودقة مناقشته من

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط والبزار والحاكم وصحح إسناده.

اللَّه سبحانه. . فكما أن اللَّه سبحانه يغفر ويعفو عن المؤمنين ويتجاوز عن ذنوبهم ويرحمهم ويدنيهم منه كذلك فإنه سبحانه يدقق ويفتش في الحساب على آخرين من أهل المعاصي والكبائر والذنوب العظام.

. . . فكم من المسلمين ماتوا ولم يؤدوا فروضهم من صلاة وصيام وزكاة وحج؟ وكم من المسلمين ماتوا وهم أهل كبائر من زنىٰ وربا وأكل مال اليتيم، والاعتداء وسوء الخلق وقلة الخير حيث لم يقروا معروفاً ولم ينهَوا عن منكر؟ وكم منهم منافقون ومداهنون وكاذبون، كانوا يسعون إلى جمع المال، وإلى السعي وراء شهواتهم وملذاتهم لا يرعون حرمة للَّه سبحانه ولا خوفاً. . وكم من النساء العاريات الكاسيات المائلات المميلات، قَيْنات وصاحبات معازف وغناء وطرب سعين وراء أحلامهن وشهرتهن وشهواتهن فضللن وأضللن كثيراً من الرجال والشباب؟ وكم من النساء الكاذبات الخادعات الماكرات اللواتي أوقعن بين الرجال؟ وكم منهن كن يحلفن الأيمان الكاذبة. . وكم من النساء كن صاحبات فتنة وغيبة؟ وكم من النساء كن يسخرن من الأخريات؟ وكم من النساء اللواتي كن يسعين فقط إلى زينتهن ولباسهن، وما يضعن على وجوهن من زينة ويضربن بأرجلهن ليعرفن في الأرض؟ فليس كل المسلمين مسلمين ولا كل المؤمنين مؤمنين بما يحمل الإسلام والإيمان من معاني، على المؤمن المسلم أن يلتزم بها وإلّا ضاع منه الإيمان كالحياء الذي إذا خلعه الناس ذكوراً أو إناثاً عن وجوههم وارتكبوا من المعاصي ما يندى له الجبين حياءً وعاراً. . وكثير من النساء اللواتي يحاسبن حساباً شديداً على ما خلعن من ثيابهن وأغوين وكن سبباً في إغواء الرجال ووقوعهم تحت المعصية والكبائر والذنوب والفواحش.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

«وقفت على باب النار فوجدت أكثر أهلها النساء، ووقفت على باب الجنة فوجدت أكثر أهلها الفقراء».

ذلك في رحلة الإسراء والمعراج حيث أراه اللَّه سبحانه وهيأ له كيف يكون أكثر أهل النار النساء وأكثر أهل الجنة الفقراء.

.. فأهل الحساب العسير هم الذين ماتوا ولم ينتهوا عن الفواحش والكبائر فجاؤوا ربهم بها يوم القيامة مع ذنوبهم الصغار... إذاً إن الذنوب الصغار تمحى ويغفرها اللَّه سبحانه إذا اجتنب صاحبها الكبائر، أما إذا لم تجتنب فتبقى في صحيفة الأعمال لا تغفر، فتوبقهن مع الكبائر ودليل ذلك أن اللَّه سبحانه عندما يعطي الناس كتبهم ليقرؤوها يقول الكافرون والمنافقون والعصاة وأهل الكبائر: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

وكم من الناس من صنف الآية الذين قالوا: يا ويلَ من طغى وبغى وظلم وتجبر واعتدى على الناس وعلى حقوقهم؟؟

وقد توجّه اللَّه سبحانه بالخطاب إلى عباده في الدنيا لو أنهم تركوا الكبائر لعفا عنهم وغفر لهم.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٣٧]

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣٣]

.. ومن قبلُ دعاهم ربهم في الدنيا إلى التوبة وترك بابها مفتوحاً طوال حياتهم علهم يرجعون أو يعودون عن كبائر ذنوبهم وفواحشهم لكنهم لم يعودوا.

يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٥]

... وطالما أنهم لم يفعلوا وما فعلوا، فاليوم حسابهم حساب شديدٌ عسير لا يسر فيه، يناقشهم اللّه سبحانه في أعمالهم عملاً عملاً وقولاً قولاً صغيراً كان أو كبيراً.

ـ عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ قال:

« **ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك** »، فقلت: يا رسول اللّه، أليس قد قال اللّه تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟

[سورة الانشقاق، الآيتان: ٧، ٨]

فقال رسول اللّه ﷺ:

« **إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك** »[١].

قال ابن حجر عن القرطبي في معنى قوله: « **إنما ذلك العرض** » قال:

إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعلم: « **منّة** » اللّه عليهِ في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق، فتح الباري (١١/ ٤٠٠)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٤) واللفظ للبخاري.

وقال النووي في شرحه للحديث: معنى نوقش الحساب: أي استقصي عليه.

وقال القاضي عياض: : «**عُذّب**» له معنيان.. **أحدهما**: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب بما فيه من التوبيخ، **والثاني**: أنه مفضٍ إلى العذاب بالنار.. ويؤيد قوله في الرواية الأخرى: «**هلك**» مكان عُذّب. هذا كلام القاضي.. وقال النووي: ومعناه أن التقصير غالب في العباد في مَنْ استُقصي عليه، ولم يسامح هلك ودخل النار.. ولكن اللّه تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء، وهذا أيضاً يكون من حسن الظن باللّه تعالى أنه الغفور الرحيم الذي يتجاوز عن عباده.

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللّه عز وجل**»(١).

وزاد ابن أبي الدنيا على هذه الرواية: فإن قوماً قد أرداهم سوء الظن باللّه عز وجل»، فقال لهم: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٣]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ثالثاً

مناقشة المرائين وافتضاح أمرهم

إن المرائي الذي كان يفعل رئاء الناس ظاهراً، وله في باطنه أمر آخر ولم يكن يبتغي في عمله وجه اللَّه سبحانه بل كان يبتغي الدنيا ومديح الناس.

... هؤلاء يعرضون على اللَّه سبحانه واللَّه مطلع على ما في قلوبهم وصدورهم، يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

فظاهر أعمالهم وريائهم ليس بخاف على اللَّه سبحانه، يومئذ يفضحون وينكشف ما غطوا به أنفسهم من المراء والكذب فتظهر صدورهم واضحة جلية أمام اللَّه سبحانه الذي لا يخفى عليه السر في الأرض ولا في السماء ولا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض.

عن شُفَي بن ماتع الأصبحي رحمه اللَّه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليهِ الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه، حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أسألك بحق وحق، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول اللَّه ﷺ عقَلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ، عقلته وعلمته، ثم

نشغ أبو هريرة نشغة، فمكث قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: أفعل لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ، أنا وهو في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خاراً علىٰ وجهه، فأسند طويلاً، ثم أفاق، فقال: حدثني رسول اللَّه ﷺ: « **إن اللَّه إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل اللَّه، ورجل كثير المال، فيقول اللَّه للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول اللَّه له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك.**

ويؤتى بصاحب المال، فيقول اللَّه: ألم أوسع عليك، حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقيل ذلك.

ثم يؤتى بالذي قتل في سبيل اللَّه، فيقول اللَّه: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت، فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تُسعّر بهم النار يوم القيامة ».

قال الوليد أبو عثمان المدائني: فأخبرني عقبة بن مسلم: أن شُفيا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا.

قال أبو عثمان: وحدَّثني العلاء بن أبي حكيم: أنه كان سيَّافاً لمعاوية، فدخل عليه رجل، فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فعل بهؤلاء هكذا، فكيف بمن بقي من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديداً، حتى ظننا أنه هالك، وقلنا: قد جاء هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية، ومسح عن وجهه، وقال: صدق اللّه إذ يقول:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

[سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦]

ـ عن سليمان بن يسار قال: تفرّق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناقل أخو أهل الشام: أيها الشيخ حدّثني حديثاً سمعته من رسول اللّه ﷺ؟ فقال:

نعم، سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحب على وجهه، حتى ألقي في النار... ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال:

(١) رواه الترمذي في صحيحه.

فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلّمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه، حتى ألقي في النار، . . ورجل وسّع اللَّه عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[١].

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥) ورواه النسائي.

رابعاً

عرض اللّه سبحانه ذنوب عبده عليه

صحيح كما ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن اللّه سبحانه يحاسب المؤمن حساباً يسيراً ويتجاوز عنه إلا أن اللّه سبحانه يعرض عليه ذنوبه التي ارتكبها في الدنيا ويغفرها له. ذلك ليعلم فضل اللّه عليه وكرمه ورحمته ليعيش في هذه الرحمة وهذا الكرم وهذا الفضل الخالد في دار الخلد وصدق اللّه سبحانه إذ يقول:

﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٧]

ـ عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«إن اللّه يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى بنفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد: «هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة اللّه على الظالمين».

ومعنى الحديث الشريف: فيضع كنفه عليه أي ستره ولطفه وإكرامه فيخاطب اللّه عبده خطاباً لطيفاً لا شدة فيه ويناجيه برحمته وواسع عفوه فيقرره بذنوبه وهو يعرفها، فيسأله اللّه: أتعرف هذه الذنوب ذنباً ذنباً فيعترف بها جميعاً.. فيقول له اللّه سبحانه: لقد

سترتها عليك في الدنيا، أي لم أفضحك بها، وأنا أغفرها لك اليوم، نعم إن فضل اللّه كان على المؤمنين عظيماً يضاعف الحسنات ويستر المؤمن ويعفو عنه بل ويبدله بسيئاته حسنات.. فأي فضل هذا؟ وأي رحمة هذه؟ وأي كرم إلٰهي هذا في عموم المؤمنين الموحدين؟

خامساً

معاتبة اللّه تعالى عبده فيما وقع منه من تقصير

إن في كتاب اللّه سبحانه آياتٍ يوصي فيها اللّه سبحانه عباده ويطلب منهم أن يفعلوا ذلكِ.. لم يفرضها عليهم إنما أوصاهم بها رحمة بأمة محمد ﷺ فيما بينهم.. فقد أوصى اللّه بالرحمة وضرب لها مثلاً في القرآن الكريم لمحمد ﷺ وصحبه.

يقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾.

[سورة الفتح، الآية: ٢٩]

... فالرحمة هي التي سألها اللّهُ عبادَه المؤمنين فيما بينهم ومن هذه الرحمة سألنا سبحانه ببناء مجتمع مسلم مبني على المحبة والصدقة والمعروف والإصلاح. يقول تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١١٤]

فمن لم يفعل ما أمر اللّه سبحانه به وتكاسل عنه فقد أضاع أولاً الأجر العظيم ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ومن ثم لا بد من معاقبته على ذلك التقصير حتى لو غفر اللّه سبحانه له يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« إن اللّه عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لَو عُدْته لوجدتني عنده، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي »(١) .

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث (٢٥٦٩).

سادساً

المصوّرون من أشد الناس عذاباً يوم القيامة

نستعرض أحاديث رسول اللّه ﷺ فيما ذكره عن المصورين وعن عذابهم يوم القيامة ثم نفسر هذه الأحاديث ونعلق عليها حتى لا يكون لَبْس في التفسير أو الفَهم.

ـ عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها قالت: دخل النبي ﷺ وفي البيت قرام فيه صور، فتلّون وجهه ثم تناول الستر فهتكه، وقالت: قال النبي ﷺ:

«من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور»(١).

ـ وعن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال:

«إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»(٢).

ـ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم»(٣).

هذه الأحاديث في الصحاح ومتفق عليها أي إنها في الدرجة

---

(١) متفق عليه. الفتح ١٣/ ١٣١ ومسلم برقم ٢١٠٧.
(٢) متفق عليه. الفتح ١٢/ ٥٠٨ ومسلم برقم ٢١٠٨.
(٣) رواه مسلم، رقم الحديث ٢١١٠.

الأولى من الأحاديث الشريفة.. فالعذاب واقع على المصورين.. ولكن إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فالصور الفوتغرافية التي أصبحت اليوم من لوازم الحياة وما أشبه بها فهي ليست داخلة في هذه الأحاديث الشريفة وكذلك الصور التي تصور الطبيعة والتي لا روح فيها.

.... وربما يكون المقصود بالمصورين هم أولئك الذين ينحتون التماثيل التي تمثل أرواحاً، وكان المقصود فيها التمثيلَ في العبادة أو ما أشبه بذلك، لأن الناس كانوا قبل بَعثة الرسول ﷺ يعبدون الأوثان ويصنعونها بأنفسهم وينحتونها، فلدرء المفسدة من ذلك وحتى لا يعود الناس إلى عبادة الأوثان أو تعظيم التماثيل حرّم التصوير.. فليست القضية بهذه البساطة إنما المقصود العمليةُ الإيمانية والعَقَدية، وأن لا تزيغ النفوس أو تتأثر بهذه المحتويات والصور، وعلى كل نعود فنقول: إنما الأعمال بالنيات.. وإن استطاع الإنسان أن يتحرى الفضيلة ويبتعد ما استطاع عن ذلك فيكون قد استبرأ عما أشكل عليه تفصيلاً.. واللّه أعلم.

سابعاً

صبغة أنعم أهل الدنيا، وأشد الناس بؤساً

في يوم القيامة يأتي اللّه سبحانه بأنعم أهل الأرض واللّه أعلم من هو، أي الرجل الذي عاش حياته ولم يرَ فيها إلا النعيم. فلم يذق أي مرارة أو مصيبة أو مرض، وقد أجرى اللّه سبحانه بين يديه الرزق وفتح له أبوابه دون انقطاع فعاش حياة لم يعش أحدٌ مثلها أبداً.

. . . وكذلك يأتي اللّه سبحانه بأشقى أهل الأرض واللّه أعلم به حيث عاش من مولده إلى موته شقاء عظيماً وحرماناً وفقراً ومرضاً ربما لم ير نعيماً أو ذاق نعيماً قط، فيغمس اللّه سبحانه أنعم أهل الأرض في النار غمسة لدقائقَ معدودات، وكذلك يغمس أشقى أهل الأرض غمسة في الجنة لدقائق معدودة ثم يُخرجا منهما ويسألهما ربهم. . ماذا وجدتما؟؟

ـ عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا واللّه يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا واللّه يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط »[1].

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث (٢٨٠٧).

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله تعالى له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمنَّ، فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتلَ في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول الله تعالى له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب شر منزل، فيقول له: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أي رب نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار»[1] .

وفي الحديثين حكمة عظيمة إذ يريد الله سبحانه ورسوله ﷺ أن يعلم الناس أن شقاء الدنيا لا يساوي شيئاً في شقاء الآخرة، وأن نعيم الدنيا لا يعدل شيئاً من نعيم الآخرة.. وأن على الإنسان أن يصبر فيما ابتلاه ربه لأن ما ينتظره من النعيم عند الله سبحانه ينسيه ما شقي به في الدنيا.. وكذلك على الإنسان أن يشكر النعمة التي أنعم الله فيها على عبده في الدنيا، حتى يذوق نعمة الشكر في الآخرة وإلا كانت النار مصيرَه، ودقائق فيها تنسيه نعمته في الدنيا والتي طالت إلى سنوات كثيرة.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٠٨.

ثامناً

تمثّل الأعمال خيرها وشرها وكلٌ بصورة مناسبة

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٣٠]

ومعنى الآية الكريمة أي مشهوداً معايَناً أمامها. . والآية الكريمة تدل أن الأعمال جميعاً سوف يحضرها اللّه سبحانه، ليست قراءةً فقط ولكن كل إنسان سيشاهد عمله قد تمثل له وُصوّر. . وهذا الإنسان اليوم، وعلى الرغم من علمه القليل الذي وصفه اللّه سبحانه بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

استطاع من خلال ما نشاهده اليوم من آلات التصوير التي تصور الإنسان في حركاته وأعماله وأقواله صوتاً وصورة، وهذا الإنترنت الذي هو صناعة الإنسان يختزل معلوماتٍ وصوراً وأحداثاً لا أعلم كم حجمها ولكنها تفوق المليارات. . فماذا عند اللّه سبحانه الخالق العليم والقادر المقتدر وهو خالق الإنسان الذي صنع مثل هذا؟

. . . فاللّه سبحانه قادر على أن يأتي لكل إنسان بعمله مصوراً يراه بأم عينيه، فقد سجّل اللّه سبحانه له عمله بكامل تفاصيله وذراته من أصغرها إلى أكبرها، وسيجده حاضراً أمامه يوم القيامة لا يستطيع نكرانه ولا رده ولا التبرؤَ منه.

ـ عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال:

« الطهور شطر الإيمان، والحمد للَّه تملأ الميزان، وسبحان اللَّه والحمد للَّه تملآن، أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصبر ضياء، والصدقة برهان، والقرآن حجة لك أو عليك»[(١)] .

فكل ما ذكر في الحديث يتمثل لك بقدرة اللَّه سبحانه والقرآن الكريم يقف معك موقف الحجة إن عملت به، ويقف ضدك إن لم تعمل به.

ـ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فِرقان من طير صوافَّ تحاجّان عن صاحبهما، اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[(٢)] .

أي من واظب على قراءة سورة البقرة حلّت عليه البركة في عمره وعمله ورزقه وأهله وداره وحفظه اللَّه تعالى من البطلة أي السحرة.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول اللَّه ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعدُ، قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ـ أي

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

ضوء أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما».

ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: ربّ منعته الطعام بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: ربّ منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان».

[رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم كما في الترغيب للمنذري]

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ٣٩ ـ ٤١]

فأثبت سبحانه هنا أن للسعي أمرين: أحدهما أنه يرى، ثانيهما أنه يجزى صاحبه الجزاء الأوفى، فالسعي أي العمل سوف يراه صاحبه وغيره عِياناً متمثلاً بصورة مناسبة له، ولا يجوز أن يقال: سوف يرى جزاءه لأنه جاء بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١٠٥]

وهكذا أعمال الشر والمخالفات تتمثل يوم القيامة بما يناسبها في القيامة من الصور المثالية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

والمعنى: لا يحسبن الذين يبخلون أن يؤدّوا زكاة أموالهم أن البخل خير لهم، وتوفيرٌ لمالهم وتكثير له وحفظ له من النقصان، بل

إن البخل شر لهم في الدنيا والآخرة، فإنه لا خيرَ في مال لا تُؤدَّىٰ زكاته، وليعلموا أنهم ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

قال ابن عباس وابن مسعود رضي اللَّه عنهما في هذه الآية: يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوقه في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه إلى قدمه.

وهذا مأخوذ من الحديث الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من آتاه اللَّه مالاً فلم يؤدِ زكاته مُثل له يوم القيامة شجاعاً ـ أي ثعباناً عظيماً ـ **أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** ـ يعني شدقيه ـ **ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ ﴾**»[1] .

وروى مسلم عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: انتهيت إلى رسول اللَّه ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: **« هم الأخسرون وربِّ الكعبة»** ، قال: فجئت حتى جلست فلم ألبث ـ أي أستقر ـ أن قمت، فقلت: يا رسول اللَّه! فداك أبي وأمي من هم الأخسرون؟ قال: **« هم الأكثرون أموالاً إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا**[2] : **من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم؛ ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس»**[3] .

---

(١) (رواه البخاري رضي اللَّه عنه. صحيح البخاري).

(٢) المراد: أنهم يكثرون الصدقات في سبيل الخيرات ولا يمنعون خيرهم لعباد اللَّه تعالى، فهؤلاء هم السالمون الرابحون من أغنياء المال، ومن عداهم الأخسرون.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

فالحيوانات التي لا تزكى تعاد أسمن ما كانت تنطح صاحبها وتطؤه، والذهب والفضة ونحوهما من المال الذي لا يزكى ويسمى كنزاً، فإنه يمثل لصاحبه ثعباناً عظيماً كما تقدم في الحديث.

ـ وعن ثَوبان رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**من ترك بعده كنزاً مثّل له يوم القيامة شجاعاً** ـ أي حية كبيرة ـ **أقرع له زبيبتان يتبعه، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذي خلَّفت، فلا يزال يتبعه حتى يُلقمه يده فيقضمها** ـ أي يأكلها بأطراف أسنانه ـ **ثم يتبعه سائر جسده**»[١].

وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل إليه ماله** ـ أي يمثّل له ماله ـ **يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان. قال: فيلتزمه أو يطوقه يقول: أنا كنزك، أنا كنزك**».

[رواه النَّسائي بإسناد صحيح]

(١) رواه البزار وقال: إسناده حسن، والطبراني وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، كما في ترغيب المنذري.

الخاتمـة

أسأل اللّه تعالى أن أكون قد وفقت في هذا الجزء من الموسوعة إلىٰ بيان واضح وشرح مفصل عن أهم مواقف يوم القيامة، وهو موقف العرض على اللّه سبحانه وحسابه الخلائقَ جميعاً... مع بيان أنني أرجأت الحديث عن حساب الكافرين والمشركين إلى الجزء الثامن من الموسوعة ذلك أن هناك خلافاً بين بعض المفسرين حول حساب الكافرين والمشركين ووزن أعمالهم، حيث قالوا: إن المشركين والكافرين لا يوزن لهم عمل لأنه لا يوزن مع الكفر عمل حيث قَدِم اللّه إلى ما عملوا من عمل فجعله هباء منثوراً، وعدِموا حجتهم من القرآن الكريم وهذا ما يأتي بيانه بإذن اللّه تعالى في الجزء الثامن.. ولقد أخرنا مناقشة هذا الأمر للجزء الثامن والذي هو بعنوان (الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات، لعلاقة وزن أعمال الكافرين والمشركين بالحديث عن الميزان واستلام الصحف، وهل للكافرين والمشركين ميزان ومرور على الصراط؟؟

... المهم أننا بذلنا في هذا الجزء من الموسوعة كل إمكانية واعتمدنا الصحيح من الأحاديث والأقوال، ليكون ما عرض صحيحاً وسليماً لا يشوبه شك أو ضَعف... ولقد وثقنا كل المعلومات بالآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللّه ﷺ وهما خير شاهد على سرد الأحداث وصحتها، ومن البيِّن الواضح كثرة الشواهد أيضاً من آراء المفسرين والمحللين وأصحاب الرأي السديد ليكون العمل مكتملاً قدر الإمكان بشواهده وآرائه.

. . . فما من كاتب وإلا ويقدم جهداً في كتابه الذي كتبه حتى يخرج إلى الناس بشكل صحيح سليم. . . ولقد كان الجهد المبذول في هذا الجزء هو تحري الصحيح من كل الشواهد واعتماد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كشاهد أول مع التفسير والتحليل، ذلك أن هذا العمل للّه سبحانه ويتحدث عن اليوم الآخر وهي مسؤولية جسيمة على الكاتب أن يتحرى فيها الصدق، فالحديث هو عن اللّه سبحانه واليوم الآخر فكيف لا يكون الكلام صادقاً وصحيحاً؟. . . فالوقوف بين يدي اللّه سبحانه أمر عظيم مهيب، فلا بد من صدق الحديث وصحته حتى يكون المقدِّم لهذا العمل مأجوراً من اللّه سبحانه محصلاً بعمله رضا اللّه يوم يلقاه وليس سخطَه وغضبَه. .

لذا أرجو اللّه سبحانه أن يقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وما قصرت فيه فمن واقع ضعف الإنسان وقلة علمه.

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وقوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٢٨]

. . . لذا أرجو من اللّه المغفرة والرحمة فيما أخطأت، وما أصبت فيه فأرجو اللّه سبحانه أن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات كل من ساهم معي في هذه الموسوعة يوم القيامة، واللّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللّه ـ وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

ماهر أحمد الصوفي.

أبو ظبي ص. ب. ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجهْ.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

سلسلة

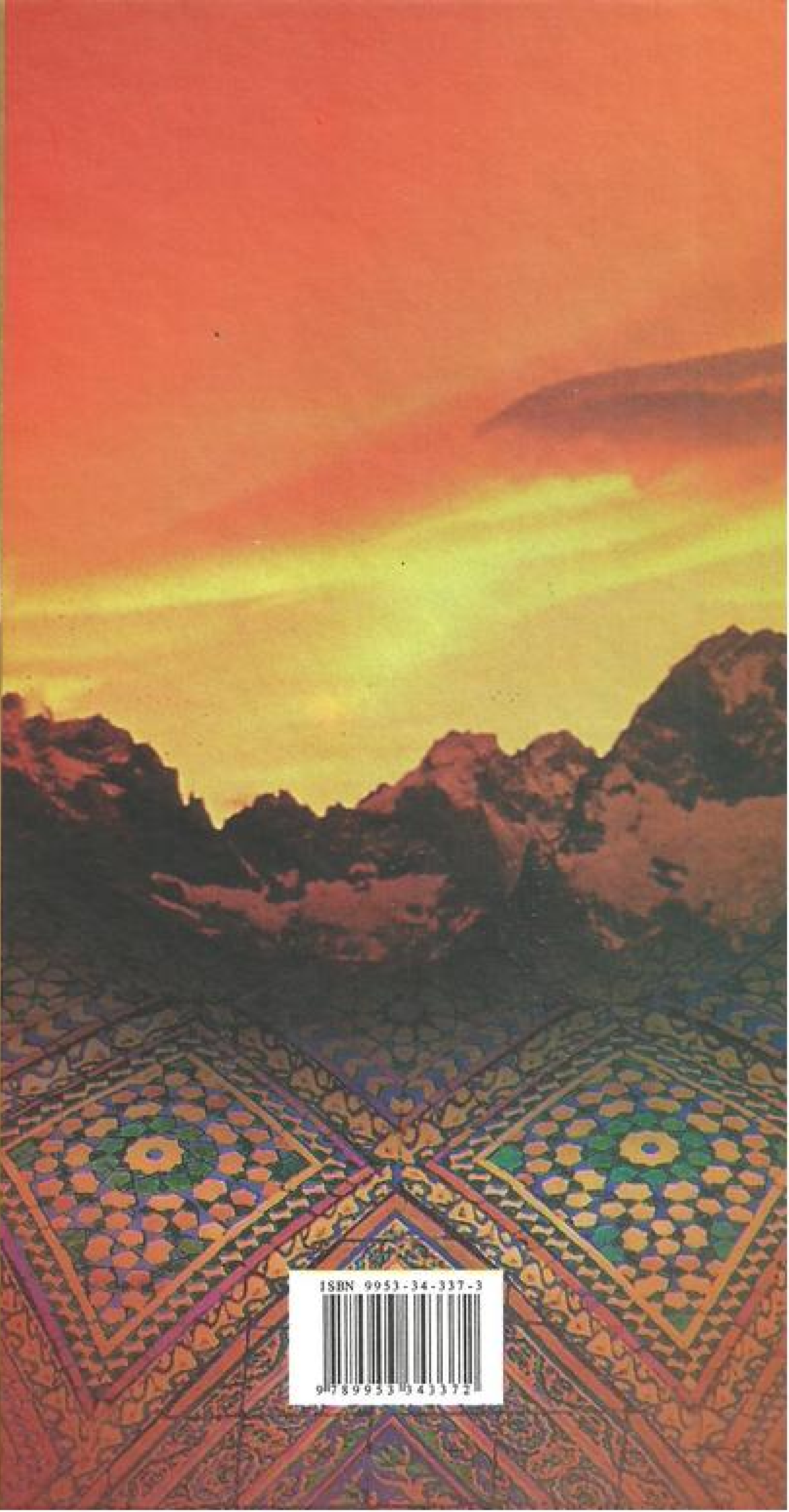
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-337-3
9789953343372

الميـزان
الصحف - الصراط
أنواع الشفاعات

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

الميزان - الصحف - الصراط - أنواع الشفاعات

ماهر أحمد الصوفي

سِلسِلة
مَوْسُوعَة الآخِرَة

المِيزان
الصُحُفْ - الصِراط
أنواع الشفاعات

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلاميّة والأوقاف
دولة الإمارات العربيّة المتّحدة

قدّم للموسوعة

الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمّد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-341-1

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى

٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى

٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ

٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة

٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور

٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر
الحوض ـ الشفاعة العظمى

٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّه سبحانه

٨ ـ الجزء الثامن : ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ
أنواع الشفاعات

٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها

١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩]

ويقول تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤]

ويقول تعالى:

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

حديث شريف:

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عَنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم ».

[رواه البخاري]

وقال رسول اللَّه ﷺ:

« اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فِرقان من طير صَواف تحاجَّان عن أصحابهما ».

[رواه مسلم]

وقال رسول اللَّه ﷺ:

« يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرَضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعندها تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ».

[رواه أحمد وابن ماجه والترمذي]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم .

إلى رسول اللَّه ﷺ :

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة .

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين
وأفضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين . .

. . في هذا الجزء من الموسوعة تتبيَّن النتائج وتتضح معالم العمل، وتظهر التقوى في كامل صورها، وكذلك الفجور في كامل صوره. . ففي الجزء السابع كان العرض على اللَّه سبحانه ثم حسابه للخلائق جميعاً. . . ولكن النتائج لم تظهر بعدُ، ونتيجة الامتحان ينتظرها المرء عند الميزان، وهو من المواطن الرهيبة حتى يعلم الإنسان هل يثقل ميزانه أم يخف، وكذلك عند استلامه كتابَه حتى يعلم هل يستلم بيمينه أم بشماله أم من وراء ظهره؟؟

. . إنها مواقف النتائج، التي يأمل بها الجميع رحمة اللَّه سبحانه وشفاعة رسول اللَّه ﷺ.

المؤمنون في كل مواقف يوم القيامة تشملهم رحمة اللَّه سبحانه، والكافرون في كل مواقف يوم القيامة يشملهم غضب اللَّه سبحانه، فلا شفاعة لهم في الحساب ولا عند الميزان ولا عند استلام الصحف، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، فقد حرَّم اللَّه سبحانه أي شفاعة فيهم، ذلك أن اللَّه سبحانه حرَّم الجنة على الكافرين والمشركين.

في هذا الجزء من الموسوعة تظهر النتائج التي ينتظرها أهل المحشر على أحرّ من الجمر، والذي ينتظر نتائج امتحانه فإنه يكون

مشدوداً وبحالة متوترة وبنفس خائفة، أمله النجاح وعُدَّته الرجاء وقلبه معلَّق بالنجاة، ولكن لا ينفع نفساً شيءٌ لم تأت اللَّه بقلب سليم.. وسيخيب كل ظالم ومتجبر اعتدى على حرمات اللَّه وظلم عباد اللَّه في الدنيا.. كلٌّ سيأتي ربه يوم القيامة فرداً، لا معين ولا شفيع ولا سند، الجميع يعرضون على اللَّه سبحانه لا تخفى منهم خافيةٌ.. لقد ولّى زمن الدنيا الذي فيه التخفي والرياء والمداهنة والنفاق.... وفيه الصدق والحق والعمل الصالح.. فلا بد حتى يثقل ميزاني وآخذ صحيفتي في يميني أن أكون في يوم القيامة قد جئت بعمل يرضي اللَّه سبحانه، مسطور في صحيفتي، فالإيمان باللَّه والأعمال الصالحة هي المنجية، وهي التي تثقل ميزاني وتكون سبباً في استلامي لصحيفتي بيميني.. هناك عند النتائج سيفرح كلٌّ من الفائزين ويقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه والذي خسئ وخسرَ يقول: يا ليتني لم أُوتَ كتابيه ولم أدر ما حسابيه، ويتمنى أن يقضى عليه فيموتَ، ويصرخ فيقول: يا ليتها كانت القاضيةَ، هناك عند الميزان واستلام الصحف سيعلم الكافرون والمشركون أيَّ منقلب سينقلبون، وأي سوء عذاب ومهانة بانتظارهم، وسيعلم المؤمنون أي كرامة وعز ورفعة تنتظرهم، لقد كان الكافرون في الدنيا يضحكون من المؤمنين، واليوم المؤمنون هم الذين يضحكون من الكافرين.

في هذا الجزء سترى كيف يُلقى ويُرمى الكافرون والمشركون وما كانوا يعبدون في الدنيا رميَ مذلةٍ وإلقاءَ مهانة في جهنم.. نعم إنهم يتساقطون أمماً أمماً في نار جهنم، كلما جاءت أمة لعنت أختها حتى يدَّاركوا فيها جميعاً.

.. وفي هذا الجزء المواطن الرهيبة المفزعة والمخيفة ـ مواطن المرور على الصراط الذي هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف.. هذا

الصراط (الجسر) الذي يضربه اللَّه سبحانه على ظَهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون فقط.

الصادقون منهم والمنافقون، وأهل التقوى منهم وأهل المعاصي. . . فينجي اللَّه سبحانه المؤمنين الصادقين، وأما المنافقون والعصاة وأهل الكبائر فإنهم يتساقطون في جهنم، بعد أن تتخطفهم الشوك والخطاطيف والكلاليب ذلك بما نافقوا وعصوا اللَّه سبحانه. . إنه موقف عظيم، فمن المؤمنين ناجٍ لا يصيبه شيء يمرّ كالريح، ومنهم من تخدشه تلك الكلاليب ولكن لا توقعه، فيمر على الصراط وقد امتلأ خوفاً وخدوشاً، ومنهم من يهوي بما يحمل من نفاق ومعصية، لا يتكلم أحد على الصراط من شدة الهول ولا يتكلم إلا الرسل وقولهم: اللّهم سلّم سلّم.

. . وتظهر في نهاية الجزء الشفاعات وأنواعها، وأولها من رسول اللَّه ﷺ في أمته ثم يأذن اللَّه بالشفاعة للأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء ولعامة المؤمنين.

. . . ومع هذه الأحداث وما فيها نرحل في عالم الميزان والصحف والصراط والشفاعات، وعلى اللَّه قصد السبيل.

الفصل الأول

- حساب المشركين والكافرين.

- الدلائل على حساب المشركين والكافرين:

- أولاً: إن اللّه سبحانه يُشْهد أعضاء المشركين والكافرين على أعمالهم.
- ثانياً: العدل الإلٰهي المطلق وإقامة الحجة على الكافرين والمنافقين.
- ثالثاً: إن اللّه سبحانه يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم.
- رابعاً: حساب المشركين والكافرين على التكاليف الشرعية.
- خامساً: يحاسب الكافرون ويهبطون في دركات النار بقدر كفرهم وأعمالهم.

حساب المشركين والكافرين

مَدخل:

بينّا في الجزء السابع من الموسوعة حال الكفار والمشركين عند عرضهم على اللَّه سبحانه، وكيف يكون الموقف مهيناً وذليلاً؟ وكيف يجثون على ركبهم طوال فترة العرض، خاشعين من الذل يخرج إليهم كل حين عنق من النار، فيخلع قلوبهم من أماكنها وتتقطع حناجرهم من الهلع، غير ما أصابها من العطش الذي جفف أفواههم وحلوقهم وأمعاءهم.

... ثم بيّنّا أن اللَّه سبحانه بعد موقف العرض هذا يأذن ببدء فصل الحساب، وبينّا أن أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من الأمم... فإذا ما فرغ اللَّه سبحانه من حساب المؤمنين أتقيائهم وعصاتهم.. حاسب المؤمنين من باقي الأمم الذين كانوا على إيمان وعمل صالح مع أنبيائهم.

ثم يكون حساب المشركين والكافرين.

... وفي حساب المشركين والكافرين جدل بين العلماء، فمنهم من أيّد حسابهم واستشهدوا على ذلك بكثير من الآيات القرآنية وأحاديث رسول اللَّه ﷺ.. ومنهم من أنكر حسابهم وقال: إن المشركين والكافرين لا حساب عليهم وذلك أنه لا عمل صالحاً لهم يحاسبون عليه، وأن الكفر باللَّه سبحانه والشرك به يسلبهم الأجر

الأخروي على أي عمل صالح أو خير قدَّموه في حياتهم الدنيا لأن اللَّه سبحانه لا يقبل عملاً إلا إذا كان صاحبه قد احتسبه للَّه سبحانه، أو كان العمل والخير لوجه اللَّه تعالى على العموم مع العلم أنهم يؤجرون على خيراتهم في الدنيا فقط.

... فالخير والشر موجودان في الإنسان، سواء أكان مؤمناً أم كافراً أم مشركاً، لأن التوازن في الفجور والتقوى موجود في الإنسان في أصل الخلق، يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

[سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠]

... فالخير والشر في الإنسان غير الإيمان والكفر.. فاللَّه سبحانه لم يجعل نفس الكافر في الفجور وحسب، ونفس المؤمن في الخير وحسب، بل كلاهما وجدت في نفسه في أصل الخلق النفس الفاجرة والنفس التقية، فالإنسان يفعل الخير ويفعل الشر حتى وإن كان كافراً، ولكن النفس لا تزكى إلا إذا آمنت باللَّه سبحانه، فالتزكية مِن أعلى مراتب الخير، وأعلى مراتب الخير هي الإيمان باللَّه سبحانه.

... وأما حجة الذين قالوا بأن الكافرين والمشركين لا يحاسبون من اللَّه سبحانه بل النار مأواهم وبئس المصير، فهي أن اللَّه سبحانه يقول في محكم كتابه:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣٩]

ولكن هذه الآيات الكريمات لا تشير إلى أن الكافرين والمشركين لن يحاسبهم اللَّه سبحانه يوم القيامة، بل يأمر بهم إلى النار بعد العرض عليه... ولكن تشير إلى أنهم عند الحساب بين يدي اللَّه سبحانه لا يحتسب لهم أعمالهم التي قدموها وفيها شيء من الخير، طالما أنها لم تكن في سبيل اللَّه سبحانه، أو احتساباً لما عند اللَّه من الأجر، لأنهم كانوا على الكفر.

... فالرأي الصحيح بإذن اللَّه تعالى: إنهم يحاسبون، بل يحاسبون حساباً شديداً وعسيراً ويقرّرون بكفرهم ومعاصيهم وذنوبهم وفواحشهم وكبائرهم التي ارتكبوها في الدنيا... ذلك أن فعل الخير الذي قدموه في الدنيا لم يكن احتساباً للَّه أولاً، ولم يردعهم عن معاصيهم ثانياً من شرب للخمر وأكل للربا واقتراف للزنىٰ.. لأنهم كانوا في الدنيا يفعلون الخير ولكن ربما من أجل مصالحهم الخاصة أو لمنافعهم أو ليقال كريم أو جواد، أو تجبرهم حكوماتهم على فعل هذا الخير مساهمة منهم في تحسين مجتمعاتهم الدنيوية... فكل ما قدّموه من خير لم يكن يردعهم عن المعصية.. فكم أنشئت مدارس في دول الكفر للتباهي على نفقة فلان من الناس.. وعند الافتتاح تراق وتشرب الخمور احتفالاً بهذا العمل..

وعرض أعمال الكافرين عليهم ومحاسبتهم هو لزيادة ذلهم وهوانهم، فعلاوة على كفرهم فإن اللَّه سبحانه ليس بغافل عن أعمالهم وذنوبهم التي كانت فواحش عظيمة، حرّمها اللَّه سبحانه على الخلق جميعاً فهم أهل كفر وأهل معاصٍ وأهل كبائر.. فإذا كان المؤمن أو المؤمنة قد ارتكب بعض الكبائر في حياته الدنيا، وكان على الإيمان ولم يكفر باللَّه سبحانه فإنه سوف يحاسب حساباً عسيراً،

فالكفر والشرك أصحابهما في النار خالدين فيها وأعمالهم من الفواحش والمنكرات تزيد في عذابهم في النار.

... يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى، في خصوص حساب المشركين والكافرين:

«هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فمن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم.. وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب[1].

... والصحيح وهو أكثر أهل الرأي أن الكفار محاسبون كما أن أعمالهم توزن وقد دل على ذلك كثير من الآيات الكريمة.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٢]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٥]

وكذلك فإن لهم عند الحساب موقف الاختصام، وردّ كل مجموعة أو أحدهم أمر كفره وشركه إلى غيره.

يقول تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۞ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۞ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة ق، الآيات ٢٧ ـ ٢٩]

وكذلك فإن اللّه سبحانه في كثير من الآيات الكريمة بيَّن أنَّه سبحانه سيحكم بين الفرقاء من المشركين والكافرين وبين المؤمنين

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام (٤ / ٣٠٧).

والكافرين، والحكم لا يكون إلا بعد الاستماع للخصوم والشهود وهذا دليل على حساب المشركين والكافرين.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٣]

ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٥٥]

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة النحل، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤]

فهذه الآيات تشير إلى حكم اللَّه سبحانه يوم القيامة، وهذه الآيات ليست مخصوصة للمؤمنين بل وللكافرين والمشركين.

وكذلك يبيِّن اللَّه سبحانه أنه ينادي المشركين يوم القيامة ويسألهم: أين شركائي؟ وهم يجيبون على سؤال اللَّه سبحانه... وهذا إشارة إلى أن المشركين والكافرين في موضع السؤال وموضع الجواب.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۞ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

[سورة فصلت، الآيتان: ٤٧، ٤٨]

الدلائل على حساب المشركين والكافرين

وما تكلمنا فهو دليل عام.. ولكن هناك دلائل حتمية على وقوع حساب المشركين والكافرين.

أولاً: إن اللَّه سبحانه يُشهد أعضاء المشركين والكافرين على أعمالهم:

إن اللَّه سبحانه يشهد على كفر الكافرين وعملهم وشرك المشركين وعملهم أعضاءهم الجسدية، بعد أن ينطقها اللَّه سبحانه كشهود ودليل على أعمالهم، وهذا لا يكون إلا للمشركين والكافرين الذين كفروا وأشركوا وطغوا وبغوا في الحياة الدنيا.

... أما المؤمنون فلا يشهد اللَّه عليهم أعضاءهم وهي خاصة بالمشركين والكافرين، يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۞ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ١٩ ـ ٢٤]

الأبصار فالسمع فالجلود تشهد على أعمال المشركين والكافرين يوم القيامة وهم بين يدي اللَّه سبحانه ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. ولم يقل اللَّه سبحانه بما كانوا يشركون ويكفرون، فشركهم وكفرهم واقع بهم وقد اعترفوا به وتخاصموا وتجادلوا من أجله أمام اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة النور، الآية: ٢٤]

وهؤلاء الشهود حتماً في حق الكافرين والمشركين والمنافقين.

ولقد ذهب القرآن الكريم إلى بيان واضح جلي، إذ يصوِّر لنا حال الكافرين والمنافقين الذين ظنوا أن ظاهر عملهم ينفعهم يوم القيامة، فيقسمون ويحلفون أنهم كانوا على الحّق وأنهم كانوا مؤمنين.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

وفي هذه المواقف يقررهم اللَّه سبحانه على جميع أعمالهم.

وقد بيَّنت السُّنَّة الشريفة مثل هذه المواقف عند حساب المشركين والكافرين والمنافقين وهم بين يدي اللَّه سبحانه.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل قال فيه: «**فيلقى اللَّه العبد فيقول: أي فُل: ألم أكرمك، وأسوِّدك، وأزوِّجك، وأسخِّر لك الخْيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى،**

أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني، فيقول: أي فل: ألم أكرمك، وأزوِّجك، وأسوِّدك، وأسخِّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسولك، وصلَّيت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، قال: فيقول: فهاهنا إذاً، قال: ثم يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك، فيذكر في نفسه: من الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط اللّه عليه، ثم ينادي منادٍ: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»[١].

ـ عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: كنّا مع رسول اللّه ﷺ، فضحك، وقال: «**هل تدرونممّ أضحك**»؟ قال: قلنا: اللّه ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يعني يوم القيامة، فيقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم، قال: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، ثم يُخَلّى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنَّ وسحقاً، فعنكنّ كنت أناضل**»[٢].

ـ عن أبي سعيد رضي اللّه عنه، عن رسول اللّه ﷺ، قال: «**إذا كان يوم القيامة عُرِّف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقول: هؤلاء**

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٦٨) في الزهد والرقائق.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٦٩) في الزهد والرقائق.

جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول: احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم اللّه وتشهد ألسنتهم ويدخلهم النار »[١].

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: « **تجيئون يوم القيامة، وعلى أفواهكم الفدام فأول ما يتكلم من ابن آدم فخذه وكفه** »[٢].

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قرأ رسول اللّه ﷺ، هذه الآية:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٤، ٥]

· قال: « **أتدرون ما أخبارها** »؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: « **فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل ـ على ظهرها، أن تقول: عمل كذا، وكذا، في يوم كذا وكذا، فذلك أخبارها** »[٣].

فهذه الأحاديث الشريفة تدل دلالة واضحة على وقوف المشركين والكافرين والمنافقين جميعاً بين يدي اللّه قبل أن يأمر بهم جميعاً إلى النار، فيحاسبهم حساباً عسيراً شديداً، ويناقشهم نقاشاً شديداً لا هوادة فيه ولا غفران ولا رحمة، لأن رحمة اللّه سبحانه حرّمها جلَّ جلاله كما حرّم جنته على الكافرين، وهؤلاء هم الذين قال اللّه فيهم يحاسبون حساباً عسيراً بعد أن يقرؤوا كتبهم ويجدوا فيها جميع أعمالهم مسطورة.

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا *

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١): رواه أبو يعلى بإسناد حسن.
(٢) رواه أحمد (٥ / ٣) والطبراني والحاكم في كنز العمال (٣٨٩٩٧).
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٩٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي والحاكم وأحمد.

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۞ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ١٣]

ومعنى هذا أنّ المشركين والكافرين سوف يحاسبون حساباً عسيراً شديداً، والمؤمنين يحاسبون حساباً يسيراً، يتجاوز اللّه سبحانه عنهم، أما من يناقشه اللّه سبحانه فقد هلك وعُذِّب.

ـ عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»(١).

. . . وعندما يختم اللّه سبحانه على أفواههم بعد أن رفضوا الشهود جميعاً، يصرخون في أعضائهم بعد أن شهدت عليهم وعلى أعمالهم، أنهم كانوا يناضلون من أجل أن يمتعوا أعضاءهم فكيف تشهد عليهم بعد أن متعوها بالمحارم في الدنيا؟ . . والكافر والمنافق ينكر نكراناً شديداً، ذلك أنه يعلم أن ما ينتظره إذا وافق على الشهود نار خالداً فيها أبداً، لذلك يجادل عسى أن ينفعه كذبه أو خداعه أو أيمانه أو نكرانه لنفاقه وكفره. وهو لا يعلم أن اللّه سبحانه لا تخفى عليه خافية منهم جميعاً، وإنّما ختم على أفواههم وشهدت أعضاؤهم، وذلك لتمام العدل والحكم.

ثانياً: العدل الإلٰهي المطلق وإقامة الحجة على الكافرين والمنافقين:

إن اللّه سبحانه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين فلا يظلم أحداً من خلقه، ولقد وصف سبحانه نفسه في أكثرَ من آية كريمة أنه لا يظلم أحداً ولا يظلم عبيده ولا يظلم مثقال ذرة.

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة باب إثبات الحساب رقم (٢٨٧٦).

يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ويقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٢]

ويقول تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

ويقول سبحانه: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

[سورة ق، الآية: ٢٩]

من هذه الآيات الكريمة ندرك أن اللّٰه سبحانه غير ظلّام للعبيد، وجميع البشر خلق اللّٰه سبحانه وعبيده، يتساوى في ذلك كل الناس مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم ومنافقهم.. لذلك كان الحساب يوم القيامة للجميع دون استثناء.

فالكفر هو الجريمة الكبرى، ويسمى أصحابها الظالمين والمجرمين... ولكن هناك من الكفرة الفجرة من كان كفره أشدّ إيذاءً، أو من كان منهم أشد إثماً لارتكاب الفواحش والمعاصي، أو من كان منهم أشد عداوة للّٰه ورسوله والمسلمين، فلا بد من أن ينال هذا عذابه الأكبر من اللّٰه سبحانه إضافة لكفره وشركه ونفاقه، فالمنافقون كانوا أشد إيذاءً للمؤمنين، لذلك جعل اللّٰه سبحانه لهم الدرك الأسفل من النار، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

وإن أول حسابهم أن اللّٰه سبحانه يضع بين أيديهم كتب أعمالهم

ليروا ما فيها من شنيع أعمالهم وفظيع فواحشهم وسوء منكراتهم.

يقول تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ثالثاً: إن اللّه سبحانه يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم:

إن كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى محاسبة الكافرين وتقريعهم وتوبيخهم.. وما ذلك إلا ليزدادوا ألماً وحسرةً وندماً على ما فرَّطوا في جنب اللّه سبحانه، وحتى يدخلوا النار صاغرين بعد موقف الذل بين يدي اللّه سبحانه، وكذلك حتى تكون جميع مواقفهم في يوم القيامة ذلاً بذل ومهانة بمهانة، أليس هذا هو مقامَ المستكبرين على اللّه سبحانه؟

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٠]

ويخاطبهم اللّه سبحانه يوم القيامة بعد أن يعرضهم على النار قبل أن يدخلوها، فيسألهم في موقف العرض والحساب.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ثم يعرضهم اللّه سبحانه على النار عند حسابه لهم، ويقول

لهم: أليس هذا بالحق؟ وإن اللَّه حق وإن النار حق وإن الجنة حق وإن الحساب حق، وفي هذا كامل التوبيخ لهم وعذاب النفس ومرارة الندم والحسرة، حيث يقولون بحسرة تعتصر أفئدتهم عندما يسألهم ربهم: أليس ما ترون هو الحقَ؟

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٤]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه:

«يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون على هذا الاعتبار» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣٠٥).

ويقول القرطبي: **«واللَّه سبحانه يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة»** تذكرة القرطبي ص ٢٢٥.

رابعاً: حساب المشركين والكافرين على التكاليف الشرعية:

الكفار مكلفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها، أليسوا هم من عباد اللَّه الذين خلقهم وأوجب عليهم شرعه؟ فالشرع الإلٰهي أنزل للخلق كافة، فمنهم من آمن وعمل به ومنهم من لم يؤمن ولم يعمل به. . . فكفر الكافر شيء وعدم العمل بشريعة اللَّه شيء آخر ـ فهم مطالبون بالإيمان والعمل الصالح الذي هو شريعة اللَّه سبحانه، ومحاسبون عليها غير حسابهم على كفرهم.

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾.

[سورة فصلت، الآيتان: ٦ ، ٧]

فهذه الآية تبيِّن أن المشركين والكافرين مطالَبون بشرع اللَّه، ودليل ذلك ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ فإذا كانوا مشركين فكيف هم مطالبون بدفع الزكاة؟

وربما يكون أيضاً حسابهم على الصلاة والصيام والحج . . أليس اللَّه سبحانه هو الخالق الذي خلقهم جميعاً؟ أليس له عليهم حقوق وفروض وواجبات من واقع عبوديتهم للَّه، ما أقاموها وما فعلوها . . فيجزي اللَّه من أقامها وفعلها ويعاقب من تركها ولم يؤدها . . إنه مطلق الحق ومطلق العدل . . وكذلك باقي أوامر اللَّه سبحانه، فاللَّه سبحانه أمر النساء بالحجاب وارتداء ما يستر عوراتهن، ومع ذلك فإن رسول اللَّه ﷺ توعد النساء وإن كن مؤمناتٍ بأن المرأة الكاسية العارية لا تشم رائحة الجنة ولو كان من بعد كذا وكذا .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ». صحيح مسلم رقم الحديث ٢١٢٨.

فعوقبت المرأة وإن كانت مؤمنة باللَّه سبحانه ورسوله على تركها أمراً من أوامر اللَّه سبحانه . . وكذلك فإن الكافرين مكلفون بالأعمال التي أمر اللَّه سبحانه بها ومعاقبون على تركها .

خامساً: يحاسب الكافرون ويهبطون في دركات النار بقدر كفرهم وأعمالهم:

الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم، فمنهم العتلّ الشديد الذي كان في الأرض أشد سعياً للفساد ومحاربة اللَّه سبحانه، لذا فإنهم يمكثون في النار على قدر هذه الذنوب. . . فالنار دركات (درجات) بعضها تحت بعض، كما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، فالمؤمنون يثابون على إيمانهم ويرفعون في الجنة إلى درجاتها بقدر ما قدّموا من أعمال، وكذلك الكافرون يعاقبون على كفرهم في النار ويهبطون في درجاتها بقدر ما فعلوا من ذنوب ومعاصٍ وفواحشَ ومنكرات.

يقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ .

[سورة مريم، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠]

إذاً هناك من كل شيعة من الكافرين فئة كانوا في الدنيا أشدّ على الرحمن عتياً أي عداوة واستكباراً وفعلاً للمنكرات والفواحش، وهذا يكون بعد الحساب فيأخذ اللَّه أشدّهم كفراً ويضعهم في الدركات السفلى التي هي أشد عذاباً وآلاماً، تماماً كما سيفعل اللَّه سبحانه مع المنافقين.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

يقول ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه اللَّه:

« عقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قَلَّت سيئاته، ومن كان له حسنات خففت عن العذاب، كما أن أبا طالب أخفُّ عذاباً من أبي لهب. . فكان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا من أجل دخول الجنة»[1] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤ / ٣٠٥).

في النصوص المتقدمة بيان واضح إلى أن الكفار يحاسبون ويسألون عن أعمالهم، ولكن يبقى السؤال؟

ماذا نقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٧٨]

وفي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

[سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥، ٣٦]

نقول وباللّه العون: إنه ليس بين ما تقدم من آيات ونصوص تعارض مع تلك الآيات التي تقول: إنه لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ولا يؤذن لهم فيتكلمون أو يعتذرون، فقد وَفَّق أهل العلم بين هذه النصوص.

الأول: إن الكفار لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لِمَ عملتم كذا وكذا [(١)]؟

الثاني: إنهم لا يسألون سؤال استفهام لأنه تعالى عالم بكل أحوالهم وأعمالهم، وإنما يسألون سؤال تقرير فيقال لهم: لِمَ فعلتم كذا؟ قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لأن اللّه سبحانه حفظها عليهم وكتبتها الملائكة [(٢)].

الثالث: إنهم يسألون يوم القيامة في موطن دون موطن، قال القرطبي: «**القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك**»، وقال السفّاريني: «**وقيل: يُسألون في موطن دون موطن**». رواه عِكْرِمة عن ابن عباس رضي اللّه عنهما. . . فللناس يوم القيامة حالات، والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات، ومن ثَـمَّ قال الإمام

---

(١) التذكرة للقرطبي ص ٢٨٧.

(٢) لوامع الأنوار البهية: (٢ / ١٧٤).

أحمد في أجوبته القرآنية: أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٢]

فإذا أذن لهم في الكلام تكلَّموا، واختصموا، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٣١]

ذلك عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٨]

الرابع: قال القرطبي: «**إن معنى قوله تعالى**: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٧٨]

سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين، أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيامة: ما دينك؟ وما كنت تصنع في الدنيا؟ حتى يتبيَّن لهم إخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً أو كان كافراً، لكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه منشرحي الصدر، ويكون المشركون سودَ الوجوه زرقاً مكروبين، فهم إذا طَلَبوا سوق المجرمين إلى النار، وتميزَهم في الموقف، كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم»[١].

(١) القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر.

الفصل الثاني

_الميزان ووزن أعمال العباد .

_هل الميزان ميزان حقيقي أم ميزان معنوي؟

_هل الميزان واحد لكل الخلائق أم لكل إنسان ميزان خاص به؟

_الميزان عند أهل السُّنَّة .

_هل الوزن يأتي على الأعمال أم على الأعمال مع صاحبها أم على كتب الأعمال؟

أولاً : وزن الأعمال .

ثانياً : وزن العامل نفسه أي (صاحب العمل) .

ثالثاً : وزن صحائف الأعمال .

_صفة الميزان وحجمه .

_هل توزن الأعمال لكل البشر مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم؟

الطبقة الأولى .

الطبقة الثانية .

الطبقة الثالثة .

_الوزن والميزان من المواطن الرهيبة يوم القيامة .

الميزان ووزن أعمال العباد

قبل أن نبدأ بالحديث عن الميزان، نذكر الآياتِ الكريمةَ التي تحدّث اللّه سبحانه فيها عن الميزان ووزن الأعمال لعباده يوم القيامة، وكذلك عن وعده الحق بوزن الأعمال بميزان يزن الذرة وما دونها وما أكبر منها، ولا يضيع عنده من الأعمال ما كان وزنه مثاقيل الذر، لدقة اللّه سبحانه في حكمه ووزنه وعدله، فاللّه سبحانه هو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، فكلنا سنكون عنده في محكمة العدل الإلٰهي فلا تظلم نفس شيئاً مهما صغر أو كبر.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ✻ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ✻ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩]

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ✻ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ✻ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ✻ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ✻ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ✻ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾.

[سورة القارعة، الآيات: ٦ ـ ١١]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥]

مما تقدم من الآيات الكريمة، ندرك تماماً أن الإنسان توزن أعماله بعد أن ينتهي اللّه سبحانه من حساب الخلائق جميعاً، وبعد أن يأخذ كل ذي حق حقه، ويدفعَ كل ظالم ما عليه من حساب للذين ظلمهم في الحياة الدنيا، وبعد أن يأخذ المظلوم كامل حقه حتى لو كانت كلمة قالها فلان من الناس في حقه في الدنيا، ولو كان درهماً أو أقلَّ من ذلك أخذه فلان من الناس بغير حق من فلان وماتا ولم يستسمح المدين من الدائن ولم يسامح الدائن المدين، مهما كان مبلغ المال الذي كان له عنده.

. . . وكل ذلك يسجّل في صحيفة الأعمال ما أخذ منه من سيئات وما أُعطيَ له من حسنات. . ويضاف هذا إمّا على حسناته فتزداد حسناته وإما على سيئاته فتزداد سيئاته. . . كل ذلك والمرء يومئذ بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة، رجاء أن تدفع عنه ولو سيئةً واحدة.

. . . كل هذا كائنٌ، ويومئذ تعصر الحسرة والندامة أفئدة الظالمين على ما ظلموا به عباد اللّه تعالى في الدنيا، لما يرون مِنْ عدل اللّه سبحانه ودقة حسابه ولو كان مقداره ذرة واحدة لا وزن لها ولا ترى في العين. . ولكنها عند اللّه ثقيلة ومرئية وواضحة وظاهرة لأن اللّه سبحانه أحصاها وهم نسوها.

يقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

ويقول تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

نسوه لصغره فظنوا أن هذا لا قيمة له، وإذا به أمامهم يوم القيامة عند الحساب، لذلك عندما يقرؤون كتبهم تصدمهم المفاجأة حيث يرون أن كتابهم قد سطر فيه مثاقيل الذر من الأعمال، فيعجبون من هذه الدقة، ويقولون والخوف من اللّه يعتصر قلوبهم ويجعل نفوسهم تغلي فزعاً وكأنها في مِرْجل يحرق نفوسهم وقلوبهم.

ويقول تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

لذلك يتوجه اللّه سبحانه لأولئك فيقول لهم:

يقول تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٤]

فإذا قرأ لا يستطيع أن ينكر من هذا شيئاً، فالعمل حاضر أمامه سواء أبالصورة أم بالصوت أم بالقلم...

.. لقد استطاع الإنسان على قلة علمه كما وصفه اللّه سبحانه في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

استطاع أن يصمّم جهازاً وآلة تصوّر الإنسان وتسجّل أعماله وكلامه وحركاتِه وحتى غمزَ عيونه، وما صوّر منذ مِائة عام يعرض اليوم بكل دقة، وما يحفظ من النسخ والنِّكتيف يمكن عرضه ولو بعد

ألف عام... فكيف بما عند اللّه سبحانه وتعالى؟.. وكيف يستطيع الإنسان أن ينكر من عمله شيئاً وهو حاضر أمامه بعلم اللّه وقدرته صوتاً وصورة وكتابة.. فأين الهروب، ومن أين الخروج، وكيف يستطيع أن يتنصل وينكر عمله وهو أمام اللّه الخالق القادر العليم؟

... قلنا: فإذا تم الحساب وسطر كل ذلك في صحيفة الحسنات، زيادة في الحسنات أو زيادة في السيئات بعد أخذ كل ذي حق حقه توزن تلك الصحائف.. فآخذ باليمين وآخذ بالشمال وآخذ من وراء ظهره، جعلنا اللّه سبحانه من أهل اليمين.

تنبيه:

لقد اختلف العلماء والمفسرون في حقيقة الميزان ووزن الأعمال فتعددت الآراء وكثرت التفاسير، وكثير أدلى بدلوه في هذا الباب.

.. وللمعرفة والبيان وإيضاح الأمور نستعرض بعض آراء العلماء حول الميزان ووزن الأعمال لنقف على حقيقة الأمر في النهاية ونرى الرأي الراجح في هذا الخصوص.

هل الميزان
ميزان حقيقي أم ميزان معنوي؟!

ـ لقد دلَّت جميع النصوص أن الميزان ميزان حقيقي لا يقدر قدره ولا حجمه إلا اللَّه سبحانه.

ـ عن سلمانَ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن**».

فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول اللَّه تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك[(١)].

.. فهو ميزان حقيقي دقيق لا يزيد في وزنه ولا ينقص ولو كان مقدار حبة من خردل أو كان مقدار ذرة من خير أو شر.

يقول تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

ويقول القرطبي في هذا الخصوص:

قال العلماء: إذا انقضى الحساب بدأ بعده وزن الأعمال، والوزن مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال: وقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

(١) رواه الحاكم.. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٦٥٦) رقم الحديث ١٩٤.

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْـلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

يحتمل أن يكون ثَمَّ موازين متعددة، توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوّع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

هل الميــزان واحد لكل الخـلائق أم لكل إنسان ميـزان خاص به؟

في هذا الأمر اختلف العلماء، واختلافهم ليس من واقع اجتهادهم وتحليلهم إنما من واقع تفسير الآية القرآنية الكريمة.

يقول تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

فمن هذه الآية الكريمة ذهب بعض العلماء إلى أن لكل إنسان ميزاناً توزن به أعماله أو لكل عمل ميزاناً... ولكن ذهب علماء آخرون إلى أنَّ الميزان واحد، يزن اللَّه سبحانه فيه أعمال العباد جميعاً.. وقالوا: إن الجمع في الآية الكريمة من سورة الأنبياء ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾، إنما هو باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص وليس باعتبار تعدد الموازين.

وقد رجح ابن حَجَر.. بعد حكايته للاختلاف أن الميزان واحد قال: « **ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا**»[١].

وقال السفَّاريني: قال الحسن البصري: لكل واحد من المكلفين ميزان.

---

(١) فتح الباري (٣ / ٥٣٧).

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ . وقال ابن عطية: « **وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان، وميزان للأخلاق، وميزان لأحوال النفوس وميزان وميزان . . .** »

وأردف ابن عطية القول: « **الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به، والميزان واحد، وقال بعضهم: إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم** »(١) .

وقيل وهو من أصح الأقوال: « **جمع الموازين** ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾ **مع أنها ميزان واحد لتعظيم شأن الميزان** » .

والأرجح هو ميزان واحد قائم بقدرة اللّٰه سبحانه ليزن جميع أعمال العباد . . واللّٰه أعلم .

---

(١) لوامع الأنوار البهية: (٢ / ١٨٦).

الميـزان عـنـد أهل السُّنَّـة

الميزان عند أهل السُّنَّة ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد ولم يخالف في ذلك إلا قلة قليلة جداً.

.. قال ابن حجر: « **قال أبو إسحاق الزجّاج: أجمع أهل السُّنَّة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال** ».

.. ولقد أنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسُّنَّة، ذلك أن اللَّه سبحانه بيّن أنه يضع الموازين لوزن الأعمال، ليرى جميع العباد أعمالهم ممثلة، وليكونوا أيضاً شاهدين على أنفسهم، لدقة عدل اللَّه سبحانه.

ولقد تحدّث ابن فورَك عن المعتزلة وإنكارهم للميزان فقال: « **أنكرت المعتزلة الميزان بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بوزنها** ». والمعنى أن الحسنات أو السيئات ليس لها وزن كما للحديد وزن أو للخشب وزن... ولقد حكموا على هذا من واقع تصوّرهم الدنيوي، ولكن للدنيا حال وللآخرة أحوال، واللَّه سبحانه لا يعجزه شيء في تمثيل الأعمال والحسنات والسيئات فيكون لها وزن.. فعلم ابن آدم قليل ومن القليل لا تكون الحقيقة.

يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

... ولقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل

والقضاء، وعزا الطبري هذا الرأي لكل من مجاهد والضحاك والأعمش، ولعل هؤلاء العلماء فسروا الميزان بالعدل لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ* أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٧ ـ ٩]

فالميزان في هذه الآية الكريمة العدل، أمر اللّه سبحانه عباده أن يتعاملوا به في الدنيا.. ولكن أحوال الآخرة غير هذا، فالميزان الذي ينصب يوم القيامة تواترت بذكره الأحاديث الشريفة، وأنه ميزان حقيقي وهو ظاهر القرآن الكريم(١) .

ولقد ذكر الميزان عند **الحسن البصري فقال: « له لسان وكِفتان»**(٢) .

ولقد ردّ **القرطبي** على الذين أنكروا الميزان وأوّلوا النصوص الواردة فيه وحملوها على غير محملها قائلاً:

« قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على معنى (الدين الحق) والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القُوى المحمودة.. وهذا كله فاسد لأنه ردّ لما جاء به الصادق المصدوق ﷺ، وقد ورد في الصحيحين: (فيعطى صحيفة حسناته)، وكذلك (فيخرج له بطاقة)، وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأن الموزون صحف الأعمال كما بيّنّا وباللّه التوفيق»(٣) .

---

(١) النهاية لابن كثير (٢ / ٣٤) بتصرف يسير.
(٢) فتح الباري (١٣ / ٥٣٨).
(٣) التذكرة (صفحة ٣١٤).

.. **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:**

«الميزان ما توزن به الأعمال وهو غير العدل كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٢]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٣]

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

... **فقد دلَّ ابن تيمية** على أن الميزان غير العدل الوارد في سورة الرحمن وأنه ميزان حقيقي توزن به الأعمال.

.. **وأما الإمام أحمد** فقد رد على من أنكر الميزان بشدة حيث قال: إن اللَّه تعالى ذكر الميزان في قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

وكذلك فإن النبي ﷺ ذكر الميزان يوم القيامة.

فمن ردّ على النبي ﷺ فقد ردّ على اللَّه عزَّ وجلَّ (١).

... وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم**».

وقال ﷺ عن ساقَيْ عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: «**لهما في الميزان أثقل من أحد**».

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٥٣٨).

. . . وعلى تعدد الآراء فإن الراجح وهو الحق بإذن اللَّه تعالى: أنه ميزان حسي له لسان وكفتان، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء.

واللَّه سبحانه لا يعجزه أن يزن الحسنات وأن يزن السيئات وأن يكون للحسنة وزن وللسيئة وزن.

هل الوزن يأتي على الأعمال أم على الأعمال مع أصحابها أم على كتب الأعمال؟؟

أيضاً لقد اختلف علماء السلف رضي اللَّه عنهم في (الموزون) يوم القيامة أهو الأعمال؟ أم هو الأعمال مع أصحابها؟ أم كتب الأعمال والأقوال؟ ولكل وجهة ودليل. . . إذاً هناك ثلاثة وجوه لكيفية الوزن.

أولاً: وزن الأعمال:

ـ روى البخاري. . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم**»[1].

وبهذا الحديث استدل البخاري على أن ذات الأقوال والكلمات توزن والأعمال كذلك.

وقال البخاري في صحيحه: باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إن أعمال بني آدم وأقوالهم توزن، وقال مجاهد: القسطاس العدل ـ بالرومية ـ ويقال: القسط مصدر المقسط وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر.

ـ عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان، والحمد للَّه تملأ الميزان، وسبحان اللَّه والحمد للَّه تملآن أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض ـ والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**(١).

. . . وقد دلَّت نصوص كثيرة على أن الأعمال تأتي يوم القيامة في صورة يعلمها اللَّه سبحانه. . ومن ذلك مجيء القرآن الكريم شافعاً لأصحابه يوم القيامة.

ـ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزّهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما»(٢).

غيايتان: أقل كثافة من الغمامة. فرقان: طائفتان.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»(٣).

شَرْق: نور.

ولقد رجح ابن حجر العسقلاني هذا القول وقال: **«الصحيح أن الأعمال هي التي توزن»**.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصابيح ورقم الحديث (٢١٢٠).
(٣) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصابيح ورقم الحديث ٢١٢١.

ثانياً: وزن العامل نفسه أي (صاحب العمل):

وهذا يكون بتقدير اللَّه سبحانه أن يوزن العامل نفسه مع عمله.

فقد دلَّت بعض النصوص والأحاديث الشريفة أن العباد يوزنون يوم القيامة، فيثقلون في الميزان بمقدار إيمانهم لا بضخامة أجسامهم وكثرة ما عليهم من لحم ودهن.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند اللَّه جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا** ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ »[(١)] .

ـ روى أحمد في مسنده، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنه كان دقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **مِمَّ تضحكون؟ قالوا: يا نبي اللَّه من دقة ساقيه**» ، قال رسول اللَّه ﷺ: « **والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**»[(٢)] .

الثالث: وزن صحائف الأعمال:

لقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الذي يوزن يوم القيامة هو كتب الأعمال والأقوال، واستدلوا على ذلك بحديث (البطاقة المشهور).

ـ قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن ليث بن سعد، حدثني عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلّيّ، واسمه عبد اللَّه بن يزيد، سمعت عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن اللَّه يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر اللَّه عليه تسعة وتسعين**

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف، فتح الباري (٨ / ٤٢٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده، قال ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي.

سجلاً، كل سجل مدَّ البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفّة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء مع بسم اللَّه الرحمن الرحيم[١]. وفي رواية: «**لا يثقل شيء مع اسم اللَّه تعالى**».

قال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لَهيعة، عن عمرو بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصي عليه فيتمايل به الميزان، قال: فيبعث إلى النار، قال: فإذا أدبر صاح صائح من عند الرحمن تبارك وتعالى يقول: لا تعجلوا، لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا اللَّه، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان**»[٢]

تنبيه: حديث البطاقة هذا... ناقشه كثير من العلماء، هَلْ هذا العفو من اللَّه سبحانه يشمل كل العصاة، كونهم يشهدون بـ لا إله إلا اللَّه سبحانه؟؟ أم هذا واقع فقط على حالة واحدة هي هذا الرجل فقط؟

والقول الصحيح: إن هذا فقط مع هذا الرجل الذي تحدث عنه رسول اللَّه ﷺ، أما لماذا وكيف ترجح بطاقة لا إله إلا اللَّه على ٩٩

(١) رواه أحمد (٢ / ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) في الإيمان، وابن ماجه (٤٣٠٠).
(٢) رواه أحمد (٢ / ٢٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٢): رواه أحمد.

سجلاً مليئة بالذنوب والمعاصي؟؟ وهي حالة واحدة تكون يوم القيامة؟. وللعلماء في هذا الحديث أقوال:

... فإن قيل كيف رجحت بطاقة شهادة هذا على تلك السجلات المليئة بالذنوب، مع أن جميع العصاة من المسلمين عندهم هذه الشهادة ولم تترجح على كتب معاصيهم وذنوبهم؟

فالجواب عن ذلك من وجوه:

أولاً: إن كلمة الشهادتين قد يكون بها الإسلام لهذا الرجل، وقد تكون حسنة من الحسنات التي أتى بها صاحبها بعد الدخول في الإسلام.

فمن كان كافراً فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه ودخل بها في الإسلام، فإن هذه الشهادة وهي شهادة الإسلام تهدم ما قبلها من الذنوب والمعاصي، كما جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال له حين جاء يبايعه على الإسلام: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله**» الحديث الشريف.

... وأما من كان مسلماً وتشهّد أو هلّل فإن ذلك يعتبر حسنة بل من أكبر الحسنات كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي اللَّه عنه أنه قال: قلت: يا رسول اللَّه: أوصني!

فقال ﷺ: «**إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها**». قال: قلت: يا رسول اللَّه، أمن الحسنات لا إله إلا اللَّه؟ قال: «**هي أفضل الحسنات**». والمعنى أن لا إله إلا اللَّه تمحو من السيئات على حساب إخلاص قائلها فيها، كما هو شأن سائر الحسنات بل هي أفضل الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

[سورة هود، الآية: ١١٤]

فصاحب البطاقة الوارد ذكره في الحديث السابق ـ فيه قولان:

الأول: يحتمل أنه كان كافراً ثم أسلم في آخر عمره وشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه وختم له بذلك فحينئذ يكون بها إسلامه، والإسلام يهدم ما قبله من الذنوب.

والقول الثاني: أنه كان مسلماً لكنه مسرف على نفسه بكثرة ذنوبه التي ملأت تسعة وتسعين سجلاً بالخطايا والذنوب، ولَكِنْ له حسنة كبيرة قد تقرَّب بها إلى اللَّه تعالى وهي: «**لا إلٰه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه**» المسطورة في البطاقة الصغيرة الحجم، لكن صاحبها قد قالها في آخر عمره، وقد نطق بهاتين الشهادتين منيباً إلى ربه، تائباً من ذنوبه، خائفاً من العقاب ومن سوء الحساب، مقبلاً بقلبه على اللَّه تعالى، خائفاً من ذنبه، راجياً رحمة ربه، هكذا كانت خاتمة عمره، فكانت المغفرة عاقبةَ أمره.

والحاصل أن خاتمة هذا الرجل كانت حسنة، وهي الشهادة الصادرة عن قلب منيب، وعن توبة إلى اللَّه تعالى من جميع الذنوب، وعن خوف من اللَّه تعالى أن يعاقبه على ذنوبه، وعن رجاء من اللَّه تعالى أن يرحمه فيغفر له، وكان له ذلك لأن العبرة بالخواتيم. اللَّهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، فيكون هذا الرجل هو نظيرَ الرجل الآخر الذي ورد أنه قتل تسعةً وتسعين نفساً، ثم ذهب إلى القوم العابدين ليعبد اللَّه تعالى، تائباً من ذنبه منيباً إلى اللَّه تعالى بقلبه، فجاءه الموت قبل أن ينتهي إلى القوم العابدين، وهناك يأمر اللَّه تعالى الملائكة أن يقيسوا بين الأرض التي خرج منها، والأرض التي أرادها، فإلى أيّهما أقرب؟ فإذا هو أقرب إلى الأرض التي أرادها بشبر، فغفر اللَّه تعالى له وألحقه بالتائبين العابدين.

ورد في الصحيحين عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه أن النبيﷺ قال: « **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على راهب** ـ أي عابد غير عالم ـ **فأتاه فقال له إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلّ على رجل عالم، فقال له: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون اللَّه، فاعبد اللَّه معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت.** » إلى تمام الحديث، كما تقدم في بحث لقاء اللَّه تعالى.

فصاحب البطاقة الذي نحن في بحثه، وشمول المغفرة له، هو من جهة حسن العاقبة نظير هذا الرجل الذي قتل مائة نفس الذي قالت فيه ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، ولكن قالت فيه ملائكة الرحمة: إنه جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى اللَّه تعالى.

القول الثالث: قال بعض العلماء: إن صاحب البطاقة أراد اللَّه الغفور الرحيم أن يكرمه إكراماً خاصًّا، ويعلن ذلك على رؤوس الخلائق، فغفر له جميع ذنوبه ومحاها عنه بسبب تلك الشهادة التي تقرَّب بها إلى اللَّه سبحانه.

فهذا من باب الإكرام الإلٰهي الخاصّ به، كما يشير إلى ذلك قولهﷺ في صدر الحديث: « **إن اللَّه تعالى سيخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق** ».

هذا وإن اللَّه تعالى الغفور الرحيم يغفر لمن يشاء من المذنبين المرتكبين الذين لم يتوبوا، فضلاً منه وكرماً، كما هو الاعتقاد عند

أهل السُّنَّة والجماعة، ويعذّب من يشاء من العصاة المرتكبين، فالأمر عائد إليه سبحانه وتعالى.[١]

... والأرجح في القول: أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال بما تحمل من حسنات وسيئات.

صفة الميزان وحجمه

لقد ذكر الترمذي الحكيم في نوادر الأصول:

«لقد جاءت كفة الحسنات من نور والأخرى من ظلام والكفة النيرة للحسنات، والكفة المظلمة للسيئات، وجاء في الخبر: أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي اللَّه تعالى، كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار»[٢].

وروي عن سلمان الفارسي رضي اللَّه عنه أنه قال: **«توضع الموازين يوم القيامة، فلو وضعت فيهنّ السماوات والأرض لوسعتهنّ فتقول الملائكة: يا ربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة عند ذلك: ربنا ما عبدناك حق عبادتك»**. وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: **«توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان»**[٣].

ـ أثقل ما يوضع في الميزان من الأعمال:

وقال أحمد: عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مالك، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن

(١) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها للشيخ عبد اللَّه سراج الدين.
(٢) التذكرة للقرطبي صفحة ١٠.
(٣) التذكرة للقرطبي صفحة ١٠.

النبي ﷺ: **«أثقل شيء يوضع في الميزان خلق الإنسان»**.

وقد وردت الأحاديث بوزن الأعمال أنفسها كما في صحيح مسلم، من طريق أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري، قال رسول اللّه ﷺ:

«الطهور شطر الإيمان، والحمد للّه تملأ الميزان، وسبحان اللّه، والحمد للّه تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهانٌ، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها»(١).

فقوله: **«الحمد للّه تملأ الميزان»** فيه دلالة على أن العمل نفسه وإن كان عَرَضاً قد قام بالفاعل، يحيله اللّه يوم القيامة فيجعله ذاتاً، ويوضع في الميزان.

عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: **أثقل شيء يوضع في الميزان خلق حسن»**(٢).

[رواه أحمد عن سفيان بن عيينة]

عن أبي الدرداء: أن رسول اللّه ﷺ قال: **«ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن»**(٣)، وأخرجه أبو داود من حديث شعبة، به، والترمذي من حديث مطرف عن أبي سلام، عن مولى رسول اللّه ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: **«بخٍ بخٍ لخمس، ما أثقلهن في الميزان: لا إلٰه إلا اللّه، واللّه أكبر، وسبحان اللّه، والحمد للّه، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده»**، وقال: **«بخ بخ لخمسٍ: من لقي اللّه مستيقناً بهن دخل**

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣) في الطهارة، باب: فضل الوضوء.

(٢) ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٠٠٢).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٤٦ و ٤٤٨)، وأبو داود (٤٧٩) في الأدب، باب: في حسن الخلق، والترمذي (٢٠٠٣) في البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٠).

الجنة: يؤمن بالله، واليوم الآخر، وبالجنة والنار، وبالبعث بعد الموت، والحساب»[١] . انفرد به أحمد.

وكما ثبت في الحديث الآخر: « **تأتي البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»**[٢] .

والمراد من ذلك أن ثواب تلاوتهما، يصير يوم القيامة كذلك.

تنبيه: وهكذا نجد أن ما يثقل الميزان هو الخلق الحسن والذكر والتسبيح والقرآن الكريم وأخصه ذكراً: سورة البقرة وآل عمران، كما ورد في الحديث الشريف، وكذلك العلم الذي ينفع الناس فيوضع في ميزان العالم الذي كان يعلِّم الناس العلم والخير.

أخرج ابن المبارك في الزهد عن حماد بن أبي سليمان قال: يجيء رجل يوم القيامة فيرى عمله محضراً، فبينما هو كذلك إذا جاءه مثل السحاب حتى يقع في ميزانه فيقال له: هذا ما كنت تعلّم الناس من الخير فورِّث بعدك فجزيت فيه، وذكر ذلك في (الدر المنثور).

(١) رواه أحمد (٣ ٤٤٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ ٨٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم برقم (٨٠٤)

هل توزن الأعمال لكل البشر مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم؟؟

البشر في هذا الأمر ثلاث فئات أو طبقات غير الفئة المكرمة من اللَّه سبحانه وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ ذكر: «**أن اللَّه يعطيه يوم القيامة أن يدخل من أمته الجنة بغير حساب سبعين ألفاً، ومع كل ألف** ـ وفي رواية ـ **ومع كل واحد سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات رب العالمين**». ولما سئل عنهم قال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[١].

قال أبو حامد الغزالي: الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة لا إلٰه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسَعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

الطبقة الأولى:

متقون لا كبائر لهم، وهؤلاء توضع حسناتهم في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل اللَّه سبحانه

---

(١) رواه مسلم برقم ٢١٦ ـ ٢١٨.

لتلك الصغائر وزناً، ـ لأن اللَّه سبحانه كفَّرها عنهم ـ وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الخالي، فقد وعد رسول اللَّه ﷺ أن الصغائر تغفر إذا اجتنبت الكبائر كما روى البخاري في صحيحه: **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر »**.

لذلك لا يكون لها وزن يوم القيامة، أي الصغائر.

الطبقة الثانية:

مُخْلِطون حيث توضع حسناتهم في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار، إلا أن يغفر اللَّه سبحانه وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي. هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين اللَّه، وأما إن كانت عليه تَبِعات، وكانت له حسنات كثيرة، فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات، لكثرة ما عليه من التبعات، فيحمل عليه مِن أوزار مَن ظلمه ثم يعذّب على الجميع، هذا ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتي.

وقال أحمد بن حرب: يبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق، فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة فقراء، وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات.

وقال سفيان الثوري: **«إنك إن تلقى اللَّه عزَّ وجلَّ بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد »**.

قال المؤلف: هذا صحيح لأن اللَّه غني كريم، وابن آدم فقير مسكين، محتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه، حتى يثقل ميزانه فيكثر خيره وثوابه.

الطبقة الثالثة:

الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر اللَّه بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه.

وأما المتقون، فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته، فهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن في آيات الوزن، لأن اللَّه تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه بالخلود في الجنة ومن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وبقي الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فبيَّنهم النبي ﷺ حسب ما ذكرنا.

وإنما توزن أعمال المتقي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه من كل خير، فكذلك توزن أعمال المتقي تحسيناً لحاله وإشارة لخلوه من كل شر، وتزييناً لأمره على رؤوس الأشهاد. وأما المُخْلِط السيئ بالصالح فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة، على ما يأتي.

الوزن والميزان
من المواطن الرهيبة يوم القيامة

إن موطن وزن الأعمال من المواطن الرهيبة بالنسبة ليوم القيامة حيث ينسى فيه العبد أهله وأحبابه، وينشغل بنفسه..

فما رأيك بموقف ينتظر فيه العبد نتيجة الوزن التي تكون سبباً لسعادته سعادة خالدة، أو شقائه شقاء خالداً في نار جهنم، حقاً إنه لموطن رهيب ترعد له الفرائص ويحل بالجسد والنفس خوفٌ يقطع الأوصال ويخلع القلوب من أماكنها فتقف عند الحناجر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا القاسم بن الفضل، قال: قال الحسن: قالت عائشة: يا رسول اللّه، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في مواطنَ ثلاثةٍ فلا: الكتاب، والميزان، والصراط**»[(١)].

فأما قوله: «**الكتاب**» فيحتمل أن يكون المراد بذلك الصحف حين تطاير والناس بين آخذ بيمينه، وآخذ بشماله.

كما قال البيهقي: حدثنا أبو حسن علي بن محمد بن علي المقري، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، حدثنا محمد بن منهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن، أن عائشة بكت، فقال لها

(١) رواه أحمد (٦/ ١٠٠١).

رسول اللَّه ﷺ: ما يبكيك يا عائشة؟ قالت: ذكرت النار فبكيت: هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً؛ حيث يوضع الميزان؛ حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف؟ وعند الكتاب حين يقال: هاؤم اقرؤوا كتابيه، حيث تطاير الصحف؛ حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو في شماله، أو من وراء ظهره، وحيث يوضع الصراط على جسر جهنم**»[١].

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قلت: يا رسول اللَّه، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «**يا عائشة، أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، ثم يخرج عنق فينطوي عليهم، ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وكّلت بثلاثة؛ بمن ادعى مع اللَّه إلٰهاً آخر، وكّلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، وكّلت برجل جبار عنيد، قال: فينطوي عليهم، ويرمي بهم في غمرات النار ولجهنم جسر، أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب، وحسك، يأخذن من شاء اللَّه، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالرياح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: ربِّ سلّم، ربِّ سلّم، فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مسلّم، ومكوّر في النار على وجهه**».

[رواه الإمام أحمد (٦١١٠) مجمع الزوائد (٥٩١٠)]

ـ ولما كان الميزان من المواطن الرهيبة فإن رسول اللَّه ﷺ يحضر عند وزن الأعمال ليشفع لأمته.

وتقدَّم من رواية حرب بن ميمون، عن النضر بن أنس، عن أنس رضي اللَّه عنه، أنه قال: اشفع لي يا رسول اللَّه، قال: «**أنا**

(١) رواه البيهقي في البدور السافرة صفحة (٢٣١) والحاكم في المستدرك (٤٥٧٨) وقال: حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

فاعل» ، قال فأين أطلبك؟ قال: « **اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط»** ، قال: فإن لم ألقك؟ قال: « **فعند الحوض»** ، قال: فإن لم ألقك؟ قال: « **فعند الميزان، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة»**(١) . وفي التاج: الصراط ثم الميزان وأخيراً الحوض.

كذلك فقد روى أبو داود والترمذي عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**(٢) .

فإن اللَّه سبحانه يخصه بالشفاعة ويقبل منه الشفاعة لأمته، وهذا من واقع رحمة اللَّه سبحانه بأمة محمد ﷺ وواقع حب الحبيب المصطفى ﷺ .

ـ البشرى لمن بشّر بثقل ميزانه: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ .

ـ عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ ، قال: « **يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خفَّ ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»**(٣) .

وقال عبد اللَّه بن المبارك: حدثنا مالك بن مِغْوَل، عن عبيد اللَّه ابن العيزار قال: « **عند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى: ألا إن فلانَ بن فلان ثقلت موازينه، وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، ألا إن فلان بن فلان خفّت موازينه، وشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»**(٤) .

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة رقم الحديث ٢٤٣٣.

(٢) رواه الترمذي رقم الحديث (٣٤٣٥).

(٣) رواه البيهقي: (البدور السافرة) صفحة ٢٣٠، والديلمي في الفردوس: (٨٧٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧٤).

(٤) جزء من حديث ابن المبارك في زيادات الزهد (١١٠).

الرجل الذي تنقصه حسنة واحدة عند وزن أعماله لينجو من النار:

قال سعيد بن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود: قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ـ ثم قال: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾.

[سورة المؤمنون: الآيتان: ١٠٢، ١٠٣]

ثم قال: إن الميزان يخفُّ بمثقال حبة أو يرجح[١].

وقال القرطبي: من ثقلت حسناته على سيئاته ولو بصراية أو صؤابة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أثقل ولو بصراية أو بصؤابة دخل النار، إلا أن يعفو اللّه، وروى مثل هذا ابن مسعود رضي اللّه عنه. الصراية = الحنظلة إذا اصفرت.

قلت: يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

لكن ما الحكم فيمن ثقلت حسناته على سيئاته بحسنةٍ أو بحسنات؟ هل يدخل الجنة، ويرتفع في درجاتها بجميع حسناته، وتكون قد أحبطت السيئات التي قابلتها؟ أو يدخلها بما بقي له من الحسنات الراجحة على السيئات، وتكون السيئات قد أسقطت ما وازنها من الحسنات؟

ـ لقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره سورة عبس رقم الآية ٣٣ ـ ٣٧ هذا الحديث، وقال: الحديث عن عكرمة موقوفٌ:

---

(١) رواه ابن المبارك في زيادات الزهد (٤١١).

يُروى: أنه توزن أعمال العبد فتنقصه حسنة واحدة حتى يثقل ميزان حسناته، فيقول اللَّه تعالى له: يا عبدي، انظر في المحشر لعلك تجد من يعطيك حسنة. فيذهب ويأتي إلى أخيه فيقول: يا أخي أنت أخي وابن أمي وأبي، ولقد نقصت حسناتي حسنة واحدة حتى ترجح، أعطني حسنة أثقل بها حسناتي، فيقول له أخوه: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك، فيتركه ويمضي. ثم يأتي أمه فيقول: يا أمي أنت أمي وأشفق الناس عليَّ في الدنيا، ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لأنجوَ أعطيني حسنة واحدة، فتقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك، فتتركه وتمضي. فيأتي إلى أبيه فيقول: يا أبي أنت أبي ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لعلِّي أنجو، أعطني حسنة واحدة فيقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك. ثم يذهب إلى زوجته فيقول: يا زوجتي لقد أمضيت معك عمراً وشقيت من أجلك، ولقد نقصني حسنة واحدة لأثقل بها كفة حسناتي لعلِّي أنجو ألا تعطيني حسنة واحدة؟ فتقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك. ثم يذهب إلى ولده فيقول: يا ولدي أنت ولدي ولقد شقيت من أجلك لتسعد وتعبت لتستريح، ولقد نقصني حسنة واحدة لأثقل بها كفة حسناتي ألا تعطيني حسنة واحدة حتى أنجو؟ فيقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت، فلا أعطيك، فيتركه ويمضي.

ثم يرجع إلى ربه خائفاً وجلاً، حيث لم يأت بحسنة، وهؤلاء هم أهله وأقرب الناس صلة به لم يعطوه، فيقول: يا رب قد طلبت من أخي، وأمي، وأبي، وزوجتي، وولدي فلم يعطني أحد منهم حسنة واحدة.

فيقول اللَّه تعالى له: أنا أرحم بك منهم. خذوه يا ملائكتي إلى الجنة[١].

وقال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

[سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧]

(١) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره عند تفسيره لسورة عبس رقم الآية ٣٣ ـ ٣٧ وقال: الحديث عن عكرمة موقوفٌ.

الفصل الثالث

استلام الصحف (تطاير الصحف)

ـ مدخل .
ـ هل استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب؟؟
ـ أهل الأعراف .
ـ من هم أهل الأعراف .
ـ أهل الأعراف هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم .
ـ وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول عن أهل الأعراف .
ـ حشر الكفار إلى النار .
ـ ليس للكفار عبور على الصراط إنما يسحبون على وجوههم إلى النار .
ـ حشر الكفار إلى النار بعد فصل الحساب غير حشر الدنيا والحشر على أرض الدنيا .
ـ الندم الذي يعتصر نفوس الكافرين عندما يصبحون على أبواب جهنم ويقفون عليها .
ـ كل أمة كافرة ومشركة عند حشرهم إلى نار جهنم تتبع ما كانت تعبد وتؤله .

استلام الصحف
(تطاير الصحف)

مدخل:

.. إن في توقيت استلام الصحف أو تطايرها حتى يستلم كل امرئ صحيفته، إما بيمينه أو بشماله أو من وراء ظهره، بعضَ الإشكال في التفسير حول موضوع قراءة الصحيفة أو استلام الصحيفة.. ويبقى السؤال:

ـ هل الكتب التي نأخذها لنقرأها ونجد فيها أعمالنا هي نفسها الصحف التي يتم استلامها بعد الميزان؟

أم هذا كتاب كما في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾؟ وهذه صحيفة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

وعليه نقول:

.... الكتاب الأول: هو الكتاب الذي يخرجه اللَّه سبحانه لعبده يوم القيامة ليقرأ ما فيه من أعماله سواء أكانت حسنات أم سيئات، طاعاتٍ أم معاصيَ.. فيقرأ ويحاسب الإنسان نفسه قبل أن يحاسبه اللَّه رب العالمين، وذلك عند العرض على اللَّه قبل الحساب وقبل الوزن.

فالمرء عندما يخرج اللَّه سبحانه له كتابه ليقرأه فإنه يقرأه ويتحقق فيه بتُؤَدة ويقرأ كبائره، وصغائره، وصغائر صغائره، وهذا

يحتاج إلى تأنٍّ وقراءة وتمعّن ليقرأ كامل عمله الذي يمتد إلى سنوات عمره كلها.

يقول تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

فهؤلاء يصطرخون ويتعجّبون من هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة من أعمالهم إلا وقد سطرت فيه، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ألم يقل اللّه سبحانه في محكم كتابه:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾؟

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

فسيرى العبد مثقال الذرة مسطوراً في صحيفته، وأخص أولئك الذين أجرموا وكفروا في حياتهم الدنيا وأصحاب المعاصي والكبائر، أمّا المؤمن فإن اللّه سبحانه يغفر له صغائره طالما اجتنب الكبائر في الحياة الدنيا.

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣٢]

ويقول تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٢٢]

ولقد وعد اللَّه سبحانه أنه سيخرج لكل عبد كتابه ليقرأه فيحاسب نفسه قبل أن يحاسبه اللَّه سبحانه.. يقرأ حتى لا يقول: إن اللَّه سبحانه ظلمه أو إن الكتبة الحافظين ظلموه.

يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤]

كل هذا والعلم عند اللَّه سبحانه يكون في بداية العرض على اللَّه بعد أن يأذن اللَّه سبحانه بشفاعة سيدنا محمد ﷺ بالعرض عليه وحساب الخلائق.

.. وفي هذه الحال يعرف الإنسان كل ذنوبه ويتذكرها جميعاً بعد قراءة متأنية ومستمرة لكتاب أعماله.... بعد ذلك تتم عملية التصفية ورد الحقوق وأخذ الحقوق.. فيؤخذ من صحيفة فلان حسنات ويؤخذ من صحيفة فلان سيئات، كلٌّ حسب ما قدّم وأذنب وظلم عباد اللَّه سبحانه، فالحقوق يجب أن ترد إلى أصحابها.. فإذا ما تمت التصفية بعد العرض والحساب كما قدّمنا عن ذلك في الجزء السابع بشكل بيِّن وواضح ومفصل.. توزن الأعمال، فبعد التصفية تبقى في صحيفة العبد الحسنات والسيئات فتوضع الحسنات في كفة يقابلها السيئات في كفةٍ ويتم الوزن، فمن زادت حسناته على سيئاته ولو بحسنة واحدة أخذ صحيفته بيمينه، ومن تساوت حسناته مع سيئاته كان من أصحاب الأعراف الذين سنذكرهم في الفِقْرة التالية، ومن زادت سيئاته على حسناته ولو بسيئة واحدة كان من أصحاب النار يعذِّبه اللَّه سبحانه بقدر ذنوبه إلا أن يعفو اللَّه تعالى.. ثم يعطى صحيفة أعماله في شماله.

.. وأما الكفار كما تقدَّم فتوزن أعمالهم التي فيها شيء من الخير مع كفرهم، فلا يكون لها وزن وترتفع كفة السيئات التي يوضع بها كفرهم وجرائمهم لأن أعمالهم التي فيها شيء من الخير يوفونها في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

وبعد أن يتم الوزن تطير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ من وراء ظهره.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١٠]

ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٢٥ ـ ٢٧]

ولكن السؤال يبقى أن اللَّه سبحانه بيّن في سورة الانشقاق أن من يؤتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً..

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ١٢]

فالمعنى أن الإنسان يؤتى كتابه أولاً ثم يحاسب فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً . . فالآية تشير إلى استلام الكتب أولاً ثم الحساب .

هل استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب؟؟

ولنقرأ في تفسير المفسرين حول هذه الآيات ثم نبيِّن ما التبس حول استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب أم هناك استلامان الأول للكتاب الذي يقرأ فيه العبد أعماله، ثم بعد الوزن تطير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله . . أم هناك كتب . . وهناك صحف لما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ .

[سورة التكوير، الآية: ١٠]

لنقرأ في كتب المفسرين أولاً .

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: في تفسير الآيات من سورة الانشقاق ٧ ـ ١٢: إن اللَّه تعالى ذكر انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء وإلى من يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذ كتابه بشماله فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ أي فأمّا من أعطي كتاب أعماله بيمينه، وهذه علامة السعادة ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ أي فسوف يكون حسابه سهلاً هنياً، يجازى على حسناته ويتجاوز عن سيئاته، (وهذا هو العرض) كما جاء في الحديث الصحيح في المراد بالحساب اليسير (العرض) لما روي عن النبي ﷺ قال: « **من حوسب عُذِّب** » فقالت عائشة: أو ليس اللَّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ فقال ﷺ : « **إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عُذِّب** » .

[رواه البخاري ومسلم]

وفي الحديث أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **إن اللَّه يدني العبد يوم**

القيامة، حتى يضع كنفه عليه، فيقول له: فعلت كذا وكذا ـ ويعدِّد عليه ذنوبه ـ ثم يقول له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فهذا هو المراد من الحساب اليسير»(١).

.... **وفي تفسير ابن كثير** نفس البيان والتفصيل..

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾.

أي سهلاً بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإنه من حوسب هلك لا محالة.. وفي رواية عن عائشة قالت: **«من نوقش الحساب ـ أو من حوسب ـ عُذِّب ـ ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على اللّه تعالى وهو يراهم»**(٢).

وأما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾: أي وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾.

قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله، وقال قتادة: يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر الرجل ماذا يملي في صحيفته.

ـ عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضات، فأما عَرْضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعندها تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»(٣).

---

(١) تفسير الصابوني صفحة ١٦٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير ـ المختصر الجزء ٣ صفحة ٦١٩.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٤١٤) وابن ماجه (٤٢٧٧) والترمذي ٢٤٢٥ في صفة القيامة.

فمن حديث رسول اللّه ﷺ يتبيَّن لنا أن هنالك ثلاثَ عرضات، الأولى والثانية جدال ومعاذير وذلك لا يكون إلا عند الحساب والعرض على اللّه سبحانه، فإذا ما انتهى الجدال والمعاذير تطايرت الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله..

خلاصة القول واللّه أعلم: إن الكتاب الذي يخرجه اللّه سبحانه للعباد ليقرؤوا أعمالهم عند العرض عليه غير تطاير الصحف بعد الحساب وليس في هذا جزم، ولكن ربما يكون هو الأصح وأعود فأقول: واللّه أعلم.

أهل الأعراف

من هم أهل الأعراف؟؟

أهل الأعراف هم الذين تساوت سيئاتهم مع حسناتهم، وقد ذكرهم اللّه سبحانه في كتابه الكريم.

يقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ * ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٤٤ ـ ٥١]

فاللّه سبحانه يقول: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾.

فاللّه سبحانه يخبر عن السور وهو الحجاب الحاجز بين أهل

الجنة وأهل النار، وعن الذين هم على مشارفه وأعرافه، فيقول سبحانه: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الجنة والنار حجاب وهو السور الذي قال تعالى فيه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

قال ابن عباس وغيره: أعراف السور هي شُرَفه: أي أعاليه المشرفة.

قال العلامة القرطبي في تفسيره: والأعراف في اللغة المكان المشرف جمع عُرْف، قال يحيى بن آدم: سألت الكسائي عن واحد الأعراف فسكت، فقلت له: حدّثنا إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال:

الأعراف سور له عرف كعرف الديك فقال: نعم واللَّهِ واحده، يعني وجماعته أعراف.

وقد تكلّم العلماء في بيان أصحاب الأعراف على عشرة أقوال بل أكثر. والذي ذهب إليه جمهور كثير من الصحابة والتابعين هو أنهم طائفة من الموحِّدين قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وذلك بأن استوت حسناتهم وسيئاتهم.

واستدلوا على ذلك بما رواه البيهقي عن حذيفة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي**»(١).

ولقد تعددت الآراء في تعيين أصحاب الأعراف وأرجح الأقوال

---

(١) رواه البيهقي ـ وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ نحوه كما جاء في الدر المنثور وغيره.

ما قاله القرطبي: «**إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيقومون مدة على الأعراف ثم يؤمر بهم إلى الجنة**».

قال العلامة الآلوسي: وجمع بعضهم ـ أي بعض العلماء المحققين ـ بأنه يجوز أن يجلس الجميع ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف ـ هناك مع تفاوت مراتبهم.

قال عبد اللَّه: وهذا القول بالجمع مبني على أن الأعراف جمع عُرف، فهناك عدة شرفات مرتفعة، وأماكن عالية مطّلعة وعلى كل واحدة منها قوم من الذين ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف، ولكنهم على مراتبَ متعددةٍ متفاوتة، ولكل مرتبة أحكامها وخصائصها، واللَّه تعالى أعلم بحقيقة ما هنالك.

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

أي يعرفون كلاً من أصحاب الجنة وأصحاب النار بعلامتهم التي خصّهم اللَّه تعالى بها وميّزهم عن غيرهم بها، وهي بياض الوجوه وحسنها ونضارتها في أهل الجنة، وسواد الوجوه وقبحها وظلمتها في أهل النار، إلى غير ذلك من معرفة حيّز هؤلاء وحيّز هؤلاء، وقوّاد هؤلاء إلى الجنة وقوّاد هؤلاء إلى النار.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي نادى رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم وعرفوهم: أن سلامٌ عليكم ـ على طريق الدعاء والتحية لهم أو على طريق الإخبار بنجاتهم من العقوبات والمكاره.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ وقد ذكر كثير من علماء التفسير أن جملة لم يدخلوها حالٌ من فاعل نادوا أو من مفعوله. فتدبّر الآية تَعْقلِ المعنى.

وقال بعض العلماء المحققين: (الأعراف) سور بين الجنة والنار

باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي الجنة منه، وظاهره من قبله العذاب وهو ما يلي النار، منه يكون عليه من تساوت كفّتا ميزانه فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة، وما لهم رجحان بما يدخلهم أحد الدارين. فإذا دُعوا إلى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف فيسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة. وقد كانوا ينظرون إلى النار بما لهم من السيئات، وينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات ويرون رحمة اللَّه فيطمعون، أي في كرم اللَّه تعالى ورحمته.

وقد تلا الحسن البصري رضي اللَّه عنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

فقال: واللَّه ما جعل اللَّه تعالى ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم سبحانه.

وروى الإمام أحمد في الزهد عن قتادة أن سالماً مولى أبي حذيفة رضي اللَّه عنه كان يقول: وددت أني بمنزلة أصحاب الأعراف، أي من الذين لم تغلب سيئاتُهم حسناتِهم بل استوت حسناتهم وسيئاتهم حتى تشمله مغفرة اللَّه تعالى ورحمته، ويحقق اللَّه تعالى له ما يطمع فيه وهو دخول الجنة.

أهل الأعراف هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم:

.. فكما أن من عباد اللَّه من تتجاوز حسناتهم سيئاتهم وعلى درجات كبيرة وكثيرة جداً، كذلك فإن من عباد اللَّه سبحانه من تتجاوز سيئاتهم حسناتهم وهم على درجات كبيرة وكثيرة جداً. كذلك وإن من مليارات البشر المجتمعة يوم القيامة عند اللَّه سبحانه، أعداداً كثيرة تتساوى حسناتهم مع سيئاتهم، ولذلك حتى نتجنب مثل هذا الموقف

العصيب والأليم بذات الوقت فنحن بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة زيادة لنا حتى لا نكون من أهل الأعراف، ونقف محبوسين على القنطرة بين الجنة والنار، وقد رأينا كيف أن أصحاب الجنة دخلوها وأخذوا أماكنهم ونالوا حفاوة الاستقبال والتكريم من اللَّه سبحانه ومن الملائكة، ونحن بحالة حبس لا نعلم متى يعفو اللَّه سبحانه عنا ويأمر بنا إلى الجنة.

ـ **وفي تفسير الصابوني** (صفوة التفاسير) يقول عن أهل الأعراف كما جاء في القرآن الكريم:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بين الفريقين حجاب وهو السور الذي ذكره بقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ يمنع وصول أهل النار للجنة، وعلى هذا السور رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم أي بعلامتهم التي ميّزهم اللَّه بها، قال قتادة: يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي ونادى أصحاب الأعراف أهل الجنة حين رأوهم أن سلامٌ عليكم أي قالوا لهم: سلام عليكم، قال تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال المفسرون: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فليسوا من أهل الجنة ولا من أهل النار، يحبسون هناك على السور حتى يقضي اللَّه فيهم، فإذا نظروا إلى أهل الجنة سلّموا عليهم، وإذا نظروا إلى أهل النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فسألوا اللَّه ألّا يجعلهم معهم، قال أبو حيان: وفي التعبير بقوله: ﴿صُرِفَتْ﴾ دليل على أن أكثر أحوالهم النظر إلى أهل الجنة وأن نظرهم إلى أصحاب النار ليس من قبلهم بل هم محمولون عليه، والمعنى

أنهم إذا حُملوا على صرف أبصارهم ورأوا ما عليه أهل النار من العذاب استغاثوا بربهم من أن يجعلهم معهم.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي من أهل النار وهم رؤساء الكفرة ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي أيّ شيء نفعكم جمعكم للمال واستكباركم عن الإيمان؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ أي أهؤلاء المؤمنون الضعفاء الذين كنتم في الدنيا تسخرون منهم وتحلفون أن اللَّه لا يدخلهم الجنة، والاستفهام استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة، يوبخونهم بذلك ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي يقولون للمؤمنين: ادخلوا الجنة رغم أنوف الكافرين، **قال الآلوسي**: هذا من كلام أصحاب الأعراف يقولون لأهل الجنة المشار إليهم: دوموا في الجنة غير خائفين ولا محزونين على أكمل سرور وأتم كرامة.

وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول عن أهل الأعراف:

كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٤٦، ٤٧]

. . . . لما ذكر تعالى مخاطبة أهل النار، نبَّه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، **قال ابن جرير**: وهو السور الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ وهو الأعراف الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ هو السور

وهو الأعراف، **وقال مجاهد**: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، سور له باب. **قال ابن جرير**: والأعراف جمع عُرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه. **وعن ابن عباس**: هو سور بين الجنة والنار، **وقال السدي**: إنما سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنىً واحدٍ، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم(١). وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ ابن مردويه عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: سئل رسول اللَّه ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: «**أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون**». وقال ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف، فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار. قال: فوقفوا هناك على السور حتى يقضي اللَّه فيهم.

وعن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول اللَّه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآيتين، ثم قال:

الميزان يخفّ بمثقال حبة، ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم، وإذا صرفت أبصارهم إلى يسارهم ونظروا أهل النار ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ

---

(١) قال بذلك حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف.

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تعوَّذوا باللَّه من منازلهم، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب اللَّه نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول اللَّه تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فكان الطمع دخولاً، قال: فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشراً، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته[(١)]، وسئل رسول اللَّه ﷺ عن أصحاب الأعراف؟ قال: «**هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلوا الجنة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم**»[(٢)].

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولاً، وأما قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾، **قال ابن عباس**: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه، وقال العوفي عن ابن عباس: أنزلهم اللَّه بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار، ليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوَّذوا باللَّه أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيّون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء اللَّه تعالى، **وقال الحسن**: إنه تلا هذه الآية: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قال: واللَّه ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم، **وقال قتادة**: قد أنبأكم اللَّه بمكانهم من الطمع، وقوله: ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن مسعود موقوفاً.

(٢) قال ابن كثير: هذا مرسل حسن.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. **قال الضحاك عن ابن عباس**: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. **وقال السدي**: وإذا مروا بهم يعني أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. **وقال عكرمة**: تحدد وجوههم للنار، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، **وقال ابن أسلم** في قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ۞ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾.

يقول اللَّه تعالى إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم، يعرفونهم في النار بسيماهم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾؛ أي كثرتكم، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾، أي لا تنفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب اللَّه بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ **قال ابن عباس**: يعني أصحاب الأعراف ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾، **وقال ابن جرير عن ابن عباس**: ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾ الآية، قال: فلما قالوا لهم الذي قضى اللَّه أن يقولوا يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار، قال اللَّه لأهل التكبر والأموال: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾.

. . . اللَّهم اجعلنا من أهل جناتك الذين تتجاوز عن سيئاتهم في مقعد الصدق الأمين، ولا تجعلنا من أهل النار ولا من أهل الأعراف بل تزيد لنا في حسناتنا حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

حشر الكفار إلى النار

حشر الكفار إلى النار:

إذا ما انتهى فصل القضاء والحساب ووزنت أعمال العباد وتطايرت الصحف، فآخذ باليمين وآخذ بالشمال وآخذ وراء ظهره، أمر اللّه سبحانه بالصراط فيضرب على ظهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون والعصاة من أمة محمد ﷺ والمنافقون من أمة محمد ﷺ.

... فالصراط هو (جسر) يضرب على ظهراني جهنم لا يعلم طوله إلا اللّه سبحانه وتعالى.. وقد وصفه رسول اللّه ﷺ بأنه (دحض مزلّة) عليه خطاطيف وكلاليب وحسك.

ليس للكفار عبور على الصراط إنما يسحبون على وجوههم إلى النار:

.... أما أهل الشرك والكفر فلا عبور لهم على الصراط، إذْ يحشرون وما يَعْبدون إلى جهنم ويُلقون فيها أمماً أمماً هم وما كانوا يعبدون.

يقول تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ * فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ١١]

فهم يلقون في جهنم كما جاء في الآية الكريمة إلقاءً فيه المهانة والذل، فليس في الإلقاء احترام بل مهانة وذل.. والإلقاء لا يكون فردياً بل يكون بصورة جماعية مهينة.. يلقون أمماً أمماً.

يقول تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٣٨، ٣٩]

وفي هذا الموطن بالذات، يأمر اللّٰه سبحانه بهم فيسحبون إلى النار على وجوههم وهم ينهرون نهراً غليظاً.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣٤]

.. فإذا سحبوا فإنهم يساقون إلى جهنم كما يسوق الراعي البهائم من البقر والغنم، وهو موقف وموطن مليء بالذل والمهانة.

يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٢]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١٩]

ومعنى يوزعون أي تجمعهم الزبانية من الملائكة وهم ملائكة العذاب الذين وصفهم اللّٰه سبحانه بالغلاظ الشداد أي غلاظ القلوب شداد

الأجسام الذين لا يعصون اللّه فيما أمرهم . . ويكفي مهانة موقف المشركين والكافرين ما يلقونه من مهانة وصَغار وذل على أيدي ملائكة العذاب .

يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ .

[سورة التحريم، الآية: ٦]

حشر الكفار إلى النار بعد فصل الحساب غير حشر الدنيا والحشر على أرض المحشر .

وهذا الحشر بعد انقضاء فصل الحساب غير الحشر على أرض الدنيا وغير الحشر على أرض المحشر . . . . وهذا الحشر ، الحشر إلى النار لهو من أشد الحشر صعوبة ومذلة ومهانة بما يلقونه عند سحبهم من الإهانة والصغار ولما ينتظرهم من عذاب في نار جهنم .

. . . . وإن من أقسى المواقف وأشدّها إيلاماً وعذاباً أن اللّه سبحانه يأمر بهم فيحشرون إلى جهنم عمياً وبكماً وصماً .

فاللّه سبحانه يفعل ما يشاء وقد قدّمنا في الأجزاء السابقة أن يوم القيامة مواقف ومواطن كثيرة . . فمرة يحشرهم اللّه عمياً وبكماً وصماً ، ومرة عمياً ومرة عمياً وصماً . فهم واقعون تحت مشيئة اللّه سبحانه .

يقول تعالى : ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

وربما يكون هذا الحشر على هذه الهيئة من العمى والبكم والصم وهم في طريقهم إلى جهنم ، ويعيد اللّه إليهم أبصارهم

وسمعهم وألسنتهم عندما يلقون في جهنم، يقول تعالى: ﴿ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٧]

فاللَّه سبحانه، إذا ألقوا في جهنم يعيد إليهم حواسهم كاملة ليزداد عذابهم وإحساسهم بنار جهنم.

. . . . ولقد سئل رسول اللَّه ﷺ عن الآية الكريمة: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾.

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: « **أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة** »؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا(١).

للنار تغيظ وزفير إذا رأت الكافرين وهم يحشرون إليها:

والكافرون والمشركون مغلوبون على أمرهم لا يستطيعون دفع ذلك عن أنفسهم.

يقول تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٢]

حتى النار الموكلة بهم لها عينان تبصران بها وتميز الكافرين والمشركين ولو من مكان بعيد ـ فما أعظم قدرة اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٥]

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الحشر، فتح الباري (١١/ ٣٧٧)، ورواه مسلم (٤/ ٢١٦١) ورقمه ٢٨٠٦ واللفظ لمسلم

الندم الذي يعتصر نفوس الكافرين عندما يصبحون على أبواب جهنم ويقفون عليها:

إن من أشد المواقف هولاً على الكافرين بعد أن يسحبوا على وجوههم إلى النار بأمر اللَّه تعالى، عندما يقفون عند أبوابها قبل أن يرموا فيها بعنف ويلقوا فيها بمهانة.. ولقد صوَّر القرآن الكريم مثل هذه المشاهد تصويراً رائعاً، وكأنك في مشهد تشعر بمشاهدته أمامك.

يقول تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٤٥]

ويقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٤]

إنها مشاهد تصويرية وكأنها حاضرة أمامك، كيف يقف هؤلاء المجرمون والكافرون والمشركون على أطراف وأبواب جهنم قبل أن

يلقوا فيها؟ وتصوّر آلامهم وعذابهم النفسي وحالهم وهم قد علموا أنهم مواقعوها لا محالة وأنها دار الخلد لهم، فيا ويلهم ممّا ينتظرهم.

يقول تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٣]

وإن من أعظم المشاهد التي صوَّرها القرآن الكريم لهؤلاء الفجرة الكفرة كيف يُحضرون إلى جهنم، ويوقفهم اللّٰه سبحانه قبل أن يلقيهم فيها خالدين فيها أبداً، موقف الذل والمهانة والصغار بما استكبروا في الأرض عن عبادة اللّٰه وطاعته، وبما عتوا عن أمره وظلموا عباد اللّٰه وفسقوا وعصوا وكانوا يعتدون.. فاقرأ هذا المشهد الذي صوَّره عالِم الغيب والشهادة وهو أعلم بما سيكون يوم القيامة، وكيف يفعل بهؤلاء العتاولة الظلمة الذين أصروا على حرب اللّٰه سبحانه وكتابه القرآن الكريم والمسلمين والمؤمنين باللّٰه رباً وبمحمد ﷺ نبياً.

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠]

فتصوَّر لهيب النار (نار جهنم) وهم على أبوابها كيف تلفح وجوههم وتذيب شحومهم وهم جاثون على ركبهم ليسوا واقفين.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ والنار تتغيظ وتزفر وتشهق وتنتظر أمر ربها لتسحبهم وتلقيهم في قعرها وبين ظُللِها.. وهذا موقف الاستكبار على اللّٰه سبحانه وليس بعد هذا الموقف من الذل إلا ذلهم ومهانتهم في نار جهنم، ولقد حشرهم اللّٰه سبحانه في مواطن أخرى

من قبل كالذر استصغاراً لهم وكانت الخلائق تطؤهم بأقدامها لذلهم وهوانهم.

وتصوَّر أن هؤلاء المجرمين الكافرين قد حشروا حول جهنم مع الشياطين، فهم والشياطين سواء في الموقف حول جهنم وفي جهنم، وتصوَّر عذاب الشياطين الذين وصفهم اللَّه سبحانه أنهم كانوا للرحمن أعداء.

إنه موقف رهيب وأنت تنظر إلى أعداد هائلة لا يعلم حقيقتها وعددها إلا اللَّه، وقد تبلغ عشرات المليارات ـ تقف موقفاً واحداً أرتالاً، جاثية على ركبها تنظر بقلوب بلغت حناجرهم وبنفوس امتلأت رعباً وذلاً، أظلهم الخزي وتحلَّقت حولهم ملائكة العذاب والنار لها عينان تبصران تنظر إليهم وقد اشتد غيظها وتنتظر الأمر لتلقفهم وتأخذهم إلى دركها الأسفل.

كل أمة كافرة ومشركة عند حشرهم إلى نار جهنم تتبع ما كانت تعبد وتؤله:

عند الحشر إلى النار يطلب من كل أمة من هذه الأمم الذليلة أن تتبع ما كانت تعبد في الدنيا من شمس وقمر ونجوم وتماثيل وأصنام وكل هذا يتصوَّر لهم ثم يتبعونها.. وكذلك الذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه، وعشرات من الحالات، لأن الكفار صنعوا لأنفسهم آلهة كثيرة في الدنيا وأبوا أن يعبدوا الواحد القهار.

وقد ضرب اللَّه سبحانه لنا مثالاً في ذلك عن فرعون وكيف يرد النار هو ومن تبعه من الضالين.

يقول تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾.

[سورة هود، الآية: ٩٨]

وقد أرسل اللَّه سبحانه لهم موسى عليه السلام ليهديهم صراط اللَّه المستقيم، ولكنهم أبوا وظلوا على تأليههم وعبادتهم لفرعون، وقد وصفهم اللَّه في كتابه بأنهم قوم فاسقون.

يقول تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٥٤]

فاللَّه سبحانه لا يظلم أحداً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ، قال: «**إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير اللَّه سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر، وغبّر**[1] **أهل الكتاب. فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزيراً ابن اللَّه، فيقال: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.**

ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب، يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في

---

(١) ومعنى غبّر: بقايا.

الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، لا نشرك باللَّه شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل اللَّه ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحوَّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللَّهم سلِّم، سلِّم»، قيل: يا رسول اللَّه، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرّكاب، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»[١].

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال في إجابته للصحابة عندما سألوه عن رؤيتهم للَّه: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع اللَّه الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللَّه في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم، قال رسول اللَّه ﷺ: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ:

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (١/ ١٦٧) ورقمه (١٨٣).

اللَّهم سلِّم، سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ » قالوا: بلى يا رسول اللَّه، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل، ثم ينجو** »[١].

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة في وصف المرور على الصراط، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وترسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق** »، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمرّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرّ الريح، ثمّ كمرّ الطير وشدّ الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ، سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار** »[٢].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد اللَّه يسأل عن الورود، فقال: «**نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك.**

قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم، منافقٍ أو

---

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق باب: الصراط جسر جهنم، فتح الباري ١١/ ٤٤٤، ورواه مسلم كتاب الإيمان ورقم الحديث ١٨٢ واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٨٧) ورقمه (١٩٥).

مؤمن، نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء اللّه ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نَجم في السماء . . »[1].

لقد دلَّت هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة والواضحة والبيِّنة كبيِّنة الشمس في رائعة النهار كيف يحشر الكفار والمشركون إلى النار، وكيف يسير المؤمنون إلى الصراط وخلاص المؤمنين ووقوع المنافقين في نار جهنم. . وبيَّنت لذلك معنى الورود الذي قال اللّه تعالى عنه في كتابه العزيز. ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

[سورة مريم، الآية: ٧١]

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٧٥) ورقم الحديث (١٩١).

الفصل الرابع

عالم الصراط

- صفة الصراط .
- يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون .
- أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط .
- الورود على النار .
- ورود المؤمنين على النار .
- حكمة ورود المؤمنين على النار .
- الأعمال التي يثبت اللّه تعالى بها قدم صاحبها على الصراط .

- أولاً : ملازمة المساجد .
- ثانياً : إحسان الصدقة .
- ثالثاً : إقالة المسلم عثرته .
- رابعاً : تيسير الإنسان ما عسر على غيره .
- خامساً : إعانة العباد في حاجاتهم .
- سادساً : حماية المؤمن من منافق .

- الصراط لغةً وشرعاً ومعتمد أهل السنة فيه .
- الخوف من زلة الأقدام والفزع الأكبر في المرور على الصراط .
- الفرح والسرور في عبور الصراط والنجاة من النار وأهوالها .
- عند العبور على الصراط يبدِّل اللّه الأرض غير الأرض والسماوات .

عالم الصراط

صفة الصراط

الصراط يضرب على ظهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون وأهل الإيمان من أهل الكتاب، وكذلك ليعبر عليه المنافقون وأهل الكبائر والمعاصي من أمة محمد ﷺ.

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه أنه قال: بلغني أن الجسر ـ أي الصراط ـ أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف.

وروى الطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه قال: «**يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حدّ السيف المرهف مدحضة مزلّة، عليه كلاليب من نار يخطف بها فممسك يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمرّ كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كرَمَل الرجل، ثم كمشي الرجل . . . .**»[١].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**ولجهنم جسر أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء اللّٰه تعالى والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب. والملائكة يقولون: ربّ سلّم سلّم. فناجٍ مسلّم، ومخدوش مسلّم، ومكوّر في النار على وجهه**».

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن، وعزاه الزُرقاني إلى الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح كما في شرح المواهب ٨: ٣٩٢.

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا وابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الصراط على جهنم مثل حرف السيف وبجنبتيه كلاليب وحسك يركبه الناس فيُختَطَفون، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلّوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر، والملائكة على جنبتيه يقولون: ربّ سلّم سلّم**».[١].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه في حديث طويل قال فيه ﷺ: «**ثم يضرب الصراط بين ظهرانَي جهنم**»[٢]. وفي رواية: «**ويضرب جسر جهنم** (أي الصراط) **فأكون أولَ مِن يجوز**[٣] **من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل**[٤]**، وكلام الرسل يومئذٍ اللَّهم سلّم سلّم**[٥]**، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه تعالى تخطف**[٦] **الناس بأعمالهم**»[٧].

---

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا / صحيح.

(٢) والمعنى أن الصراط ينصب ويمدّ بين ظهراني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محيطة به.

(٣) أي يقطعه ويمضي عليه، يقال: جاز الوادي وأجازه قطعه. حكاه النووي وغيره.

(٤) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل، وذلك لشدة الهول وعظم الفزع. أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً، ويلوم بعضهم بعضاً، ويجادل بعضهم بعضاً.

(٥) وهذا الدعاء من الرسل هو لأممهم شفقة عليهم ورحمة بهم.

(٦) جمع خُطَّاف، وهي حديدة يختطف بها.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون

لقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أنه في ختام هذا اليوم يوم القيامة وقبل المرور على الصراط، أن اللَّه سبحانه يطلب من كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد في الدنيا، ولقد قدَّمنا لذلك في الفِقرات السابقة مع شواهد الآيات والأحاديث الشريفة، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس، والذي يعبد القمر يتبع القمر، والذي كان يعبد الأصنام والأشخاص فإنه تصوّر لهم آلهتهم ثم تسير أمامهم ويتبعونها.. ثم تتساقط هذه الآلهة المزعومة ويتساقط عبّادها وراءها صاغرين في السعير ونار جهنم.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٨، ٩٩]

ومعنى الآية الكريمة أن هذه الآلهة المزعومة لو كانت آلهة لما وردت النار وتقدمتكم في الورود إلى جهنم، والآية بخصوص الكافرين وما كانوا يعبدون في الدنيا.

... فإذا ورد الكافرون وما يعبدون إلى جهنم وتساقطوا فيها وألقوا إلقاء مهانة كما قدّمت.. لم يبق إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب والمنافقون من أمة محمد ﷺ وأهل الكبائر والمعاصي.

فيأتيهم ربهم فيقول لهم: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربَّنا، ويشكل عليهم أمورٌ كثيرة، حتى يكشف اللَّه سبحانه لهم عن ساقه فيعرفونه وعند ذلك يخرون سجداً إلا المنافقين فإنهم لا يستطيعون.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾.

[سورة القلم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

وفي تفسير ابن كثير لهاتين الآيتين الكريمتين يقول:

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بيّن ذلك حتى كأنه كائن وواقع، فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والبلاء والامتحان والأمور العظام، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً**»[(١)].

وقال ابن عباس: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. وعن ابن مسعود ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر: شالت الحرب عن الساق[(٢)]. وقال ابن جرير عن مجاهد: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة، وقال العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة، وروي عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث مشهور.

(٢) رواه عنهما ابن جرير.

«﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ **يعني عن نور عظيم يخرون له سجداً**»(١) .

وقوله تعالى : ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دُعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب عزَّ وجلَّ فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين أو المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه(٢) ، فالمؤمنون يسجدون والمنافقون لا يستطيعون، ثم يتبع المؤمنون ربهم وينصب الصراط، ويعطى المؤمنون أنوارهم التي وعدهم اللَّه سبحانه بها، ويسيرون على الصراط بالنور التام ويطفأ نور المنافقين، فيطلبون النور، ويقال لهم : ﴿ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ ، ثم يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَله العذاب، ويمر العباد على الصراط مسرعين بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة.

مشهد مرور المؤمنين على الصراط وأحوال المنافقين عليه كما جاء في القرآن الكريم

لقد صوَّر لنا القرآن الكريم مشهداً رائعاً عن أحوال المؤمنين والكافرين عند العبور على الصراط يوم القيامة، حيث يعطي اللَّه سبحانه المؤمنين نوراً تاماً ليروا ما أمامهم وهم يمرون على الصراط

---

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي بردة بن أبي موسى مرفوعاً ورواه أبو يعلى.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٥٣٧).

الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، فيمرون برحمة اللَّه وما أكسبهم اللَّه سبحانه من النور، ويصوّر لنا المشهد أحوال المنافقين الذين كانوا على النفاق في الدنيا، الذين كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. . وكذلك الذين استكبروا من المؤمنين عن طاعة اللَّه وارتكبوا فواحش وكبائر وماتوا عليها دون توبة ولا استغفار.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

[سورة الحديد، الآيات: ١٢ ـ ١٥]

وفي تعليق لشارح الطحاوية[١] حول هذا الموضوع يقول: «**وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، روى البيهقي بسنده عن مسروق، عن عبد اللَّه، قال: يجمع اللَّه الناس يوم القيامة إلى أن قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويُطفأ أخرى، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أُطفئ قام، قال: فيمر**

(١) شرح الطحاوية: ص٤٧٠ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ذكر أن الأحاديث التي ذكرت في شرح الطحاوية صحيحة.

ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلة، ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشدّ الرّجل، يرمل رملاً على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخرّ يدٌ، وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون فإذا خلصوا، قالوا: الحمد للّٰه الذي نجانا منك، بعد أن أرانا إياكِ، لقد أعطانا ما لم يعط أحد».

أحوال المؤمنين
في جوازهم الصراط

أحوال المؤمنين في عبورهم الصراط تختلف باختلاف درجات إيمانهم وأعمالهم أو نفقاتهم ومعاصيهم وكبائرهم.. فمنهم السالم الذي يمر مرّ الريح فينجو، ومنهم من يخدش ثم ينجو، ومنهم الهالك الذي تتخطفه الكلاليب ثم يهوي في جهنم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه في حديث طويل قال فيه ﷺ: «**ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم**[١]». وفي رواية: «**ويضرب جسر جهنم** (أي الصراط) **فأكون أول من يجوز**[٢] **من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل**[٣]**، وكلام الرسل يومئذٍ اللّهم سلّم سلّم**[٤]**، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: نعم. قال: «**فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه تعالى تخطَف**[٥] **الناس بأعمالهم**»[٦].

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثم**

---

(١) والمعنى أن الصراط ينصب ويمدّ بين ظهراني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محيطة به.

(٢) أي يقطعه ويمضي عليه، يقال: جاز الوادي وأجازه قطعه. حكاه النووي وغيره.

(٣) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل وذلك لشدة الهول وعظم الفزع. أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً، ويلوم بعضهم بعضاً، ويجادل بعضهم بعضاً.

(٤) وهذا الدعاء من الرسل هو لأممهم شفقة عليهم ورحمة بهم.

(٥) جمع خطاف، وهي حديدة يختطف بها.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ويقولون: اللَّهم سلّم سلّم» قيل: يا رسول اللَّه، وما الجسر؟

فقال ﷺ: **«دحض مزلّة، فيه خطاطيف، وكلاليب[(١)]، وحسك تكون بنجدٍ فيها شويكة يقال لها: السعدان[(٢)]، فيمر المؤمن كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب.**

فناجٍ مسلّمٌ، ومخدوش[(٣)] مرسل، ومكدوس[(٤)] في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدّ مناشدة للَّه تعالى في استقصاء الحق من المؤمنين للَّه يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار.

يقولون: ربنا كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار بعضهم إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه»[(٥)].

يقول الإمام النووي رضي اللَّه عنه في تفسيره للحديث الشريف: إن الناس على الصراط ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يسلّم فلا يناله شيء أصلاً.

٢ ـ وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص.

٣ ـ وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم.

فالمؤمنون الصادقون يمرون على الصراط وهم في أمان وسلام

---

(١) جمع كلّوب: حديدة معكوفة الرأس يعلق فيها، ويقال لها: الكلاب.

(٢) قال الزرقاني: السعدان بفتح السين والدال بينهما عين ساكنة مهملة.
سعدان جمع سعدانة: نبات ذو شوك والتشبيه به لسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها.

(٣) أي مخموش ممزّق.

(٤) أي يلقى بعضهم فوق بعض في جهنم.

(٥) رواه مسلم في صحيحه.

يضيء لهم نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة، ويسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

ـ عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال:

قال رسول اللّه ﷺ «**بشّر المشّائين في الظّلم إلى المساجد بالنور التّام يوم القيامة**».

[رواه ابن ماجهْ وابن خزيمة في صحيحه والحاكم واللفظ له]

فحال كل مؤمن على الصراط أنه يمشي على نور إيمانه الشامل في العمل والاعتقاد والقول، وتكون قوة النور على قدر قوة إيمانهم.

ـ وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول اللّه ﷺ كان يقول:

«**من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين، وصنعاء، فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه**»(١).

ـ روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن مسعود رضي اللّه عنه في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط: منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل

---

(١) تفسير ابن كثير.

النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَن نوره في إبهامه يتّقد مرة ويُطفأ مرة.

ـ وروى الحاكم عن ابن مسعود رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**الصراط كحدّ السيف دحض مزلّة، قال: فيمرّون على قدر نورهم، فمنهم من يمرّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرّ كالطرف، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كشدّ الرجل ويرمل رملاً، فيمرّون على قدر أعمالهم حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدميه تخرّ يد وتعلق يد، وتخرّ رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبَه النارُ**»(١).

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم واللفظ له.

الورود على النار

ورود المؤمنين على النار :

يقول تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢]

هذه الآية الكريمة لها تفسيرات وتأويلات وتحليلات.. فالآية الكريمة تشير إلى أن الناس جميعاً يوم القيامة واردون إلى النار لا محالة كما في تفسير الآية.

والكلام على هذه الآية الكريمة له وجوه متعددة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط، يقول شارح الطحاوية: واختلف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه مرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ . وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**» . قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ . أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم.

وقال العلماء: إن الكلام على هذه الآية الكريمة من وجوه:

أولاً: عموم الورود لجميع الثقلين وأنهم كلَّهم سيردون جهنم يوم القيامة، ثم ينجو من ينجيه اللَّه تعالى ويترك فيها الظالمون.

ثانياً: البحث في المراد بالورود في هذه الآية الكريمة وقد اختلف العلماء في ذلك:

ـ فذهب بعضهم إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الجواز على الصراط لأنه ممدود على النار، قال في المواهب وشرحها: ورجح هذا القول الإمامُ النووي، وروىٰ ابن عساكر عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: الورود هو المرور على الصراط، وكذا قال الحسن البصري، في رواية البيهقي بلفظ: الورود المرور عليها من غير أن يدخلها، وكذا قاله خالد بن معدان وعكرمة عند البيهقي وغيره.

وذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالورود هو الدخول، وقد رجح هذا القول العلامة القرطبي، وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود والبيهقي عن ابن عباس وقاله جماعة(١).

قال الحافظ ابن كثير: وإلى هذا القول ذهب علي وابن عباس رضي اللَّه عنهم، وعليه جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه يوم القيامة: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾.

والمعنى: إن فرعون يتقدم قومه إلى النار قائداً لهم كما قادهم

---

(١) كذا في شرح المواهب ٨: ٣٩٣، (الإيمان بعوالم الآخرة) الشيخ عبد اللَّه سراج الدين، طبع في حلب.

في الدنيا حتى يرد بهم النار أي يدخلهم النار، ويدخل معهم بطبيعة الحال. *واستدلوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى:* ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أي يدخلون فيها.

واستدلوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ فإن اللَّه تعالى أخبر عن نتيجة الواردين فقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

فقد نجى اللَّه تعالى المتقين بعدما وردوها، وقد أبقى فيها أي في داخلها الظالمين جاثين على الركب من الزحام والضيق فيها.

فهذا دليل على أن الذين اتقوا أنجاهم اللَّه تعالى منها بعدما دخلوها، فأخرجهم ناجين لم يمسسهم سوء، إذ أن النجاة تكون بعد الدخول فيها والتعرض لنيرانها.

المؤمنون الأتقياء يدخلونها دخول مرور وعبور، أما الكفار فإنهم يدخلونها دخول بقاء فيها وقرار.

وأرى أن أصح الأقوال في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ هو المرور على الصراط، وإلا ما معنى المرور على الصراط؟ ولِمَ يضرب الصراط؟ إذا لم تكن الغاية منه أن يمر عليه المؤمنون فيرَوْا النار وعظيم أمرها وحرها ولهيبها، فيحمدوا اللَّه سبحانه على أنهم رأوها وما هم داخلين فيها، وكذلك فإن المرور على الصراط حتى يتساقط المنافقون والعصاة وأهل الكبائر، فيرى ذلك المؤمنون المتقون فيحمدون اللَّه سبحانه على إنقاذهم مما يرونه من تساقط المنافقين والعصاة.. فلكل شيء حكمه عند اللَّه سبحانه.

حكمة ورود المؤمنين ومرورهم على جهنم

قال العلامة المفسر المعروف بالخازن: فإن قلتَ: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب ـ أي في ورودهم جهنم ـ فما فائدة دخولهم النار؟

قلت: فيه وجوه: **أحدها** ـ أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منها، أي وأيقنوا بالنجاة من عذابها بعد أن عاينوها، بذلك يفرحون ويطمئنون.

ثانيها ـ أن فيه ـ أي في ورود المؤمنين جهنم ـ مزيدَ غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها ـ بسلام ـ وهم باقون فيها.

ثالثها ـ أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي يكون على الكفار صار ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

يعني لأنه بضدها تتميز الأشياء، وذلك مما يزيدهم فرحاً بنعيم الجنة وسروراً، وشكراً للّه تعالى الذي تفضل عليهم بالإيمان والأعمال الصالحة، وتفضل عليهم بقَبولها منهم، وتفضل عليهم بأن نجاهم من عذاب جهنمَ، وتفضل عليهم بأن أدخلهم جنات النعيم ولم يجعلهم في دار الجحيم، ولذلك راحوا يحمَدون اللّه تعالى ويثنون عليه، فقالوا كما أخبر اللّه تعالى

عنهم: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

خامساً ـ قوله سبحانه في الآية: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ في هذا يبيِّن سبحانه لعباده أن هذا المرور العام هو مقتضى حكمة ربوبيته سبحانه، وأنه قضى ذلك وحتمه على نفسه فلا محيص للإنسان عنه ولا مخلص له منه.

الأعمال التي يثبت الله تعالى بها قَدَمَيْ صاحبها على الصراط

وقد حضّ النبي ﷺ على تعاطي الأعمال التي يثبّت اللَّه تعالى بها قَدَمَيْ صاحبها على الصراط، فمن ذلك أولاً: ملازمة المساجد: كما جاء عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه: سمعت الرسول ﷺ يقول: «**المسجد بيت كل تقي، وتكفَّل اللَّه لمن كان المسجد بيتَه بالرَّوْح والريحان والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان اللَّه إلى الجنة**».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وقال: إسناده حسن، وهو كما قال رحمه اللَّه تعالى. وعزاه الزرقاني أيضاً إلى سعيد بن منصور.

ثانياً: إحسان الصدقة:

وذلك بأن تكون من مال حلال، وأن تقع موقعها، فقد روى أبو نُعيم والأصبهاني مرفوعاً: «**مَنْ أحسن الصدقة جاز على الصراط مُدِلاًّ**». قال في النهاية: أي منبسطاً لا خوفٌ عليه، وهو من الإدلال.

ثالثاً: إقالة المسلم بيعته وعثرته:

فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أقال مسلماً بيعته أقاله اللَّه عثرته يوم القيامة**». قال المنذري: رواه أبو داود وابن ماجه

وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما.

قال: وفي رواية لابن حبان: «**من أقال مسلماً عثرته أقال اللّه عثرته يوم القيامة**».

رابعاً: تيسير الإنسان ما عسر على غيره:

عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**من كان وصلةً لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في بلوغ برّ أو تيسير عسير أعانه اللّه تعالى على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام**».
أي عندما تزل الأقدام عند مرور الصراط.

قال في الترغيب: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في صحيحه.

خامساً: إعانة العباد في حاجاتهم والمشي في قضاء مهماتهم:

عن أنس رضي اللّه عنه أن رجلاً جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه، أي الناس أحبّ إلى اللّه؟ فقال: «**أحبُّ الناس إلى اللّه أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى اللّه عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم: تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبُّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ اللّه قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيَها له يثبت اللّه قدميه يوم تَزِلُّ الأقدام**». رواه الأصبهاني وابن أبي الدنيا. وعند ابن حبان: «**من أعان عبداً في حاجته ثبَّت اللّه له مقامهُ يوم تزلّ الأقدام**».

سادساً: حماية المؤمن من منافق:

فعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي اللّه عنه عن

النبي ﷺ قال: « من حمى مؤمناً من منافق بعث اللَّه له ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً يريد به شَينه حبسه اللَّه على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

[رواه أبو داود]

الصراط لغة وشرعاً ومعتمد أهل السُّنَّة فيه

الصراط لغةً: الطريق الواضح.

الصراط شرعاً: جسر ممدود على متن جهنم، يرِده الأوَّلون والآخرون.

. . . وقد بيَّن السفّاريني ـ موقف الفرق من الصراط وهل هو صراط مجازي أو حقيقي؟ ثم قرر مذهب أهل الحق الذي دلَّت عليه النصوص فيه، فقال: «**اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.**

[سورة محمد، الآية: ٥]

وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٢٣]

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجبَ من المشي على الماء أو الطيران في الهواء، أو الوقوف فيه، وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر

على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك، وأنكر العلامة القَرَافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز ابن عبد السلام، والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر مضروب على متن جهنم عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون».

[لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٩٢]

ذكر القرطبي مذهب القائلين بمجازية الصراط، المؤولين للنصوص المصرحة به، فقال: **«ذهب بعض من تكلم على الأحاديث إلى وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف، أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا اللَّه تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقاً، فضرب المثل بدقة الشعر فهذا من هذا الباب، ومعنى قوله: أحد من السيف أو الأمر الدقيق الذي يصعد من عند اللَّه تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد، وأما أن يقال: إن الصراط نفسه أحدّ من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي إن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل، ثم يقوم، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يُعطى النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام، ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله ثم ردّ مقالتهم، فقال: «ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن،**

فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للآثار المروية في ذلك، وبيانها بنقل الأئمة العدول، ومن لم يجعل اللَّه له نوراً فما له من نور»[١].

وقد بيَّن شارح الطحاوية معتقدَهُ في الصراط المذكور في الأحاديث قال:

[ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي اللَّه عنها: إن رسول اللَّه ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»][٢].

(١) التذكرة للقرطبي صفحة ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٢) شرح الطحاوية صفحة ٤٦٩.

الخوف من زلة الأقدام والفزع الأكبر في المرور على الصراط

إن لورود العباد جهنم ومرورهم على الصراط المضروب بين ظهرانيها، فزعاً في قلوب الواردين، وخوفاً من زلة الأقدام والتردي في نار جهنم، وقد نبَّه النبي ﷺ إلى خطورة ذلك الورود حيث قال: «**ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أولَ من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللَّهم سلّم اللَّهم سلّم**».

فما أعظم ذلك المرور وما أخطره حتى إن جميع المارين لزموا الصمت فلا كلام إلا من الرسل، وكلام الرسل يومئذ سلّم سلّم، فراحوا يدعون اللَّه تعالى لأتباعهم أن يجعلهم اللَّه تعالى في سلام وأمان بحيث يجتازون الصراط سالمين آمنين من المخاوف والمكاره.

فما أرحم الرسل بأتباعهم وما أشد رأفتهم وعطفهم على الذين آمنوا بهم! وتمسكوا حق التمسك بشريعتهم، لقد أهمهم أمرُ أتباعهم من مفزعات الصراط ومخاوفه.

وأعظمهم رحمة وأشدهم رأفة سيدنا محمد ﷺ الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾. وقال تعالى فيه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ صلوات اللَّه تعالى وسلامه عليه وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين.

روى الإمام مسلم عن حذيفة وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يجمع اللَّه الناس...**» فذكر الحديث إلى أن قال: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل معه الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق**» قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمرّ البرق؟

قال: «**ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرْفة عين؟. ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم. ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلّم سلّم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوس في النار...**» الحديثَ.

فاللَّه تعالى ينجي المتقين قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾... الآية، ويجعلهم في أمن وأمان.

قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ اللَّهم اجعلنا منهم، ولما كان المرور على الصراط خطيراً، بيَّن النبي ﷺ أن الذين تزلّ أقدامهم حين يمرون على الصراط هم كثيرون.

روى البيهقي عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن على جهنم جسراً أدق من الشعر وأحد من السيف أعلاه نحو الجنة ـ دحض مزلة، بجنبيه كلاليب وحسك النار، يحشر اللَّه به من يشاء من عباده، الزالون والزالات يومئذ كثير**»[١].

اللَّهم اجعلنا من الذين يجوزون صراطك كالبرق الخاطف، ولا تجعلنا من الزَّالين والزَّالات يا أرحم الراحمين.

---

(١) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، الشيخ عبد اللَّه سراج الدين رحمه اللَّه.

الفرح والسرور في عبور الصراط والنجاة من النار وأهوالها

إلى طريق اللَّه أدعوك وإلى جنات الخلد أستضيفك وإلى رضا اللَّه أرجوك، وتوهّم نفسك أنك أصبحت في نهاية يوم القيامة، وكنت من الذين منّ اللَّه عليهم وجزت الصراط وأهواله، وهو آخر المطاف من يوم دام في مقداره خمسين ألف سنة، وبعد هذا التصوّر، تصوَّر نفسك والعياذ باللَّه أنك ممن وقع من على الصراط وتخطفته الأشواك بأمر اللَّه وكان من زمرة أهل جهنم. ثم توهّم نفسك أنك من أهل العفو وجزت الصراط الذي يضرب بين ظهراني جهنم، ونورك معك يسعى بين يديك وعن يمينك، مبيضٌّ وجهُك بعد أن حاسبك اللَّه سبحانه وأيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر العابدين ووفود المتقين والشهداء والأبرار والصالحين، والملائكة، والرسل، لهول الصراط والمرور عليه تنادي: اللَّهم سلّم سلّم، والوجل والخوف لا يفارقك والقلوب في الحناجر تنادي وينادي المؤمنون معك: ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وتدبَّر أمرك والمنافقون يسقطون من على الصراط واحداً تلو الآخر تتخطفهم الكلاليب والشوك، وقد طفئ نورهم، وهاج الوَجل في قلوبهم وهم عمي وبكم وصمّ، فتوهّم نفسك أيها المؤمن وقد انتهيت إلى آخر الصراط وقد سلّمك اللَّه من أهواله فغلبت على قلبك النجاة، واشتاقت نفسك إلى رضا اللَّه حتى صرت إلى آخره، خطوت

بأحد رجليك إلى العَرَصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العَرَصة التي بعد الصراط، ولا تزال قدمك الثانية على الصراط والخوف والأمل قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك رهبة ورغبة، ثم ثنيت برجلك الأخرى فجزت الصراط كلَّه، واستقرت قدماك الاثنتان على تلك العَرَصة، ثم زلّت عن الجسر ببدنك كله وخلفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها، وتثب على من زلّ عنه مغتاظة تزفر عليه وتشهق إليه، ثم التفتّ إلى الجسر فنظرت إليه باضطرابه ونظرت إلى الخلائق من فوقه وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زُلزلوا عن الصراط، لها في رؤوسهم صيد وانقضاض، فطار قلبك فرحاً إذا رأيت عظيم ما نجاك اللَّه منه فحمدت اللَّه وازددت له شكراً إذ نجوت رغم ضعفك وقلة حيلتك من النار، وخلفتها تزعق وتشهق بأعناقها الممتدة إلى الجسر تخطف كل عتلٍّ جبار سعى في الأرض فساداً، وأبى غروراً أن يكون من الطائعين العابدين.

فما أعظمها من لحظة وأنت تتوجه إلى جوار ربك، وخطوت آمناً من أي فزع إلى باب الجنة، وقد امتلأ قلبك سروراً وفرحاً، فلا تزال في ممرك بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها، فإذا وافيت بابها استقبلك بحسنه، فنظرت إلى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانها، وقلبك مستطير فرح مسرور، متعلق بدخول الجنة مع أولياء الرحمن فتصوَّر نفسك أنت من أهل هذا الموكب وهم أهل الكرامة والرضوان، مبيضة وجوههم مشرقة برضا اللَّه مسرورون مستبشرون، وقد وصلت إلى باب الجنة بعد حرّ المقام ووهج تعب مرهق مرّ معك، ثم نظرت إلى العين التي أعدها اللَّه لأوليائه وعباده الذين ارتضاهم في جناته ـ وإلى حسن مائها فانغمست فيها مسروراً لما وجدت من برد مائها

وطيبها فذهب عنك بحزن المقام وطهرك من كل دنس وخبث.

وتصوَّر فرحة فؤادك لما باشر برد مائها بدنك، بعد حرّ الصراط ووهج القيامة وأهوالها، وأنت فرح لعلمك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنة والخلود فيها، وقد أصبح بالنسبة إليك يوم القيامة وأهواله الذي امتد في أهواله خمسين ألف عام سراباً ماضياً، ثم تخرج من هذا المغتسل في أحسن صورة وأتم نور، ثم تقصد العين الأخرى فتتناول من بعض آنيتها وهي من ذهب، وتصوّر حسن الإناء وحسن الشراب حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله، وذلك لتطهر قلبك من كل غِلٍّ وحسد، وبعد أن تستكمل طهارة القلب والبدن ويستكمل أحبّاء اللّه ذلك معك، واللّه مطلع يراك ويراهم وقد تفرّغ اللّه لنا[1] لإكرامنا ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٣١]

أمر اللّه الكريم المتحنن على عباده وأوليائه خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين، فانحدروا من قصورها ودورها وساحاتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها وسمعت حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب على فؤادك، فيا سرور وحبور المفتوح لهم باب جنة رب العالمين، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائها فنفح وجهك وجميع بدنك، وثارت أراييح الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المُونّق وكافورها الأصفر وعنبرها الأشهب، وأرياح طيب ثمارها وأشجارها ونسيمها

(١) الإمام المحاسبي (التوهم في أهوال الآخرة).

فتداخلت جميع تلك الأراييح الفواحة ودخلت في صدرك وأنفك ووصلت إلى دماغك، وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك، ثم نظرت قبل أن تدخل إلى حسن قصورها وتأسيس بناياتها ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ المبنى من طرائق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفاؤه ونظرت إلى حجب اللَّه وآياته التي أخفاها عنك ووعدك بها وبرؤيتها ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ وها أنت أمامها وأمام وعد اللَّه وصدقه.

وهذا كله قد أكمله اللَّه في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان ونظرت إلى هذا، وفرح فؤادك لمعرفتك إذا دخلتها، فإن لك فيها ما لم يخطر على قلب بشر وفيها الزيادات والمزيد وليس بمخرج منها، وليس فيها تعب ولا نصب وفيها النظر إلى وجه ربك الكريم.

فتصوَّر وتخيل نفسك أنك مع الناجين وقد تفضل اللَّه عليك.

ثم أقبلت الملائكة وفتحت أبواب الجنة وأقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه من معك من أولياء اللَّه، ونادوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وأتبعوا السلام بقولهم: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. ولما سمعت من الملائكة ـ العظام الذين ينهال النور من أعتاب وجوههم، وقد أشعلت مداخل الجنة بأنوار مبهجة فرحة ـ بادرت الباب بالدخول فاكتظت الأبواب من الزحام، فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيظ من زحام أولياء اللَّه، فأنعِمْ بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد نظروا وعاينوا في دخولهم من حسن القصور التي هي من الياقوت والدر والذهب، فلما جاوزت الباب بفضل اللَّه ووضعت قدميك على

تربتها وهي مسك أذفر ونبت الزعفران المُونّق والمسك على أرض من فضة والزعفران نابت حولها وهي أول خطوة خطوتها في أرض البقاء والخلود، قد أمنت عذاب اللَّه وأمنت من الموت الذي فرَّ من المؤمنين بلا عودة ولا خوف منه.

وتخيل نفسك وقد أصبحت تتخطى من ترب المسك ورياحين الزعفران وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة قصورها، وبينما أنت تتخطى في عَرَصات الجنان في رياض الزعفران وكثبان المسك إذ نودي في ولدانك وغلمانك وأزواجك من الحور العين إن فلاناً بن فلان ابن فلانة قد أقبل، فأجابوا متهللين مستبشرين لقدومك فتكون الأفراح، وتستقبل استقبالاً عظيماً في ملك عظيم ونعيم كبير كل شيء فيه سرور وحبور، فالأرض تغني والأشجار تطرب وكل ما خلق اللَّه من جمال يرقص بين يديك بهجاً ومسروراً.

إني أدعوك إلى هذا فهل تستجيب وهل لك رجاء وأمل غير هذا؟ جعلني اللَّه وإياك من أهلها وساكنيها ووارثيها وملّاكها، واللَّه على كل شيء قدير، واللَّه أعلم.

عند العبور على الصراط تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات

لقد وعد اللَّه سبحانه في كتابه الكريم أن الأرض ستبدل يوم القيامة غير الأرض وكذلك السماوات. . . . ولو عدنا إلى الجزء الرابع من الموسوعة عندما تحدثنا عن الحشر وقيام الساعة وانفطار السماوات وتشققها وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتسجير البحار. . فقد بينّا عظيم أمر السماء الدنيا وما فيها من آلاف المليارات من المجرّات والتي تحوي كل مجرة أكثر من مائة مليار كوكب ونجم. . كل هذا كما وعد اللَّه سبحانه أنها تبدل وتطوى كما يطوي السجل الكتب.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

والسؤال متى يتم تبديل اللَّه سبحانه الأرض بغير الأرض والسماوات بغيرها؟؟ وفي أي مرحلة من مراحل يوم القيامة يتم هذا التبديل؟؟

. . . . لقد أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبديل هو عند مرور المؤمنين على الصراط أو قبل ذلك بقليل.

ـ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «**سألت رسول اللَّه ﷺ عن قوله عزَّ وجلَّ**: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ . . . **فأين يكون الناس يا رسول اللَّه؟ فقال: على الصراط**»[1].

ـ عن ثَوْبان رضي اللَّه عنه أن حِبراً[2] من أحبار اليهود سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**»[3] والمراد بالجسر الصراط.

---

(١) صحيح مسلم. باب البعث والنشور (٤/ ٢١٥٠) رقم الحديث (٢٧٩١).

(٢) حِبْر والجمع أحبار، وحَبْر: الجمع حبور.

(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٥٢) ورقم الحديث (٣١٥).

الفصل الخامس

أنواع الشفاعات

ـ مدخل.

ـ أنواع الشفاعات وأصحابها الذين ارتضى اللّه لهم الشفاعة.

أولاً: شفاعة رسول اللّه ﷺ.

١ ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

٢ ـ شفاعته ﷺ لقوم حوسبوا واستحقوا العذاب.

٣ ـ اختبأ رسول اللّه ﷺ دعوته المستجابة ليوم القيامة شفاعة لأمته.

٤ ـ شفاعته في إخراج عصاة المؤمنين من النار على درجات وطبقات مختلفة في المدة.

٥ ـ بشفاعة رسول اللّه ﷺ أسعد الناس من قال: لا إله إلا اللّه خالصاً من قلبه.

٦ ـ شفاعته ﷺ تنال من سأل له ﷺ الوسيلة والمقام المحمود عند سماع الأذان.

٧ ـ أولى الناس بشفاعته ﷺ أكثرهم عليه صلاة.

ـ شفاعة الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والعلماء وحملة القرآن وعامة المؤمنين الصالحين.

أولاً: شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء.

ثانياً: شفاعة العلماء.

ثالثاً: شفاعة حملة القرآن الذين أحلوا حلاله وحرّموا حرامه.

رابعاً: شفاعة الملائكة.

خامساً: شفاعة المؤمنين.

ـ شفاعة أرحم الراحمين.

ـ حديث الصراط والشفاعة: الحديث الأول.

ـ حديث الصراط والشفاعة: الحديث الثاني.

أنواع الشفاعات

مدخل:

. . . . إن من أعظم وأهم أمور يوم القيامة (الشفاعةَ) إذ جعلها اللَّه سبحانه في المؤمنين رحمة بهم دون العالمين. . فلا شفاعة لكافر أو مشرك ولا شفاعة لعاصٍ مصرٍّ على معصية إلا من بعد أن يأذن اللَّه سبحانه.

ولعظيم أمر الشفاعة عند اللَّه سبحانه فقد ذكرها في كتابه الكريم في أكثر من آية كريمة. . فاللَّه سبحانه يعلم حق العلم كم يكون الناس في هذه المواقف العصيبة في يوم القيامة متطلعين ومتلهفين للشفاعة.

فالشفاعة محور رئيس لكثير من مواطن مواقف يوم القيامة، ولكن اللَّه سبحانه لا يعطيها إلا لمن يستحقها وكان أهلاً لها، واللَّه سبحانه أعلم بخلقه جميعاً ملائكةٍ وإنسٍ. . لذلك لا يأذن بها إلا لمن ارتضى له قولاً.

يقول اللَّه تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٢٨]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٣]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا * لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٨٥ ـ ٨٧]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

[سورة طه، الآيتان: ١٠٨، ١٠٩]

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٢٣]

ـ ويبيِّن اللَّه سبحانه أن الملائكة أيضاً لا يشفعون لأحد من خلقه إلا بعد أن يأذن الرحمن لمن يشاء منهم.

يقول تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٢٦]

ـ ثم يبيِّن اللَّه سبحانه أن الشفاعة العظمى له وحده دون خلقه جميعاً.

يقول تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٣]

هذه بعض الآيات الكريمة التي ذكرها اللّه سبحانه عن الشفاعة، وبيَّن فيها سبحانه أنه هو الشفيع الأول والأخير لعباده وهذا ما سيظهر عندما يشفع في عباده ويخرجهم من النار ويعفو عنهم.. وكذلك بيّن اللّه سبحانه أن الشفاعة أمر عظيم لا يملك أمرها إلا اللّه سبحانه، فهو الذي يختار من خلقه من يشاء ليجعلهم من بعد إذنه شفعاء يوم القيامة... ولا شك أن صاحب الشفاعة العظمى والأولى هو سيد الخلائق جميعاً سيدنا محمد ﷺ.. حيث يشفع الشفاعة العظمى في أن يبدأ اللّه سبحانه بفصل القضاء والعرض عليه والحساب، وقد مرّ معنا الحديث بطوله عندما تحدثنا عن الشفاعة العظمى.

ولكن العباد من المؤمنين يحتاجون إلى شفاعات كثيرة منها ما يكون عند الميزان، ومنها ما يكون عند الصراط، ومنها ما يكون في إخراج كثير منهم من النار ومن أهل الكبائر.. وكذلك فإن اللّه سبحانه يشفّع من عباده بعد سيدنا محمد ﷺ الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء وكثيراً من الناس حتى يشفع الوالد لولده والوالدة لولدها والمؤمن للمؤمن.

أنواع الشفاعات وأصحابها الذين ارتضى اللَّه لهم الشفاعة

أولاً: شفاعة رسول اللَّه ﷺ:

تحدّثنا في الجزء السادس من الموسوعة عن الشفاعة العظمى لرسول اللَّه ﷺ في بدء فصل القضاء والحساب. . . . ولكن لرسول اللَّه ﷺ شفاعات كثيرة لأمته يأذن اللَّه سبحانه بها لرسوله الكريم ﷺ تعظيماً لمقامه ومكانته عند رب العالمين.

١ ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته:

ـ عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «**خُيِّرْتُ بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة؟ فاخترت الشفاعة، لأنها أعمّ وأكفى، أما إنها ليست للمؤمنين المتقدمين ولكنها للمذنبين الخطّائين المتلوثين**»[١].

٢ ـ شفاعته ﷺ لقوم حوسبوا واستحقوا العذاب:

عن حذيفة وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**يجمع اللَّه تبارك وتعالى الناس فيقوم، المؤمنون حتى تزلف** (أي تقرّب) **لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى إبراهيم خليل اللَّه تعالى.**

---

(١) رواه أحمد والطبراني وابن ماجه، واللفظ للطبراني وقال في الترغيب: إسناده جيد.

قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمِدوا إلى موسى الذي كلَّمه اللَّه تكليماً، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة اللَّه وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك.

فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له ـ أي بالشفاعة ـ وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ـ (أي تقومان لتطالبا المارين على الصراط بحقهما) فيمر أوّلكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه: أي شيء كالبرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمرّ، حتى تعجِز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط ـ أي على جانبيه ـ كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار». والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً[١].

معاني بعض الكلمات: المخدوش الناجي: هو المجروح الذي خدش ولكنه نجّي من الوقوع في النار، والمكدوس هو الواقع في النار.

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه ـ قائماً بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول اللَّه عزَّ وجلَّ: يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك؟

فأقول: يا رب عجّل حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

يدخل الجنة برحمته، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أُعطى صكاكاً ـ أي كتباً ـ **برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً خازن النار ليقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة»** .

[رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في البعث]

وعن علي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى فيقول: أقد رضيت يا محمد؟ فأقول: أي ربّ قد رضيت»**(١) .

٣ ـ اختبأ رسول اللَّه ﷺ دعوته المستجابة ليوم القيامة شفاعة لأمته:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **لكلّ نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبيّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء اللَّه من مات لا يشرك باللَّه شيئاً»**(٢) .

والمراد أن لكل نبي دعوة تتعلق بعامة أمته محقّقة الإجابة، كما بيّن ذلك القاضي عِياض رحمه اللَّه تعالى، فإن أدعية الأنبياء مجابة، اختبأ رسول اللَّه ﷺ دعوته إلى يوم القيامة.

ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن الأنبياء عليهم السّلام استعملوا دعوتهم على أقوامهم في الدنيا.

يقول اللَّه تعالى مبيناً دعوة الأنبياء واستجابة اللَّه سبحانه لها:
﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ .

[سورة المؤمنون: الآيتان: ٣٩، ٤٠]

---

(١) رواه الطبراني والبزار وقال في الترغيب: إسناده حسن.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

وكذلك دعا نوح على قومه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآية : ٢٦]

وقال النووي في تفسير هذا الحديث الشريف الذي رواه مسلم .

قال الإمام النووي رضي اللّه عنه : وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة ، فأخّر دعوته لأمته إلى أهمّ أوقات حاجاتهم .

عن عمران بن حصين رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال : **« يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمّون الجهنميين »**(١) .

ـ عن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ :

« يدخل من أهل هذه القبلة النارَ مَنْ لا يحصي عددهم إلا اللّه بما عصوا اللّه واجترؤوا على معصيته وخالفوا طاعته » . قال ﷺ : **« فيؤذن لي في الشفاعة، فأثني على اللّه ساجداً كما أثني عليه قائماً، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفّع »**(٢) .

٤ ـ شفاعته ﷺ في إخراج عصاة المؤمنين من النار على درجات وطبقات مختلفة في المدة :

روى الشيخان عن أنس رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال :

« إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم اللّه، فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح اللّه وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في الكبير والصغير بإسناد حسن .

عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامدَ أحمَده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفّع، فأقول: يا ربّ أمتي أمتي! فيقال: انطلق، فأخرج منها ـ أي النار ـ من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ أمتي أمتي! فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ أمتي أمتي! فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبّة خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ ائذن لي فيمن قال: لا إلٰه إلا اللَّه، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال: لا إلٰه إلا اللَّه»[١].

٥ ـ أسعد الناس بشفاعة رسول اللَّه ﷺ من قال: لا إلٰه إلا اللَّه خالصاً من قلبه:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولُ منك لما رأيت من حرصك على الحديث؛ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إلٰه إلا اللَّه خالصاً من قلبه أو نفسه»**[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، الفتح ١٧ / ٢٢٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

٦ ـ شفاعته ﷺ تنال من سأل له ﷺ الوسيلة والمقام المحمود عند سماع الأذان:

ـ عن ابن عمرو رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى اللَّه عليه بها عشراً، ثم سلوا اللَّه لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل اللَّه لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»**(١).

ـ عن جابر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«من قال حين يسمع النداء: اللّهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلّت له شفاعتي يوم القيامة»**(٢).

وزاد البيهقي في روايته: **«إنك لا تخلف الميعاد»**.

٧ ـ أولى الناس بشفاعته ﷺ أكثرهم عليه صلاة:

.. وفي هذا بيان عظيم لفضل الصلاة على النبي ﷺ فأكثروا عليه من الصلاة والسلام عسى أن تنالنا شفاعته ﷺ ونحن بأمس الحاجة إليها يوم القيامة.

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن أولى الناس بي يوم القيامة** ـ أي أحقهم بشفاعتي وبإكرامي ـ **أكثرهم عليّ صلاةً»**(٣).

عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من صلَّى عليّ حين يصبح عشراً: أدركته شفاعتي يوم القيامة»**(٤).

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن.

(٢) رواه البخاري وأصحاب السنن.

(٣) رواه الترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه.

(٤) رواه الطبراني بسند جيد.

شفاعة الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والعلماء وحملة القرآن وعامة المؤمنين الصالحين

قال اللّه تعالى في الكفار والمشركين يوم القيامة: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾. [سورة المدثر، الآية: ٤٨]

فدلّت الآية أن هناك من المؤمنين شفعاء يشفعون.

أولاً: شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء:

عن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه وفيه: فيقول ﷺ: «**أي ربّ جعلتني سيّد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد عليّ الحوض أكثر ممّا بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الأنبياء فيجيء النبي ومعه العصابة** (أي الجماعة الكثيرة) **والنبي معه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد، فيشفعون ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون فيمن أرادوا . .**»(١).

ثانياً: شفاعة العلماء:

عن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**يشفع يوم القيامة ثلاثٌ: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»(٢).

ثالثاً: شفاعة حملة القرآن الذين أحلوا حلاله وحرَّموا حرامه:

عن علي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من قرأ**

---

(١) رواه الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه (ترغيب المنذري).

(٢) رواه ابن ماجهْ.

القرآن فاستظهره (أي أجاد حفظه) **فأحلّ حلاله وحرّم حرامه: أدخله اللّه الجنة وشفّعه في عشرة من أهل بيته قد وجبت لهم النار»**[١].

رابعاً: شفاعة الملائكة:

وجاء في الحديث الطويل المتفق عليه وفيه أن النبي ﷺ قال: **«فيقول اللّه تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين..»** الحديث.

خامساً: شفاعة المؤمنين:

وعن أبي أمامة رضي اللّه عنه قال: **«سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل ليس بنبيّ مثلُ الحيّين ربيعة ومضر، فقال رجل: يا رسول اللّه، وما ربيعة من مضر؟ فقال ﷺ: إنما أقول ما أُقَوّل»**[٢].

عن أبي أمامة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: **«يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع على قدر عمله»**[٣].

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«يصفّ أهل النار فيمرّ بهم أهل الجنة، فيقول الرجل منهم:** (أي من أهل النار) **يا فلان، أما تعرفني؟ أنا الذي سقيتك شربة، وقال بعضهم: أنا الذي وهبت لك وَضوءاً** (أي ماء للوضوء)**، فيشفع له** (أي ذلك المؤمن الصالح) **فيدخله اللّه الجنة»**[٤].

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد كما قال في الترغيب.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه ابن ماجه.

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من أمتي من يشفع للفئام (أي للجماعات والقبائل) ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة**»(١).

وأما كيف تتم الشفاعة فقد أوضح في (المرقاة) أن المراد بأهل النار المشفوع لهم هنا هم عصاة المؤمنين فإنهم يصفون حتى يمر بهم أهل الجنة من العلماء الأخيار والصلحاء الأبرار. قال: وتكون هيئة العصاة على هيئة المساكين السائلين في طريق الأغنياء في هذه الدار.. هكذا قال في المرقاة.. ونقول: واللَّه أعلم.

شفاعة أرحم الراحمين:

شفاعة اللَّه سبحانه وهو أرحم الرّاحمين تبقى حتى يشفع رسول اللَّه ﷺ والأنبياء والصدّيقون والشهداء والعلماء وحملة القرآن والمؤمنون ـ ذلك أنها الشفاعة التي فيها كامل الرحمة من أرحم الراحمين.. فبرحمة اللَّه سبحانه لا يبقى في النار من شهد أن لا إلٰه إلا اللَّه ـ فاللَّه سبحانه له الشفاعة جميعاً، وهو الخالق المقتدر الرحمن الرحيم الذي أذن بالشفاعة لمحمد ﷺ والأنبياء والشهداء والصديقين والعلماء والمؤمنين إكراماً لهم جميعاً، ولكن اللَّه سبحانه أكرمُهُم وأرحمهم وله الشفاعة كلها التي لا يقدر عليها سواه.

يقول تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه.

وفي الحديث الشريف الطويل المتفق عليه وفيه أن النبي ﷺ قال:

« فيقول اللَّه تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الرّاحمين ».

[متفق عليه]

.... ولأهمية الشفاعة وبيان مقامها فإن في حديث (الصراط) عن رسول اللَّه ﷺ روايتين يبيِّن فيهما ويوضح كيف يشفع اللَّه سبحانه ـ بعد أن يأذن لمن ارتضى من خلقه بالشفاعة ـ فيخرج من النار أقواماً قد امتحشتهم النار ردحاً من الزمن، جراء عظيم معاصيهم وذنوبهم وآثامهم، ولقد وجدتُ في الحديثين الشريفين أعظم ما قيل في الشفاعة بعد الحديث عن الصراط ومرور المؤمنين عليه، وهما حديثان صحيحان ومتفق عليهما.

حديث الصراط
والشفاعة (الحديث الأول)

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قلنا: « **يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تضارون**[١] **في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً**» ؟ قلنا: لا، قال: « **فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**» ، ثم قال: « **ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل إلٰه مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بر أو فاجر وغبرات**[٢] **من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن اللَّه، قال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم**[٣] ، **وإنا سمعنا منادياً**

---

(١) تضارون: رويت بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيها ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو غيرها لخفائه، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضر، وهو الضرر.

(٢) غبرات: أي بقاياهم جمع غابر.

(٣) أي فارقناهم في الدنيا لما زاغوا مع احتياجنا لهم ولزمنا طاعته سبحانه، فهم يتضرعون إلى اللَّه سبحانه أن يكشف هذه الشدة عنهم.

ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا ـ وفي رواية عند البخاري [(١)] ـ فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم اللّه في صورته التي يعرفون ـ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد للّه رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً [(٢)]، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم» [(٣)] قلنا: يا رسول اللّه، وما الجسر؟ [(٤)] قال: «مدحضة مزلة [(٥)] عليه خطاطيف وكلاليب [(٦)] وحسكة [(٧)] مفلطحة [(٨)] لها شوكة عقيفة [(٩)] تكون بنجدٍ يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليه كالطرف [(١٠)] وكالبرق وكالرياح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار

---

(١) الفتح: ١٧/ ١٩٧.

(٢) الطبق: فقار الظهر، أي صار فقاره واحداً، كالصفيحة لا يقدر على السجود للّه تعالى.

(٣) وفي رواية عند مسلم قال: «قال: فما تنظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللّه منك لا نشرك باللّه شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد للّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل اللّه ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر فيها أول مرة على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا». مسلم ١٨٣.

(٤) الجسر بفتح الجيم وكسرها وهو الصراط.

(٥) مدحضة مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضوع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(٦) الخطاطيف والكلاليب: جمع خطاف وكلوب أو كلاب. والخطاف حديدة حجناء أي معوجة، والكلوب أيضاً حديدة معطوفة الرأس.

(٧) الحسكة: شوكة صلبة معروفة.

(٨) مفلطحة: أي عريضة.

(٩) عقيفة: أي ملوية كالصنارة.

(١٠) كالطرف: أي أنه يمر بسرعة الطرْف، وهو إطباق الجفن على الجفن.

جهنم[١] **حتى يمر آخرهم يسحب سحباً، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبيَّن لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم**[٢] **يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون**[٣] **معنا، فيقول اللّه تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرِّم اللَّه صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا»**، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

« فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا[٤] **فيلقون في نهر بأفواه الجنة في حميل السيل**[٥]**، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جنب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدَّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه »** متفق عليه[٦].

---

(١) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكدس ويسقط في جهنم مكدوس في النار أو مدفوع.

(٢) أي العصاة الذين سقطوا في النار.

(٣) وفي رواية: ويحجون.

(٤) امتحشوا: أي احترقوا.

(٥) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين وغيره.

(٦) الفتح ١٧ / ١٩٨، ومسلم ١٨٣.

حديث الصراط والشفاعة (الحديث الثاني)

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال أناس يا رسول اللَّه، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه السحاب**»؟ قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع اللَّه الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت**[١]**، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللَّه في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه في الصورة التي يعرفون** (أي الصفة التي يعرفون)، **فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب**[٢] **جسر جهنم**»، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فأكون أول من يجوز ودعاء الرسل يومئذ اللّهم سلّم سلّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان**[٣]**، أما رأيتم شوك السعدان؟ غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق**[٤]

---

(١) الطواغيت: جمع طاغوت وهو كل ما عبد من دون اللَّه تعالى.

(٢) أي يمد الصراط على جهنم.

(٣) السعدان: نبت مستدير يكون بحجم الأظفر وله شوك معقوف من كل الجوانب.

(٤) الموبق: أي المهلك.

بعمله ومنهم المخردل[١] ثم ينجو، حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرّم اللَّه على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتُحِشوا، فيصب عليهم الماء، يقال له: ماء الحياة فينبتون نبات الحبَّة في حَميل السيل، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبني ريحها[٢] وأحرقني ذكاؤها[٣]، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو اللَّه فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره! فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قرّبني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فلا يزال يدعو، فيقول: لعلّي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره! فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي للَّه ما يشاء من عهد وميثاق أن لا يسأله غيره فيقرِّبه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء اللَّه أن يسكت ثم قال: ربِّ أدخلني الجنة، ثم يقول: أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا ربِّ! لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تمنّ من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تمنّ من كذا، فيتمنى حتى تنقطع به الأماني، فيقول: هذا لك ومثله معه». قال

(١) المخردل: أي المقطع بالكلاليب.
(٢) قشبني: أي سمَّني وآذاني وأهلكني.
(٣) ذكاؤها: أي لهبها وشدة وهجها.

أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً.. قال عطاء: وأبو سعيد جالس مع أبي هريرة لا يغيِّر عليه شيئاً من حديثه حتى انتهى إلى قوله: «**هذا لك ومثله معه**». قال أبو سعيد: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: هذا لك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: حفظت «**مثله معه**». متفق عليه[1].

(١) الفتح ١٤/ ٢٣١، ومسلم ١٨٢.

الخاتمة

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأشكره على ما أنعم عليَّ من نعمة عظيمة فأتممت بها هذا الجزء من الموسوعة.. وأرجو اللَّه سبحانه أن أكون قد أحسنت في جميع فِقراته وقدَّمت فيها ما يرضيه من الحق والصواب.. ولقد عملت بفضل اللَّه كل جهدي في أن تكون الفقرات والمواد المقدمة في هذا الجزء صحيحةً ومتكاملة وبيِّنة وواضحة وسهلة القراءة والفَهم.

.. ولقد قرأتم كم كانت المواقف مهيبة ومخيفة ومفزعة، وكم كنا بأمسِّ الحاجة إلى الشفاعة وأولها شفاعة الحبيب المصطفى ﷺ.

فالشفاعة هي من أهم وأعظم الأمور يوم القيامة، ولولا أن يأذن اللَّه سبحانه بها لكان الناس يعيشون هماً عظيماً مقيماً لا يفارقهم ولكن رحمة اللَّه سبحانه بالمؤمنين أوسع وأشمل وأعم.

... وأمام هذه المواطن الرهيبة، ما علينا إلا أن نعمل لها في الدنيا ونستعد بالعمل الصالح والطاعات والقربات إلى اللَّه سبحانه، وقد بيَّنَّا في أجزاءٍ سابقة ما للأعمال الفاضلة من أثر عظيم في كل موطن من مواطن الآخرة، فالصلاة والصيام والحج والزكاة والصدقات والمعروف والبر والتقوى والعدل وقراءة القرآن الكريم وإيتاء النوافل ومحبة اللَّه ورسوله والمؤمنين، كل واحدة منها تعز صاحبها في يوم لا ينفع مال ولا جاه ولا سلطان ولا مقام عز في الدنيا، فقد خاب من حمل ظلماً، ونجح وأفلح كل من جاء بكتابه مليئاً بالخير والحسنات والقربات.

. . . فالدنيا دار امتحان وابتلاء من أجل الآخرة، ويخطئ من يظن أنها دار السعادة. . بل هي محطة عبور للآخرة، وقد شبَّهها رسول اللَّه ﷺ برجل استظل في ظل شجرة ثم ارتحل.

. . . وأمام حقائق الآخرة علينا أن نعتبر وأن نعمل للآخرة عملها، وعلينا أن نتنافس في الطاعات ليكون لنا المقام الأمين عند رب العالمين، فالدنيا لا تعدل عند اللَّه جناح بعوضة، ولو يؤاخذ اللَّه الناس بأعمالهم لما ترك عليها من دابة تسعى. . نعمل ونعمل حتى لا تعترضنا الحسرة ولا يؤلمنا الندم، في يوم لو افتدى الكافر والظالم بملء الأرض ذهباً لَمَا تُقُبِّل منه. . . في هذا الجزء قدّمت ما استطعت ولكن من واقع الضعف الإنساني وقلة علم البشرية، فأرجو من اللَّه أن يسامحني بما أخطأت، وأن يأجرني بما أصبت، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة وفي ميزان حسنات كل من عمل على إخراج هذه الموسوعة وسعى في نشرها وطبعها وتوزيعها، ونصح الناس باقتنائها وقدّم لها وأعانني فيها ـ وصدق اللَّه سبحانه إذ يقول:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

واللَّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللَّه والحمد للَّه رب العالمين.

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف
ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنَّة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ + ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللَّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخاري.

٣ ـ صحيح مسلم.

٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان. .

٥ ـ مسند الإمام أحمد.

٦ ـ سنن التِّرمذي.

٧ ـ سنن ابن ماجهْ.

٨ ـ سنن النَّسائي.

٩ ـ صحيح ابن حِبان.

١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.

١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.

١٢ ـ سنن أبي داود.

١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.

١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.

١٦ ـ المستدرَك للحاكم.

١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جَرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر ـ دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفَرَج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

سلسلة

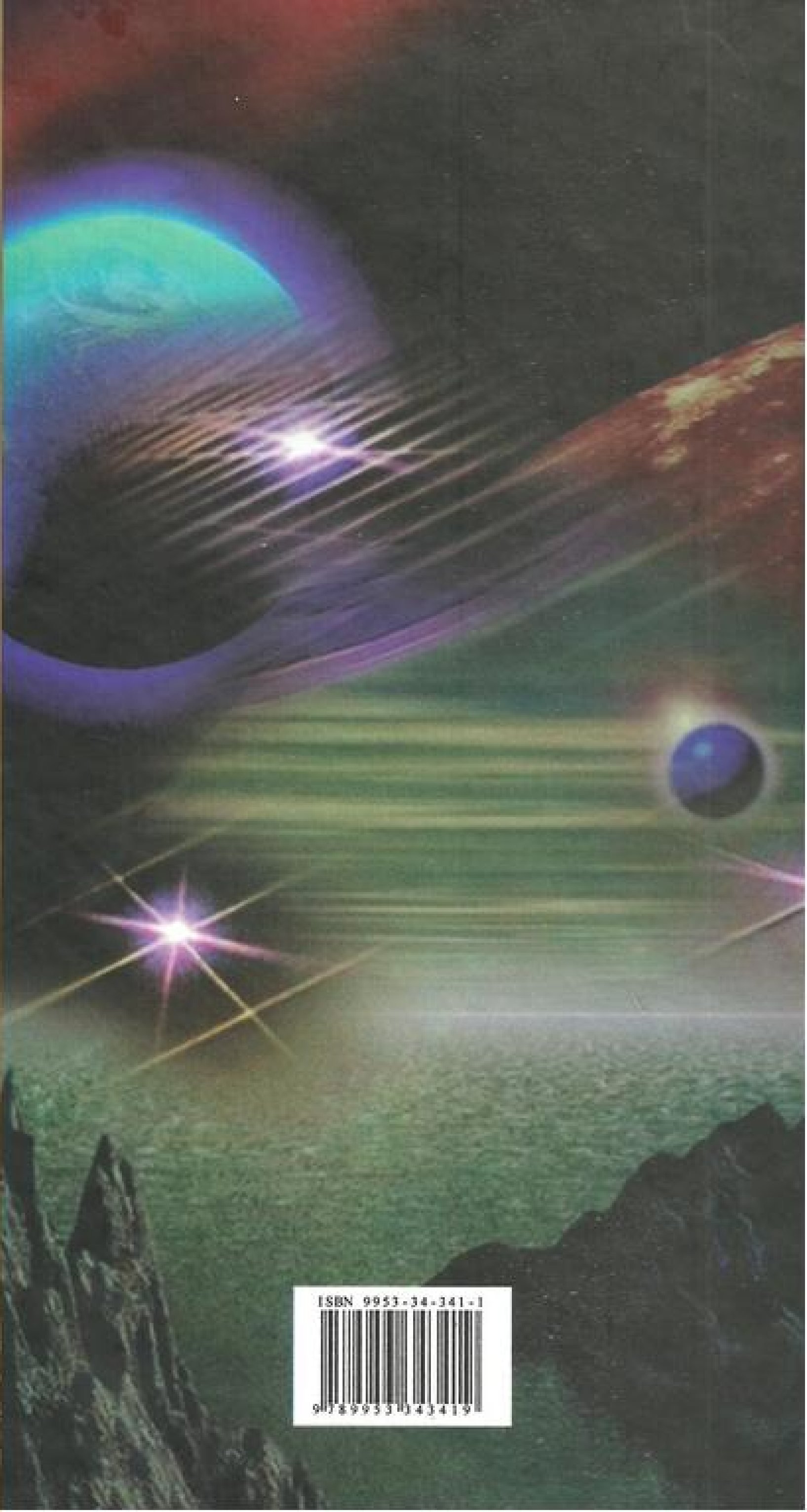
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

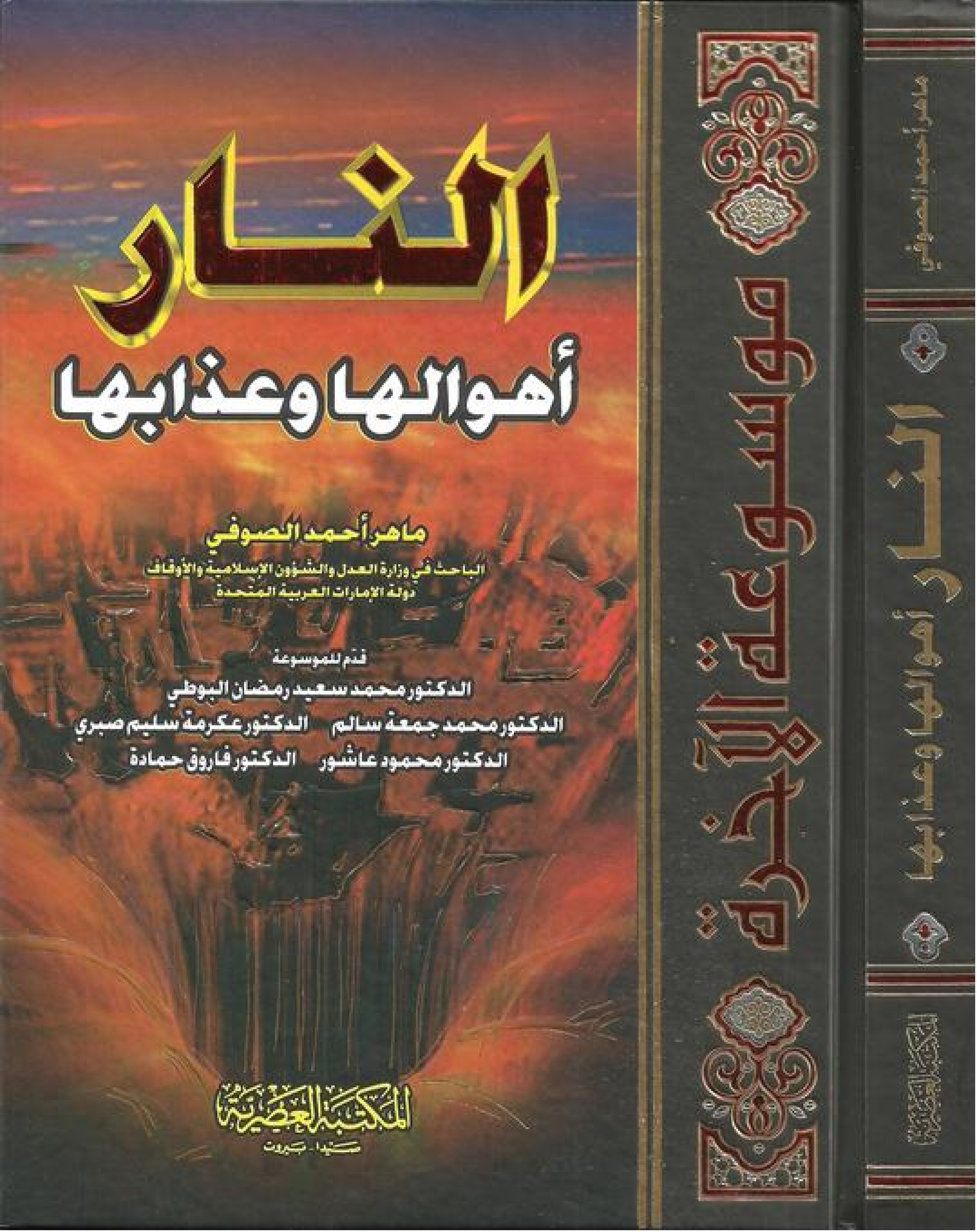
أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-341-1


النار
أهوالها وعذابها
ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة
قدم للموسوعة
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
الدكتور محمد جمعة سالم
الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور
الدكتور فاروق حمادة
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت
موسوعة الآخرة
النار أهوالها وعذابها
ماهر أحمد الصوفي
المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

النار
أهوالها وعذابها

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-340-3

بسم الله الرحمن الرحيم

قدَّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء
سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى

٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى

٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ

٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة

٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور

٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر
الحوض ـ الشفاعة العظمى

٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه

٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ
أنواع الشفاعات

٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها

١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ * وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤ ـ ٦٨]

ويقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

ويقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

حديث شريف :

ـ عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**».

[متفق عليه]

ـ وزاد مسلم عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة مريم، الآية: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا.

[رواه مسلم رقم الحديث ٢٨٤٩]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة**».

[رواه البخاري]

ـ عن النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشِراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً**».

[رواه مسلم رقم الحديث ٢١٣]

الإهــداء

وهبت عملي. . . .

إلى اللَّه تعالى. . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات، القائلِ في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾.

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ:

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بَدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا. . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده. . .

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه. . .

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة. . فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكوُن سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الفرق كبير عندما يتكلم الإنسان عن الجنان ونعيمها وقصورها وحورها وبين أن يتكلم عن النار وأهوالها.. ويقف الكاتب مرات عديدة ويستعيذ باللَّه كلما مرت عليه آية من آيات النار، أو آية من آيات جهنم وعذابهما.. وكلما كتبت أتخيل نفسي وأقول: إنني أو غيري لا يحتمل في هذه الدنيا ناراً تخرج من عود ثِقاب وهو أضعف ما يكون من النار.. فكيف يكون الحديث عن نار جهنم وما فيها من الأهوال العظام.

... فالناس لاهون عن حساب ربهم، ومنهم معترض، ومنهم من هو في غفلة ومنهم مَنْ يتناسى، ومنهم مَنْ لا يحاول أن يذكر مثل هذا الأمر من عذاب جهنم ولا يحب أن يذكر أمامه.

يقول تعالى:

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١]

... والذي يقرأ أجزاء الموسوعة الثمانية، يدرك تماماً مدى خطورة أمر اللاهية قلوبهم، والذين لا يحفلون بيوم القيامة الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة على الكافرين والمشركين والمنافقين، بما فيه من الأهوال والشدائد وعظائم الأمور، التي لا تحتملها نفس ولا يقدر عليها مخلوق مهما عظم أمر خلقه وخلقته.. فقد مر معنا أهوال قيام الساعة وأهوال الحشر والنشور، وأهوال الوقوف في أرض المحشر والشمس تدنو من رؤوس العباد قدر مِيل، فيغطهم العرق حتى يصل ببعضهم إلى

أذنيه، ويغط بعضهم فيلجمه إلجاماً، والناس يستغيثون، ويصرخون، ويستجيرون، ولا مجيب للكافرين والمشركين والمنافقين وأهل المعاصي والكبائر من أمة محمد ﷺ، وبعد الشفاعة، شفاعةِ رسول اللَّه ﷺ يأذن اللَّه بالعرض عليه وحساب الخلائق.. تصوَّر نفسك وأنت بين يدي اللَّه سبحانه يحاسبك ويقررك على ذنوبك.. تصوَّر الكافر والمشرك والمنافق وأهل الكبائر وهم يقفون بين يدي اللَّه سبحانه.

وليس من كافر أو مشرك أو عاص إلا ويعَضُّ يديه ندماً وحسرة على ما فرط في جنب اللَّه.. ولكن لات ساعة مندم.. وقد أنذرهم اللَّه سبحانه في الدنيا.. وليس هذا فحسب ولكنهم يتمنون لو تُسوَّى بهم الأرض، وكذلك أصحاب الكبائر فإن أعمالهم تكون عليهم حسرات، والندم يقطّع أفئدتهم على ما فرطوا في جنب اللَّه ولم يطيعوه ولم يقدموا ما عليهم من فرائضَ وواجباتٍ... ذلك لما يرون ما أنعم اللَّه سبحانه به على المؤمنين من نعم العز والكرامة، وأظلهم في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

... إن موقف المهانة والذِّلة بكل أشكالهما هي حال الكافرين والمشركين والمنافقين والعصاة، ومنذ اللحظة الأولى لنفخة البعث، وفي أرض المحشر، وعند العرض على اللَّه سبحانه، حيث يخرج لهم عنق من النار له زفير وشهيق، يجثو حتى الرسل على ركبهم، يقول كل منهم: اللهم نفسي نفسي، من الخوف والفزع ورهبة الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٩]

وبعد الحساب من اللَّه سبحانه لكل الأمم فرداً، فرداً، يؤمر بالكافرين والمشركين فيتبعون ما كانوا يعبدون من دون اللَّه، ثم

يتساقطون في نار جهنم أمة أمة، كلما ألقي بأمة لعنت الأمة التي سبقتها الأمة التي لحقتها.

يقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

ثم يؤمر بالمؤمنين ومعهم المنافقون والعصاة من أمة محمد، بعد أن يضرب على جهنم الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف، فيعبرون عليه، فيمر المؤمنون الصادقون الصالحون كالبرق وكالريح وأجاويد الخيل، والماشي، وتبدأ الخطاطيف والشوك تلتقف المنافقين والعصاة من أمة محمد ﷺ وأهل الكبائر، ثم تهوي بهم في نار جهنم.

... نعم في نار جهنم وإنها الطامة الكبرى.. وأي منا يتحمل تلك النار وما فيها، والتي وصفها الله سبحانه بأن وقودها الناس والحجارة.

يقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

... فإذا استقر الكافرون والمشركون والمنافقون في نار جهنم بدأت النار معهم رحلة الأبد التي لا تنتهي، وبدأ صراخهم وعويلهم وبكاؤهم، ولا من مجيب ولا شفيع لهم، ويظلون على حال البكاء والعويل والاستنجاد حتى يأتيهم الجواب على لسان مالك خازن النار بأمر من ربه، إنكم ماكثون في النار لا خروج لكم منها خالدون فيها

وإلى أبد الآبدين لا يفتر عنكم العذاب وأنتم فيها خالدون.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيات: ٧٤ ـ ٧٨]

... وحقيقة الأمر أن الناس لن يدركوا حقيقة النار وجهنم إلا أن يروْها عِياناً، فيومئذٍ سيعلمون ما أعدَّ اللَّه سبحانه للمجرمين من الكافرين والمشركين من سوء المآل والمصير.

... إن كلمة خالدون فيها أي في النار لا يسع تفسيرها مجلداتٌ، لأن الأمر جِدٌّ خطير وأليم ومهين ودائم... وكل هذا العذاب والألم، معهما زيادة: أنه لا يفتر عنهم كما في الآية الكريمة: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ... ﴾.. فالعامل إذا عمل يستريح بعدها وينام ليأخذ قسطاً من الراحة ثم يستأنف عمله، أما في جهنم فلا راحة و﴿ لَا يُفَتَّرُ ﴾ ولا استراحة ولا تخفيف ولو لبعض من ساعات أو دقائق أو ثوانٍ، مع أنه في جهنم لا أيام ولا وقت ولا ساعة ولا دقيقة فالزمن خالد.. إنما نعبِّر بما نفهمه في الدنيا..

فهذه صفات أهل النار: خلودَ، مهانة، ذل، لهم فيها عذاب أليم وعذاب عظيم، لا يفتر عنهم العذاب، وما هم بخارجين منها كما في قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٢٠]

. . . من يقرأْ هذا الجزء من الموسوعة (النار أهوالها وعذابها)، يدركْ تماماً كيف أن اللَّه سبحانه صابر في الدنيا على الكافرين والمشركين والعصاة، لأن اللَّه سبحانه يعلم ما أعدَّ لهم من عذاب عظيم فيه الخلود والمهانة والذل، وما اللَّه بغافل عما يعمل الظالمون. . ولكن يمدهم في طغيانهم ويرزقهم من المال والبنين ليزدادوا إثماً وظلماً.

يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٢]

ومع هذا الجزء من الموسوعة لنقرأْ عن النار وأهوالها وجهنم والسعير، وما أعدَّ اللَّه للَّذِين استكبروا عن عبادته وأبوا إلا أن يشركوا باللَّه ويكفروا.

. . . وكذلك ما أعدَّ اللَّه سبحانه للمنافقين والعصاة وأهل الكبائر الذين آثروا متع الدنيا، واستكبروا أيضاً عن طاعة اللَّه وماتوا على غير طاعة وعبادة اللَّه وظلموا واعتدوا.

مع هذا الجزء عسى أن تكون قراءته حافزاً لنا للعودة إلى اللَّه سبحانه وإلى طريقه المستقيم.

الفصل الأول

أحوال المنافقين والعصاة بعد الحساب

- مدخل .
- حديث الصراط .
- أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط .
- إخراج عصاة المؤمنين من النار على اختلاف في المدة وإدخالهم الجنة .
- آخر الناس دخولاً الجنة .
- النار جزاء العمل .
- الرسل وإنذارهم أقوامهم النارَ وعذابها .
- هل النار والجنة مخلوقتان؟؟
- الرد على شبهة من قال : النار لم تخلق بعد .
- عرض الأمم على النار وهم في أرض المحشر .

أحوال المنافقين والعصاة بعد الحساب

مدخل:

الناس يوم القيامة على ثلاث حالات في مجمل القول، ولكل حالة من هذه الحالات درجات كثيرة وتفاوت بين الناس.

.. **فالحالة الأولى** من الناس: هم المؤمنون السابقون الأوائل والمؤمنون من أصحاب اليمين ـ فهؤلاء يدخلون الجنة ويمرون على الصراط قبل دخولهم الجنة، وهم على حالات: فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمشي على قدميه، ومنهم من يزحف على بطنه.. ولكن في النهاية هم ناجون.

.. **والحالة الثانية** من الناس: هم الكافرون والمشركون على اختلاف عقائدهم ومللهم ونِحَلهم.. فهؤلاء ليس لهم مرور على الصراط وإنما يساقون إلى جهنم زمَراً يتقدمهم من كانوا يعبدونه ويقدسونه في الدنيا.. وعندما يقتربون من النار يتساقطون فيها جماعات جماعات، كلما جاءت جماعة أو أمة لعنت أختها حتى يدّاركوا فيها جميعاً، وهؤلاء هم خالدون في النار خلود الأبد، وما هم بخارجين منها وما لهم من شافعين.

.. **وأما الحالة الثالثة**: فهم المنافقون والعصاة وأهل الكبائر من هذه الأمة أمة محمد ﷺ أمة الإسلام.. فهؤلاء لا يدخلون النار مع الكافرين والمشركين.. ولكن يعبرون الصراط مع المؤمنين... ولا

يكونون من الفئات الناجية، الذين يمرون على الصراط كما تقدم كمر البرق والريح وأجاويد الخيل.. بل تتخطفهم الأشواك والخطاطيف التي وضعها اللَّه سبحانه على جانبي الصراط، وهي التي تقوم بعملية سحبهم وخطفهم من على الصراط بقدر نفاقهم وذنوبهم، وترميهم في النار بأمر اللَّه سبحانه، فأما المنافقون فهم خالدون في النار وفي الدرك الأسفل منها، وأما العصاة وأهل الكبائر من هذه الأمة.. فهم ليسوا على حالة واحدة بل هم حالات كثيرة، ومدة مكثهم في النار على حالات كثيرة أيضاً كل حسب عمله وما اقترف من الذنوب والمعاصي، فكما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض وجهنم درجات بعضها تحت بعض... كذلك أهل المعاصي درجات، كل حسب ما اقترفت يداه من معاصٍ وذنوب وفواحش وآثامٍ وكبائرَ ومات على هذه الذنوب والكبائر ولم يتب منها، فاستوجبوا النارَ من فعلها وإصرارهم عليها.. ولكنهم لم يكونوا مشركين ولا كافرين ولا منافقين، إنما استجرَّهم الشيطان ونفوسُهم الفاجرة إلى ارتكاب تلك المعاصي وترك الفرائض واتباع الشهوات، ولكن لم ينكروا التوحيد وشهادة أنْ لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، ولم يبطنوا الكفر ويظهروا الإيمان، ولم يحاربوا اللَّه سبحانه ورسوله، وكذلك لم يكونوا حرباً على المسلمين وما كانوا أعداء لهم.

لو تاب أهل المعاصي في الدنيا واستثمروا رحمة اللَّه تعالى لما استوجبوا النار وَهَوَوْا من على الصراط

... وكذلك هم على حالات كثيرة في ارتكابهم للمعاصي والكبائر.. فمنهم من كان صاحب كبيرة واحدة، ومنهم صاحب كبيرتين، ومنهم صاحب ثلاث كبائر وأربع وخمس وست، ومنهم من

يكون من أصحاب الموبقات السبع التي ذكرها رسول اللّه ﷺ التي توبق صاحبها في النار قطعاً وحتماً، منها السحر وقتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

. . . ومنهم من كان يظلم الناس، ومنهم من كان يأكل حقوقهم، ومنهم المعتدي والمتكبر والجائر في الحكم، والذي كذب على رسول اللّه ﷺ والمصوِّرون والذين يركَنون للظالم. . . وكثير من الآثام التي تغضب اللّه سبحانه، فهؤلاء يمكثون في النار كل بحسب ما جاء به وما كتب عليه في صحيفته المكلَّف بها ملكان من ملائكة اللّه سبحانه. . واللّه سبحانه لا يظلم مقدار حبة من خردل ولا مقدار ذرة واحدة، فمن يقدم مثقال ذرة خيراً سيراها أمامه يوم القيامة، ومن يقدم مثقال ذرة من شر سيراها أمامه يوم القيامة.

. . . وهؤلاء الذين يسقطون في النار من أمة محمد ﷺ وهم يعبرون الصراط، أولئك الذين ازدادت سيئاتهم على حسناتهم، أمّا أهل الأعراف فتشملهم رحمة اللّه سبحانه فيما بعد، وأما من زادت حسناته ولو بحسنة واحدة علىٰ سيئاته فسيدخل الجنة بإذن اللّه تعالى.

. . . وفي نوعية الحساب عند اللّه سبحانه غاية الكمال والعدل الإلٰهي.

فالحسنة بعشرة أمثالها في أي عمل تقدمه طالما أنت مؤمن ومسلم، واللّه سبحانه يضاعف أضعافاً كثيرة لمن شاء وهو أرحم الراحمين. . والسيئة بواحدة ولا تزيد. . ولم يأت في القرآن الكريم

ولا عن رسول اللّٰه ﷺ بأن السيئة بعشر سيئات، واللّٰه سبحانه يزيد إذا شاء أضعافاً، لا كما يكون من أمر السيئة الواحدة، بل هي واحدة لا تزيد وذلك من واقع رحمته وعفوه وعدله بخلقه.

تصوَّر رحمة اللّٰه سبحانه بعباده حتى بالعصاة من أمة الإسلام، وتصوَّر أن الذين زادت سيئاتهم على حسناتهم التي تضاعف بعشرة أمثالها، كم ارتكبوا من الذنوب والمعاصي والكبائر حتى زادت سيئاتهم على حسناتهم؟

وتصوَّر أيضاً مغفرة اللّٰه وسَعة عفوه، وهو الذي وصف نفسه بأنه الغفور الرحيم وأنه الغفار.. وبعد كل عفوه ومغفرته لأهل المعاصي جاء أحدهم يوم القيامة بسيئات تزيد على حسناته؟ وتصوَّر كم كان مذنباً في الحياة الدنيا؟ وتصوَّر كم عصى اللّٰه سبحانه في الدنيا وارتكب من الفواحش والآثام؟

... إن رحمة اللّٰه سبحانه لا يقاربها شيء، ولا يدانيها شيء، وما يهلِك على اللّٰه إلا هالك... ولو أن أحداً من هؤلاء الذين استوجبوا النار بمعاصيهم استجاب لِلّٰه سبحانه في الدنيا وتاب إليه لوجد اللّٰه توّاباً رحيماً غفوراً شكوراً.

يقول تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

فلما استوجب النار وهوى من على الصراط، فمعنى ذلك أنه لم يتب ولم يغتنم سعة رحمة اللّٰه في الدنيا.. فاللّٰه سبحانه لا يظلم أحداً من خلقه.. وكم دعا اللّٰه سبحانه عباده إلى التوبة في الدنيا وجعل

لهم باب التوبة مفتوحاً لا يغلق حتى تشرق الشمس من مغربها، ولا يغلقه على عبده في الدنيا طالما أنه لم يغرغر، أي لم تصل الروح عند خروجها إلى حلقه، وهي آخر مرحلة للإنسان في حياته، تصوَّروا رحمة اللَّه! وتصوَّروا من هوى من فوق الصراط وسقط في النار، كم كان مقصراً في حق ربه ومقصراً ومجحفاً بحق نفسه فأوردها الهلاك والنار!!

حديث الصراط

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قلنا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون[١] في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟**». قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**»، ثم قال: «**ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل إلٰه مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بر أو فاجر وغبرات[٢] من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزيراً ابن اللَّه، قال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقيَنا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقيَنا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بَر وفاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم[٣]، وإنا**

---

(١) تضارون: رويت بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو غيرها لخفائه، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضر، وهو الضرر.

(٢) غبرات: أي بقاياهم جمع غابر.

(٣) أي فارقناهم في الدنيا لما زاغوا مع احتياجنا لهم ولزمنا طاعته سبحانه، فهم يتضرعون إلى اللَّه سبحانه أن يكشف هذه الشدة عنهم.

سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا ـ وفي رواية عند البخاري[١] ـ فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ـ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً[٢]، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم»[٣]، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر[٤]؟ قال: «**مدحضة مزلة[٥] عليه خطاطيف وكلاليب[٦] وحسكة[٧] مفلطحة[٨] لها شوكة عقيفة[٩] تكون**

---

(١) الفتح ١٧/ ١٩٧.

(٢) الطبق: فَقار الظهر، أي صار فقاره واحداً، كالصفيحة لا يقدر على السجود لله تعالى.

(٣) وفي رواية عند مسلم قال: «قال: فما تنظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر فيها أول مرة على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا» . مسلم ١٨٣.

(٤) الجسر بفتح الجيم وكسرها وهو الصراط.

(٥) مدحضة مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضِع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(٦) الخطاطيف والكلاليب: جمع خُطّاف وكلوب أو كُلّاب. والخطاف حديدةٌ حجناء أي معوجة، والكلوب أيضاً حديدة معطوفة الرأس.

(٧) الحسكة: شوكة صُلبة معروفة.

(٨) مفلطحة: أي عريضة.

(٩) عقيفة: أي ملوية كالصِّنارة.

بنجدٍ يقال لها السعدان، يمرُّ المؤمن عليه كالطرف[1] وكالبرق وكالرياح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم[2] حتى يمر آخرهم يسحب سحباً، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبيَّن لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم[3] يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون[4] معنا، فيقول اللَّه تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرِّم اللَّه صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرَفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا»، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا[5]، فيلقون في نهر بأفواه الجنة في حَميل السيل[6]، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة

---

(١) كالطرف: أي أنه يمر بسرعة الطرْف، وهو إطباق الجفن على الجفن.

(٢) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكدس ويسقط في جهنم مكدوس في النار أو مدفوع.

(٣) أي العصاة الذين سقطوا في النار.

(٤) وفي رواية: ويحجون.

(٥) امتحشوا: أي احترقوا.

(٦) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين وغيره.

إلى جنب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيضَ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدَّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه».

[متفق عليه](١)

---

(١) الفتح ١٧/١٩٨، ومسلم ١٨٣.

أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط

أحوال المؤمنين في عبورهم الصراط تختلف باختلاف درجات إيمانهم وأعمالهم ونفقاتهم ومعاصيهم وكبائرهم.. فمنهم السالم الذي يمر مرَّ الريح فينجو، ومنهم من يخدش ثم ينجو، ومنهم الهالك الذي تتخطفه الكلاليب ثم يهوي في جهنم.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه في حديث طويل قال فيه ﷺ: «**ثم يُضرب الصراط بين ظهرانَي جهنم**»[١]. وفي رواية: «**ويضرب جسر جهنم** (أي الصراط) **فأكون أولَ من يجوز**[٢] **من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل**[٣]**، وكلام الرسل يومئذٍ اللهم سَلِّم سَلِّم**[٤]**، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللّه تعالى تخطَف**[٥] **الناس بأعمالهم**»[٦].

---

(١) والمعنى أن الصراط يُنصَبُ ويمدّ بين ظهراني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محيطة به.

(٢) أي يقطعه ويمضي عليه، يقال: جاز الوادي وأجازه قطعه. حكاه النووي وغيره.

(٣) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل، وذلك لشدة الهول وعظم الفزع. أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً، ويلوم بعضهم بعضاً، ويجادل بعضهم بعضاً.

(٤) وهذا الدعاء من الرسل هو لأمتهم شفقة عليهم ورحمة بهم.

(٥) جمع خُطَّاف، وهي حديدة يختطف بها.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثم يُضرَب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ويقولون: اللهم سلِّم سلّم**».

قيل: يا رسول اللَّه، وما الجسر؟

فقال ﷺ: «**دحض مزلة، فيه خطاطيف، وكلاليب[1]، وحسك تكون بنجدٍ فيها شويكة يقال لها: السعدان[2]، فيمر المؤمن كطرْف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب.**

فناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوش[3] مرسل، ومكدوس[4] في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدَّ مناشدة للَّه تعالى في استقصاء الحق من المؤمنين للَّه يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار.

يقولون: ربنا كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا مَنْ عرفتم فتحرَّم صُورهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار بعضهم إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه»[5].

يقول الإمام النووي رضي اللَّه عنه في تفسيره للحديث الشريف:

إن الناس على الصراط ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يسلَّم فلا يناله شيء أصلاً.

٢ ـ وقسم يُخدش ثم يُرسل فيخلص.

٣ ـ وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم.

---

(١) جمع كلوب: حديدة معكوفة الرأس يعلق فيها، ويقال لها: الكُلّاب.

(٢) قال الزرقاني: السعدان بفتح السين والدال بينهما عين ساكنة مهملة. سعدان جمع سعدانة: نبات ذو شوك والتشبيه به لسرعة اختطافه وكثرة الانتشاب فيها.

(٣) أي مخموش ممزَّق.

(٤) أي يلقى بعضهم فوق بعض في جهنم.

(٥) رواه مسلم في صحيحه.

فالمؤمنون الصادقون يمرون على الصراط وهم في أمان وسلام، يضيء لهم نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة ويسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

ـ عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**بشّر المشّائين في الظّلم إلى المساجد بالنور التّام يوم القيامة**».

[رواه ابن ماجهْ وابن خزيمة في صحيحه والحاكم واللفظ له].

فحال كل مؤمن على الصراط أنه يمشي على نور إيمانه الشامل في العمل والاعتقاد والقول، وتكون قوة النور على قدر قوة إيمانهم.

ـ وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول:

«**من المؤمنين مَنْ يضيء نوره من المدينة إلى عَدَن أبين، وصنعاء، فدون ذلك حتى إن من المؤمنين مَن يضيء نوره موضع قدميه**»(١).

ـ روى ابن أبي حاتِم وابن جرير عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط: منهم مَنْ نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل

---

(١) تفسير ابن كثير.

النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَن نوره في إبهامه يتَّقد مرة ويُطفأ مرة.

- وروى الحاكم عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: « **الصراط كحدِّ السيف، دحضَ مزلّة، قال: فيمرّون على قدر نورهم، فمنهم مَنْ يمرّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرّ كالطرْف، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كشدِّ الرجل ويرمُل رَمَلاً، فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدميه تخرّ يد وتعلق يد، وتخرّ رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار** »[(١)].

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم واللفظ له.

إخراج عصاة المؤمنين من النار على اختلاف في المدة وإدخالهم الجنة

عندما يستفتح رسول اللَّه ﷺ باب الجنة، يدخل معه المؤمنون الجنة وينال كل واحد منهم درجته ومنزلته بحسب ما قدَّم من عمل... وعندما يتم دخول جميع المؤمنين، يبقى عصاة المؤمنين في النار وتبدأ الشفاعة فيهم.. من رسول اللَّه ﷺ ومن المؤمنين الذين يأذن اللَّه سبحانه لهم بالشفاعة لمن يعرفونه وقد غلبت عليه سيئاته فدخل في النار... وبعد أن تنتهي الشفاعة تكون رحمة اللَّه سبحانه بخلقه وهو أعلم بهم جميعاً يغفر لمن يشاء ويعذِّب من يشاء.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أمّا أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال: بخطاياهم) فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبُثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حَميل السيل**»[(١)].

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم، حتى يدخلوا الجنة**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة (١/ ١٧٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٧٨).

عن عمران بن حُصين رضي اللَّه عنهما: عن النبيﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بشفاعة محمدﷺ، فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين**»[١] .

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بعدما مسَّهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين**»[٢] .

وقد سمّاهم أهل الجنة بالجهنميين، ذلك أنهم خرجوا ربما بعد طول مكث في النار، فتكون لهم علامة واللَّه أعلم، لذلك سماهم أهل الجنة بالجهنميين لأنهم هم الذين يرشون عليهم من ماء الجنة بعد أن يخرجوا من النار.

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن النبيﷺ قال: « **ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير مثقال شَعيرة، فيجعلون بفِناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء، حتى ينبتوا نبات الشيء في حَميل السيل ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها**»[٣] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّهﷺ: « **حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد، وأراد لِأَن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئاً، ممن أراد اللَّه أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا اللَّه، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه، كما تنبت الحِبَّة في حَميل السيل**»[٤] . امتحشوا: احترقوا.

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).
(٢) رواه البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).
(٣) صحيح مسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة.
(٤) صحيح مسلم، باب كتاب الإيمان رقم الحديث (١٧٢).

وقد ورد في أكثر من حديث أن اللَّه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان، بل يخرج أقواماً لم يعملوا خيراً قط، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُدخل اللَّه أهل الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه**»[1].

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه ما يزن بُرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**»[2]. والأحاديث في هذا كثيرة.

آخر الناس دخولاً الجنة:

يأتي وقت في الآخرة تغلق فيه أبواب الجنة، وأبواب النار، ومن الطبيعي أن هناك رجلاً لا بد أن يكون آخرَ من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة.. ولقد حدّثنا رسول اللَّه ﷺ عن قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة.

... ولعظيم رحمة اللَّه سبحانه، ينال هذا الرجل من الإكرام والنعيم ما يفوق الخيال والتصور حتى إن الرجل ذاته يتعجب مما يعطيه اللَّه سبحانه ويظن أن ربه (حاشىٰ للَّه ذلك) يهزأ به عندما يعطيه من رحمته وكرمه.

... وفي جامع الأصول **جمع ابن الأثير** روايات هذا الحديث.

---

(١) صحيح مسلم ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين (١/ ١٧٢).

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٨٢.

في صحيح مسلم: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج منها زحفاً، فيقال له: انطلق فادخلِ الجنة، قال: فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمنَّ، فيتمنى، فيقال له: لك ما تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول: أتسخر مني وأنت الملك؟** قال: فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه»(١).

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثل الدنيا، وعشرة أمثالها؛ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي ـ أو تضحك بي ـ وأنت الملك؟** قال: فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»(٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة: رجل صرف اللَّه وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل، فقال: أي رب، قرِّبني من هذه الشجرة لأكون في ظلها . .**» وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود، ولم يذكر: فيقول: يا ابن آدم، ما يَصْريني منك؟ إلى آخر الحديث.

وزاد فيه: «**ويُذكِّره اللَّه، سل كذا وكذا، فإذا انقطعت منه الأماني، قال اللَّه: هو لك وعشرة أمثاله**»، قال: «**ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان: الحمد للَّه الذي**

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٨٦) ومسلم برقم (١٨٦) والترمذي برقم (٢٥٩٨).
(٢) رواه البخاري ومسلم، جامع الأصول (١٠/ ٥٥٣).

أحياك لنا، وأحيانا لك»، قال: «فيقول: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت»(١).

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منكِ، لقد أعطاني اللَّه شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: يا رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلِّها، وأشرب من مائها، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، قال: وربه عزّ وجلّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلِّها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلِّها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهدُ أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، وهي أحسن من الأُوليين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلِّها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى، يا رب، لا أسألك غيرها، وربه عزّ وجلّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا دنا منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب، أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يَصريني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟» فضحك

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٨) باب أدنى أهل الجنة منزلة.

ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول اللَّه؟ فقال: «**من ضِحْك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر**»[١].

ـ يَصْريني: المعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٧) باب آخر أهل النار خروجاً.

النار جزاء العمل

إن القلم ليعجِز عن ذكر صفات النار وأهوالها وأحدنا لا يستطيع أن يصف حريقاً في مكان ما وعلى مِساحة لا تزيد عن مِائة متر طولاً وعرضاً، لأنك لا تستطيع الاقتراب فيبقى وصفك ناقصاً.. فإذا نظرت إلى نار الحريق من بُعد، كأنك لا ترى إلا النار وهي تأكل بعضها بعضاً وتأكل ما تحتها وما عن يمينها وشمالها وتأكل ما فوقها.

... ثم انظر إلى حريق صغير في منزل أو مصنع أو مزرعة ثم انظر إلى رجال الإطفاء كم عددهم؟ وكم سيارة إطفاء مجهزة ومخصصة لإطفاء الحريق؟.. ومع كلٍّ تلك التجهيزات فإن الوقت الذي يحتاجه رجال الإطفاء ومعدَّاتهم المطورة ساعاتٌ، وربما ساعاتٌ طوالٌ لإطفاء الحريق.

... أو انظر إلى حريق في غابة، والجهود الجبارة التي تبذل وأعداد رجال الإطفاء والآليات الكثيرة والأيام الطويلة التي تبذل في إطفائه، وقد ينجحون وقد يفشلون وقد يستمر الحريق لأشهر طويلة.

هذا في الدنيا وفي جزء صغير ومكان ما من الأرض، ونار الدنيا كما جاء في الحديث الشريف لا تتجاوز حرارتها واحداً من سبعينَ من نار جهنم.

وفي البخاري ومسلم أن رسول اللّه ﷺ قال:

«**ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**»، قيل: يا رسول اللّه، إن كانت لكافية، قال: «**فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها**»[١].

وما شمسنا التي تشع علينا بضوئها وحرارتها، والتي قال عنها

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

علماء الفلك: إن لها ألسنةً من اللهب تخرج منها تصل إلى خمسة عشر ألف كم ومن جميع اتجاهاتها، وإلا كيف يصل ضوؤها وتصل حرارتها إلى الأرض؟.. والأرض تبعد عنها ٩٤ مِليون ميل.. هذه الشمس على عظيم أمرها والتي تبلغ في حجمها ١,٣٠٠ مِليوناً وثلاثمائة ألف مرة حجم الأرض، ما هي ومعها القمر إلا ثوران مكوَّران يقبعان في زاوية من زوايا جهنم.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«الشمس والقمر ثوران مكوَّران في النار يوم القيامة»[(١)].

فتصوَّر النار، وتصوَّر جهنم، وتصوَّر النار التي في جهنم، وتصوَّر من كانت منزلَه ومستقره ونهايته؟!

.. فإذا كانت هذه الشمس تكوَّر وترمى فيها فكم أمرها عظيم؟ وإذا كان مقعد الكافر فيها كما بين مكة والمدينة أي ما يزيد عن ٤٠٠ كم فكم حجمها؟ وتصوَّر سكانها وأعدادهم الهائلة، وكلهم في النار التي تأكل جلودهم ثم يبدلهم اللَّه جلوداً غيرها، وهكذا بلا نهاية؟

... لقد وصف اللَّه سبحانه في كتابه الكريم الساعة وأمر قيام الساعة وأهوالها، وهي بالنسبة إلىٰ أمرِ جهنّم لا تشكل شيئاً يذكر، ومع ذلك لنسمع ما قال تعالى عن قيام الساعة.

يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١، ٢]

---

(١) رواه البيهقي في البعث والنشور، ورواه البزار بإسناد صحيح على شرط البخاري، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٢٤).

يقول سبحانه: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وكلمة عظيم عند اللَّه سبحانه غير كلمة (عظيم) بمفهوم الإنسان، فأي هول بسيط أو أمر صغير قد نقول عنه: أمر عظيم...

... رسول اللَّه ﷺ يقول في بعض أحاديثه الشريفة: لو أن قطرة من الزقوم نزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم.

ـ عن عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٢]

قال ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قَطَرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامَه**»(١).

فاللَّه سبحانه وحده هو أعلم بجهنم وبنار جهنم وبالسعير وسقر والحطمة وغيرها، وأعلم بحال أهلها وما يكون من أمرهم.. لذلك لا وصف لها إلا ما وصفه اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ، ولا ذكر لها إلا ما ذكره اللَّه ورسولُه ﷺ، فاللَّه سبحانه خالق النار فهو أعلم بقوة حرّها وبخزنتها، ومما توقد، وبمَ تسعَّر فلا تنطفئ أبد الآبدين.

... في الدنيا مهما كان الحريق ضخماً وعظيماً حتى لو كان في غابة شاسعة ممتدة الأطراف فيها ملايين الأشجار، فلا بد من يوم تطفأ فيه النار لانتهاء المادة التي تشعلها وتزيد من أُوارها كالشجر والزرع... ولكن النار في جهنم لا تطفأ ولا يخف أُوارها بل يزداد على الدوام. يقول تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٩٧].

... وتصوَّر أن وقود النار المستمر هو (الناس) ومعهم

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٩٢) وقال حسن صحيح وصححه الألباني.

الحجارة ـ فالناس في جهنم جزء من جزأين من وقود النار ـ الناس والحجارة.

يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

[سورة التحريم، الآية: ٦]

. . . نعم الناس الكفرة بأعدادهم الهائلة وعظيم أجسادهم التي تُضخَّم، فهي مِنْ لحم وشحم يذوبان ويشتعلان مرات كثيرة لا نهاية لها، فيزيد من حر النار واشتعالها وزيادة لهيبها.

. . . إن تصوّر النار، والناس يشتعلون فيها وكلما نضِجت جلودهم بدلهم اللّه جلوداً غيرها وعلى الدوام وبلا نهاية، لأمر يعجِز العقل عن التفكير فيه أو تخيله أو تصوّره، وكيف يكون هذا بلا نهاية وعبر آلاف بل مليارات ومليارات السنين؟

. . . وإن قلت هذا للكافرين وأن ما ينتظرهم من العذاب أليمٌ وخالد لقالوا:

كما قال اللّه تعالى:

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٢٥]

. . . وإن قلت: إن وعد اللّه حق لقالوا:

كما قال اللّه تعالى:

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآية: ٨٣]

وإن قلت لهم: اتقوا اللّه واتقوا الساعة والبعث والحساب والنار لقالوا:

كما يقول تعالى:

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٤]

وكما يقول تعالى:

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٣٥]

الرسل وإنذارهم
أقوامهم النارَ وعذابها

يقول تعالى:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٣٩]

. . . ما أرسل اللّه سبحانه من رسول ولا نبي إلا أنذر قومه جهنم وعذاب النار تماماً مثلما بشّرهم بالجنة ونعيمها.

فالتبشير والإنذار أمران متلازمان في دعوة القرآن الكريم وكذلك أحاديث رسول اللّه ﷺ .

كما قال اللّه سبحانه لسيدنا محمد ﷺ :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١١٩]

ويقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ .

[سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦]

. . . ولقد جعل اللّه سبحانه هذا الأمر ومنذ أهبط آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض ترغيباً وترهيباً.

يقول تعالى:

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمۡ يَحۡزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . .

[سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩]

وما من نبي أرسله اللَّه سبحانه، ومنذ آدمَ ونوحٍ عليهما السلام إلا بشَّر الناس إن أطاعوا اللَّه ورسله بجنات لهم فيها نعيم مقيم، وإن لم يطيعوا اللَّه ورسوله أنذرهم بالنار خالدين فيها أبداً.

يقول تعالى:

﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآيتان: ٤٨، ٤٩]

ويقول تعالى:

﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٥٦]

. . . وهذا نبي اللَّه سبحانه نوح ينذر قومه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ * قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ .

[سورة نوح، الآيتان: ١، ٢]

وهذا نبي اللَّه سبحانه هودٌ عليه السلام ينذر قومه (عاداً) عذاباً شديداً.

يقول تعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٢١]

وهذا نبي اللَّه صالح إذ أنذر قومه ثمودَ ولكنهم كذبوه.

يقول تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

[سورة الشعراء، الآيات: ١٤١ ـ ١٤٤]

ولقد بيّن اللَّه سبحانه لنا في القرآن الكريم أن هؤلاء الذين استحقوا النار يوم القيامة أنذروا عن طريق رسلهم مراتٍ كثيرةً، ولكنهم أبوا ورضُوا بالكفر طريقاً وبالضلال منهجاً.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٩]

ولقد بيّن اللَّه سبحانه في كتابه أن أهل النار جاءهم في الدنيا رسل كثيرون، وكلما جاءهم رسول لينذرهم ازدادوا نفوراً.

يقول تعالى:

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٤٢]

وكذلك بيّن اللَّه سبحانه أنه ما جاء في أمة رسولٌ إلا قال مترفوها أي أصحاب النار يوم القيامة: إنا وجدنا آباءنا على عبادة تلك الأصنام ونحن لها عابدون.

يقول تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٢٣]

فاللَّه سبحانه لا يظلم أحداً، ولا يظلم حتى أهلَ النار، فقد جاءهم الأنبياء والمرسلون وهدوهم إلى الإيمان باللَّه واليوم الآخر وأن يعملوا صالحاً، ولكنهم أبوا وأصروا وعاندوا واستكبروا.. فالنار إنما استحقوها بكفرهم وعنادهم واستكبارهم، وما اللَّه بظلام للعبيد.

هل النار والجنة مخلوقتان؟؟

النار والجنة مخلوقتان وهذا ما أكّدته الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ـ **أمّا عن الجنة** ـ:

فيقول تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

ويقول تعالى:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

ويقول تعالى:

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٨٩]

وأما عن النار:

فيقول تعالى:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣١]

ويقول تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤]

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٤]

□ ومما يؤكِّد وجود الجنة وأنها مخلوقة ومجهزة: أن اللَّه سبحانه ذكرها في كتابه عندما عَرَج بنبيه محمد ﷺ فوصل إلى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى.

يقول تعالى:

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ١٢ ـ ١٨]

وهذه الآيات الكريمة تدل دلالة قطعية على أن النار والجنة مخلوقتان، فالدنيا وما فيها تبع للآخرة وما فيها، فالدنيا دار الامتحان والآخرة دار الاستقرار، سواء أفي الجنة أم في النار، وقد وصف اللَّه سبحانه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة أنها متاع قليل.

يقول تعالى:

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٣٨]

ولقد أكَّدت السنّة النبوية المطهرة أن النار والجنة مخلوقتان، ودليل ذلك أحاديث رسول اللَّه ﷺ في هذا الخصوص.

□ في «الصحيحين» من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مَقْعدك حتى يبعثك اللَّه يوم القيامة**».

وتقدم حديث البَرَاء بن عازب وفيه: «**ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها**».

□ وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: خَسفت الشمس على عهد رسول اللَّه ﷺ، فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول اللَّه ﷺ: «**رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني آخذ قِطْفاً من الجنة حين رأيتموني تقدّمت، ولقد رأيت النار يَحْطِم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت**».

□ وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس: «**وأيم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً**». قالوا: وما رأيت يا رسول اللَّه؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**».

□ وفي «الموطأ والسنن»، من حديث كعب بن مالك، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طيرٌ يَعْلَقُ**: (يأكل ويرعى) **في شجر الجنة، حتى يَرْجعه اللَّه إلى جسده يوم القيامة**». وهذا صريح في دخول الروح إلى الجنة قبل يوم القيامة، وهي بشرى عظيمة لكل مؤمن ومؤمنة.

□ وفي «الصحيحين»، واللفظ للبخاري، عن عبد اللَّه بن عباس، قال: انخسفت الشمس على عهد رسول اللَّه ﷺ، فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول اللَّه رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: «**إني رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت في الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط**

أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء»، قالوا: بم، يا رسول اللَّه؟ قال: «بكفرهن»، قيل: أيكفرن باللَّه؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كلَّه، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط».

□ وفي سنن الترمذي وأبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك، من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لما خلق اللَّه الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد اللَّه لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحُفَّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد.

قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد فيدخلَها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجوَ منها أحد إلا دخلها» ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

قال الطحاوي في العقيدة الطحاوية: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن اللَّه تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدَّران على العباد».

وقال محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية في شرحه لهذا النص:

أما قوله: «**إن الجنة والنار مخلوقتان**»، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما اللَّه يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلُهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله اللَّه، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبِّهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطِّلة. وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عَبَث، لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة. فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضلّلوا وبدّعوا من خالف شريعتهم.

ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على أنهما مخلوقتان، فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾، وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في «الصحيحين»، ومن حديث أنس رضي اللَّه عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: «**ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[1].

وفي فتح الباري:

بيّن أن البخاري عقد باباً في صحيحه قال فيه:

باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة وقد أوردت في هذا

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٥ ـ ٤٧٨.

الباب أحاديثَ كثيرةً تبيِّن وتدل على أن الجنة مخلوقة وكذلك النار، وفيها الحديث الذي ينص على رؤية رسول اللَّه ﷺ لقصرٍ لعمرَ بن الخطاب في الجنة، وفيها الحديث الذي ينص على أن اللَّه سبحانه يُري الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجنة أو النار ـ وكذلك حديث رسول اللَّه ﷺ، وفيه اطّلاعه ﷺ على الجنة والنار[1].

(١) فتح الباري (٦/ ٣١٧ ـ ٣٢٠).

الرد على شبهة من قال النار لم تخلق بعد

لقد رأيت أن من أفضل الرد على شبهة من قال: النار لم تخلق بعد ما قاله شارح الطحاوية:

وأما شبهة من قال: إنها لم تخلق بعد وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٥]

وقد روى الترمذي في جامعه، من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غِرَاسها سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر**» وهو مروي في الصحيحين. وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من قال: سبحان اللَّه وبحمده، غرست له نخلة في الجنة**» سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن

لهذا الغراس معنى. قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت:

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ١١]

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم: إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد اللَّه فيها لأهلها، وأنها لا يزال اللَّه يُحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث اللَّه فيها عند دخولهم أموراً أخرى ـ فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر، وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

فأُتيتم من سوء فهمكم من الآية واحتجاجكم على عدم وجود الجنة والنار الآن ـ نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما!! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وُفّق لذلك أئمة الإسلام. فمن كلامهم: أن المراد ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مما كتب اللَّه عليه الفناء والهلاك ﴿هَالِكٌ﴾، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقفُ الجنة.

وقيل: المراد إلا ملكه. وقيل: إلا ما أريد به وجهه. وقيل: إن اللَّه تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٢٦]

فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء،

فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يذكر عن قريب، إن شاء اللّه تعالى[١].

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٧٩.

عرض الأمم على النار وهم في أرض المحشر

وبعد طول الموقف في أرض المحشر يأذن اللّه سبحانه بعرض الخلائق عليه للحساب.

وخلال هذا العرض على اللّه سبحانه يأمر اللّه سبحانه جهنم فَتُسعَّر، كما يأمر الجنة أن تزلف أي تتقرب من أهلها وأصحابها ووارثيها، وهم في حالة العرض على اللّه سبحانه. . . فإذا ما سُعِّرت النار. . . يأمر اللّه الملائكة الموكلين بالنار أن يخرجوا منها عنقاً يمر على أهل الموقف وعلى جميع الأمم.

يمر من فوقهم ومن تحتهم وعن أيمانهم وشمائلهم. . تلفح بِحرِّها الكافرين والمشركين والضالين، وتبتعد عن المؤمنين الموحدين المسلمين ولكنهم يرونها تمر أمامهم. . . فتصبح القلوب عند الحناجر ولولا أن اللّه سبحانه قضى أنَّهُ لا موت لمات كل من رأى هذه النار ولو من بعيد. . !

يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ .

[سورة الشورى، الآيتان: ٤٤، ٤٥]

في هذه الآيات الكريمة يبيِّن اللَّه سبحانه لنا كيف تعرض النار على أصحابها، وذلك قبل دخولهم فيها في جهنم... إنما يعرضهم اللَّه سبحانه على النار ويعرض النار عليهم في أكثر من موقف من المواقف الطويلة الرهيبة يوم القيامة على طوله، وأشدها عند العرض عليه. وهذا العرض إنما يكون عند انتظار الناس أن يبدأ اللَّه سبحانه فصل الحساب... ذلك حتى لا يُترك الكافرون والمشركون في راحة أبداً. ومنذ نفخة البعث والحشر في أرض الدنيا ثم الحشر على أرض المحشر بيومه الطويل الذي أسلفنا ذكره، والمواقف فيها ذلةٌ ومهانة، وعذاب للكافرين لا يطاق من اللَّه سبحانه إلى أولئك الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، فكفروا وأشركوا وضلوا وأضلوا وحاربوا المؤمنين بكل ما لديهم من وسائلَ وأساليبَ، ولقد تركهم اللَّه في الدنيا يسرحون ويلعبون ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

... أما اليوم فلا.. فالأمر يومئذ للَّه وحده... في هذه الأثناء يعرضون على النار.. وتسعر النار وتؤمر أن يُخرج منها شيء.

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ .

[سورة التكوير، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

فتسعر النار وتجيء وتقترب ويخرج منها الأهوال وتقرب من الكافرين، فيخرج منها عنق وأعناق فتمر من فوقهم كجبل أظلهم.

ويقول تعالى:

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۞ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ .

[سورة الفجر، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥]

□ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[١]، فإذا خرجت النار من جهنم على شكل زمام يجره الملائكة تتغيظ وتزفر من الكافرين، وتغيظها وزفيرها يُدخل على القلب رعباً لا يوصف.. ثم يزداد غضبها وغيظها على من أنكر وحدانية اللّه وشهادة لا إلٰه إلا اللّه.. فتشهق وهي تفور بأصوات مرعبة تزيد من الخوف والألم والحسرة.

يقول تعالى:

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٧]

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة.. باب في شدة حر جهنم رقم الحديث (٢٨٤٢).

فكيف تتصور حال الناس عندئذ؟ هذه المَشاهِد يراها الكافرون وأعوانهم، ويراها أيضاً المسلمون الموحدون وإن كانوا في مأمن منها ولكنهم يرونها.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق ويقول: إني وكلت بثلاثة: بمن دعا مع اللَّه إلٰهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصوِّرين**»(١)، ويعني بالمصوِّرين: الذين ينحتون التماثيل.

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج عنق من النار فيتكلم فيقول: وُكِّلْتُ اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع اللَّه إلٰهاً آخر، ومن قتل نفساً، فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم**»، رواه الإمام أحمد.

وأما قوله ﷺ: فيقذفهم في غمرات جهنم.. ليس القذف نهائياً، لأنهم في حالة عرض على اللَّه بل وراءه عودة وربما قذف كثير وعَود كثير حتى يدخلوا جهنم خالدين فيها أبداً.. والعلم عند اللَّه.

فهؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم رسول اللَّه ﷺ في الحديث، ينطوي عليهم العنق من النار وهم في موقف العرض على اللَّه فيلتقطهم من بين الخلائق لأن لهم سيما سواد الوجوه من الضلال والكفر والشرك ومعصية اللَّه سبحانه.

... تماماً كما يلتقط الطائر حب السِّمْسِم، وكما يلتقط العُقاب والنَّسر فريسته بعد أن يعاينها وهو في السماء فيهوي إليها بسرعة فيلتقطها دون أن يخطئها.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة جهنم رقم الحديث (٢٥٧٤).

كل هذا وما يراه الكافرون، إنما هو من وعد أجَّله اللَّه سبحانه لهم إلى هذا اليوم.

يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

ففي هذا الموطن الرهيب كل الأمم جاثية على ركبها، ومنهم أمة محمد ﷺ، لأنه في هذا الموطن لا بد أن تجتمع كل الأمم، لأن اللَّه سبحانه بعد هذا سيبدأ ويأْذن بفصل الحساب والقضاء، وأول ما يبدأ بمحاسبة الأمم كأمة مجتمعة ثم يتفرقون في الحساب فرادى.

.. فإذا خرج هذا العنق من النار الذي يسقط القلوب ويحرق النفوس ويدخل الرعب على أي كان من أهل الموقف حتى لو كانوا أنبياء ومرسلين... صحيح أنه لا يصيبهم منه شيء ولكن الإنسان إنسان، وما يراه بأم عينيه ويشاهده يدخل الرعب عليه، فلا يفكر الإنسان إلا بالنجاة ولو على حساب البشرية جمعاء.

قال عبد الرزاق: (حدّثنا مَعْمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: **إن جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خرَّ وتُرْعَد فرائصه، حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ويقول: ربِّ لا أسألك إلا نفسي**)(١).

.. نحن في الدنيا إذا سمعنا صوت رعد قوي أتبعه بَرق ثم أتبعه رعد بما يشبه الصاعقة، تطير قلوبنا فزعاً أو حدث زَلزال أو حريق أو هدم أو ما يشبه ذلك، كل ذلك على صغره وبساطته

---

(١) رواه عبد الرزاق وعبد بن حُميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٦/٢٣٩).

لا يشكل شيئاً يُذْكر ولا يقارَن بما سيحدث في الآخرة.. مع ذلك نمتلئ رعباً وتُرتعد فرائصنا ونسأل اللَّه سبحانه اللطف ونلحُّ في الدعاء.

أما ابن كثير في تفسيره فقد أوضح مثل هذه المواقف، فقال:

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ أي على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته حتى إنّ إبراهيم الخليل عليه السلام ليقول: « **لا أسألك اليوم إلا نفسي** »، وحتى إن عيسى عليه السلام ليقول: « **لا أسألك اليوم إلا نفسي** ».

[مختصر تفسير ابن كثير ص ٣١٢]

الفصل الثاني

صفات النار

مَدخل :

الصفة الأولى : أبواب النار .

الصفة الثانية : سرادق النار .

الصفة الثالثة : سَعة النار وبعد قعرها .

اتساع وعظم النار في كتاب كشف علوم الآخرة لأبي حامد الغزالي .

اتساع وعظم جهنم في كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي .

الصفة الرابعة : وَقود النار .

الصفة الخامسة : طبقات النار ودركاتها ودرجاتها .

الصفة السادسة : شدة حر النار وعظيم شرارها ودخانها .

الصفة السابعة : زيادة حر النار في جهنم على الدوام .

الصفة الثامنة : خزنة النار من الملائكة .

الصفة التاسعة : ظلمة النار وشدة سوادها وسواد وجوه أهلها .

الصفة العاشرة : تغيظ النار وزفيرها وشهيقها .

الصفة الحادية عشرة : أودية جهنم .

الصفة الثانية عشرة : جبال جهنم .

الصفة الثالثة عشرة : بقدرة اللّه سبحانه النار تتكلم وتبصر يوم القيامة .

الصفة الرابعة عشرة : مالك خازن النار واستغاثة أهل النار به .

صـــفـــات الـنـــار

صفات النار

مدخل:

لقد أعدَّ اللَّه سبحانه النار لمن يستحقها من أولئك الذين استكبروا في الأرض وتجبروا وطغوا وظلموا وكفروا وأشركوا ونافقوا ـ وماتوا على هذا الشرك والكفر والظلم والاستكبار.. ولو أنهم آمنوا وتابوا بعد شركهم وظلمهم وفسقهم وضلالهم قبل موتهم لوجدوا اللَّه تواباً رحيماً.

يقول تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيات: ٨٦ ـ ٨٩]

ومع كل جرائم هؤلاء الكفرة، فإن اللَّه سبحانه جعل لهم باب التوبة مفتوحاً، فإن تابوا وأصلحوا وجدوا اللَّه تواباً رحيماً.. ولكن الذين استحقوا النار، هم الذين لم يتوبوا وماتوا وهم كفار، ولم يغتنموا رحمة اللَّه سبحانه في الدنيا وقبولَ التوبة منهم.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٩١]

فتصوَّر رحمة اللَّه سبحانه حتى في أولئك الذين كفروا باللَّه ولم يؤمنوا به أن دعاهم للتوبة في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٨٩]

. . . فإن رحمة اللَّه وسعت كل خلقه الذين آمنوا وعملوا الصالحات والذين تابوا من بعد كفرهم وشركهم وظلمهم. . . وكم من الذين أمضَوا عمرهم في الكفر والمعاصي، ثم تابوا قبل يوم أو يومين من موتهم، فتاب عليهم أرحم الراحمين وغفر لهم الغفَّار الرحيم.

وأما من ماتوا على الكفر والمعصية ولم يتوبوا، فأولئك الذين ينتقم اللَّه سبحانه منهم يوم القيامة أشدَّ الانتقام وأعدَّ لهم جهنم خالدين فيها.

يقول تعالى:

﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٦]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠٢]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٤، ٦٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

[سورة الفتح، الآية: ٦]

... نعم إن اللّٰه سبحانه أعدَّ لهؤلاء الكفرة الفجرة ناراً لهم فيها عذاب مهين خالدين فيها أبداً.. وكيف لا يعدّ اللّٰه سبحانه لهم نار جهنم، وهم لم يستجيبوا لنداء اللّٰه سبحانه في كل كتبه السماوية التي أنزلها، وكذلك لرسله وأنبيائه الذين ما فتئوا مع أقوامهم يرشدونهم ويهدونهم ويدلّونهم على طريق اللّٰه سبحانه.. ولقد بذل الرسل مع أقوامهم كل وسيلة، وتحمَّلوا منهم العذاب والتكذيب والإهانة، ووصفَهم بأبشع الأوصاف. ويضرب اللّٰه لنا مثلاً نوحاً عليه السلام كم عانى مع قومه؟ وكم بذل معهم الوسائل في سبيل هدايتهم؟ فما أفلحت وسيلة واحدة معهم.

يقول تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾.

[سورة نوح، الآيات: ٥ ـ ١٠]

الصفة الأولى

أبواب النار

. . . إن للجنة أبواباً وللنار أبواباً. . ولا بدَّ أن يدخل أهل الجنة الجنة من أبوابها ولا بد أن يدخل أهل النار النار من أبوابها. . وهؤلاء أي أهل الجنة يُستقبَلون من الملائكة عند دخولهم الأبواب ومنها إلى الجنة. . وهؤلاء أي أهل النار يستقبلون من الملائكة عند دخولهم الأبواب ومنها إلى نار جهنم.

ولنقرأ في كتاب اللّه سبحانه كيف تستقبل الملائكة فريقاً من هؤلاء عند دخولهم الأبواب ـ وتصوَّر الفَرْقَ العظيم بين دخول أبواب الجنة ودخول أبواب النار.

يقول اللّه تعالى:

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ * قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ * وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ * وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ

ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآيات: ٦٩ ـ ٧٥]

فتصوَّر كيف يُستقبل كل فريق، وأدعو اللَّه سبحانه أن يجعلنا من الذين يساقون إلى الجنة، ونُسْتَقبَلُ أحسن استقبال عند الأبواب من ملائكة اللَّه سبحانه.

... وهذا يدل على أن للنار أبواباً كما أن للجنة أبواباً.

ذلك في قوله تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٢]

وكذلك في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧١]

ولقد ذكر اللَّه سبحانه لجهنم تحديداً أن لها سبعة أبواب وأن لكل باب من الكافرين جزءاً معلوماً واللَّه سبحانه أعلم بهم.

يقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

وفي **صفوة التفاسير** لمحمد علي الصابوني يقول في تفسير الآيتين الكريمتين: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي موعد إبليس وأتباعه أجمعين، ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾ أي لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها لكثرتهم، وروي عن علي رضي اللَّه عنه: إنها أطباق، طبق فوق طبق وإنها دركات بعضها أشدُّ من بعض، ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ أي لكل جماعة من أتباع إبليس باب معين معلوم. **وقال ابن كثير**: كلٌّ يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في دَرْك بحسب عمله[1].

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٦٨٤).

وفي تفسير ابن كثير يقول عن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

[سورة الحجر، الآيات: ٣٩ ـ ٤٤]

يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ أي لذرية آدم عليه السلام ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي أحبب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي كما أغويتني وقدرت عليَّ ذلك ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، كقوله: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال اللَّه تعالى له متهدداً ومتوعداً: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي مرجعكم إليَّ فأجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وقيل: طريق الحق مرجعها إلى اللَّه تعالى، وإليه تنتهي(١).

كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي الَّذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ استثناء منقطع، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، كما قال عن القرآن: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾، ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب(٢) لكل باب منهم جزء مقسوم أي قد كتب لكل

---

(١) قاله مجاهد والحسن وقتادة.

(٢) في اللباب: أخرج الثعلبي: أن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: **﴿وإن جهنم**=

باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه، أجارنا اللَّه منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر عمله، وعن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال: إن أبواب جهنم هكذا أطباق، بعضها فوق بعض.

وعن هبيرة عن أبي مريم عن علي رضي اللَّه عنه قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلئ كلها، **وقال عِكْرِمة**: سبعة أبواب أطباق، **وقال ابن جريج**: سبعة أبواب أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية[1]، **وقال قتادة**: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾: هي واللَّه منازل بأعمالهم، **وقال الترمذي**، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سلَّ السيف على أمتي ـ أو قال على أمة محمد**»[2]. وقال ابن أبي حاتم، عن سَمُرَة بن جندب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ قال: «**إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه، وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه، منازلهم بأعمالهم، فذلك قوله**: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾»[3]. وهكذا نتبيَّن أن أتباع إبليس (الشيطان) هم المقصود مِنْ قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أي إن اللَّه سبحانه سيجمعهم في جهنم باختلاف ألوان العذاب وباختلاف دخولهم الأبواب، وذلك بحسب

= **لموعدهم أجمعين**﴾ فرَّ ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل، فجيء به إلى النبي ﷺ؟ فقال: يا رسول اللَّه، أنزل اللَّه هذه الآية؟ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل اللَّه: ﴿**إن المتقين في جنات وعيون**﴾.

(١) روى الضحاك عن ابن عباس نحوه، وكذلك روي عن الأعمش.

(٢) رواه الترمذي وقال: لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مِغْول.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٣١٢) جزء (٣).

جرائمهم في الدنيا ـ فهناك عابد الأصنام، وهناك شارب الخمر، وهناك المرابي، وهناك لاعب الميسر، وهناك المجرم الذي حارب اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ، وهناك الذي آذى المسلمين وعمل على الفتك والإضرار بهم، وبيَّت لهم الشر وشجَّع على العدوان عليهم. . . كل ذلك بعلم اللَّه سبحانه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

[سورة مريم، الآية: ٧٠]

فكل جماعة لهم جريمة يجتمعون عليها، ولكل جماعة من المجرمين باب يدخلون منه مجتمعين. . .

. . . فالذين كانوا يجتمعون على معصية اللَّه سبحانه، ويعاقرون الخمر ويلعبون الميسر وهم أحبَّاء فيما بينهم، يتنادمون وهم أصدقاء، سيجمعهم اللَّه سبحانه يوم القيامة في نار جهنم، وسيجمعهم أعداءً يلعن بعضهم بعضاً.

يقول تعالى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٧]

ولقد سمَّى الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه اللَّه أبواب جهنم، وبيَّن أصحابها، وفسَّر معنى كل باب من الأبواب السبعة التي ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه العزيز:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

الباب الأول: يسمى **جهنم** لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذاباً من غيره.

الباب الثاني: يقال له: **لظى** ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾.

[سورة المعارج، الآيتان: ١٥، ١٦]

يقول: أكلة اليدين والرجلين تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء به محمد ﷺ.

الباب الثالث: يقال له: **سقر**، وإنما سمّي سقرَ لأنه يأكل اللحم دون العظم.

الباب الرابع: يقال له: **الحطمة**، فقد قال اللّه تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾.

[سورة الهمزة، الآيتان: ٥، ٦]

تحطم العظام وتحرقها وتحرق الأفئدة.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾.

[سورة الهمزة، الآية: ٧]

تأخذه النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترمي بشرر كالقصر كما قال تعالى:

﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾.

[سورة المرسلات، الآيتان: ٣٢، ٣٣]

يعني سوداً فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديَهم وأبدانهم فيكون الدمع حتى ينفَدَ. ثم يبكون الدماء، ثم يبكون القيح حتى ينفدَ القيح، حتى إن السفن لو أرسلت تجري فيما خرج من أعينهم لجرت.

الباب الخامس: يقال له: **الجحيم**، وإنما سمي جحيماً لأنه عظيم الجمرة، والجمرة الواحدة أعظم من الدنيا.

الباب السادس: يقال له: **السعير**، وإنما سمي السعيرَ؛ لأنه

يسعر بهم ولم يُطَأْ منذ خلق، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال، وفيه جُبُّ الحزن ليس في النار عذاب أشد منه، إذا فتح باب الحزن لأهل النار حزنوا حزناً شديداً.

الباب السابع: يقال له: **الهاوية**، من وقع فيه لم يخرج منه أبداً، وفيه بئر الهباب، وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

إذا فتح الهباب يخرج منه نار تستعيذ منه النار، وفيه: الذي قال عنه اللَّه تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

[سورة المدثر، الآية: ١٧]

وقيل الصعُود: هو جبل من نار يوضع أعداء اللَّه على وجوههم على ذلك الجبل مغلولة أيديهم إلى أعناقهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم، والزبانية وقوف على رؤوسهم، بأيديهم مقامع من حديد، إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان[١]. . . فإذا دَخل الذين كفروا بآيات اللَّه سبحانه وأشركوا وعصوا ونافقوا أبواب جهنم غُلّقت عليهم فلا أمل بخروجهم.

يقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾.

[سورة البلد، الآيتان: ١٩، ٢٠]

ويقول د. محمد وهبة الزحيلي في التفسير المنير في تفسير تلك الآيتين الكريمتين: أي الذين جحدوا بآياتنا التنزيلية والآيات الكونية الدالة على قدرتنا هم أصحاب الشمال وعليهم نار مُطبَقة

---

(١) كتاب الدار الآخرة ٢/ ٣٥٧، ٣٥٨. الشيخ محمد متولي الشعراوي.

مغلَّقة، وأصحاب الشمال هم أهل النار الشؤومة كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

ولقد ذكر اللَّه سبحانه للمقابلة والمقارنة والعظة أصحاب الشمال بعد أصحاب اليمين، والذين كفروا باللَّه وبالقرآن الكريم هم الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم، ومصيرهم إلى النار التي تطبق وتغلق أبوابها عليهم(١).

ولقد أوضح اللَّه سبحانه وبيّن لنا في كتابه الكريم صفة هذه الأبواب العظيمة أبواب جهنم في سورة الهُمَزة.

يقول تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ * كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾.

[سورة الهمزة، الآيات: ١ ـ ٩]

ويتوعَّد اللَّه سبحانه في هذه الآيات الكريمة من سورة الهمزة الكافرين الذين يجمعون الأموال ويعدِّدونها ويحسَبون أن أموالهم ستخلدهم في الدنيا وتُعِزُّهم، ولن ينالهم أي أذى بقوة ما يملكون من أموال. . . نعم يتوعَّدهم اللَّه سبحانه بأشدِّ أنواع العذاب في الحطمة التي تطلع على القلوب، والتي ستكون عليهم مغلقة مؤصدة في عمد وأبواب ممددة طويلة جداً مشدودة.

يقول ابن كثير في تفسير سورة الهمزة:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ *

---

(١) التفسير المنير صفحة (٢٥٤) جزء (٢٩، ٣٠).

كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ .

الهمَّاز بالقول، واللمَّاز بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص مِنْهم، قال ابن عباس: ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ طعّان مِعياب، وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه، وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليدين والعين، واللمزة باللسان؛ ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق)، وقال مجاهد: هي عامة، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾ أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ ، قال محمد بن كعب: ألهاه ماله بالنهار، فإذا كان الليل فهو نائم كأنه جيفة منتنة، وقوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ أي يظن أن جمعه المالَ يخلده في هذه الدار، ﴿ كَلَّا ﴾ أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، ثم قال تعالى: ﴿ لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ أي ليلقين هذا الذي جمع مالاً فعدَّده. ﴿ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ وهي اسم من أسماء النار، لأنها تحطم من فيها ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ .

قال ثابت البُناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، وقال محمد ابن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلَغَ فؤادُهُ حذوَ حلقه ترجع على جسده، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد. وقوله تعالى: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أي عمد من حديد.

وقال السدي: من نار، قال ابن عباس: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ يعني الأبواب هي الممددة، وعنه: أدخلهم في عمد ممددة عليهم

بعماد، في أعناقهم السلاسل، فسدّت بها الأبواب[١].

وقال قتادة: كنا نُحدَّث أنهم يعذبون بعَمَد في النار، واختاره ابن جرير.

وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ يعني القيود الثقال[٢].

يقول الصابوني في تفسير سورة (الهمزة) (صفوة التفاسير):

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

التفسير: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي عذاب شديد وهلاك ودمار، لكل من يعيب الناس ويغتابهم ويطعُن في أعراضهم، أو يلمزهم سراً بعينه أو حاجبه، قال المفسرون: نزلت السورة في «الأخنس بن شريق» لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، يلمزهم ويعيبهم مقبلين ومدبرين، والحكم عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٣].

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي الذي جمع مالاً كثيراً وأحصاه، وحافظ على عدده لئلا ينقص فمنعه من الخيرات، قال الطبري: أي أحصى عدده ولم ينفقه في سبيل اللّه، ولم يؤد حق اللّه فيه ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه[٤] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي يظن هذا الجاهل لفرط غفلته أن ماله سيتركه مخلداً في الدنيا لا يموت ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا

---

(١) هذه رواية العوفي عن ابن عباس والأولى رواية عكرمة عنه.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٦٧٥) جزء (٣).

(٣) انظر القرطبي ٣٠/ ١٨٣. والرازي ٣١/ ٩١.

(٤) تفسير الطبري ٣٠/ ١٨٩.

﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾ تفخيم وتهويل لشأنها؛ أي وما الذي أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة؟ إنها الحطمة التي تحطم العظام وتأكل اللحوم، حتى تهجم على القلوب، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي هي نار اللَّه المسعَّرة بأمره تعالى وإرادته، ليست كسائر النيران فإنها لا تخمُدُ أبداً، وفي الحديث: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضَّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء عظيمة**»[١]. ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب فتحرقها. قال **القرطبي**: وخصَّ الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فإنهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فهم إذاً أحياء في معنى الأموات[٢].

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي إن جهنم مطبقة مغلقة عليهم، لا يدخل إليهم رَوْح ولا ريحان، ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي وهم موثوقون في سلاسل وأغلال، تشدُّ بها أيديهم وأرجلهم بعد إطباق أبواب جهنم عليهم، فقد يئسوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم، وتمدّد العمد إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية[٣].

ولقد ذكر رسول اللَّه ﷺ هذه الأبواب في أحاديثه الشريفة:

□ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سلَّ سيفه على أمتي**»[٤].

□ عن عتبة بن عيد السلمي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٥.

(٣) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، صفحة (١٧٢١).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه.

«إن للجنة ثمانيةَ أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض»[١]. وهذا يدل على أن من أعظم الجرائم التي يعاقب عليها اللَّه سبحانه الاعتداء على الإسلام والمسلمين وكتاب اللَّه سبحانه ونبيّه ﷺ. . . ولقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ أن أبواب النار تغلق في شهر رمضان الكريم إكراماً لهذا الشهر الكريم الذي أنزل فيه القرآن العظيم، ومن رحمة اللَّه سبحانه يفتح أبواب الجنة. . . وهذا دليل على عظيم أمر هذا الشهر وقبول التوبة فيه والعمل الصالح.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا كان أول ليلة من رمضان صفّدت الشياطين ومردة الجن وأغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب»[٢].

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفّدت الشياطين ومردة الجن»[٣].

بُعْدُ أبواب النار بعضها عن بعض:

□ عن أبي رَزين العقيبي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«لَعَمْرُ إلٰهك إن للنار سبعة أبواب، ما منهن بابان إلا ويسير الراكب بينهما سبعين عاماً»**[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الحاكم والطبراني وعبد اللَّه بن الإمام أحمد وابن أبي عاصم.

الصفة الثانية

سرادق النار

يقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وفي تفسير (السرادق) لغةً، يقول **الزجّاج**: السُرادق كل ما أحاط بشيء نحو ـ الشقة في المضرب ـ والحائط المشتمل على الشيء، وقال **ابن قتيبة**: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾: أي أحاط بهم عذاب كأنه سرادق أو خيمة ضربت عليهم.

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **« سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة »**(١).. ومعنى (كثف) الواردة في الحديث الشريف: (غلظة أو ثخانة).

□ وإحاطة السرادق بالظالمين الكافرين المشركين شبيه بما ذكرنا في غلق أبواب جهنم على الكافرين والمشركين.. وكذلك شبه قول من قال: إن السرادق حائط لا باب له.

... ولما كان إحاطة السرادق بهم موجباً لهمهم وكربهم وغمهم وعطشهم لشدة وهج النار المحيطة بهم قال تعالى بعد ذكر: ﴿ سُرَادِقُهَاۚ ﴾:

---

(١) رواه الترمذي.

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ .

ذلك أن النار المغلقة والمحاطة بجُدُر ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ تزداد في حرِّها ولهيبها وقوة اشتعالها.

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة يقول أصحابها في الآية الكريمة: إنَّا أعددنا وهيَّأنا للظالمين الكافرين ناراً عظيمة، أحاطت بهم من كل جانب كإحاطة الخيمة أو الفسطاط بمن تحته، وإن يستغيثوا من شدة العطش، يغاثوا بماء كعَكَر[١] الزيت، أو الشيء المذاب من المعادن كالنُّحاس والرَّصاص يشوي الوجوه من شدة حرارته بئس الشراب المهل هو، وساءت النار مقراً ونزلاً.

وفي تفسير ابن كثير: في قوله تعالى: ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ أي سورها، وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لسرادق النار أربعة جدر، كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة**»[٢]. **وقال ابن عباس**: ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ قال: حائط من نار.

وقال الصابوني: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ أي هيأنا للكافرين باللَّه ورسوله ناراً حامية شديدة أحاط بهم سورها كإحاطة السور بالمعصم.

ومن جميع التفاسير نتبيَّن عظيم ما ينتظر الكافرين والمشركين من صنوف العذاب وألوانه، مع الإهانة والذل من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون اللَّه سبحانه، سخَّرهم اللَّه سبحانه بصور ووجوه، اللَّهُ سبحانه أعلم بها اكتمالاً لصفة ﴿ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ .

وهؤلاء هم الذين افتروا على اللَّه سبحانه وكذبوا الرسل وعادوْا

---

(١) العَكَر: الرواسب من كل شيء.

(٢) رواه أحمد والترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره.

المؤمنين وآذوهم أشدَّ الإيذاء، عبر تاريخ طويل من رسالات اللّه سبحانه للبشرية، عن طريق كتبه ورسله، ولقد أقسم اللّه سبحانه في أكثر من آية كريمة على عذاب هؤلاء وعلى إحضارهم حول جهنم وهم يجثون على ركبهم، بل وعدهم بأنه سيحشرهم مع الشياطين.

وما السرادق المذكور في الآية الكريمة: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ إلا لوناً من ألوان العذاب الذي خصَّه اللّه سبحانه للعُتُلِّ المتجبرين من الكفرة المجرمين في الأرض والذين لم يرعوا حرمة اللّه سبحانه، وما قدروا اللّه حق قدره، وما أعطوا لعقولهم وأفكارهم حقها في التفكير في طاعة اللّه ووحدانيته جلّ جلاله، بل قهروا النفس الطيبة التي خلقها اللّه سبحانه في الإنسان، وشاركوا الشياطين التمرد والرفض والكفر فما ظهر من نفوسهم إلا الفجور ولذلك سماهم اللّه سبحانه: ﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ لشدة فجورهم وإيذائهم واعتدائهم وتجرئهم على اللّه سبحانه.

الصفة الثالثة

سَعة النار وبُعْدُ قعرها

□ **عظيم سعة النار:**

النار التي أعدَّها اللَّه سبحانه للكافرين والمشركين والمنافقين شاسعة واسعة مترامية الأطراف لا يعلم حقيقة سعتها إلا اللَّه سبحانه، وهي كذلك لأن مجلس الكافر الواحد منها كما بين مكة والمدينة. . . ذلك أن الكافر يضخم فيها حتى يصبح على هيئة عظيمة. . . فلقد صح في الحديث الشريف أن ضرس الكافر في نار جهنم كجبل أحد وأن جلده مسيرة ثلاثة أيام وكذلك ما بين منكبيه. . . إضافة إلى أن أهل جهنم كثيرون وأعدادهم هائلة.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ضرس الكافر ـ أو ناب الكافر ـ مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»[(١)].

. . . فإذا كانت هذه حالَ الكافر الواحد في جهنم فكم تكون سعَتها لتسع جميع الكفرة على عظيم أجسادهم واتساع مقعد الواحد منهم؟

. . . ومما يدل على عظيم اتساعها وبُعْد قعرها ومِساحتها الشاسعة، أن اللَّه سبحانه وبعد أن يُدخل فيها أهل النار وتُضَخَّم أجسادهم على ما أسلفنا يسألها اللَّه سبحانه: هل امتلأتِ؟

(١) رواه مسلم برقم (٢١٨٩).

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٠]

أي إن جهنم لعظيم سعتها وبُعْد قعرها تطلب المزيد من الخلائق لأن فيها متسعاً بَعْدُ، يسع الكثير من الخلائق.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال في احتجاج الجنة والنار... إن اللَّه تعالى يقول للنار: «**إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله ـ وفي رواية حتى يضع اللَّه تبارك وتعالى رجله ـ فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللَّه من خلقه أحداً**»(١).

□ عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتنزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط، قط، بعزتك وكرمك**»(٢).

... وممَّا يدل على عظيم اتِّساعها أنها تأتي يوم القيامة كما قال تعالى في محكم كتابه:

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢١ ـ ٢٣]

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ أي وأحضرت جهنم ليراها المجرمون كقوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾.

---

(١) رواه البخاري ومسلم، جامع الأصول (١٠/ ٥٤٤).

(٢) متفق عليه، مشكاة المصابيح (٣/ ١٠٩).

□ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »(١) وهؤلاء الملائكة الذين يجرّون زِمامَ النار لا يعلم قدر حجمهم ولا قوتهم إلا اللَّه سبحانه، ولقد تحدث رسول اللَّه ﷺ عن مَلَكٍ واحد من حملة العرش.

□ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:

« أذن لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة اللَّه من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعِمائة عام »(٢). فتصوَّر عظيم تلك النار التي تحتاج إلى هذا العدد العظيم من الملائكة والذين هم بعلم اللَّه قدرتهم وقوتهم وعظيم أجسادهم.

وذكر أبو حامد الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة تفسيراً للحديث النبوي الشريف.

اتساع وعظم جهنم في كتاب كشف علوم الآخرة لأبي حامد الغزالي

□ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »(٣).

وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة: أنهم يأتون بها تمشي على أربع قوائم وتقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، بيد كل واحد حلْقة لو جُمع حديد الدنيا كله ما عدل منها

---

(١) رواه مسلم ـ باب في شدة حر جهنم، رقم الحديث (٢٨٤٢)، ورواه الترمذي.

(٢) رواه أبو داود في سننه ورقم الحديث (٤٧٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢/ ٢٩) والترمذي (٢٥٧٣).

بحلقة واحدة، على كل حلقة سبعون ألف زابن (مَلَك)، لو طلب من أحدهم أن يدك الجبال لدكها، وأن يهد الأرض لهدها، وإنها إذا انفلتت من أيديهم لم يقدروا على إمساكها لعظم شأنها، فيجثو كل مَنْ في الموقف على الركب حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بالعرش. هذا قد نسي الذبيح، وهذا قد نسي هارون، وهذا قد نسي مريم عليها السلام، وكل واحد منهم يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها.

قال: وهو الأصح عندي، ومحمد ﷺ يقول: « **أمتي أمتي سلِّمها يا رب، ونجِّها يا رب** » ، وليس في الموقف من تحمله ركبتاه، وهو قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٢٨]

وعند تفلتها تكبو من الغيظ والحنق، وهو قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

أي تعظيماً لغيظها وحنقها، يقول اللّه تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٨]

أي تكاد تنشق من شدة غيظها، فيقوم رسول اللّه ﷺ بأمر اللّه تعالى ويأخذ بخِطامها ويقول: ارجعي مدحورة مدحورة إلى خَلْفِك حتى يأتيك أهلك أفواجاً. فتقول: خلِّ سبيلي فإنك يا محمد حرام عليَّ، فينادي منادٍ من سرادقات العرش اسمعي منه وأطيعي له، ثم تُجذب وتُجعل عن شمال العرش ويتحدث أهل الموقف بجذبها فيخفُّ وجلُهم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ١٧]

وهناك تُنصب الموازين.

اتساع وعظم جهنم في كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي

□ **قال القرطبي**: هذا يبيِّن لك ما قلناه: إن جهنم اسم علم لجميع النار. ومعنى يُؤتى بها يُجاء بها من المحل الذي خلقها اللَّه تعالى فيه فتُدار بأرض المحشر، حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم. والزمام: ما يُزم به الشيء أي يُشد ويُربط به وهذه الأزمَّة التي تُساق بها جهنم تمنع من خروجها من أرض المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء اللَّه بأخذه على ما تقدم، وتأتي، وملائكتها كما وصفهم اللَّه ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

□ **وقال العلماء**: إنما خُصَّ النبي بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء صلوات اللَّه عليهم، لأنه رآها في مسراه وعُرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح، قال: **وفي ذلك فوائد ثمانٍ**:

□ **الفائدة الأولى**: إن الكفار لما كانوا يستهزئون به ويكذبونه في قوله ويؤذونه أشد الأذى؛ أراه اللَّه النار التي أعدَّها للمستخفين به، فجعلها تنقاد لأمره تطييباً لقلبه وتسكيناً لفؤاده.

□ **الفائدة الثانية**: الإشارة في ذلك أن مَن طيَّب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة والانتقام، فالأولى أن يطيِّب قلبه في شأن أوليائه وأحبائه بالتحية والشفاعة والإكرام.

□ **الفائدة الثالثة**: ويحتمل أن عرضها عليه ليعلموا منَّة اللَّه تعالىٰ عليهم حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته.

□ **الفائدة الرابعة**: ويحتمل أن عرضها عليه ليكون في القيامة إذا

قال سائر الأنبياء: نفسي نفسي، فيقول نبينا محمد ﷺ: **أمتي أمتي** وذلك حين تُسجر جهنم، ولذلك أمر اللَّه عزّ وجلّ محمداً ﷺ، فقال جلّ من قائل: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

□ قال الحافظ أبو الخطاب: والحكمة في ذلك أن يفرغ إلى شفاعة أمته، ولو لم يؤمِّنْه لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء.

□ **الفائدة الخامسة**: إن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً منها، فإذا رأوها جَزِعوا وكفت ألسنتهم عن الشفاعة من هولها وشغلتهم أنفسهم عن أممهم، وأما نبينا محمد ﷺ فقد رأى جميع ذلك؛ فلا يفزع منه مثلما فزعوا ليقدر على الخطبة، وهو المقام المحمود الذي وعدَهُ ربه تبارك وتعالى في القرآن المجيد وثبت في صحيح السنة.

□ **الفائدة السادسة**: فيه دليل فقهي على أن الجنة والنار قد خُلقتا خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقهما، وهو يجري على ظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤]

والإعداد دليل الخلق والإيجاد.

□ **الفائدة السابعة**: ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خِسَّة الدنيا في جنب ما أراه، فيكونَ في الدنيا أزهد، وعلى شدائدها أصبرَ حتى يؤديه إلى الجنة، فقد قيل: حبذا محنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء وبؤساً لنعمة تُؤدي بصاحبها إلى البلاء.

□ **الفائدة الثامنة**: ويحتمل أن اللَّه تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها، ولما كان لإدريس عليه السلام كرامة الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة، أراد اللَّه تعالى أن يكون

ذلك لصفيهِ ونجيه، وأمينه على وحيه محمد ﷺ وكرم وعظم وبُجِّل ووقر، قال ذلك جميعَه الحافظُ بن دِحْيَة رضي اللَّه عنه في كتاب الابتهاج في أحاديث المعراج(١).

بُعد قعرها:

. . . وأمَّا ما جاء عن بُعد قعرها: إن الحجر العظيم إذا ألقي فيها فإنه يحتاج إلى سنوات طويلة للوصول إلى قعرها.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ، إذ سمعنا وجبة، فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا**»؟ قلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار إلى الآن**»(٢). وجبة: سقطة.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**لو أن حجراً مثل سبع خَلِفات، ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها**»(٣). الخَلِفة: الحامل من النوق.

□ عن معاذ وأبي أمامة رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أن حجراً مِثل سبع خَلِفاتٍ أُلقي عن شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها**»(٤). ورواه هنَّاد بن السَّري عن أنس.

□ وقال عتبة بن غزوان رضي اللَّه عنه: «**ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفا جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يُدْرِكُ لها قعراً، واللَّه لتملأنْ**»(٥).

---

(١) التذكرة (٢/ ٩٦ ـ ٩٩). (٢) رواه مسلم ورقم الحديث (٢٨٤٤).

(٣) رواه الحاكم، صحيح الجامع الصغير (٥/ ٥٨) برقم (٥١٢٤) وإسناده صحيح.

(٤) رواه الطبراني، صحيح الجامع الصغير برقم (٥١٢٤) وإسناده صحيح.

(٥) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨).

فتصوَّر بُعْدَ قعرها وعمقها إذ لا يصل إليها الحجر الضخم إذا ألقي فيها إلا بعد سبعين عاماً، وهو يهوي حتى يصل إلى قرارها (قعرها) فأي عمق لها؟ وأي بعد لقعرها؟

وبَعْدُ. . . فإن الأمر عظيم! وهَوْلُ النار عظيم! والعذاب فيها أعظم، فأي مسكن هذا للكافرين والمشركين والمنافقين؟! إنها ساءت مستقراً ومُقاماً، وساء أهلها الخالدون فيها.

الصفة الرابعة

وقــود النَّــار

. . . في الدنيا تشتعل النار من موادَّ خصها اللَّه سبحانه، وجعل فيها خاصية الاشتعال كالخشب وكل مادة تصنع من الخشب، وكذلك مادة الكبريت، وكذلك جعل اللَّه سبحانه مواد كثيرة قابلة للاشتعال كالبِترول في زماننا هذا.

. . . لكن اللَّه سبحانه جعل النار في يوم القيامة توقد وتشتعل من شيئين محددين وهما:

الناس والحجارة وأضاف عليهما في آية كريمة الآلهة المزعومة التي كانوا يعبدونها في الدنيا.

. . . وفي هذا الأمر وِقْفة تأمّلية: حيث إن من أشد أهوال يوم القيامة وأهوال النار فيه، أن جعل اللَّه سبحانه الناس من الكفرة الفجرة وقوداً لتلك النار مع الحجارة.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

. . . وكما أن الجنة خالدة وأهلها خالدون، كذلك فإن النار خالدة وأهلها خالدون.

. . . ومعنى أن النار خالدة أي إن النار مستمرة في الاشتعال وهي بحاجة إلى وقود حتى تستمر بالاشتِعال. . . ولقد جعل اللّه سبحانه أجساد الكفرة والحجارة هي وقود النار، مادة مستمرة في اشتعالها واستمرارها.

وهنا يكمن السؤال فكم مرة تحترق أجساد الكافرين فتذوب لتكون مادة دائمة لاشتعال النار عبر هذا الخلد الذي لا ينتهي؟ فأجسادُ الكافرين جزء من جزأين من المادة التي تُسعِّرُ النار وتجعلها خالدة دائمة لا تفتير فيها ولا انطفاء ولا خبو، بل كلما خبت زادها اللّه سبحانه سعيراً.

يقول تعالى:

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

. . . فهل لعقل أن يتصوَّر هذا العذاب؟ وهل يمكن لنفس أن تَتَصوَّر هذا العذاب؟

إنَّه عذاب يفوق كل تصوُّر بل كل تخيُّل، ولا يمكن للعقل البشري أن يستوعب أو يلم أو يتخيَّل هذه النوعية من العذاب، وأجسادنا في الدنيا إذا ما تعرضت لحريق أو للسعة من نار فإنها تتألم آلاماً شديدة، وتطول فترة الشفاء من هذه اللسعة أو من هذا الحريق الصغير ربما أشهراً طويلة.

. . . فكيف بمن تحترق جلودهم ثم يبدلهم اللَّه جلوداً غيرها ثم تحترق ثم يبدلهم غيرها، ثم تحترق وتكون وَقوداً لاشتعال النار، ثم يبدلهم اللَّه سبحانه غيرها في عملية لا نهاية لها، وفي عذاب مقيم وذل مقيم ومهانة مقيمة من ملائكة غلاظ شداد.

. . . هذا عن الناس، وأما عن الحجارة التي تسعّر بها النار، فحقيقة الأمر أن اللَّه سبحانه أعلم بها وبعظيم حجمها ونوعيتها، وقد ذهب بعض السلف إلىٰ أن هذه الحجارة من كبريت، هكذا روي عن عبد اللَّه بن مسعود: «**هي حجارة من كبريت خلقها اللَّه سبحانه يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدّها للكافرين**»[1].

وقال بمثل هذا القول أيضاً: ابن عباس ومجاهد وابن جريج.

وفي صفوة التفاسير يقول في قوله تعالى:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ .

أي فخافوا عذاب اللَّه واحذروا نار الجحيم التي جعلها اللَّه جزاء المكذبين، والتي جعل اللَّه مادتها التي تشتعل بها وتضرم لإيقادها هي الكفار والأصنام التي عبدوها من دون اللَّه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٨]

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة يقول أصحابها عن قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ تلك النار التي حطبها الذي توقد به الناسُ الكفار والحجارة والأصنام المعبودة وهيِّئت للجاحدين الكفرة.

والمفسرون الأوائل رأوا أن الحجارة التي توقد بها النار هي

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك (وكذلك رواه ابن جرير في تفسيره) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

حجارة الكبريت ذلك أنهم اعتبروا أن مادة الكبريت لها خصائصُ ليست لغيرها من الحجارة.

ويقول ابن رجب في هذا الخصوص في كتابه التخويف من النار:

وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة، حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: إن فيها خمسةَ أنواع من العذاب، ليست في غيرها من الحجارة:

١ ـ سرعة الإيقاد. ٢ ـ نتن الرائحة.
٣ ـ كثرة الدخان. ٤ ـ شدة الالتصاق بالأبدان.
٥ ـ قوة حرِّها إذا أحميت».

وقال السدي: في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح، وعن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة.

في قوله تعالى:
﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤]

أما الحجارة في النار فهي من كبريت أسود يعذبون به مع النار:
وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيفة، وهكذا قال أبو جعفر وابن جريج وعمرو بن دينار وغيرهم.

... ومما توقد النار به في جهنم الآلهة التي كان الكافرون والمشركون يعبدونها من دون اللّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٨، ٩٩]

ومعنى (حَصَبُ) الواردة في الآية الكريمة: حطب ووقود النار الذي به تهيج، فالكفرة وما كانوا يعبدون من دون اللّٰه سبحانه هم حصب جهنم كفرعون الذي ادَّعى الألوهية وقال لأتباعه...

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ .

[سورة القصص، الآية: ٣٨]

وأيضاً (كالنمرودِ بن كنعان) الذي جادل إبراهيم في ربه وادَّعى الألوهية وأنه يحيي ويميت.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٨]

الصفة الخامسة

طبقات النار
ودركاتها ودرجاتها

النار درجات كما أن الجنة درجات فلكلٍّ نصيب منها مما اكتسب من الكفر وممَّا اكتسبت يداه من فعل الآثام والفواحش.

نعم فإن النار تسمى درجاتٍ كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣]

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علواً ودرجات النار تذهب سفولاً.

وقد ذَهَب بَعضهم إلى أن الجناتِ درجات والنار دركاتٌ لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عكرمة في قوله تعالى:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٤٤]

قال: لها سبعة أطباق أي سبع طبقات.

... وفي تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

الدَّرْكِ الأسفل: الطبق الذي في قعر جهنم.

أي إن المنافقين في الطبقة التي في قعر جهنم وهي سبع طبقات، قال ابن عباس: أي في أسفل النار، وذلك أنهم جمعوا مع الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله، وقال: النار دركات كما أن الجنة درجات.

وقد ورد في بعض كتب السلف تسمية هذه الدركات:

فالأول جهنم ـ والثاني لظى ـ والثالث الحطمة ـ والرابع السعير ـ والخامس سقر ـ والسادس الجحيم ـ والسابع الهاوية.

كذلك ورد عن بعض السلف أن عصاة الموحدين يكونون في الدرك الأعلى، ويكون في الدرك الثاني والثالث الكفار من اليهود والنصارى، وفي الدرك الرابع الصابئون، وفي الخامس المجوس، وفي السادس مشركو العرب، وفي السابع المنافقون[١].

---

(١) هذه التقسيمات ذكرت اجتهاداً من بعض علماء السلف واحتمال صحتها كاحتمال خطئها؛ لأن الاجتهاد يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ والله أعلم. ولقد ذكرتها للبيان وليس للتأكيد لأن تلك التقسيمات لم تأتِ بها النصوص.

الصفة السادسة

شدّة حر النَّار وعظيم شرارها ودخانها

لقد وصف اللَّه سبحانه في كتابه الكريم شدة حر النار وعظم شرارها في أكثر من آية قرآنية كريمة:

يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٨١]

ويقول تعالى:

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۞ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾.

[سورة المعارج، الآيتان: ١٥، ١٦]

ومعنى لظى: جهنم أو الدركة الثانية فيها.

ومعنى نزاعة للشوى: قلّاعة للأطراف أو جلد الرأس وذلك من شدة حرِّها.

ويقول تعالى:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۞ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۞ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾.

[سورة الهمزة، الآيات: ٤ ـ ٩]

وفي صفوة التفاسير يقول الصابوني:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾ أي ليرتدعْ هذا الظانُّ، فواللَّه ليُطرحنَّ

في النار التي تحطم كل ما يلقى فيها وتلتهمه ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ تفخيم وتهويل لشأنها أي وما الذي أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة؟ إنها الحطمة التي تحطم العظام وتأكل اللحوم، حتى تهجم على القلوب، ثم فسَّرها بقوله: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ أي هي نار اللّه المسعّرة بأمره تعالى وإرادته ليست كسائر النيران فإنها لا تخمُد أبداً ﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ التي يبلغ ألمها ووجعها القلوب فتحرقها(١) .

وقال القرطبي في تفسيره: ﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ لقد خصَّ الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فإنهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ فهم أحياء بمعنى الأموات(٢) .

ويقول تعالى:

﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾ .

[سورة المدثر، الآيات: ٢٦ ـ ٢٩]

والآيات تشير إلى عظم نار سقر التي لا تُبقي ولا تذر فهي لواحة للبشر أي إن سقر في شدة حرّها ونارها وعظيم لهيبها لا تبقي ولا تذر.

معاني المفردات:

﴿ سَأُصۡلِيهِ﴾ أدخله ﴿ سَقَرَ﴾ جهنم ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لشأنها ﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي لا تُبقي على شيء يلقىٰ فيها ولا تدعه حتى تهلكه ﴿ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾ مُغيّرة للبشرات، مسوّدة للجلود صيغة مبالغة من لوّحتْه الشمس: إذا سوّدت ظاهره وأطرافه. والبشر جمع بشَرة وهي ظاهر

---

(١) تفسير الصابوني صفحة (١٧٢١).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٥).

الجلد وجمع البَشر أبشار كما جاء في صفوة البيان للعلامة حسنين محمد مخلوف ص٧٦٢.

وفي التفسير المنير:

يقول د/ محمد وهبة الزحيلي في تفسير هذه الآيات الكريمة[١]

أي سأدخله النار وسأغمره فيها من جميع جهاته، وسقر: من أسماء النار، ثم هوَّل أمرها وفخم شأنها بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ المعنى: أي شيء أعلمَك ما سقر؟ لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئاً، فإذا أعيد أهلها خلقاً جديداً فلا تتركهم، بل تعاود إحراقهم بأشدَّ مما كانت، وهكذا أبداً كما قال تعالى:

﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٦]

ويقول تعالى في وصف عظيم شرر وشدة حرِّ النار ودخانها: ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۞ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۞ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۞ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ۞ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ۞ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ۞ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

[سورة المرسلات، الآيات: ٢٨ ـ ٣٤]

المفردات اللغوية:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ إخباراً عن امتثالهم للأمر اضطراراً.

﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ ظل ودخان جهنم، إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لِعظَمه، وشعب: الفروع.

﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ لا وقاية فيه من حر ذلك اليوم.

---

(١) التفسير المنير جزء (٢٩، ٣٠) صفحة (٢٢٨).

﴿ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ لا يفيدهم من حر اللهب شيئاً واللهب شعلة النار.

﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ أي النار ترمي ﴿ بِشَرَرٍ﴾ ما تطاير من النار جمع شرارة.

﴿ كَٱلْقَصْرِ﴾ كالبناء الكبير المَشيد في عظمه وارتفاعه.

﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ جمع الجمع لكلمة (جَمَل) ﴿ صُفْرٌ﴾ في الهيئة واللون وقيل: سود، فإن سود الإبل يضرب إلى الصفر وهو تشبيه في العظم والارتفاع واللون.

وفي التفسير المنير:

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي يقال للكفار من قبل خزنة جهنم: اركضوا أو سيروا واذهبوا إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب الأخروي في الدنيا. ثم وصف اللّه تعالى هذا العذاب بأربع صفات، بقوله:

١ ـ ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ هذا تهكم بهم، معناه سيروا إلى ظل من دخان جهنم متشعب إلى شعب ثلاث أو فرق، فإن لهب النار إذا ارتفع وصعِد معه دخان، صار له ثلاث شعب من شدته وقوته. والمراد أنهم ينتقلون من عذاب إلى آخر، وأن العذاب محيط بهم من كل جانب، كما قال تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وسرادق النار: هو الدخان فتكون تسمية النار بالظل مجازاً من حيث إنها محيطة بهم من كل جانب، كقوله سبحانه: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٥]

٢، ٣ ـ ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ وهذا أيضاً تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين، فذلك الظل لا يمنع حر الشمس، وليس فيه برد ظلال الدنيا، ولا يفيد في رد حر جهنم عنكم شيئاً؛ لأن هذا الظل في جهنم، فلا يظلهم من حرها، ولا يسترهم من لهيبها، كما جاء في آية أخرى: ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٤٢ ـ ٤٤]

واللهب: ما يعلو على النار إذا اضطرمت، من أحمر وأصفر وأخضر.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ أي إن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق، كل شرارة من شرارها التي ترمي بها كالقصر (البناء العظيم) في العظم والارتفاع، وكالإبل الصفر في اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة.

وقال الفرَّاء: الصفر سود الإبل؛ لأنها مُشْرَبة بصفرة، لذلك سمَّت العرب سود الإبل صفراً. والأكثرون على أن المراد بهذه الصفرة سواد يعلوه صفرة. والشرر جمع شرارة: وهو ما تطاير من النار في كل جهة.

والمقصود بالتشبيه الأول: بيانُ أن تلك النار عظيمة جداً، والمقصود بالتشبيه الثاني شدة اشتعالها، والتهكم بهم، كأنه قيل: كنتم تتوقعون من وثنيتكم كرامة ونعمة وجمالاً، إلا أن تلك الجمال هو هذه الشرارات التي هي كالجمال، لذا أعقبه بقوله:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي عذاب وخزي في يوم القيامة الهائل

للمكذبين لرسل اللَّه وآياته، الذين لا مفر لهم من ذلك العذاب[١].

ومما جاء في وصف النار ووصف سمومها ودخانها.

يقول تعالى:

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

معاني الكلمات: ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ السموم: ريح شديدة الحرارة تدخل المسَام.

والحميم: ماء بَالغُ غايةَ الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ دخان شديد السواد.

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمة:

لما ذكر اللَّه تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ أي أي شيء هم فيه أصحاب الشمال، ثم فسَّر ذلك فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾ وهو الهواء الحار ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال ابن عباس: ظل الدخان، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسُّدي وغيرهم، وهذه كقوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ولهذا قال ههنا: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ وهو الدخان الأسود﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر.

ومما يدل على عظم حرِّها وشدة وقودها ما قاله رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة.

---

(١) التفسير المنير الجزء ٢٩ السورة ٧٧ المرسلات د. وهبة الزحيلي.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فنفِّسني، فأذن لها في نَفَسين، نفس في الشتاء، ونَفَس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سَمومها؛ وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها »[١].

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ناركم هذه، التي يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم ». قالوا: واللَّه، إن كانت لكافية، قال: **« إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرّها »**[٢].

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لكل جزء منها مثل حرِّها »[٣].

□ عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« لو أن غرباً من جهنم جعل في وسط الأرض لآذى نتن ريحه وشدة حرّه ما بين المشرق والمغرب، ولو أن شرارة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرَّها مَنْ في المغرب »[٤].

غرباً: الدلو العظيمة.

تنبيه:

إن اللَّه سبحانه إذا ذكر النار وعظيم شررها وشدة حرها وقوة دخانها، ذلك حتى يتعظ الناس ويعلموا أنهم ملاقو ربهم، وأنهم محاسبون على جميع أعمالهم، وأن الذي لا يكون على الصراط

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الطبراني.

المستقيم ولم يؤمن باللَّه سبحانه ويعملْ صالحاً، فإن تلك النار وعظيم أمرها كما وصفها اللَّه سبحانه في كتابه ستكون مصيره، وكل ذلك يخوِّف اللَّه به عباده لئلا يكونوا من أصحابها.

يقول تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

الصفة السابعة

زيادة حرّ النار في جهنم على الدوام

إن نار جهنم لا تخبو أبداً، فإذا ما خبت قليلاً زادها اللَّه اشتعالاً وسعيراً، فهي في ازدياد لا في تناقص بحيث لا يتمتع أصحاب النار براحة أو قسط من الراحة، وهذا أمر اللَّه سبحانه بحيث لا يفتَّر عنهم العذاب أبداً، يقول تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

فهؤلاء الكفرة يسحبون يوم القيامة على وجوههم، تجرهم الزبانية من أرجلهم، كما يفعل في الدنيا بمن يبالَغ في هوانه وتعذيبه، ويحشرون حال كونهم عمياً وبكماً وصماً، يعني فاقدي الإحساس لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون، ثم يرد اللَّه سبحانه إليهم أسماعهم وأبصارهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى اللَّه سبحانه عنهم.. وعن أنس رضي اللَّه عنه قيل: يا رسول اللَّه، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «**الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيَهم على وجوههم**» أخرجه الشيخان. وأما قوله تعالى: ﴿ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ أي مستقرهم ومقامهم في جهنم كلما سكن لهيبها وخمَدت نارها زدناهم ناراً ملتهبة ووهجاً وجمراً. **وقال في التسهيل**: المراد كلما أكلت لحومَهم النارُ، فسكن

لهيبها بدلوا أجساداً أخرى ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت[١] .

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَآءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآيات: ٢١ ـ ٣٠]

فقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ .

أي إن العذاب في ازدياد مستمر لا توقف فيه ولا توقف عنه، بل يذوقون زيادة دائمة منه جزاء وفاقاً بما اقترفت أيديهم، وبما أنكروا يوم الحساب وتكذيبهم آيات اللّه تعالى.

وفي التفسير المنير يقول في قوله تعالى:

﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أي يقال لأهل النار لكفرهم وتكذيبهم بالآيات، وقبح أفعالهم: ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب الأليم، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه. . قال عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ فهم في مزيد من العذاب أبداً[٢] .

وفي تفسير القرطبي: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أي فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذاباً فوق عذابكم ـ **وقال المفسرون**: ليس في القرآن الكريم على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية، كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشدَّ منه[٣] .

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٧٥٠) في تفسير سورة الإسراء آية ٩٧.

(٢) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي جزء (٣٠) صفحة (١٩) في تفسير سورة النبأ.

(٣) تفسير القرطبي صفحة (١٩/ ١٨٠).

وفي أحاديث رسول اللَّه ﷺ :

□ عن عمرو بن عَبَسة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ :

« صلّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع ، فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار ، ثم صلّ فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذٍ تُسَجَّر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصلّ »(١) .

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال :

« إذا اشتدَّ الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنَّمَ »(٢) .

ويوم القيامة تُسَعّر جهنم ويشتد غيظها عندما تستقبل أهلها .

يقول تعالى :

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ .

[سورة التكوير ، الآيات : ١٢ ـ ١٤]

وسيأتي أنه يخرج منها عنقٌ ، على أرض المحشر ، يجعل القلوب في الحناجر خوفاً وهلعاً .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

الصفة الثامنة

خزنة النار من الملائكة

إن لجهنم خزنةً من الملائكة قائمين عليها ومشرفين عليها وعلى من فيها من الكفرة الفجرة، ومكلفين من اللَّه سبحانه بأعمالٍ شتَّى، لا يعصون اللَّه سبحانه أبداً فيما يأمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

يقول تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧١]

فالآية الكريمة تشير في معناها إلى أن خزنة جهنم من الملائكة عندما تُفتح أبواب جهنم ويهوي الكافرون فيها، يسألونهم تقريعاً وتوبيخاً لهم: ألم يأتكم رسل منكم أي من البشر يتلون عليكم الكتب المنزلة من عند اللَّه سبحانه، ويخوِّفونكم من شر هذا اليوم العصيب وهذا المأوى الدائم من جهنم. . . فقال الكفرة لهم: بلى قد جاءنا رسل ولكن كذبناهم وخالفناهم.

ويقول تعالى:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ * إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٌ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٌ * قَالُواْ بَلَىٰ

قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ٩]

فكلما طرح فوج من الكفرة في النار سألهم خزنتها من الملائكة (الزبانية) ألم يأتكم من رسول ونذير ـ قال المفسرون: وهذا السؤال من ملائكة العذاب للكافرين زيادةٌ لهم في الإيلام، ليزدادوا حسرة فوق حسرتهم وعذاباً فوق عذابهم.

يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

إن هذه الآية الكريمة تصف زبانية النار وخزنتها وملائكة العذاب وذلك بقوله تعالى: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾... وفي الدنيا نقول عن فلان: إنه غليظ شديد أي لا يعرف قلبه الرحمة، ولا وجهه الابتسامة ولا يقبل عذراً ولا رجاءً ويكون عقابه شديداً، وإذا نظرت إلى وجهه أخافك لغلظته وشدته... هذا في الدنيا فما بالك بملائكة العذاب الذين يصفهم ربهم وخالقهم ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ أي: غلاظ القلوب شداد الأجسام؟

فاللَّه سبحانه وحده أعلم بقوتهم وشدتهم وغلظتهم فهو الذي خلقهم، وبما يريد أن يكون فيهم من الصفات التي تزيد في عذاب الكافر والمشرك والمنافق في النار، ولنسمع قول المفسرين في قوله تعالى:

﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

أي على هذه النار زبانية غلاظ القلوب لا يرحمون أحداً، مكلفون بتعذيب الكفار.

ويقول القرطبي:

المراد بالملائكة الزبانية وهم غلاظ القلوب، لا يرحمون إذا استرحموا، لأنهم خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكلُ الطعام والشراب.

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

عليها خزنة من الملائكة عِدّتهم تسعةَ عشرَ، غلاظ الخلق والطباع، قساة القلوب أقوياء البدن على الشدائد لا يعصون أمر اللَّه في الماضي، ويفعلون ما يؤمرون به في المستقبل.

ويقول ابن كثير:

أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين باللَّه ﴿شِدَادٌ﴾ أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، كما روى ابن أبي حاتِم عن عكرمة أنه قال: إذا وصل أول أهل النار إلى النار، وجدوا على الباب أربعمِائة ألف من خزنة جهنم، سودٌ وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع اللَّه من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم ذرة من الرحمة، لو طُير طير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر.

وهكذا بقية كتب التفسير، وجميعها متفق على أن خزنة جهنم الذين قال عنهم اللَّه سبحانه: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ هم ملائكة أشداء أقوياء في أبدانهم واسعون في أحجامهم خلقهم اللَّه سبحانه على هيئة مزعجة ليزداد الكافرون خوفاً وهلعاً وفزعاً فوق ما ينالونه من عذاب النار والخلد فيها. . . قد نزع اللَّه من قلوبهم الرحمة وجعل وجوههم سوداً كالحة، لهم أنياب مفزعة مخيفة حبب إليهم عذاب الكافرين وذلهم وإهانتهم، الذين عصوا اللَّه وكفروا به ولم يؤمنوا به ولم يوحدوه.

ومن الآيات الكريمة التي تحدَّث اللّه سبحانه فيها عن خزنة جهنم من الملائكة:

يقول اللّه تعالى:

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ .

[سورة المدثر، الآيات: ٢٦ ـ ٣١]

فاللّه سبحانه يذكر في هذه الآيات الكريمة سقر، والتي من شدة حرّها ونارها لا تبقي ولا تذر، وهي لواحة للبشر، وإن عليها أي من خزنتها تسعة عشر، والآية الكريمة ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ وقع الخلاف في تفسيرها. . . فهل المراد تسعة عشر ملكاً أم تسعة عشر ألفاً أو مِليوناً أم صفاً؟ وقد جاء في كثير من التفسيرات والتحليلات أقوال مختلفة.

وقد وردت بعض الأحاديث التي ضعفها الرواة والمحققون كناصر الدين الألباني رحمه اللّه وغيره.

والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث ذكرُ عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقتلهم، وظنوا أنهم يمكن مدافعتُهم وممانعتهم، طالما أن عددهم لا يتجاوز التسعة عشر، كما ورد في الآية الكريمة، ولم يعلموا أن كل واحد من هؤلاء التسعة عشر لا يمكن للبشر كلهم مقاومته، ولهذا قال تعالى بعد آية: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ .

قال السُدّي: إن رجلاً من قريش يقال له أبو الأشد، قال عندما نزلت الآية الكريمة ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . . . ﴾: يا معشر قريش، لا يهولنَّكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة الباقية، ثم تمرون إلى الجنة، يقوله مستهزئاً.

فقال اللّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقال قتادة: ذكر لنا أن أبا جهل حين نزلت هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحداً من خزنة النار وأنتم الدُّهم ـ أي العدد الكثير ـ وصاحبكم هذا أي محمد ﷺ يزعم أنهم تسعة عشر[1]؟

هذا ما قاله بعض الكفرة الفجرة لما نزلت تلك الآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وفي الأمر ملاحظتان:

الأولى: لو كان أهل قريش يعقلون لأدركوا تماماً وهم المعاندون أن هذا الكلام كلام اللّه سبحانه، ولو أنهم كما يظنون أن هذا القرآن الكريم من عند محمد ﷺ لزاد في العدد، وقال: إن خزنة جهنم بالملايين ليزيد من خوفهم وفزعهم، ولكن محمداً ﷺ أمين على كتاب اللّه سبحانه لا يبدل فيه ولا يزيد فيه ولا ينقص، مهما كانت الأسباب كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٥]

وصدق اللّه سبحانه عندما سألهم خزنة جهنم:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

الثانية: إن الكافرين يرجعون في تفسير الآيات الكريمة

---

(١) التخويف من النار صفحة (٢٢٣) لابن رجب الحنبلي.

إلى مستوى عقولهم لذا عجَزوا عن فهم قدرة اللَّه سبحانه.

وصدق اللَّه سبحانه إذ قال فيهم:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٩١]

ذلك أن اللَّه سبحانه يخلق ما يشاء، ويعظم من يشاء، ويضخم من يشاء، فهؤلاء الملائكة التسعة عشر الذين ذكرهم اللَّه سبحانه في الآية الكريمة لا يعلم حقيقة حجم أحدهم إلا اللَّه سبحانه... وكما قال بعض المفسرين وأصحاب الرأي... لو أن البشرية اجتمعت كلها ما قدروا على واحد منهم... وقد ذكر لنا رسول اللَّه ﷺ مثل هذا عندما أذن اللَّه سبحانه له أن يتحدث عن مَلَك واحد من حملة العرش فبيَّن عظيم أمره وقوته وضخامة خلقته.

□ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللَّه تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[(١)].

وهذا جبريل عليه السلام قد سَدّ الخافقيْن لما رآه رسول اللَّه ﷺ، وهذا إسرافيل إذا نفخ في الصور صَعِق من في السموات ومن في الأرض، وهذا مالك عليه السلام خازن النار فهل تتصور أن يخفى عليه حركةٌ واحدة من أهل النار، علماً أن مقعد الكافر كما جاء في الحديث الصحيح كما بين مكة والمدينة.

ولأهمية الآيات الكريمة لنسمع من المفسرين تفسيرهم في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

(١) رواه أبو داود ورقم الحديث (٤٧٢٧).

يقول ابن كثير في تفسيره: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾:

وروى الحافظ البزار عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمدُ، غُلب أصحابك اليوم، فقال: «**بأي شيء**»؟ قال: سألتهم يهود: هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ، قال رسول اللّه ﷺ: «**أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون، فقالوا: لا نعلم، حتى نسأل نبينا ﷺ؟ عليَّ بأعداء اللّه، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم اللّه جهرة**»، فأرسل إليهم فدعاهم، قالوا: يا أبا القاسم كم عِدة خزنة أهل النار؟ قال: «**هكذا**» وطبق كفيه، ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «**إن سئلتم عن تُربة الجنة فهي الدرمك**»، فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول اللّه ﷺ: «**ما تربة الجنة**»؟ فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال: «**الخبز من الدرمك**».

وقال ابن كثير عن قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي خُزَّانها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي زبانية غلاظاً شداداً، وذلك ردّ على مشركي قريش حين ذكروا عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبوهم، فقال اللّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي شديدي الخلق لا يقاوَمون ولا يغالبون، وقد قيل: (إن أبا الأشد) قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، قال السُهيلي: وهو الذي دعا رسول اللّه ﷺ إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه

النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

ليعلموا أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله[١].

وفي صفوة التفاسير:

يقول في تفسير الآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾:

أي خزنتها الموكلون عليها تسعة عشر ملكاً من الزبانية الأشداء كقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

قال ابن عباس: «**ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمِقْمَعة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم**».

وقال الآلوسي:

في تفسير الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

روي عن ابن عباس أنها لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتكم أمهاتكم، أسمعُ ابن أبي كبشة ـ يعني محمداً ـ يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدُّهْم ـ أي العدد ـ

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٥٧١) في تفسير سورة المدثر.

الشجعان، أفيعْجِز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأَشُدّ الجُمحي - وكان شديد البطش -: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ الشداد، ولم نجعلهم من البشر حتى يصارعوهم ويغالبوهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي لم نجعل ذلك العدد إلا سبباً لفتنة وضلال المشركين، حيث استقلوا بعددهم واستهزؤوا، حتى قال أبو جهل: أفيعجِز كل مِائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجوا من النار؟ قال الطبري: وإنما جعل اللَّه الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين(١).

وقال القرطبي:

في تفسيره الآية الكريمة: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

قال القرطبي: والصحيح إن شاء اللَّه أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(٢).

وفي التفسير المنير: معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي لم نجعل خزنة النار وزبانيتها القائمين بالتعذيب إلا ملائكة غلاظاً شداداً، ولم نجعلهم رجالاً تمكن مغالبتهم، ومن يطيق الملائكة ومن يغلبهم؟ وهم أقوى الخلق

---

(١) تفسير الآلوسي (٢٩/ ١٢٦).

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٨٠.

وأشدهم بأساً وأعظمهم بطشاً، وأقومهم بحق اللَّه والغضب له تعالى.

وهذا ردّ على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل كما تقدم: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبوهم؟ فقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي شديدي الخلق، لا يقاومون ولا يغالبون.

ثم أبان اللَّه تعالى حكمة اختيار عدد الخزنة، فقال:

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر، اختباراً منا للناس، وسبب محنة وإضلال للكافرين، حتى قالوا ما قالوا، ليتضاعف عذابهم، ويكثر غضب اللَّه عليهم. فقوله: ﴿فِتْنَةً﴾ معناه سبب فتنة، أي جعلنا تلك العدة وهي تسعة عشر سبباً لفتنة الكفار، وفتنتهم: هو كونهم أظهروا مقاومتهم والطمع في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم مكذبون بالبعث وبالنار وبخزنتها(١).

ولقد جاء في كتاب اللَّه تعالى تسمية الخزنة بخزنة جهنم ببيان واضح.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٩]

وسيأتي بيان هذه الآية الكريمة عندما نتحدث عن عذاب أهل النار إن شاء اللَّه تعالى.

---

(١) التفسير المنير جزء (٢٩) د. وهبة الزحيلي.

الصفة التاسعة

ظلمة النار وشدة سوادها وسواد وجوه أهلها

يقول تعالى:

﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١٢]

□ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« أوقد على النار ألف سنة حتى ابيضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء كالليل المظلم»[1].

وما يقابل سواد جهنم وسواد وجوه أهلها من الكافرين والمشركين والمنافقين النورُ التام للمؤمنين في الجنة.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

وهذا غير بياض وجوههم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ فكل ما حول المؤمنين نور، حيث يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، وما يقابله السواد في جهنم لهؤلاء المجرمين الكفرة في وجوههم وما حولهم والله أعلم.

الصفة العاشرة

تغيظ النار وزفيرها وشهيقها

قلتُ في فِقرات سابقةٍ: إن نار جهنم لتعجز الأقلام عن وصف ما هي عليه من القوة واللهيب والشرار والحر... ومما يزيد عن هذه الأوصاف أن جعل اللَّه سبحانه لها زفيراً وتغيظاً وشهيقاً، وهي تفور في كل مكان ومن كل مكان، وتتميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج من الكفرة والمشركين والمنافقين.

ويقول تعالى:

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ١١، ١٢]

فقد كذب المشركون والكافرون بالساعة والقيامة، ولقد هيَّأ اللَّه سبحانه لمن كذب بالآخرة ناراً شديدة الاستعار.

فإذا رأت جهنم هؤلاء المشركين (واللَّه سبحانه جعل لهذه النار قدرة على الرؤية وتمييز الكافرين من المؤمنين) من مسافة بعيدة وهي خمسمِائة عام كما قال الصابوني والطبري وغيرهم في تفاسيرهم، ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي سمعوا صوت لهيبها وغضبها كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ، وسمعوا لها صوتاً كصوت الحمار المنكر وهو الزفير، مع مضاعفة الصوت حتى يصبح عظيماً مخيفاً مفزعاً وهم يسمعونه من بعد خمسمِائة عام.

وقال ابن عباس:

إن الرجل ليجر إلى النار فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف... وهذا ما قاله ابن كثير في المختصر للصابوني.

ويقول: وتقييد الرؤية بالبعد ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه مزيد تهويل لأمرها.

ويقول تعالى:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ٨]

لقد أعدَّ اللَّه سبحانه للذين كفروا بربهم عذاب جهنم، الذي لا يعلم حقيقة شدته وآلامه إلا اللَّه سبحانه، وبئس مصير هؤلاء الكفرة الفجرة من الشياطين والإنس النار لهم فيها دار الخلد.

وهذا وصف من اللَّه سبحانه لجهنم وما فيها من العذاب والأهوال، فقال: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ أي إذا قذفوا وطرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة، وفي هذا غاية الذل والمهانة فإنهم يلقون فيها جماعاتٍ جماعات وأمماً أمماً.

... فإذا ما ألقوا زفرت النار وشهقت لمقدمهم وفارت فوران الغضب لشدة توقدها وغليانها وحنقها على كل جبار متكبر لم يؤمن باللَّه وبيوم الحساب. وقال المفسرون في معنى ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: أي وهي تغلي بهم كما يغلي المِرجل (القدر) من شدة اللهب.

وقال مجاهد:

أي وهي تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير،

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ : أي تكاد جهنم تنقطع وينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها وحنقها على أعداء اللَّه سبحانه.

. . . وزيادة في إيلام الكافرين يسألهم خزنة جهنم وهم خزنة النار الموكلون بأهل النار وعذابهم ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ فهم لا يأتون جهنم فرداً فرداً كما يكون من حال المؤمنين عند دخولهم جنات اللَّه سبحانه، وتستقبلهم الملائكة عند أبوابها فكل واحد من المؤمنين ومن أهل الجنة له كرامته وعزه وجاهه، أما هؤلاء فلا كرامة لهم ولا عز ولا جاه، لذلك يلقون إلقاء ويرمون فيتساقطون أمماً أمماً، سيدهم وعبدهم وغنيهم وفقيرهم فهم سواء، فيا له من ذل دائم لا يفارقهم أبد الآبدين.

﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ : أي سألهم الملائكة الموكلون على جهنم وهم الزبانية ـ سؤال توبيخ وتقريع أي ألم يأتكم رسل ينذرونكم لقاء يومكم هذا ويخوفونكم من هذا اليوم الرهيب؟

وعن الضحاك قال:

إن لجهنم زفرةً يوم القيامة، لا يبقى ملك مقرَّب، ولا نبي مرسل، إلا خرّ ساجداً يقول: رب نفسي نفسي أي يطلب النجاة لنفسه وينسى غيره من أهل وولد!!!

وعن عبيد بن عمير قال:

تزفر النار زفرة لا يبقى ملك، ولا نبي إلا وقع لركبتيه، تُرعَد فرائصه، يقول: رب نفسي نفسي!!

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ١٠١، ١٠٢]

في الآية الكريمة ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي إن للنار حسيساً يسمع وهو صوتها وزفيرها وتغيظها وشهيقها الذي يجعل القلوب في الحناجر هلعاً وخوفاً ورهبة... هذه الأصوات المفزعة لجهنم وحنقها وتغيظها يمنعها اللَّه سبحانه من الوصول إلى سمع المؤمنين الذين سعدوا في الدار الآخرة وفي جنات اللَّه سبحانه، ذلك أن سماع أصوات جهنم لون من العذاب، بل هو من أشد ألوان العذاب، واللَّه سبحانه لا يرضى أن يتأذى المؤمنون الذين أعَدَّ لهم جناته ودار نعيمه بأي أذى مهما صغر شأنه.

... وخرّج أبو نُعيم وغيره من رواية عبد الرحمن بن حاطب، قال: قال عمر رضي اللَّه عنه لكعب الأحبار: خوّفنا ـ بمعنى عظنا ـ قال: والذي نفسي بيده، إن النار لتقرَّب يوم القيامة، لها زفير وشهيق، حتى إذا دنت وقربت، زفرت زفرة ما خلق اللَّه من نبي ولا شهيد، إلا وجب (أي سقط) لركبتيه ساقطاً، حتى يقول كل نبي، وكل صديق، وكل شهيد: اللهم لا أسألك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً، لظننت أن لا تنجوَ.

قال عمر: واللَّه إن الأمر لشديد(١).

---

(١) كتاب التخويف من النار صفحة (١١١) لابن رجب الحنبلي.

الصفة الحادية عشرة

أودية جهنم

ذكر بعض المفسرين أن (ويل) الواردة في الآيات القرآنية الكريمة تعني وادياً في جهنم يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً، وفي روايات أخرى سبعين خريفاً.

... ولكن المفسرين فسَّروا كلمة (ويل) الواردة في الآيات الكريمة: إنه تهديد ووعيد.

يقول تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٣٧]

والمعنى: أيْ ويل لهم من المشهد الهائل ومن شهود هول الحساب والجزاء.

ويقول تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٦٠]

والمعنى: أيْ هلاك ودمار وشدة وعذاب لهؤلاء الكفار في يوم القيامة الذي وعدهم اللّه به.

ويقول تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

[سورة الطور، الآية: ١١]

والمعنى: أي هلاك ودمار وشدة عذاب للمكذبين أرسله اللّه في ذلك اليوم الرهيب(١).

وفي تفسير هذه الآية **لابن كثير** يقول: أي ويل ذلك اليوم من عذاب اللّه ونكاله.

ويقول أيضاً ابن كثير في تفسير قوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٢٢]

أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم.

ويقول كذلك أيضاً في تفسير قوله تعالى:

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢]

... فلا تشير تفسيرات هذه الآيات الكريمة أن كلمة (ويل) الواردة في كثير من هذه الآيات الكريمة تعني وادياً ـ ولكن هذا لا ينافي أن يكون واد في جهنم اسمه ويل.

نستنبط ذلك من حديث رسول اللّه ﷺ.

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره**»(٢). ولفظه عند الترمذي: «**ويل واد بين جبلين يهوي فيه الكافر سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره**»(٣).

□ وروى ابن أبي حاتم عن طريق الحماني، حدّثنا خلف بن

---

(١) صفوة التفاسير تفسير سورة الطور صفحة (١٤٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم وابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه الترمذي في سننه.

خليفة، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن عبد اللَّه، قال: «**ويل واد في جهنم من قيح**»(١).

□ ومن طريق المحاربي عن العلاء بن المسيب عن أبيه وعاصم ابن أبي النَّجود قالا: «**واد في جهنم يقال له: ويل ينصَبُّ فيه صديد أهل النار**»(٢).

□ ومن طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، قال: «**الويل واد في جهنم لو سيرت الجبال فيه لماعت من حرِّه**»(٣).

□ وعن مالك بن دينار قال: «**الويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب**»(٤).

□ وخرج ابن جرير في تفسيره بإسناده عن أبي عياض قال: «**ويل صهريج في أصل جهنم (واد) يسيل فيه صديد أهل النار، وعن سفيان نحوه**»(٥).

وهذه الأحاديث والأقوال والآراء في مجملها تشير إلى أن هناك أوديةً في جهنم فيها من صنوف العذاب ما لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه واللَّه أعلم.

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي صفحة (١١٧، ١١٨).

الصفة الثانية عشرة

جبال جهنَّم

هل يوجد جبال في جهنم؟ يصعد عليها الكافرون والمشركون والمنافقون هرباً من قعر جهنم وأهواله وعذابه.

الكفرة الفجرة في نار جهنم لهم صنوف من العذاب وأنواع، تحدثنا عن بعضها، ولكن حقيقة أمرها لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه خالق الجنة وخالق النار، ومهما تحدثنا وحلَّلنا وفسرنا ما بين أيدينا من نصوص يبقى في النهاية القول السائد: «**ليس الخبر كالمعاينة**»[(١)]، فالبلاء الأعظم والشقاء الأكبر والهم الدائم يكون عند معاينة الكفار نار جهنم ورؤيتها بأعينهم، والذين هم في غطاء عنها في حياتهم الدنيا.

. . . فالكفار عندما يدخلون النار ويلْقَون فيها من العذاب ما لا يطاق، يستغيثون ويصرُخون ويبكون ويستجيرون بخزنة جهنم، علَّ اللَّه سبحانه يرحمهم ويخرجهم منها، وكُلّما استغاثوا جاءهم التأنيب من خزنة جهنم على كفرهم باللَّه ومعاصيهم. . ثم يسألون خزنة جهنم أن يرحموهم وأن يخففوا عنهم يوماً من العذاب.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٩]

(١) حديث شريف رواه أحمد والحاكم والطبراني في الأوسط.

.. وفي بعض الروايات: إن المَلك من خزنة جهنم يقول للكافر عند استغاثته وطلب الرحمة: « **كيف أرحمك ولم يرحمْك أرحم الراحمين**» . وعندما يطول بهم الأمد أحقاباً طويلة وهم في حالة الاستغاثة والاستنجاد وطلب الرحمة، ولا من مجيب ولا شفيع ولا سميع، يأتيهم الجواب النهائي من مالك خازن النار..

يقول تعالى:

﴿ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾ .

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

وعندما يقطع الكفار أي أمل في نجاة أو قبول استنجاد أو استغاثة يكون الجواب النهائي، كما قال تعالى: ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨]

يحاولون الخروج منها بالصعود إلى أعلى، علّهم ينجون من الغم والهم الذي أصيبوا به وباليأس المطلق من أي أمل من نجاة.

يقول تعالى:

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

فهم في صعودهم ينالون من الإرهاق والعذاب الشيء الكثير.

يقول تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ .

[سورة المدثر، الآيتان: ١٦، ١٧]

ولا بد من الوقوف عند الآية الكريمة ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ لنتبيَّن معناها الحقيقي وما قاله المفسرون، وكذلك الحديث عن هذه الآية الكريمة في الأحاديث الشريفة.

□ **يقول ابن كثير في تفسيره:** حول قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

روى ابن أبي حاتم - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ قال: «**هو جبل في النار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت**»(١). **وقال ابن عباس:** ﴿صَعُودًا﴾ صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه. **وقال السدي:** ﴿صَعُودًا﴾ صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها. **وقال مجاهد:** ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ أي مشقة من العذاب. **وقال قتادة:** عذاباً لا راحة فيه، واختاره ابن جرير(٢).

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ (سأكلفه وأحمِّله عذاباً شاقاً صعباً)(٣).

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير: عن قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾: أي سأكلفه وألجئه إلى عذاب صعب شاق لا يطاق، تضعف عنه قوته كما تضعف قوة من يصعد في الجبل(٤).

ويقول القرطبي في تفسيره: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ ﴿صَعُودًا﴾ صخرة ملساء يكلف صعودها فإذا صار في أعلاها حدر في جهنم فيهوي ألف عام قبل أن يبلغ قرارها(٥). وفي الحديث: «**الصَّعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً**»(٦).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والبزار وابن جرير.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة (٥٦٩).

(٣) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة (٥٧٦).

(٤) صفوة التفاسير صفحة (١٦٠٤).

(٥) تفسير القرطبي (١٩/ ٧٢).

(٦) رواه الترمذي والحاكم وصححه.

وفي تفسير السيوطي: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ مشقة من العذاب أو جبلاً من نار يصعد فيه ثم يهوي فيه أبداً(١).

من هذه التفسيرات نتبيَّن أن من المفسرين من قال: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أي عذاباً ومشقة، ومنهم من قال إن: ﴿صَعُودًا﴾ جبل من نار يصعد عليه ثم يهوي مرة أخرى.. ومعنى هذا أنه لا يتنافى في الحديث وجودُ الجبال في نار جهنم يعذب عليها الكفرة الفجرة في الصعود والهبوط ـ ومما يؤيد وجود الجبال في جهنم الآية الكريمة: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

□ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ **«جبل من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي مثلها كذلك»**(٢).

وروي عن ابن السائب قال: ﴿صَعُودًا﴾ هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها، حتى إذا بلغ أعلاها رد إلى أسفلها، ثم يكلف أيضاً أن يصعدها فذلك دأبه أبداً، ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في أربعين سنة(٣).

---

(١) تفسير السيوطي صفحة (٥٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ورواه غيره بمعناه.

(٣) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صفحة (١١٩).

الصفة الثالثة عشرة

بقدرة اللَّه سبحانه
النار تتكلم يوم القيامة وتبصر

كل شيء مخلوق من قِبَلِ اللَّه سبحانه، وما يخلقه سبحانه فإنه يخلقه كما يشاء إنه سبحانه يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء ولا يعجزه شيء في خلقه.

فالدنيا لها قوانين مخلوقة تسيِّرها كما يشاء اللَّه سبحانه، وفي الآخرة تتغير الأحوال وتتغير تلك القوانين فتكون كما يشاء اللَّه لها أن تكون، وعندما نزلت الآية القرآنية الكريمة..

يقول تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

فسأل الصحابة رسول اللَّه ﷺ كيف يمشون على وجوههم يا رسول اللَّه؟ فقال: «**إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيَهم على وجوههم**» فكل شيء يوم القيامة سوف يتغير حتى الخلق فسينشأ نشأة أخرى غير ما كان عليه في الدنيا كما تقدم.

وكل شيء يأتمر بأمر اللَّه ويفعل اللَّه ما يشاء.. ألم يقل اللَّه سبحانه للنار التي أرادوا أن يحرقوا بها سيدنا إبراهيم عليه السلام:

كوني برداً وسلاماً فكانت؟ مع أن للنار قانوناً تعمل به وهو الإحراق، لكن كل شيء خلقه اللَّه فهو مطيع للَّه في أمره وفيما يريد.

يقول تعالى:

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٦٩]

وهكذا فإن اللَّه سبحانه وبقدرته يجعل النار يوم القيامة ترى وتبصر وتتكلم، ويجعل اللَّهُ سبحانه لها عينيْن وأُذنين تبصران وتسمعان، فالذي جعلنا نتكلم ونسمع ونرى، وجعل لكل واحد منا لساناً وعينين وأذنين، فنذكر اللَّه سبحانه بما أعطانا من نطق، ونسبِّح اللَّه بما تراه أعيننا من قدرة اللَّه وجمال صنعه، كذلك جعل الجماد الذي لا نرى له لساناً ولا عينين ولا أذنين يسبِّح بأمر اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وهكذا يجعل اللَّه سبحانه للنار أدواتِ حس وسمع ورؤية وكلام، يقول تعالى عن رؤية النار:

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

ويقول تعالى عن حس النار وإدراكها:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ .

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ٨]

ويقول رسول اللَّه ﷺ عن النار: إن لها عينين وأذنين ولساناً.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يخرج يوم القيامة عنق من النار، له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل مَن دعا مع اللَّه إلٰهاً آخر، وبالمصوِّرين»(١).

□ روى ابنُ جَرير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال: **«إن الرجل ليجر إلى النار فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول الرحمن: ما بك؟ فتقول: إنه يستجير مني، فيقول: أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول: يا رب ما كان هذا ظني بك، فيقول اللَّه: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، فيقول: أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليجر إلى النار، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير، تزفر زفرة أخرى لا تبقي أحداً إلا أخافته»**(٢).

ومما يدل على كلام النار ما أورده ابن رجب الحنبلي في كتابه (التخويف من النار):

□ روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، فذكر قصة الإسراء والمعراج بطولها وفيها قال: ثم أتى على وادٍ يعني النبي ﷺ فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنة، فقال: **«ما هذا يا جبريل»**؟ فقال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني ما وعدتني، فَقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وعذابي، وقد بعُد قعري، واشتد حرِّي فَأتني ما وعدتني، قال: لك كل مشرك ومشركة، وكل

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب جامع الأصول (١٠/٥١٨).

(٢) ساق ابن كثير هذا الحديث في النهاية (٢/ ٢١) وقال: «إسناده صحيح».

كافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب.

□ ومما يدلُّ على كلام النار أنها تشتكي إلى ربها.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»(١).

(١) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (١٠٠١).

الصفة الرابعة عشرة

مالك خازن النار واستغاثة أهل النار به

تحدَّثنا في فِقرة سابقة عن خزنة النار بشيء من التفصيل ولم نتحدث عن مالك خازن النار..

... فقد ذكر اللَّه سبحانه في الآيات من سورة الزخرف (مالكاً) باسمه الصريح وفي مواضعَ أخرى ذكر اللَّه سبحانه خزنة النار دون ذكر أسمائهم..

فمالك هو خازن النار وهو رئيس الخزنة، وإن لم يأت ذلك بصريح العبارة.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآيات: ٧٤ ـ ٧٨]

وفي التفسير: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ أي إن الكافرين الراسخين في الإجرام في العذاب الشديد في جهنم دائمون فيها أبداً، **وقال الصاوي**: والمراد بالمجرمين الكفار لأنهم ذكروا في مقابلة المؤمنين ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي لا يخفف عنهم العذاب لحظة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي وهم في ذلك العذاب يائسون من كل خير ﴿وَمَا

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ أي وما ظلمناهم بعقابنا لهم، ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي ونادى الكفار مالكاً خازن النار قائلين: ليمتنا اللَّه حتى نستريح من هذا العذاب. **قال ابن كثير**: أي ليقبض أرواحنا فيريحَنا مما نحن فيه. **قال ابن عباس**: فلم يجبهم إلا بعد ألف سنة(١).

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ أي أجابهم إنكم مقيمون في العذاب أبداً لا خلاص لكم منه بموت ولا غيره ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ خطاب توبيخ وتقريع، أي لقد جئناكم أيها الكفار بالحق الساطع المبين، ولكنكم كنتم كارهين لدين اللَّه مشمئزين منه، لكونه مخالفاً لأهوائكم وشهواتكم، **وقال الرازي**: هذا كالعلة لما ذكر والمراد نفرتهم عن محمد ﷺ وعن القرآن الكريم وشدة بغضهم لقبول الدين الحق(٢).

قال ابن كثير في التفسير: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي ساعة واحدة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي آيسون من كل خير ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه، فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٦]

---

(١) حاشية الصاوي ٤/ ٥٤.
(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٢٧.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

[سورة الأعلى، الآية: ١٣]

فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك:

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ **قال ابن عباس**: مكث ألف سنة، ثم قال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها، ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له.

الفصل الثالث

شقاء أهل النار

- ـ مدخل.
- ـ أول من تسعّر بهم النار.
- ـ عِظَمُ خلق أهل النار في النار.
- ـ قبح صور الكافرين في النار وسواد وجوههم.
- ـ هل تعظم أجساد عصاة الموحدين في النار.
- ـ سلاسل وأغلال وأنكال أهل النار.
- ـ مقامع حديد أهل النار.
- ـ طعام أهل النار.
- ـ شراب أهل النار.
- ـ كسوة أهل النار ولباسهم.
- ـ مهاد جهنم وفراشها وظللها.

شقاء أهل النار

شقاء أهل النار

مَدخل:

إن (شقاء أهل النار) يقابله إذا أردنا أن نتحدث عن الجنة (نعيمُ أهل الجنة)، وشتان ما بين المقابلتين ويا بُعد ما بين الأمرين، ولقد تكلمنا في الفصل الأول عن صفات النار، وفي هذا الفصل نتكلم عن شقاء أهل النار بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ.. فليس من قلم يستطيع أن يعبّر التعبير الحق عن شقاء أهل النار وما يعانونه من عذاب وذل وهوان، وأعظم الشقاء هذه الكلمة التي توعدهم اللَّه سبحانه بها وهي (الخلود) ومعناها والتي لا يمكن أن تتحمله النفوس والعقول والأجساد.. لأن كل ما في النار ينصب في النهاية حول معاني الخلود الأبدي في النار. وهذه هي الطَّامة الكبرى التي يعيش في ظلها أهل النار.. إذ لا شفيع لهم، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، بل تنقطع كل السبل التي من الممكن أن يتحدثوا فيها.. لأن الاستنجاد والاستغاثة والويل والثبور والصراخ والبكاء كلها تنقطع في النهاية، لأنهم يدورون حولها دهوراً، لعل أحداً يسمعهم أو ينجدهم أو يشفع لهم.. والآيات كثيرة في هذا الصدد ستأتي في حينها.

... ولكن ما يجب أن نعلمه حق العلم ونُدركَه حق الإدراك أنَّه سبحانه ليس عاجزاً أن ينتقم من الكافرين والمجرمين في الدنيا على ما يقترفونه من كفر وشرك وعصيان وظلم.. ولكنها الكلمة التي حقت من ربك أنه الصبور الذي يصبر على عباده في الدنيا ويؤخرهم

إلى يوم القيامة، ولولا هذا العهد وهذه الكلمة التي سبقت من ربك لقضي بين الناس في الدنيا قبل الآخرة.

يقول تعالى:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٤]

ويقول تعالى:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢١]

كذلك بيّن اللَّه سبحانه لنا أنه لو شاء لأنزل آية من السماء على أولئك الكفرة الفجرة والمشركين والمنافقين والعصاة فظلت أعناقهم لها خاضعة.. خاضعة للَّه سبحانه طائعة وعابدة ومستجيبة... ولكن إرادة اللَّه سبحانه قضت أن يؤجل الناس إلى يوم القيامة.. وهو الذي يعلم ماذا في يوم القيامة، وهو الذي يعلم أن الكونَ كونُه، والملك ملكه لا يعجزه أحدٌ في هرب أو خروج، فلا ملجأ منه إلا إليه.. ولا يخاف فوت الزمن فالزمن بيده.

لذلك تنوعت الآيات القرآنية الكريمة.. حتى لا يظن أحد من المؤمنين أن اللَّه غافل عن هؤلاء الكفرة المشركين، أو غافل عن أعمالهم وجرائمهم، بل جعل لهم موعداً لن يجدوا من دونه موئلاً.

يقول تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٢، ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٨]

بل ترك اللّه المشيئة لهؤلاء الكفرة في الدنيا.

يقول تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

ومن هذه المشيئة التي أعطاها للكافرين في الدنيا أو عُموم البشر، يبيِّن اللّه سبحانه ويعقد لهم سبحانه المقارنة بين الأمن والخوف وبين الجنة والنار.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

وهؤلاء الكفرة يعنّفهم اللّه سبحانه عند العرض عليه أشد تعنيف، حيث استمتعوا بطيباتهم في حياتهم الدنيا وفضَّلوها على الآخرة، رغم ما جاءهم من بيِّنات من اللّه سبحانه وإنذارٍ من رسله ووعيد في كتبه.

يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

أوَّل من تسعّر بهم النَّار

إن من أشدِّ ما يغضب اللَّه سبحانه أعمالَ المرائين والمنافقين، الذين كانوا يبتغون في أعمالهم الدنيا ومنافعها، ويتظاهرون أنها لوجه اللَّه سبحانه خالصة، أولئك يكشفهم اللَّه سبحانه يوم القيامة ويعرفهم بأعمالهم ويشهد على كذبهم ويأمر بهم إلى النار، وهؤلاء أول من تسعّر بهم النار.

ـ عن شُفَي بن ماتع الأصبحي رحمه اللَّه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه، حتى قعدت بين يديه، وهو يحدِّث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أسألك بحق وحق، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول اللَّه ﷺ عقَلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنَّك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ، عقلته وعلمته، ثم نشغ أبو هريرة نِشْغة، فمكث قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدثنَّك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نِشْغة أخرى، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: أفعل لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ، أنا وهو في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نِشْغة شديدة، ثم مال خارًّا على وجهه، فأسند طويلاً، ثم أفاق، فقال: حدّثني رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل اللَّه، ورجل كثير المال، فيقول اللَّه للقارئ: ألم أعلّمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار،**

فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول اللَّه له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال، فيقول اللَّه: ألم أوسِّع عليك، حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقيل ذلك.

ثم يؤتىٰ بالذي قتل في سبيل اللَّه، فيقول اللَّه: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت، فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تسعّر بهم النار يوم القيامة».

قال الوليد أبو عثمان المدائني: فأخبرني عقبة بن مسلم: أن شفياً هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا.

قال أبو عثمان: وحدَّثني العلاء بن أبي حكيم: أنه كان سيَّافاً لمعاوية، فدخل عليه رجل، فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فُعل بهؤلاء هكذا، فكيف بمن بقي من الناس، ثم بكى معاوية بكاء شديداً، حتى ظننا أنه هالك، وقلنا: قد جاء هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية، ومسح عن وجهه، وقال: صدق اللَّه إذ يقول:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

[سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦]

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه.

ـ عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناقل أخو أهل الشام: أيها الشيخ حدّثني حديثاً سمعته من رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: نعم سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به، فسُحِب على وجهه، حتى ألقي في النار . . . ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلّمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه، حتى ألقي في النار . . ورجل وسَّع اللَّه عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه بنعمه، فعرَّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه ثم ألقي في النار»[١].

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥) ورواه النسائي.

عِظَمُ خَلْق
أهل النار في النار

.. نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقد بيّن ذلك رسول اللّه ﷺ في أحاديثه الشريفة:

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **ناركم هذه، التي يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم** »، قالوا: واللّه إنْ كانت لكافيةً، قال: « **إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرِّها** »[1].

... ولعظمة النار وشدة حرِّها تُعَظَّمُ وتضخم أجساد الكافرين والمشركين في النار تعظيماً وتضخيماً كبيراً، حتى تتناسب تلك الأجساد مع عظيم تلك النار التي ذكرنا عن حرِّها وشدة اشتعالها وهولها الكثير في الفصل الأول.

يقول تعالى:

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

ولقد تحدث رسول اللّه ﷺ عن عظم خلق الكافرين في جهنم في كثير من الأحاديث الشريفة.

- يروي لنا أبو هريرة رضي اللّه عنه عن عظم خلق الكافرين في جهنم كثيراً من الأحاديث الشريفة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[(١)].
ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»[(٢)].
ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، مقعده في النار ما بيني وبين الرَّبَذة»[(٣)].
البيضاء: اسم جبل ـ ورقان: جبل على يمين المار من المدينة إلى مكة ـ الرَّبَذة: قرية قرب المدينة المنورة.
ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة»[(٤)].
ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع»[(٥)].
عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربَذة، وبطنه مثل بطن إضم»[(٦)].
إضم: اسم جبل.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (٤/ ٢١٨٩)، وكذلك رواه الترمذي والحاكم وابن حبان والإمام أحمد.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (٤/ ٢١٩٠).
(٣) رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرَك، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٩٤).
(٤) رواه الترمذي ـ مشكاة المصابيح (٣/ ١٠٣) وقال: حديث حسن صحيح.
(٥) رواه البخاري. (٦) رواه الحاكم.

عن المقدام رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان من أهل النار عُظِّموا وفُخِّموا كالجبل**»(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن الكافر ليعظم، حتى إن ضرسه لأعظم من أحد، وفضيلة جسده على ضرسِه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه**»(٢).

ولهذا تحدَّث اللَّه سبحانه عن النشأة الآخرة للإنسان وأنها ستكون مغايرة لما عهدوا أنفسهم عليه في الدنيا.

يقول تعالى:

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

ويقول الصابوني في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين:

أي لسنا بعاجزين أيضاً أن نعيدكم يوم القيامة في خِلقة لا تعلمونها ولا تصل إليها عقولكم، وأما ابن كثير فيقول في قوله: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي من الصفات والأحوال المغايرة وأحوال ما كنتم عليه في الدنيا. وكثيرة هي الأحاديث الشريفة التي تدل على عظم خلق الكافر في نار جهنم يوم القيامة، ذلك أن اللَّه سبحانه جعل وقود النار الناس من الكفرة والحجارة، وحتى يكونوا وقودها في نار جهنم ضخَّم اللَّه سبحانه أجسادهم تضخيماً كبيراً حتى يبلغ هذا المبلغ، كضرسه الذي يكون كجبل أحد، وما بين منكبي جسده ثلاثة أيام، ومقعده من النار كما بين مكة والمدينة.. فأي شكل لهؤلاء الكفرة في جهنم وأي قبح هم فيه؟ فوجوههم كالحة سوداء من الغضب الذي يحل عليهم من رب العالمين.

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه ابن ماجه.

قبح صور الكافرين في النار وسواد وجوههم

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٢٧]

أي والذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا اللَّه وكفروا فسيجزون على السيئة بمثلها لا يزدادون على ذلك، فالحسنات مضاعفة بفضل اللَّه، والسيئات جزاؤها بالمثل عدلاً من اللَّه تعالى[1]، ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي تغشاهم ذلة وهوان ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي ليس لهم أحد يعصمهم أو يمنعهم من سخط اللَّه تعالى وعقابه ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ أي كأنما ألبست وجوههم من فرط السواد والظلمة قطعاً من سواد الليل ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي لا يخرجون منها أبداً.

---

(١) القرطبي ٨/ ٣٣٣.

وقد بيّن اللّه سبحانه سوء حال أهل النار حين تلفح وجوههم النار فتجعلها كالحةً وهم يعيشون فيها الأبد.

يقول تعالى:

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٤]

وقد ورد عن رسول اللّه ﷺ في تفسير هذه الآية الكريمة حديث شريف..

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ قال: «**تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته**»(١).

وقد روي عن ابن مسعود أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ قال: ككلوح الرأس النضيج ـ وعنه ككلوح الرأس المشيط بالنار وقد بدت أسنانهم، وتقلصت شفاههم.

وخرّج الخلّال في كتاب السنّة من حديث الحكم بن الأعرج، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: «**يعظم الرجل في النار، حتى يكون جسده سبع ليال، ضرسه مثل أحد، شفاههم على صدورهم مقبوحين، يتهافتون في النار**»(٢).

ويقول الصابوني في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ أي وهم في جهنم عابسون مشوهو المنظر، قال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشيط بالنار، وفي الحديث:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في السنن والحاكم في المستدرك وقالا: صحيح.
(٢) التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي صفحة (١٧٢).

« تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته» .

[رواه الترمذي وقال: حسن غريب]

وقد جاء في تفسير ابن كثير نفس المعنى قال: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ .

قال ابن عباس: يعني عابسون، وقال ابن مسعود: كالرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه.

هل تعظم أجساد عصاة الموحدين في النار؟؟

لقد ورد في السنة النبوية الشريفة أن أجساد عصاة الموحدين أيضاً تعظم في النار ذلك أن من العصاة الموحدين من أتى اللَّه سبحانه بمعاص غزيرة وكبائر كثيرة، ومنهم من أتى اللَّه سبحانه بظلم وبغي وعقوق للوالدين وارتكاب لأكثر الكبائر.

عن حارث بن قيس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **إن من أمتي من يعظم للنار، حتى يكون أحد زواياها** »[١].

وخرّج الطبراني من حديث أبي غنم الكلاعي، عن أبي غسان الضبي، قال: قال لي أبو هريرة ـ بظهر الحيرة ـ تعرف عبد اللَّه بن خدَّاش ـ فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« **فخذه في جهنم مثل أحد، لعلها ضرسه مثل البيضاء، قلت: لِمَ ذلك يا رسول اللَّه؟! قال: كان عاقاً لوالديه** »[٢].

وهذا الحديث تؤكده الأحاديث الشريفة التي تكلمت بخصوص عقوق الوالدين وما يناله العاق من غضب اللَّه سبحانه يوم القيامة، وما يناله مما توعده اللَّه سبحانه من العذاب الأليم.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة**

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

(٢) رواه الطبراني.

بالرجال، والدَّيوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى»[١].

. . . صحيح أن عصاة أهلِ التوحيد وأهل شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه يخرجون من النار بشفاعة رسول اللَّه ﷺ والمؤمنين وبرحمة اللَّه سبحانه، إلا أنهم يلقون ما يستحقون من العذاب في النار جزاء ما ارتكبوا وما اقترفته أيديهم من الآثام والفواحش وعدم الطاعة والعبادة.

وكم من أهل التوحيد العصاة الذين يأتون اللَّه سبحانه يوم القيامة من غير صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا حج غير ما ارتكبوا من الآثام، فهؤلاء ينالون حظهم من النار وتعظم أجسادهم فيها كما ورد في الحديث الشريف، ولا ينفعهم في النهاية إلا أنهم من أهل شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، فيخرجون من النار كما تقدم بالشفاعة وبرحمة أرحم الراحمين. . وقد ورد عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال: **«اعمل في الدنيا على قدر تحملك للنار في الآخرة»**. وهذا أيضاً دليل على أن العصاة من أهل التوحيد ينالون جزاءهم في النار يوم القيامة واللَّه أعلم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي والحاكم في المستدرك صحيح الجامع الصغير.

سلاسل وأغلال وأنكال أهل النار

يا لهول ما أعدَّ اللَّه سبحانه لأهل النار من صنوف العذاب والذي لا تنتهي فصوله أبد الآبدين.

وكلما تحدثنا عن نوع من أنواع شقاء أهل النار في النار، وعن صنف من صنوف العذاب نجده أشقَّ من سابقه، وهو كله شاق مؤلم مهين.. ولقد كررتُ في أكثر من مرة أن القلم فعلاً ليعجز عن وصف أمور كثيرة من أمور النار وأهوالها وعذابها، وأمور فيها من ذل وهوان، لأن الأمر يفوق مستوى العقول الدنيوية وقدراتنا الفكرية وحتى تخيلاتنا.. فالكافرون والمشركون والمنافقون يدركون من قبل أن يدخلوا النار عظيمَ ما أُعدّ لهم من العذاب، لذلك يتمنون وهم في حالة مزرية ومِن قبل أن يدخلوا النار عظيم ما أُعدّ لهم من العذاب، لذلك يتمنون وهم في حالة الحساب والعرض على اللَّه سبحانه كما قدَّمت في الجزء السابع من الموسوعة أن تُسوّى بهم الأرض خوفاً من النار، ولأن جرائمهم وظلمهم ليست بخافية على اللَّه سبحانه، وهو القائل في محكم كتابه:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٤٠]

فإنه يتمنى الفناء الأبدي عن أن يقف بين يدي اللَّه من كثرة جرائمه وشدة كفره وشركه باللَّه سبحانه.. فتصوَّر أنه يتمنى الفناء الأبدي وأن يكون مثل تراب الأرض.. بينما المؤمن يدخل في النعيم الذي أعدَّه اللَّه سبحانه له في جنات اللَّه الخالدات، وهذا فرق عظيم لو يدركه الكافرون قبل موتهم، أو لو يعلمون ما أُعدَّ لهم من عذاب خالد، ولكنهم في دنياهم يعيشون في الضلال، منكرين البعث والعودة إلى اللَّه، ويصمُّون آذانهم عن السمع والنصيحة والإنذار وعن أي شيء يعظهم لعلهم يؤمنون ويعودون إلى جادّة الصواب.

إن ما يلقاه الكافرون من ذل ومهانة وشقاء، هو نتيجة طبيعية وحتمية لإصرارهم على الكفر والمعصية، ومعاداة المؤمنين وسخريتهم منهم.

تسعِمائة وخمسون عاماً ونوح عليه السلام يدعو قومه، ولا مِنْ مجيب من هؤلاء الكافرين المعاندين، بل يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم كلما دعاهم نوح عليه السلام.

يقول تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾.

[سورة نوح، الآيات: ٥ ـ ٧]

هؤلاء وأمثالهم جمٌّ غفير من الكفرة الفجرة أعدَّ اللَّه سبحانه لهم من العذاب ما يفوق تخيلات كل البشر.. ومن صنوف العذاب التي أعدَّها اللَّه سبحانه لهؤلاء، تلك الأغلال والسلاسل والمقامع والأنكال والأصفاد والتي هي من أشد أنواع وصنوف العذاب التي يجدها أهل

النار في النار.. فغير عذاب النار وشوي الأجساد وما يلقونه في النار، تلك الأصفاد والسلاسل التي يُجرّون ويسحبون ويربطون بها كما تربط الأنعام.. فأيديهم مغلولة إلى أعناقهم والسلاسل تربط من النواحي، ويعقد عليها بالأقدام، وتجعل السلاسل أيضاً في أعناقهم ليسحبوا منها ويجرون بها في النار فأي ذل هذا؟ وأي هوان هذا؟ وأي عذاب هذا؟.. وكل هذا لقاء عنادهم واستكبارهم عن الإيمان باللَّه، واتباع الهوى والشياطين والشهوات والملذات.. حتى إن اللَّه سبحانه يقول عن هؤلاء في كتابه الكريم: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي كيف يصبرون على النار، وأنه ينبغي أن يتعجب من حالهم كلُّ أحد؟

يقول تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٧]

واللَّه سبحانه يقول لأولئك الذين أصروا وعاندوا واستكبروا عن الإيمان والطاعة، ويبيِّن لهم أنه شديد العذاب:

﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥]

أي إن اللَّه سبحانه ينذرهم أنه شديد العذاب.. ومن شدة العذاب الذي توعدهم اللَّه سبحانه به ـ أنهم في النار خالدون فيها وهم مقرَّنون مصفَّدون مربوطون في تلك الأغلال، ولنسمع ما قاله تعالى عن هذا العذاب العظيم المذل المهين في نار جهنم.

يقول تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٤]

ويقول تعالى:

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٧١، ٧٢]

ويقول أيضاً:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

[سورة المزمل، الآيتان: ١٢، ١٣]

ويقول أيضاً:

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

. . . هذه آيات كريمة عظيمة تحمل معاني ما أعدَّ اللّه سبحانه لأهل النار من الأغلال التي يقيدون فيها ذلاً ومهانة، غير ما ينالهم من

عذاب النار، والتي يتقون لهيبها بوجوههم، لأن أعضاءهم الأيدي والأرجلَ مغلولة بعضها إلى بعض، ولا بد من الوقوف على معاني تلك الآيات الكريمة لندرك معانيها حقاً، ولندرك معاني هذا النوع من العذاب الشديد الذي لا تحتمله عقول ولا قلوب ولا أجساد، رغم تعظيمها وتفخيمها إلى الحد الذي ذكرناه.. لكنهم وكل هذا التعظيم لأجسادهم يبقون ضعفاء لا حول لهم ولا قوة أمام قدرة اللَّه، وما هيأ لهم من زبانية جهنم الذين يشرفون على عذابهم ويمعنون في ذلهم وهوانهم.

يقول تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣٣]

وقال الصابوني في صفوة التفاسير عن هذه الآية: أي وجعلنا السلاسل في رقاب الكفار زيادة على تعذيبهم في النار.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: وهي السلاسل تجمع أيديهم مع أعناقهم.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٤]

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب، والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٧١، ٧٢]

ولما ذكر تعالى ما أعدَّ لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٥]

وقد عُلم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة.

ويقول تعالى:

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٧١، ٧٢]

ويقول الصابوني في تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين: إنهم حين يدخلون النار تُرْبط أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال والسلاسل، ثم يسحبون بتلك السلاسل في الماء المسخن بنار جهنم، ثم يوقدون ويحرقون فيها.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أي متصلة الأغلال في أيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة في الحميم، وتارة إلى الجحيم، ولهذا قال تعالى: ﴿يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

ويقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

وهذه الآيات من سورة الحاقة من أكثر الآيات تعبيراً أو تفصيلاً حول تلك الأغلال والقيود والأصفاد التي يكبل بها المجرمون الكفرة، لذا رأينا أن نأتي بمعاني كلماتها ثم تفسيرها من كل الوجوه، ومعاني كلمات هذه الآيات.

﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾ شدوه في الأغلال

واجمعوا يديه إلى عنقه في الغُل: وهو ما يكبل به الأسير أو المتهم من القيود والسلاسل.

﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿ صَلُّوهُ﴾ أدخلوه وأوردوه إياها يصلى نارها ويحترق بها ﴿ ذَرْعُهَا﴾ طولها ﴿ سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ المراد أنها سلسلة طويلة ـ نعم طويلة لأن الكافر كما تقدم يعظم في النار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام وسماكة جلده أي غلظ جلده اثنان وأربعون ذراعاً، ومقعده من النار لضخامة جسده كما بين مكة والمدينة، لذلك تكون السلسلة التي يُقيد بها عظيمةً، بطول سبعين ذراعاً بذراع الملك ﴿ فَاسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، بأن تلفوها على جسده لئلا يتحرك، وتقديم الجحيم والسلسلة للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به، وكلمة ﴿ ثُمَّ﴾ لتفاوت ما بينهما في الشدة.

ويقول د. **وهبة الزحيلي في التفسير المنير** حول تفسير هذه الآيات الكريمة التي تشير إلى الأغلال والسلاسل:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ .

أي يأمر اللَّه سبحانه الزبانية قائلاً: خذوه مكبلاً بالقيود والأغلال: بِجَمْعِ يده إلى عنقه في الغُل، ثم أدخلوه الجحيم ليصلى حرَّها، ثم أدخلوه في سلسلة (حلق منتظمة) طولها سبعون ذراعاً تلف على جسمه، لئلا يتحرك[١].

ويقول **الصابوني** في تفسير هذه الآيات من سورة الحاقة:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي يقول تعالى لزبانية جهنم: خذوه: خذوا هذا المجرم الأثيم فشدوه بالأغلال. **وقال القرطبي**: فيبتدره مِائة ألف

---

(١) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي جزء (٢٩، ٣٠) صفحة (٩٩).

ملك، ثم يجمع يده إلى عنقه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَغُلُّوهُ﴾[١]. ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي أدخلوه في النار العظيمة المتأججة، ليصلى حرَّها ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ أي ثم أدخلوه في سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعاً، **قال ابن عباس**: بذراع الملك تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه. والسلسلة هي حلق منتظمة، كل حلْقة في حلقة، يلف بها حتى لا يستطيع حَراكاً، ولما بيَّن اللَّه العذاب الشديد، بيَّن أسبابه وأولها أنه كان لا يؤمن باللَّه العظيم.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه بكل عنف من المحشر فتغله، أي تضع الأغلال في عنقه، ثم توردهُ إلى جهنم فتصليه إياها، أي تغمره فيها. عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال اللَّه تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول: هكذا: «**فيلقي سبعين ألفاً في النار**»[٢].

[رواه ابن أبي حاتم]

وقال الفضيل بن عِياض: إذا قال الرب عزّ وجلّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي اغمروه فيها ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، **قال كعب الأحبار**: كل حلقة فيها قدر حديد الدنيا، **وقال ابن عباس**: بذراع الملك، **وقال العوفي** عن ابن عباس: تُسلك في دبره حتى تَخرج من منخريه حتى لا يقف على رجليه، وروى الإمام أحمد عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو أن**

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٢.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٣) صفحة (٥٤٥) في تفسير سورة الحاقة.

رضاضة مثل هذه ـ وأشار إلى جمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمِائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ مقرها أو أصلها».

[أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن]

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ .

[سورة المزمل، الآية: ١٢]

فلقد وصف اللَّه سبحانه ما أعدَّ للكافرين من عذاب في نار جهنم ومنها الأنكال، وهي القيود الثقيلة التي تثقل كاهلهم وتزيد في أوزانهم حتى يبقوا في ثقل، **وقال في التسهيل**: الأنكال جمع نِكْل وهو القيد من الحديد، وروي أنها قيود سود من نار(١).

ويقول تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٩]

يقول ابن كثير:

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ . . . ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

وتبرز الخلائق لديّانها، وترى يا محمد يومئذٍ المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي بعضهم إلى بعض قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف كما قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ .

[سورة الصافات، الآية: ٢٢]

---

(١) انظر حاشية الصاوي ٤/ ٢٦٠.

وكما قال: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ .

[سورة التكوير، الآية: ٧]

وكما قال: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٣]

ويقول: الأصفاد هي القيود.

مقامع حديد أهل النار

في نار جهنم يوجد غير السلاسل والأغلال والأصفاد مقامعُ من حديد، أعدَّها اللَّه سبحانه لأولئك الذين يريدون أن يخرجوا من نار جهنم ـ ذلك أن الكفرة الفجرة رغم أنهم مقيدون بالأصفاد والسلاسل التي ترهق كاهلهم وتزيد من وزنهم وثقلهم، حتى يبقوا دائماً في قعر المكان المخصص لهم من جهنم، إلا أنهم يحاولون الخروج من النار خلال مُكثهم الأبدي، فيتحركون وإن كان ببطء نحو الأعلى وربما يراهم الملك من الزبانية المخصص لعذابهم.. فيتركهم ليزدادوا ألماً وعذاباً في صعودهم كما قال تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

[سورة المدثر، الآية: ١٧]

حتى إذا وصل أحدهم إلى المكان الذي يمكن أن يخرج منه، جاءه ما لم يكن في حسبانه بعد هذا الجهد المهلك المضني.. فيضربه الملك من الزبانية بمِقْمعة من حديد لا يعلم قدرها وحجمها وقوتها إلا اللَّه سبحانه، فيهوي في جهنم مرة أخرى ويُعَاد من حيث أتى.

يقول تعالى:

﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ٢١، ٢٢]

﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي ولهم مطارق من حديد وسياط من

حديد يُضربون بها ويدفعون، وفي الحديث: «**لو وضعت مقمعة في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها**».

[رواه أحمد]

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

أي كلما أراد أهل النار الخروج من النار من شدة غمها رُدُّوا إلى أماكنهم فيها، قال الحسن: إن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لو ضرب الجبل بمقامع من حديد لتفتت ثم عاد**»[٢].

وقال الإمام أحمد في كتاب الزهد: حدّثنا سيار، حدّثنا جعفر، سمعت مالك بن دينار قال: إذا أحس أهل النار بضرب المقامع، يُغمسون في حياض الحميم، فيذهبون سفالاً، كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا ويذهب سَفالاً سَفالاً... قال سعيد، عن قتادة: قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: ذكروهم النار لعلهم يفرَقون فإن حرَّها شديد، وقعرها بعيد، وشرابها الصديد، ومقامعها الحديد[٣].

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٣) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صفحة (١٣٣).

طعام أهل النار

كم الفرق شاسع عندما يتحدث اللَّه سبحانه عن أهل الجنة وما أعدّ لهم من نعيم مقيم من طعام وشراب وحور عين وإكرام ومقام عظيم ولهم في الجنة ما يشاؤون وعند اللَّه سبحانه مزيد؟

وكذلك عندما يتحدث عن أهل النار وما أعدَّ لهم من شقاء مقيمين فيه وخالدين فيه في نار جهنم. . . وإن من أعظم الشقاء الذي يعيش فيه أهل النار ما يقدّم لهم من طعام في نار جهنم يزيد في عذابهم كالضريع والزقوم.

يقول تعالى:

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾.

[سورة الغاشية، الآيتان: ٦، ٧]

والضريع: شوك بأرض الحجاز يقال له (الشَّبْرق).

وقال ابن عباس: الشبرق نبت ذو شوك لاطئ بالأرض فإذا هاج سمي ضريعاً، وقالوا: (الضريع) نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه وضره وشدّة مرارته.

وجاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس: (الضريع: شيء يكون في النار يشبه الشوك أمرُّ من الصَّبِر وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، واللَّه سبحانه يبيِّن في الآيتين الكريمتين أن ليس لأهل النار من طعام يأكلونه إلا الضريع وهو شوك يابس شديد المرارة والضر، يقال له في لغة أهل الحجاز: الشبرق إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريع

وهو سَم، وشر طعام، وأبشعه وأخبثه، ولا به مقصود، ولا يندفع به محذور، فلا يسمن آكله، ولا يدفع عنه الجوع)[١].

أكلهم هذا نوع من أنواع العذاب.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾.

[سورة الدخان، الآيات: ٤٣ ـ ٤٦]

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمة:

قال أبو الدرداء: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر أي ليس له طعام من غيرها. وقال مجاهد: ولو كَعَكَر الزيت ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾. **ويقول الصابوني** في صفوة التفاسير:

لما ذكر اللَّه سبحانه الأدلة على القيامة، أردفه بوصف ذلك اليوم العصيب، فذكر وعيد الكفار أولاً ثم وعد الأبرار ثانياً للجمع بين الترهيب والترغيب فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ أي إن هذه الشجرة الخبيثة شجرة الزقوم ـ التي تنبت في أصل الجحيم، طعام كل فاجر ليس له طعام غيرها، **قال أبو حيان**: الأثيم صفة مبالغة وهو الكثير الآثام وفسر بالمشرك، وقوله سبحانه: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴾ أي هي في شناعتها وفظاعتها إذا أكلها الإنسان كالنحاس المذاب الذي تناهى حره فهو يجرجر في البطن.

﴿ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ أي كغليان الماء الشديد الحرارة.

وقال القرطبي في تفسيره: وشجرة الزقوم هي الشجرة التي

---

(١) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي جزء (٢٩، ٣٠) صفحة (٢ ـ ٥).

خلقها في جهنم وسماها الشجرةَ الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار. وشبَّه تعالى ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب، والمراد بالأثيم الفاجر ذو الإثم، وهو أبو جهل، وذلك أنه كان يقول: يعدنا محمد أنَّا في جهنم نأكل الزقوم، وإنما هو الثريد بالزُّبْد والتمر، لذلك يقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي يقول اللّه سبحانه للزبانية يوم القيامة: خذوا هذا الفاجر اللئيم وجروه من تلابيبه بعنف وشدة إلى وسط الجحيم.

... ولقد جاء وصف شجرة الزقوم في آية قرآنية كريمة بشيء من التفصيل والبيان ليكون الناس على حذر منها، فقد وصفها اللّه سبحانه بصفات ذميمة، فوصَفَ خروجها، وطلعها، وأكلها، وعذابها.

يقول تعالى:

﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۞ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۞ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبًا مِّنۡ حَمِيمٍ ۞ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ٦٢ ـ ٦٨]

التفسير: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ أي أنعيم الجنة خيرٌ ضيافة وعطاء أم شجرة الزقوم التي في جهنم، أيُّها خير وأفضل؟ فالفواكه والثمار طعام أهل الجنة وشجرة الزقوم طعام أهل النار، والغَرَض منه توبيخ الكفار ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إنا جعلنا شجرة الزقوم فتنة، قالوا: كيف يكون في النار شجرةٌ والنار تحرق الشجر؟ وهم لا يعلمون أن اللّه قادر على كل شيء، وهم لا يعلمون أن قوانين الدنيا غير قوانين الآخرة، وأن كل شيء في الآخرة مغاير

لما هو في الدنيا ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي تنبت في مقر جهنم، ثم هي متفرعة فيها بأمر اللَّه سبحانه، واللَّه يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء، وإذا أراد شيئاً فإنه يقول له: كن فيكون، وهذا نبات يعيش على الماء العذب، وإذا غمرته بالماء دائماً يموت، وهذا نبات يعيش في الماء المالح، وإذا لم تغمره بالماء المالح يموت، وهذا نبات يحتاج كل يوم إلى الماء، وهذا نبات لا يحتاج إلى ماء إلا كل عدة أشهر، وغير هذا كثير، وهذه المعادن منها ما يتأثر بالنار ومنها ما لا يتأثر كالقصدير مثلاً، ويخلق اللَّه ما يشاء، ويقول تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي ثمرها وحَملها كأنه رؤوس الشياطين لها أشكال قبيحة وبشعة، **وقال ابن كثير**: وإنما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين، لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي إن هؤلاء الكفار لشدة جوعهم مضطرون إلى الأكل منها حتى تمتلئ منها بطونهم، فهي طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة، وفي الحديث: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم**».

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي إن لهم بعدما شبِعوا منها وغلبهم العطش، لمِزاجاً من ماء حار قد انتهت حرارته، يشاب به الطعام أي يخلط ليجمع بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعذابهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ أي ثم مصيرهم ومرجعهم إلى دركات الجحيم، **قال مقاتل**: الحميم خارج الجحيم فهم يوردون الحميم للشرب ثم يردون إلى الجحيم، **وقال أبو السعود**: الزقوم والحميم نُزُل يقدم إليهم قبل دخولها.

ويقول تعالى في موضع آخر عن طعام أهل النار:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ * لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ * فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦]

ومع خبث هذه الشجرة وفظاعة منظرها إلا أن أهل النار يلقى عليهم الجوع ويتألمون منه ألماً شديداً، فيقدّم لهم الزقوم، فإذا امتلأت بطونهم أخذت الزقوم تغلي في بطونهم كما يغلي الزيت، فيجدون في ذلك آلاماً مبرِّحة لا تطاق ولا تحتمل، فإذا بلغ بهم الحال إلى هذه الآلام، اضطروا أن يُهرَعوا إلى شراب الحميم وهو الماء الحار الذي يغلي بأعلى درجات الغليان، فيشربوا منه كما تشرب الإبل دون أن يرتووا، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم كما يقول تعالى: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ١٥]

وفوق كل هذا فإن الطعام لمرارته وشدة حرارته يصير كشوكة تقف في حلوقهم فلا يندفع إلى أمعائهم، فيحدث لهم أوجاعاً فظيعة وعذاباً أليماً لا يحتمل ولا يطاق.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

[سورة المزمل، الآيتان: ١٢، ١٣]

والطعام ذو غصة، الغُصة هو الذي يَغصُّ به آكلهُ إذ يقف في حلقه من شدة تشوكه وحرارته والعياذ بالله.

هذا وقد ذكر الله سبحانه أن من طعام أهل النار الغسلين، والغساقَ.

يقول تعالى:

﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ .

[سورة الحاقة، الآيات: ٣٥ ـ ٣٧]

ويقول تعالى:

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ .

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

والغسلين والغساق بمعنى واحد وهو ما سالَ من جلود أهل النار من القيح والصديد، وقيل: ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم، **وقال القرطبي**: هو عُصارة أهل النار.

وقال في التفسير المنير: ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ .

[سورة الحاقة، الآيتان: ٣٦، ٣٧]

أي وليس له طعام إلا ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد وقيح ودم لا يأكله إلا أصحاب الخطايا والذنوب، **وقال قتادة عن الغسلين**: هو شر طعام أهل النار، والطعام: اسم بمعنى الإطعام، كالعطاء اسم بمعنى الإعطاء.

وعن الغساق في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ .

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

يقول في صفوة التفاسير: أي هذا هو العذاب الأليم فليذوقوه وهو الحميم أي الماء المحرق، والغساق هو دَمٌ يسيل من صديد أهل النار، **وقال الطبري**: في الآية تقديم وتأخير أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، والحميم الذي أحمي حتى انتهى حره: أي وصل إلى أعلى

درجة يمكن أن يصلها، والغساق ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أي وعذاب آخر من مثل هذا العذاب المذكور كالزمهرير، والسموم، وأكل الزقوم لهم منه أنواع وأصناف، واللَّه سبحانه نوّع العذاب بما لا يعلمه إلا هو، ولا يكون إلا بقدرة اللَّه سبحانه.

وللصحابة الكرام رضوان اللَّه عليهم تفسيرات وأقوال في طعام أهل النار، **فعن ابن عباس** أنه قال: إن شجرة الزقوم نابتة في أصل سقر. **ورُوي عن الحسن**: إن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، **وقال سلام بن مسكين**: سمعت الحسن تلا هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ قال: إنها هناك قد جُمعت عليها جهنم.

وقال مغيرة: عن إبراهيم، وأبي رزين ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ قال: الشجر يغلي، وقال **جعفر بن سليمان**: سمعت أبا عمران الجوني يقول: بلغنا أنه لا ينهش فيها نهشة إلا نهشت منه مثلها.

وقد دل القرآن الكريم، على أنهم يأكلون منها حتى تمتلئ بطونهم فتغلي في بطونهم، كما يغلي الحميم، وهو الماء الذي انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليها من شدة حاجتهم إلى الماء من الحميم شرب الهِيم، والهيم الإبل العطاش.

وقال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: الهيم الإبل العطاش، **وقال السدي**: هو داء يأخذ الإبل فلا تُروى حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً، وقال مجاهد نحو ذلك.

وعن الضحاك أنه قال: في قوله تعالى: ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٥٥]

قال: من العرب من يقول: هو الرمل، ومنهم من يقول: الإبل العطاش، وقد روي عن **ابن عباس** كلا القولين، وذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٦٧]

على أن الحميم يشاب به ما في بطونهم من الزقوم، فيصير شَوباً له. وقال عطاء الخراساني في هذه الآية: يقال: يخلط طعامهم ويشاب بالحميم، وقال قتادة: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: مزاجاً من حميم.

وعن سعيد بن جبير قال: إذا جاع أهل النار، استغاثوا من الجوع، فأغيثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فانسلخت وجوههم، حتى لو أن ماراً مرّ عليهم ويعرفهم لعرف أي ريح جلود وجوههم، فإذا أكلوا منها، ألقي عليهم العطش، فاستغاثوا من العطش، فأغيثوا بماء كالمهل، والمهل: الزيت المَغلي الذي قد انتهى حره؛ فإذا أُدني من أفواههم، أنضج حره الوجوه، فيصهر به ما في بطونهم؛ ويضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور أي بالهلاك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٦٨]

أي بعد أكل الزقوم وشرب الحميم عليه، ويدل على أن الحميم خارج من الجحيم، فهم يردونه كما ترد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم. ويدل على هذا أيضاً، قوله تعالى:

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

والمعنى أنهم يترددون بين جهنم والحميم، فمرة إلى هذا،

ومرة إلى هذا، قاله قتادة، وابن جريج، وغيرهما[١].

وقال القُرَظي في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال: إن الحميم دون النار، فيؤخذ العبد بناصيته، فيجر في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحم، ويبقى العظم، والعينان في الرأس وهذا الذي يقول اللّه عزّ وجلّ فيه:

﴿فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٧٢]

(١) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صفحة (١٤٨).

شراب أهل النار

إن من أعظم عذاب أهل النار عطشَهم وشدة حاجتهم إلى الماء، ليطفئوا لهيب بطونهم التي أكلت الزقوم والضريع.

وما أمس حاجة الإنسان حتى في الدنيا إلى الماء، فالإنسان بطبعه يصبر على الطعام أكثر بكثير من صبره على الماء، وربما يعيش الإنسان إذا انقطع عنه الطعام نحواً من شهر، ولكن إذا انقطع عنه الماء فقد لا يعيش أكثر من خمسة إلى سبعة أيام... وكلنا جرَّب العطش وخاصة في شهر رمضان إذا جاء في أشهر الصيف الحارة... أو أكل أحدنا طعاماً غليظاً دسماً فإنه يكون بحاجة شديدة إلى الماء.

فما رأيك بمن يأكل الزقوم والضريع الذي يغلي في البطون يوم القيامة في نار جهنم؟ فكم هو بحاجة إلى الماء؟

لذا بيَّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم استغاثة أصحاب النار بأصحاب الجنة أن يفيضوا عليهم بما أفاض اللَّه عليهم من الماء.

يقول تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥٠]

أي إن اللَّه سبحانه حرَّم هذا الماء وهذا الطعام الذي يُطاف به على المؤمنين في الجنة بكل إكرام وإعزاز على الكافرين.

يقول تعالى:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٤ ـ ١٨].

ويقول تعالى:

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ * قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

لذلك ومن هذا الفرق الهائل والشاسع أو قل ليس من مقارنة بين مقام أهل الجنة ومقام أهل النار، إن اللَّه سبحانه يقول في آية أخرى يبيِّن فيها الفرق بين من يُلقىٰ في النار وطعامه الزقوم وشرابه الحميم، ومن يأتي آمناً مقامه الجنة خالداً فيها طعامه أشهى أنواع لحم الطير، وشرابه كأس كان مزاجها زنجبيلاً وكافوراً.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

فماذا عن شراب أهل النار؟ وكيف يغاثون إذا استغاثوا؟ وكيف يطفئون لهيب ما يغلي في بطونهم من الزقوم والضريع الذي أكلوه جوعاً؟

يقول تعالى مقارناً بين شراب أهل الجنة وشراب أهل النار:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ

طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ١٥]

فالمؤمنون يشربون من هذه الأنهار التي هي لذة للشاربين وفوقها مغفرة من اللَّه ورضوان، وأما الكافرون الخالدون في النار فإذا استسقوا سُقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم لشدة حرارته الذي انتهى إلى أعلى درجة حرارة، فدخل أفواههم ليطفئ غليان الزقوم والضريع، ولكن بدل أن يطفئ غليان طعام الزقوم والضريع، فإنه لشدة حرارته قطع أمعاءهم ومزقها شر ممزَّق.

وفي حاشية الصاوي وتفسير القرطبي:

﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي كمن هو مخلد في الجحيم؟ والاستفهام للإنكار أي لا يستوي من هو في ذلك النعيم المقيم بمن هو خالد في الجحيم ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ أي وسقوا مكان تلك الأشربة الطيبة المذاق والباردة لأهل الجنة، ماء حاراً شديد الغليان، فقطَّع أحشاءهم من فرط حرارته؟ وقال المفسرون: بلغ الماء الغاية من الحرارة، إذا دنا منهم شوىٰ وجوههم، ووقعت فرواتِ رؤوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم وخرجَ من أدبارهم[١].

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة يقولون في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ وبعد أن قدَّم اللَّه سبحانه عن نعيم أهل الجنة ما تفسيره قال: فهم ليسوا كالفريق الخالد في النار وسقوا ماء حاراً شديد الغليان فقطع أمعاءهم لشدة حرارته، وتقدير المعنى: أمثل أهل الجنة على هذه الصفات من النعيم كمثل

(١) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٧، وحاشية الصاوي ٤/ ٨٤.

جزاء من هو خالد في النار؟ أو كمن هو خالد في النار؟! والجواب واضح: لا مماثلة بين الفريقين.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَآءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا * فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآيات: ٢١ ـ ٣٠]

إنها آيات عظيمة تبيِّن حال وواقع أهل النار في النار، ويا هول ما سيلقون، فكلمات الآيات إنذار شديد لأهل الكفر والشرك والنفاق والطغاة، فجهنم مرصادٌ لهم ومآب خالدين فيها ليس لهم من شراب بارد، ولا يذوقون إلا النار ولا يشربون إلا الحميم والغساق، وهذا جزاؤهم العادل، لأنهم لم يكونوا يعتقدون أنهم سيرجعون إلى ربهم فيحاسبهم على جرائمهم وكفرهم، ولقد كذبوا بآيات اللَّه تكذيباً، وكل ما فعلوه أحصيناه لهم في كتبهم فذوقوا من العذاب وكلما ذقتم زدناكم عذاباً.

وقوله تعالى:

﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ هذه لأهل جهنم وما يقابلها لأهل الجنة ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ لهم ما يشاؤون وما يطلبون من كل أصناف النعيم على اختلاف مشاربه، وفوق كل ما يتمنونه ويشاؤونه، فعند اللَّه سبحانه لهم مزيدٌ من النعم، وما يقابله لأهل النار مزيدٌ من العذاب والحميم والغساق والذل والهوان.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير في تفسير هذه الآيات الكريمة: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ أي إن جهنم تنتظر وتترقب نزلاءها

الكفار، كما يترصد الإنسان ويترقب عدوه ليأخذه على حين غِرَّة، قال المفسرون: المرصاد المكان الذي يرصُد فيه الراصد العدو، وجهنم تترصَّد أعداء اللَّه لتعذبهم بسعيرها، وهي مترقبة ومتطلعة لمن يمرُّ عليها من الكفار الفجار لتلتقطهم إليها ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ أي هي مرجع ومأوى ومنزل للطغاة المجرمين ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أي ماكثين في النار دهوراً متتابعة لا نهاية لها[١]. قال القرطبي: أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب ـ أي الدهور ـ وهي لا تنقطع، كلما مضى حُقب جاء حقب، لأن أحقاب الآخرة لا نهاية لها[٢]، قال الربيع وقتادة: هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع[٣]، ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي لا يذوقون في جهنم برودة تخفف عنهم حرَّ النار، ولا شراباً يسكن عطشهم فيها ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ أي إلا ماءً حاراً بالغاً الغاية في الحرارة، وغساقاً أي صديداً يسيل من جلود أهل النار ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي عاقبهم اللَّه بذلك جزاءً موافقاً لأعمالهم السيئة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي لم يكونوا يتوقعون الحساب والجزاء، ولا يؤمنون بلقاء اللَّه، فجازاهم اللَّه بذلك الجزاء العادل ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي وكانوا يكذبون بآيات اللَّه الدالة على البعث وبالآيات القرآنية تكذيباً شديداً، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ أي وكل ما فعلوه من جرائمَ وآثام ضبطناه في كتاب لنجازيهم عليه، ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذاباً فوق

---

(١) ليس في الآية الكريمة ما يدل على تناهي تلك الأحقاب، لأن الحقب في كلام العرب لا يكاد يستعمل إلا فيما هو متتابع متلاحق، وهو كناية عن التأبيد، فخاطبهم بما تذهب إليه أوهامهم وما يعرفون، وقيل: إنها في عصاة المؤمنين وهذا باطل لأنها في الكفار لقوله تعالى: ﴿**وكذبوا بآياتنا كذاباً**﴾.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٥.

(٣) انظر القرطبي ١٩/ ١٨٠، وحاشية الصاوي ٤/ ٢٨٥.

عذابكم. قال المفسرون: ليس في القرآن على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية، كلما استغاثوا بنوعٍ من العذاب أغيثوا بأشدَّ منه[١]. . .

وفي تفسير ابن كثير يقول في تفسير هذه الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي مرصدة معدة ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ وهم المردة العصاة المخالفون للرسل، ﴿مَـَٔابًا﴾ أي مرجعاً ومنقلباً ومصيراً ونُزُلاً. وقال الحسن وقتادة: لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس، وقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أي ماكثين فيها أحقاباً وهي جمع حُقْب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره، فقال ابن جرير: قال علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب اللَّه المنزّل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة، وعن الحسن والسدي: سبعون سنة. وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما: الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون[٢]، وقال بشير بن كعب: ذكر لي أن الحقب الواحد ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها كألف سنة. وقال السدي: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمِائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون، وقال خالد بن معدان: هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في أهل التوحيد[٣]، قال ابن جرير: والصحيح أنها لا انقضاء لها، كما روي عن سالم: سمعت الحسن يُسأل عن قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قال: أما الأحقاب فليس لها عِدة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن

---

(١) انظر القرطبي ١٩/ ١٨٠، وحاشية الصاوي ٤/ ٢٨٥.

(٢) رواهما ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير.

الحقب سبعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون، وقال قتادة: قال اللَّه تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ لا يعلم عِدة هذه الأحقاب إلا اللَّه عزَّ وجلَّ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون[١].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم، ولا شراباً طيباً يتغذون به، ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، وقال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم، ومن الشراب الغساق، قال الربيع بن أنس: فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموُّه. والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه، وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وَفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثمَّ داراً يجازون فيها ويحاسبون، ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي وكانوا يكذبون بحجج اللَّه ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلَّى اللَّه عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة، وقوله: ﴿كِذَّابًا﴾ أي تكذيباً، وهو مصدر من غير الفعل، وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ أي وقد علمنا أعمالهم وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه، وآخر من شكله أزواج، قال قتادة: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فهم في مزيد من العذاب أبداً.

---

(١) أخرجه ابن جرير.

ويقول تعالى:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ أي استنصرت الرسل ربها على أقوامهم[1]، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي متجبر في نفسه عنيد معاند للحق، كقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ٢٤، ٢٥]

وفي الحديث: «**أنه يؤتى بجهنم يوم القيامة، فتنادي الخلائق فتقول: إني وكّلت بكل جبار عنيد**» الحديث، وقوله: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ وراء هنا بمعنى أمام، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٧٩]

وكان ابن عباس يقرؤها: وكان أمامهم ملك، أي من وراء الجبار العنيد جهنم، أي وهي له بالمرصاد يسكنها مخلداً يوم المعاد، ويعرض عليها غدواً وعشياً إلى يوم التناد ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ أي في النار ليس له شراب إلا من حميم وغساق، كما قال: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

وقال مجاهد: الصديد من القيح والدم. **وقال قتادة**: هو ما

(١) قاله ابن عباس وقتادة.

يسيل من لحمه وجلده، وفي رواية عنه: الصديد ما يخرج من جوف الكافر وقد خالطه القيح والدم، وفي حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قلت: يا رسول اللّه ما طينة الخبال، قال: «**صديد أهل النار**»، وفي رواية: «**عصارة أهل النار**».

وقال الإمام أحمد، عن أبي أمامة رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ﴾.

قال: يقرب إليه فيتكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول تعالىٰ: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾ الآية[(١)].

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وقوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ أي يتغصصه ويتكرهه، أي يشربه قهراً وقسراً وإلا ضربه الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢١]

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي يزدرده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطاع، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي يألم له جميع بدنه من كل عظم وعصب وعرق، وقال عكرمة: حتى من أطراف شعره، **وقال ابن عباس**: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ قال: أنواع العذاب التي يعذّبه اللّه بها يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه، لو كان يموت، ولكن لا يموت لأن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن جرير.

اللَّه تعالى قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٦]

ومعنى كلام ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه، اقتضى أن يموت منه لو كان يموت، ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، وقوله: ﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبل وأدهى وأمر، وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ٦٦ ـ ٦٨]

فأخبر أنهم تارةً يكونون في أكل زقوم، وتارة في شرب حميم، وتارة يردون إلى جحيم، عياذاً باللَّه من ذلك، وهكذا قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾.

[سورة الدخان، الآيات: ٤٣ ـ ٤٦]

وقال تعالى:

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم، وتكراره وأنواعه وأشكاله، مما لا يحصيه إلا اللَّه عزّ وجلّ، جزاء وفاقاً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(١).

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٢) صفحة (٢٩٤، ٢٩٥).

وفي كتاب (التخويف من النار) لابن رجب الحنبلي تفصيل في أنواع شراب أهل النار حيث قسمه وفصله إلى أربعة أنواع بعد أن ذكر الآيات الكريمة التي ذكر اللَّه سبحانه فيها شراب أهل النار.

يقول تعالى:

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾. [سورة الواقعة، الآية: ٥٤]

يقول تعالى:

﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾. [سورة محمد، الآية: ١٥]

يقول تعالى:

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾.
[سورة النبأ، الآيتان: ٢٤، ٢٥]

يقول تعالى:

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾.
[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

يقول تعالى:

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ١٦، ١٧]

يقول تعالى:

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.
[سورة الكهف، الآية: ١٩]

يقول تعالى:

﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾.

[سورة الغاشية، الآية: ٥]

يقول: فهذه أربعة أنواع ذكرناها من شرابهم، وقد ذكرها اللَّه في كتابه الكريم.

النوع الأول: الحميم: قال عبد اللَّه بن عيسى الخراز، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: الحميم: الحار الذي يحرق.

وقال الحسن والسدي: الذي قد انتهى حره.

وقال جويبر عن الضحاك: يسقى من حميم يغلي من يوم خلق اللَّه السموات والأرض، إلى يوم يسقونه، ويصب على رؤوسهم.

وقال ابن وهب، عن ابن زيد: الحميم: دموع أعينهم في النار، يجتمع في حياض النار، فيسقونه، وقال تعالى:

﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٤٤]

قال محمد بن كعب: حميم آن: حاضر، وخالفه الجمهور، فقالوا: بل المراد بالآن: ما انتهى حره.

وقال شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: حميم آن: الذي قد انتهى غليه.

وقال سعيد بن بشير عن قتادة: قد آن طبخه، منذ خلق اللَّه السموات والأرض، وقال تعالى: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ قال مجاهد: قد بلغ حرها، وحان شربها.

وعن الحسن، قال: كانت العرب تقول للشيء، إذا انتهى حره، حتى لا يكون شيء أحرَّ منه: قد آن حره، فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ يقول: قد أوقد اللَّه عليها جهنم منذ خلقت، وآن حرها. وعنه قال: آن طبخها في دفع الحميم إليهم بكلاليب الحديد.

النوع الثاني: الغساق: قال ابن عباس: الغساق: ما يسيل من

بين جلد الكافر ولحمه. وعنه قال: الغساق: الزمهرير البارد، الذي يحرق مِنْ برده.

وعن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما قال: الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهرق في المغرب، لأنتنت أهلَ المشرق؛ ولو أهرقت في المشرق، لأنتنت أهل المغرب.

وقال مجاهد: غساق: الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده.

وقال عطية: هو ما يغسق من جلودهم ـ يعني يسيل من جلودهم.

وقال كعب: غساق: عين يسيل إليها حُمَة كلٍّ ذات حمة، من حية وعقرب وغير ذلك، فيستنقع؛ فيؤتى بالآدمي، فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام؛ ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه، ويجر لحمه، كما يجر الرجل ثوبه.

وقال السدي: الغساق: الذي يسيل من أعينهم من دموعهم، يسقونه مع الحميم.

وروى دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «**لو أن دلواً من غساق، يهرق في الدنيا، لأنْتَن أهل الدنيا**».

[رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه]

وقال بلال بن سعد: «**لو أن دلواً من الغساق، وضع على الأرض، لمات مَن عليها**». وعنه قال: «**لو أن قطرة منه، وقعت على الأرض، لأنتن مَن فيها**».

[رواه أبو نعيم]

وقد صرح ابن عباس، في رواية عنه، ومجاهد، بأن الغساق ههنا هو البارد الشديد البرد. ويدل عليه قوله تعالى:

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾.

[سورة النبأ، الآيتان: ٢٤، ٢٥]

فاستثنى من البرد الغساق ومن الشراب الحميم.

وقد قيل: إن الغساق هو البارد المنتن، وليس بعربي. وقيل: إنه عربي، وإنه من غَسَق يغسِق، والغاسق: الليل، وسمي غاسقاً لبرده.

النوع الثالث: الصديد: قال مجاهد في قوله تعالى:

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ .

قال: يعني القيح والدم؛ وقال قتادة: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ قال: ما يسيل من بين لحمه وجلده؛ قال: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ قال قتادة: هل لكم بهذا يَدانِ، أم لكم على هذا صبر؟ طاعة اللَّه أهون عليكم ـ يا قوم ـ فأطيعوا اللَّه ورسوله.

وخرَّج الإمام أحمد والترمذي، من حديث أبي أمامة، عن النبي ﷺ، في قوله:

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ .

قال: يقرب إلى فيه فيتكرهه، فإذا أدني منه، شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه؛ فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره، يقول اللَّه تعالى:

﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ١٥]

ويقول: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وروى أبو يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: جهنم أودية من قيح ثم تصب في فيه أي تغترف بالكوز.

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، عن النبي ﷺ، قال: « **إن على اللَّه**

عهداً، لمن شرب المسكرات، لَيَسْقِيَنَّه من طينة الخبال، قالوا: يا رسول اللَّه! وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار».

وروى الإمام أحمد والنَّسائي وابن ماجهْ وابن حِبان في «صحيحه» من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ نحوه؛ إلا أنه ذكر ذلك في المرة الرابعة. وفي بعض الروايات: «**من عين الخبال**».

وروى الترمذي، من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، نحوه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من نهر الخبال**»، قيل: يا أبا عبد الرحمٰن، ما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار. وقال: حديث حسن.

وروى أبو داود ومن حديث ابن عباس عن النبي ﷺ نحوه، وقال: «**من طينة الخبال**»، قيل: يا رسول اللَّه، ما طينة الخبال. قال: «**صديد أهل النار**». وفي رواية أخرى، قال: «**ما يخرج من زهومة الريح المنتنة لأهل النار وصديدهم**». وروى الإمام أحمد بمعناه أيضاً، من حديث أبي ذر وأسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ.

وروى الإمام أحمد وابن حبان في «صحيحه»، من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: «**من مات وهو مدمن خمر، سقاه اللَّه من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يخرج من فروج المومسات، يؤذي أهلَ النار نتنُ فروجهن**».

وقد سبق حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ، في المتكبرين، وفيه: «**يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**».

النوع الرابع: الماء الذي كالمهل: روى الإمام أحمد والترمذي، من حديث دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، في قوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «**كَعَكَرِ الزيت، فإذا قرب إلى وجهه، سقطت فروة وجهه فيه**».

قال عطية: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: ماء غليظ كدُرْدي الزيت. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أسود كمهل الزيت؛ وكذا قال سعيد بن جبير وغيره.

قال الضحاك: أذاب ابن مسعود فضة من بيت المال، ثم أرسل إلى أهل المسجد، فقال: من أحب أن ينظر إلى المهل، فلينظر إلى هذا.

وقال مجاهد: بماء كالمهل: مثل القيح والدم، أسود كَعَكَر الزيت.

وروى الطبراني، من طريق تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أنس عن النبي ﷺ: «**لو أن غرباً، جعل من حميم جهنم، وجعل وسط الأرض، لآذى نتْن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب**».

وفي «موعظة الأوزاعي» للمنصور قال: بلغني أن جبريل قال للنبي ﷺ: لو أن ذَنوباً من شراب جهنم، صبَّ في ماء الأرض جميعاً، لقتل من ذاقه[1].

---

(١) كتاب التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي الدمشقي ١٥٢/ ١٥٧.

كسوة أهل النار ولباسهم

كما أن لأهل الجنة لباساً من سندس وإستبرق ويحلون أساور من ذهب وفضة، كذلك لأهل النار لباسهم، وشتان ما بين اللباسَيْن - لباسِ النعيم، ولباس الشقاء.

يقول تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ١٩]

وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول: سبحان من خلق من النار ثياباً، وعن ابن عباس أنه قال: يقطع للكافر ثياب من نار حتى ذكر القَباء والقميص والكُمَّة.. فسبحان الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا في الجنة ولا في النار.. فكما خلق ثياب أهل الدنيا من نبات القطن ووبر وصوف وجلود الأنعام كذلك يخلق لأهل النار ثياباً من نار، فاللّه سبحانه يخلق ويفعل ما يشاء، فقد خلق الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق البشر من طين.. فالذي يخلق خلقاً من نار أيعجزه أن يخلق ثياباً من النار؟.. سبحانه تعالى فإنه لا يعجزه شيء وهو الإله القادر وطالما أننا مقتنعون أن اللّه قادر على كل شيء، فمن البدهي أننا مقتنعون أن يخلق لهم ثياباً من نار وسرابيل من قطران، وغير هذا كثير ما علمناه وما لم نعلمه كما قال عن أهل الجنة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

وهؤلاء الكفرة الفجرة لا يعلمون ما أخفىٰ اللَّه سبحانه لهم من صنوف وأنواع العذاب على طول أمدهم وخلودهم في النار.

يقول تعالى:

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

[سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي هذان فريقان مختصمان، فريق المؤمنين المتقين، وفريق الكفرة المجرمين ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي اختلفوا وتنازعوا من أجل اللَّه ودينه، قال مجاهد: هم المؤمنون والكافرون، فالمؤمنون يريدون نصرة دين اللَّه، والكافرون يريدون إطفاء نور اللَّه ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي فصّلت لهم ثياب من نار على قدر أجسادهم ليلبسوها إذا صاروا إلى النار، قال القرطبي: شبّهت النار بالثياب لأنها لباس لهم كالثياب، ومعنى: ﴿قُطِّعَتْ﴾ خيطت وسويت، وذكر بلفظ الماضي لأن الموعود منه كالواقع المحقق[١]. ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ أي يصب على رؤوسهم الماء الحار المغلي بنار جهنم ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ أي يذاب به ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود، قال ابن عباس: لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها، وفي الحديث: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسْلِت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهر، ثم يعاد كما كان**»[٢].

---

(١) القرطبي ١٢/ ٢٦.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

وقال الإمام الفخر: والغرض أن الحميم إذا صب على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن مثلَ تأثيره على الظاهر، فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[1] ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها ويدفعون، وفي الحديث: «**لو وضعت مِقْمَعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها**»[2]. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ أي وكلما أراد أهل النار الخروج من النار من شدة غمها رُدوا إلى أماكنهم فيها، قال الحسن: إن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً[3]، ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي يقال لهم: ذوقوا عذاب جهنم المحرق الذي كنتم به تكذبون[4]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمة:

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

ثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قَسَماً أن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر[5]، وروى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيه نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢.
(٢) أخرجه أحمد.
(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢.
(٤) صفوة التفاسير.
(٥) رواه البخاري.

ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وقال قتادة في قوله: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ قال: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبيُّنا خاتم الأنبياء، فنحن أولى بالله منكم فأفلج الله الإسلام على مَن ناوأه، فأنزل: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾، وقال مجاهد في هذه الآية: مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث، وقال مجاهد وعطاء في هذه الآية: هم المؤمنون والكافرون. **وقال عكرمة**: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ قال: هي الجنة والنار، وقالت النار: اجعلني للعقوبة، وقالت الجنة: اجعلني للرحمة. **وقولُ مجاهد وعطاء**: إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عزّ وجلّ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل، وهذا اختيار ابن جرير، وهو حسن، ولهذا قال: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ أي فصّلت لهم مقطعات من النار، قال سعيد بن جبير: من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ أي إذا صبَّ على رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة. وقال سعيد بن جبير: هو النحاس المذاب أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء[١]، وكذلك تذوب جلودهم.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ إلى الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان**»[٢]. وفي رواية: يأتيه

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.

(٢) رواه ابن جرير والترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه ابن أبي حاتم.

الملك يحمل الإناء بكَلْبتين من حرارته، فإذا أدناه من وجهه تكرهه، قال: فيرفع مِقمعة معه فيضرب بها رأسه، فيفرغ دماغه، ثم يفرغ الإناء في دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه، فذلك قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾. وقوله: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن مِقْمعاً من حديد وضع في الأرض، فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض**»(١). وروى الإمام أحمد: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان، ولو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**»(٢). وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ قال: يضربون بها، فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور، وقوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾، قال سلمان: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾، وقال زيد بن أسلم في هذه الآية: بلغني أن أهل النار لا يتنفسون، وقال الفضيل بن عياض: والله ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها، وقوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ كقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً(٣).

ويقول تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

---

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده. (٣) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٢) صفحة (٥٣٥).

معاني الكلمات:

الأصفاد: القيود الحديدية التي توضع في الأيدي.

سرابيلهم: قمصانهم أو ثيابهم.

القطران: مادة ملتهبة تشبه الزفت المذاب.

ومعنى الآيتين الكريمتين: أي وفي ذلك اليوم الرهيب تبصر المجرمين مشدودين مع شياطينهم بالقيود والأغلال، قال الطبري: أي مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهي الأغلال والسلاسل. ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهي مادة يسرع فيها اشتعال النار: تُطلى به الإبل الجرْبى، فيحرق الجرب بحرّه وحدَّته، وهو أسود اللون منتن الريح ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي تعلوها وتحيط بها النار، جزاء المكر والاستكبار.

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة: وتبصر الكافرين حينئذٍ يوم القيامة مشدودين بالأصفاد: قيود الحديد التي توضع في الأيدي والأرجل وقمصانهم من قَطِران (أسود منتن) تطلى به جلودهم، وتعلو وجوههم وتحرق أجسادهم.

ولقد روى **حصين عن عكرمة** في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: من صُفر (نحاس) يُحمىٰ عليها، قال معمر عن قتادة في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: من النحاس، **وقال علي بن أبي طلحة** عن ابن عباس في قوله: ﴿قَطِرَانٍ﴾ قال: هو النحاس المذاب.

عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ـ الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت،**

والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع مِن جَرَب »[١].

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة، وعليها سرابيل من قطران، يُغلىٰ عليها، بدروع من لهب النار »[٢].

(١) رواه مسلم في صحيحه والإمام أحمد في المسند.

(٢) رواه ابن ماجه.

مهاد جهنم وفراشها وظللها

المهاد: الفراش والمضجَع.
الغواش: أغطية كاللحف.

جهنم بما فيها من أهوال وعذاب وسلاسل وأغلال وأصفاد وقيود وطعام ذي غصة من الزقوم والضريع والشراب من الحميم ـ وكذلك ما فيها من الذل والمهانة والآلام الفظيعة، جعلها سبحانه لأهل النار من الكفرة والفجرة والمشركين والمنافقين فراشاً لهم يضجعون فيها، وجعل ما فوقهم من ظلل النار ودخانها غطاء ولحافاً يتغطون به، فالنار فراشهم، والنار غطاؤهم، وهي من فوقهم ظلل ومن تحتهم مهاد.

واسمع إلى قوله تعالى في فراش الجنة وما يتظللون به من ظلال النعيم، يقول تعالى بعد أن ذكر بعض نعيم أهل الجنة:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٥٤]

يقول تعالى:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٧٦]

يقول تعالى:

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ١٣ ـ ١٦]

وأمَّا ما يظل أهل الجنة فقد قال تعالى:

﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٧]

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

[سورة يس، الآية: ٥٦]

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ١٤]

هذا ما ذكره اللَّه سبحانه عن بعض فراش وظلال أهل الجنة وما يلقونه من النعيم، والذي سنتحدث عنه في الجزء العاشر والأخير من هذه الموسوعة بشيء من التفصيل، ولتقرأ وتسمع ما قاله تعالى عن مهاد أهل النار وغواشهم وظلالهم، حتى ندرك الفرق العظيم والذي لا يقارن بين ما أعد اللَّه لأهل الجنة وما أعد لأهل النار، أجارنا اللَّه سبحانه من النار ومهادها وغواشها وظللها وجعلنا من أهل جناته وما أعده لهم من كرامات ونعيم وفراش وظلال.

يقول تعالى عن مهاد أهل النار وغواشهم وظلالهم:

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٦]

ويقول تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٧]

ويقول تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ١٨]

ويقول سبحانه:

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ .

[سورة ص، الآيتان: ٥٥، ٥٦]

وأما عن غطاء أهل النار من الغواش والظلل فيقول سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيتان: ٤٠، ٤١]

ويقول تعالى:

﴿ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

[سورة الزمر، الآيتان: ١٥، ١٦]

هكذا يبيّن اللّه سبحانه في تلك الآيات الكريمة أن هذا المهاد الذي هو من النار هو مهاد الكافرين في النار، ويقول تعالى عنه: ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ وذلك في كل الآيات الكريمة التي ذكر فيها مهاد جهنم. ذلك أن اللّه سبحانه يعلم أنه شر مهاد وأسوأ مهاد لأهل النار.

وأما قوله: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ ﴾ فقد قال صاحب البحر: هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب تماماً كقوله تعالى:

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ . . .﴾ وهـذا يـعـنـي أنـه لا مخرج لهم ولا استراحة لهم ولا هروب لهم إلى أي جانب، فما فوقهم وما تحتهم وما عن يمينهم وما عن شمالهم فهي النار. . فكيفما تحركوا فالنار محيطة بهم. . واللَّه إنه لأمر عظيم ومخيف وشديد، ولا تحتمله عقولنا في الدنيا. . . فتصور حياة الخلود والنار محيطة بالكافر من كل جانب، لا رحمة ولا خروج ولا يفتر عنهم العذاب ولا توقف عن إهانة وذل وضرب وجوع وعطش وحسرة وندم وبكاء ودموع وصراخ وعويل، وتصوَّر ماذا يقول اللَّه سبحانه:

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

فاللَّه سبحانه يذكر النار وعذابها ومهادها وغواشها وظللها ليخوِّف عباده منها، ومن عذابها وآلامها وما فيها، فقد جاء في صريح الآية الكريمة: ﴿يُخَوِّفُ﴾ لأنه لا بد من الإنذار والتخويف حتى ينتبه الإنسان ويعقلُ ويعود إلى طريق اللَّه المستقيم، فإنه بعد هذا الإنذار وهذا التخويف، ثم لم يعد فأولئك الذين فقدوا سمعهم وعقولهم كما قال اللَّه تعالى عن أصحاب جهنم يوم القيامة، عندما يسألهم خزنة النار ألم يأتكم كتاب وإنذار وتخويف من اللَّه فيقولون كما يقول تعالى:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

فقد نفوا عن أنفسهم السمع والعقل، لأنه لا يمكن لعاقل يسمع

بهذا الإنذار والتخويف إلا ارتدع عن كفره ومعصيته وعاد إلى اللّه سبحانه وإلى طريقه المستقيم ليفوز برضاه وجناته الخالدة.

وصدق اللّه سبحانه إذ يقول:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٢٣]

الفصل الرابع

أنواع العذاب في النار
وتفاوت عذاب أهلها بحسب أعمالهم

ـ العصاة وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد.

ـ آخر الناس خروجاً من النار.

ـ عذاب أهل النار الخالدين فيها.

ـ هل يخفف عن بعض الكفار العذاب في النار إذا كان لهم خصال حميدة وحسنات في الدنيا؟؟

ـ أنواع العذاب في نار جهنم.

ـ مدخل:

ـ النوع الأول : سحب الكافرين على وجوههم في النار.

ـ النوع الثاني : الحشر على الوجوه إلى نار جهنم وهم عمي وبكم وصم.

ـ النوع الثالث : الذين تُقلَّب وجوههم في النار ولا يكفونها عن وجوههم.

ـ النوع الرابع : الصَّهر.

ـ النوع الخامس : المكان الضيق.

ـ النوع السادس : التردي من جبل.

ـ النوع السابع : جَرُّ الأمعاء.

أنــواع العـذاب

أنواع العذاب في النار وتفاوت عذاب أهلها بحسب أعمالهم

النار درجات ودركات كما تقدم، بعضها تحت بعض، فاللَّه سبحانه لا يظلم أحداً، فكلٌّ في دَرَكته ودرجته من النار بحسب كفره وشركه، وبحسب ما قدَّمت يداه من الظلم والأذى والاعتداء، وما ارتكب من الآثام والفواحش واتبع الشهوات.

وأخف أهل النار عذاباً العصاة وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد، وأشدهم عذاباً وأسوؤهم مقاماً المنافقون، الذين هم في الدرْك الأسفل من النار، وما بينهما درجات ودَرَكات كثيرة نستعرضها بشيء من التفصيل.

العصاة وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد:

وهؤلاء يتفاوتون في العذاب وفي مكانهم وموقعهم من النار بحسب ما اقترفوا من ذنوب وآثام، وبحسب أولئك الذين لم يأتوا اللَّه بالصلاة والصيام والحج والزكاة، وبحسب ظلمهم للعباد وأكل حقوقهم.

. . . فكلٌّ يعذب في النار بحسب ما اقترفت يداه، ولم يذكر اللَّه سبحانه في كتابه العزيز ولا رسول اللَّه ﷺ عن المدة التي يبقى فيها هؤلاء العصاة في النار. . واللَّه أعلم أن منهم من يطول مُكثه ومنهم من يقصر مكثه، وبينهما كثير من الحالات، ولكن في النهاية تنالهم الشفاعة على اختلافها. . وأخيراً بعد أن يُشفِّع اللَّه سبحانه من أراد أن يشفع فيهم،

ولقد ذكرنا هذا في الجزء الثامن عندما تحدّثنا عن الشفاعة بأنواعها، ثم تكون رحمة اللَّه سبحانه بأهل التوحيد العصاة فيخرجهم من النار برحمته. . . ولكن ما يجب أن نعلمه أنهم يعذبون في النار وربما عذاباً شديداً، ومنهم من يطول مكثه فيها زمناً لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه.

وقد بيَّنت الأحاديث الشريفة بعض هذه المواقف والحالات.

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال: بخطاياهم) فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حَميل السيل**»[(١)].

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارت وجوههم، حتى يدخلوا الجنة**»[(٢)].

عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنهما: عن النبي ﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة، يسمون الجهنَّميين**»[(٣)].

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بعدما مسَّهم منها سَفْع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنَّميين**»[(٤)].

وقد سمّاهم أهل الجنة بالجهنّميين، ذلك أنهم خرجوا ربما بعد طول مكث في النار، فتكون لهم علامة واللَّه أعلم، لذلك سمّاهم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة (١/ ١٨٥).
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٩١).
(٣) صحيح البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).
(٤) رواه البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).

أهل الجنة بالجهنَّميين، لأنهم هم الذين يرشون عليهم من ماء الجنة بعد أن يخرجوا من النار.

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«ثم تحلُّ الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير مثقال شعيرة، فيجعلون بفِناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء، حتى ينبتوا نبات الشيء في حَميل السيل ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها»**(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد، وأراد لِأَنْ يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئاً، ممن أراد اللَّه أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا اللَّه، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتُحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه، كما تنبت الحِبَّة في حَميل السيل»**(٢).

امتحشوا: احترقوا.

وقد ورد في أكثرَ من حديث شريف أن اللَّه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان، بل يخرج أقواماً لم يعملوا خيراً قط، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يدخل اللَّه أهل الجنة الجنَّةَ، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه»**(٣).

---

(١) صحيح مسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(٢) صحيح مسلم، باب كتاب الإيمان رقم الحديث (١٨٢).

(٣) صحيح مسلم، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين (١/ ١٨٤).

عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: « **يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن شَعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللّه، وكان في قلبه ما يزن بُرةً، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللّه وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**»[(١)] . والأحاديث في هذا الأمر كثيرة.

آخر الناس خروجاً من النار:

وفي صحيح مسلم: قال رسول اللّه ﷺ: « **إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج منها زحفاً، فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمنَّ، فيتمنى، فيقال له: لك ما تمنيت، وعشرةُ أضعاف الدنيا، فيقول: أتسخر مني وأنت الملك؟** » قال: فلقد رأيت رسول اللّه ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه[(٢)] .

عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول اللّه عزّ وجلّ: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثلَ الدنيا، وعشرة أمثالها؛ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي ـ أو تضحك بي ـ وأنت الملك؟** » قال: فلقد رأيت رسول اللّه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقول: « **ذلك أدنى أهل الجنة منزلة**»[(٣)] .

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٩٣).
(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٨٦) ومسلم برقم (١٨٦) والترمذي برقم (٢٥٩٨).
(٣) رواه البخاري ومسلم جامع الأصول (١٠/ ٥٥٣).

عذاب أهل النار الخالدين فيها

. . . قلنا عن عذاب عصاة أهل التوحيد وذكرنا الأحاديث الشريفة الواردة في هذا الأمر. . . فإذا خرج عصاة الموحدين من النار بعد أن نالوا عقابهم على ما اقترفوه من آثام وذنوب وكبائر وترك لفرائض اللّه سبحانه. . . يبقى في النار الخالدون فيها. . وهؤلاء تتفاوت دركاتهم ودرجاتهم في النار أيضاً، بحسب كفرهم وشركهم ومعاصيهم وذنوبهم وفحشهم وهم على درجات كثيرة. . وكما قدَّمنا ـ أن أهل الجنة درجات بعضهم أعلى من بعض، ودرجات الجنة بعضها فوق بعض بحسب إيمان الناس وتقواهم، وما قدَّموه في دنياهم من طاعة وعبادة وعلم وخدمة للناس ولمجتمعهم ولأمتهم وللمسلمين. . فالأعمال ترفع الدرجات. . . كذلك فالنار دركات بعضها تحت بعض وأهلها درجات فيها بعضهم تحت بعض، وقد بيّن القرآن الكريم والسنّة الشريفة هذا الأمر.

ـ عن سَمُرة بن جندب رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**»[1].

حجزته: وسطه ـ **تَرقوته**: عظمة صغيرة مشرفة بين ثغر النحر والعاتق.

عن أبي سعيد رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**إن أهون أهل النار عذاباً، رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما**

(١) رواه مسلم في صحيحه.

دماغه مع إجزاء العذاب، ومنهم إلى ركبتيه مع إجزاء العذاب، ومنهم في النار إلى أرنبته مع إجزاء العذاب، ومنهم في النار إلى صدره مع إجزاء العذاب، ومنهم من قد اغتمر»(١).

إجزاء العذاب: أي مع أن العذاب في جهنم فيه الكفاية. والمراد إظهار مقدار ما يتحمل من عذاب شديد، يقال أجزأني الشيء: أي كفاني.

أرنبته: طرف أنفه.

ـ عن النعمان بن بشير رضي اللّٰه عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

« **إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمَص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المِرجَل بالقُمْقُم**»(٢).

ـ عن النعمان بن بشير رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **إن أهون أهل النار عذاباً، من له نعلان وشِراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المِرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً**»(٣).

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **إن أدنى أهل النار عذاباً من ينتعل بنعلين من نار، يغلي دماغه من حرِّ نعليه**»(٤). عن العباس بن عبد المطلب رضي اللّٰه عنه أنه قال: يا رسول اللّٰه هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك، ويغضب لك، قال: « **نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا، كان في الدرك الأسفل في النار**»(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٢) رواه البخاري في صحيحه.
(٣) رواه مسلم في صحيحه.
(٤) رواه مسلم في صحيحه.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح**[١] **من نار تبلغ كعبيه حتى يغلي منها دماغه**»[٢].

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ:

«**إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه**».

---

(١) الضحضاح: هو مَا رقَّ من الماء على وجه الأرض مما يبلغ الكعبين، والمراد هنا النار الحقيقية الضعيفة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

هل يُخفف عن بعض الكفار العذاب في النار إذا كانت لهم خصال حميدة وحسنات في الدنيا؟؟

لقد اختلف السلف والخلف في هذا الأمر، فمنهم من أيَّد أنه يخفف عنهم، ومنهم من لم يؤيد أنه يخفف عنهم بل هم سواء في العذاب ولا يخفف عن الكافرين شيء من العذاب.

الرأي الأول: أنه يخفف عن الكافرين العذاب بما لهم من الحسنات، ومن العدل والإحسان إلى الخلق، وروى في ذلك ابن لَهيعة عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير واختاره ابن جرير الطبري.

وإن تفاوت أهل النار في العذاب بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار، وذلك من قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير حول هذه الآية: وإن المقصود بها درجات أهل الجنة وأهل النار، يقول: أي ولكل عامل بطاعة اللَّه أو معصيته، منازل ومراتب يلقاها في آخرته إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، وقال ابن الجوزي: وإنما سميت درجاتٍ لتفاضلها في الارتفاع والأغطاط كتفاضل الدرج.

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير هذه الآية

الكريمة: أي ولكل من الجن والإنس المكلفين، سواء ألعامل في طاعة اللَّه أم المعصية، درجات متفاوتة في الآخرة، في الجنة أو النار بحسب أعمالهم، وإن اللَّه سبحانه مطلع على كل الأعمال لا تخفى عليه خافية، يجازيهم عليها يوم المعاد.

وقال تعالى بعد أن ذكر عذاب أهل النار في سورة النبأ:

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٢٦]

قال ابن عباس: في تفسير هذه الآية: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ جزاء وافق أعمالهم فليس عقاب من تغلظ كفره، وأفسد في الأرض، كمن ليس كذلك.

وكذلك استشهد بقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٨٨]

وبقوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٦]

ويقول تعالى أيضاً في خصوص درجات العذاب في جهنم:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠]

وفي التفسير لهذه الآيات الكريمة:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ أي فوربك يا محمد لنحشرن

هؤلاء المكذبين بالبعث مع الشياطين الذين أغووهم، قال المفسرون: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾ أي نحضر هؤلاء المجرمين حول جهنم جثياً على الركب من شدة الهول والفزع، لا يطيقون القيام على أرجلهم لما يدهمهم من شدة الأمر ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي لنأخذن ولننزعن من كل فرقة وجماعة من المنافقين والكافرين ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ أي مَن منهم كان أعصى للَّه وأشد تمرداً، والمراد أنه يؤخذ من هؤلاء المجرمين الأعتى فالأعتى فيقذف به في نار جهنم، قال ابن مسعود: يُبدأ بالأكابر جُرماً ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾ أي نحن أعلم بمن هم أحق بدخول النار والاصطلاء بحرها وبمن يستحق تضعيف العذاب فنبدأ بهم[(١)].

. . . إذاً فهذه الآيات تشير إلى تفاوت عذاب الكافرين، كلٌّ حسب عصيانه وشدة عصيانه ومحاربته للَّه سبحانه وللرسول ﷺ وللمؤمنين، فاللَّه أعلم بهم فرداً فرداً وجماعة جماعة، فهو أعلم بما كانوا يقولون ويكتمون ويبيتون من قول وفعلٍ ودسائسَ، وما يبطنون من الكره للَّه سبحانه ولرسوله ﷺ ولعامة المؤمنين.

وقد ذكر اللَّه سبحانه أمثال هؤلاء الذين كانوا أشد غيظاً وكرهاً للإسلام والمسلمين، فقد ذكرهم في القرآن الكريم وكيف كانوا يعضون على أصابعهم من شدّة الغيظ والحَنَق على المسلمين.

يقول تعالى:

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١١٩]

---

(١) صفوة التفاسير لمحمد الصابوني تفسير سورة مريم صفحة (٧٩٤).

فهؤلاء كانوا أشد بغضاً على المؤمنين وكانوا أشد إيذاء وعداوة وكرهاً واللَّه أعلم بهم، ومنهم مَنْ لم يكن على هذه الدرجة من الغيظ والكره، فاللَّه وحده أعلم يوم القيامة بمن هم أولى بالنار صلياً وأولى عذاباً بجهنم وأولى بالدركات السفلى من جهنم.

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **ما أحسن من محسن، كافر أو مسلم، إلا أثابه اللَّه عزّ وجلّ في عاجل الدنيا، أو ادَّخر له في الآخرة**» ، قلنا: يا رسول اللَّه، ما إثابة الكافر في الدنيا؟ قال: « **إن كان وصل رحماً، أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه اللَّه المال والولد والصحة وأشباهَ ذلك**» . قلنا: ما إثابة الكافر في الآخرة؟ قال: « **عذاباً دون العذاب**» ثم تلا[1] :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ .

ـ وروى الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال: قالت عائشة: يا رسول اللَّه، عبد اللَّه بن جُدعان؟ قال: « **في النار**» ، فجزِعت عائشة واشتدَّ عليها، فلما رأى رسول اللَّه ﷺ ذلك قال: « **يا عائشةُ لِمَ يشتد عليك مِن هذا؟**» قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، إنه كان يطعم الطعام ويصل الرحم، قال: « **إنه يهون عليه بما قلتِ**»[2] .

وقد سبقت بعض الأحاديث في تخفيف العذاب عن أبي طالب بإحسانه إلى النبي ﷺ.

الرأي الثاني: إن الكافر لا يخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا ينتفع في الآخرة بشيء من الحسنات بأي حال.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والبزار في مسنده والخرائطي والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد كذلك رواه البيهقي في البعث والنشور.

(٢) كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي وقال: خرّجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو مرسل.

حُجة أصحاب هذا الرأي قوله تعالى:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

ويقول أصحاب التفسير والرأي في هذه الآية الكريمة:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عَمَدنا إلى أعمال الكفار التي يعتقدونها بِراً كإطعام المسكين وصلة الأرحام ويظنون أنها تقربهم إلى اللَّه سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ أي جعلناه مثل الغبار المنثور في الجو لأنه لا يعتمد على أساس ولا يستند على إيمان، **قال الطبري**: أي جعلناه باطلاً لأنهم لم يعملوه للَّه سبحانه، وإنما عملوه للشيطان، والهباء هو الذي يُرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كَوّة، والمنثور المتفرق، **وقال القرطبي**: إن اللَّه أحبط أعمالهم بسبب الكفر حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور(١).

وكذلك من حجة أهل هذا الرأي قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ١٨]

وكذلك من حجة أهل هذا الرأي قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣٩]

وهنا ضرب اللَّه سبحانه مثلاً لهؤلاء الكفار الدعاة لكفرهم الذين

(١) الطبري ١٩/ ٣.

يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في حقيقة الأمر على شيء، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض من بُعد كأنه بحر طام، والقيعة جمع قاع وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب يُرى كأنه ماء بين السماء والأرض... فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء، يحسَبه ماء قصده ليشرب منه، فلما انتهى إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.

كذلك الكافر، يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى اللَّه يوم القيامة، وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئاً من الحسنات بالكلية(١) كما قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

وقد ورد في السنة الشريفة حول هذا الرأي:

عن أنس رضي اللَّه عنه أنه قال: «**إن اللَّه لا يظلم مؤمناً حسنة يُعطىٰ بها في الدنيا ويجزىٰ بها في الآخرة، وأما الكافر، فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى للآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها**»(٢).

وفي رواية له أيضاً: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن اللَّه يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقب له رزقاً في الدنيا على طاعته**».

... وللتوفيق بين هذين الرأيين نقول واللَّه المستعان:

إن جميع أعمال الكفار في الدنيا والتي فيها نوع من الحسنة أو الإحسان كدفع مالٍ لفقير محتاج، أو في بناء مدرسة أو دار أيتام أو

---

(١) مختصر ابن كثير صفحة (٦١١) جزء (٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

دار عَجَزة، وهذا يحصل في دار الكفر وفي كل مكان، فإنها وإن قامت فإنها لا تقوم إلا لمصلحة، أو معتقدٍ فاسد، لأن اللَّه سبحانه لا يضيع عملاً من أحد من خلقه ابتغى به الخير إلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.. لأن العمل الذي يكون خالصاً للَّه تنتفي عنه صفات الكذب والرياء أو مُراءاة الناس لأن فيه قِمة الصدق والإخلاص.

كما يقول تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٧٢]

فإذا كان اللَّه سبحانه جعل إنفاق وعمل الكافرين في الدنيا هباءً منثوراً، ذلك لأنه لم يكن ابتغاء مرضاة اللَّه سبحانه:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

فليس لهم عليه أجر يوم القيامة أو حسنات يرفعون بها ـ كما للمؤمن باللَّه حق إيمانه، فإن أي عمل يقدمه المؤمن خالصاً للَّه سبحانه مبتغياً رضا اللَّه سبحانه ووعده بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة إلا أجره اللَّه سبحانه عليه يوم القيامة ورفعه درجاتٍ عاليةً، والآيات في هذا الأمر كثيرة.

يقول تعالى:

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦٥]

وكذلك عظم اللَّه الأجر للعمل الصالح أو الإنفاق في سبيله خالصاً لوجهه الكريم: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٦١]

فإذا كان العبد مؤمناً فلا تعلم مقدار كرم اللَّه سبحانه معه، حيث يفتح له أبواب رحمته ويعطيه من لدنه أجراً عظيماً.. يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

فالمؤمن المخلص مأجور من اللَّه سبحانه على كل خير وإنفاق وإحسان، وهذا مما يرفع درجته يوم القيامة حيث يشاء اللَّه.

والكافر غير مأجور من اللَّه سبحانه على عمل الخير من إنفاق وإحسان يوم القيامة، لأنه نال أجره في الدنيا ولم يكن عمله خالصاً للَّه سبحانه، ولا في سبيل اللَّه الواحد الأحد، ولكن من عدل اللَّه المطلق ومن صفته أنه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأنه ليس بظلام للعبيد، يخفف عنه بعض العذاب أو يجعله في دركٍ أقلَّ من دركات الذي وصفه اللَّه بالعتل الأثيم والجبار المتكبر كما قدمنا في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ۞ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾ .

[سورة مريم، الآيتان: ٦٩ ـ ٧٠]

ومن هذا نقول: إن الكافر الذي أحسن ببعض عمله في الدنيا لا يؤجر على عمله في الآخرة، ولكن يخفف عنه العذاب في النار بقدر ما أحسن، ذلك أن الأجر يكون لدخول الجنة ورفع الدرجات. واللَّه أعلم.

أنواع العذاب في نار جهنم

مدخل:

دخول المشركين والكافرين والمنافقين النار أمرٌ حتمي، جزاءً وفاقاً لكفرهم وشركهم ونفاقهم.

ولكن اللَّه سبحانه أعدَّ لهم في نار جهنم أنواعاً وصنوفاً من العذاب تتوافق مع شركهم وكفرهم ونفاقهم وشدة عداوتهم للَّه سبحانه ولرسوله وللمؤمنين، فاللَّه سبحانه لا يعزب عنه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وكذلك لا يعزب عنه ما فعل هؤلاء المجرمون في الدنيا وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، وما يكون من نجوى اثنين إلا كان اللَّه ثالثهما.

فالإنسان في الدنيا مراقب مراقبة شديدة من اللَّه سبحانه، بدأها سبحانه بإخبارنا بأنه يعلم ما في النفوس وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٦]

ثم بيَّن لنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض. يقول تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

كذلك يبيِّن لنا أنه لا يكون من نجوى اثنين إلا كان هو ثالثهما، ومهما تكتَّما وغلَّقا الأبواب.

يقول تعالى:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . [سورة المجادلة، الآية: ٧]

وقد بيّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم أن جلود الكافرين وأيديهم وأرجلهم ستشهد عليهم يوم القيامة بما كانوا يقولون ويعملون.

يقول تعالى:

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

[سورة فصلت، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

من هذا العلم الإلٰهي العظيم يتبيَّن لنا أن المجرمين والمشركين والمنافقين ليسوا بمعجزين للَّه سبحانه، وهو مطلع عليهم جميعاً، وأعلم بكل فرد منهم وبما كان ينوي ويمكر ويخطط، وأعلم بكل اثنين وبما كانا يتآمران فيه على المسلمين والإسلام وعلى اللَّه سبحانه ورسوله وجميع الرسل، وأعلم بكل مجموعة بما تخطط لقتل المؤمنين أو حربهم أو ذلهم أو الاعتداء عليهم، وسرقة أموالهم وقوتهم وأخذ أرضهم وطردهم منها ـ إلخ من آلاف الأقوال والأفعال لأولئك الكفرة الفجرة الذين عادوا اللَّه أشد العداء واتخذوا من دونه آلهة.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥]

ويوم القيامة وعند الحساب والعرض على اللَّه سبحانه تتكشف الأمور وتظهر حقائق أولئك الكافرين، فيتساقطون في جهنم جماعات جماعات وأمماً أمماً، واللَّه أعلم بهم جميعاً، وأعدَّ لهم من صنوف العذاب وأنواعه حسب جرائمهم وما مكروا وفسدوا وأفسدوا وضلوا وأضلوا. وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم صنوفاً وأنواعاً من هذا العذاب.

النوع الأول: سحب الكافرين على وجوههم في النار:

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾.

[سورة القمر، الآيتان: ٤٧، ٤٨]

قال قتادة: يسحبون في النار مرة وفي الجحيم مرة.

ويقول تعالى:

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

[سورة غافر، الآيات: ٧٠ ـ ٧٢]

وكما قال تعالى:

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٤٤]

النوع الثاني: الحشر على الوجوه إلى نار جهنم وهم عمي وبكم وصم، يقول تعالى:

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

النوع الثالث: الذين تقلب وجوههم في النار ولا يكفونها عن وجوههم.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٦]

ويقول تعالى:

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٩]

ويقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣٤]

النوع الرابع: الصَّهر:

يقول تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾.

[سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢١]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعود كما كان**»(١).

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال: حسن غريب صحيح.

النوع الخامس: المكان الضيق:

ومن الكافرين والمشركين والمنافقين من يُلقى في جهنم من مكان ضيق على قدر حجمه، وهذا صنف من صنوف العذاب، ونوع من الأنواع الكثيرة التي أعدَّها اللَّه سبحانه لهؤلاء الكفرة الفجرة... وهذا لا يتنافى مع ما تقدَّم من أن الكافر يعظم جسده في النار حتى يكون ضرسه كجبل أحد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام، وكذلك جلده مسيرة ثلاثة أيام كما تقدَّم مع ذكر الأحاديث الصحيحة.. ونقول: لكل من المشركين والكافرين والمنافقين حال، وتختلف صنوف العذاب ودرجاته أيضاً كما تقدَّم.

... وكما قلنا كثيراً في أجزاء الموسوعة: إن يوم القيامة لا يكون على حال واحدة بل على حالات كثيرة وتتعدد فيه المواطن. فموطن يكون الكافرون فيه لا يسمعون ولا يرون ولا يتكلمون، وموطن يسمعون ويتكلمون ويرون، فيوم القيامة خمسون ألف سنة تتغير فيه المواطن والأحوال حسب ما يشاء اللَّه سبحانه ويريد.

... فمثلاً المتكبرون يحشرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم لذلهم وهوانهم عند اللَّه سبحانه.

وأيضاً هذا لا يعني أن الكافر له حال واحدة في النار يتعذب خالداً فيها بل تتنوع صنوف العذاب... ومن هذه الأحوال فإن اللَّه سبحانه يلقى الكفرة في جهنم مقيدين ومن مكان ضيق:

يقول تعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۞ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۞ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۞ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآيات: ١١ ـ ١٤]

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ﴾ أي بل كذبوا بالقيامة ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ أي وهيأنا لمن كذَّب بالآخرة ناراً شديدة الاستعار، **قال الطبري**: المعنى ما كذب هؤلاء المشركون باللّه وأنكروا ما جئتهم به من الحق من أجل أنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، ولكنْ من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد تكذيباً منهم بالقيامة، وأعددنا لمن كذَّب بالبعث ناراً تسعَّر عليهم وتتَّقد[١]، ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ أي إذا رأت جهنم هؤلاء المشركين من مَسافة بعيدة وهي خمسمِائة عام ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ أي سمعوا صوت لهيبها وغليانها كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ، وسمعوا لها صوتاً كصوت الحمار وهو الزفير، **قال ابن عباس**: إن الرجل ليُجرُّ إلى النار فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرةً لا يبقى أحدٌ إلا خاف[٢]، وتقييد الرؤية بالبعد ﴿ مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ فيه مزيد تهويل لأمرها ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ أي وإذا أُلقوا في جهنم مِن مكان ضيّق، **قال ابن عباس**: تضيق عليهم ضيق الزُّج في الرُّمح[٣] ـ الزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح ـ ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي مصفَّدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ أي دعوا في ذلك المكان على أنفسهم بالويل والهلاك يقولون: يا هلاكنا، نادوه نداء المتمني للهلاك ليسلموا مما هو أشدُّ منه كما قيل: أشدُّ من الموت ما يُتمنى معه الموت ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ أي يقال لهم: لا تدعوا اليوم بالهلاك على أنفسكم مرةً واحدة بل ادعوا مراتٍ ومراتٍ، فإن ما أنتم فيه من العذاب الشديد يستوجب تكرير

---

(١) الطبري ١٨/ ١٤٠.

(٢) ابن كثير ٢/ ٦٢٦ المختصر.

(٣) البحر/ ٤٨٥.

الدعاء في كل حين وآن، وفيه إقناطٌ لهم من استجابة الدعاء وتخفيف العذاب[١].

وفي تفسير **ابن كثير** حول هذه الآيات الكريمة ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾. يقولون هكذا تكذيباً وعناداً، لا أنهم يطلبون ذلك تبصراً واسترشاداً، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال، ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي أرصدنا ﴿لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي عذاباً أليماً حاراً لا يطاق في نار جهنم، وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي جهنم ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني في مقام المحشر، **قال السدي**: من مسيرة مِائة عام حنقاً ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي حَنَقاً عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

[سورة الملك، الآيتان: ٧، ٨]

أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله. عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ومعنا الربيع بن خيثم، فمروا على حداد، فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار، وينظر الربيع بن خيثم إليها، فتمايل الربيع ليسقط، فمر عبد الله على أتون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ فصعق، يعني الربيع، وحملوه إلى أهل بيته، فرابطه عبد الله إلى الظهر، فلم يفق رضي الله عنه. وعن مجاهد بإسناده إلى ابن عباس قال: إن الرجل ليجر إلى النار فتنزوي وتنقبض بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لك؟ قالت: إنه يستجير مني، فيقول:

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٩٢٢، ٩٢٣).

أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول: يا رب ما كان هذا الظن بك، فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، فيقول: أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليجر إلى النار فتشهق إليه النار شهقة البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف[١]. وقال **عبيد بن عمير** في قوله: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ قال: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرَّ لوجهه، تُرْعَد فرائصه، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه، ويقول: رب لا أسألك اليوم إلا نفسي[٢]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ **قال قتادة**: مثل الزج في الرمح أي من ضيقه، وسئل رسول اللّه ﷺ عن قول اللّه: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ قال: «**والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط**» وقوله: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ يعني مكتفين ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي بالويل والحسرة والخيبة، ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ الآيةَ. روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده، وهو ينادي: يا ثبوراه، وينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار، فيقول: يا ثبوراه، ويقولون: يا ثبورهم، فيقال لهم**: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾». **عن ابن عباس**: أي لا تدعوا اليوم ويلاً واحداً وادعوا ويلاً كثيراً، **وقال الضحاك**: الثبور الهلاك، والأظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار، كما قال موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ أي هالكاً. **وقال كعب**: إن في جهنم

---

(١) ذكره ابن جرير رحمه اللّه في تفسيره، وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد عن عبيد بن عمير.

تنانيرَ، ضيقها كضيق زُجّ رمح أحدكم، ثم يطبق على أناس بأعمالهم، وقد سبق ذكره.

قال آدم بن إياس: أنبأنا المسعودي، عن يونس بن خباب، عن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه، قال: إذا بقي في النار من يخلد فيها، جعلوا في توابيت من نار، ثم قذفوا في نار الجحيم، فيرون أنه لا يعذب في النار غيرهم، ثم تلا ابن مسعود: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٠]

وخرّجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود وعنده: «**فلا يَرى أحداً يعذب في النار غيره**»[١].

النوع السادس: التردِّي من جبل:

ومن أنواع العذاب في جهنم من يعذّب في الصعود إلى أعلى النار ثم يهوي فيها كما جاء في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

[سورة المدثر، الآية: ١٧]

وقد سبق أن بيَّنَّا هذا في فِقْرة سابقة.

... ومنهم من يكلّف صعود جبل في النار والتردي منه.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسُمّ، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل، فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[٢].

---

(١) كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي صفحة (١٩٤، ١٩٥).
(٢) رواه البخاري ومسلم.

وهذا الحديث الصحيح يدل دلالة قطعية على أن التردي من جبل ثم الهَوِيَّ إلى الأسفل نوع من أنواع العذاب في نار جهنم والله أعلم.

النوع السابع: جَرُّ الأمعاء.

ومن الكفرة من يكون عقابه أن يدور في النار كما يدور الحمار برحاه يجر أمعاءه وهو يدور بها.

- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما لك ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[١].

. . . أقتابه: أمعاؤه - الرحى: حجر الطاحون تدور به الدابة للطحن.

(١) رواه البخاري ومسلم.

الفصل الخامس

أحوال أهل النار في النار

- استغاثة أهل النار ربهم بأن يرجعهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً .
- خصام أهل النار من الجن والإنس عند اللَّه سبحانه .
- خصام أهل النار في النار ولعن بعضهم بعضاً .
- تبرُّؤ الشيطان من أتباعه في نار جهنم .
- من أشدِّ العذاب صبّ الحميم فوق الرؤوس .
- من أشدِّ العذاب النار التي تطلع على الأفئدة وهي عليهم مؤصدة في عمد ممدَّدة .
- كثرة أهل النار .
- ما السبب في كثرة أهل النار؟
- لماذا أكثر من يدخل النار من النساء؟

أحوال أهل النار في النار

استغاثة أهل النار ربهم بأن يرجعهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً

. . . في الحياة الدنيا قبل الآخرة وعلى طول أمدها بعث اللّه سبحانه المرسلين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب السماوية. . من أجل أن يؤمن الناس باللّه سبحانه، وما أرسل اللّه سبحانه من رسول إلا ليطاع بإذنه، لا أن يتركه قومه دون أن يؤمنوا باللّه سبحانه وبرسالته وباليوم الآخر.

يقول تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٦٤]

. . . وليس من قرية أو مدينة أو قوم إلا أرسل اللّه سبحانه لهم الرسل، وأنذرهم لقاء اللّه يوم القيامة، ذلك حتى لا يكون للناس حجة يوم القيامة أنه ما أتاهم من نذير.

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٢٤]

ويقول تعالى:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا

جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ١٩]

بل أنذرهم اللَّه سبحانه وعلى لسان جميع الأنبياء والمرسلين وفي كل كتبه السماوية، وكذلك أمر اللَّه سبحانه أنبياءه ورسله أن يصبروا على أقوامهم ويصطبروا حتى وإن طال الوقت والزمن في دعوتهم وإرشادهم وهدايتهم، وهذا نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. . . كل ذلك أيضاً كي لا يكون للناس حجة يوم القيامة أن رسل اللَّه لم يصبروا عليهم ولم يعطوهم الوقت الكافي كي يهتدوا ويعودوا إلى اللَّه سبحانه. . . وما من رسول أرسله اللَّه سبحانه إلا كان التبشير على لسانه قبل الإنذار، التبشير بكرم اللَّه سبحانه وإحسانه وما أعدَّ للمؤمنين من عظيم النعيم والهناء والحياة الخالدة في جنات اللَّه الخالدة.

والقرآن الكريم توسَّع في تفصيل كل هذا، في قصص الأنبياء والمرسلين ودعوتهم لأقوامهم وهدايتهم لهم. . . ولو ذكرنا ما ذكره القرآن الكريم لكنا بحاجة إلى بحث طويل في هذا الخصوص.

ومما قاله تعالى في القرآن الكريم على لسان أنبيائه في دعوتهم لأقوامهم حيث استعملوا معهم أساليب الهداية والإرشاد والتنبيه والنصح.

يقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيات: ٦٦ ـ ٦٨]

. . . فإذا ما عاين أهل النار جهنم ووقفوا عليها ومن ثمَّ سقطوا فيها، ورأوا العذاب الذي وعدهم اللَّه سبحانه به، ورأوا أن وعد اللَّه حق وأن النار حق كما أن الجنة حق لأصحابها، يستغيثون باللَّه سبحانه أن يعيدهم مرة أخرى إلى الدنيا ليؤمنوا باللَّه وباليوم الآخر ويعملوا صالحاً.

. . . وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا أن استغاثة الكافرين وحتى العصاة تبدأ من لحظة الموت، أو عندما يعاينون الموت ويتأكدون أنه آتيهم، ولم يبق بينهم وبينه إلا القليل، يسألون اللَّه أن يؤخِّرهم ليعملوا صالحاً ويتصدقوا ويكونوا من الصالحين.

يقول تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١]

ويقول تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى:

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٠]

ويقول تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ * فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ .

[سورة السجدة، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

ويقول تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٤]

خصام أهل النار
من الجن والإنس عند اللَّه سبحانه

إن الكفار والمشركين والمنافقين يوم القيامة يحاولون الخلاص من العذاب الذي أصبح محتماً عليهم لا رجوع فيه ولا خلاص لهم منه. فَيُرجِع كل من المجرمين سبب كفره وجحوده وشركه إلى الآخرين لعلَّ اللَّه سبحانه (حسب ظنهم) أن يرحمهم... ويخلصوا من العذاب.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ .

[سورة ق، الآيات: ٢٣ ـ ٣٠]

يقول تعالى مخبراً عن المَلَكِ الموكل بعمل ابن آدم، أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾ أي معتد حاضر بلا زيادة ولا نقصان، **وقال مجاهد:** هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته، وقد اختار **ابن جرير** أنه يعم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة، فعند ذلك يحكم اللَّه تعالى في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ، وقد اختلف

النحاة في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾، فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد. فالسائق أحضره إلى موقف عَرَصة الحساب، فلما أدّى الشهيد عليه، أمرهما اللَّه تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي كثير الكفر والتكذيب بالحق ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق، لا بر ولا صلة ولا صدقة، ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي فيما ينفقه ويَصْرفه، يتجاوز فيه الحد، وقال قتادة: معتد في منطقه وسيره وأمره، ﴿مُّرِيبٍ﴾ أي شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره، ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أي أشرك باللَّه فعبد معه غيره، ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾، عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع اللَّه إلٰهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم**»(١). ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ **قال ابن عباس ومجاهد:** هو الشيطان الذي وكل به، ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه، فيقول: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي ما أضللته، ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي بل كان هو في نفسه ضالاً، معانداً للحق، كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٢]

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ يقول الرب عزّ وجلّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي: يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي عن منهج الحق، فيقول الرب عزّ وجلّ لهما: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي عندي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ أي قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبراهين، ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي لست أعذِّب أحداً بذنب أحد، ولكن لا أعذِّب أحداً إلا بذنبه، بعد قيام الحجة عليه.

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وهي تقول: هل من مزيد؟ أي هل بقي شيء تزيدونني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث، روى البخاري عند تفسير هذه الآية، عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ اللّه خلقاً آخر فيسكنهم اللّه تعالى في فضول الجنة**»(١). عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال اللّه عزّ وجلّ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذِّب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع**

---

(١) رواه الإمام أحمد، وروى مسلم نحوه في صحيحه.

رجله فيها فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللَّه عزّ وجلّ من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن اللَّه عزّ وجلّ ينشئ لها خلقاً آخر»(١). عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى بينهما، فقال للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذِّب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها**»(٢). وعن عكرمة ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: وهل فيَّ مزيد؟ وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا، فعند هؤلاء أن قوله تعالى: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتنزوي وتقول حينئذٍ: هل بقي فيَّ مزيد يسع شيئاً؟ قال العوفي عن ابن عباس: وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة، واللَّه أعلم(٣).

ويقول تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآيتان: ٣١، ٣٢]

والمعنى: إنكم تجتمعون عند ربكم في الدار الآخرة وتختصمون أمام اللَّه سبحانه فيما بينكم من أمر الدنيا والدين وغيرهما من الاتهامات والادعاءات، ثم يفصل اللَّه بينكم وهو أحكم

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٣٧٥، ٣٧٦).

الحاكمين. . وليس أحد أظلمَ ممن نسب الشريك والولد للّه سبحانه، وكذب بالقرآن الكريم وقت نزوله من غير تدبر وتأمل، فكفر باللّه، وكذلك كل من كذب بالقرآن الكريم وإلى يوم القيامة فهو ظالم وكافر ويستحق كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ نعم إن مأوى ومقام أولئك الكفرة جهنم خالدين فيها أبداً.

خصام أهل النار في النار ولعن بعضهم بعضاً

يتخاصم أهل النار في النار ويلعن بعضهم بعضاً، ويلعن أولهم آخرهم وآخرهم أولهم، ويكونون أعداء بعضهم بعضاً.

. . . ويقول آخرهم: ربنا آت أولئك الذين أضلونا ضعفين من العذاب، ويسألون الله أن يريهم أولهم ومن كان سبب ضلالهم أو من أضلهم عن الذكر، حتى يجعلوهم تحت أقدامهم، وتراهم يتبرأ بعضُهم من بعض ويتهم بعضهم بعضاً.

يقول تعالى:

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٣٨ ـ ٤١]

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي يقول اللّه تعالى يوم القيامة لهؤلاء المكذبين بآياته: ادخلوا مع أمم أمثالكم من الفجرة في نار جهنم من كفار الأمم الماضية من الإنس والجن ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي كلما دخلت طائفة النار، لعنت التي قبلها لأنهم سبب ضلالهم. **قال الآلوسي**: يلعن الأتباع القادة يقولون: أنتم أوردتمونا هذه الموارد فلعنكم اللّه تعالى[١]، والمراد أن أهل النار يلعن بعضهم بعضاً كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٥]

﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي تلاقوا واجتمعوا في النار كلهم ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي قال الأتباع للقادة والرؤساء الذين أضلوهم: يا ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن سبيلك وزينوا لنا طاعة الشيطان ﴿ فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي أذقهم العذاب مضاعفاً لأنهم تسببوا في كفرنا ونظير هذه الآيـــة ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ . . . ﴾ .

[سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٧، ٦٨]

---

(١) روح المعاني ٨/ ١١٦.

﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي لكل من القادة والأتباع عذاب مضاعف، أما القادة فلضلالهم وإضلالهم، وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي لا تعلمون هوله، ولهذا تسألون لهم مضاعفة العذاب ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٩]

أي قال القادة للأتباع: لا فضل لكم علينا في تخفيف العذاب، فنحن متساوون في الضلال وفي استحقاق العذاب الأليم ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٩]

أي فذوقوا عذاب جهنم بسبب إجرامكم، قالوه لهم على سبيل التشفي لأنهم دعَوْا عليهم بمضاعفة العذاب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي لا يصعد لهم عمل صالح كقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ١٠]

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء، وقيل: لا تُفتَّح لأرواحهم أبواب السماء إذا قبضت أرواحهم، ويؤيده حديث رسول اللَّه ﷺ: « **إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا يجيئه ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من اللَّه وغضب، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة، فلا يمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له** » . . . رواه الإمام أحمد ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي لا يدخلون يوم القيامة الجنة حتى يدخل الجمل في ثَقْب الإبرة، وهذا تمثيل لاستحالة دخول الكفار الجنة كاستحالة دخول الجمل على ضخامته في ثَقب الإبرة على دقته مبالغة في التصوير ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي أهل العصيان والإجرام ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤١]

أي لهم فراش من النار من تحتهم ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤١]

أي ومن فوقهم أغطية من النار ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤١]

أي ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي كل من ظلم وتعدّى حدود اللَّه[١] .

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٤١٦، ٤١٧).

وقال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

يقولون ذلك من شدة ما يلاقونه من عذاب النار، إنهم يتمنون أن يروا أولئك الذين أضلوهم في الحياة الدنيا ـ عن وحدانية اللَّه وعن طاعة اللَّه وعن عبادة اللَّه والعمل الصالح ـ وهذا من شدة غيظهم وحَنَقهم على أولئك الذين كانوا سبب خلودهم في النار.

وقال تعالى:

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٥]

ذلك أنكم اتخذتم هذه الأوثان لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة ومودة. ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي تتجاحدون ما كان بينكم ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع ـ ومصيركم جميعاً إلى النار ومرجعكم بعد عَرَصات الدنيا إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب اللَّه[1].

ويقول تعالى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٧]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٣) صفحة (٣٤).

وقال ابن كثير: الأصدقاء والأحباب يوم القيامة يصبحون أعداء، إلا من كانت صداقته ومحبته للّه، وكل خلة وصداقة لغير اللّه فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان للّه عزّ وجلّ، فإنه دائم بدوامه، **قال ابن عباس**: صارت كل خُلَّة عداوة يوم القيامة إلا خُلة المتقين.

ويقول تعالى:

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢١]

يقول تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ أي برزت الخلائق كلها للّه الواحد القهار، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ عن عبادة اللّه وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، قالوا لهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي بما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي فهل تدفعون عنا هنا شيئاً من عذاب اللّه كما كنتم تعدوننا وتمنوننا، فقالت القادة لهم: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ أي ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قالوا: تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى اللّه عزّ وجلّ، تعالوا نبكِ ونتضرعْ إلى اللّه، فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا أنه لا ينفعهم، قالوا: إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا

حتى نصبر فصبروا صبراً لم يُر مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾. قلتُ: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٧]

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٧]

وأما تخاصمهم في المحشر فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾[1].

[سورة سبأ، الآيتان: ٣١، ٣٢]

وجعل اللَّه سبحانه تخاصم أهل النار من الحق وهم في النار يصطلون.

يقول تعالى:

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة ص، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٢٩٥.

﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ ؟ أي وقال الطغاة من رؤساء الكفر وأئمة الضلال: ما لنا لا نرى في النار هؤلاء الذين كنا نعدُّهم في الدنيا من الأشرار؟ يعنون بهم المؤمنين. **قال ابن عباس**: يريدون أصحاب محمدﷺ، يقول أبو جهل: أين بلال، أين صهيب، أين عمار؟ أولئك في الفردوس! وا عجباً لأبي جهل! مسكين، أسلم ابنهُ عِكرِمة، وابنته جويرية، وأسلمت أمه، وأسلم أخوه وكفر هو[1]. قال ابن كثير: هذا إخبار عن الكفار في النار، أنهم يفتقدون عمَّاراً وصهيباً وفلاناً وفلاناً؟ وهذا ضُرِبَ مَثلاً وإلا فكل الكفار هذه حالهم، يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخلها الكفار افتقدوهم فلم يجدوهم[2]، ثم قال: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ؟ أي يؤنبون أنفسهم قائلين: أجعلنا هؤلاء المؤمنين في الدنيا هزءاً وسخرية؟ أم هم معنا في النار ولكن لا نراهم؟ **قال البَيضاوي**: إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار من المؤمنين، كأنهم قالوا: ليسوا ههنا في النار؟ أم مالت عنهم أبصارُنا فلا نراهم[3]؟ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أقوال أهل النار وتخاصمهم، لهو الحق الذي لا بدّ وأن يتكلموا به، فنحن نخبرك عن تخاصمهم في جهنم، وعن أقوالهم وهم فيها. **قال الرازي**: وإنما سمىٰ اللَّه تعالى تلك الكلمات تخاصماً لأن قول الرؤساء: ﴿ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ وقول الأتباع: ﴿ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ يُعدُّ من التخاصم.

ويقول تعالى:

﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۞ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٤.

(٢) مختصر ابن كثير.

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ١٥١.

بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾.

[سورة ص، الآيات: ٥٩ ـ ٦١]

ثم حكى القرآن الكريم ما يقال للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار، فقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي تقول لهم خزنة جهنم: هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، ودخلوها بصحبتكم كما اقتحموا معكم في الجهل والضلال، لا أهلاً ولا مرحباً بهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ أي إنهم ذائقو النار، وداخلوها كما دخلتموها أنتم. قال الرازي: والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها، وهذا من كلام خزنة جهنم لرؤساء الكفرة عن أتباعهم، والعرب تقول لمن يدعون له: مرحباً أي أتيت رُحباً في البلاد لا ضيقاً، ثم يدخلون عليها كلمة «لا» في دعاء السوء[1]. ﴿قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي قال الأتباع للرؤساء الطغاة الذين أضلوهم: بل أنتم لا أهلاً بكم ولا مرحباً. قال المفسرون: عندما يدخل الأتباع جهنم تتلقاهم الرؤساء بقولهم: ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي لا تلقون هنا رحباً ولا خيراً ـ وهذه تحية أهل النار. وهذا على حد قول القائل: «**تحية بينهم ضرب وجيع**»، فكذلك أهل النار يتلقون بعضهم باللعنات والشتائم بدل التحية والسلام، ثم يعلِّل الأتباع ذلك بقولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي أنتم قدَّمتم لنا هذا العذاب وكنتم السبب في ضلالنا، فبئس المنزل والمستقر لنا ولكم نار جهنم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ هذا أيضاً من كلام الأتباع دعوا اللَّه أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو

(١) التفسير الكبير للرازي ٢٦/ ٢٢٢.

كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ والضعف زيادة المثل[١]. قال البيضاوي: وقال الأتباع أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مضاعفاً، وذلك أن يزيد على عذابه مثلُه فيصيرَ ضعفين[٢].

(١) التسهيل في علوم التنزيل ٣/ ١٨٨.
(٢) تفسير البيضاوي ٢/ ١٥١.

تبرُّؤ الشيطان من أتباعه في نار جهنم

إن من أشد آلام الكافرين في النار تبرؤَ الشيطان منهم، الذي كان يعدهم ويمنيهم ويؤملهم بالآجال وتأخير حلول الأعمال، ويأمرهم بالبخل على عباد اللَّه، ويدفعهم إلى الضلالة والكفر والشرك باللَّه العظيم ويدفعهم إلى الظلم واتباع الشهوات...

والآيات القرآنية الكريمة كثيرة في علاقة الشيطان بأتباعه وما يأمرهم به واستجابتهم له... رغم تحذير اللَّه سبحانه بأن الشيطان عدو للإنسان لا يدلّه إلا على طريق الضلال والمنكرات... وإذا تحدَّثنا في هذا الخصوص فإن البحث يطول... ولكن نذكر بعض الآيات القرآنية، وكيف بيَّن اللَّه سبحانه لعباده عداوة الشيطان وضلال الشيطان وكفر الشيطان، يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

[سورة يوسف، الآية: ٥]

ويقول سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .
[سورة فاطر، الآيتان: ٥، ٦]

وقد بيَّن اللَّه سبحانه أن الشيطان لا يعِد أولياءه إلا غروراً.

يقول تعالى:

﴿ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ . [سورة الإسراء، الآية: ٦٤]

وقد توعَّد اللَّه سبحانه الشيطان ومن تبعه من الإنس نار جهنم خالدين فيها، يقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴾ .
[سورة الإسراء، الآية: ٦٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ . [سورة الحجر، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

فإذا جاء وعد الآخرة، ورأى جميع الكفرة وعد اللَّه ليوم القيامة أنه حق، تبرأ التابع من المتبوع، والمتبوع من التابع، والشيطان من حزبه وأتباعه، وأتباعه من الشيطان، وتبرأ الفاسق من الفاسق، والضال من الضال، والكافر من الكافر، والمشرك من المشرك، وكل كافر ومشرك يُرجع سبب كفره وشركه إلى الآخرين، وقد بيّنا تخاصم أهل النار عند ربهم وتخاصم بعضهم مع بعض.

ومن أشدِّ الخصام وتبرؤ بعضهم من بعض خصام وتبرؤ الشيطان من أتباعه، وأول ما يقول الشيطان يوم القيامة: إن اللَّه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم موعدي. يقول تعالى:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ

إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

[سورة الحشر، الآيتان: ١٦، ١٧]

ويقول تعالى

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ .

[سورة الزخرف، الآيات: ٣٦ ـ ٣٩]

وبما أن اللَّه سبحانه جعل من الحق تخاصم أهل النار. . . وبما أن الشياطين والكفرة من الإنس من أهل النار فلا بدَّ من تخاصم في النار بعد أن حق عليهم قول اللَّه سبحانه أنهم في النار. . . ويكون السؤال ممن كَفَر من الإنس للشياطين: أين ما وعدتمونا وقد اتخذناكم أولياء من دون اللَّه، مع أن اللَّه سبحانه حذّرنا ألا نتخذكم أولياء من دونه فعصينا اللَّه سبحانه واتخذناكم أولياء، فهل أنتم مغنون عنا من عذاب اللَّه من شيء؟؟

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى اللّه بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين النار، فقام فيهم إبليس لعنه اللّه يومئذٍ خطيباً ليزيدهم حزناً إلى حزنهم وغبناً إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ أي على ألسنة رسله ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً وصدقاً، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال اللّه تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١١٠]

قال:

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاؤوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ اليوم، ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ فإن الذنب ذنبكم لأنكم خالفتم الحجج، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل. ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ أي بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال، ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ **قال قتادة**: أي بسبب ما أشركتموني من قبل، **قال ابن جرير**: يقول: إني جحدت أن أكون شريكاً للّه عزّ وجلّ، وهذا الذي قاله هو الراجح، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآيتان: ٥، ٦]

وقال: ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٨٢]

وقوله: ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي في إعراضهم عن الحق واتِّباعهم الباطل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، والظاهر من سياق الآية أن هذه الخُطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدَّمنا، قال الشعبي: يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس، يقول تعالى لعيسى ابن مريم: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾؟

[سورة المائدة، الآية: ١١٦]

قال: ويقوم إبليس لعنه اللَّه فيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ الآية.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٢]

ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال، وأن خطيبهم إبليس، عطف بمآل السعداء، فقال: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين أبداً لا يحولون ولا يزولون ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ .

كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٣]

وقال تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾ .

[سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

وقال تعالى: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

[سورة يونس، الآية: ١٠]

وقال الصابوني في تفسير هذه الآيات العظيمة والمهمة في هذا المقام: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ هذه هي الخطبة البتراء التي يخطب بها إبليس في محفِل الأشقياء في جهنم، أي لما فُرِغَ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي وعدكم وعداً حقاً بإثابة المطيع وعقاب العاصي فوفّى لكم وعده ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ أي وعدتكم ألّا بعثَ ولا ثواب ولا عقاب فكذبتكم وأخلفتكم وعدي ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ أي لم يكن لي قدرة وتسلّط وقهر عليكم فأقهرَكم على الكفر والمعاصي ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ أي إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بالوسوسة والتزيين فاستجبتم لي باختياركم ﴿ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾ أي لا ترجعوا باللوم عليَّ اليوم، ولكن لوموا أنفسكم، فإن الذنب ذنبكم ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ أي ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثي من عذاب اللَّه ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ أي كفرت بإشراككم لي مع اللَّه في الطاعة ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي إن المشركين لهم عذاب مؤلم. قال المفسرون: هذه الخطبة إنما تكون إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، فيأخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه، فيقوم فيما بينهم خطيباً بما أخبر عنه القرآن الكريم. **وقال الحسن**: يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً. ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٢٩٥، ٢٩٦).

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ لما ذكر تعالى أحوال الأشقياء، ذكر بعدُ أحوال السعداء، ليبقى العبد بين الرغبة والرهبة، وبين الخوف والرجاء، أي أدخلهم اللَّه تعالى جناتٍ تجري من تحت قصورها أنهار الجنة ماكثين فيها أبداً بأمره تعالى وتوفيقه وهدايته ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أي تحييهم الملائكة بالسلام مع الإجلال والإكرام(١).

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني صفحة (٦٧١، ٦٧٢).

من أشد العذاب صبّ الحميم فوق الرؤوس

العذاب في جهنم عذاب شديد حتى على أهون أهل النار عذاباً، كما أوردنا في فِقرات سابقة، واللّه سبحانه أعدَّ لهم أنواعاً وأصنافاً من العذاب الأليم الشديد القوي الذي يفوق غيره من أنواع العذاب، فالنار وعذابها دركات وأهلها درجات، فمنهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل، ومنهم العتل الشديد، ومنهم عدو اللّه الأثيم. . . وعذاب صبّ الحميم من فوق الرؤوس الذي يغلي ويشتد ويغتاظ إذا ما أُلقيَ فوق رؤوسهم في عملية كأنها الصَّهر والذوبان من شدة الحميم، فيصهر ويذوب ويأتيه العذاب من كل مكان وما هو بميت، فيعاد كما كان ثم يصهر ويذوب وما هو بميت.

يقول تعالى:

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ۞ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۞ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

[سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

قال عكرمة: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ قال: هي الجنة والنار، قالت النار: اجعلني للعقوبة، وقالت الجنة: اجعلني للرحمة، **وقول مجاهد وعطاء**: إن المراد بهذه الآية الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها، وتنتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون

نصرة دين اللَّه عزّ وجلّ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل، وهذا اختيار **ابن جرير** وهو حسن، ولهذا قال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي فصَّلت لهم مقطعات من النار، قال سعيد بن جبير: من نُحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١٩، ٢٠]

أي إذا صبَّ على رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة، وقال سعيد بن جبير: هو النحاس المذاب أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء[١]. وكذلك تذوب جلودهم.

عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «**إن الحميم ليصبّ على رؤوسهم، فينفذ إلى الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان**»[٢]. وفي رواية: يأتيه الملك يحمل الإناء بكَلْبَتَيْن ممّا في حرارته، فإذا أدناه من وجهه تكرهه، قال: فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه، فيفرغ دماغه، ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه، فذلك قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ وقوله: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾. عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض**»[٣]. عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان، ولو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**»[٤].

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.

(٢) رواه ابن جرير والترمذي وقال: حسن صحيح، وروى ابن أبي حاتم بنحوه.

(٣) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾ قال: يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور، وقوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ قال سلمان: النار سوداء مظلمة لا يُضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، وقال زيد بن أسلم في هذه الآية: بلغني أن أهل النار لا يتنفسون براحة، وقال الفضيل بن عياض: واللَّه ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لمُوثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها، وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ كقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٢٠]

ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً[١].

وثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قسَماً أن هذه الآية: ﴿خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر، وروى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ قال: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى باللَّه منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء، فنحن أولى باللَّه منكم، فأفلج اللَّه الإسلام على من ناوأه، وأنزل: ﴿هَٰذَانِ

(١) تفسير ابن كثير صفحة (٥٣٥، ٥٣٦) مجلد (٢).

خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ . وقال مجاهد في هذه الآية: مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث، وقال مجاهد وعطاء في هذه الآية: هم المؤمنون والكافرون.

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ * كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ .

[سورة الدخان، الآيات: ٤٣ ـ ٥٠]

ولما ذكر اللَّه سبحانه الأدلة على القيامة، أردفه بوصف ذلك اليوم العصيب، فذكر وعيد الكفار أولاً ثم وعد الأبرار ثانياً للجمع بين الترهيب والترغيب فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أي إن هذه الشجرة الخبيثة ـ شجرة الزقوم ـ التي تنبتُ في أصل الجحيم، طعام كل فاجر، ليس له طعام غيرها. قال أبو حيان: الأثيم صفة مبالغة وهو الكثير الآثام، وفسر بالمشرك[١] ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ أي هي في شناعتها وفظاعتها إذا أكلها الإنسان كالنحاس المذاب الذي تناهى حرُّه، فهو يُجرجر في البطن ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي كغليان الماء الشديد الحرارة. قال القرطبي: وشجرة الزقوم هي الشجرة التي خلقها اللَّه في جهنم وسمَّاها الشجرةَ الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار، وشبَّه تعالى ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب، والمراد بالأثيم الفاجر ذو الإثم وهو أبو جهل، وذلك أنه كان يقول: يعدنا محمد أن في جهنم الزقومَ، وإنما هو الثَّريد بالزُّبد والتمر[٢]، ثم يأتي

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٩.　　(٢) تفسير القرطبي ٦/ ١٤٩.

بالزبد والتمر ويقول لأصحابه: تزقموا، سخريةً واستهزاءً بكلام اللَّه، قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي يُقال للزبانية: خذوا هذا الفاجر اللئيم فسوقوه وجروه من تلابيبه بعنف وشدة إلى وسط الجحيم ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ أي ثم صبوا فوق رأس هذا الفاجر عذاب ذلك الحميم الذي تناهى حرُّه ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ أي يقال له على سبيل الاستهزاء والإهانة: ذقْ هذا العذاب فإنك أنت المعزز المكرم. قال عكرمة: التقى النبي ﷺ بأبي جهل، فقال النبي ﷺ: « **إن اللَّه أمرني أن أقول لك**: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ».

[سورة القيامة، الآية: ٣٤]

فقال: بأي شيء تهددني؟ واللَّه ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه، فقتله اللَّه يوم بدر وأذلَّه ونزلت هذه الآية[١]: ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ أي إن هذا العذاب هو ما كنتم تشكون به في الدنيا، فذوقوه اليوم.

(١) القرطبي ١٦/ ١٥١.

من أشدّ العذاب، النارُ التي تطَّلع على الأفئدة وهي عليهم مؤصدة في عمد ممدَّدَة

نعم إنها لمن أشد العذاب، تلك النار الموقدة التي تخرق الجلد والعظم فتصل إلى القلب، وهذه النار هي مؤصدة عليهم في عمد طويلة ممددة، تتناسب وأحجامهم وأجسادهم التي تضخُم حتى يكون ضرس الكافر في النار كجبل أُحد، **وسورة الهُمَزة** تصوِّر في مشهد معبِّر حرَكي واضح بيِّن، كيف يكون حال الكافر في جهنم وحال أشدهم على اللَّه عتياً، الذي كان يجمع المال يتلذذ به وينصرف به عن الإيمان والطاعة. والسورة تشير: وكأن الكافر المراد عذابه بهذا العذاب أن النار تكون عليه حامية، في مكان هو فيه مؤصد عليه مغلق بجدران عظيمة الارتفاع بواسطة العَمَد الممددة، واللَّه يصف تلك الأعمدة بأنها ممددة أي لا يعلم ارتفاعها إلا اللَّه سبحانه، وهذا الحصر في مكان حوله النار والجدران المرتفعة وكأنه في سجن إفرادي لا يرى أحداً ولا يراه أحد، وربما هذا يكون من أشد أشد العذاب.. فهو في هذا المكان حوله الجدران العظيمة المرفوعة على تلك العمد، وهي عليه مؤصدة فلا خروج منها إلا إذا أراد اللَّه سبحانه ليخرجه إلى نوع آخر من العذاب فأي عذاب هذا؟ وأي تحمل هذا؟ وأي صبر لهم على النار؟ وكيف يصبرون وهم يعيشون الخلد في هذا العذاب؟ وما يهلك على اللَّه إلا هالك.

يقول تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۞ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۞ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۞ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

[سورة الهمزة، الآيات: ١ ـ ٩]

يقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير سورة الهمزة:

١ ـ هلاك وخزي وعذاب شديد لكل هماز (كثير الهمز) وهو المغتاب الطعان في أعراض الناس وكراماتهم، ولمّاز (كثير اللمز) وهو العيّاب الذي يطعن بالناس خُفية باللسان أو العين أو اليد أو الرأس ونحوها تحقيراً لهم وترفعاً عليهم.

٢ ـ الذي يجمع الأموال، ويعدّها مرة بعد أخرى تلذذاً بإحصائها. وهذا سبب الهزء بالناس وتحقيرِهم.

٣ ـ يظن أن ماله يجعله حياً خالداً لا يموت، والمراد: أنه يعمل عمل من لا يفكر بالموت.

٤ ـ ﴿كَلَّا ۖ﴾: للزجر له عن هذا الفعل، والله ليطرحن ويرمين بإهانة وتحقير في نار جهنم كثيرة التحطيم والتكسير لكل ما يلقى فيها. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: جواب قسم محذوف كما قدرنا.

٥ ـ وما أعلمك ما الحطمة: نار جهنم؟ وهذا للتهويل، أي أيّ شيء هي؟ كأنها غريبة عن المعقول!!

٦ ـ نار الله الملتهبة التهاباً شديداً، والتي لا تخمُد أبداً.

٧ ـ التي تعلو أوساط القلوب أو تصل إلى أعماقها، وتحيط بها، وخصت القلوب، لأنها محل العقائد الزائغة.

٨ و٩ ـ إنها (النار) على أهلها مغلقة مطبقة. في أعمدة طويلة ممدودة، وهذا إشعار باليأس من التخلص أو الخروج منها[١].

وفي التفسير المنير يقول وهبة الزحيلي في تفسير سورة الهمزة:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أيْ خزي وعذاب شديد لكل من يغتاب الناس ويطعن بهم، أو يعيبهم في حضورهم، قال مقاتل: إن الهمزة: الذي يغتاب بالغيبة، واللمزة: الذي يغتاب في الوجه. وقال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ طَعِن معياب.

ثم ذكر أوصافاً أخرى له:

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي إن ذلك الهمزة اللمزة الذي يزدري الناس ويحتقرهم، ويترفع عليهم بسبب إعجابه بما جمع من المال وأحصاه، وظن أن له به الفضلَ على غيره، كقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ١٨]

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي يظن أن ماله يضمن له الخلود ويتركه حياً مخلداً لا يموت، لشدة إعجابه بما يجمعه من المال، فلا يعود يفكر بما بعد الموت. ثم ردّ اللَّه عليه أوهامه وزجره عن مزاعمه، فقال:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي زجراً له وردعاً، فليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، بل ليلقين ويطرحن هذا الذي جمع ماله هو وماله في النار التي تحطم أو تهشم كل ما يلقى فيها.

---

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة (٦٠٣) مطبعة دار الفكر دمشق.

ثم هوَّل عليه شأن النار وعرفها له، فقال:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي وما أعلمك ما هذه النار، وأي شيء هي؟ فكأنها لا تدركها العقول، هي نار اللّه الموقدة المستعرة بأمر اللّه سبحانه، التي لا تخمد أبداً.

وفائدة وصف جهنم بالحطمة مناسبتها لحال المتكبر المتجبر بماله، المترفع على غيره، فهي تكسر كسراً كل ما يلقى فيها، لا تبقي ولا تذر.

وإضافة ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ للتفخيم، أي هي نار، لا كسائر النيران.

ثم وصف النار بأوصاف ثلاثة هي:

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي التي تعلو القلوب وتغشاها بحرّها الشديد، وتحرقهم وهم أحياء. والقلوب أشد أجزاء البدن تألماً، وخصت الأفئدة بالذكر لأنها محل العقائد الزائغة، والنيات الخبيثة وسوء الأخلاق من الكبر واحتقار الناس، والأعمال القبيحة للكافرين والمشركين.

وهي عليهم مطبقة، مغلقة عليهم أبوابها جميعاً، فلا منافذ، ولا يستطيعون الخروج منها، كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾.

[سورة البلد، الآية: ٢٠]

وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا . . .﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

وهي أيضاً كائنة في أعمدة ممددة طويلة موثقة. قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم شدّت بأوتاد من حديد، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم رَوْح.

والآية تفيد المبالغة في العذاب بقوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي إنه موضع

له قعر عميق جداً كالبئر، وإن أبوابها لا تفتح ليزيد في حسرتهم، وتغلق إغلاقاً محكماً للتيئيس من الخروج منها، وممدَّدَة في أعمدة دائمة اللهب، فلا أمل في إطفائها أو تخفيف شدة حرارتها[١] .

(١) التفسير المنير أ. د وهبة الزحيلي تفسير الجزء (٣٠) السورة (١٠٤) الهمزة ١ ـ ٩ صفحة (٣٩٩ ـ ٤٠١) طبعة دار الفكر دمشق.

كثرة أهل النار

لقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة دالةً بنصوصها على كثرة أهل النار من بني آدم لكثرة من يتبع إبليس وغوايته ويتبع الشهوات وينكر وحدانية اللّه وينكر اليوم الآخر.

يقول تعالى:

﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ٤٩]

ويقول سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ١٤٩]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[سورة هود، الآية: ١٧]

ويقول أيضاً:

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[سورة يوسف، الآية: ١٠٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]

وكثيرة هي الآيات التي تتحدث عن كثرة الضالين غير المؤمنين على هذه الأرض، وقد بيّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم الكثير من قصص الأنبياء ومعاداة أقوامهم لهم بل ومحاربتهم بل وقتلهم بغير حق.

يقول تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٥٥]

وقَصص هؤلاء الأقوام الذين أرسل اللَّه سبحانه لهم الأنبياء لهدايتهم وكفروا وعصوا كثيرةٌ في القرآن الكريم، منها ما قصَّ اللَّه سبحانه على نبيه ﷺ في القرآن الكريم ومنها ما لم يقص، وكذلك من الأمم ما أعلمنا اللَّه سبحانه بعض علم عنهم ومنهم ما لم يعلمنا شيئاً.

يقول تعالى:

﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٧٨]

ويقول تعالى:

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٦٤]

فإن أكثر الأنبياء عليهم السلام كانت تُرَدُّ دعوتهم من أقوامهم، وما يؤمن بهم وبرسالتهم إلا قليل.. ولقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع ذلك كانت النهاية أن أخذ اللَّه

سبحانه قومه بالطُّوفان بعد دعوتهم كل هذه القرون إلى اللَّه سبحانه وأن يؤمنوا به وباليوم الآخر، وما آمن معه إلا قليل.

يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ١٤]

وكذلك فإن ما يدلك ويبيّن لك كثرة الكفار يوم القيامة الذين يَصلَون نار جهنم خالدين فيها.. أن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرهط وهم الجماعة دون العشرة، والنبي معه الرجل والرجلان بل إن بعض الأنبياء يأتي وحيداً لم يؤمن به أحد.

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»[(١)].

ـ عن أبي أُمامة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من أحد يدخله اللَّه الجنة إلا زوَّجه اللَّه عزّ وجلّ اثنتين وسبعين زوجة: اثنتان من الحور العين، وسبعون من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قُبُل شهي وله ذكر لا ينثني»[(٢)].

قال هشام بن خالد: من ميراثه من أهل النار يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءَهم.

وهذا الحديث الشريف يدل على كثرة أهل النار قياساً لأهل

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٩٨) ورقم الحديث (٢٢٠).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه ورقم الحديث (٤٣٣٩).

الجنة، فإذا كان كل مؤمن له اثنتان من الحور العين وسبعون من ميراثه من أهل النار، فمعنى ذلك أن أهل النار أضعافٌ مضاعفة بالنسبة لأهل الجنة، لأنه كما مرَّ هنا في الأحاديث الشريفة: أن اللَّه سبحانه خلق لكل إنسان مقامين مقاماً في الجنة ومقاماً في النار، فمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن اتباع الشهوات والهوى فإن الجنة هي مأواه، وأما من طغى وآثر وفضل الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى.. فإذا أدخل اللَّه سبحانه أهل الجنة الجنة، أُري كل واحد منهم مقامه في النار، ويقال له: لو كفرت وطغيت وآثرت الحياة الدنيا لكان هذا مقامَك، فيحمَد اللَّه سبحانه أن هداه إلى صراطه المستقيم، وكذلك إذا أدخل الكافر النار أراه اللَّه سبحانه مقامه في الجنة، ويقال له: لو آمنت وخفت مقام ربك ونهيت نفسك عن الهوى لكان هذا مقامَك، فيزداد حسرة فوق حسرته.

.. ومما يدل على كثرة أهل النار الحديثُ الشريف.. عندما يُسأل آدم عليه السلام أن يخرج من ذريته بعث النار (أهل النار) فيقول لربه: وما بعث النار يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وفي رواية: من كل مِائة تسعة وتسعون.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يقول اللَّه عزّ وجلّ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعون، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد» قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول اللَّه، أينا ذلك الرجل؟ فقال: **«والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل**

الجنة»، فحمِدنا اللَّه وكبَّرنا، ثم قال: **«والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة»**، فحمدنا اللَّه وكبرّنا، ثم قال: **«والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر[١] أهل الجنة، إنما مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة[٢] في ذراع الحمار»**[٣].

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يقول اللَّه يا آدم، قم فابعث بعث النار، فيقول: لبيك وسعديك، والخير بين يديك، يا رب، وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعون، قال: فيومئذ يشيب المولود». ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

قال: فيقولون: أينا ذلك الواحد؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«تسعمِائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد»** قال: فقال الناس: اللَّه أكبر، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«واللَّه إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، واللَّه إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، واللَّه إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»**.

قال: فكبَّر الناس، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»**[٤].

---

(١) شطر: نصف.
(٢) كالرقمة: قطعة بيضاء تكون في باطن الذراع.
(٣) متفق عليه، مسلم ٢٢٢ الفتح (١٩/ ١٧٩).
(٤) رواه البخاري برقم (٤٧٤١)، ومسلم برقم (٢٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٣).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول من يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريته**[1] **، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث**[2] **جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مِائة تسعة وتسعين**»، فقالوا: يا رسول اللَّه إذا أخذ منا من كل مِائة تسعة وتسعون فماذا يبقىٰ منا؟ قال: «**إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**»[3].

تنبيه: في حديث قال: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعون، وفي حديث قال: من كل مِائة تسعة وتسعون... في ظاهر الحديثين تعارض؟ ولكن نقول: في حديث أبي سعيد حمل على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد.. وفي حديث أبي هريرة حمل علىٰ من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرة.

... ومنها أيضاً أن حديث أبي سعيد يتعلق بالخلق جميعاً وأن حديث أبي هريرة يتعلق بهذه الأمة خاصة.

---

(١) أي تنظر إليه وتتمكن من رؤيته.

(٢) البعث: بمعنى المبعوث وأصلها من السرايا التي يبعثها الأمير.

(٣) رواه البخاري، الفتح ١٤/ ١٧٨.

ما السبب في كثرة أهل النار؟؟

ليس من مؤمن إلا ويعلم حق العلم أن اللّه سبحانه ليس بظلام للعبيد. ولقد وصف اللّه سبحانه نفسه بأنه ليس بظلام للعبيد.

يقول تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ١٠]

ويقول سبحانه:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

وكذلك ليس السبب عدم بلوغ رسالات اللّه سبحانه إلى البشر، فقد جاء في القرآن الكريم قصص الأنبياء وأقوامهم، وأن اللّه سبحانه أرسل الرسل لهداية البشر، ولم تخل أمة إلا وقد أرسل اللّه سبحانه فيها رسولاً نذيراً.

يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٢٤]

وكذلك بيّن اللّه سبحانه لنا في كتابه الكريم أنه لا يعذّب أمة لم يرسل لهم رسولاً أو يبعث فيهم رسولاً.

يقول تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

ولكن.. السبب الحقيقي وراء كثرة أهل النار، أن القلة القليلة من تلك الأقوام هم الذين استجابوا لرسلهم، وأن السواد الأعظم من جميع تلك الأمم أصرت على الكفر وعاندت واستكبرت، وقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة مبينة لهذا الأمر.

وأما لماذا لم يستجيبوا لرسلهم ويؤمنوا بربهم ويطيعوه ويعبدوه، ذلك أنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة واتبعوا الشهوات.

يقول تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٥٩]

ويقول تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤]

ولتهافت تلك الأمم على عاجل الشهوات والمتع والطيبات، اعتبروا دعوة رسلهم هي من أساطير الأولين، ولذا كانوا يسألون رسلهم: إن كانوا صادقين في دعوتهم فليبعثوا آباءهم من قبورهم.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۝ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

[سورة النحل، الآيتان: ٦٧، ٦٨]

ويقول تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٥]

لذلك عندما يوقفهم ربهم على النار يوم القيامة يقول لهم: لقد أذهبتم طيباتكم في عاجل حياتكم الدنيا واليوم تلقون جزاءكم العادل.

يقول تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويصف أهل النار أنفسهم عندما يصبحون في نار جهنم، ويُسألون عن سبب وجودهم؟ يجيبون: إنهم لم يكونوا يسمعون أو يعقلون.

يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

وهذا الإغلاق القلبي والسمعي سببه الرئيس: هو اتباع الشهوات واتباع الأبناء الآباءَ دون تبصر ورؤية منهم لحقائق الوجود وسبب الوجود.

يقول تعالى:

﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

ولابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي تعليق حول السبب في كثرة أهل النار يقول: «فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضاً على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل كلهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة، أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيه من الاختلاف، والمنتسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ، وكتاب مبدل، وهم أيضاً من أهل النار كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٧]

وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضاً، وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وأما المنتسبون إليه ظاهراً وباطناً فكثير منهم فُتن بالشبهات، وهم أهل البدع والضلال، وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة، وكثير منها أيضاً فتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار، ـ وإن لم يقتضِ ذلك الخلود فيها ـ فلم ينجُ من الوعيد بالنار، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة، وهي: المتمسكة بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ظاهراً وباطناً وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جداً لا سيما في هذه الأزمان»(١).

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لمَّا خلق الله النار، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثمَّ جاء، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلَها، فحفَّها

(١) ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي، كتاب التخويف من النار صفحة (٢١٤).

بالشهوات، فقال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فلما رجع، قال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»[١] .

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»[٢] .

نسأل اللَّه سبحانه أن يبعدنا عن النار وأهوالها وأن نبتعد عن الشهوات، ولا نطيعَ النفس الأمارة بالسوء، وأن نلتزم بشرع ربنا وأوامره ونواهيه.

---

(١) رواه الترمذي في سننه وأبو داود وزاد النسائي بعد قوله: «اذهب فانظر إليها»، «وإلى ما أعددت لأهلها فيها». جامع الأصول (١٠/ ٥٢٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

لماذا أكثر من يدخل النار من النساء؟؟

لقد ذكر **القرطبي** رحمه اللَّه في كتاب التذكرة تعليقاً حول قلة عدد ساكني الجنة من النساء وكثرة أهل النار منهن فقال:

«وإنما كان النساء أقلَّ ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا، لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرهن إلى الأخرى، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها، ولميلهن إلى الدنيا والتزين لها، ومع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الآخرة، لما فيهن من الهوى والميل لهن، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهنَّ، صارفات عنها لغيرهن، سريعات الانخداع لداعيهنَّ من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى، وأعمالها من المتقين».

ومع ذلك ففيهن صالحات كثيرات، يقمن حدود اللَّه، ويلتزمن شريعته ويطعن اللَّه ورسوله، ويدخل منهنَّ الجنة خلق كثير، وفيهن من يسبقن كثيراً من الرجال بإيمانهنَّ وأعمالهن الصالحة.

فالكافرون والكافرات والمشركون والمشركات، وكذلك المنافقون والمنافقات هم جميعاً في النار سواء أكانوا رجالاً أم نساء.

أمَّا أهل التوحيد فإن الأحاديث الشريفة تشير إلى كثرة النساء منهم في النار.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» ، فقلن: ولِمَ ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: « **تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**»(١) .

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الكسوف:

« **رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء**»(٢) .

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « **وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**»(٣) .

وهذا لا يكون في عموم نساء المؤمنين، فإن من نساء المؤمنين من تكون لها الدرجات العلى إذا عملت بطاعة اللَّه، فإن اللَّه سبحانه لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، وإن الصالحات من النساء أعدّ اللَّه لهن أجراً عظيماً.

يقول تعالى:

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]

ولقد امتدح اللَّه سبحانه الصالحات من النساء.

ويقول تعالى:

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٣٤]

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

وكذلك أعد اللَّه سبحانه للذاكرات الحافظات القانتات أجراً عظيماً.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

والآيات الكريمة تبيّن أن اللَّه سبحانه لا يظلم أحداً منهن.. وتعلم كل امرأة مؤمنة مسلمة أنه لا تزر وازرة وزر أخرى.. وما على المؤمنة التي تسعى إلى أن تكون دارها ومسكنها ومأواها عند رب العالمين جنات الخلد، إلا أن تسير على طريق اللَّه المستقيم، وأن لا تجعل الدنيا أكبرَ همها ولا مبلغ علمها، فالدنيا بزينتها فانية وزائلة ولا قيمة لها تذكر، وقد قدَّمنا لمثل هذا كثيراً من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة.

الفصل السادس

ما جاء في عذاب أهل المعاصي والكبائر من الموحدين

ـ ذنوب ومعاصي أهل التوحيد المتوعَّد عليها بالنار:

١ ـ الكذب على رسول الله ﷺ.

٢ ـ قتل النفس بغير حق.

٣ ـ الكبر والاستكبار.

٤ ـ قاتل نفسه (الانتحار).

٥ ـ العلماء غير المخلصين للّه سبحانه.

٦ ـ الذين يشربون في آنية الذهب والفضة.

٧ ـ المصوِّرون (النحاتون) الذين يصنعون التماثيل.

٨ ـ المدمنون شربَ الخمر.

٩ ـ مداهنة الظالمين والركون إليهم.

١٠ ـ العاق لوالديه (العقوق).

١١ ـ الذين يعذبون الناس في الدنيا.

١٢ ـ الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه.

١٣ ـ خطباء الأمة الذين يقولون ولا يفعلون.

١٤ ـ الظالمون.

١٥ ـ الذين يأكلون أموال الناس بالباطل عدواناً وظلماً.

١٦ ـ التولي يوم الزحف.

١٧ ـ قذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

١٨ ـ الكاسيات العاريات.. والذين يضربون الناس بالسياط.

١٩ ـ القضاة الجائرون في الحكم.

٢٠ ـ الذين امتنعوا عن الهجرة.

عذاب أهل
المعاصي من الموحدين

ما جاء في عذاب أهل المعاصي والكبائر من الموحدين

لقد ثبت في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة أن العصاة وأهل الكبائر من المسلمين يعذبون في النار بحسب تفاوت معاصيهم وبمقدار إتيانهم للكبائر.

عن الحارث بن قيس أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعتي أكثر من حضرموت، وإن من أمتي من يعظُم للنار حتى يكون أحدَ زواياها**»[١].

فهذا الحديث النبوي الشريف الصحيح يشير إلى أن من عصاة أمة محمد ﷺ من يعذّب عذاباً شديداً فيضخم جسده حتى يكون أحَدَ زوايا جهنم.

فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرّته، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره.

ـ عن سمرة بن جندب رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**».

[رواه مسلم]

(١) رواه ابن ماجه، صحيح سنن ابن ماجه، رقم الحديث (٣٤٩٠).

وهذا الحديث والله أعلم هو للعصاة وأهل الكبائر من هذه الأمة.

فقد ذكر الفقيه أبو بكر بن بُرجان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ١٩]

قال: أرى والله أعلم ـ أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية هم (أهلُ التوحيد) فإن الكافر لا تترك النار منه شيئاً، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر شمِلته النار في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

أي أن ما فوقهم ظلل لهم، وما تحتهم ظلل لمن تحتهم.

وذكر ابن قتيبة الدِّينَوَري «في عيون الأخبار» له مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا قضى بين خلقه، وزادت حسنات العبد دخل الجنة، وإنِ استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة، ثم بعد ذلك يدخل الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد، فيعذبون في النار على قدر أعمالهم، فمنهم من تنتهي له النار إلى كعبيه، ومنهم من تنتهي إلى ركبتيه، ومنهم من تنتهي النار إلى وسطه».**

[وذكر الحديث الذي رواه مسلم في هذا الخصوص]

ذنوب ومعاصي أهل التوحيد المتوعَّدُ عليها بالنار

لقد ذكرت النصوص تحديداً الذنوب والمعاصي والكبائر التي يستوجب بها أهل التوحيد الدخول في النار إذا اقترفوها وارتكبوها... ولكن دخولهم النار بسبب هذه الذنوب لا يعني خلودهم فيها، ولكن يدخلون النار مُدَداً يعلمها اللَّه سبحانه، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، ويخرج اللَّه برحمته أقواماً كثيرين من النار لم يعملوا خيراً ولكن لم يكونوا مشركين ولا كافرين.

١ ـ الكذب على رسول اللَّه ﷺ:

عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« لا تكذبوا عليّ فإنه من يكذبْ عليّ يلجْ في النار»(١).

عن سلمة بن الأكوع رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ: يقول: **« من تقول عليّ ما لم أقل، فليتبوأْ مقعده في النار»**(٢).

عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري ومسلم، جامع الأصول (١٠/ ٦١١).

عن عبد اللَّه بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١].

. . . والكذب على رسول اللَّه ﷺ فيه خطر كبير على شريعة اللَّه سبحانه، ذلك أن رسول اللَّه ﷺ لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي من اللَّه سبحانه، فمن كذَب على رسول اللَّه ﷺ فكأنه كذب على اللَّه سبحانه. . . ولقد كثر الوضاعون والكذابون على رسول اللَّه ﷺ في التاريخ الإسلامي لمصالحَ دنيويةٍ، أو دافعِ خاص، أو لتنفيذ مأرب أو استجابةٍ لمطامعَ، ولكن اللَّه سبحانه هيأ في هذه الأمة رجالاً استطاعوا كشف وبيان كل حديث مكذوب وموضوع على رسول اللَّه ﷺ، وكذلك هيأ اللَّه سبحانه رجالاً من هذه الأمة بيَّنوا الحديث الصحيح من الحسن من الضعيف والضعيف جداً، وهذا فضل عظيم من اللَّه سبحانه على هذه الأمة المحمدية، ذلك أن اللَّه سبحانه حفظ كتابه الكريم وحفظ هذا الدين وحفظ بقدرته هذه السنة الشريفة.

٢ ـ قتل النفس بغير حق:

لقد خلق اللَّه سبحانه البشر وكان بهم رؤوفاً رحيماً، فأكرمهم وأعزَّهم وسخَّر لهم ما في السموات والأرض، وخلق لهم أرزاقهم وأَمَّنهم في هذه الأرض، وحرَّم عليهم الظلم ومنع عنهم التكبر والتجبر وقتل أنفسهم أو قتل بعضهم بعضاً إلا بالحق وبالذي شرعه اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

---

(١) رواه البخاري وأبو داود في سننه.

ويقول تعالى:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ١١]

والمعقبات: الملائكة التي تحفظه بأمر اللَّه سبحانه.

ويقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

وقد عظَّم اللَّه عقاب قتل المؤمن الموحِّد للَّه سبحانه، لعظيم إكرامه عند اللَّه سبحانه، فقد غضب اللَّه سبحانه على قاتل المؤمن ولَعنه وتوعَّده بنار جهنم خالداً فيها.

يقول تعالى:

﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٩٣]

وقال المفسرون في هذه الآية الكريمة: أي ومن يقدم على قتل مؤمن عالماً بإيمانه، متعمداً لقتله بسبب إيمانه فجزاؤه جهنم مخلداً فيها على الدوام، وهذا محمول عند الجمهور على من استحل قتل

المؤمن كما **قال ابن عباس** لأنه باستحلال القتل يصبح كافراً، ثم يناله السخط الشديد من اللّه سبحانه والطرد من رحمة اللّه والعذاب الشديد في الآخرة(١).

وفي صفوة البيان لمعاني القرآن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ المراد من الخلود هنا: المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص على أن عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار، والجمهور على أن القاتل إذا تاب وأناب وعمل عملاً صالحاً بدّل اللّه سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظُلامته وأرضاه عن طِلابته، وما قيل من أنه: لا توبة لقاتل المؤمن عمداً، محمول على التغليظ في الزجر(٢).

وفي تفسير ابن كثير: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآيةَ، هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك باللّه في غير ما آية في كتاب اللّه، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية.

[سورة الفرقان، الآية: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية. إلى أن قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥١]

والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال

---

(١) تفسير الصابوني (صفوة التفاسير) صفحة (٢٧٥).

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف صفحة (١٢٦).

رسول اللَّه ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»، وفي حديث آخر: «**لزوال الدنيا أهون عند اللَّه من قتل رجل مسلم**»، وفي الحديث الآخر: «**لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم اللَّه في النار**»، وفي الحديث الآخر: «**من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة اللَّه**»، وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً، وقال البخاري عن المغيرة بن النعمان قال: سمعت ابن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ**﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وقال في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى آخرها قال: نزلت في أهل الشرك. وقال ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ**﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ولا توبة له، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم، وروى سالم بن أبي الجعد قال: كنا عند ابن عباس بعدما كُفَّ بصره فأتاه رجل فناداه: يا عبد اللَّه بن عباس، قال: أفرأيت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمداً، جاء يوم القيامة آخذاً بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن، يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟**» وأيم الذي نفس عبد اللَّه بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم ﷺ وما نزل بعدها من برهان.

[أخرجه ابن جرير]

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجيء المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذاً رأسه بيده الأخرى، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ قال، فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فإنها ليست له فبُؤْ بإثمه، قال: فيهوي في النار سبعين خريفاً**».

[رواه أحمد والنسائي]

(حديث آخر): روى الإمام أحمد عن أبي إدريس، قال: سمعت معاوية رضي اللَّه عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**كل ذنب عسى اللَّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**». والذي عليه الجُمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين اللَّه عزَّ وجلَّ، فإن تاب وأناب، وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً بدل اللَّه سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ - إلى قوله: - ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآيةَ، وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين وحمل هذه الآية على غير المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، واللَّه أعلم.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك، فكل من تاب تاب اللَّه عليه، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٨]

فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك وهي مذكورة

في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها، لتقوية الرجاء واللّه أعلم. وثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مِائة نفس، ثم سأل عالماً هل لي من توبة، فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أرشده إلى بلد يعبد اللّه فيه، فهاجر إليه فمات في الطريق، فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه غير مرة. وإذا كان هذا في بني إسرائيل فالأحرى والأَوْلَى أن تكون في هذه الأمة التوبة مقبولة، لأن اللّه وضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة، فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، وكذا كل وعيد على كل ذنب، لكنْ قد يكون كذلك معارِض من أعمال صالحة، تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قوليْ أصحاب الموازنة والإحباط، وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، واللّه أعلم بالصواب. وبتقدير دخول القاتل في النار، أما على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحاً ينجو به فليس بمخلَّد فيها أبداً، بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللّه ﷺ: «**أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان**»، وأما حديث معاوية: «**كل ذنب عسى اللّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**» فعسى للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لانتفى وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل، لما ذكرنا من الأدلة.

وأما من مات كافراً فالنص أن اللّه لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة، فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة، ولكن لا بدّ من ردها إليهم، ولا فرق بين المقتول أو المسروق منه، والمقذوف منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين،

فإن الإجماع منعقد على أنها ـ أي الحقوق الآدمية ـ لا تسقط بالتوبة، ولكنه لا بدّ من ردها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذّر ذلك فلا بدّ من المطالبة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تُصرَف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يعوض اللَّه المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها، ورفع درجته فيها ونحو ذلك واللَّه أعلم[١].

. . . وعلى هذا فلا يجوز قتل النفس المسلمة إلا بإحدى ثلاث كما في الحديث.

ـ عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٢].

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا يزال المؤمن في فُسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»[٣].

ولقد روي عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما: **«إن من وَرَطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكَ الدم الحرام بغير حلِّه»**.

وقد حذّر رسول اللَّه ﷺ المسلمين أن يقاتل بعضهم بعضاً، وأخبر أن القاتل والمقتول في النار، فعن أبي بكرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار»** قال: فقلت، أو قيل: يا رسول اللَّه، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: **«إنه كان**

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (١) صفحة (٤٢١ ـ ٤٢٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه.

حريصاً على قتل صاحبه»[١]. ولذا فإن العبد الصالح من ابني آدم أبى أن يقاتل أخاه، خشية أن يكون من أهل النار، فباء القاتل بإثمه وإثم أخيه ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة المائدة، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩]

وكما ورد في تفسير ابن كثير الحديث الشريف:

«لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم اللَّه في النار»[٢].

٣ ـ الكبر والاستكبار:

لقد ذمَّ اللَّه سبحانه الكبر والاستكبار في كتابه العزيز في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، بل وتوعَّد أهل الكبر والاستكبار نار جهنم.

يقول تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٦]

ويقول تعالى:

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢١٣).

(٢) تفسير ابن كثير صفحة (٤٢٢).

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٦٠]

ويقول سبحانه:

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٠]

فمن يستكبر عن الإيمان باللَّه سبحانه فإن له نار جهنم خالداً فيها، ومن يستكبر عن عبادة اللَّه وطاعته وإقامة فرائضه ولا يبتعد عن نواهيه ولا يأتمر بأوامره كذلك سيدخلهم اللَّه سبحانه جهنم داخرين.

وفي الحديث القدسي:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: يقول رسول اللَّه ﷺ: «**يقول تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار**»[١]. وفي رواية: أذقته النار.

ـ عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كِبْر**» فقال الرجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: «**إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط النَّاس**»[٢].

والحق ما قاله رسول اللَّه ﷺ إذ إن المتكبر الذي يتعالى ويتفاخر على الناس، ولا يكون في قلبه إلا بطر الحق وغمط الناس والتعالي عليهم أو احتقارهم واحتقار شأنهم، ولا تكون فيه نوازع

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، مشكاة المصابيح (٣/ ٦٣٤، ٦٣٥).

الخير التي تدفعه إلى فعل الخير والإحسان والصدقات وإعانة المحتاج وقضاء حوائج الناس. وكيف يقضي حوائجهم وهو متكبر عليهم ومتجبر... والله أرحم الراحمين سألنا الرحمة بعباده والتراحم في ما بيننا وأن يعطف بعضنا على بعض، وأن يساعد بعضنا بعضاً، وأن يتصدق بعضنا على بعض.

... لذلك يكون عذاب المستكبرين الجبارين في الأرض عذابَ الذل والهوان في نار جهنم، وأن يطَأَه الناس يوم القيامة حتى لو كان من المسلمين ولكنه مستكبر وجبار في الأرض.

ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ:

«يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة، في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»[1].

٤ ـ قاتل نفسه (الانتحار):

لا يحق لعبد أن يقتل نفسه، فالحياة والموت بأمر الله سبحانه ومن تعدَّى على نفسه فقتلها فهو في نار جهنم خالداً فيها ـ ذلك أن الله سبحانه أمرنا أن لا نقتل أنفسنا مهما كانت الأسباب، ذلك أن الدنيا امتحان وابتلاء وقد يشدد الله سبحانه على الناس الابتلاء والامتحان ليرى مقدار صبرهم وحلمهم ابتغاء مرضاة الله... فقد يمرض الإنسان مرضاً شديداً وقد يذهب ماله كله، وقد يتعرض للأذى والضرب والإهانة ويسجن ويعذب. وكل ذلك ليرى الله سبحانه إيمان المؤمنين وصبر الصابرين وحلم الحليمين.

ولقد ضرب الله سبحانه لنا الأمثلة في ذلك.

(١) رواه الترمذي، مشكاة المصابيح (٢/ ٦٣٥ برقم ٥١١٢).

يقول تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٢]

ويقول تعالى:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣]

.. لذلك أمر اللَّه عباده من البشر أن لا يقتلوا أنفسهم لأنه بهم رحيم، يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٢٩]

لذلك مهما كانت الأسباب ومهما عظم الخطب أو كانت المصيبة طامَّة، أو ضاقت الدنيا والأرض على العبد بما رحبت، فلا يحق له قتل نفسه لأن نفسه ونفس غيره ليست ملكَه ليتصرف بها كيف يشاء، بل هي مِلك للَّه سبحانه، فهو خلقها وأوجدها واللَّه وحده يحق له أن يفعل بها ما يشاء. ولقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ جزاء قتل الإنسان نفسه يوم القيامة وما يلقاه من عذاب في نار جهنم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بِسَمّ فسَمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار

جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[١] . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنُها في النار»**[٢] .

ويقول المفسرون في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٢٩]

يقول ابن مخلوف في صفوة البيان:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ لا تهلكوها بارتكاب الآثام ومنها: أكل الأموال بالباطل وقتل النفس بغير حق، وقتل الإنسان نفسه.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

أي لا يسفك بعضكم دم بعض، والتعبير عنه بقتل النفس للمبالغة في الزجر أو هو على ظاهره بمعنى الانتحار، وذلك من رحمته تعالى بكم، **ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسَّرة:**

أي لا يقتل بعضكم بعضاً ظلماً وعدواناً بغير حق أثبته الشرع، ولا يقتل الإنسان نفسه حقيقة، إن اللَّه رحيم بكم في تحريم تلك الأمور أو منعه لكم من ذلك.

ويقول ابن كثير في المختصر:

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ أي بارتكاب محارم اللَّه وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي فيما أمركم به ونهاكم عنه. عن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه أنه قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

لما بعثه النبي ﷺ عام (ذات سلاسل) قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلِك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول اللَّه ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: «**يا عمرو أصليت بأصحابك وأنت جنب**»؟ قال: قلت: يا رسول اللَّه إني احتلمت في ليلة باردة فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فتيممت ثم صليت، فضحك رسول اللَّه ﷺ ولم يقل شيئاً. وأورد ابن مردُويَهْ عند هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً**». وفي الصحيحين: «**من قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة**». وفي الصحيحين أيضاً عن جرير بن عبد اللَّه البَجَلي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جُرح فأخذ سكيناً نحر بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال اللَّه عزّ وجلّ: عبدي بادرني بنفسه حرَّمت عليه الجنة**». ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ أي ومن يتعاطى ما نهاه اللَّه عنه معتدياً فيه، ظالماً في تعاطيه، أي عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد[١].

٥ ـ العلماء غير المخلصين للَّه سبحانه:

عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**لا تعلّموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء،**

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (١) صفحة (٣٧٩).

ولا تخيروا به المجالس، من فعل ذلك فالنار النار»[(١)].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من تعلَّم علماً مما يُبتغى به وجه اللَّه تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة، يعني ريحها»[(٢)].

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: **«من تعلَّم علماً لغير اللَّه أو أراد به غير اللَّه فليتبوأ مقعده من النار»[(٣)].**

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه تعالى يبغض كل عالم في الدنيا جاهلٍ بالآخرة»[(٤)].

٦ ـ الذين يشربون في آنية الذهب والفضة:

عن أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يُجرجِر في بطنه نار جهنم»[(٥)].

عن أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[(٦)].

... ولقد نهانا رسول اللَّه ﷺ أن نأكل ونشرب في آنية الذهب والفضة، وكذلك لبس الحرير والديباج.

---

(١) رواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

(٢) رواه ابن ماجه وأبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي، الترغيب والترهيب الحافظ المنذري (١/ ١٩١).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ـ صحيح.

(٥) رواه البخاري. (٦) رواه مسلم.

عن حذيفة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **لا تلبَسوا الحريرِ والديباج، ولا تأكلوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[١].

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أُحِلَّ الذهب والحرير لإناث أمتي وحُرِّم على ذكورها**»[٢].

٧ ـ المصوِّرون « النحاتون » الذين يصنعون التماثيل:

إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرين الذين يضاهئون خلق اللَّه والذين يصنعون التماثيل لمضاهأة خلق اللَّه سبحانه وتعالى.

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **كل مصوِّر في النار، يجعل له بكل صورة صوَّرها نفساً، فيعذِّبه اللَّه في جهنم**» متفق عليه. وعن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال في النمرقة التي فيها تصاوير: « **إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» متفق عليه.

وعن عائشة رضي اللَّه عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: « **أشد الناس عذاباً الذين يضاهون بخلق اللَّه**» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **قال اللَّه تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حَبة، أو شَعيرة**». [متفق عليه]

وفي الصحيحين:

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« **أشد الناس عذاباً عند اللَّه المصوِّرون**».

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في مسنده والنسائي في السنن صحيح.

ولقد سبق لنا التعليق على هذا الأمر. . . المقصود المصوِّرون الذين يريدون مضاهأة خلق اللّه سبحانه ـ أما التصوير والصور الفوتوغرافية للضرورة فلا شيء فيها ـ فالعمل بالنية ولكل امرئ ما نوى.

عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي أو مصوِّر يصوِّر التماثيل».

[رواه أحمد] (١/ ٤٠٧)

فالحديث الشريف يشير إلى تصوير التماثيل كتلك التي كانت تُعبد في الجاهلية قبل الإسلام.

ولقد أعلمنا اللّه سبحانه أن البشرية لو اجتمعت أن تخلق مثل ما خلق اللّه ما فعلت، حتى لو أرادوا أن يخلقوا ذباباً وهو أضعف الخلق ما استطاعوا.

يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٧٣]

٨ ـ المدمنون شرب الخمر:

جميعنا يعلم أن اللّه سبحانه حرَّم الخمر تحريماً قاطعاً، وأنذر شاربها بالعذاب الأليم في جهنم إذا مات ولم يتب منها، لمخالفته أمر اللّه سبحانه. . . ذلك أن الخمر لها تأثيران سلبيان على الشارب في

الحياة الدنيا، فهي أولاً تنسيه ذكر اللَّه وواجباتِه الشرعيةَ، وتُذهب عقله ثانياً، وقد تذهب بأسرته وتضيعها لضياع صاحِب الأسرة وضياع ماله وإنفاقه على ما حرَّم اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٩٠]

ورسول اللَّه ﷺ قال في أكثرَ من حديث شريف أن شارب الخمر لا يكلِّمه اللَّه سبحانه يوم القيامة ولا يزكيه ولا يدخله الجنة.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة قد حرَّم اللَّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدَّيوث الذي يقر في أهله الخبث**»(١).

عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»(٢).

عن عمار بن ياسر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً، الديوث، والرَّجُلة من النساء، ومدمن الخمر**»(٣).

٩ ـ مداهنة الظالمين والركون إليهم:

الظالم يعذَّب عذاباً شديداً يوم القيامة في نار جهنم... وكذلك

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في السنن والحاكم في المستدرك.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير وهو صحيح.

توعَّد اللَّه سبحانه الذين يركَنون إلى الظالمين ويداهنونهم نفاقاً ومصلحة وكأنهم يعينونهم على الظلم.

يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ .

[سورة هود، الآية: ١١٣]

ومعنى الآية الكريمة أي لا تميلوا إلى الظلمة من الولاة وغيرهم من الفسقة الفجرة فتمسَّكم نار جهنم، قال البيضاوي: الركون هو الميل اليسير أي لا تميلوا إلى من وجد منه ما يُسمّى ظلماً، فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم؟!

١٠ ـ العاق لوالديه (العقوق):

لقد شدَّد اللَّه سبحانه في كتابه الكريم على طاعة الوالدين والإحسان إليهما وكان ذلك قضاءَه في القرآن الكريم:

يقول تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٢٣]

وقال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ١٥]

وقد أوجب اللَّه سبحانه مصاحبتهما والإحسان إليهما، إلا إذا طلبا منه الكفر فلا يطيعهما فيه.

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ .

[سورة لقمان، الآية: ١٥]

وكذلك نبّه رسول اللَّه ﷺ في عشرات الأحاديث الشريفة على طاعة الوالدين ووجوب الإحسان إليهما، ومن ثَمَّ أنذر المؤمنين بأن اللَّه سبحانه أعدّ للعاق عذاباً أليماً، وأنه محروم من رحمةِ اللَّه، والجنةِ يوم القيامة، لما لطاعة الوالدين من أهمية عظمى.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»(١).

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة قد حرَّم اللَّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث»(٢).

عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر إليهم اللَّه يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن للخمر، والمنان بما أعطى»(٣).

١١ ـ الذين يعذبون الناس في الدنيا:

. . . ومعنى عذاب الناس تحمل على أشياءَ كثيرةٍ، فهناك العذاب الجسدي والعذاب النفسي، ولقد توعَّد اللَّه سبحانه على لسان نبيه محمد ﷺ الذين يعذبون الناس بأشد العذاب يوم القيامة.

---

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك، صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (٣٠٦٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده.

(٣) رواه أحمد والنسائي، ورواه الحاكم في المستدرك.

ـ عن خالد بن الوليد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدّهم عذاباً للناس في الدنيا»[(١)].

ـ عن هشام بن حكيم بن حزام أنه مرَّ على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس فقال: ما شأنهم؟ قال: حُبسوا على الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«إن اللّه عزّ وجلّ يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»**[(٢)]. فسمع الوالي فتوقف عن ذلك.

١٢ ـ الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه:

... وهؤلاء هم الذين يأمرون الناس بالمعروف ولا يأتون منه شيئاً، وينهونهم عن المنكر ويفعلونه، يستخْفون من أعين الناس ولا يستخفون من اللّه سبحانه وهو معهم ويراهم.

يقول تعالى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠٨]

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللّه عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«يجاء برجل فيطرح في النار فتندلق أقتابه، فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أيْ فلان! ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٩٠) والبخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٤٣ والحاكم ٣/ ٢٩٠ وغيرهم.

(٢) رواه مسلم (٢٦١٣).

(٣) رواه البخاري (٣٢٦٧).

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى، فيجتمع إليه أهل النار: يا فلانُ بنَ فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى! كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»(١).

١٣ ـ خطباء الأمة الذين يقولون ولا يفعلون:

ـ الخطباء من أمة محمد ﷺ مؤتمنون على نشر الدعوة الصحيحة وتعليم الناس أمورَ دينهم، وأن يعلموهم الحلال والحرام بما أوتوا من علم وقرؤوا كتاب اللَّه. . فمن يأمر الناس ليعملوا ويفعلوا ما أمر اللَّه سبحانه ولا يفعلون، ويقرؤون لهم كتاب اللَّه ليعملوا به وهم لا يعملون به، فقد توعَّدهم اللَّه سبحانه على لسان رسوله ﷺ بعذاب أليم وشديد.

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت رُدَّت، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتاب اللَّه ولا يعملون»(٢).

والذين يقولون ما لا يفعلون كبُر مقتهم عند اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

[سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣]

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٢) رواه أبو نعيم (٢/ ٣٨٧ و٦/ ٣٤٩) والخطيب البغدادي رقم ١١١ وحسن إسناده الشيخ الألباني رحمه اللَّه.

وكذلك نبّه اللَّه سبحانه أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ولا يعقلون ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٤٤]

١٤ ـ الظالمون:

الظلم ظلمات يوم القيامة بكل أنواعه وأصنافه مهما تعددت صوره وأشكاله، فكل من جاء بظلم فقد خاب وخسر.

يقول تعالى عن يوم القيامة وأصحاب الظلم:

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١١١]

ولقد حرَّم اللَّه الظلم على نفسه وأمر الناس أن لا تتظالم ولا يظلمَ أحد أحداً.

ـ وفي الحديث القدسي: روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال:

«**يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا**».

وقد بيّن اللَّه سبحانه أنه لا يظلم أحداً من خلقه ولو كان مثقال ذرة.

يقول تعالى:

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

وآيات كثيرة في خصوص الظلم والظالمين.. فالكفرة والمشركون

ظالمون وهذا هو الظلم الأكبر، فقد وصفهم اللّه سبحانه في أكثر من آية أنهم هم الظالمون. يقول تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٤]

وهناك الظلم الآخر الذي هو دون الشرك والكفر.. وهو ظلم النفس وظلم الآخرين.. وهذا يكون من كثير من الموحدين من أمة سيدنا محمد ﷺ وهؤلاء لهم العذاب يوم القيامة بما ظلموا الناس واعتدوا عليهم وعلى حرماتهم ورزقهم وأنفسهم وأعراضهم.

يقول تعالى:

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٤]

ويقول تعالى:

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

[سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧]

المنقلب: أي بعد الموت.

ويقول سبحانه:

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥١]

ويقول أيضاً:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٥]

ويقول تعالى:

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ١٩]

وحتى يعلم العبد أن اللَّه سبحانه سيريه يوم القيامة ما كبر من ظلمه وما صغر، وما كبر من ذنبه وما صغر، لدقة ميزان عدله وحكمه فيرتدع.

يقول تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

فأين سيذهب الظالمون يوم القيامة وهم بين يَدَي اللَّه سبحانه الذي لا يخفى عليه مثاقيل الذر من الظلم.. أجارنا اللَّه من الظلم والظالمين.

١٥ ـ الذين يأكلون أموال الناس بالباطل عدواناً وظلماً:

الأموال حركة الحياة، وهي أحد أكبر عناصر الابتلاء والامتحان الإلٰهي، إذ إن معظم مشكلات الناس وخلافاتهم وعداواتهم تكمن وراء الاختلاف حول الرزق والمال، لذلك توعَّد اللَّه سبحانه الذين يأكلون أموال الناس بالباطل بعذاب النار الأليم الشديد، والخطاب للمؤمنين الموحدين.

يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآيتان: ٢٩، ٣٠]

والأعمال بالنيات فمن نوى أكل مال الناس ظلماً وعدواناً مع

النية والإصرار فهذا هو الموعود بعذاب النار.. أما من أخذ أموال الناس وفي نيته أداؤها والله أعلم بنفوس خلقه ثم أصابه ما أصابه من عجز وخسارة.. فإن هذا يرحم من اللّه سبحانه، لذا سأل اللّه سبحانه الدائنين الصبر أو التصدق بالدين على من كان ذا عسرة لسبب أَلَمَّ به أو خسارة تعرَّض لها.

يقول تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٠]

ولقد ثبت في الصحيح عن رسول اللّه ﷺ أن هذا النوع من المعسرين وفي نيته الدفع ووافته المنية، يؤدي اللّه سبحانه عنه يوم القيامة ويرضي الخصم.. ويعوِّضه عن دَيْنِهِ... واللّه أعلم.

١٦ ـ التولي يوم الزحف:

والخطاب في ذلك أيضاً للمؤمنين ومن يتولَّ عن الزحف عند النزال والحرب، فقد توعَّده اللّه سبحانه بجهنمَ يوم القيامة.

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦]

والتولي يوم الزحف جعله رسول اللّه ﷺ من السبع الموبقات يوم القيامة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التي

حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصَنات المؤمنات الغافلات»[١] .

١٧ ـ قذف المحصنات المؤمنات الغافلات:

إن من أعظم ما حرَّم اللَّه على المؤمنين أن يقذفوا المرأة المؤمنة الغافلة ويرموها ببهتان وظلم في عرضها وشرفها. . وهذا من الأمور التي لا يعفى عنها، لأنه يترتب عليه حقوق الآخرين ـ فالقاذف للمرأة المؤمنة الغافلة سيلقى الهوان والعذاب يوم القيامة.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ * يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ .

[سورة النور، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥]

ولقد تعددت الآيات الكريمة في هذا الخصوص. . ورسول اللَّه ﷺ اعتبر قذف المحصنات الغافلات المؤمنات من السبع الموبقات كما ورد في الحديث الشريف برقم ١٦.

عن حذيفة رضي اللَّه عنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: « **إن قذف المحصَنة لَيهدمُ عمل مائة سنة»** .

[رواه البزار والطبراني والحاكم في المستدرك. . . . الزيادة على الجامع الصغير]

١٨ ـ الكاسيات العاريات. . والذين يضربون الناس بالسياط:

هن كثيرات وخاصة في زماننا الأخير، حيث ظهرت النساء المؤمنات العاريات الكاسيات بصورة واضحة وفاضحة، مع أن اللَّه

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

سبحانه أمرهن أن يلبسن الحجاب ويسترن أجسادهن ولا يبدين زينتهن لأحد من غير المحارم.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣١]

فهذه آية موجهة إلى المؤمنات المسلمات.. فماذا يكون من أمر العاصيات لأوامر اللَّه سبحانه، اللواتي أبين إلا أن يُظهرن زينتهن وأجسادهن لمن حرَّم اللَّه عليهنَّ.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

١٩ ـ القضاة الجائرون في الحكم:

لقد أنزل اللَّه سبحانه الكتاب مع المرسلين ليقوموا بين الناس بالقسط وليحكم الناس بما أنزل اللَّه سبحانه من كتاب.

يقول تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢٥]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠٥]

(١) رواه مسلم، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث ١٣٢٦.

ويقول سبحانه:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٥٨]

والذين يحكمون بين الناس هم القضاة الذين يميزون الحق من الباطل بما أراهم اللّه من الحق وبما تعلّموا وعلموا ما جاء به القرآن الكريم والسنّة النبوية الطاهرة.

ـ عن بريدة بن الحصيب رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

« **القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأمَّا الذي في الجنة، فرجل عرَف الحق وقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار**»[1] .

٢٠ ـ الذين امتنعوا عن الهجرة:

لقد توعَّد سبحانه في كتابه أولئك الذين تعرَّضوا للفتنة والقهر والإذلال في ديار الكفر ولم يهاجروا منها إلى بلاد أخرى، فالأرض كلها للّه والهجرة مشروعة في الإسلام إذا فتن المؤمن في دينه، فإذا مات ولم يهاجر فهو ظالم لنفسه ودينه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ .

[سورة النساء، الآيتان: ٩٧، ٩٨]

. . . **يقول محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير** عن تفسير تلك الآيتين الكريمتين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي تتوفاهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم بالإقامة مع الكفار في دار

---

(١) رواه أبو داود، جامع الأصول (١٠/ ١٦٧).

الشرك وترك الهجرة إلى دار الإيمان ﴿ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ أي تقول لهم الملائكة: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ وهو سؤال توبيخ وتقريع، قالوا معتذرين: كنا مستضعَفين في أرض مكة عاجزين عن إقامة الدين فيها ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ أي قالت لهم الملائكة توبيخاً: أليست أرض اللَّه واسعة فتهاجروا من دار الكفر إلى دار تقدرون فيها على إقامة دين اللَّه كما فعله من هاجر إلى المدينة والحبشة، فقال تعالى بياناً لجرائمهم: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي مقرهم النَّار وساءت مصيراً.

ويقول **ابن كثير** في تفسيره: نزلت هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهرانَي المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع.

تنبيه وتعليق:

. . . وما ذكرت هو جملةٌ من الأسباب والأعمال التي ذكرها القرآن الكريم ورسول اللَّه ﷺ التي توجب على صاحبها وفاعلها من الموحدين الدخول في النار. . . ولكن يبقى سؤال حيث لم نذكر حكم تارك فرض من فروض اللَّه سبحانه ـ كالصلاة والزكاة والصيام والحج في هذا الجزء من الموسوعة وهذه الفِقرة من هذا الجزء. . . وجواب هذا السؤال: أننا ذكرنا في هذه الفقرة الأعمال التي يستحق صاحبها الدخول في النار والعذاب فيها بقدر ما اقترفت يداه من عمل يوجب عليه العقوبة والدخول في النار، أمَّا حكم تارك فروض اللَّه أو فرض من فروضه ومات على ذلك فقد ذكرناها في الجزء الثامن من الموسوعة. . ولا شك أن تارك فروض الإسلام وهو قادر عليها سينال عقابه وجزاءه عند اللَّه سبحانه، ويعذّب في النار بقدر تركه لتلك الفروض.

. . . وأقول أيضاً: إن هذه الأعمال التي ذُكرت، واستوجب أصحابها أن يعذّبوا بسببها في النار ـ يكون أصحابها بمنجى من النار إذا تابوا في الدنيا قبل الموت توبة نصوحاً، وردوا المظالم لأهلها واستغفروا اللَّه بقلب صادق.

لقوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]

الفصل السابع

محطات في عالم النار وأهوالها يجب التوقف عندها

- اتقوا النار بالدعاء.
- اتقوا النار ولو بشق تمرة.
- الخوف والإشفاق من النار قد ينجي من عذابها.
- التعوّذ من النار في الدنيا وقاية منها في الآخرة.
- نداء أهل الجنة أهلَ النار ونداء أهل النار أهل الجنة.
- أعظم عذاب أهل النار حرمانهم من رؤية اللَّه سبحانه.
- أهل النار لا يزالون في أمل الخروج من النار حتى يذبح الموت.
- أهل النار يطلبون الخروج منها أو الموت أو تخفيف العذاب من شدة ما يلقونه من الأهوال والعذاب.
- بكاء وصريخ أهل النار.
- أول ما يتحف به أهل النار عند دخولهم فيها.
- الكافر في نار جهنم يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت.
- أصناف وصفات أهل النار في أحاديث رسول اللَّه ﷺ.
- الجنة والنار في كتاب كبرى اليقينيّات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- دعوة مفتوحة للخروج من النار والدخول في الجنة.

محطات في عالم النار
وأهوالها يجب التوقف عندها

اتّقوا النار بالدعاء

الدعاء من أهم ضروريات المؤمن في حياته الدنيا . . ذلك أن اللَّه سبحانه سألنا الدعاء وطلبه منَّا في الحياة الدنيا ، فقال سبحانه : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ والدعاء هو العبادة وهو مخ العبادة، ومن لا يسأل اللَّه يغضب عليه. والدعاء مدرسة تربوية أخلاقية عظيمة علَّمنا إياها اللَّه سبحانه في القرآن الكريم ورسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة . . ومما سألنا إياه اللَّه سبحانه في الدعاء : أن ندعوه في الدنيا أن يقينا عذاب النار ، ذلك أن الدعاء كما صح في الحديث إمَّا أن يعجّل له في الدنيا ، وإما أن يكفّر عن المرء من سيئاته بقدر ما دعا ، وإما أن يؤخّر إلى يوم القيامة . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فإمَّا أن يعجّل له في الدنيا ، وإما أن يؤخّر له في الآخرة ، وإما أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا** » .

[رواه الترمذي في سننه]

. . ومن دعاء الدنيا الذي هو للآخرة أن اللَّه سبحانه طلب منا أن ندعوه حتى يبعد عنا النار يوم القيامة ويقينا من شرها والدخول فيها .

يقول تعالى :

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية : ٢٠١]

ويقول تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية : ١٦]

ويقول تعالى:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

فهذا الدعاء بأن يقيَنا اللَّه سبحانه عذاب النار لا بد أن يكون له نصيب من الإجابة يوم القيامة، فاللَّه سبحانه لا يضيع عمل عامل ولا دعاء مؤمن ولا سؤال طالب ولا استغفار مستغفر.

فإذا دعوت اللَّه سبحانه من قلب صادق خائف راجٍ أن يقيك عذاب النار، فلا بد أن تنال يوم القيامة ما سألت وهو الوقاية من النار، وسيقيك اللَّه بحوله وقوته وسَعة عفوه نار جهنم، وإلا ما سألنا أن ندعوه أن يقينا عذاب النار، لذلك طلب منا أن ندعوَه بهذا الدعاء ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ . فبرحمة اللَّه نتلقى الوقاية من النار في جهنم وفي كل مواقف يوم القيامة. وليس معنى الدعاء أننا نطلب من اللَّه حسنة واحدة في الدنيا وحسنة واحدة في الآخرة ونسأله النجاة من النار بل للآيات معانٍ كما في قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٠١]

فلقد جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية وبنينَ أبرارٍ، ودار رحبة، وزوجة حسناء، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هين، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها فإنها مندرجة في الحسنة في الدنيا. . . وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة، وتوابعها

من الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصات وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو أمر يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام. . . وقال القاسم أبو عبد الرحمن: من أُعطي قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً وجسداً صابراً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار، ولهذا وردت السنّة بالترغيب في هذا الدعاء.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[١].

وكان أنس رضي اللَّه عنه إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد صار مثل (الفَرْخ) فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**هل تدعو اللَّه بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبَني به في الآخرة فعجّله في الدنيا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**سبحان اللَّه لا تطيقه أو لا تستطيعه، فهلا قلت:** ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾» قال: فدعا اللَّه فشفاه[٢][٣].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم وقد انفرد به.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ١٨٢ جزء سورة البقرة.

اتقوا النار ولو بشقّ تمرة

لقد أعلمنا رسول اللَّه ﷺ أن الصدقاتِ تقي من أهوال يوم القيامة، فهي تقي من الشمس التي تدنو من رؤوس العباد في أرض المحشر، فيكون الإنسان في ظل صدقته حتى ينتهي هذا الموقف العظيم الذي يطول أمده تحت أشعة الشمس الحارقة.

ـ عن عَدي بن حاتِم رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[١].

ـ عن عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« من استطاع منكم، أن يستتر من النار، ولو بشق تمرة فليفعل»[٢].

ـ عن عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

ليقفنَّ أحدكم بين يدي اللَّه عزّ وجلّ، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: « **ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله، فلا يرى إلا النار، فليتقينَّ أحدكم النار ولو بشق تمرة**[٣] **فإن لم يجد، فبكلمة طيبة»**[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) شق تمرة أي نصف تمرة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه.

الخوف والإشفاق من النار قد ينجي من عذابها يوم القيامة

لا شك ولا ريب، أَنَّ الذي يخاف من اللَّه سبحانه ويخاف من عذابه ويخاف من ناره في الدنيا استعظاماً، يقيه اللَّه سبحانه من عذاب النار يوم القيامة، فمن خاف من اللَّه سبحانه في الدنيا وخاف من عذاب النار وسأل اللَّه أن يبعده عنها.. فإن اللَّه لا يجمع عليه خوفين، فمن خافه في الدنيا أمِنه في الآخرة.

يقول تعالى:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا * وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا * وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

[سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ ـ ٦٦]

ويقول سبحانه عن المؤمنين الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥٧]

والمعنى أن هؤلاء بعبادتهم اللَّه يرجون رحمته ويخافون عقابه

ويتسابقون إلى رضاه ذلك أن عذاب اللَّه شديد ينبغي أن يحذر منه العبد ويخافَ من وقوعه وحصوله.

ويقول تعالى:

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيات: ١٤ ـ ١٦]

ويقول تعالى عن مقام الخوف من اللَّه والإشفاق من عذابه:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ .

[سورة المعارج، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ .

[سورة الطور، الآيات: ٢٥ ـ ٢٧]

وكان رسول اللَّه ﷺ كثيراً ما يستعيذ من النار ويفعل ذلك بالصلاة وغيرها.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

عن جابر رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال لرجل: «**كيف تقول في الصلاة**»؟ قال: أتشهَّد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دنْدنتك(١) ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «**حولها ندندن**»(٢) .

(١) الدندنة: أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم.

(٢) رواه أبو داود في سننه وابن ماجه.

عن سليم الأنصاري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا سليم، ماذا معك من القرآن**»؟ قال: «**إني أسأل اللَّه الجنة وأعوذ به من النار، واللَّه ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ**»، فقال النبي ﷺ: «**وهل تصير دندنتي ودندنة معاذ إلا أن نسأل اللَّه الجنة ونعوذ به من النار**»(١).

. . . وخرَّج أبو نعيم أن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: لو نادى مناد من السماء، أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو.

. . وخرَّج الإمام أحمد عن طريق عبد اللَّه بن الرومي قال: بلغني أن عثمان رضي اللَّه عنه قال: لو أني بين الجنة والنار ـ ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعرف إلى أيتهما أصير.

وهذا مثال على خوف الصحابة من عذاب اللَّه ونار اللَّه وعقاب اللَّه، وهؤلاء هم من أهل التقوى والصلاح. . فنرجو اللَّه سبحانه أن يجعل في قلوبنا خوفاً منه واستعظاماً له وشفقة من عذابه وطمعاً في عطائه ورحمته ومغفرته.

. . . والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فعلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو هماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة للَّه عزّ وجلّ، لم يكن محموداً، ولا ننكر أن خشية اللَّه وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصودة أيضاً،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرّب إلى اللَّه بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه.

ومَتى صار الخوف مانعاً من ذلك وقاطعاً عنه، فقد انعكس المقصود منه، ولكن إذا حصل ذلك من غَلَبة، كان صاحبه معذوراً[١].

(١) ابن رجب الحنبلي، كتاب التخويف من النار صفحة ٣٤.

التعوّذ من النار في الدنيا وقاية منها في الآخرة

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ. في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر، ومنه: «**إن اللَّه عزّ وجلّ يسألهم، وهو أعلم بهم فيقول: مما يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ قالوا: لا واللَّه ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد مخافة، قال: فيقول: إني أشهدكم أني قد غفرت لهم**»(١).

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مسلم يسأل اللَّه الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استعاذ من النار ثلاثاً قالت النار: اللهم أجره من النار**»(٢).

. . . ذلك أن اللَّه سبحانه أجار من النار كل من استعاذه منها، وطلب منه في الدعاء أن يقيه عذاب جهنم. . فهؤلاء الذين يذكرون اللَّه آناء اللَّيل وأطراف النهار قعوداً وقياماً وعلى جنوبهم، مشفقون من النار مستعيذون منها.

يقول تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

إلى أن قال: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

نداء أهل الجنة
أهلَ النار ونداء أهل النار أهلَ الجنة

يقول تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٤]

وهذه من سعادة أهل الجنة، إذ يأذن لهم ربهم أن ينادوا أصحاب النار الذين كانوا يستهزئون بهم في الدنيا ويعتبرونهم من السفهاء: ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١٣]

ويضحكون منهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآية: ٢٩]

ويتغامزون فيهم سخرية واستهزاء: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآية: ٣٠]

ويعتبرونهم ضالين: ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآية: ٣٢]

... فإذا رأوهم بعد النداء قالوا لهم: لقد وجدنا ما وعد ربنا حقاً من وعده الحق ومن صدق حديثه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٨٧]

وكذلك مَن وعده الحق: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٧]

فيقولون: إننا وجدنا ما وعد ربنا حقاً ونحن في نعيم اللَّه وجناته الخالدة، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً بعد أن زعمتم أن لن تبعثوا ولن تحاسبوا؟ ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

قال الكافرون جواباً للمؤمنين: نعم لقد وجدنا الذي وعدَنا به اللَّه حقاً، بأنه سيدخلنا نار جهنم التي كذبنا بها ونحن فيها الآن.. فيؤمر مؤذن أن يؤذن أنْ لعنة اللَّه على الكافرين.

ثم ينادي أصحابُ النار أصحاب الجنة كما ورد في القرآن الكريم.

يقول تعالى:

﴿ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥٠]

يخبر تعالى عن المحاورة بين أهل النار وأهل الجنة بعد أن استقر بكلٍّ من الفريقين القرار واطمأنت به الدار، وعن استغاثتهم بهم عند نزول عظيم البلاء من شدة العطش والجوع، والمعنى ينادونهم يوم القيامة: أغيثونا بشيء من الماء لنسكِّن به حرارة النار والعطش أو مما رزقكم اللَّه من غيره من الأشربة فقد قتلنا العطش ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ

حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي منع الكافرين شراب الجنة وطعامها. **قال ابن عباس**: ينادي الرجل أخاه وأباه فيقول: قد احترقت فأفض عليَّ من الماء أو ممَّا رزقك اللَّه! فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: إن اللَّه حرَّمهما على الكافرين[1]، ثم وصف تعالى الكافرين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥١]

أي هَزِئوا من دين اللَّه وجعلوا الدين سخرية ولعباً.

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا يجابون إلى ذلك، **قال السدي**: ﴿أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني الطعام، وقال ابن أسلم: يستطعمونهم ويستسقونهم، **وقال سعيد بن جبير**: ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول له: قد احترقت، فأفض عليَّ من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، **قال ابن أسلم**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: يعني طعام الجنة وشرابها، وسئل ابن عباس: أي الصدقة أفضل؟ فقال: الماء، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فضل الصدقة الماء، ألم تسمع إلى أهل النار لمَّا استغاثوا بأهل الجنة، قالوا**: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

وقال تعالى في مخاطبة أهل الجنة أهل النار.

يقول تعالى:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ

---

(١) الطبري ١٢/ ٤٧٣.

أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۞ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ٥٠ ـ ٦١]

ثم أخبر تعالى عما يتحدث به أهل الجنة للأنس والسرور، وهم على موائد الشراب يتلذذون بكل ممتع، وينعَمون بتجاذب أطراف الحديث، فقال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي جلسوا يتحدثون عما جرى لهم في الدنيا، يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا وثمرة الإيمان ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ أي قال قائل من أهل الجنة: إني كان لي في الدنيا صديقٌ وجليس ينكر البعث ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ أي يقول لي: أتصدِّق بالبعث والجزاء؟ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾؟ أي هل إذا متنا وأصبحنا ذراتٍ من التراب وعظاماً، أئنا لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا؟ يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾؟ أي قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطَّلعون إلى النار لننظر كيف حال ذلك القرين؟ قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى بسعيرها ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي فخاطبه المؤمن شامتاً وقال له: والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي ولولا فضلُ الله عليَّ بتثبيتي على الإيمان، لكنتُ معك في النار محضراً ومعذّباً في الجحيم. ثم يخاطبه مستهزئاً ساخراً كما كان ذلك الكافر يستهزئ به في الدنيا ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ أي هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتةً واحدة، وأنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب

ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر، والتحدث بنعمة اللَّه عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي إن هذا النعيم الذي ناله أهل الجنة لهو الفوز العظيم ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾ أي لمثل هذا الجزاء الكريم يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون. قال المفسرون: أشارت الآيات الكريمة إلى قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد اللَّه ويقصّر في التجارة والنظر إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلاً على تكثير ماله، فانفصل عن شريكه لتقصيره، وكان كلما اشترى داراً أو جارية أو بستاناً أو نحو ذلك، عرضه على المؤمن وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدَّق بنحوٍ من ذلك ليشتري له به قصراً في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال: ما صنعت بمالك؟ قال: تصدَّقت به للَّه! فكان يسخر منه ويقول: أئنك لمن المصدِّقين؟ فكان مِن أمرهما ما قصَّ اللَّه علينا في كتابه العزيز «**صفوة التفاسير محمد علي الصابوني**» ويقول تعالى أيضاً في مخاطبة أهل الجنة أهل النار وجواب أهل النار لهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ * فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾.

[سورة المدثر، الآيات: ٣٨ ـ ٤٧]

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي كل نفس محبوسةٌ بعملها، مرهونةٌ عند اللَّه بكسبها ولا تُفك حتى تؤديَ ما عليها من الحقوق والواجبات ﴿إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي إلا فريق السعداء المؤمنين، فإنهم فكوا رقابهم وخلّصوها من السجن والعذاب، بالإيمان وطاعة الرحمن ﴿فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي هم في جنات وبساتين لا يُدرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضاً عن حال المجرمين الذين في النار، والسؤال

لزيادة تبكيت أولئك المجرمين وتوبيخهم، وإدخال الألم والحسرة على نفوسهم، يقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟ **قال في البحر**: وسؤالهم سؤال توبيخ لهم وتحقير، وإلا فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار[١]. ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ أي قال المجرمون مجيبين للسائلين: لم نكن من المصلين في الدنيا لرب العالمين ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ أي ولم نكن نتصدَّق ونحسن إلى الفقراء والمساكين، **قال ابن كثير**: مرادهم في الآيتين: ما عبدنا ربنا، ولا أحسنَّا إلى خلقه من جنسنا[٢]، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغواية والضلالة، ونقع معهم فيما لا ينبغي من الأباطيل، **قال في التسهيل**: والخوض هو كثرة الكلام فيما لا ينبغي من الباطل وشبهِهِ[٣]، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي نكذب بيوم القيامة، وبالجزاء والمعاد، وإنما أخّر التكذيب بيوم الدين تعظيماً له، لأنه أعظم جرائمهم وأفحشها ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ أي حتى جاءنا الموت ونحن غارقون في تلك المنكرات والضلالات، قال تعالى معقباً على اعترافهم بتلك الجرائم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي ليس لهم شافع ينقذهم من عذاب اللّه سبحانه، ولو شفع لهم أهل الأرض ما قبلت شفاعتهم فيهم، **قال ابن كثير**: من كان متصفاً بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع، لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى اللّه كافراً فإنه مخلد في النار أبداً.

(١) البحر ٨/ ٣٨٠.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٣.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٦٢.

أعظم عذاب أهل النار حرمانهم من رؤية اللَّه سبحانه

يقول تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ .

[سورة المطففين، الآيات: ١٤ ـ ١٧]

وفي التفسير: أي ليرتدع هذا الفاجر عن ذلك القول الباطل، فليس القرآن أساطيرَ الأولين، بل غطَّى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمست بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي، قال المفسرون: الران هو الذنب على الذنب حتى يسودَّ القلب.. وفي الحديث الذي رواه الترمذي: « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر اللَّه وتاب صقُل قلبه، فإذا عاد زيد فيها حتى تعلوَ على قلبه** »، وهو الران الذي ذكره اللَّه سبحانه في كتابه: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

وقوله سبحانه: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي ليرتدع هؤلاء المكذبون عن غيهم وضلالهم فهم في الآخرة محجوبون عن رؤية المولى عزّ وجلّ فلا يرونه، **قال الشافعي**: وفي الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عزّ وجلّ، **وقال مالك**: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلَّى لأوليائه حتى رأوه[١] .

---

(١) تفسير القرطبي.

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي إنهم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن لداخلو الجحيم وذائقو عذابها ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي ثم تقول لهم خزنة جهنم على وجه التقريع والتوبيخ: هذا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

ففي هذه الآيات الكريمة ذكر اللَّه ثلاثة أنواع من العذاب ـ حجابهم عنه، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم به في الدنيا، ووصفهم بالران على قلوبهم، وهو صدأ الذنوب الذي سوَّدَ قلوبهم، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدنيا شيء من معرفة اللَّه ولا من إجلاله، فحجبوا في الآخرة عن رؤيته، وهذا خلاف حال أهل الجنة.

يقول تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.

[سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

ويقول سبحانه:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٢٦]

والزيادة في الآية هي النظر إلى وجه اللَّه الكريم في الجنة.

وفي قول لجعفر بن سليمان أنه سمع أبا عمران الجوني يقول: إن اللَّه لم ينظر إلى إنسان قط نِظرة رحمة إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكن قضى أن لا ينظر إليهم.

أهل النار لا يزالون في أمل الخروج من النار حتى يذبح الموت

ذكر عبد الرزاق في «تفسيره»، عن عبد اللَّه بن عيسى، عن زياد الخُراساني، أسنده إلى بعض أهل العلم، قال: إذا قيل لهم ﴿ٱخۡسَـُٔواْ[1] فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ اسكتوا، فلا يسمع لهم فيها حس إلا كطنين الطَّست.

ولا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت، فحينئذٍ يقع منهم الإياس، وتعظم عليهم الحسرة والحزن.

وفي «الصحيحين»، عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: « **يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح؛ فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت؛ ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت؛ قال: فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ:

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٣٩]

---

(١) اخسؤوا فيها: ابعدوا واسكتوا سكوت ذل وهوان.

وخرّجه الترمذي بمعناه وزاد: «**فلولا أن اللَّه قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء، لماتوا فرحاً؛ ولولا أن اللَّه قضى لأهل النار بالحياة والبقاء، لماتوا ترحاً**»(١).

وخرّج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجهْ بمعناه، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: قال فيه: «**إن أهل الجنة يطَّلعون، خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه؛ وإن أهل النار يطَّلعون، مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه**»، وفي رواية الترمذي: «**مستبشرين يرجون الشفاعة**».

وخرّجاه في «الصحيحين» من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ بمعناه؛ وفي حديثه: «**فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**» وخرّجه الترمذي، من حديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ مختصراً؛ وفيه: «**فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار**».

وخرّج ابن أبي حاتم بإسناده، عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه، من قوله نحو هذا المعنى، غير مرفوع، وزاد: «**إنه ينادي أهل الجنة وأهل النار: هو الخلود أبد الآبدين**» قال: فيفرح أهل الجنة فرحة، لو كان أحد ميتاً من فرحة لماتوا، ويحزن أهل النار، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار وذلك قوله:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٨]

يوم الآزفة: يوم القيامة، وقد سميت بذلك لقربها وضيق وقتها، القلوب لدى الحناجر: وصلت القلوب إلى الحناجر وهذا التصوير لشدة الخوف والفزع.

---

(١) ترحاً: أسى وحزناً.

يوم الحسرة: يوم الندامة الشديدة على ما فات (هو يوم القيامة).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾.

والمعنى أن يوم القيامة هو يوم الحسرة والندم للكافرين والعصاة، لأنه لا أمل في نجاة ولا توبة ولا عودة إذ إن الأمر قد قضي من اللَّه سبحانه وجاء الحساب والجزاء والعقاب.

وروى ابن أبي الدنيا، بإسناده، عن هاشم بن حسان، قال: مر عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه بكثيب من رمل فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: «**ذكرت أهل النار، فلو كانوا مخلدين في النار بعدد هذا الرمل، كان لهم أمد يمدون إليه أعناقهم، ولكنه الخلود أبداً**»، وقد روي عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه هذا المعنى أيضاً، مرفوعاً وموقوفاً، وسنذكره فيما بعد إن شاء اللَّه تعالى[1].

---

(١) كتاب التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي صفحة ٢١٤.

أهل النار يطلبون الخروج منها أو الموت أو تخفيف العذاب من شدة ما يلقونه من الأهوال والعذاب

قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ * قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟[1] فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٨]

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ * قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

وفي حديث الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، في ذكر أهل النار، قال:

(١) اخسؤوا فيها: ابعدوا واسكتوا سكوت ذل وهوان.

فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٥٠]

قال: فيقولون: ادعوا مالكاً، فيقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

قال الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام، قال: فيقولون: ادعوا ربكم، فإنه ليس أحد خيراً من ربكم، فيقولون:

﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ۞ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

قال: فيجيبهم: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

قال: فعند ذلك، يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الحسرة والزفير والويل.

[رواه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً على أبي الدرداء]

روى أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لأهل النار خمس دعوات، يُكلَّمون أربعاً منها، ويُسكت عنهم في الخامسة، فلا يُكلمون، يقولون:

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١١]

فيرد عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٢]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٢]

فيرد عليهم: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٣]

إلى آخر الآيتين، ثم يقولون:

﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٤]

فيرد عليهم: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٤]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

فيرد عليهم: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧]

فيرد عليهم: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٨ ـ ١١٠]

قال: فلا يتكلمون بعد ذلك؛ خرّجه آدم بن أبي إياس وابن أبي حاتم.

وروى ابن أبي حاتم، من رواية قتادة، عن أبي أيوب العتكي،

عن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما، وقال: نادى أهل النار ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فخلى عنهم أربعين عاماً، ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ قال: فخلى عنهم مثل الدنيا، ثم أجابهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: فأطبقت عليهم، فيئس القوم بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق.

وعن عطاء بن السائب، عن أبي الحسن، عن ابن عباس، قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فيتركهم ألف سنة، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾. وخرّجه البيهقي، وعنده عن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وقال سُنيد في تفسيره: حدّثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: نادى أهل النار خزنة جهنم أن ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فلم يجيبوهم ما شاء اللّه، ثم أجابوهم بعد حين، وقالوا لهم: ﴿فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ ثم نادوا ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيسكت عنهم مالك، خازن جهنم، أربعين سنة، ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ ثم نادى الأشقياء ربهم: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ الآيتين، فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا، ثم أجابهم بعد: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

بكاء وصريخ أهل النار

أهل النار يبكون ويصرُخون في النار من شدة آلامهم وعذابهم، وما يلقونه من الهوان والذل وتقريع وتوبيخ زبانية النار، جزاء وفاقاً على كفرهم وشركهم وظلمهم.

يقول تعالى:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

يصطرخون: أي يصرخون مستغيثين. ويصيحون بشدة من البكاء والعويل، روى معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «رأيت رؤيا»، فذكر حديثاً طويلاً وفيه، قال: «**ثم انطلقنا، فإذا نحن نرى دخاناً، ونسمع عواءً، قلت: ما هذا؟ قال: هذه جهنم**»(١).

وفي حديث حارثة: «**وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها**» وقد سبق.

ـ عن أنس رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«**يلقى البكاء على أهل النار فيبكون، حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم، حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ولو أرسلت فيه السفن لجرت**»(٢).

ـ وروى سلام بن مسكين، عن قتادة، عن أبي بردة عن أبي

---

(١) رواه الطبراني وغيره.

(٢) رواه ابن ماجه.

موسى، عن أبيه قال: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع.

ـ وقال صالح المري: بلغني أنهم يصرخون في النار، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع.

ـ وقال ابن إسحاق عن محمد بن كعب: زفروا في جهنم، فزفرت النار.

ـ وشهقوا فشهقت النار بما استحلُّوا من محارم اللَّه، وقال: الزفير من النَفَس والشهيق من البكاء[١].

(١) التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي ص٢٠٦.

أول ما يتحف به أهل النار عند دخولهم فيها

إن أهل النار يبعثون عطاشاً، ثم يحضرون مشاهد يوم القيامة عطاشاً، ثم يساقون إلى جهنم عطاشاً.

يقول تعالى:

﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٨٦]

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشاً، ثم يقفون مشاهد يوم القيامة عطاشاً.

وقال مجاهد في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ : متقطعة أعناقهم عطشاً، وقال مطر الوراق: عطاشاً ظماءً، وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً، ثم انصرِف بهم إلى النار، فيسقون من عين آنية قد آن حرُّها واشتد نضجُها.

ويقول تعالى مبيناً نُزُل الكفار الضالين المكذبين:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ۝ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦]

والنزل هو ما يعد للضيف عند قدومه، فدلَّت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولها بالأكل من شجرة الزقوم، والشرب من الحميم لأنهم إنما يساقون إلى جهنم عطاشاً.

وهذا ما يتحف به أهل النار، وهذا ما يُستقبلون به، وهذا ما ينالونه أول ضيافتهم في نار جهنم، ومن قبلها على أرض المحشر وعند الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للعرض عليه والحساب. أجارنا اللَّه سبحانه من هذا النزل وهذه الضيافة وجعلنا من الهادين المهديين.

الكافر في نار جهنم يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت

قضى اللَّه سبحانه أن لا تخرج الأرواح من أجساد الكافرين يوم القيامة، حتى يبقى عذابهم خالداً أبداً لا يفتر عنهم ولا يقضى عليهم فيموتوا. . ففي الدنيا ومن رحمة اللَّه بنا أننا إذا مرضنا أو أصاب أجسادنا عطب أو تقطَّع أو ما شابه، أو أصابنا العجز أو الهرم أن يُقضى علينا بالموت فنستريح من العذاب والآلام والهرم والعجز والمرض. . أما في جهنم رغم أن جلود الكافرين تحترق، وأجسادهم تحترق حتى تطّلع النار على أفئدتهم، إلا أن اللَّه سبحانه لا يأمر الأرواح أن تخرج من هؤلاء الكفرة الفجرة حتى يستمر العذاب وتستمر الآلام بلا انقطاع ولا توقف.

يقول تعالى:

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

فالاحتراق والجوع والعطش وتقطع الأمعاء واندلاقها، كل ذلك من أسباب الموت في الدنيا، ولكن هذه الأسباب تتوقف في نار جهنم حيث يأتي إلى الكافر أسبابُ الموت من كل مكان، من فوقه ومن

تحته ولكن لا يموت فيها، فتبقى الروح معلقةً بهذا الكافر حتى لو احترق، لأن جلده يحترق ويعاد مرة أخرى ثم يحترق ويعاد إلى ما لا نهاية، والروح باقية في جسده معلقة لا تخرج أبداً، وهذه من قدرة اللَّه سبحانه وإرادته التي أرادها في هؤلاء المنافقين والكافرين والمشركين لأن الدنيا دار الأسباب والآخرة دار العجائب. . .

ويقول المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي يأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ولكنه لا يموت، ليستكمل عذابه، فمن بين يديه عذاب أشدُّ مما قبله وأغلظ.

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

[سورة الأعلى، الآية: ١٣]

أي لا يموت فيستريح ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة، بل هو موجود دائماً في العذاب والشقاء.

ويقول د. الزحيلي في التفسير المنير: الذي يصلى النار الكبرى يخلد في عذابها، فلا يموت فيها فيستريح مما هو فيه من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة هنيئة ينتفع أو يسعد فيها كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٦]

أصناف وصفات أهل النار في أحاديث رسول اللّٰه ﷺ

لقد أخبرنا رسول اللّٰه ﷺ في أحاديثه الشريفة عن أصناف وصفات أهل النار من أهل الدنيا والذين هم في غالب صفاتهم ـ المستكبرون ـ والظالمون، وقساة القلوب، والفاجرون إلى غير ذلك من الصفات الذميمة.

ـ وعن حارثة بن وهب، عن النبي ﷺ، قال: « **ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعَّف، لو أقسم على اللّٰه لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلٍّ جَوّاظٍ مستكبر**»[١].

و«العتل» قال مجاهد وعكرمة: هو القوي. وقال أبو رزين: هو الصحيح. وقال عطاء بن يسار، عن وهب الذماري قال: تبكي السماء والأرض من رجل أتم اللّٰه خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه معظِماً من الدنيا، ثم يكون ظلوماً غشوماً للناس، فذلك العتلّ الزنيم. وقال إبراهيم النخعي: العتل: الفاجر، والزنيم: اللئيم في أخلاق الناس.

وأما المستكبر، فهو الذي يتعاطى الكبر على الناس والتعاظم عليهم، وقد قال اللّٰه تعالى:

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٠]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقد ذكرنا فيما سبق حديث: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، يساقون إلى سجن في النار، يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يغشاهم الذل من كل مكان**». فإن عقوبة التكبر الهوان والذل، كما قال اللَّه تعالى:

﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ، فيما يحكيه عن ربه عزّ وجلّ، قال: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**» يعني ألقيته في جهنم[١].

وروى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غُنْم أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة جوَّاظٌ ولا جعظريّ ولا العتل الزنيم**». فقال رجل من المسلمين: ما الجواظ الجعظري والعتل الزنيم؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**الجواظ: الذي جمع ومنع، وأما الجعظري: فالفظ الغليظ**»[٢].

قال اللَّه تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩]

وأما العتل الزنيم: فشديد الخلق، رحيب الجوف، مصحح، أكول شروب، واجد للطعام، ظلوم للأنام.

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب، يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب، يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين**»

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

ذكر الحديث بمعنى ما تقدم، وسبب هذا، أن اللَّه عزّ وجلّ، حفَّ الجنة بالمكاره، وحفَّ النار بالشهوات، كما قال تعالى[١]:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٤١]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطهم، قال اللَّه عزّ وجلّ للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، وأما النار فلا تمتلئ حتى يضع عليها رجله، فتقول: قطّ قطّ، فهنالك تمتلئ، وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللَّه من خلقه أحداً، وأما الجنة، فإن اللَّه ينشئ لها خلقاً**»[٢]. وفي رواية خرَّجها ابن أبي حاتم: «**فقالت النار: ما لي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون والأشراف وأصحاب الأموال**»؟ وفي الحديث الشريف التالي يتبيَّن لنا أن التنعم بالشهوات والتكبّر والتعاظم على خلق اللَّه سبحانه، هي صفات أهل النار وكذلك الاستكبار عن طاعة اللَّه سبحانه وعبادته، وانقياد نفس الفاجر إلى الشهوات واتباع الطغيان والبغي الذي يسوقه إليه ماله، وتعاظمه في نفسه، فالعظمة والغرور واتباع الهوى والميل نحو كل ساقط من شهوات الدنيا هي من الأسباب الموجبة لدخول النار.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**لما خلق اللَّه الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما**

(١) رواه الإمام أحمد. (٢) رواه البخاري ومسلم.

أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها، فنظر إليها وإلى ما أعد لأهلها؛ فرجع إليه، فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها؛ فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، فانظر إلى ما أعددت لأهلها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه، فقال: وعزتك، لقد خفت ألا يدخلها أحد؛ قال: فاذهب إلى النار، فانظر إلى ما أعددت لأهلها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد فيدخلَها، فأمر بها فحفت بالشهوات؛ فقال: ارجع إليها، فقال: وعزتك، لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها»[١].

فتبيَّن بهذا، أن صحة الجسد وقوته وكثرة المال والتنعم بشهوات الدنيا والتكبّر والتعاظم على الخلق، وهي صفات أهل النار التي ذكرت في حديث حارثة بن وهب، هي جماع الطغيان والبغي، كما قال تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾.

[سورة العلق، الآية: ٦، ٧]

والطغيان وإيثار الحياة الدنيا وشهواتها من موجبات النار كما قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبركم بصفة أهل الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول اللَّه، قال: كل ضعيف متضعَّف، ذو طمرين، لو أقسم على اللَّه لأبره؛ ألا أنبئكم بأهل النار؟ قلنا: بلى يا**

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي صحيح.

رسول اللَّه، قال: كل جعظري مستكبر، قال: فسألته ما الجعظري؟ قال: الضخم، وما الجعظري؟ قال: العظيم في نفسه»[١] .

عن عياض بن حمار، أن النبي ﷺ، قال في خطبته: « **وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط**[٢] **متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال؛ وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر**[٣] **له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا هو يخادعك عن أهلك ومالك»** وذكر البخل والكذب والشنظير[٤] الفاحش[٥] .

ففي هذا الحديث الشريف قسّم رسول اللَّه ﷺ أهل النار إلى خمسة أصناف:

الأول: الضعيف الذي لا عقل له (لا زبر له) ينتفع به لعمل الصالحات التي تنجيه من عذاب النار يوم القيامة أي عقله ينصرف نحو الدنيا فقط وليس مجنوناً.

الثاني: الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه أي يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت صغيرة وحقيرة ويسيرة إلا بادر إليها واغتنمها.

الثالث: المخادع الذي يخادع الناس في أموالهم وأهليهم ويكون دأبه على ذلك دائماً، وهذا الصنف من أصناف المنافقين.

الرابع: البخل والكذب وهما من أذم الصفات في الإنسان الذي

(١) رواه الطبراني صحيح.

(٢) المقسط: العادل.

(٣) أي الذي لا عقل له يزبره وينهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي.

(٤) الشنظير: السيئ الخلق.

(٥) رواه مسلم في صحيحه.

يكون من أهل النار لما في تلك الصفتين من عِظَم الخطر على الولد والأهل والمجتمع والأمة بأسرها.

الخامس: الشنظير الفاحش وقد فسر هذا المعنى المفسرون بأنه السيئ الخلق الفاحش المتفحش ـ من سوء خلقه ولسانه ويده وسواد قلبه.

عن عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من شر الناس منزلة عند اللَّه يوم القيامة من تركه الناس لفحشه**»[1].

(١) رواه البخاري ومسلم.

الجنة والنار في كتاب كبرى اليقينيّات الكونية

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

لقد رأيت أن أختم هذا الجزء من الموسوعة بتلك الرائعة من روائع كتابات الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، حول رؤيته عن الجنة والنار والخلود فيهما وأن نعيم الجنة حقيقي مادي محسوس، وأن عذاب النار حقيقي ومادي محسوس، مفنّداً بذلك لكل رأي مخالف لما جاء في كتاب اللّه تعالى وسنة نبيه ﷺ.

يقول الدكتور البوطي: الجنة والنار والخلود في كل منهما هما العاقبة التي لا بد أن تنتهي إلى إحداهما حياة الإنسان، وهي عاقبة أخيرة لا عاقبة بعدها، ولا مجال لوصف أهوال النار وعذابها، ولا لوصف نعيم الجنة وأسباب السعادة فيها، فحديث ذلك يطول، وهو على كل لا يكاد يصوّر شيئاً من الواقع الذي هو اليوم غيب عن الناس كلهم، إلى أن يأتي ميقات ذلك اليوم المعلوم والمحدد في علم اللّه جلَّ جلاله.

وإنما يتعلق الحديث هنا ببيان حقيقتين اثنتين لا بد أن يعيَهما المسلم ويعتقدهما اعتقاداً جازماً.

الحقيقة الأولى: الجنة والنار شيئان ماديان:

نعم إن الجنة والنار حقيقتان ماديتان من متعلقات كل من النفس والجسم معاً، وليستا مجردَ وهم يطوف بالنفس أو الروح وحدها.

إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة أي معنى للمعاد الجسمي الذي فرغنا من بيانه، والذي حفِل كتاب اللّه تعالى بذكره وتأكيده والتحذير من عواقبه في كثير من نصوصه وآياته القاطعة. وبدهي أنه لا ينكر مادية كل من الجنة والنار إلا من أنكر قبل ذلك الحشر والمعاد الجسمي وعودة الأرواح إلى أجسادها.

ومن أوضح الأدلة وأجلاها على هذه الحقيقة، الطريقة التي يصف بها القرآن كلاً من الجنة والنار، وهي طريقة قد تثير استفساراً لدى بعض الناس عن حكمة اتباع القرآن لهما والتزامه إياها. فالحكمة منها أنها تعبير عن أن نعيم الجنة حسي مادي يلقاه الجسد والروح معاً، وأنها تأكيد لهذه الحقيقة بأقوى الأساليب العربية المؤكدة.

تأمل هذه الآيات في وصف الجنة وأهلها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

[سورة الغاشية، الآية: ٨ ـ ١٦]

وهذه الآيات أيضاً: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ ـ ٣٤]

فما الحكمة من وصف هذه الجزئيات كلها من الجنة ونعيمها، ومعلوم أن أحدنا إذا أراد أن يصف مظهراً من مظاهر النعيم قد لا يجد نفسه بحاجة إلى أن يتناول في وصفه له هذه الدقائق الجزئية كلها؟

الجواب، إنه منتهى ما يمكن أن يتمثل به الأسلوب العربي في تأكيد أن نعيم الجنة شيء حسي ملموس، يعيش فيه الإنسان بكل

حواسه ومشاعره، وليس معنًى روحياً مجرداً كما يتخيل اليوم بعض من يريدون أن يقفوا في اعتقادهم أمام حد وسط بين الإيمان والإلحاد. وهو في الحقيقة الإلحاد ذاته جاء ملوناً بهذا اللون السخيف.

ثم تأمل في هذه الآيات وهي تصف النار وأهلها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾.

[سورة الغاشية، الآية: ٢ ـ ٧]

وفي هذه الآيات الأخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦]

وفي قوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

[سورة القمر، الآيتان: ٤٧، ٤٨]

وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٦]

فما الحكمة من هذا الوصف التفصيلي بهذا الشكل؟.. إنه أيضاً بيان وإيضاح للناس كلهم: أنه عذاب مادي محسوس ملموس تنغمس فيه حواس الكافرين وجسومهم ومشاعرهم، وليس كرباً روحانياً مجرداً على نحو ما يتوهم ويتخيل الذين يحلو لهم، في غرور عجيب، أن يصعدوا على منبر من الغرور أقاموه من سنوات عمرهم

القصير وتفكيرهم المحدود، ليبعثوا منه بقرارهم عن قصة هذا الكون كله وعن حقيقة الحياة والموت وما بعدهما، وحقيقة ما جاء من أمر الجنة والنار والحساب والعذاب. وكأنهم شركاء للَّه في تدبير كونه، وليسوا خلقاً مَهيناً من ملايين مخلوقاته عاشوا لمحة واحدة من عمر الدهر، وكانوا قبل ذلك عدماً في طوايا الكون، ثم استحالوا جيفاً في باطن الأرض في انتظار الأجل المحتوم واليوم الموعود..

الحقيقة الثانية: كل ما في الجنة والنار خالد لا نهاية له:

إن نعيم الجنة باقٍ خالدٌ لا نهاية له، وعذاب جهنم باق لا نهاية له، والآيات التي توضح هذه الحقيقة في كتاب اللَّه تعالى كثيرة جداً.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥]

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

وقد جاءت السنّة بمزيد من التأكيد لهذه الحقيقة، وذلك في أحاديثَ كثيرةٍ، منها ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**». وسواء أكان تجسيد

الموت وذبحه بهذا الشكل حقيقة، أم كان ذلك كنايةً عن القضاء على معنى الموت وإزالته من الوجود ـ فإن الحديث على كل حال ينطوي على أبلغ الأساليب المؤكدة لمعنى الخلود في كل من الجنة والنار، على أنّا لا نرى داعياً إلى إدخال أي تأويل على ظاهر الحديث.

غير أن الذين يستقرون خالدين في عذاب اللَّه تعالى إنما هم الكافرون بمختلف فئاتهم وأضرابهم، من مشركين وملاحدة وأهل كتاب ممن لم يؤمنوا بنبوة الأنبياء كلهم، أما العصاة من المؤمنين باللَّه ورسله وكتبه واليوم الآخر فمصيرهم، مهما طال عليهم العذاب، إلى مغفرة اللَّه وجنته[1].

وربما استشكلت بهذا الصدد قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

[سورة هود، الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٨]

ذلك أن ظاهر قوله: شقوا، في الآية الأولى، ومن قوله: سعدوا في الآية الثانية، أي إن جميع الأشقياء خالدون في النار إلا ما شاء اللَّه منهم أن لا يخلدوا فيها، وهم العصاة من أهل الإيمان والتوحيد، كما دلَّت على ذلك الأدلة الكثيرة الأخرى. وجميع أهل

---

(١) حاذر أن تطوف بذهنك تلك اللوثة التي يعاني منها بعض الجهال والمنافقين، ممن يزعمون أن أهل الكتاب مؤمنون، وأنهم فئة أخرى غير الكفار. فلا يعاقبون عقابهم ولا يخلدون في النار خلودهم، فإن هذا الزعم تحدٍّ صارخٌ لقوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية**﴾ [البينة: ٦٠] فقد قسمت الآية الكفار إلى أهل كتاب ومشركين، ثم شمِلتهم جميعاً بهذا الوعيد العظيم.

السعادة خالدون في الجنة إلا من شاء اللَّه منهم أن يتعذب في النار إلى أمد قبل ذلك، وهم أولئك الذين غَمَرت حياتهم المعاصي والأوزارُ من المؤمنين ولم تكتب لهم الشفاعة أولاً.

وإنما لم يأت الاستثناء بصيغة: إلا من شاء ربك، كما كان يقتضي ظاهر الاستثناء، لأن المراد من المستثنى منه العدد المجرد لا الأشخاص بأعيانهم حتى يراعى فيهم العقل، وذلك كقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٣]

فقد عبَّر عن النساء بما، عندما كان الملاحظ فيهن العددَ لا الشخص.

فهذه هي جملة الحقائق الغيبية التي يجب أن يعيَها الإنسان ويعتقدها اعتقاداً جازماً بعد أن اجتاز مرحلة الإيمان باللَّه ورسله وكتبه، ولا يمكن عقلاً أن ينفك الإيمان باللَّه عن الإيمان بهذه المغيَّبات، إذ هما متلازمان تلازماً واضحاً لكل ذي عقل[١].

(١) كتاب كبرى اليقينيات الكونية، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي صفحة (٣٥٨ - ٣٦٢).

دعوة مفتوحة للخروج من النار والدخول في الجنة

الخروج من النار والدخول في الجنة دعوة مفتوحة من أرحم الراحمين إلى عباده في الأرض إلى أن تشرق الشمس من مغربها. . وأقصد التوبة والرجوع إلى اللَّه سبحانه من الآثام والمعاصي والفواحش واتباع الشهوات، وترك عبادة اللَّه وطاعته التي توجب بمجملها إذا مات عليها العبد الدخولَ في النار يوم القيامة.

لقد خلق اللَّه سبحانه الجنة وهي تسع لكل خلقه، على عظيم ما فيها من النعيم والاتساع والمقام الكريم الأمين. . فقد دعانا اللَّه سبحانه إلى جناته ولم يدعنا إلى ناره.

يقول تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

ويقول تعالى:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

وكذلك دعا اللَّه سبحانه في كتابه الكريم مرَّات ومرَّات إلى التوبة والعودة إليه وترك المعاصي والذنوب، فإنه الغفور الرحيم، ومن ثَمَّ يدخلهم جناتِه الخالدات.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

وحتى لا يكون الإنسان في قنوط من رحمة اللَّه وقبول توبته أو الخوف من أن اللَّه سبحانه لن يقبله بعد كل هذه الذنوب والفواحش التي ارتكبها.. فماذا تفعل توبته فيما بقي له من العمر أمام ما ارتكب من الآثام وعصى اللَّه سبحانه وترك طاعته وعبادته وفرائضه... فإن اللَّه سبحانه توجه إلى عباده جميعاً دون تفريق ولا تمييز، أنه فيما لو رجعوا واستغفروا اللَّه سبحانه وتابوا إليه توبة نصوحاً، أنه لن يقبل توبتهم فقط بل سيبدل كل سيئاتهم إلى حسنات، مهما عظم أمرها وكثرت وتنوعت وكذلك حتى لا يتعاظم عبدٌ ذنوبَه أمام رحمة اللَّه وعظيم غفرانه وكرمه.

يقول تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ٧٠، ٧١]

. . . فهل توجد رحمة أعظم من تلك الرحمة الإلٰهية بعباده على الأرض. . . ذلك بأن يبدل سيئات المذنبين إلى حسنات وأن يغفر لهم ويدخلهم في عباده الصالحين. . فأي قلم يستطيع أن يعبّر عن تلك الرحمة ولو أوتي جوامع الكلم وحاز العلم والمعرفة.

. . . لقد توسعت في هذا الجزء من الموسوعة لأهميته العظيمة وكذلك توسعت في الجزء العاشر عندما تحدثت عن الجنة ونعيمها. . ذلك أن المصير بعد كل تلك الأحداث الجسام والحياة التي عشناها وعالم البرزخ، إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار فهما المصيران الأخيران لكل مخلوق من البشر، فكل حياة وحدث له انقضاء إلا الجنة والنار فلا انقضاء لهما، وفيهما الخلود الأبدي. . لذلك توسعت فيهما ليعلم كل إنسان أن هذا هو مصيره، وليختار أيهما بالنسبة إليه أفضل؟ فهل النار أفضل؟ أم الجنة أفضل؟ وقد فرّق اللَّه ما بين هذين المصيرين.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

. . . فليس من عاقل بعد أن يقرأ هذا الجزء من الموسوعة (النار أهوالها وعذابها) يرضى لنفسه أن يكون من أهل النار، وأن لا يعود إلى اللَّه سبحانه، وقد فتح اللَّه سبحانه لنا كل هذه الأبواب من الرحمة للتوبة والعودة إليه، مهما عظم الخطب وكثرت الذنوب وتقدَّم بنا العمر، لأن اللَّه من واسع رحمته جعل التوبة مقبولة من العبد طالما أنه لم يغرغر، أي لم تصل الروح عند النزع والموت إلى الحلق قبل الخروج بقليل. . فقد روى أحمد والترمذي وابن ماجهْ عن رسول

اللَّه ﷺ: «**إن توبة العبد مقبولة ما لم يغرغر**». . فليس للإنسان عذر عند اللَّه يوم القيامة بعد كل هذه الأبواب المفتوحة أمامه، فأي منا قادر على أن يتحمل النار ولو لدقائقَ أو لساعاتٍ أو لأيام؟ فكيف بمن تكون مصيرَه أبد الآبدين. . فهل تعود أخي المؤمن إلى اللَّه سبحانه أم تبقى على حال المعصية؟ وتغلق السمع والعقل على الفَهم والاستجابة وتكون ممن قال اللَّه سبحانه فيهم:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

. . . فاللَّه سبحانه من عظيم رحمته لم يدعُ البشر إلى النار كما دعاهم إلى الجنة، ولكن سألهم وطلب منهم أن يسرعوا إلى التوبة والإنابة قبل أن يكون المصير مظلماً وقاتماً ومؤلماً في نار جهنم، ساعة يعَض الظالم على يديه، وتعصر الحسرة والندم قلوب الذين لم يستجيبوا إلى ربهم ولم يتوبوا إليه ولم يستغفروه.

يقول تعالى:

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآيات: ٥٤ ـ ٥٨]

هذه هي دعوة اللَّه في آياته الكريمة إلى خلقه من البشر، فمن لم يستجب فلا يلومنَّ إلا نفسه يوم القيامة، وما ربك بظلام للعبيد ولا يهلك على اللَّه إلا هالك. وصدق رسول اللَّه ﷺ عندما قال في

خطبته أن أهل النار خمسة كما سبق في الحديث، وقال عن أولهم: «**الضعيف الذي لا زبر له**» أي لا عقل له.

اللهم ألهمنا التوبة والإنابة والاستغفار، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وأجرنا من النار، وألهمنا الرشد والحق والصواب، وألهم كل من عصاك وكان من أهل الذنوب والمعاصي والآثام أن ينيب ويعود ويتوب إليك، ليكون من أهل فضلك وكرمك ورحمتك إنك على كل شيء قدير.

الخاتمة

.. كل جزء من أجزاء الموسوعة له خاتمة، كتبتها وأنا سعيد وتغمرني السعادة بتوفيق اللَّه سبحانه ولإنجاز الجزء من الموسوعة.

... وكذلك ما كتبت جزءاً من الأجزاء إلا وكنت متفاعلاً معه سواء في متابعة التفسيرات والمراجع، وسواء في كتابتي الخاصة وتحليلي للمواقف والأحداث إلا في هذا الجزء من الموسوعة.. الذي يتحدث عن (النار أهوالها وعذابها) فقد أمضيت فيه وقتاً أطول بكثير من كتابة أي جزء.. ذلك لتوقفي عند الكثير من الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ وتفسير العلماء ورأي الفقهاء وتحليل أهل العلم حول النار وأهوالها وعذابها والخلود فيها.

... كم توقفت وقلت: أجارنا اللَّه سبحانه من النار وأهوالها وذلها ومهانتها وآلامها، وكم دعوت اللَّه سبحانه أن يجيرني والمسلمين جميعاً من هذا العذاب الذي لا يطاق ولا يحتمل في نار جهنم؟

... وكم سألت اللَّه أن يبعدنا عنها ولا يسمعنا حسيسها ولا يجعلنا من روّادها ولو لساعاتٍ أو دقائقَ معلومة؟

... وكم أشفقت على أولئك الذين يصرون على معاصيهم من المسلمين؟

... وكم سألت اللَّه سبحانه أن يتوب على أولئك العصاة الذين تركوا طاعة اللَّه وعبادته وأن يثيبهم إلى رشدهم خوفاً عليهم من

عذاب يوم عظيم، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، لا يفديه أحد ولا هو يفتدي أحداً، ولا هو يفتدي نفسه من العذاب ولو جاء بملءِ الأرض ذهباً. . . هذا الجزء يتحدث عن النار وأهوالها. . فمن قرأ من عاقل فلا بد أن يعود إلى رشده ويتوب مما فيه من الذنوب والمعاصي، ويلجأ إلى اللَّه سبحانه ورحمته، لينال ما عنده من الأجر والثواب ـ لا أن يلجأ بمعاصيه إلى غضب اللَّه فينال عذاب النار يوم القيامة بما قدَّمت يداه.

. . . لقد تحدثت في هذا الجزء بشيء من التفصيل عن كل ما يتعلق بالنار وجهنم وأبوابها وأنواع العذاب فيها، وشقاء أهلها وعذابهم وهوانهم وذلهم، لقد تحدثت عن وَقودها من الناسِ والحجارة، وتحدثت عن جبالها وأوديتها، وكذلك تحدثت عن عِظم أجساد الداخلين إلى النار وسواد وجوههم، وتخاصم أهلها ولعن بعضهم بعضاً، وتحدثت عن استغاثتهم وصريخهم وبكائهم وسؤال اللَّه أن يخفف عنهم يوماً من العذاب ـ وكذلك تحدثت عن أهل المعاصي والكبائر من الموحدين، وبيَّنت كم سيلاقون من العذاب والهوان بما لا يطيقون ولا يتحملون، وذكرت تفسير المفسرين وآراء أصحاب الرأي والعلم، غير ما قدَّمت من الرأي والتحليل والتفسير وأبعدت كل ما هو غير صحيح وضعيف ولا سند له من رواية أو أصل. نعم لقد توسعت في هذا الجزء ليحذر الناس وليتنبه الناس وليحتاطوا وليستعدوا جميعاً إلى يوم القيامة، وعظيم ما فيه من الأهوال والمشقة والعذاب، وأرجو من اللَّه سبحانه أن أكون قد أرضيت ربنا بما يرضيه من الحديث عن النار وأهوالها، وأن أكون ممن أصاب في أكثر الكتاب، لأنه لن يصح إلا كتاب اللَّه وكتب غيره من البشر يعتريها النقص والخطأ

والنسيان، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٨٢]

ولذا أرجو اللّه أن يغفر لي زلاتي ونسياني وأخطائي في هذا الجزء من الموسوعة، فلم أكن عامداً في خطأ، ولم أُسِئْ إلى أحد، مبتغياً القول الحق، واللّه يشهد أني قد قدَّمت كل جهدي في هذا الجزء وفي الموسوعة كلها بما يرضي اللّه سبحانه، ويعين الناس على فَهم آخرتهم وما يكون فيها من سعادة وشقاوة، وليس لي من رجاء إلا أن يقبل اللّه مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات كل من ساهم معي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب. ٢٩٢٢

جوال ٧٥٢٦٦٩١ ـ ٥٠ ـ ٩٧١

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللَّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجهْ.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللّٰه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللّٰه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللّٰه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

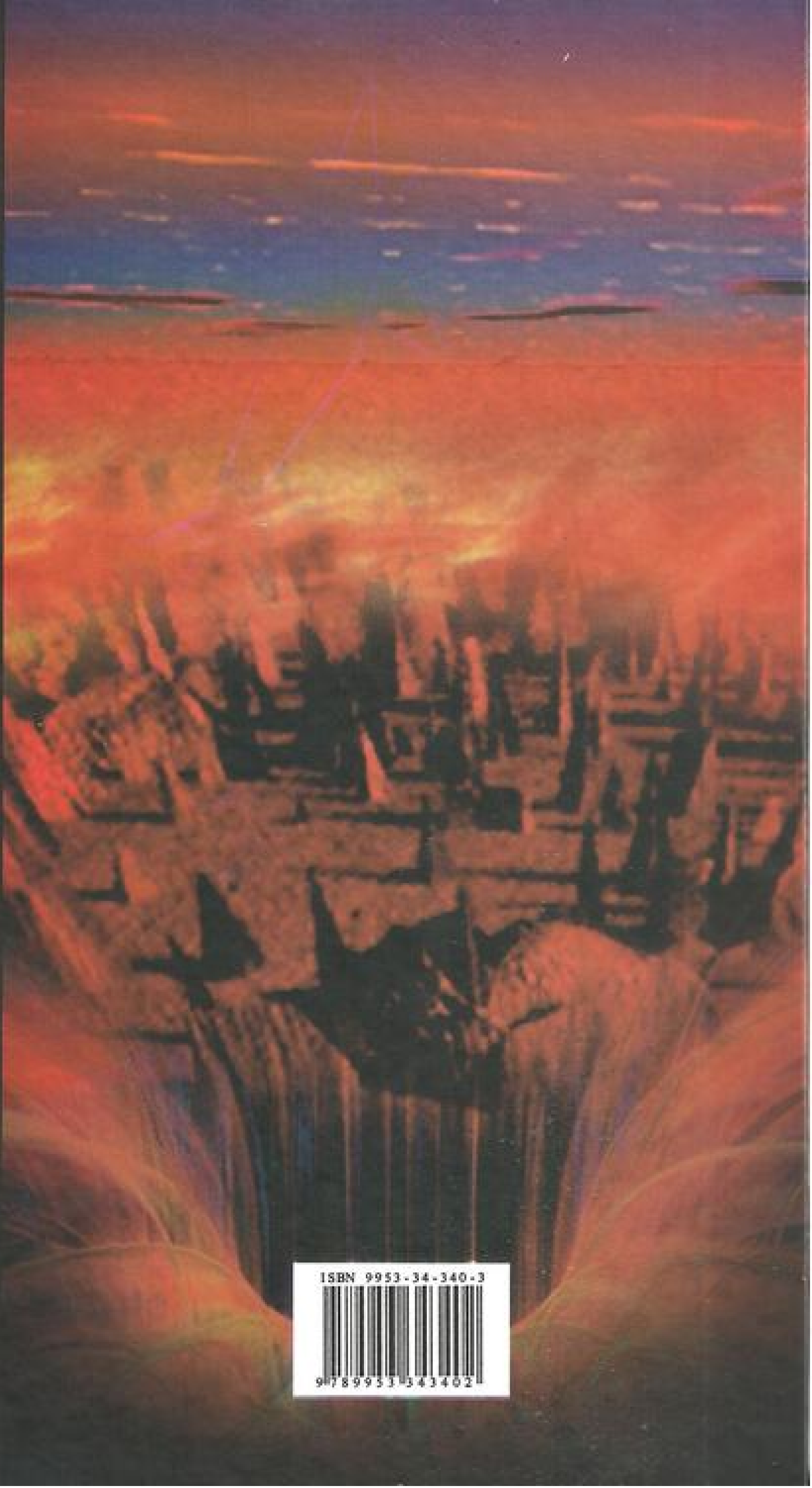
الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع



ISBN 9953-34-340-3
9 789953 343402

جنان الخلد

نعيمها وقصورها وحورها

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم   الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور   الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

جنان الخلد

ماهر أحمد الصوفي

المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

جِنان الخُلد

نعيمها وقصورها وحورها

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلاميّة والأوقاف
دولة الإمارات العربيّة المتّحدة

قدّم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمّد جمعة سالم | الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور | الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ (٠٧) ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-339-X

بسم الله الرحمن الرحيم

قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ .

[سورة الزخرف، الآيات: ٦٨ ـ ٧٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

[سورة الدخان، الآيات: ٥١ ـ ٥٧]

ويقول تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ .

[سورة الغاشية، الآيات: ٨ ـ ١٦]

حديث شريف :

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ـ وفي رواية ثم هم بعد ذلك منازل ـ لا يبولون ولا يتغوطون ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين ـ وفي رواية ـ لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء ».

[رواه مسلم رقم الحديث ٢٨٣٤]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه ».

[رواه مسلم كتاب الجنة رقم الحديث ٢٨٣٦]

ـ عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لو أن امرأة من أهل الجنة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ».

[رواه البخاري ومسلم]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات، القائلِ في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ:

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للَّه رب العالمين على نعمه وآلائه وتوفيقه أن أحياني حتى أكتب الجزء العاشر من الموسوعة (موسوعة الآخرة).

ولقد سعدت سعادة عظيمة عندما بدأت أكتب هذا الجزء الذي عنوانه: «**جنات الخلد نعيمها وقصورها وحورها**» وهو آخر المطاف في رحلة موسوعة الآخرة التي بدأتها في الجزء الأول بعنوان: «**أشراط الساعة الصغرى والكبرى**».

. . . ذلك أن خاتمة الأمر هي النار أو الجنة ولا ثالث لهما، بعد أن يخرج بشفاعة الأنبياء والصالحين من النار أناسٌ كثيرون، ثم يخرج اللَّه سبحانه بشفاعته ورحمته أقواماً كثيرين.

. . ثم تُغَلق الأبواب، فلا أحد يخرج من الجنة، ولا أحد يخرج من النار، ثم يؤتى بالموت على صورة كبش ثم يذبح بين الجنة والنار، وينادي منادٍ يا أهل الجنة فيطلعون، فيقول لهم: خلود ولا موت، وينادي بأهل النار فيقول: يا أهل النار خلود ولا موت.

. . إذاً غاية السعي ومنتهى الأحداث الجنة وهي دار القرار، والخلود فيها فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إنها الدار الخالدة التي وعد اللَّه سبحانه عباده المؤمنين في الدنيا. . إنها الدار التي لا تعب فيها ولا نصب ولا خروج منها. . إنها الدار التي يرضى اللَّه سبحانه فيها عن عباده ويقول سبحانه لهم: إني رضيت عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

. . . نعم إنها الدار التي كنا جميعاً نسعى إليها في جميع أعمالنا وعبادتنا وطاعتنا وصدقاتنا وبرنا وصلتنا للرحم وما نقدمه من معروف وصلة وإصلاح.

. . . إن الحديث عن الجنة ونعيمها ممتع جداً، ويضفي على النفس شعوراً بالسعادة والراحة والهناء، ذلك أنه شعور الفوز والنصر. . وما أعظم الفوز وأكرم النصر في الدنيا، يسعدنا خبر سعيد، أو فوز بسيط، أو نجاح مؤقت، أو انتصار سريع، فننتشي نِشوة طيبة بهذا الفوز وهذا النصر أو النجاح أو الخبر السعيد، فما بالك وأنت بعد أن أمضيت جميع مراحل الآخرة وكنت فيها خائفاً قلقاً وفزعاً من القيام والساعة والبعث والنشور والوقوف في أرض المحشر مع خلق اللَّه سبحانه من إنس وجن ووحش وطير والأعداد بالمليارات، والشمس تدنو من رؤوس العباد قدر ميل والعرق يبلغ في الأرض سبعين ذراعاً فيغط الناس كل حسب عمله. . ويطول الموقف حتى لم تعد الأجساد ولا النفوس أن تتحمل وتصبر، ويستغيث الناس فيشفع لهم سيد الشافعين وسيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين (سيدنا محمد ﷺ . .). . .

ثم كيف وأنت بين يدي اللَّه سبحانه يحاسبك ويقررك على ذنوبك ذنباً ذنباً؟ كيف أنت. . وأنت تعرض على اللَّه سبحانه لا تخفى منك خافية؟ كيف أنت. . وأنت تقرأ كتابك وما فيه من الحسنات والسيئات؟ كيف أنت. . وأنت تجثو مع خلق اللَّه جميعاً على ركبتيك تنتظر أمر اللَّه سبحانه؟. . ثم يبدأ وزن الأعمال فسعيد وشقي، وأنت تقف خاشعاً تدعو ربك أن تكون من أصحاب اليمين وأن يثقل ميزانك وتأخذ صحيفتك بيدك اليمنى. . وإذا خلصت من

هذا كله بعد رحلة طويلة شاقة صعبة، جاء دور عبورك على الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، وقد ضرب على ظهراني جهنم فمسلَّم ناج، ومخدوش، وواقع في جهنم، والنار من تحتك تزفر وتغلي وتشهق.

. . . فتصوَّر أن اللَّه سبحانه نجاك من كل هذا. . ثم دخلت برحمة اللَّه جنات اللَّه سبحانه خالداً مخلداً لك فيها ما تشاء، ولا تعلم ما أخفي لك عند اللَّه من النعيم وقرة الأعين. . إنها دار الخلد والنعيم، ومهما عددنا من أرقام ومليارات المليارات من السنين فإنها تتضاءل أمام الخلد الأبدي. . . وفي عالم الخلود الأبدي. . إنه العالم الذي نكون فيه في رحمة اللَّه سبحانه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٧]

إنه الخلود في رحمة اللَّه الرحيم الحليم الكريم.

. . . إن القراءة عن عالم الجنة وما فيها من نعيم عظيم، لهو من ضروريات بل أولويات حياة المسلم، ذلك حتى يعلم الإنسان المؤمن كم هو مكرَّم؟ وكم له من الكرامات التي جهزها وخبأها اللَّه سبحانه له إلى اليوم الآخر، فإذا قرأ أحدنا هذا الجزء من موسوعة الآخرة أدرك عظيم رحمة اللَّه وكرمه وأدرك أنه مقصِّر في حق اللَّه سبحانه الذي سيكرمه هذا التكريم ويعزّه هذا العز ويجلّه هذا الإجلال.

. . . فلنقرأ ولنسارع إلى طاعة اللَّه وعبادته. . هذا الإلٰه الذي يستحق منا الطاعة والعبادة وعلى الدوام ومن دون انقطاع ولا فتور ولا سهو ولا كسل. .

. . في الدنيا نركض وراء ربح صغير، أو متعة زائفة زائلة،

ونسعى لها ونصرف لها الجهد والمال والرجاء والواسطة.. فكيف بمن يفوز بالجنة؟

كيف بمن وعد بالربح الكبير؟ وهو ربح الجنة وورث الجنة وملك الجنة.

يقول تعالى:

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٢٣]

نحن في الدنيا مستخلفون ومؤتمنون على كل ما فيها، أما في الجنة فنحن الوارثون..

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان، ١٠، ١١]

فهلموا إلى جنات وميراث سيورثكم اللَّه إياه، هلموا إلى طاعة اللَّه.. وما عند اللَّه، وما عند اللَّه خير للأبرار.

مع هذا الجزء نعيش أحلى وأجمل وأمتع ما نتمناه ونسعى إليه في حياتنا الدنيا. اقرؤوا هذا الجزء، وتمتعوا في فِقراته كلها، وأنتم تقرؤون ما أعدَّ اللَّه لأهل الجنة من الكرم والإكرام عسى اللَّه أن يجعلكم هادين مهديين ومن أصحاب الجنة.. اقرؤوا وتوبوا إلى اللَّه توبة نصوحاً، فالدنيا فانية وما عند اللَّه خير وأبقى، اقرؤوا وضاعفوا من طاعتكم للَّه سبحانه، وانتظروا واصبروا واتقوا اللَّه لعلكم تفلحون، اقرؤوا وعاهدوا اللَّه سبحانه على العمل و﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [سورة الصافات، الآية: ٦١].. اقرؤوا وادعوا اللَّه سبحانه أن تكونوا من أهل الجنة وساكنيها، فاللَّه سبحانه لا يرد داعياً ولا سائلاً.

اقرؤوا واعلموا أن كل ما ذكر عن الجنة صحيح، فما جعلت

قلمي يكتب حديثاً ضعيفاً، أو قصة لا أصل لها، أو خبراً موضوعاً.. فما كتبت إلا الحق، وما هو الصحيح مما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة والثقات من علمائنا المشهود لهم بالعلم والفضل.

.. إنها دعوة مفتوحة أدعو بها الناس جميعاً، وبطاقة دعوتي: لا إله إلا اللَّه محمدٌ رسول اللَّه ﷺ.

.. ما قدَّمت هو ما اجتهدت فيه.. وأبى اللَّه سبحانه أن يصح إلّا كتابه، وكتاب غيره من عبيده يعتريه النقص والضعف والخطأ، فأرجو أن يسامحني اللَّه سبحانه عن كل خطأ غير مقصود من واقع إنسانيتي وعبوديتي وضعفي وقلة حيلتي.. كما أرجو أن يأجرني بما أصبت به وأحسنت، واللَّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، وباسم اللَّه أبدأ وبالحمد أختم وبالشكر تزيد النعم.

الفصل الأول

- مدخل .
- أول الإكرام بعد الصراط لأهل الجنان .
- محمد ﷺ أول من تفتح له أبواب الجنة .
- صفة أبواب الجنة .
- كيف يدعى المؤمنون للدخول من أبواب الجنة؟
- يحبس المؤمنون على القنطرة بين الجنة والنار فيهذّبون وينقّون ثم يؤذن لهم بدخول الجنة .
- الأوائل في الدخول .
- صفة أول زمرة يدخلون الجنة بلا حساب .
- أعمار أهل الجنة وصورهم .
- ذكر ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة وما لأعلاهم .
- أسماء أبواب الجنة .
- أسماء الجنان وعددها .
- الفقراء أول الناس سبقاً للجنة .
- تفضيل اللَّه سبحانه الخلق بعضهم على بعض .
- التفضيل في القرآن الكريم .
- تفضيل الدرجات في القرآن الكريم .
- رفع الدرجات بالإيمان والعلم .
- درجات الجنة ومنازلها .
- أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم .

ـ أهل الدرجات العاليات في الجنة .

١ ـ الشهداء .

٢ ـ كافل اليتيم .

٣ ـ حامل القرآن الكريم العامل به .

ـ المنزلة العليا في الجنة لرسول الله ﷺ .

ـ صفة الجنة .

ـ مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله ـ والصلاة . .

ـ إخراج عصاة المؤمنين من النار وإدخالهم الجنة .

ـ آخر الناس دخولاً الجنة .

ـ خلود الجنة وخلود أهلها .

مَدخل

ـ مفهوم الجنة أو الجِنان التي أعدَّها اللَّه سبحانه لعباده المؤمنين يفوق مدى العلم الذي يستطيع أن يعبر عن ماهية الجنان وما فيها وما أعدَّ اللَّه سبحانه للمؤمنين فيها. . ذلك أن اللَّه سبحانه يقول:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٣٥]

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ أي لا يعلم أي إنسان مخلوق على وجه هذه الأرض، ومهما أوتي من علم وحُجة وسَعة في التعبير وقدرة على التخيل والرؤيا أن يقترب بتعبيره مما أعدَّ اللَّه سبحانه في جناته الخالدات. . ذلك أنها صناعة اللَّه سبحانه ومن أحسن من اللَّه صنعة، وخلق اللَّه سبحانه ومن أحسن من اللَّه خلقاً، فتبارك اللَّه فهو أحسن الخالقين، وإعدادُ اللَّه سبحانه ومن أعظم من اللَّه إعداداً. . . وأنّى لأحدنا أن يصل إلى علم اللَّه وقدرة اللَّه ومعرفة علم اللَّه سبحانه.

وفي كل هذا حكمة من اللَّه سبحانه حتى يستعد الناس لها ويعملوا من أجلها، ويتنافس فيها المتنافسون، وإنما ذكر اللَّه سبحانه بعض أوصافها في القرآن الكريم، لتقريب ذلك المجال وهذا الإعداد الرباني لمفهوم عباده المؤمنين، ليعلموا أن ما ينتظرهم أمر عظيم يفوق كل تصوُّراتهم وأمانيهم وتمنياتهم، فيرغبون لهذا بالعمل على

رضا اللَّه سبحانه وطاعته وعبادته، حتى يكونوا من الناس الأتقياء الصالحين الذين يبتعدون عن معصيته، ويكونوا في الدنيا في أخلاقهم ونقائهم واستقامتهم أهلاً لهذا اللقاء وهذا الموعد وهذه الجنان التي لا يستحقها الذين لا يعرفون للتوحيد طعماً وحلاوة. . . فالجنة لا يسكنها إلا الصالحون الذين يستحقونها بشرف التقوى وصلاح النفوس وبمفهوم التوحيد وشعاره **(لا إلٰه إلا اللَّه)** هذا الشعار الذي قامت عليه الدنيا بأسرها، أو قل الكون بأسره وما فيه من عظيم خلق اللَّه سبحانه من مجرات ونجوم وكواكب وسموات لا نعلم ما فيها من عظيم خلق اللَّه. . . فالحديث عن الجنة أو الجنان يختلف عن الحديث عن أي شيء آخر، مهما عظمت مكانته وشرف موقعه إلا ما كان عن ذات اللّٰه العليّ وخاصة خلقه من عرشه وكرسيه وما لا نعلم من قدرات الإلٰه الواحد الأحد. . ذلك أن الجنان هي التي يعيش فيها خلق اللّه والمؤمنون الموحدون خالدين بِعُمُر يمتد إلى ما لا نهاية، ومهما ذكرنا من امتداد للزمن وقلنا مليارات السنين أو آلاف مليارات أو ملايين المليارات من السنين فإنها جميعاً تتناقصُ أمام مفهوم الخلد الأبدي في مقعد الصدق الأمين عند مليك مقتدر. . في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. . في جنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين. . في جنة للمؤمن فيها ما يشاء وما يريد، لا يعوزه طلب ولا يخيب له رجاء. .

نعم إنها الجنة التي لا يوجد فيها بلاء ولا نصب ولا وجع ولا ألم ولا تعب ولا إرهاق ولا مَلَل ولا كسل ولا فيها جوع ولا ظمأ. . بل هي ارتواء ونضارة وجمال أخّاذ، قصورها من ذهب وأرضها من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والمَرجان، وأشجارها لا توصف من حسنها وجمالها، وفيها مما لذ وطاب من فاكهة وأَبٍّ، عليها طيور

البخت تلبي المؤمن إذا اشتهاها وتمناها، لا يعوزه طلب ولا يحتاج إلى إعمال فكر واجتهاد ونص بل هي أماني وتحقيق، وطلب وتنفيذ.

رحمة اللَّه سبحانه تعم المكان وساكنيه، وليس بعد رحمة اللَّه عزَّ وجلَّ رجاء، يناديهم ربهم يا عبادي خلود ولا موت، بل يذبح الموت على القنطرة قبل دخول عباد الرحمن إلى جناتهم، حتى تطمئن قلوبهم وتستعد نفوسهم ويعلموا أن وعد اللَّه حق، ولن يخلف وعده، يناديهم ربهم هذه جناتي ما أنتم بخارجين منها، ولن يصيبكم فيها تعب ولا نصب، أُحِلُّ عليكم رضواني فلا تشقَوْا بعده أبداً، هذه جناتي أعددتها لكم بذاتي العلية كرامة لكم ولإيمانكم وما عملتم في رضائي ـ ادخلوها بسلام آمنين مطمئنين راغدين راشدين سعداء، تدخل عليكم الملائكة من كل باب للسلام والتحية في كل مكان، فيها حور عين من أحسن ما أعدَّ اللَّه سبحانه، وغِلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون في مُلك كبير لا يعلم مداه واتساعه إلا اللَّه سبحانه، وتُمتَّع الأجساد ويتحقق الرجاء لا يبلى الشباب ولا تفنى الأجساد، يلبسون من سندس أخضر، يُحلّون فيها من أساور الذهب والفضة، يتكئون على فُرُش بطائنها من إستبرق وجنى الجنان دان عليهم، يأكلون ولا يتغوطون، يشربون ولا يبولون، لا نجس ولا خبث ولا خبائث.. كل ما فيها من صناعة اللَّه الخالق القادر العليم الحليم الغفور الرحيم، قد ابيضت الوجوه من نور اللَّه سبحانه الذي يكسبه لعباده في جناته.. حسن في حسن وجمال في جمال ومتعة في متعة وسعادة مطلقة وحياة خالدة، وفوق كل هذا الذي يتلاشى ويتضاءل أمام رؤية اللَّه سبحانه، الذي إذا رأيناه ونحن في جناته الخالدة لا نريد ونحن في عظيم هذه المتعة إلا دوام رؤية اللَّه الحق المبين.. فإلى جنات اللَّه الخالدة ومع ماتعة هذا الجزء العاشر من الموسوعة، الذي يتحدث عن جنان اللَّه،

نرحل رحلة إلى كتاب اللَّه لنطلع على ما أعدَّ اللَّه لنا في جناته، وإلى أحاديث الرسول ﷺ التي كثرت وهي تتحدث عن الجنة والجنان وما أعدَّ اللَّه سبحانه فيها، وإلى قول العلماء والمفسرين والشارحين والمحللين وأصحاب الرأي والعلم.... لنرى ونسمع بل ونشاهد بعض ما أعدَّ اللَّه لنا في جناته، والتي نرجو من اللَّه أن يكون لنا فيها نصيبٌ مع عباده المؤمنين.

أول الإكرام
بعد الصراط لأهل الجنان

. . . لقد مر معنا في الجزء الثامن من الموسوعة أن آخر يوم القيامة يكون في عبور الصراط الخاص بالمؤمنين دون الكافرين والمشركين، وقد ذكرنا الأحاديث الشريفة عن هذا العبور الذي يكون على أنواع كثيرة. فمن المؤمنين من يَمُرُّ كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كأجاويد الخيل ومنهم كالماشي ومنهم المخردل ومنهم من يمشي تارة ويقف تارة ومنهم من يمشي على بطنه. . فإذا ما تم العبور استقبلت المؤمنين عَرَضَةٌ تكون قِبَل الجنة لا يعلم حجمها ومداها إلا اللَّه سبحانه، يجتمع فيها المؤمنون قبل دخولهم الجنات وقبل أن تفتح لهم الأبواب.

. . . لقد انتهى يوم القيامة وما كان فيه من امتداد للزمن حتى وصل إلى خمسين ألف سنة، وكذلك انتهت المواطن التي من هولها وفزعها توقف القلوب وتقطع الأوصال ـ وفيها العرض على اللَّه سبحانه ـ والحساب ـ والميزان وعبور الصراط وكلها تحدّثنا عنها بشيء من التفصيل في أجزاء الموسوعة. . . . فإذا خَلص المؤمنون بجمعهم استعدوا لدخولهم الجنة بإذن اللَّه سبحانه ورحمته. .

. . هذا المكان هو ليس من الجنة ولكنه قريب من الجنة، فيه من رحمة اللَّه ما أعدَّه لعباده في هذه المرحلة. . ففيه من نسائم الجنة وفيه حضرة الجنة وفيه سعادة الجنة وراحة الجنة وأنهار الجنة

ـ ما يكون استعداداً للدخول وكأن اللَّه سبحانه يريد أن يستعدوا للجنة بمرحلة تستبقها لأن الجنة وما فيها وما أعدَّ اللَّه فيها تحتاج إلى تهيئةٍ للدخول وحتى تستعد نفس وجسد المؤمن وروحه لاستقبال هذا الجمال الذي لا يوصف. . فكانت تلك العَرَصة الهائلة والفُسحة الكبيرة من الأرض وفيها بعض جمال وروائح ومتع وأنهار الجنة.

قال عبد اللَّه بن المبارك: «**حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد ابن هلال، قال: ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صوَّر صورة أهل الجنة، وألبس لباسهم، وحلي حليهم، وأُريَ زوجاتِه وخدمه، فيأخذه سوار فرح، لو ينبغي له أن يموت لمات من سوار فرحه، فيقال له: أرأيت فرحتك هذه، فإنها قائمة لك أبداً**»[1].

وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد: حدثنا سويد بن سعيد، أنبأنا علي ابن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق، حدثنا النعمان بن سعد قال: «كنا جلوساً عند علي، فقرأ هذه الآية الكريمة ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

[سورة مريم، الآيتان: ٨٥، ٨٦]

قال: لا واللَّه، ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها، عليها رحالٌ من ذهب، فيركبون عليها، حتى يضربوا أبواب الجنة»[2].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو غسان، مالك بن إسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي، سمعت أبا معاذ البصري، قال: إن

---

(١) رواه ابن المبارك في زيادات الزهد صفحة ١٢٩ وابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ١٤٩ وأبو نُعيم في الحلية ٢/ ٢٥٢.

(٢) رواه عبد اللَّه في زوائد مسند الإمام أحمد (١/ ١٥٥)، وروى ابن جرير وابن أبي حاتِم نحوه وزاد عليه. (يفد عليها برِحالٍ من ذهب وإن فيه الزبرجد).

علياً كان يوماً عند رسول اللَّه ﷺ، فقرأ علي هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

[سورة مريم، الآية: ٨٥]

فقال: ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون، أو يؤتون، بنوق بيض لها أجنحة، وعليها رحال الذهب، شراك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مد البصر، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من إحداهما، فتغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى، فلا تشعث أبشارهم وأشعارهم بعدها أبداً، وتجري عليهم نضرة النعيم، فينتهون أي يأتون إلى باب الجنة، فإذا حلْقة من ياقوتة حمراء، على صفائح الذهب، فيضربون بالحلقة على التصفيح، فلا يسمع لها رنين يا علي، فتسمع كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتبعث قيمها فيفتح له، فإذا رآه خرَّ له**» قال مسلمة: أُراه قال: ساجداً، «**فيقول: ارفع رأسك، إنما أنا قيمك وكلت بأمرك، فيتبعه، ويقفو أثره، فتستخف الحوراء العجلة، فتخرج من خيام الدر والياقوت، حتى تعتنقه، ثم تقول: أنت حِبي وأنا أحبك، وأنا الخالدة التي لا أموت، وأنا الناعمة التي لا تبأس، وأنا الراضية التي لا أسخط، وأنا المقيمة التي لا أظعن، فيدخل بيتاً من أسه إلى سقفه مئة ألف ذراع، بناؤه على جندل اللؤلؤ وطرائفه، وأحمر، وأصفر، وأخضر، ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها، وفي البيت سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحلل، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه، الأنهار من تحتهم تطرد، أنهار من ماء غير آسن، قال: صاف لا كدر فيه، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، لم يخرج من ضروع الماشية، وأنهار من خمر لذة للشاربين، لم يعصرها الرجال بأقدامهم، وأنهار من عسل مصفى، لم يخرج من بطون النحل.**

فيستحلي الثمار، فإن شاء أكل قائماً، وإن شاء قاعداً، وإن شاء متكئاً، ثم تلا ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ١٤]

فيشتهي الطعام، فيأتيه طير أبيض، قال: وربما قال: خضر، فترفع أجنحتها، فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء، ثم يطير فيذهب فيدخل الملك، فيقول: سلام عليكم.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١]».

[سورة الزخرف، الآية: ٧٢]

وقال أبو قاسم البغوي: «**حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا زهير، عن أبي إسحاق، عن عاصم، عن علي قال: ذكر النار فعظم أمرها، ذكراً لا أحفظه قال:** ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٣]

حتى إذا انتهوْا إلى باب من أبوابها، وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمَدوا إلى إحداهما، كأنما أمروا به، فيشربون منها، فأذهبت ما في بطونهم من قذى، أو أذى، أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتطهروا منها، فجرت عليهم نضرة النعيم، ولم تغير أشعارهم بعدها أبداً، ولا تشعث رؤوسهم، كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى الجنة، فقالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٣]

ثم تلقاهم الوِلدان فيطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٥٤٠/ ٥٤١).

يقدم عليهم، يقولون: أبشر بما أعدَّ اللَّه لك من الكرامة، ثم ينطلق غلام من تلك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: جاء فلان، باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا، قالت: أنت رأيته؟ قال: أنا رأيته، وهو بإثري فيستخف إحداهن الفرح، حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ، فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق، ولولا أن اللَّه ثبته لكاد أن يذهب بصره، ثم طأطأ رأسه، فإذا أزواجه، ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ١٤ ـ ١٦]

ثم اتكؤوا فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

ثم ينادي مناد: تحيون فلا تموتون أبداً، وتقيمون فلا تظعنون أبداً، وتصِحّون فلا تمرضون أبداً»(١).

وقال ابن أبي الدنيا: «حدثنا خالد بن خداش، حدثنا مهدي بن ميمون، عن محمد بن عبيد بن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف، قال: كنا جلوساً إلى عبد اللَّه بن سلام، فقال: إن أكرم خليقة على اللَّه أبو القاسم ﷺ، وإن الجنة في السماء، وإن النار في الأرض السفلى، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أحمد وأمته؟ فيقوم، وتتبعه أمته، برها وفاجرها، فيأخذون الجسر، ويطمس اللَّه أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي ﷺ، والصالحون معه، وتتلقاهم الملائكة

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٧٤) وابن القيم في حادي الأرواح وابن أبي شيبة في المصنّف (١٢/ ١١٢).

وبيوتهم ومنازلهم من الجنة على يمينك، على يسارك، حتى ينتهي إلى ربه، فيلقى له كرسي من الجانب الآخر، ثم يتبعهم الأنبياء والأمم، حتى يكون آخرَهم نوحٌ عليه الصلاة والسلام»[١].

---

(١) ذكره ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية (٤/ ٣٨١) وعزاه للحارث، ورواه ابن المبارك في زيادات الزهد صفحة (١١٨ ـ ١١٩).

محمد ﷺ أول
من تفتح له أبواب الجنة

وقد ورد حديث الصور: أنهم يضرب لهم حياض بعد مجاوزة الصراط، وأنهم إذا وصلوا إلى باب الجنة، يستشفعون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد، صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين: فيكون رسول اللَّه ﷺ هو الشفيعَ لهم في ذلك، كما ثبت في الصحيح عند مسلم، من حديث أبي النضر عن هاشم بن القاسم.... إلخ.

وروى الإمام أحمد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك**»(١).

وقال مسلم: حدثنا أبو كريب ومحمد بن العلاء، حدثنا معاوية ابن هشام، عن سفيان، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**»(٢).

وفي صحيح مسلم: « **يجمع اللَّه تعالى الناس فيقوم المؤمنون،**

---

(١) رواه مسلم (١٩٧) في الإيمان، باب: في قوله النبي ﷺ: « أنا أول الناس يشفع في الجنة» وأحمد (٣/ ١٣٦).

(٢) رواه مسلم (١٩٦) في الإيمان.

حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول لهم: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك»، وذكر تمام الحديث، وهو شاهد قوي لما ذكر في حديث الصور، من ذهابهم إلى الأنبياء مرة ثانية، يستشفعون إلى اللّٰه في دخولهم الجنة، ويستأذنونه، فتنحصر القسمة أيضاً ويتعين لها رسول اللّٰه ﷺ، كما تعين للشفاعة الأولى العظمى، كما تقدم، واللّٰه أعلم(١).

وقد عبَّر القرآنِ الكريم عن هذا الورود إلى أبواب الجنة وكيف يساق المؤمنون إليها زمَراً، وكيف تفتح أبوابها ويستقبلهم الملائكة من خزنتها استقبالاً عظيماً كله بشرى وفرح وسرور وتطمين ومحبة وسلام.

يقول تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ * قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ * وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ * وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآيات: ٦٩ ـ ٧٥]

---

(١) رواه مسلم (١٩٥) باب أدنى أهل الجنة منزلة.

صفة أبواب الجنة

لقد ذكر رسول اللَّه ﷺ صفة أبواب الجنة في حديث الشفاعة العظمى والحديث طويل، ومما جاء فيه عن صفة أبواب الجنة:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: أُتي رسول اللَّه ﷺ يوماً بلحم فَرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بما ذاك... إلى أن قال: فيأتوني فيقولون: يا محمد! أنت رسول اللَّه وخاتم الأنبياء، وغفر اللَّه لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى اللَّه، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح اللَّه عليَّ ويلهمني محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك، سل تعطهْ، اشفع تشفّع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب! أمتي، أمتي، فيقال: يا محمد! أدخل الجنة من أمتك، من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر أو كما بين مكة وبُصرى**»(١).

هجر: من مدن البحرين وبينها وبين مكة ١١٦٠ كم.

بُصرى: في بلاد الشام وبينها وبين مكة ١٢٥٠ كم.

أي إن مَسافة الباب الواحد ما يقرب من ١٢٠٠ كم، وفي الحديث: إنه على اتساعها يأتيها يوم تكون مكتظة من الزحام.

---

(١) متفق عليه الفتح ١٠/ ١٠ ومسلم ١٨٤، رواه مسلم والترمذي (التاج الجامع للأصول) ولم يذكر البخاري.

كيف يُدعى المؤمنون للدخول من أبواب الجنة

. . . أبواب الجنة ثمانية، ولقد تقدَّم أن ما بين جانبي الباب كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى، وسيدعى الصالحون كل بما سبق من التطوع، فمن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان وسيدعى قوم من جميع تلك الأبواب، ولعلهم السابقون ومنهم أبو بكر رضي اللَّه عنه كما في الحديث.

قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٣]

وقال اللَّه تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۞ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل اللَّه نودي من أبواب الجنة: يا عبد اللَّه هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**»، فقال أبو بكر رضي اللَّه عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة[١]، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**» متفق عليه[٢].

قال الحافظ ابن حَجَر: في الحديث إشعار بقلة من يدعى من تلك الأبواب كلها، وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بجميع أنواعها، ثم

(١) جملة معناها ما عليه من ضرر ولا خوف. (٢) الفتح ٥/ ١٣ ومسلم ٧١٢.

من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه. والله أعلم(١) .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد»**(٢) .

(١) الفتح ٨/ ٢٦.
(٢) الفتح ٥/ ١٣ ومسلم ٨٠٨.

يحبس المؤمنون على القنطرة بين الجنة والنار فيهذّبون وينقوا ثم يؤذن لهم بدخول الجنة

. . . إذا جاز المؤمنون على الصراط ونجوا من النار وُقفوا، فَمنْ أذن اللَّه سبحانه لهم دخلوا الجنة، إلا من كانت له مظلِمة عند أخيه فإنهم يُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار لِيقتص بعضهم من بعض ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار فيُحبسون على القنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة كان في الدنيا**»(١).

قال الحافظ ابن حجر: ولعل أصحاب الأعراف منهم، يعني رَحِمهُ اللَّه: الذين كانت عندهم مظالم كثيرة لإخوانهم بحيث تستوي حسناتهم وسيئاتهم فيطول حبسهم، ويرون أصحاب الصراط يسقطون في النار، فيشفقون منها ويرون أصحاب الجنة في الجنة فينادونهم: ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٦]. واللَّه أعلم.

وفي الحديث القدسي:

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: يقول تعالى:

---

(١) الفتح ١٤/ ١٩٠.

« ينادي المنادي من بطنان العرش يوم القيامة: يا أمة محمد! إنّ اللّه تعالى يقول: ما كان لي قِبَلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي» .

[رواه إبراهيم المقري في التبصرة]

عن أم هانئ رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ : يقول تعالى: **« ينادي منادٍ: يا أهل التوحيد! ليعف بعضكم عن بعض وعليَّ الثواب»** .

[رواه الطبراني]

بطنان العرش: وسطه.

التبعات: جمع تَبِعة وهي ما تطلبه من ظُلامة ونحوها.

ـ الأوائل في دخول الجنَّة:

. . . سيدنا رسول اللّه ﷺ أول البشر دخولاً وأمته أول الأمم دخولاً الجنة. . وفي الحديث أن أبا بكر رضي اللّه عنه أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ بعد النبي ﷺ .

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : **« أنا أول من يقرع باب الجنة»**(١) .

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : **« آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»**(٢) .

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : **« أتاني جبريل فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي»** ، فقال أبو بكر: يا رسول

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم ١٨٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

اللَّه وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نحن الآخِرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة**»(٢).

ـ صفة أول زمرة يدخلون الجنة:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون(٣) ولا يمتخطون(٤) ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب ورشحهم(٥) المسك ومجامرهم(٦) الألوة(٧) وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خُلُق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء**»(٨).

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون، ولا يتفلون فيها، ولا يمتخطون فيها، ولا يتغوطون فيها، أمشاطهم الذهب، ومجامرهم من الألوَّة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا**

---

(١) رواه أبو داود في سننه.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

(٣) لا يتغوطون: أي لا يتبرزون.

(٤) لا يمتخطون: المخاط من الأنف كاللعاب من الفم.

(٥) الرشح: أي ندى العرق على الجسد.

(٦) المجامر: جمع مجمر. ومجمر بالكسر هو الذي يجعل فيه الجمر والبخور، وبالضم الذي يتبخر به وأعد له الجمر.

(٧) الألوة: هو العود الهندي الذي يتبخر به.

(٨) الفتح ٧/ ١٧٥ ومسلم ٢٨٣٤.

تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبِّحون اللَّه تعالى، بكرة وعشياً»[١] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءةً، لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خُلُق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء»**[٢] .

ـ الذين يدخلون الجنة بلا حساب:

لقد تقدّم الحديث عن أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين وصل بهم التقوى والعمل الصالح بعد الإيمان باللَّه سبحانه إلى أعلى درجات التقوى وأعلى درجات العمل الصالح.. فهؤلاء لا حساب عليهم ولا ميزان ولا صحف إلا صحفاً مكتوباً فيها (براءة من اللَّه ورسوله ﷺ) وهؤلاء هم الزمرة الأولى الذين تحدثنا عنهم في الفِقْرة السابقة حيث بيَّن رسول اللَّه ﷺ صفتهم، عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف ـ لا يدري ـ أبو حازم أيهما قال ـ**

(١) رواه أحمد (٢٠/٣١٦)، والبخاري (٣٢٤٥) في بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم (٢٨٣٤) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها. « زمرة» : جماعة. « رشحهم المسك» أي: عرقهم. « الألوة» : هي العود الذي يتبخر به، وهو العود الهندي.

(٢) رواه أبو يعلى (٦٠٨٤) والبخاري (٣٢٤٥) في أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، ومسلم (٢٨٣٤) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر.

متماسكون، آخذ بعضهم بعضاً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر »[١].

ومن فضل اللَّه سبحانه ونعمه وكرمه أنه أعطى رسول اللَّه ﷺ مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً.

عن أبي بكر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عزَّ وجلَّ فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً »**[٢].

عن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حَثَيات من حثَيَات ربي »**[٣].

وفي حديث شريف بيَّن رسولُ اللَّه ﷺصفة أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا ميزان، وهم السبعون ألفاً وزياداتهم وثلاث حثيات معهم من حثيات رب العالمين كما في الحديثين المتقدمين.

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الأفق الآخر فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب »**، ثم نهض فدخل

---

(١) الفتح ١٤/ ٢٠٦ ومسلم ٢١٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده وإسناده صحيح. صحيح الجامع (١٠/ ٣٥٠) رقم (١٠٦٨).

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن حبان. صحيح الجامع (٦/ ١٠٨) رقم ٦٩٨٨.

منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول اللّه ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا باللّه وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول اللّه ﷺ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه**»؟ فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»، فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادعُ اللّه أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**»، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع اللّه أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك إليها عكّاشة**».
[متفق عليه»(١)

بعض معاني كلمات الحديث:
السواد: الجمع ـ خاض: تكلم ـ لا يكتوون: أي لا يستعملون الكي في البدن للتداوي ـ الاسترقاء: طلب الرُّقية للتداوي ـ التطير: التشاؤم.

وأهل هذه الزمرة الذين لا حساب عليهم والذين يدخلون الجنة بغير حساب، لهم في القرآن الكريم وصف في سورة الواقعة، حيث وصفهم اللّه سبحانه بالسابقين المقربين عند اللّه سبحانه في جنات النعيم، وأكثرهم من الأولين وقليل منهم من الآخرين.. هؤلاء الذين غرس اللّه سبحانه كرامتهم بيديه محبة بهم وتقديراً وتعظيماً حيث كانوا رموزاً شامخة في الإيمان والعمل والجهاد والعلم والعطاء والأثرة ورقة القلب والمحبة والوفاء والخلق العظيم.

يقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٤]

---

(١) الفتح ١٤/١٩٨ ومسلم (٢١٨).

ـ أول ثلاثة أصناف من المؤمنين يدخلون الجنة:

وهؤلاء أخيار اللَّه سبحانه لعلمه فيهم وبما كانوا عليه في الحياة الدنيا.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف متعفِّف، وعبد أحسن عبادة اللَّه ونصح مواليه**»(١).

ـ أعمار أهل الجنة وصورهم:

وقد رواه أبو بكر بن أبي داود، حدثنا محمود بن خالد، وعباس ابن الوليد، قالا: حدثنا عمر عن الأوزاعي، عن هارون بن دياب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يبعث أهل الجنة على صورة آدم ميلاد ثلاث وثلاثين سنة، جرداً مرداً، مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة، يكسون منها، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»(٢).

عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة جرداً، مرداً، مكحلين بني ثلاث وثلاثين**»(٣).

ـ ذكر ما لأدنى أهل الجنة منزلة من الكرامة وما لأعلاهم:

عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول اللَّه ﷺ قال: «**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ**

---

(١) رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن، جامع الأصول (١٠/ ٥٣٥).

(٢) رواه ابن أبي داود في البعث رقم (٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٦) وصفة الجنة (٢/ ١٠٤)، والطبراني في الصغير (٢/ ١٤٠)، ورواه أيضاً في الأوسط كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وقال الهيثمي: وإسناده جيد.

(٣) رواه الترمذي برقم (٢٥٤٥) وأحمد (٥/ ٢٣٢) وأبو نعيم (٢٥٧).

مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت، رب! فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، ومثله فقال في الخامسة: رضيت، رب! فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت، رب! قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقهُ في كتاب اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] ».

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: قال اللّه عزَّ وجلَّ: «**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. متفق عليه[2].

ـ أسماء أبواب الجنة:

قال اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٣]

قال جماعة من أهل العلم: هذه واو الثمانية، فللجنة ثمانية أبواب. واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»[3].

وجاء في تعيين هذه الأبواب لبعض العلماء كما جاء في حديث الموطأ وصحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل اللّه نودى في الجنة: يا**

(١) رواه مسلم برقم (١٨٩). (٢) الفتح ٧/ ١٣٢ ومسلم (٢٨٢٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه وأبو داود في كتاب الطهارة رقم ١٦٩ ـ ١٧٠.

عبد اللَّه هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»؛ فقال أبو بكر رضي اللَّه عنه: يا رسول اللَّه، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كُلِّهَا؟ قال: «**نعم! وأرجو أن تكون منهم**»[١].

قال القاضي عياض: ذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره بقية الثمانية فذكر منها: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن، الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

وعلى هذا فإن الجنة لها ثمانية أبواب:

باب الصلاة ـ باب الجهاد ـ باب الصدقة ـ باب الريان ـ باب التوبة ـ باب الكاظمين الغيظ، باب الراضين ـ الباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

. . . ولقد استدل بعضهم أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية أبواب من الحديث الذي رواه البخاري، عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صادقاً من نفسه أو قلبه** ـ شك أيهما قال ـ **فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة**»[٢].

ذلك أنه يقول: فتح له من أبواب الجنة ثمانية. . أي العدد أكثر من ثمانية، ولكن أصح الروايات أنها ثمانية.

---

(١) رواه البخاري رقم الحديث (١٨٩٧).   (٢) رواه الترمذي.

أسماء الجنة وعددها

لقد بيَّن القرآن الكريم أسماء الجنة وعددها في آيات كريمة، فقد وردت أسماؤها وبأنها أربع جنان: جنة الفردوس ـ جنة عدن ـ جنة الخلد ـ جنة المأوى ـ وأعلى هذه الجنان الفردوس ومنها تفجر أنهار الجنة.

١ ـ جنَّة الفردوس:

يقول اللَّه تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠، ١١]

٢ ـ جنَّة عدن:

يقول تعالى:

﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۞ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۞ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

[سورة ص، الآيات: ٤٩ ـ ٥٤]

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٧٢]

.. ولقد ذكرت جنات عدن في اثنتي عشرة آية كريمة.

٣ ـ جنَّة الخلد:

يقول تعالى:

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا * لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ١٥ ـ ١٦]

٤ ـ جنَّة المأوى:

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ١٣ ـ ١٦]

الفقراء أول الناس سبقاً إلى الجنة

لقد صح في الأحاديث الشريفة أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة بمدة زمنية.. وربما لا يكون هذا على العموم.. فمن الأغنياء شاكرون حامدون عابدون مصدقون لهم فضل كبير وهم ملازمون للطاعة والعبادة.

قال عليه الصلاة والسلام: «**اتقوا اللّه في الفقراء، فإنه سبحانه يقول يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: من هم يا ربنا؟ فيقول: الفقراء الصابرون الراضون بقدري أدخلوهم الجنة. قال:**

فيدخلون الجنة يأكلون ويشربون والأغنياء في الحساب يترددون».

الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الفقراء المجاهدون يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمِائة عام**»[١]. خرّجه من حديث الأعمش سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد، وقال فيه: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمِائة عام نصف يوم**»[٢]. قال: هذا حديث حسن صحيح. وفي طريق أخرى: «**يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمِائة عام**»[٣]. قال: حديث حسن صحيح.

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً**»[٤]. قال: حديث صحيح، وخرَّجه من حديث أنس[٥] أيضاً وقال فيه: حديث غريب.

وفي صحيح مسلم، من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً**».

الأحاديث تشير إلى تقدم الفقراء، ولكنهم الفقراء الصابرون العابدون الراضون الذين صبروا على فقرهم في حياتهم الدنيا، فكان

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد (٣٧)، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث رقم (٢٣٥١) ٤/ ٥٧٧، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٦) منزلة الفقراء، حديث رقم (٤١٢٣) ٢/ ١٣٨١.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب (٣٧) رقم (٢٣٥٣) ٤/ ٥٧٨.

(٣) في سنن الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٤) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب (٣٧) حديث رقم (٢٣٥٥) ٤/ ٥٨٧.

(٥) في كتاب الزهد، باب (٣٧). حديث رقم (٢٣٥٢) ٤/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

لسانهم لسانَ الحامد الشاكر العابد، وهؤلاء بلا شك يكرمون يوم القيامة عند دخولهم الجنة واللّه سبحانه يقول يوم القيامة لأولئك الصُّبَّر على الفقر:

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ٢٤]

ومعنى الآية الكريمة واضح ـ أي بما نلتموه من حرمان في الدنيا لفقر قد ألمّ بكم، ليس عن هوان فيكم إنما لإرادة يريدها اللّه سبحانه.

... وكم من الآيات الكريمة التي تحدث اللّه سبحانه عنها في كتابه ـ محرضاً المؤمنين أن يقرضوا اللّه في الدنيا قرضاً حسناً وهو يضاعف لهم في الدنيا ولهم في الآخرة أجر عظيم. يقول تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

... وماذا يفعل اللّه سبحانه بقرضنا بل القرض والصدقة للفقراء والمحتاجين من المسلمين، واللّه بعد قرضهم هذا سيعوضهم يوم القيامة، إذاً هناك إكرام خاص للفقراء عند اللّه سبحانه، فهم يتقدمون في دخولهم الجنة على الأغنياء وهي إحدى الكرامات الإلٰهية لهم.

تفضيل اللَّه سبحانه الخلقَ بعضهم على بعض

لقد أشار القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة إلى وجود التفاضل والدرجات في كل شيء، حتى بين الملائكة المقربين والأنبياء والرسل، وكذلك عموم الناس فَضَّل بعضهم ورفع بعضهم درجات عن بعض، وهذه سنة اللَّه سبحانه في خلقه وهي من كمال الحكمة الإلٰهية.

وواقع التفضيل والدرجات ليس بالانتقاء أو العشوائية، وحاشىٰ للَّه ذلك، إنما من علم اللَّه وفضل اللَّه سبحانه، وفضَّل الآخرين بعضهم على بعض بالعمل والعلم والاجتهاد والصبر، فمن الأنبياء أنبياء سُموا (بأولي العزم) ومنهم من لم يسم بذلك، ومن الناس مجاهدون وأهل علم وأهل فضل ومنهم دون ذلك، لذلك كان الناس درجاتٍ فضل اللَّه بعضهم على بعض.

. . . . وأما الدرجات في الجنة فإنها كثيرة جداً وهي كائنة بارتفاع درجات الناس وأعمالهم في الحياة الدنيا. . فلا يمكن أن تتساوى أعمال الناس في الدنيا وكذلك لا يمكن أن تتساوى الدرجات في الجنة.

التفضيل في القرآن الكريم

يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٣٢]

ويقول تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٣٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٧١]

ويقول تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٣]

ويقول سبحانه في فضل المجاهدين في سبيل الله:

﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٩٥]

وكذلك فضَّل اللَّه الخلائق والأجناس بعضها على بعض.

يقول تعالى في تفضيله البشر على كثير ممن خلق:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

تفضيل الدرجات في القرآن الكريم

التفضيل بأمر اللَّه سبحانه لعلمه بسائر خلقه، وأما درجات الدنيا فإنها تكون بأمر اللَّه سبحانه وبما يكون عليه العبد الذي خلقه اللَّه سبحانه، ولكن الدرجات في الآخرة تكون بالعمل والاجتهاد وطاعة اللَّه سبحانه وتنفيذ أمره في الدنيا والابتعاد عن ما نهي عنه، فالأنبياء عليهم السلام أعظم عملاً واجتهاداً وخيراً فهم في أعلى الدرجات، وأما العلماء العاملون: أهل العلم والعمل والاجتهاد ابتغاء مرضاة اللَّه، فهم في الدرجات العلى مع أهل الصلاح والتقوى، وكذلك أهل القرآن الكريم والشهداء والمجاهدون في سبيل اللَّه... كل هؤلاء وغيرهم من المؤمنين الصالحين في الدرجات العلى في جنات اللَّه الخالدات.

ويقول ابن تيمية شيخ الإسلام: «**الجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء اللَّه المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم**».

لكل درجات مما عملوا

يقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

[سورة الأنفال، الآية: ٤]

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ١٩]

﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

[سورة الحديد، الآية: ١٠]

الدرجات العلى ـ فالجنات درجات بعضها فوق بعض

يقول تعالى:

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ .

[سورة طه، الآية: ٧٥]

رفع الدرجات بالإيمان والعلم

يقول تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ .

[سورة المجادلة، الآية: ١١]

الآخرة أعظم درجات عند اللّه سبحانه

قال تبارك وتعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآيات: ١٨ ـ ٢١]

درجات الجنة ومنازلها

وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ أن الجنة درجات كثيرة، وفيها من الدرجات بين عباد اللَّه المؤمنين كلٌّ بما عمل، وأتى اللَّه سبحانه بهذا العمل.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: **«من آمن باللَّه وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على اللَّه أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل اللَّه، أو جلس في أرضه التي ولد فيها، فقالوا: يا رسول اللَّه، أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مِائة درجة أعدَّها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللَّه، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»**. وثبت في الصحيح أيضاً عن أنس أن أم حارثة أتت رسول اللَّه ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر، أصابه سهم غَرْبٌ، فقالت: يا رسول اللَّه، قد علمت موقع حارثة من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا سوف ترى ما أصنع، فقال لها: أجنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى[١].

وقد بيَّن الرسول ﷺ أن أهل الجنة متفاضلون في الجنة بحسب منازلهم فيها.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن**

---

(١) صحيح البخاري، باب صفة الجنة والنار، فتح الباري (١١/٤١٨).

أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول اللَّه، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا باللَّه وصدقوا المرسلين**»[(١)].

وفي الترمذي وسنن ابن ماجهْ وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»[(٢)].

عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**الجنة مِائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منه تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس**»[(٣)]. قال الترمذي: عطاء هذا لم يدرك معاذ بن جبل.

قلت: قد خرَّجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه كما تقدَّم فهو صحيح متصل.

وذكر ابن وهب قال: أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أنعم، أنه سمع عتبة بن عبيد الضبي يذكر عمن حدثه أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، كم في الجنة من درجة؟ قال: «**مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أول دورها وبيوتها وأبوابها**

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق صفة الجنة والنار، فتح الباري (٦/ ٢٢٠).
(٢) رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن ماجهْ وابن حبان صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٨٧) ورقم الحديث ٢٠٢٦.
(٣) رواه الترمذي في سننه.

وسررها ومغاليقها من ذهب، وثاني دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلا اللَّه».

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**في الجنة مِائة درجة لو أن العالَمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم**»(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد؛ فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه**»(٢).

وللقرطبي في تذكرته تعليق جميل حول الدرجات في الجنة وعلو المنازل يقول:

اعلم أن هذه الغرف في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وأرفع. . . . وقوله: «**والذي نفسي بيده رجال آمنوا باللَّه وصدّقوا المرسلين**» ولم يذكر عملاً، ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، ذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات وأرفع الدرجات، وهذا محال، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾، والصبر بذل النفس والثبات له وقوفاً بين يديه جلَّ جلاله بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين، وقال في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ

(١) رواه ابن ماجة في سننه.

(٢) رواه أبو داود.

﴿لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ ، فذكر شأن الغرفة، وأنها لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، ثم بيَّن أن لهم جزاءَ الضعف، وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلّق قلب به، مطمئناً به في كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملاً صالحاً، فلا يخلطه بضده من عمل فاسد، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ، مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلِط ليس إيمانه وعمله هكذا، فلهذا كانت منزلته دون غيره»(١) .

ولقد ورد في سورة الرحمن أربع جنان اثنتان منها دون اثنتين مما يدل على تفاضل الدرجات في جنات النعيم . . وهذا سيأتي ذكره عندما يأتي تفصيل لسورة الرحمن في موقعها، يقول تعالى:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٤٦]

ثم قال تعالى: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٦٢]

وقد جاء في صحيح البخاري عن تفضيل الجنتين دون الجنتين:

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **« جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**(٢) .

(١) التذكرة للقرطبي صفحة ٤٦٤.

(٢) رواه البخاري ومسلم وجامع الأصول (١٠/ ٩٤٩٨) ورقم الحديث ٨٠٢٩.

أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

وهذا جزء من الدرجات التي جعلها اللَّه سبحانه في جناته، ومع ذلك فقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ ما لأعلى أهل الجنة من المنزلة والمقام العظيم وما لأدناهم.. وفي ذلك بيان عظيم لرحمة اللَّه سبحانه إذ أن أدناهم منزلة له من المقام ما لا يتصوَّر الإنسان فكيف بأعلاهم؟ فأي رحمة تشمل الخلق إلا رحمة اللَّه وكرمه وعفوه، فسبحان ربي لا إله إلا هو الحليم الكريم.

عن المغيرة بن شعبة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب؛ وكيف؟ وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أَخَذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مِلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذّت عينك، فيقول: رضيت رب.**

قال: رب، فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»(١).

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

أهل الدرجات العاليات في الجنة

أهل الدرجات العاليات في جنان اللَّه سبحانه جمٌّ غفير، نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

١ ـ الشهداء:

عن نعيم بن همار رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغُرَف العلى من الجنة يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه** »(١).

٢ ـ كافل اليتيم:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **كافل اليتيم له ولغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة** » وأشار مالك بالسبابة والوسطى(٢).

٣ ـ الساعي على الأرملة والمسكين:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل اللَّه ـ وأحسِبه قال ـ: كالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر** »(٣).

٤ ـ حامل القرآن الكريم العامل به:

عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **يقال لصاحب القرآن: اقرأ ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »(٤).

تنبيه: هنالك حالات كثيرة لأهل الدرجات العلى سنتعرض لها في حينها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٨٧) صحيح الصغير وزيادته ٨٨٨.

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٢٢٨٦).

(٣) صحيح مسلم كتاب الزهد ورقم الحديث ٢٩٨٢.

(٤) رواه أبو داود.

المنزلة العليا في الجنة لرسول اللَّه ﷺ:

أعلى منزلة في الجنة ينالها شخص واحد تسمى الوسيلةَ، وسينالها ـ إن شاء اللَّه ـ النبي المصطفى المختار خيرة اللَّه من خلقه نبينا محمد ﷺ، قال ابن كثير في النهاية: «**ذكر أعلى منزلة في الجنة، وهي الوسيلة، فيها مقام رسول اللَّه ﷺ**».

وساق في ذلك خبر جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عند البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللَّهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته: حلَّت له الشفاعة يوم القيامة**».

وساق حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما عند مسلم في صحيحه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى اللَّه عليه عشراً، ثم سلوا اللَّه تعالى لي الوسيلة، فإن من سأل اللَّه لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**»(١).

وقد سأل الصحابة رسول اللَّه ﷺ قائلين: «**وما الوسيلة؟ قال: أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون هو**» رواه أحمد عن أبي هريرة، وفي المسند عن أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الوسيلة درجة عند اللَّه ليس فوقها درجة، فسلوا اللَّه يؤتيني الوسيلة**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل اللَّه له الوسيلة، ورقم الحديث ٣٨٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

صفة الجنة

سأل الصحابة رضوان اللّٰه عليهم عن صفة الجنة وبناء الجنة فقال ﷺ :

« **لَبِنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعَم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم** »(١) .

وعن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال في وصف الجنة : « **هي نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبداً، في حبرة ونضرة، في دور عالية سليمة بهية** »(٢) .

مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا اللّٰه والصلاة

عن معاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ حين بعثه إلى اليمن : « **إنك ستأتي أهل الكتاب فيسألونك عن مفتاح الجنة؟ فقل : شهادة أن لا إله إلا اللّٰه** »(٣) .

لذلك من لا يملك هذه الشهادة فلا جنة له ولا مفتاح ، وكم من شعوب الأرض الذين لا يعلمون معنى (لا إله إلا اللّٰه) وماتوا ولم تقلها ألسنتهم مرة واحدة، فهؤلاء لا تفتح لهم أبواب الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخِياط كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

عن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه ﷺ : « **مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة** »(٤) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه ورواه الدارمي في مشكاة المصابيح رقم (٣/ ٨٩).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه وابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث ٩٤.

(٤) رواه أحمد كما في صحيح الجامع الصغير ٥/ ٥٢٦.

إخراج عصاة المؤمنين من النار وإدخالهم الجنة

إن الجنة تفتح أبوابها للمؤمنين ليدخلوا إليها وينال كل واحد منهم درجته ويدخل إلى منازله.. وعندما يتم دخول جميع المؤمنين بعد أن يستفتح رسول اللَّه ﷺ باب الجنة ويأذن اللَّه سبحانه له بذلك.. يبقى عصاة المؤمنين في النار وتبدأ الشفاعة فيهم.. من رسول اللَّه ﷺ إلى جميع المؤمنين الذين يأذن اللَّه سبحانه لهم بالشفاعة لمن يعرفونه وقد غلبت عليه سيئاته فدخل في النار... وبعد أن تنتهي الشفاعة تكون رحمة اللَّه سبحانه بخلقه وهو أعلم بهم جميعاً يغفر لمن يشاء ويعذِّب من يشاء.

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم** (أو قال: **بخطاياهم**) **فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حَميل السيل**»[1].

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارت وجوههم، حتى يدخلوا الجنة**»[2].

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة (١/ ١٨٤).

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٩١).

عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين**»(١).

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بعدما مسَّهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين**»(٢).

وقد سمَّاهم أهل الجنة بالجهنميين، ذلك أنهم خرجوا ربما بعد طول مكث في النار، فتكون لهم علامة واللَّه أعلم، لذلك سمَّاهم أهل الجنة بالجهنميين لأنهم هم الذين يرشون عليهم من ماء الجنة بعد أن يخرجوا من النار.

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ثم تحلّ الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير مثقال شَعيرة، فيجعلون بفِناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء، حتى ينبتوا نبات الشيء في حَميل السيل، ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها**»(٣).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد، وأراد لأن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئاً، ممن أراد اللَّه أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا اللَّه، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتُحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه، كما تنبت الحِبَّة في حَميل السيل**»(٤). امتحشوا: احترقوا.

---

(١) صحيح البخاري فتح الباري (١١/ ٤١٨).

(٢) رواه البخاري فتح الباري (١١/ ٤١٨).

(٣) صحيح مسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(٤) صحيح مسلم باب كتاب الإيمان رقم الحديث (١٨٢).

وقد ورد في أكثر من حديث أن اللَّه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان، بل يخرج أقواماً لم يعملوا خيراً قط، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُدخل اللَّه أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: «انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه»**[(١)].

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن شَعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا اللَّه، وكان في قلبه ما يزن بُرةً، ثم يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**»[(٢)]. والأحاديث في هذا كثيرة.

---

(١) صحيح مسلم ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين (١/ ١٨٤).

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٩٣.

آخر الناس دخولاً الجنة

يأتي وقت في الآخرة تغلق فيه أبواب الجنة، وأبواب النار، ومن الطبيعي أن هنالك رجلاً لا بد أن يكون آخرَ من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة.. ولقد حدثنا رسول اللّه ﷺ عن قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة.

... ولعظيم رحمة اللّه سبحانه، ينال هذا الرجل من الإكرام والنعيم ما يفوق الخيال والتصور، حتى إن الرجل ذاته يتعجب مما يعطيه اللّه سبحانه، ويظن أن ربه (حاشى للّه ذلك) يهزأ به عندما يعطيه من رحمته وكرمه.

.. وفي جامع الأصول جمع ابن الأثير روايات هذا الحديث.

وفي صحيح مسلم: قال رسول اللّه ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج منها زحفاً، فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمنَّ، فيتمنى، فيقال له: لك ما تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول: أتسخر مني وأنت الملك؟**» قال: فلقد رأيت رسول اللّه ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه[(١)].

عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً، فيقول اللّه تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول اللّه عز وجل: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثل الدنيا، وعشرة أمثالها؛ أو إن لك مثلَ عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي ـ أو تضحك بي ـ وأنت الملك؟**»

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٨٦)، ومسلم برقم ١٨٦، والترمذي برقم ٢٥٩٨.

قال: فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة: رجل صرف اللَّه وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل، فقال: أي رب، قربني من هذه الشجرة لأكون في ظلها**».. وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود، ولم يذكر: فيقول: يا ابن آدم، ما يَصْرِيني منك؟ إلى آخر الحديث.

وزاد فيه: «**ويُذَكِّره اللَّه، سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني، قال اللَّه: هو لك وعشرة أمثاله، قال: ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان: الحمد للَّه الذي أحياك لنا، وأحيانا لك**»، قال: «**فيقول: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت**»(٢).

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني اللَّه شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين فترفع له شجرة، فيقول: يا رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول اللَّه عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، قال: وربه عزَّ وجلَّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهدُه أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، وهي أحسن من**

---

(١) رواه البخاري ومسلم جامع الأصول (١٠/ ٥٥٣).

(٢) رواه مسلم رقم ١٨٨ باب أدنى أهل الجنة منزلة.

الأُولين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى، يا رب! لا أسألك غيرها، وربه عزَّ وجلَّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا دنا منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يَصْرِيني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟» فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول اللَّه ﷺ. فقالوا: مم تضحك يا رسول اللَّه؟ فقال: **«من ضِحْك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر»**[1].

تنبيه:

إذا كان هذا منزلَ آخر رجل يدخل الجنة، تغلق من بعده الأبواب فما للذي قبله وقبله وقبله أو قل ما لأهل اليمين.. من الكرامات والمقامات والمنازل والكرم والرحمة الإلٰهية.. أو قل ما للسابقين عند ربهم أولئك الذين غرس اللَّه سبحانه بيديه كرامتهم وأعد لهم بنفسه المقام.. اللَّهم اجعلنا من أهل اليمين في جنات النعيم وفي مقعد الصدق عند مليك مقتدر، إذا قال للشيء كن فيكون، ما لكرمه حدود وما لرحمته حدود وما لعظمته من حدود وما لقدرته من حدود.. ومهما علمنا من رحمة اللَّه سبحانه فلن ندرك بعض معانيها حقيقة حتى نعاين ونرى ونسمع ونشاهد يوم القيامة، كيف تكون رحمة اللَّه سبحانه في عباده المؤمنين.

خلود الجنة وخلود أهلها

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٧]

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٧) باب آخر أهل النار خروجاً.

إن كل ما في الجنة من نعيم مقيم يتضاءل أمام معاني الخلود، لأن كل نعيم ومهما كان عظيماً، إذا لم يكن له صفة الديمومة والخلود فإنه في النهاية لا قيمة له مهما طال العمر.. فإذا ما انتهى فإنه زمنياً لا يساوي شيئاً...

فإن من رحمة اللَّه التي لا يمكن أن نقدر معانيها هذه الصفة التي وهب فيها أهل الجنات وهي صفة الخلود.. وكل بمشيئته.. ولو شاء لم يجعل لها صفة الخلود ولم يجعل للجنة صفة الخلود... وهو يفعل ما يشاء ـ فهذا الكون الذي نرى جزءاً منه في الأرض والسماء.. يقول علماء الفلك: إن عمره بالمليارات من السنين.. ومع ذلك فإن له يومَ فناء مقدراً من اللَّه سبحانه وله يوم نهاية ـ فلا خلود للكون وإن بلغ في عمره مئاتٍ أو آلافَ البليارات من السنين.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

فهذه آيات اللَّه سبحانه تدل على أن الكون إلى نهاية وفناء رغم طول أمده في عالم الزمن السحيق.

... أما الأزمان في جنات اللَّه الخالدة وما فيها من حور وغلمان ونعيم فقد أعطاها اللَّه سبحانه صفة الخلود الأبدي الذي لا ينتهي، مهما ذكرت من أرقام ومليارات مليارات السنين.

فأي نعمة عظيمة سيكون فيها المؤمنون في جنات اللَّه تعالى.. وأي عمل نقدمه ومهما عظم شأنه من طاعة وعبادة وعمل صالح يؤهلنا أن تكون جائزتنا هذا الخلودَ وهذا النعيم العظيم.. وإننا سنجد يوم

القيامة ومهما قدمنا من عمل صالح وطاعة للَّه سبحانه أنه يتضاءل فيكون صفراً أمام كرم اللَّه وعطائه ورحمته.

. . . فليس من أحد يدخل الجنة وينال هذا النعيم الخالد إلا من رحمة اللَّه سبحانه. . لذلك استفتحت هذه الفقرة بقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. ذلك أن رحمة اللَّه سبحانه هي التي تخلدنا وتخلد جناته وما فيها من نعيم عظيم.

. . . ولقد وعد اللَّه سبحانه في كتابه العزيز أن المؤمنين سيكونون خالدين في الجنة أبداً وأن الجنة نعيم مقيم ما هم بخارجين منه ولا منها أبداً.

يقول تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. [سورة هود، الآية: ٢٣]

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. [سورة المؤمنون، الآية: ١١]

بل أكد اللَّه سبحانه الخلود بكلمة أبداً.

يقول تعالى:

﴿ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١١٩]

وكذلك الأجر العظيم مع كلمة الخلود متبوعة بالأبد.

يقول تعالى:

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٢٢]

بل وعد اللَّه سبحانه عباده هذا الخلود ومن أصدق من اللَّه وعداً.

يقول تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٧٢]

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٩]

وطمأن اللّه سبحانه المؤمنين أنهم خالدون فيها لا يُخرجون منها ولا يمسهم نصب ولا عذاب.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾.

[سورة الحجر، الآيات: ٤٥ ـ ٤٨]

وفي صحيح مسلم عن رسول اللّه ﷺ، أن اللّه سبحانه يكلم أهل الجنة بعد أن يأخذوا مآخذهم وينزلوا منازلهم ويرون ما يرون من نعيم اللّه، يقول: «**إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً**»[١]، فذلك قوله تعالى:

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾.

[سورة الأعراف ٤٣]

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعَم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»[٢].

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة رقم الحديث ٢٨٣٧.
(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة رقم الحديث ٢٨٣٦.

الفصل الثاني

ـ في الدنيا مستخلفون وفي الجنة وارثون.

ـ ينزع اللَّه سبحانه من قلوب المؤمنين في الجنة الغِل والأحقاد.

ـ هل أكثر أهل الجنة الرجال أم النساء؟

ـ ذبح الموت بين الجنة والنار بيان من اللَّه سبحانه في خلود أهل الجنة في جناتهم وخلود أهل النار في جهنم.

ـ لا يدخل الجنة أحد إلا يرحمه اللَّه تعالى.

ـ هل يرث أهل الجنة نصيب أهل النار في الجنة؟

ـ أطفال المؤمنين الذين تُوفُّوا قبل التكليف هل هم في الجنة؟

ـ كم نصيب أمة محمد ﷺ في الجنة؟؟

ـ من هم الذين وعدهم اللَّه سبحانه وبشرهم بالجنة في القرآن الكريم؟؟

١ ـ الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

٢ ـ الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل اللَّه.

٣ ـ التائبون والذين يجتنبون عبادة الطاغوت.

٤ ـ الذين آمنوا بآيات اللَّه وكانوا مسلمين.

٥ ـ المخلصون من عباد اللَّه.

٦ ـ المستقيمون من عباد اللَّه.

٧ ـ المتقون .

٨ ـ الذين أخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل اللَّه .

٩ ـ الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ يقومون الليل بالذكر والدعاء.

١٠ ـ المحافظون على صلاتهم والمعرضون عن اللغو والحافظون فروجهم، والذين هم للزكاة فاعلون، ولأماناتهم وعهدهم راعون .

١١ ـ أولياء اللَّه .

١٢ ـ المؤمنون باليوم الآخر .

١٣ ـ الصابرون ابتغاء وجه اللَّه والمنفقون مما رزقهم اللَّه (أهل الصدقات) .

١٤ ـ الطائعون للَّه ورسوله ﷺ .

ـ العشرة المبشرون بالجنة .

ـ من هم أهل الجنة عند رسول اللَّه ﷺ؟

في الدنيا مستخلفون وفي الجنة وارثون

إن كل ما رزقنا اللّه سبحانه في الدنيا، جعلنا مستخلفين فيه ومحاسبين عليه لأنه رزق اللّه سبحانه وعطاؤه سواء أكان مالاً أم ولداً أم منصباً أم أي شيء نتمتع به.

يقول تعالى:

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٧]

وأما في الآخرة وفي جنات اللّه الخالدة فإن اللّه سبحانه جعلنا الوارثين لتلك الجنات إكراماً منه ونعمة وفضلاً ورحمة ولمزيد من الشعور بالعزة والمكانة..

يقول تعالى:

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٦٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٢]

ويقول تعالى بعد أن عدَّد صفات ورثة جنة الفردوس:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠، ١١]

ويكون الحمد والشكر من المؤمنين الذين يورثهم اللَّه جناته يحمدونه ويشكرونه على هذه النعم، التي تفضل اللَّه سبحانه بها عليهم من رحمته وكرمه ومحبته للمؤمنين.

يقول تعالى على لسان المؤمنين في الجنة:

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٤]

ينزع اللَّه سبحانه من قلوب المؤمنين في الجنة الغل والأحقاد

. . إن الجنة دار السلام . . دار أعدَّها اللَّه سبحانه بقدرته ليعيش فيها المؤمنون إخوة متحابين على سرر متقابلين، لا حقد في قلوبهم ولا غل ولا تباغض ولا حسد ولا مكر ولا أي شيء من منغصات وقاذورات معنوية كانت في الدنيا، فكلهم في حب ووئام ومحبة وسلام، لأن دار الخلد والنعيم العظيم التي يعيش فيها المؤمنون، وهي رحمة اللَّه التي هم فيها خالدون لا بد لها من صفات حميدة تكون في كل المؤمنين أعلاهم منزلة وأدناهم منزلة.

يقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾.

[سورة الحجر، الآيات: ٤٥ ـ ٤٨]

هل أكثر أهل الجنة الرجال أم النساء؟

لقد تم الجدل في هذا الأمر حول كثرة الرجال أو النساء، والصحابة رضوان اللَّه عليهم أحياء، ولقد أورد مسلم في صحيحه عن ابن سيرين أنه قال: اختصم الرجال والنساء أيهم أكثر في الجنة.. وفي رواية: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة رضي اللَّه عنه فاحتج أبو هريرة على أن النساء في الجنة أكثر لقول رسول اللَّه ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دُرّي في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرَى مخ سُوقِهِما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب**»[١].

... واحتج بعضهم أن الرجال في الجنة أكثر لحديث رسول اللَّه ﷺ.

عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**»[٢].

عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**»[٣].

ووفق بعضهم القول: فقال: يحتمل أن يكون هذا في وقت

(١) صحيح مسلم. كتاب الجنة رقم الحديث ٢٨٣٤.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم.

كون النساء في النار، وأما بعد خروجهن بواسطة الشفاعة ورحمة اللّٰه تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال: لا إلٰه إلا اللّٰه، فالنساء في الجنة أكثر، وحينئذ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا، وأما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن.. وهذا ما يأتي بيانه عند الحديث عن الحور العين.

... وهذا أيضاً لا ينافي أن كل واحد من أهل الجنة له أكثر من زوجة من نساء الدنيا.. لأن المراد بالنساء اللواتي هن أكثر الناس من كانت منهن من ذرية آدم.

... وأما إن كان فعلاً أقل ساكني الجنة من النساء، فذلك لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل الدنيا وزينتها، بخلاف الكثير من الرجال لأنهن لا يعملن عقولهن للنفاذ ببصائرهن الى الآخرة، لذلك يضعفن عن عمل الآخرة.. وهذا لا يعني أنه ليس منهن صالحات بل يوجد منهن صالحات ويصلْنَ في مرتبة التقوى ما لا يصله كثير من الرجال.

ذبح الموت بين الجنة والنار بيان من اللَّه سبحانه في خلود أهل الجنة في جناتهم وخلود أهل النار في جهنم

. . . عندما ينادي المنادي ويسأل أهل الجنة عن شيء يظهره لهم: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا هو الموت، فيذبح أمامهم فتسعد نفوسهم سعادة عظيمة ويفرحون فرحاً كبيراً، فقد ذبح الموت وبقي الخلود في جنات النعيم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

« فإذا أدخل اللَّه أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال: أُتي بالموت فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطَّلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه، هو الموت الذي وكل بنا فيضجع، فيذبح ذبحاً على السور الذي بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت »[١].

جاء في الصحيحين: **« أنه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح**

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٥٥٧) والنسائي ٦/ ٤٨١/ ١١٥٦٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠٠٧٢.

فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»(١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه تعالى عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت** »، قال: ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

[سورة مريم، الآية: ٣٩]

وعن ابن عمر رضي اللَّه تعالى عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **يدخل اللَّه أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه** »(٣) .

وعنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار، أُتِي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم** »(٤) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم (٢٨٤٩/ ٤٠).
(٣) رواه البخاري (٦٥٤٤)ومسلم (٢٨٥٠/ ٤٢).
(٤) رواه مسلم (٢٨٥٠/ ٤٣).

لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله تعالى

إن العمل ومهما بلغ شأنه في العبادة والتقوى علواً وارتفاعاً وقمة لن يملك ثمناً لما يرثه العبد في الجنة أو في دخولها لأن الجنة بحر زاخر، والعمل قطرة من هذا البحر الزاخر كما أخبرنا رسول الله ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

« **سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يُدخل أحداً الجنة عملُه** »، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « **ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة** ».

[رواه البخاري برقم (٦٤٦٧)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **لن ينجي أحداً منكم عمله** »، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « **ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا** ».

[رواه البخاري برقم (٦٤٦٣)]

ويبقى السؤال.. إذا كان الأمر كذلك وكان الموقف يوم القيامة أن كل الأعمال الصالحة لا تساوي نعمة واحدة من نعم الله أو لا تكفي لدخول الجنة؛ فلماذا الحساب؟

والجواب على ذلك.. أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الأعمال الصالحة شرطاً لفضله ورحمته، فأنت إذا لم تقدم هذا العمل الصالح في الدنيا، فإنك لا تستحق أن تكون ضمن من يستحقون

فضل اللَّه ورحمته في الآخرة، ولذلك فلكي تحصل على الفضل ولكي تستحق الرحمة، لا بد أن تقدم العمل الصالح أولاً، فإذا لم تقدمه منع عن هذا كله، وهذا هو معنى حديث رسول اللَّه ﷺ: «**لا يدخل أحداً الجنةَ عمله**». . أي إن هذه الأعمال الصالحة عندما توضع في الميزان لا تدخل صاحبها الجنة، ولكنها شرط لكي يشمله اللَّه برحمته فيُدخل الجنةَ اللَّهُ من فضله ما يشاء.

الدار الآخرة (فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه اللَّه) صفحة ١٧٨.

قال ابن بطال:

في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ما محصله: أن تحمل الآية: على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها. ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٣٢]

فصرح بأن دخول الجنة أيضاً بالأعمال، وأجاب بأنه لفظ مجمل بيَّنه الحديث، والتقدير: ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد بذلك أصلَ الدخول. ثم قال: ويجوز أن يكون الحديث مفسراً للآية، والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة اللَّه لكم وتفضله عليكم، لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله، وقد تفضل عليهم ابتداء بإيجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم.

وحتى في الدنيا فإن اللّه سبحانه يعاملنا بفضله ورحمته، ولو عاملنا بعدله لهلك كل من في الأرض بذنوبهم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٤٥]

ما معنى قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾؟

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

ما معنى هذه الآية الكريمة؟ وماذا عن تفسيرها؟ وما معنى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾؟

واللّه سبحانه يقول في آيات أخرى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

أي إن الأرض ستقبض من قبل الرحمن، وسيطوي السموات بيمينه أي ستنتهي وتتلاشى، وهذا ما تؤكده أيضاً كثير من الآيات الكريمة التي ذكرناها في الجزء الرابع من الموسوعة عندما كنا نتحدث عن قيام الساعة وانفطار وتشقق السموات...

فهل الخلود في الجنة فقط ما دامت السموات والأرض وينتهي إذا قبض الرحمن الأرض وطوى السموات بيمينه؟؟

. . . وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

إن هذه السموات والأرض التي يقبضها اللّه سبحانه ويطويها هي أرض وسموات الدنيا التي كنا نعيش فيها، فلها عند اللّه وقت لانفطارها وانكدار نجومها. . وهو وقت قيام الساعة، ولكن اللّه سبحانه وعد أنه سيبدل الأرض غير الأرض والسموات أيضاً. . وعندما يتم التبديل تكون سموات جديدة وأرض جديدة. . لا نعلم عنها شيئاً ولن نعلم، وقد يكون خلقها من جديد دائمة إلى أن يشاء اللّه في علمه.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

وأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

فلقد ذكر شارح الطحاوية اختلاف السلف في هذا الاستثناء فقال:

(واختلف السلف في هذا الاستثناء: فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم. وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف. وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف. وقيل: هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: واللّه لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه. وقيل: (إلا) بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو

ضعيف، وسيبويه يجعل إلا بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجحه ابن جرير وقال: إن اللَّه تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت، أي سوى ما شئت، ولكن ما شئت من الزيادة عليه. وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم ـ مع خلودهم ـ في مشيئة اللَّه، فَهُم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٦]

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٤]

وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٦]

ونظائره كثيرة، يخبر سبحانه عباده أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقيل: إن (ما) بمعنى (من) أي: إلا من شاء اللَّه دخوله النار بذنوبه من السعداء، وقيل غير ذلك.

وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

[سورة ص، الآية ٥٤]

وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٣٥]

وقد أكد اللّه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٥٦]

وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

ـ تبيَّن أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وتلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها ـ (١).

وأما في كتب التفاسير فإن للآية ١٠٨ من سورة هود تفسيراً.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

هذا بيان لحال الفريق الثاني (أهل السعادة) اللّهم اجعلنا منهم، أي وأما السعداء الأبرار فإنهم مستقرون في الجنة لا يخرجون منها

(١) شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٤٨٠ ـ ٤٨١.

أبداً، دائمون فيها دوام السماوات والأرض، أي ما دامت سماوات الجنة وأرض الجنة حسب مشيئة اللّه تعالى، وقد شاء تعالى لهن (السماوات والأرض) الخلود والدوام [١] واللّه أعلم.

وأما في تفسير ابن كثير فيقول في قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ وهم أتباع الرسل ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾ أي فمأواهم الجنة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها أبداً ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ معنى الاستثناء هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة اللّه تعالى، فله المنة عليهم دائماً، وعقّب ذلك بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع [٢].

لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثمَّ انقطاعاً أو ليس شيئاً دائماً، بل حتَّم له بالدوام وعدم الانقطاع.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ولقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾.

وهنا طيَّب القلوب وثبت المقصود بقوله: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾.

وقد جاء في الصحيحين: « **يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت** ». وفي الصحيح: « **ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تحيَوْا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن**

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني صفحة ٦١٠.

(٢) قاله مجاهد وابن عباس وأبو العالية وغير واحد.

تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»[١] .

أما في الموسوعة القرآنية الميسرة:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ .

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

. . . « وأما الذين سعدوا بإيمانهم وعملهم الصالح في علم اللّه وتوفيقه، فهم مقيمون في الجنة أبداً ما بقيت السماوات والأرض، وهو تعبير يفيد التأبيد في استعمالات وكلام العرب، ويتم ذلك بمشيئة اللّه التي لا سلطان لمخلوق عليها، ومن مشيئته إكرامهم بما هو أكبر من ذلك، يعطيهم ربهم عطاء غير مقطوع وهو ممتد إلى الأبد، وكل ذلك لا يمنع تفاوت الناس في درجات النار ودرجات الجنان، فيجازي اللّه كل عامل بما يعمل»[٢] .

تنبيه:

كل من قال بفناء الجنة مستنداً إلى الآية ١٠٨ من سورة هود، ليس له سند لا من الصحابة، ولا من السلف، ولا من التابعين، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة، وعلى هذا فكلامه باطل ولا يؤخذ به وهو على باطل.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٢٣٣ ـ ٢٣٤ جزء ٢.

(٢) الموسوعة القرآنية الميسرة د. وهبة الزحيلي ـ محمد عدنان سالم ـ محمد بسام رشدي الزين ـ د محمد وهبي سليمان ـ صفحه ٢٣٤.

هل يرث أهل الجنة نصيب أهل النار في الجنة؟

ما من عبد خلقه اللَّه سبحانه إلا وجعل له منزلين أي مقامين واحداً في الجنة والآخر في النار ـ فمن كتب له الشقاوة من أهل الكفر والشرك يرثون منازل أهل الجنة التي كانت لهم في النار.. وكذلك الذين كتب لهم السعادة من أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة.

يقول تعالى في حق المؤمنين المفلحين الذين يرثون الجنان:
﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠، ١١]

وقال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة:

قال ابن أبي حاتِم ـ وساق الإسناد إلى أبي هريرة رضي اللَّه عنه ـ قال: «**قال رسول اللَّه ﷺ: ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار**».

وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار، لأنهم خلقوا لعبادة اللَّه وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضاً، وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي

موسى عن النبي ﷺ قال: « **يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها اللَّه لهم، ويضعها على اليهود والنصارى** » . وفي لفظ له: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إذا كان يوم القيامة دفع اللَّه لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقال: هذا فَكاكك من النار** » . . . وهذا الحديث كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٦٣]

وقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة الزخرف، الآية: ٧٢]

فهم يرثون نصيب الكفار في الجنان [١] .

وليس هذا فحسب بل يرث المؤمنون من الكافرين كل شيء حتى ميراثهم من النساء.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

عن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **ما من أحد يدخله اللَّه الجنة إلا زوَّجه اللَّه عزَّ وجلَّ ثنتين وسبعين زوجة: ثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني** »[٢] .

قال هشام بن خالد « **من ميراثه من أهل النار** » يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما وُرّثت امرأةُ فرعون.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٠).

(٢) رواه ابن ماجهْ رقم الحديث ٤٣٣٩.

أطفال المؤمنين الذين توفوا قبل التكليف هل هم في الجنة؟؟

إن من فضل اللّه سبحانه وكرمه ورحمته في المؤمنين يوم القيامة أن يدخل ذريتهم الذين تُوفوا ولم يبلغوا التكليف ولم يعملوا شيئاً الجنة، وهذا ما أكدته السنة الشريفة.

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الناس مسلم يُتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله اللّه الجنة بفضل رحمته إياهم**».

وعن أبي سعيد رضي اللّه عنه أن النساء قلن للنبي ﷺ: اجعل لنا يوماً، فوعظهن، وقال: «**أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار. قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان**»[1].

يقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾.

[سورة الطور، الآية: ٢١]

ذلك أن أطفال المؤمنين في الجنة لأنهم لم يكتسبوا شراً.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجاباً من النار أو دخل الجنة**».

---

(١) صحيح البخاري. فتح الباري (٣/ ١١٨).

وعن البراء رضي اللَّه عنه قال: لما توفى إبراهيم عليه السلام قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن له مرضعاً في الجنة**»[١].

ويقول ـ ابن حجر ـ: «**إن من يكون سبباً في حجب النار عن أبويه أولى بأن يحجب هو لأنه أصل الرحمة وسببها**»[٢].

وقد جاءت نصوص صريحة في إدخال ذرية المؤمنين الجنة، فمن ذلك حديث علي مرفوعاً عند عبد اللَّه بن أحمد في زيادات المسند: «**إن المسلمين وأولادهم في الجنة**»[٣].

عن أبي هريرة عند أحمد في مسنده مرفوعاً: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما اللَّه وإياه بفضل رحمته الجنة**»[٤].

عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه، فيأخذ بثوبه، أو قال بيده، كما آخذ أنا بصنفة هذا، فلا يتناهى، أو قال: فلا ينتهي حتى يدخله اللَّه وإياه الجنة**»[٥].

وروىٰ الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام**»[٦].

وقد نقل النووي إجماع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين في الجنة[٧].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، فتح الباري ٣/ ٢٤٤ وحديث أبي هريرة رواه معلقاً.

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٤٤.

(٣) فتح الباري ٣/ ٢٤٥.

(٤) فتح الباري ٣/ ٢٤٥.

(٥) رواه مسلم وسلسلة الأحاديث الصحيحة ورقم الحديث ٤٣٢.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٥٦) ورقم الحديث ٦٠٣.

(٧) فتح الباري (٣/ ٢٤٤).

كم نصيب
أمة محمد ﷺ في الجنة؟؟

أمة محمد ﷺ أمة مرحومة في الدنيا وفي الآخرة، لأنها أمة التوحيد وشهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه. . . وبهذه الشهادةِ شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه يرحم اللَّه سبحانه أمة محمد ﷺ، وتكون ظاهرة من بين الأمم جميعاً. . . ولهذا كان أمل رسول اللَّه ﷺ أن تكون أمة محمد ﷺ نصف أهل الجنة بل ثلثيها بفضل رحمة اللَّه سبحانه وشفاعة رسول اللَّه ﷺ، وما يأذن اللَّه به من الشفاعات لأهل الطاعات من أمة محمد ﷺ من الشهداء والعلماء والصديقين وعموم المؤمنين.

عن سعيد بن جبير قال: حدثني ابن عباس، قال النبي ﷺ:

«عرضت عليَّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر ومعه النفر، والنبي يمرُّ معه العشرة، والنبي يمرُّ معه الخمسة، والنبي يمرُّ وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب».

[رواه البخاري، فتح الباري (١١/ ٤٠٨)]

وقد ورد في بعض الأحاديث أن مع كل ألف من السبعين ألفاً سبعين ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات اللَّه، ففي مسند أحمد، وسنن الترمذي وابن ماجهْ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه، قال: سمعت رسول

اللَّه ﷺ يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم، ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي**». رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن ماجه، مشكاة المصابيح (٣/ ٦٤). ورقمه ٥٥٥٦.

وقد كان رسولنا ﷺ يرجو أن تكون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن الرسول ﷺ في ذكر بعث النار، قال صلوات اللَّه وسلامه عليه في آخره:

«**والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**» فكبَّرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فكبَّرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**» فكبرنا، قال: «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»[١].

بل ورد في بعض الأحاديث أن هذه الأمة تبلغ ثلثي أهل الجنة، ففي سنن الترمذي بإسناد حسن، وسنن الدارمي، و«**البعث والنشور**» للبيهقي عن بريدة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم**»[٢].

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة لم يُصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما صدقه من أمته إلا رجل واحد**»[٣].

---

(١) مشكاة المصابيح: (٣/ ٥٨)، ورقم الحديث: ٥٥٤١.
(٢) مشكاة المصابيح: (٣/ ٩٢)، ورقم الحديث: ٥٦٤٤.
(٣) رواه مسلم، مشكاة المصابيح رقم الحديث ٥٧٤٤.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه اللَّه إليَّ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[١].

(١) رواه البخاري ومسلم، مشكاة المصابيح (٣/ ١٢٤).

من هم الذين وعدهم اللّٰه سبحانه وبشرهم بالجنة في القرآن الكريم؟؟

كثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة التي يبشر اللّٰه سبحانه فيها عباده بالجنة، فمن هم على وجه التحديد الذين بشرهم اللّٰه سبحانه بالجنة في كتابه الكريم؟

١ ـ الذين آمنوا وعملوا الصالحات:

يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩]

٢ ـ الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل اللّٰه:

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[سورة التوبة، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢]

٣ ـ التائبون والذين يجتنبون عبادة الطاغوت:

يقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ١٧]

٤ ـ الذين آمنوا بآيات الله وكانوا مسلمين:

يقول تعالى:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ .

[سورة الزخرف، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠]

٥ ـ المخلصون من عباد الله:

يقول تعالى:

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ * أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

[سورة الصافات، الآيات: ٤٠ ـ ٤٣]

٦ ـ المستقيمون من عباد الله:

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٣٠]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣ ـ ١٤]

٧ ـ المتقون:

يقول تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٥]

٨ ـ الذين أخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل اللَّه:

يقول تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]

٩ ـ الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع (يقومون الليل بالذكر والصلاة):

يقول تعالى:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧]

١٠ ـ المحافظون على صلاتهم والمعرضون عن اللغو، والحافظون فروجهم، والذين هم للزكاة فاعلون، ولأماناتهم وعهدهم راعون:

يقول تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ١١]

١١ ـ أولياء الله:

يقول تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]

١٢ ـ المؤمنون باليوم الآخر:

يقول تعالى:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٢٢]

١٣ ـ الصابرون ابتغاء وجه اللَّه والمنفقون مما رزقهم اللَّه (أهل الصدقات):

يقول تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ .

[سورة الرعد، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤]

ولقد ذكر اللَّه سبحانه غيرهم في كتابه الكريم.

١٤ ـ الطائعون للَّه ورسوله ﷺ:

يقول تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٦٩]

العشرة المبشرون بالجنة

بشر رسول اللَّه ﷺ فئةً من أصحابه أنهم من أهل الجنة، وهذه بشرى عظيمة نالها بعض أصحاب رسول اللَّه ﷺ بإيمانهم وتقواهم وحسن أعمالهم.

ففي سنن الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»، وإسناده صحيح[(١)].

عن سعيد بن زيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة»، وإسناده صحيح[(٢)].

وتذكر لنا كتب السنة أن الرسول ﷺ كان يوماً جالساً على بئر أريس وأبو موسى الأشعري بواب له، فجاء أبو بكر الصديق فاستأذن،

---

(١) رواه أحمد في مسنده، صحيح الجامع الصغير (١/ ٧٠) ورقمه (٥٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجة، صحيح الجامع الصغير ورقمه (٣٩٠٥) بلفظ فيه بعض الاختلاف.

فقال له الرسول ﷺ: «**ائذن له، وبشره بالجنة**»، ثم جاء عمر فقال: «**ائذن له، وبشره بالجنة**»، ثم جاء عثمان، فقال: «**ائذن له، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**»[(١)].

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«**القائم بعدي في الجنة، والذي يقوم بعده في الجنة، والثالث والرابع في الجنة**»[(٢)].

ومراده بالقائم بعده: الذي يلي الحكم بعد موته، وهؤلاء الأربعة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي اللَّه عنهم جميعاً.

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وهو جزء من حديث طويل، جامع الأصول ورقمه ٦٣٧٢.
(٢) صحيح الجامع الصغير ورقمه ٤٣١١ ـ عن ابن عساكر.

من هم أهل الجنة عند رسول الله ﷺ ؟؟

لقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أن هناك أصنافاً من الناس هم من أهل الجنة.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «**أمر رسول اللَّه ﷺ بلالاً ينادي في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**».

جزء من حديث.

[رواه البخاري برقم (٣٠٦٢)، ومسلم برقم (١١١/ ١٧٨)]

وفي رواية: «**إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن**».

جزء من حديث.

[رواه البخاري برقم (٤٢٠٣)]

عن عياض بن حمار المجاشعي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق مُوفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف متعفف ذو عيال**».

جزء من حديث.

[رواه مسلم (٢٨٦٥/ ٦٣)]

عن حارثة بن وهب رضي اللَّه عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعّف لو أقسم على اللَّه لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كلّ عتلّ جوّاظ مستكبر**».

[رواه البخاري برقم (٤٩١٨)، ومسلم برقم (٢٨٥٣)]

وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« إن أهل النار: كل جعظري جواظ مستكبر جمَّاع منّاع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»(١) .

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والصديق في الجنة، والمولود في الجنة. ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود، العؤود، التي إذا ظُلمت قالت: هذه يدي في يدك لا أذوق غُمْضاً حتى ترضى»(٢) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢١٤).

(٢) ذكره الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٤) وحسنه وعزاه للدارقطني في الأفراد والطبراني في الكبير.

الفصل الثالث

- أسياد الجنة وصفاتهم.
- الصفة الأولى: الحمَّادون.
- الصفة الثانية: الصابرون.
- الصفة الثالثة: المجاهدون في سبيل اللَّه.
- الصفة الرابعة: المنفقون في سبيل اللَّه.
- الصفة الخامسة: الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس.
- الصفة السادسة: المحسنون.
- الصفة السابعة: العلماء العاملون.
- الصفة الثامنة: الأئمة العادلون.
- الصفة التاسعة: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.
- الصفة العاشرة: الزاهدون الورعون.
- الصفة الحادية عشرة: الذاكرون والمسبِّحون للَّه سبحانه.
- الصفة الثانية عشرة: الحاملون لكتاب اللَّه والعاملون به.
- الصفة الثالثة عشرة: المتحابون في جلال اللَّه.
- ذكر رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة بعض أسماء أسياد الجنة.
- سيدا كهول أهل الجنة.
- سيدا شباب أهل الجنة.
- سيدات أهل الجنة.

أسياد الجنة وصفاتهم

إن لأسياد الآخرة صفاتٍ كثيرةً، من وصل إليها جميعاً فهذا يكون قد اختصه اللَّه سبحانه برحمة وفضل عظيم دون سواه من العالمين، وهذه لا يصل إليها إلا الأنبياء الذين عصمهم اللَّه سبحانه من الخطأ والزلل، وكانوا من السابقين الذين اختصهم اللَّه بفضله ورحمته.

ولكن هذا لا يعني أن السيد في الآخرة هو من جمع في نفسه كل الفضائل والخصال والمقومات الحميدة، وإلا لن يكون أحد سيداً في الآخرة. بل إن صفات كثيرة مجتمعة أو متفرقة تؤهله لهذه السيادة أو لمقام السيادة في الآخرة بتفاضل الدرجات.

... صحيح أن العبادات هي أحد مقومات السيادة في الآخرة أو أركان الصفات التى يتصف فيها السيد يوم القيامة، ولكنها ليست حصراً السبب الأول للسيادة في الآخرة، لأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف الذي يستكين للعبادة فقط.

فالعبادات شرط لازم مع كل صفة سأذكرها والتي تؤهل صاحبها للوصول إلى علو المراتب والدرجات، وإلى السيادة العليا في الآخرة.

وقبل أن أدخل في تفاصيل الصفات التي تؤهل صاحبها إلى الوصول إلى السيادة يجب أن أقول: إن مقدمة هذه الصفات أو قل

تاجها والتي تكون جميع الصفات دونها ـ هي الإيمان باللّه الواحد الأحد أو قل شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه وحده لا شريك له ـ حيث تكون هذه الصفة الخاتَم الذي يوضع على جميع الصفات لتكون صالحة وفاعلة ومقبولة من اللّه سبحانه.

وأما من كفر باللّه سبحانه إلٰهاً واحداً، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً خاتماً، وبالإسلام ديناً، وإن حمل بعضَ هذه الصفات، فهؤلاء كما قال تعالى يوفون حسابهم وأعمالهم وأجورهم في الحياة الدنيا فقط.

قال اللّه تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۢ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣٩]

فشرط السيادة والدرجات العلى في الآخرة وشرط دخول الجنة أولاً هو الإيمان باللّه سبحانه واحداً أحداً.

الكافرون والمشركون قد تكون لهم أعمال فيها خير، ولهم فيها جزاء، ومن عدل اللّه سبحانه أنه يوفيهم أعمالهم ويعجل لهم حسناتهم في الحياة الدنيا، وهذا طبيعي وعادل فكيف يجزي اللّٰه الكافرين بها في الآخرة؟! وهو مالك الملك ومالك يوم الدين والإلٰه المعبود ـ بالجنة، أو كيف يعطيهم رحمته وقد حدد اللّه سبحانه صفات أهل الجنة والسيادة فيها في كتابه العزيز تحديداً واضحاً.

قال تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ

فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٥]

وقال اللّه تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ٢٣ ـ ٢٩]

إلى أن قال:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ٣٢ ـ ٣٤]

وكذلك فإن صفات أسياد الآخرة في الدنيا أن يبتعدوا عما حرم اللّه سبحانه.

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٣٠، ٣١]

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾.

[سورة الإسراء، الآيات: ٣١ ـ ٣٣]

إلى أن قال:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا * وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا * وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآيات: ٣٤ ـ ٣٨]

إذاً هناك صفات حددها القرآن الكريم لتفوز بالجنة وتفوز بالسيادة فيها، وإذا قلنا: إن الإنسان لا يستطيع أن يلم بكل هذه الصفات مجتمعة أفلا يكون من أهل الجنة ومن أسيادها؟

وللجواب عن هذا التساؤل نقول: من يتجمل بهذه الصفات جميعاً فهذه رحمة خاصة من اللَّه سبحانه له، فالإنسان على العموم والمؤمن على الخصوص، لا يستطيع أن يلم بهذه الصفات مجتمعة إلا الأنبياء عليهم السلام، ولكن اللَّه سبحانه قد يكرم عبداً بها، لتكون له الدرجات العلى، ومقام السيادة في الآخرة، وتحديداً في جناته التي عرضها عرض السموات والأرض.. وحتى لا يكون المؤمن مبخوس الحق، لأنه بطبيعته المخلوقة لا يستطيع أن يحمل على أكتافه كل هذه الصفات في شخصه، فقد جعل اللَّه سبحانه باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه وبشكل دائم ليستغفر العبد ربه، ويتوب إليه، واللَّه سبحانه لا يرفض عبداً استغفره، بل يتوب اللَّه عليه، ويغفر للتائبين والمستغفرين، فإذا ارتكب العبد المؤمن ذنباً أو خطيئة، أو فاحشة، أو معصية، ، واستغفر ربه، فإنه يجد اللَّه تواباً رحيماً.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٥]

وقال تعالى في الحديث القدسي:

« يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، ولو أتيتني بملء الأرض خطايا أتيتك بملء الأرض مغفرة، ما لم تشرك بي، ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك» .

رواه الطبراني في الثلاثة عن ابن عباس رضي اللّه عنهما، ورواه الترمذي بألفاظ مقاربة.

من هم أسياد الآخرة؟ وبماذا يتحلون في الدنيا من الصفات لتكون لهم هذه الدرجة الرفيعة؟

إن أسياد الآخرة لهم صفات وأوصاف وأسماء يجب أن يتحلوا بها أو ببعضها مع الطاعة والإيمان والعبادة

الإيمان والعبادة صفتان عامتان يتحلى بهما المؤمن، ولكن هذا لا يكفي، بل يجب أن يتحلى بصفات أرادها اللَّه بعبده المؤمن علاوة على إيمانه وعبادته، وهذه الصفات لا تختص بالرجل دون المرأة، فهما سواء في المرتبة والأجر والسيادة، وعلى المؤمن العابد للَّه، أن يحاول التحلي بها قدر ما يستطيع، وكلما تحلى بواحدة منها، زادته درجة عند اللَّه وعظم أجره واتسعت سيادته وكذلك الأنثى.

الصفة الأولى: الحمَّادون:

وهي أعلى الصفات، وليس من شيء أحب إلى اللَّه من لسان حامد شاكر في السراء والضراء، والحمد يكون في الضراء أعظم أجراً وثواباً عند اللَّه سبحانه، ومهما أصيب العبد المؤمن من محن وبلاء وامتحان من اللَّه سبحانه سواء أفي جسده أم ماله أم ولده فإنه يُؤْجر عليه بشرط الصبر، وكما أن اللَّه سبحانه يمتحن الأغنياء في غناهم كذلك يمتحن الفقراء بفقرهم، وأشد البلاء هو امتحان الفقر وابتلاؤه.

والفقير ممتحن أيضاً في جسده وأولاده، وقد يصاحب الفقر الشديد مرض عضال أو بلاء في ولد أو في زوجة.

وقد بشر اللَّه سبحانه الحامدين له بشرى عظيمة.

قال تعالى:

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١١٢]

فكل من يتمتع بهذه الصفات الإيمانية فإنها تؤهله أن يكون وجيهاً وسيداً من أسياد الآخرة وجنات النعيم... ولعظيم أمر الحمد والشكر للَّه سبحانه فقد ذكره اللَّه في كتابه الكريم في اثنتين وأربعين آية كريمة... يوصي اللَّه سبحانه عباده بالحمد ودوام الحمد.

قال تعالى:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٩٨]

وقال تعالى:

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾.

[سورة طه، الآية: ١٣٠]

وقال تعالى:

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾.

[سورة الطور، الآية: ٤٨]

وقال تعالى:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾.

[سورة النصر، الآية: ٣]

والحمد للَّه سبحانه جعله اللَّه أمراً مفروضاً على كل شيء خلقه

ولم يستثن من واجب الحمد ممن خلق جماداً كان أو إنساً أو جناً أو ملائكة.

قال تعالى:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وقد نفسر معنى الحمد بمعنى الشكر للَّه سبحانه والثناء عليه وهو واجب الوجوب، وأول الحمد للَّه سبحانه، أنْ خلقنا بشراً وكرّمنا وأعزنا، وخلقنا في أحسن تقويم وجعل لنا الخلد، فاللَّه سبحانه لم يخلق عباده للفناء بل خلقهم للخلد الأبدي، وأعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أفلا نحمد اللَّه على خلقنا وإكرامنا وتخليدنا في نعيم كبير، ولعظيم أمر الحمد جعله اللَّه سبحانه خاتمة القول في الجنة.

قال تعالى:

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٠]

الصفة الثانية: الصابرون:

الصابرون يتساوون في المرتبة بالحمادين وليس من تفاضل بينهما، وما ذكرت ترتيب تصنيف، وليس ترتيب أجر ومرتبة، ويكفي ما قاله تعالى في حق هؤلاء من التكريم والتعظيم ورفع المقام والسيادة يوم القيامة جزاء على صبرهم.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٠]

فالصبر جزء لا يتجزأ من أسباب الوجود وهو رأس وعنوان الابتلاء والامتحان وصيرورته وكينونته.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

والابتلاء والامتحان لا يمكن أن يكون إلا بالابتلاء والصبر على قضاء اللّٰه سبحانه.

ولعظيم أمر الصبر عند اللّٰه سبحانه، فقد بدأ به اللّٰه سبحانه بنفسه وسمى نفسه (الصبور) وأمرنا بالتحلي به، وجعله عنوان المؤمن، ولقد وردت كلمة الصبر في القرآن الكريم في نحو مائة آية كريمة، وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية الصبر في حياة الإنسان، واللّٰه سبحانه وحده يجزي على الصبر، وهو وحده يعلم ما أعدَّ للصابرين يوم القيامة، امتثالاً لأمره، وهو أعلم بدرجة سيادتهم وعظيم مكانتهم.

وقد جاءت الآيات الكريمة بخصوص الصبر بصيغة الأمر، والطلب، والتكريم، والوعد، والأجر العظيم.

والصبر يرافق الحمد والشكر، فكلاهما يعزفان على وتر واحد، وهو وتر الإيمان العميق باللّٰه سبحانه، والإيمان بقضائه، وقدره، وحكمته، وقدرته.

والصابرون المحتسبون هم الذين يعلمون حق العلم أن وراء ابتلائهم ومحنتهم حكمةً من اللّٰه سبحانه، وهو وحده أعلم بها.

فلنعش في رحاب كتاب اللّٰه، ولنر كيف تحدث اللّٰه سبحانه عن الصبر والامتثال له جماعة وفرادى.

قال تعالى:

﴿ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠]

فهذه الآية الكريمة تشير إلى الأمر المطلق بالتزام الصبر والتقوى وجعلهما الأساس المتين لأي مؤمن على الأرض.

وقال تعالى:

﴿ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٢٥]

وقال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١٥٣]

وجَعْلُ اللّه سبحانه الصبرَ من عزائم الأمور دلالةٌ قطعية على قوة إيمان المؤمن.

قال تعالى:

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ .

[سورة لقمان، الآية: ١٧]

وقد بيَّن اللّه سبحانه لنا أن الصبر هو جزء من الامتحان الدنيوي.

قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٢]

وقد أكد اللَّه سبحانه لنا أنه مع الصابرين في الدنيا رغم ابتلائهم.

قال تعالى:

﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

[سورة الأنفال، الآية: ٤٦]

وذلك لأن المؤمن الصادق لا يهينه اللَّه، ولا يذله، حتى لو امتحنه وابتلاه أشد الابتلاء، لأنه يجعل له متكأ يتكئ عليه، واللَّه سبحانه لا يأخذ أخذ المقتدر إلا الكافرين والفاسقين بعد أن يمدهم بنعيم الدنيا، وكل بلاء وامتحان صغُر أم كبر تعدد أم اتصف بالانفرادية، وصبر عليه العبد صبر المحتسب، كان له عند ربه أجر عظيم، فإذا أخذ اللَّه البصر فهو امتحان وبلاء، وكذلك إذا أخذ السمع والنطق.

قال تعالى في الحديث القدسي:

«**إني إذا أخذت كريمتي عبد فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة**».

رواه ابن ماجه وأبو يعلى والطبراني (عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما).

وقلنا فيما مضى: إن اللَّه جعل الابتلاء جزءاً من وجود الإنسان على الأرض، وكل عباده مبتلون ممتحَنون.

قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٥]

وفي دورة حياة أي عبد من عباد اللّه هذا النقص وهذا الابتلاء، وهذا الأمر قضاه اللّه سبحانه ليعلم الصابرين من عباده وهو أعلم بهم من قبل، ولكن ليظهر صبرهم وشرفهم أمام الملائكة وعباده المؤمنين. لذلك قال تعالى:

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بشرهم إذا نجحوا في هذا الامتحان، وصبروا وحمِدوا، وشكروا اللّه على البلاء، وكثير من الناس يظن أن اللّه إذا زاد في ابتلائه وامتحانه فهو دليل غضب من اللّه سبحانه أو دليل انتقام، وهذا الاعتقاد خطأ فادح جداً، فاللّه سبحانه لا يغضب أو ينتقم من عبد مؤمن مستقيم، ولكن يمتحنه فقط، ودليل الامتحان محبة اللّه لعبده ومحبة سماع صوته، وهو يستغيث باللّه ويستعين به، ومحبة من اللّه ليسمع من عبده الحمد على هذا الابتلاء، ويجزيه الجزاء الأوفى الذي يستحقه بما صبر وحمد وشكر.

الصفة الثالثة: المجاهدون في سبيل اللّه:

الجهاد هو أحد أسباب الارتقاء والسمو والرفعة، والوصول إلى مراتب المجد والسؤدد، فالجهاد هو الوسيلة الأولى في إيصال الأمة جماعاتٍ وأفراداً إلى درجة عالية من العز والشرف، وبما يحفظ الأرض والمجتمع من التدهور والانهيار والذل، فالعرب قبل الإسلام كانوا أمة هامشية لا دور لها في المجتمع العالمي، إن لم نقل: إنها أمة مستعْمَرة، وكانت تعيش تحت تهديد سيوف روما وفارس، ولم تكن تلك الإمبراطوريتان تنظران إليها إلا نظرات شَزْرٍ، وتعالٍ، واستكبار، وعندما جاء الإسلام حول هذه الأمة الهامشية إلى إمبراطورية عظيمة مهيبة الجانب، وحطمت تحطيماً في سنوات قليلة تلك الإمبراطوريتين

اللتين سيطرتا على مقدرات الأمم كلها قرابة ألف عام.

. . . فما الذي أوصل العرب والمسلمين إلى هذا العز وهذا المجد؟؟ إنه الجهاد وتحديداً في سبيل اللّٰه سبحانه.

فللجهاد تاجان عظيمان، أولهما إعلاء كلمة اللّٰه سبحانه، وثانيهما المجد والفخار والعز والسؤدد للأمة المجاهدة.

فالجهاد في أوله وثانيه هو للإنسان المجاهد، لأن اللّٰه سبحانه غني عن العالمين وقد أوضح اللّٰه سبحانه لنا هذا.

قال تعالى:

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٦]

فالمجاهد سواء انتصر فلعز لنفسه وأمته ومجدهما، وإن استشهد فإن له الأجرَ العظيم والجزاء الأوفى عند اللّٰه سبحانه.

ومع ما يناله الفرد المجاهد من مجد الدنيا، فإن اللّٰه سبحانه جعل للمجاهدين في سبيله ولإعلاء كلمته أعظمَ درجة عنده، ووعدهم بالأجر الكريم والمقام الحميد، والدرجة الرفيعة، وأن يكونوا من أهل السيادة في الجنة. قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٢٠]

وقد جعل اللّٰه سبحانه صفة المؤمنين المطلقة في المجاهدين، وأسماهم بالمؤمنين حقاً، دلالةً على صدق إيمانهم الذي عبروا عنه بجهادهم في سبيل اللّٰه وتقديم أرواحهم فداء لإعلاء كلمة اللّٰه سبحانه.

قال اللَّه تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ .

[سورة الأنفال، الآية: ٧٢]

وقد جعل اللَّه سبحانه للذين يستشهدون من المجاهدين أجراً عظيماً وإكراماً خاصاً لم ينله أي عمل في سبيل اللَّه، وهذا الأجر الخاص المنفرد بالشهداء أن جعلهم اللَّه سبحانه أحياء يرزقون من لحظة استشهادهم بعلم اللَّه سبحانه.

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]

ونحن لا نستطيع أن نفهم ما وراء قدرة العين ذات الترددات المحددة مسبقاً في علم اللَّه سبحانه، ولكن الذي نفهمه أنهم أحياء ويرزقون كما وعد اللَّه سبحانه، والرزق في مفهومنا طعام وقصور وحدائق غناء، والشهداء من المجاهدين الذين أنعم اللَّه عليهم بعظيم النعمة تلك التي سيلقونها في الدنيا يوم القيامة وصيرورتهم إلى مراتب العز والسيادة عند اللَّه سبحانه.

قال اللَّه تعالى:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٦٩]

وكيف هي حال الذين ينعم اللَّه عليهم في الآخرة؟ وكيف حال

مَن هم مع النبيين الذين اختصهم اللَّه سبحانه بفضله وعظيم أجره؟ أفلا يكونون من أسياد الآخرة وعظمائها؟

الصفة الرابعة: المنفقون في سبيل اللَّه:

هؤلاء هم أحد أعمدة الدين الذين أجلَّهم اللَّه في الدنيا، وأجلهم في الآخرة، فالمنفقون هم الذين وسع اللَّه عليهم في الدنيا، ورزقهم من نعيمها وأجزل لهم فيها، كرّمهم على غيرهم، وجعل الرزق بين أيديهم.

وهؤلاء ليسوا هم أهلَ ودافعي الزكاة فحسب، بل هم الذين ينفقون من غير الزكاة في السراء والضراء وحين البأس، والذين لا يبخلون بما أعطاهم اللَّه سبحانه من فضله في الدنيا واستخلفهم وامتحنهم فيه، وأول الشرط في المنفقين ليتبوَّأوا الدار الآخرة والدرجة الرفيعة، وأن يكونوا بمقام أسياد الآخرة وعظمائها، أن يكون إنفاقهم خالصاً لوجه اللَّه سبحانه لا يبتغون فيه عَرَضاً من عرض الدنيا ولا يبتغون فيه علواً في الأرض وسيادة ووجاهة.

قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٣٨]

وحتى يكون للإنفاق درجة عظيمة وأجر كبير، ينبِّهنا اللَّه سبحانه ألا نتبع إنفاقنا وصدقاتنا مناً أو أذى، كالتشهير بالمنفَق عليه للتباهي والتظاهر بين الناس بالكرم والإنفاق.

قال اللّه تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦٢]

إذاً إن من الشروط للأجر العظيم والدرجة الرفيعة والسيادة في الآخرة أن يكون الإنفاق من مؤمن باللّه إيماناً قوياً، ومُعْلنٍ بالتوحيد للّه وحده، وأن يكون خالصاً لوجه اللّه تعالى، وأما الإنفاق من المشركين والكافرين فهو إنفاق دنيوي يكون معظمه لمصالحَ شخصية بعيدةٍ عن المنحى الإلٰهي والتقرب الرباني...

قال تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٥٤]

وتتحدد الدرجة في الآخرة تبعاً لوسيلة الإنفاق الدنيوي والنية المبيَّتة لهذا الإنفاق، ومهما كان نوع الإنفاق الدنيوي فله أجر عند اللّه سبحانه ودرجة إلا إذا كان مراءاة أو تبعه مَنّ أو أذىً، أو كان من مشرك، أو كافر، والدليل على وجود الدرجات في الأجر قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٠]

وأعظم الإنفاق ما ينفق من خير ما نملك وما نحب، فقد اعتبره اللّه سبحانه من البر الذي لا نناله إلا إذا أنفقنا مما نحب.

قال تعالى:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٩٢]

الصفة الخامسة: الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس:

الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس، هما ثمرة أخلاق المسلم الرفيعة، التي أمر اللّه سبحانه عباده المؤمنين، أن يتحلَّوا جميعاً بتلكما الثمرتين الأخلاقيتين.

ولا ندري عظيم أجرهما يوم القيامة في رحاب المليك المقتدر، وربما نستطيع أن نؤكد أن العاملين المؤمنين في تلكما الصفتين الرائعتين، لهم أجر عظيم ودرجة رفيعة وسيادة كبيرة في جنات اللّه سبحانه.

ومن سياق الآيات الكريمة من سورة آل عمران ندرك عظيم الأجر الإلٰهي لمن تحلى بهاتين الصفتين الأخلاقيتين، لأنهما تمثلان غاية أي مؤمن صادق مع اللّه سبحانه، فليس الأمر هيناً على النفس الإنسانية أن تكتم غيظها إذا ما استشاطت غضباً، وكذلك فليس الأمر هيناً على النفس الإنسانية أن تعفو عمن أساء إليها عامداً متعمداً إذا ما أقدرها اللّه سبحانه أن تنتقم أو تأخذ حقها ممن أساء إليها وآذاها، وأحكم عليها طوق الضرر والأذى عليها.

لذلك كان انسياب الآيات الكريمة وترابطها دليلاً حتمياً على سعة رحمة اللّه بالكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.

قال تعالى:

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤]

فقد جعل اللَّه سبحانه المنفقين في سبيله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس من المحسنين الذين يحبهم اللَّه سبحانه.. فما رأيك بأجر عظيم حددت ماهيته وسعته من الجنة التي وسعت السماوات والأرض؟ وما رأيك بأجر من أحبه اللَّه سبحانه؟ أليس هو من أصحاب السيادة والدرجة الرفيعة عند اللَّه سبحانه؟

وما ذلك إلا لأن اللَّه سبحانه يتصف بصفات الصبر، والعفو، ويحب من الذين آمنوا وأنفقوا أن تكون تلك الصفتان من صفاتهم الراسخة.

والعفو عن الناس من أول صفات الرحمة الإلٰهية التي خصصها لعباده، فالعفو والغفران وقبول التوبة صفات رحم اللَّه بها عباده.

قال تعالى:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٩٥]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٥]

وقد جاءت الآيات الكريمة تتحدث عن العفو وقيمه الأخلاقية الرفيعة وكيف طلبه اللَّه من عباده؟ وحثهم عليه، وأجزل لهم فيه الأجر والثواب والمغفرة والرحمة.

قال اللَّه تعالى:

﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ١٤]

وقال تعالى:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ١٩٩]

وقال تعالى:

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢١٩]

وهذه الآية من سورة البقرة درة الفكر والثواب والأجر تتوسع في معانيها حتى تؤلف بحثاً مستفيضاً في فلسفة الأخلاق وسموها ورفعتها، حتى إنها وصفت كل صور الإنفاق المادي المحسوس والمعنوي المقروء في صورة العفو والصفح.

الصفة السادسة: المحسنون:

الإحسان كلمة لها شفافيتها الخاصة، فهي تعبير عن أرق مشاعر العلاقة بين اللَّه سبحانه والمؤمن، وهي جمع مفردها (محسن) وللكلمة علاقة وطيدة مع كلمة حسن، والحسن تعبير عن علو مراتب الأشياء والمعاني، وكل مرادفات الكلمة ومشتقاتها تعبر عن السمو والارتقاء.

ومن هذه المعاني السامية: أن المحسنين هم الذين يعيشون في البروج المَشيدة بالأخلاق والفضائل كلها، ويصلون إلى الدرجات العليا في صفات الإنسان الرفيعة والسامية، وهم الذين لا يعرفون إلا طريق الإيمان باللَّه الموصل إلى فضائل الأعمال والأخلاق ومراتب السمو والرفعة.

وهؤلاء يحبهم اللَّه سبحانه، ومن يحبه اللَّه سبحانه، وهو على حالة الإحسان هذه عاش فيها ومات عليها، فهو الأحق بأن يتدرج في

العروج إلى الدرجات العلى عند اللَّه سبحانه، لأن الإحسان غاية عمل المؤمن الصالح.

ويبقى السؤال هل المحسن هو المنفق في سبيل اللَّه؟

والجواب: ليس حصراً فصفة الإنفاق هي جزء من الصفة الكلية للإحسان، والإحسان في شمولية المعنى الكلي، هو النية الصادقة في خير الأشياء كلها.

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٤]

من الآية الكريمة يتوضح لنا معنى الإحسان الذي يشمل أكثر من صفة، فالمنفق في السراء والضراء في سبيل اللَّه محسن، والكاظم غيظه محسن، والعافي عن الناس محسن.

ولقد وصف اللَّه سبحانه في كتابه الكريم (المحسن) بصفات حميدة جعلها تاج شرف يضعه كل محسن على رأسه، دلالةً على عظيم أجره عند اللَّه سبحانه.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٢٥]

وقال تعالى:

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٢]

ولقد أجلَّ اللَّه سبحانه المحسنين، ورفعهم مكاناً علياً، وجعلهم من أهل الدرجات العلى، وهم أسياد بكل معنى السيادة، وعظماء بكل معنى العظمة في الآخرة، وهم الذين لهم ما يشاؤون في الآخرة، وفي جنات اللَّه سبحانه.

قال اللَّه تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾. [سورة التوبة، الآية: ١٢٠]

وقال تعالى:

﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٨]

ثم يبلغ اللَّه سبحانه المحسنين والمحسنات بما أعدَّ لهم في الآخرة، ومن أعظم الإعداد أن يكون للإنسان ما يشاء عند ربه.

قال تعالى:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٣٤]

ومن النعيم الخالد الأجر العظيم الذي وعد اللَّه به المحسنات.

قال تعالى:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٢٩]

وأخيراً نستطيع أن نقول: إن الإحسان هو الاقتدار على فعل الخير صغر أم كبر بداية من الكلمة ونهاية بالفعل، مع الإيمان المطلق باللَّه، وتوفر النية الصادقة لفعل الخير المراد به وجه اللَّه سبحانه دون مراءاة ولا مِنَّة ولا أذى.

الصفة السابعة : العلماء العاملون :

العلماء كلمة مفردها : عالم، وهي اسم فاعل من علم ومصدرها (علم) وجمعها علوم والصفة لأهلها وأصحابها (علماء). والعلماء الذين لهم المراتب العليا عند اللّه وهم من أسياد الآخرة وعظمائها ليسوا حصراً بأولئك الذين يتفقهون في علوم الدين، فكلمة علم وعالم، شاملة لجميع أنواع العلوم التي هي في خدمة البشرية وتحقيق الأمن والاستقرار والعيش الرغيد للذين استخلفهم اللّه سبحانه في هذه الأرض، والتي تتوافر معها النية الصادقة في خدمة صالح الإنسان، ويشترط معها أيضاً توافر الإيمان باللّه سبحانه وإعلان التوحيد للّه وحده.

واللّه سبحانه لم يحدد في كتابه نوع العلوم التي يرفع اللّه بها صاحبها بل جاءت في كتابه شاملة عامة تشمل كل العلوم.

قال تعالى :

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾.

[سورة المجادلة، الآية : ١١]

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية : ٩]

فالقرآن الكريم يشير إشارة واضحة إلى العلماء ورفعهم درجات عن الذين لم يؤتوا العلم سواء في الدنيا وسواء في الآخرة.

فكل عالم قدَّم للبشرية نفعاً وخيراً ابتغاء وجه اللّه سبحانه دخل في صنف أسياد الآخرة سواء أكان علمه في الكيمياء، أم الفيزياء، أم في الفَلَك، أم الطب، فالعالِمُ الذي اكتشف دواء يشفي البشرية من داء عُضال وهو مؤمن باللّه، هو هذا العالم الذي أشارت إليه الآيات الكريمة في علو درجاته ورتبته في الدنيا والآخرة.

وقد فضل رسول اللَّه ﷺ أولئك الذين تعلَّموا القرآن وعلَّموه على كل العلوم الأخرى، دون أن ينقصها رسول اللَّه ﷺ حقها من الأجر والثواب والدرجة الرفيعة، قال رسول اللَّه ﷺ:

«خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه».

[أخرجه أحمد في المسند عن عثمان رضي اللَّه عنه]

وما ذلك إلا لأن القرآن الكريم يحتوي على علم الأولين والآخرين، ومن تعلَّمه فقد وصل إلى خير الدنيا والآخرة، وكذلك لأن القرآن إذا ما أتقنه العالم فإنه يدفعه إلى تعلُّم كل العلوم ويحثه على النهل من هذه الطريق.

وقد خصَّ اللَّه سبحانه العلماء العاملين الموحدين للَّه يوم القيامة بفضل عظيم دون كثير من خلقه المؤمنين، وهذا الفضل لا يناله إلا أولو الفضل والقرابة والحب من اللَّه سبحانه، والحديث القدسي يعبِّر بوضوح عن هذا الفضل العظيم، قال اللَّه تعالى في حديثه القدسي:

«يقول اللَّه تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي».

[رواه الطبراني في الكبير عن ثعلبة عن الحكم الليثي]

وقال تعالى في الحديث القدسي:

«أوحى اللَّه إلى إبراهيم: يا إبراهيم! إني عليم أُحِبُّ كل عليم».

[رواه ابن عبد البر معلقاً]

وليس العلماء بهذا القرب من اللَّه والرحمة والمغفرة والفضل والمحبة أسياداً في الآخرة فحسب، بل جعلهم اللَّه سبحانه شفعاء للناس، وهذه الخاصية إكرام كبير خصَّه اللَّه سبحانه بالأنبياء والرسل والمقربين جداً من اللَّه سبحانه.

الصفة الثامنة : الأئمة العادلون :

الأئمة جمع مفردها (إمام)، والإمام كلمة عامة تشمل معاني كثيرة، ويندرج في هذه المعاني الرؤساء والأمراء والملوك والخلفاء والحكام وكل ذي قيادة وإمارة وسيادة وسلطة، أو قل كل مَن بيده زمام أمر الناس قلَّ عددهم أو كثر.

وقد حدَّثنا رسول اللَّه ﷺ عن الإمام العادل وماذا يكون حاله يوم القيامة إذ يجعله اللَّه سبحانه من الذين يظلهم في عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وهو أول السبعة وأفضلهم كما في الحديث النبوي الشريف، قال رسول اللَّه ﷺ:

«سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل ».

جزء من حديث.

[رواه البخاري ومسلم]

والإمامة على وجه العموم مسؤولية جسيمة سواء أفي الحياة الدنيا أم في الآخرة، فالإنسان العادي يكون مسؤولاً عن نفسه وعمله يوم القيامة، وأكبر مسؤولية تكون في أهله وعياله، ولكن الإنسان الإمام مسؤول عن كامل أمته، وربما تتعدى أمته الملايين من البشر، فإذا كان المرء يفر من أمه وأبيه يوم القيامة ويفر من الناس أجمعين، ولا يبحث هناك إلا على نجاة نفسه وتخليصها من هذا الهول والكرب العظيمين يوم القيامة، فما بالك برجل أنيط في الحياة الدنيا بالمسؤولية الكاملة عن إدارة شعب أو أمة؟ وقد أوصى اللَّه سبحانه من ولاه إمامة الناس وحكمهم: أن يحكم بالعدل والقسط.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٨]

وقال تعالى:

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ٤٢]

والأئمة العادلون هم من أسياد الآخرة وعظمائها ووجهائها أيضاً، ومن يملّكه اللّه سبحانه في الدنيا سيادة يعمل فيها بالحق والعدل، فلا بد أن يكون من سادة الآخرة، وقد فرّق اللّه سبحانه في كتابه الكريم بين إمامين، إمام يدعو إلى الفسق والضلال وإلى النار، وهم يوم القيامة لا ينصرون.

قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ .

[سورة القصص، الآية: ٤١]

وإمام مقسط عادل يخاف اللّه سبحانه وفي عينيه دائماً يوم القيامة، والوقوف بين يدي اللّه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السماء ولا في الأرض، هذا الإمام المقسط العادل المحب لأمته وشعبه أو هؤلاء الأئمة العادلون المؤمنون جعلهم اللّه الوارثين في الآخرة لجنات النعيم وأسياداً من أسيادها العظماء.

قال اللّه تعالى:

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

[سورة القصص، الآية: ٥]

الصفة التاسعة: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر:

ولا يشترط في جنس هؤلاء أن يكون حاكماً أو رئيساً أو بيده زمام السلطة والأمر، فالأمر بالمعروف من حقوق الحياة الواجبة

التطبيق لاستمرار الحياة الصحيحة، كي لا تكون الحياة مع المنكر ومفرداته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبة التطبيق، ومحاسباً عنها الناس يوم القيامة حساباً عسيراً، وما ذلك إلا لأن اللَّه سبحانه يحب المعروف ويبغض المنكر، وكل منا مسؤول في الدعوة إلى المعروف، ومسؤول في الدعوة إلى النهي عن المنكر، والمنكر هو: كل أمر أو عادة أو فعل أو عمل يخالف ما أمر اللَّه سبحانه به، والمعروف بمعناه العام: هو كل أمر أراده اللَّه سبحانه أن يكون في الحياة الدنيا ليعمل به جميع عباده، واللَّه لا يأمر بما يضر عباده أو يؤذيهم فكل أمر من اللَّه في عموميته خير لجميع عباده.

والدعوة إلى اللَّه وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تترك دون ضابط بل بالأخلاق والحكمة، فالدعوة يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والتنبيه والإرشاد.

والتنبيه عن الخطأ، وإرشاد الناس إلى طريق الحق، واجب كل مسلم مؤمن سواء أستجاب له الناس أم لم يستجيبوا، وهذه هي المسؤولية أمام اللَّه، وتطبيق المعروف لا يتم عَنْوة أو قسراً أو إرهاباً أو قتلاً، بل بالحكمة وبالموعظة وبكل سبل الإرشاد والحكمة، فمن كان على المنكر اليوم أو الضلالة فقد يكون غداً على الحق والمعروف، وليس لعبد على عبد هداية، فالهداية من اللَّه سبحانه.

قال تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٥٦]

فالهداية للَّه سبحانه، والموعظة لك، وهي واجبة ومسؤول عنها

ولكنها مشروطة ومطوقة بأحكام، حتى لا يتجاوز الداعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حدود ما رسمه اللّه له.

قال تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ١٢٥]

ومسؤولية الفرد كفرد فقط ومسؤولية الجماعة كجماعة فقط، والحكم لا يكون إلا بيد الأمة كلها، فمسؤولية الفرد والجماعة التذكير بالمعروف والترغيب فيه قولاً وفعلاً، ثم يكون الفرد قدوة حسنة، أو تكون الجماعة قدوة حسنة في تطبيق المعروف في كل صورهِ، فليس من العقل أن تأمر بالمعروف وأنت على المنكر كما يفعل اليهود وأحبارهم وحاخاماتهم.

قال اللّه تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٤٤]

والحكمة والموعظة الحسنة هما التذكير بآلاء اللّه سبحانه ونعمه وعذابه وانتقامه والتذكير بالموت، والحساب، ويوم القيامة، والوقوف بين يدي اللّه، ويجعل الداعي كتاب اللّه سبحانه المرشد له في دعوته، وعليه أن يتذكر آياته ويعمل هو بها ثم يرشد الناس كما أراد.

قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٥]

فالدعوة لك، والحساب والجزاء والعقاب للّه وحده، وإن خرج

الإنسان في دعوته عن حدود ما أمره اللَّه ورسم منهجه، فليس هو من الآمرين بالمعروف وليس هو من الناهين عن المنكر.

فالذين يبتغون من اللَّه سبحانه أجره ورضاه في دعوتهم للمعروف ونهيهم عن المنكر، بما شرعه اللَّه وأمر به، واللَّه أعلم بما قصدوا، وابتغوا، فأولئك هم من أسياد الآخرة ولهم عند اللَّه أجر عظيم.

فالحكمة أول الدعوة، والموعظة ثانيها، وابتغاء مرضاة اللَّه ثالثها، وحب الناس رابعها، وحب الوطن والبلد خامسها، فاللَّه لم يسلط أحداً على أحد، ومن قتل أحد الناس فكأنما قتل الناس أجمعين، وما أرسل اللَّه سبحانه محمداً ودين الإسلام إلا رحمة للناس أجمعين.

قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧]

الصفة العاشرة: الزاهدون الورعون:

الزهد في اللغة (الترك) وتقول: زهدت في الشيء أي تركته وعلى هذا تقول:

الزاهد في الدنيا (تاركها). والزهد هو ارتقاء في العلاقة مع الإله إلى درجة السمو والعلو والرفعة حتى إن أكثر الزهاد يترفعون عن صغائر الذنوب واللمم.

وحقيقة الزهد مشكلة شائكة تتغاير مفاهيمها عند الكثيرين وكأن لكل زاهد مدرسةً خاصة يعيش في مبادئها وتعاليمها.

وأعلى مراتب الزهد هو الزهد في الشيء مع الاقتدار عليه وذلك مرضاة للَّه سبحانه.

فاللَّه سبحانه خلق الدنيا وخلق زينتها، وخلق فينا غرائز وشهوات لا نستطيع كبشر الابتعاد عنها، وكان رسول اللَّه ﷺ المثل الأعلى لنا في الزهد.

فليس الزهد أن أحرم نفسي من شهواتها وغرائزها، وأكبت هذه الإنسانية التي خلقها اللَّه فيَّ وامتحنني فيها جبراً وقهراً، فاللَّه سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد جاءت الآية القرآنية صريحة حتى لا يفسر الزهد أنه زهد حتى عن رؤية جمال ما خلق اللَّه سبحانه والتمتع بما أحلَّ اللَّه لنا.

قال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٢]

فاللَّه سبحانه لم يحرِّم علينا الطيبات والزينة، ولم يحرِّم علينا المتعة كما شرَّعها اللَّه ضمن ضوابط أخلاقية وأوامر محددة.

فالزهد الحقيقي هو الزهد عن الحرام بكل صوره وأشكاله كبر أم صغر، والزهد عن أطماع الدنيا مع السعي والعمل في تأمين الرزق والمعاش، حتى تكون هناك مقدرة على الإنفاق والإحسان والجهاد في سبيل اللَّه والدين والوطن، وهو أيضاً المقدرة الحقيقية على الطاعة مع الاحتفاظ بحق الإنسان في الحياة، لتكتمل المسيرة لهذه الحياة الدنيا، كما ارتضاها اللَّه سبحانه، فالزهد لا يعني الجلوس للطاعة الدائمة دون الانتشار في هذه الأرض من أجل تأمين الحياة الرغيدة والسعيدة أيضاً، كي لا نكون بحاجة إلا إلى اللَّه وحده، وقد قال رسول اللَّه ﷺ:

«**اليد العليا خير من اليد السفلى**».

[البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

قال اللّه تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ .

[سورة الجمعة، الآية: ١٠]

فإذا كان الزهد بمفهومه السامي والذي يكون هدفه الارتقاء بالنفس إلى درجاتها العليا، فليس من عمل أحب إلى اللّه من زهد عبد زاهد لم يجعل الدنيا هدفاً، بل جعلها وسيلة الوصول إلى اللّه سبحانه، قال تعالى في الحديث القدسي:

« يا موسى! إنه لن يتصنع إليَّ المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب إليَّ المتقربون بمثل الورعِ عما حرَّمت عليهم، ولن يتعبد إليَّ المتعبدون بمثل البكاء من خيفتي » .

[رواه القضاعي عن كعب]

فالزاهدون هم القادرون مع العفة، وهم العابدون مع القوة، وهم الذاكرون مع التفكير، وهم المجاهدون مع طلب الشهادة، وهم البائعون مع الرضا والقادرون على الكثير والراضون بالقليل، وقال تعالى في الحديث القدسي:

« يا موسى ! إنه لن يلقاني عبدي في حاضر القيامة إلا فتشت عمَّا في يده إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلّهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب » .

[رواه الترمذي عن ابن عباس]

فما رأيك بمن يدخل الجنة بغير حساب، أليسوا من ساداتها وكبرائها وعظمائها ، وأهل درجاتها الرفيعة وأهل القرب من اللّه سبحانه ومن رسوله محمد ﷺ وأنبيائه؟؟

الصفة الحادية عشرة : الذاكرون والمسبِّحون للَّه سبحانه :

قال تعالى في الحديث القدسي :

« **يقول اللَّه تعالى يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم** » ، قيل : من أهل الكرم يا رسول اللَّه ؟ قال : « **أهل مجالس الذكر في المساجد** » .

[رواه أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه]

وفضل الذكر في الدنيا عظيم ، وقد جعله اللَّه باباً مفتوحاً لغفران الذنوب ، تسهيلاً وتقديراً للمؤمن ، فالمؤمن إنسان يقع في أخطاء وذنوب مستمرة دائمة ، لو تسجل في صحيفة المؤمن ولا تمحى لكانت طامة عميقة الأثر على وجوه المؤمنين ، لأن كل ابن آدم خطاء ، ومن واسع رحمة اللَّه على عبده المؤمن هذه المغفرة وهذا الجزاء العظيم ، والأجر الكبير ، الذي أكرم به الذاكرين والذاكرات .

ولعظيم أمر الذكر عند اللَّه سبحانه ، فقد ذكره في القرآن الكريم بآيات كثيرة جداً تزيد عن مِائتي آية كريمة ، وقد جاءت آيات كثيرات بصيغة الأمر والتنبيه والإرشاد ، ثم جاءت الآيات الكريمة التي تعلن عن الأجر العظيم الذي أعدَّه اللَّه سبحانه للذاكرين والذاكرات .

الأجر العظيم :

قال اللَّه تعالى :

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

التنبيه والإرشاد :

قال اللَّه تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ .

[سورة النور، الآية: ٣٧]

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٤٥]

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٢٨]

الوعيد:

يقول اللَّه تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ٢٢]

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١٢٤]

ومعاني الذكر كثيرة، فكل العبادات ذكر، والمفهوم الخاص لذكر اللَّه سبحانه هو التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، وهو اللسان الرطب دائماً بذكر اللَّه، وهو القلب المطمئن بذكر اللَّه سبحانه، وليس أعظم عند اللَّه سبحانه من لسان ذاكر حامد شاكر، وقد جعل اللَّه سبحانه لذكره مغفرة دنيوية وجزاء عظيماً يوم القيامة.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

« من قال سبحان اللَّه وبحمده في يوم مِائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

[رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

في الحديث القدسي:

« إن أوليائي من عبادي، وأحبائي من خلقي، الذين يُذْكَرون بذكري وأُذكر بذكرهم » .

[رواه الترمذي وأبو نُعيم عن عمرو بن الجموح رضي اللَّه عنه]

« لا يذكرني عبدي في نفسه، إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى » .

[رواه الطبراني عن معاذ بن أنس رضي اللَّه عنه]

« أوحى اللَّه لموسى: يا موسى! أتحب أن أسكن معك بيتك فخر للَّه ساجداً، ثم قال: يا رب، وكيف ذلك؟ فقال: يا موسى! أما علمت أني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني » .

[رواه ابن شاهين عن جابر رضي اللَّه عنه]

ولعظيم أمر التسبيح والذِّكر فقد ذكر اللَّه سبحانه في كتابه الكريم أن كل شيء خلقه اللَّه يسبِّح بحمد اللَّه.

قال تعالى:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

الصفة الثانية عشرة: الحاملون لكتاب اللَّه والعاملون به:

كتاب اللَّه سبحانه تاج كل شيء في السماوات والأرض، ودرة الوجود فهو كلام اللَّه، وإرادته، ومشيئته، وأوامره، ونواهيه، فيه علم الأولين والآخرين، وأول الدنيا وآخرها، وهو السرمد الخالد، وهو أعلى من الأبد وأرفع من كل وصف وأوسع من كل تفسير، ومن

حمل في قلبه وصدره هذا الكتاب العظيم وهو عامل له، فقد غشيته رحمة اللَّه وأحاطت به نعمه، وآل في الآخرة إلى عز عظيم، وأجر كريم وليس لدرجته حدود، ولا لمقامه وصف، ولا لرحمةِ اللَّه به حدود، ولا لسيادته ووجاهته في الجنة سقف وحدود.

. . . فحامله وقارئه من أشراف الدنيا وأسياد الآخرة، ومن ذوي الدرجات العليا ـ وفي أحاديث رسول اللَّه ﷺ بيان واضح وصريح لفضل حملة القرآن الكريم، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل**».

[رواه الطبراني والبيهقي]

وقد رفع اللَّه مكانة حملة القرآن الكريم، حتى جعلهم أهله وخاصته، وبهذه الخاصية العظيمة تبوّأ حملة القرآن مقام العز العالي عند اللَّه سبحانه.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن للَّه تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل اللَّه وخاصته**».

[رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم]

وقد بيَّن لنا حديث رسول اللَّه ﷺ أن حامل القرآن الكريم ينال درجاته في الجنة بقدر حفظه وحمله لآيات اللَّه سبحانه، وبيَّن لنا أن في كل حرف درجة، وأما ما بين الدرجة والدرجة فهو في علم اللَّه سبحانه، فنحن بإذن اللَّه في جنة عرضها السماوات والأرض، ومهما ارتفع العبد في درجته فملك اللَّه كبير لا يسعه تفكير ولا عقل بشري، فالشمس التي هي واحدة من ملايين البلايين والمليارات من النجوم التي تسبح في السماء الأولى، حجمها قدر حجم الأرض مِليوناً وثلاثمِائة ألف مرة، فكيف لنا أن نتخيل الجنة وسعتها التي وسعت السماوات والأرض.

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ .

[سورة الإنسان، الآية: ٢٠]

فاللّه سبحانه الذي يقول عن الملك إنه كبير، والكبير عندنا كبشر ربما تحده العقول وتدركه، ولكن الكبير عند اللّه خرج من حدود تفكيرنا وإمكانية عقولنا.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه منه** » .

[رواه أحمد وابن ماجهْ]

فكلٌّ يصعد بما حمل من القرآن وحفظ في كل آية درجة، وقد حدَّد رسول اللّه ﷺ ماهية الدرجة ومعناها حتى لا يوهمنا الظن أن الدرجة انتقال من دور، أو من مكان إلى مكان دنيوي.

قال ﷺ:

« **إن في الجنة مِائةَ درجة أعدَّها اللّه للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللّه فاسألوه الفردوس** » .

. . . وقد أراد اللّه سبحانه من عباده أن يقرؤوا القرآن لأن اللّه سبحانه يعلم أن قراءة القرآن تهدي النفوس، وتطمئن القلوب، وتبشر المؤمنين.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٩]

فالقرآن الكريم هو الطريق القويم الذي يوصل المؤمنين إلى رضا اللَّه سبحانه، ورضا اللَّه سبحانه يوصل المؤمن إلى الجنة، والجنة توصل وارثيها إلى السؤدد والعز والسيادة.

الصفة الثالثة عشرة: المتحابون في جلال اللَّه:

في هؤلاء تتجلى النفس بأعلى درجات سموها وصفاتها وعلوها عن أهداف الدنيا وأطماعها والمصالح الخاصة فيها..

وليس الطريق إلى (الحب) في سبيل اللَّه والوصول إليه أمراً ليناً وسهلاً، لأن من يصل إلى هذا الطريق جمع خصالاً وفضائلَ في نفسه مجردة من النزوات والشهوات والرغبات الدنيوية.

والمتحابون في اللَّه هم الصفوة القادرة على بناء المجتمع السليم الخالي من شوائب الدنيا وأطماعها، هذا المجتمع القادر على بناء هيكل هندسي يصعب هدمه أو تخريبه، فليس من مجتمع أقوى من مجتمع خلا من المصالح الدنيوية.

وأي علاقة مصلحية اليوم مبتغاها هدفاً من أهداف الدنيا، أو طمعاً في أرزاقها، أو مناصبها، توصل إلى طريق فاسد مخصوص بأنانية الطلب، وأنانية الهدف والمبتغى، وأما إذا كان العمل هو للَّه وفي سبيل اللَّه سبحانه، وابتغاء مرضاته، فهو الأجدر والأقوى في إقامة هيكل اجتماعي قوي الربط والبناء، لا يخترقه الهجوم مهما كان مصدره، فالحب في اللَّه أقوى الحب وأجل العلاقات وأسمى الاتصالات.

وبما أن المتحابين في جلال اللَّه سبحانه هم صفوة البناء جعلهم اللَّه من المكرمين والمقربين في الآخرة، وهم من الذين سينعم اللَّه سبحانه عليهم يجعلهم من أسياد المقام، المقام عند المليك المقتدر،

وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ أن هؤلاء من المقربين والمظللين برحمة اللَّه أول القيامة وعند الحساب في الموقف العظيم.

قال رسول اللَّه ﷺ:

« سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة اللَّه، ورجلان اجتمعا في اللَّه وتفرَّقا عليه ».

بعض حديث.

[رواه البخاري]

وقد أعظم اللَّه سبحانه من شأن المحبين لجلاله.

قال تعالى:

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥]

وقال تعالى في الحديث القدسي:

« المتحابون لجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي ».

[رواه أحمد والطبراني في الكبير عن العرباض بن سارية رضي اللَّه عنه]

ورب سائل يسأل أين السابقون والأبرار والصديقون والأولياء؟ أليسوا هم من سادة الجنة وعظمائها؟

وإذا وقع التساؤل في نفس القارئ، فإن الجواب عليه: إن السابقين والأبرار والصديقين والأولياء هم أولئك الذين يحملون هذه الصفات السابقة المذكورة.

قال تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٢]

فالسابقون هم أهل الفضل الذين تجتمع فيهم الصفات المذكورة أو بعضها فهم المنفقون، والزاهدون، والحافظون، والذاكرون، والورعون، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وما ينطبق على السابقين ينطبق على الصديقين، والأبرار وأولياء اللَّه سبحانه واللَّه أعلم.

ذكر رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة بعض أسماء أسياد الجنة

سيدا كهول أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخُدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين »**(١).

سيدا شباب أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »**(٢).

عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **« ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة »**(٣).

سيدات نساء أهل الجنة:

السيد الحق هو الذي يثني عليه ربه ويشهد له، والسيدة الفاضلة هي التي يرضى عنها ربها، ويتقبَّلها بقبول حسن، وأفضل النساء هن اللواتي يَحُزْن جنات النعيم، ونساء أهل الجنة يتفاضلن، وسيدات نساء

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث ٨٢٤.

(٢) رواه الترمذي والحاكم والطبراني وأحمد في مسنده

(٣) رواه الحاكم وابن عساكر، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث (٧٩٧).

أهل الجنة: خديجة، وفاطمة، ومريم، وآسية، ففي مسند أحمد، ومشكل الآثار للطحاوي، ومستدرك الحاكم، بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: خطَّ رسول اللَّه ﷺ في الأرض أربعة خطوط، ثم قال:

« **تدرون ما هذا؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: « **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»(١).

ومريم وخديجة أفضل الأربع، ففي صحيح البخاري عن علي ابن أبي طالب عن النبي ﷺ قال:

« **خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة**»(٢).

وقال: جمهور العلماء على أن فاطمة أفضل النساء لأنها بَضْعةٌ نبوية شريفة.

وقيل: إن مريم هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق، فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران: فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون**»(٣).

وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرَّح به القرآن:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. [سورة آل عمران، الآية: ٤٢]

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ورقم الحديث ١٥٠٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، فتح الباري: (٧/ ١٣٣).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٣/ ٤١٠)، ورقم الحديث: ١٤٢٤.

وكيف لا تكون كذلك وقد صرح الحق بأنه تقبّلها: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾؟ [سورة آل عمران، الآية: ٣٧]

وهؤلاء الأربع نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات، فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله:

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ١٢]

وخديجة الصديقة التي آمنت بالرسول ﷺ من غير تردد، وثبتته، وواسته بنفسها ومالها، وقد بشرها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[(١)].

وآسية امرأة فرعون هان عليها ملك الدنيا ونعيمها، فكفرت بفرعون وألوهيته، فعذبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ١١]

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة، وتربية معلم البشرية ﷺ.

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري ٧/ ١٣٣.

الفصل الرابع

- صفات الجنة .
- استقبال الملائكة وتحيتهم للمؤمنين عند دخولهم الجنة .
- قول المؤمنين عندما تفتح لهم أبواب الجنة ويستقبلهم خزنتها .
- صفات الجنة .
- مدخل .
- تربة الجنة وحصباؤها .
- خيام الجنة وقصورها وغرفها .
- أنهار الجنة .
- من أين تفجر أنهار الجنة؟
- عيون الجنة .
- أشجار الجنة .
- سدرة المنتهى .
- شجرة طوبى .
- شجرة الخلد .
- صفة شجرها .
- ظلال الجنة .
- ما قيل في أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان اللَّه والحمد للَّه .
- ما قيل أن الذكر نفقة بناء الجنة .
- هل يوجد زرع في الجنة؟
- نخيل الجنة .
- ريح الجنة .
- كلام الجنة وربضها .
- ريحان الجنة .
- نور الجنة .
- طيور الجنة ودوابها .
- فرش الجنة .
- آنية الجنة .
- لباس أهل الجنة وكسوتهم وحليهم .
- أجواء الجنان .
- أسواق الجنة .

صفات الجنة

استقبال الملائكة وتحيتهم للمؤمنين عند دخولهم الجنة

. . لقد ذكر القرآن الكريم هذا الموقف العظيم. . ويا له من موقف. . موقف الاطمئنان والراحة والسعادة والشوق، والجنة تفوح بعبقها وأريجها ونورها، وقد هبت نسائمها العليلة وهي تبشر الداخلين بنعيم وأجر عظيم ينتظرهم، وبخلود دائم وعز مقيم وكرامة ورفعة ومتعة لا يدانيها ولا يقاربها مُتعة. .

إنه موقف الكرامة والعز. . والملائكة تسلِّم عليهم وتهنئهم وتقول لهم: طبتم وطاب مقامكم. . ادخلوها بسلام آمنين لا يمسكم فيها نصب وما أنتم منها بمخرجين. . ادخلوا إلى ما أعدَّ اللَّه لكم وإلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. . ادخلوا منازلكم وقصوركم وحدائقكم واستعدوا لاستقبال الحور والغلمان لكم.

يقول تعالى عن دخول المؤمنين الجنة:

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

[سورة الرعد، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٣]

... إنه استقبال الحفاوة والتكريم من ملائكة اللّه سبحانه عند دخول المؤمنين الجنة.. وما أسعد المؤمنين بهذه الحفاوة والتكريم والملائكة تبشرهم بالخلود.. والجنة تطل عليهم إطلالة المشتاق وتهديهم من نفحاتها ومقدمات من نسائها تحية لهم وإجلالاً وإكراماً.

... ولقد عبّر الإمام المُحاسبي في كتابه التوهم في أحوال الآخرة أجمل تعبير عن تلك اللحظات الرائعة، وجاء أمر اللّه الكريم المتحنن على عباده وأوليائه إلى خُزّانِ الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين، فانحدروا من قصورها ودورها وساحاتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها، وسمعت حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب فؤادك، فيا سرور وحبور المفتوح لهم باب جنة رب العالمين، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائها فنفح وجهك وجميع بدنك، وثارت أراييج الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونق وكافورها الأصفر وعنبرها الأشهب، وأرياح طيب ثمارها وأشجارها ونسيمها، فتداخلت جميع تلك الأراييج ودخلت في صدرك وأنفك ووصلت إلى دماغك، وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك، ثم نظرت قبل أن تدخل إلى حسن قصورها وتأسيس بناياتها ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. المبني من طرائق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه

وصفاؤه، ونظرت إلى حجب اللّه وآياته التي أخفاها عنك ووعدك بها وبرؤيتها ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾. وها أنت أمامها وأمام وعد اللّه وصدقه.

وهذا كله قد أكمله اللّه في الصفاء والنور ومازجه ما في الجنان ونظرت إلى هذا، وفرح فؤادك لمعرفتك إذا دخلتها، فإن لك فيها ما لم يخطر على قلب بشر وفيها الزيادات والمزيد ولست بمخرج منها، وليس فيها تعب ولا نصب، وفيها النظر إلى وجه ربك الكريم، فتصوَّر وتخيل نفسك أنك مع الناجين وقد تفضَّل اللّه عليك.

ثم أقبلت الملائكة وفتحت أبواب الجنة، وأقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه من معك من أولياء اللّه، ونادوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وأتبعوا السلام بقولهم: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. ولما سمعت من الملائكة ـ العظام الذين ينهال النور من أعتاب وجوههم، وقد أشعلت مداخل الجنة بأنوار مبهجة فرحة ـ بادرت الباب بالدخول فاكتظت الأبواب من الزحام، فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيظ، من زحام أولياء اللّه؟ فأنعم بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد نظروا وعاينوا في دخولهم من حسن القصور التي هي من الياقوت والدر والذهب، فلما جاوزت الباب بفضل اللّه ووضعت قدميك على تربتها، ويى مسك أذفر ونبت الزعفران المونق والمسك على أرض من فضة والزعفران نابت حولها، وهي أول خطوة خطوتها في أرض البقاء والخلود، قد أمنت عذاب اللّه وأمنت من الموت الذي فرَّ من المؤمنين بلا عودة ولا خوف منه.

وتخيل نفسك وقد أصبحت تتخطى من تراب المسك ورياحين الزعفران وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة

قصورها، وبينما أنت تتخطى في عَرَصات الجنان في رياض الزعفران وكثبان المسك، إذ نودي في ولدانك وغلمانك وأزواجك من الحور العين: إن فلاناً ابن فلان ابن فلانة قد أقبل، فأجابوا متهللين مستبشرين لقدومك، فتكون الأفراح وتُستقبل استقبالاً عظيماً في ملك عظيم ونعيم كبير كل شيء فيه سرور وحبور، فالأرض تغني والأشجار تطرب وكل ما خلق اللّه من جمال يرقص بين يديك بهجاً ومسروراً.

قول المؤمنين عندما تفتح لهم أبواب الجنة ويستقبلهم خزنتها

لقد ذكر اللّه سبحانه حمد المؤمنين وشكرهم وما يقولون عندما تُفتح لهم أبواب الجنة بأمره.. وهم يعاينون فضل اللّه العظيم الذي تكرَّم عليهم به.

يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٤]

ويقول تعالى على لسان المؤمنين الحامدين الشاكرين لفضل اللّه سبحانه، وأبواب الجنة تفتح لهم وهم يشاهدون إطلالة جنات الخلد التي وعد اللّه عباده بالغيب:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

دعاء أهل الجنة في الجنة وتحيتهم فيها:

كذلك فإن اللّه سبحانه بيَّن في كتابه الكريم كيف تكون تحية أهل الجنة في الجنة.

يقول تعالى:

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٠]

الآخرة ليست دار تكليف.. ولكنها دار شكر وحمد للمنعم الذي أنعم على عباده ما لا يتصوَّرونه ولا يتخيلونه ولا يحلمون به.. إنها دار السلام والاطمئنان فلا خوف ولا فزع، لذلك تكون تحيتهم فيها سلاماً.. سلام الأمن والطمأنينة والأمان.

صفات الجنة

مدخل:

صفات الجنة من تربة وخيام وقصور وأنهار وعيون وأشجار وثمار وطيور وفرش ولباس وآنية.. في أدق تعبير لها كما ورد في الحديث القدسي:

« أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ » .

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

[رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي اللّه عنه]

... فإن قلنا تربة وأشجار وخيام وقصور.. فهذه أسماء نسميها في الدنيا، ولكن ليس من شيء في الجنة يشبه ما في الدنيا إلا في الأسماء فقط، وقد روي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أنه قال: ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا في الأسماء.

ذلك حتى يدرك المؤمنون معاني ما أعدَّ اللّه سبحانه لهم في الجنة دون أن يدركوا حقيقتها لأنها فوق خيالهم وقدُراتهم العقلية. ولن يدركوا حقيقتها ويتحسسوا جمالها حتى يجعل اللّه سبحانه يوم القيامة بصرهم حديداً، وينشئهم نشأة أخرى.

يقول تعالى:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .

[سورة ق، الآية: ٢٢]

ويقول تعالى:

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا هذا التشابه في أسماء الأشياء.

يقول تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٥]

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير في هذه الآية الكريمة:

إن أهل الجنة يرزقون من ثمارها، تأتيهم الملائكة، فإذا قدَّم لهم مرة ثانية قالوا: هذا الذي أتيتمونا به من قبل، فتقول الملائكة: كل يا عبد اللَّه، فاللون واحد، والطعم مختلف. وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله: ﴿ هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

أي في الدنيا، والصحيح ما روي عن ابن عباس رض اللَّه عنهما وغيره أن هذا في الجنة وأنه ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

. . . المهم أن كل ما في الجنة لا يشبه ما في الدنيا إلا في الأسماء. . . لذا عندما نتحدث عن صفات الجنة يجب أن نعلم أن الوصف نفسره ونشرحه ونبيِّنه فيما بين أيدينا من النصوص، ولكن حقيقة المحسوس والمنظور والمدرَك والمشاهَد تختلف عن قدرات تحليل البشر وتفسيرهم. . . فأمر الجنة وما فيها كبير وعظيم، فالملك كبير:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٢٠]

والأجر عظيم: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٤٦]

والذي يقول (كبيراً) هو اللَّه سبحانه، والذي يقول (عظيماً) هو اللَّه سبحانه، ومفهوم العظيم والكبير عند البشر شيء وعند اللَّه سبحانه شيء آخر.

تربة الجنة وحصباؤها

ليست الجنة من الطين والحجر كما في الدنيا، إنما تربتها المسك والزعفران ناعمة كأنها درمكة بيضاء في نعومتها وملمسها.

وقد بيَّن لنا رسول اللَّه ﷺ نوعية تلك التربة.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: وساق حديث الإسراء. قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ**[١] **اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[٢].

[متفق عليه]

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد أن ابن صياد سأل الرسول ﷺ عن تربة الجنة، فقال:

«**هي درمكة**[٣] **بيضاء مسك خالص**»، وفي مسند أحمد عن جابر ابن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ في اليهود: «**إني سائلهم عن تربة الجنة، وهي درمكة بيضاء**»، فسألهم، فقالوا: هي خبزة يا أبا القاسم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**الخبز من الدرمكة**»[٤].

وروى أحمد والترمذي والدارمي عن أبي هريرة قال: قلت: يا

---

(١) جنابذ: هي القباب والخيام.
(٢) الفتح ٧/ ١٨٥، ومسلم برقم ١٤٩.
(٣) درمكة: الدقيق الأبيض الخالص.
(٤) ابن كثير (٢/ ٢٤٢).

رسول اللَّه، مم خلق الخلق؟ قال: «من ماء»، قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الدر والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»[١] .

(١) مشكاة المصابيح ٨٩/٣ ورقمه ٥٦٣٠.

خيام الجنة وقصورها وغرفها

مساكن الجنة هي من القصور والغرف والخيام، وليست جميعها مما عرفنا أو عَهِدنا، وأعظم بناء وقصر بنته البشرية في تاريخها كقصر فرساي وبرمنجهام يتضاءل أمام عظمة قصور الجنة بل لا يدانيه في شيء ولا يقارن في شيء من بناء الجنة وقصورها وخيامها. . . والخيام ليست كما يتخيل بعضهم هي كخيام الدنيا بل بناء من لؤلؤ مجوَّف طول الواحدة كما قال رسول اللّه ﷺ ستون ميلاً في السماء. . . وكذلك الغرف. . فهي ليست كغرف الدنيا وإنما قلنا هي أسماء. . تتشابه في الأسماء ولا يشبه شيء في الجنة شيئاً في الأرض.

يقول تعالى:

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٣]

ويقول تعالى

﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣٧]

ويقول تعالى عن المساكن:

﴿ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

[سورة الصف، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٠]

ويقول تعالى عن الخيام:

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٧٢]

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى عن غرف الجنة: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ٢٠]

يخبر عزَّ وجلَّ عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور الشاهقة، ﴿ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ طباق فوق طباق، مبنيات محكمات، مزخرفات عاليات، وفي الصحيح: «**إن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها**»، فقال أعرابي: لمن هي يا رسول اللّه؟ قال ﷺ: «**لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام**».

وروى الإمام أحمد، عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه أن رسول

اللَّه ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء**».

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قلنا: يا رسول اللَّه! إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشمِمْنا النساء والأولاد، قال ﷺ: «**لو أنكم تكونون على كل حال، على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء اللَّه عزَّ وجلَّ بقوم يذنبون كي يغفر لهم**»، قلنا: يا رسول اللَّه حدّثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال ﷺ: «**لبنة ذهب ولبنة فضة، وبلاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرك ولو بعد حين**».

وقوله تعالى:

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي تسلك الأنهار من غير أخدود خلال ذلك كما شاؤوا، وأين أرادوا ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي هذا الذي ذكرنا وعد اللَّه عباده المؤمنين ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

وأما رسول اللَّه ﷺ فقد بين لنا ذلك في أحاديثه الشريفة، ووضح معاني الغرف والخيام والمساكن في الجنة التي وعد بها المتقون.

روى الترمذي عن علي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها،**

وأعدَّها اللَّه تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»(١) .

عن عبد اللَّه بن قيس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون**» . وقال أبو عبد الصمد والحارث عن أبي عمران: « **ستون ميلاً**»(٢) .

ورواه مسلم عن عبد اللَّه بن قيس عن النبي ﷺ قال: « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً**» .

وفي رواية عند مسلم: « **في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**»(٣) .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن صفات قصور بعض أزواجه وبعض أصحابه، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: « **يا رسول اللَّه، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**»(٤) .

عن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة،**

---

(١) رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه ـ صحيح الجامع الصغير ورقمه ١١٩.
(٢) صحيح البخاري ـ فتح الباري (٦/ ٣١٨).
(٣) رواه مسلم، باب في صفة خيام الجنة، ورقمه ٢٨٣٨.
(٤) رواه البخاري ومسلم ـ مشكاة المصابيح (٣/ ٢٦٦).

فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلالُ، ورأيت قصراً بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غَيرتك»، فقال عمر: «**بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه: أعليك أغار؟**».

[رواه البخاري ومسلم، مشكاة المصابيح (٣/ ٢٢٦)]

وقد علَّمنا رسول اللَّه ﷺ كيف يزيد المؤمن من قصوره في الجنة، ولا حدَّ للزيادة طالما أن العبد المؤمن يسعى في رضا اللَّه سبحانه وتعالى.

عن أم حبيبة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعاً، بنى اللَّه له بيتاً في الجنة**».

[رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي، صحيح الجامع برقم ٦٢٣٤]

عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول اللَّه تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا باللَّه وصدَّقوا المرسلين**».

[رواه مسلم في صحيحه]

عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٥]

وفي قوله تعالى:

﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣٧]

قال: **« الغرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء أو درة بيضاء ليس فيها خصم ولا وصل، وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تتراءون الكوكب الشرقي أو الغربي في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهما وأنعما »** .

[رواه الحكيم الترمذي]

عن عثمان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من بنى مسجداً يبتغي به وجه اللَّه، بنى اللَّه له مثله في الجنة »(١) .

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من بنى للَّه مسجداً ولو كَمَفْحَصِ قطاة لبيضها بنى اللَّه له بيتاً في الجنة »(٢) .

فتصوَّر يا أخي المسلم كم مرة في عمرك تستطيع أن تذهب إلى المسجد وتصلي جماعة وتحافظ على صلواتك؟ . . كم مرة تستطيع؟ وكم قصراً يُبنى لك مع كل روحة وغدوة؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده والترمذي وابن ماجهْ، صحيح الجامع ورقمه ٧٠٠٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده، صحيح الجامع الصغير ورقمه ٦٠٠٥.

أنهار الجنة

كم تحدَّث اللَّه سبحانه عن أنهار الجنة: وأكثر الآيات الكريمة التي ذكر اللَّه سبحانه الجنة أو الجنان أو الجنات ذكر معها الأنهار التي تجري من تحتها، وهذا من اكتمال الجمال حيث أن هذه الجنات تتجمل وتزداد حسناً وجمالاً ورونقاً وبهاء بهذه الأنهار.. وحيثما كنا في الجنة أو حديقة في الدنيا نجد أنه لا بد أن يكون معها ماء سواء أجارياً أم ماءً اصطناعياً لأن الماء عنصر مكمل لجمال الخضرة والأشجار.

.. ثم تصوَّر وتخيل أن اللَّه سبحانه وصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض.

يقول تعالى:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

جنة عرضها السماوات والأرض تجري من تحتها الأنهار، فتصوَّر هذه الأنهار وعظمة هذه الأنهار وطول هذه الأنهار وعرض هذه الأنهار التي تجري من تحت جنة عرضها السماوات والأرض.. غير جمالها وطعم مائها وشواطئها وحافاتها المكللة بالدر والياقوت، وكيف تضرب الخيام وقباب اللؤلؤ على جنباتها؟ وأي وصف وأي قلم يستطيع أن يعبِّر عن هذا الجمال؟ وقلمنا يقف عاجزاً عن وصف

منظر طبيعي جميل في ناحية من نواحي الأرض، فكيف بصبغة اللَّه وخلق اللَّه وإعداد اللَّه سبحانه؟ . . ومن أحسن من اللَّه صبغة؟

يقول تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٣]

ويقول تعالى:

﴿ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٢٢]

ويقول تعالى:

﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٨]

ويقول تعالى:

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٣١]

ولقد ذكر اللَّه سبحانه أنهار الجنة بشيء من الوضوح والبيان لنعلم ما هي تلك الأنهار . .

يقول تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

فليست الأنهار نهراً واحداً من ماء، إنما تتشكل، فمنها أنهار من

ماء غير آسن أي لا يصيبه ركود أو عفن أو نتن مما يصيب بعض أنهار الدنيا، وكذلك منها أنهار من خمر يشرب منها المؤمن لا يصدعون عنها ولا ينزفون، ومنها أنهار العسل وما ألذ وأطيب العسل، فيكون طعمه كما وصفه اللَّه سبحانه بأنه مصفى، وكم لنا من المذاق الطيب الذي يمتِّعنا اللَّه سبحانه في جناته فوق ما نحن فيه من النعيم العظيم.

ولقد رُوي أن هذه الأنهار تجري في غير أخدود منضبطة بالقدرة الإلٰهية، واللَّه على كل شيء قدير.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« رفعت إلى السدرة، فإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران: فالنيل والفرات، وأما الباطنان: فنهران في الجنة »(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من أنهار الجنة »(٢).

ومن أنهار الجنة الكوثر الذي أعطاه اللَّه سبحانه لرسوله ﷺ:

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾.

[سورة الكوثر، الآية: ١]

ولقد رآه رسول اللَّه ﷺ وحدثنا عنه.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه أو طينه ـ مسك أذفر ».

[صحيح البخاري ـ باب الحوض فتح الباري (١١/ ٤٦٤)]

---

(١) رواه البخاري جامع الأصول (١٠/ ٥٠٧).

(٢) صحيح مسلم، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، ورقم الحديث ٢٨٣٩.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**أتدرون ما الكوثر؟**» قلنا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**إنه نهر وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ، عليه خير**».

[رواه مسلم في صحيحه]

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**هو نهر أعطانيه اللَّه في الجنة، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طيور أعناقها مثل أعناق الجَزور**».

[رواه أحمد في مسنده]

. . . وأنهار الجنة لا يعلم حجمها ومقدارها وسعتها وسرعة جريانها وطولها وعرضها إلا اللَّه سبحانه.

عن حكيم بن معاوية قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن في الجنة بحر العسل، وبحر الخمر، وبحر اللبن، وبحر الماء، ثم تتشقق الأنهار بعد**».

[رواه الترمذي في السنن، جامع الأصول (١٠/ ٥٠٧)]

ولقد أخبرنا أيضاً رسول اللَّه ﷺ عن نهر يسمى (بارقاً) يكون على باب الجنة.

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً**».

[رواه أحمد في مسنده والطبراني والحاكم، صحيح الجامع رقم الحديث ٣٦٣٦]

وهذه الأنهار من آيات اللَّه سبحانه كونها تجري أنهاراً من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنة آفات خمر الدنيا من الصداع والقول واللغو والإنزاف وعدم اللذة.

من أين تفجر أنهار الجنة؟

روى البخاري عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من آمن باللَّه ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على اللَّه أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل اللَّه أو جلس في أرضه التي ولد فيها**».

قالوا: يا رسول اللَّه، أفلا نبشّر الناس؟ قال: «**إن في الجنة مِائة درجة أعدَّها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(١). وقال أبو حاتِم البُستي: معنى قوله: فإنه أوسط الجنة: يريد في الارتفاع، وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها.

وقد قيل: إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة، كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها، لأن اللَّه تعالى مدح في أول سورة المؤمنين أقواماً بأوصاف حميدة، ثم قال: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠، ١١]

أعاد ذكرهم في سورة المعارج فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٣٥]

فعلمنا أن الفردوس جنات لا جنة واحدة، قاله وهب بن منبه.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب (٤) درجات المجاهدين في سبيل اللَّه حديث رقم (٢٧٩٠)، ورواه ابن ماجة وغيره.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**رُفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة، نبقها مثل هلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، ما يخرج من ساقها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات**»[١].

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٠٧).

عيون الجنة

عيون الجنة من متع الجنة لما في شرابها من نعيم ولذة عظيمة، فقد وصف اللَّه سبحانه تلك العيون، وشراب أهل الجنة فيها، فمنها مِزاجها من كافور، ومنها مزاجها من تسنيم، ومنها مزاجها من زنجبيل.

هي عيون كثيرة كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾.

[سورة المرسلات، الآية: ٤١]

وقال اللَّه سبحانه في سورة الرحمن عندما وصف الجنتين اللتين أعدَّهما لمن خاف مقام ربه.....

يقول تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[سورة الرحمن، الآيات: ٤٦ ـ ٥١]

ويقول تعالى عن الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليتين من سورة الرحمن:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَآمَّتَانِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[سورة الرحمن، الآيات: ٦٢ ـ ٦٧]

فقد ذكر اللَّه سبحانه في تلك الآيات تلك العيون، اثنتان

تجريان واثنتان نضاختان في جنات اللَّه سبحانه، ولا يعلم مقدارها وحجمها إلا اللَّه سبحانه ـ فقوله: تجري أي إنها إن شاء اللَّه تجري في جنات اللَّه سبحانه فيشرب منها كل ساكني أهل الجنة بأعدادهم الهائلة.

وقد ذكر اللَّه سبحانه في كتابه الكريم مذاق وطعم تلك العيون ليعلم المؤمنين إكرامهم البالغ وما أعدَّ لهم من نعيم عظيم.

العين الأولى:

عين الكافور: يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٥]

ويقول الصابوني في تفسيره: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي الذين كانوا في الدنيا أبراراً بطاعتهم الجبار، فإنهم يشربون كأساً من الخمر، ممزوجة بأنفس أنواع الطيب وهو الكافور، قال المفسرون: الكافور طيب معروف يستحضر من أشجار ببلاد الهند والصين، وهو من أنفس أنواع الطيب عند العرب، والمراد أن من شرب من تلك الكأس وجدها في طيب رائحتها، وفوحان شذاها كالكافور.

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: الكافور اسم عين ماء في الجنة يقال له: عين الكافور، تمتزج الكأس بماء هذه العين وتختم بالمسك فتكون ألذ شراب، ولهذا قال تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أي هذا الكافور يتدفق من عين جارية من عيون الجنة، يشرب منها عباد اللَّه الأبرار، وصفهم بالعبودية تكريماً لهم وتشريفاً بإضافتهم إليه

تعالى ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، والمراد بهم المؤمنون المتقون ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يجرونها حيث شاؤوا من الدور والقصور. قال الصاوي: المراد أنها سهلة لا تمتنع عليهم، ورد: أن الرجل يمشي في بيوته، ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري منه حيثما دار في منازله، ويتبعه[1] حيثما صدر إلى أعلى قصوره[2].

العين الثانية:

عين التسنيم: يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

[سورة المطففين، الآيات: ٢٢ ـ ٢٨]

ويقول ابن كثير في تفسير ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: أي مزاج هذا الرحيق الموصوف ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي يشربها المقربون صِرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً، وهذا ما قاله ابن مسعود وابن عباس وغيرهم[3].

العين الثالثة:

عين السلسبيل: يقول تعالى:

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾.

[سورة الانسان، الآيتان: ١٧، ١٨]

---

(١) حاشية الصاوي ٤/ ٢٧٤.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني صفحة ١٦٢.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٦١٦ مجلد ٣.

ويقول ابن كثير في تفسير ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ : أي ويسقون - يعني الأبرار - في هذه الأكواب ﴿ كَأْسًا ﴾، أي خمراً ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صِرفاً كما قال قتادة وغيره.

وفي تفسير للشيخ **محمد متولي الشعراوي** في هذه العيون، وشرابها ومزاجها يقول: فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، وما يُحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر. وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب:

أحدهما: مزج بالكافور.

والثاني: مزج بزنجبيل.

وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده، في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبَّه على وفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر، على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه اللَّه عليهم، ولهذا قال: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ .

[سورة الإنسان، الآية: ١٢]

فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سَعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، وهذا جمال ظواهرهم، وهذا حال بواطنهم، كما جَمَّلوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان [١] .

(١) الدار الآخرة، الشيخ محمد متولي الشعراوي صفحة ٢٢٩.

أشجار الجنة

إن من أمتع ما في الدنيا أن نستظل بظلال وارفة أو تحت أشجار وارفة تضيء منها من أشعة الشمس وتحس مهما كانت درجة الحرارة عالية بنسائم عليلة من ظلالها.. ويكون منظر الأشجار وظلالها متعة رائعة للعين.. هذا في الدنيا وشجرها وظلالها، فكيف؟ وأنت في مقعد الصدق عند مليك مقتدر في جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!!!

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: يقول اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[1]، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مِائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٣٠]

وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٥]

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب (٨) ما جاء في صفة الجنة حديث رقم ٣٢٤٤.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب في ظلها سبعين أو قال مِائة سنة، وهي شجرة الخلد**» قال:

وأخبرنا ابن أبي خلدة عن زياد مولى بني مخزوم، سمع أبا هريرة يقول: « **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مِائة سنة**» . واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآية: ٣٠]

فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى بن عمران والفرقان على محمد ﷺ، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار في أصل تلك الشجرة ما يبلغها حتى يسقط هَرِماً، إن اللَّه تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، وما في الجنة نهر إلا ويخرج من أصل تلك الشجرة.

هذه شجرة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقها، وقد بيَّن الرسول ﷺ عظم هذه الشجرة بأن أخبر بأنّ الراكب لفرس من الخيل التي تعد للسباق يحتاج إلى مِائة عام حتى يقطعها، إذا سار بأقصى ما يمكنه، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: « **إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب الجواد المضمر السريع مِائة عام وما يقطعها**» . رواه البخاري في كتاب الرقائق باب صفة الجنة، فتح الباري ١١/ ٤١٦، ورواه مسلم في كتاب الجنة.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مِائة سنة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾** » .

[سورة الواقعة، الآية: ٣٠]

ـ عن أبي هريرة وسهل بن سعد رضي اللَّه عنهما عن رسول اللَّه ﷺ

قال: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها**».

[رواه مسلم في كتاب الجنة، ورقم الحديث ٢٨٢٦، ٢٨٢٧

سدرة المنتهى:

وهذه الشجرة ذكرها الحق في محكم التنزيل، وأخبر الحق أن رسولنا محمداً ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها عندها، وأن هذه الشجرة عندها جنة المأوى، كما أعلمنا أنه قد غشيها ما غشيها بما لا يعلمه إلا الله عندما رآها الرسول ﷺ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ١٣ ـ ١٧]

وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن هذه الشجرة بشيء مما رآه: «**ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، واذا ورقها مثل آذان الفيلة. قال: (أي جبريل) هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، قلت: ما هذان جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات**».

[رواه البخاري ومسلم]

وفي الصحيحين أيضاً: «**ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ونبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**». صحيح الجامع الصغير: (٤/ ٨٢)، وعزاه إلى البخاري ومسلم ورقمه ٤٠٧٥.

شجرة طوبى:

وهذه شجرة عظيمة كبيرة تصنع ثياب أهل الجنة، ففي مسند أحمد وتفسير ابن جرير، وصحيح ابن حِبان عن أبي سعيد الخدري

رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: « **طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مِائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها** » .

وقد دل على أن ثياب أهل الجنة تتشقق عنها ثمار الجنة ـ الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقاً تُخلق، أم نسجاً تنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **ومم تضحكون، من جاهل سأل عالماً؟** » ثم أقبل رسول اللَّه ﷺ، ثم قال: « **أين السائل؟** » قال: هو ذا أنا رسول اللَّه، قال: « **لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة، ثلاث مرات** » .

[رواه أحمد في مسنده، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث ٦٤٠]

شجرة الخلد:

يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ .

[سورة طه، الآية: ٢٠]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب في ظلها مِائة عام لا يقطعها، شجرة الخلد** »[١] .

صفة شجرها:

إن جميع سيقان الأشجار في الجنة من ذهب، أما كيف فهذا في علم اللَّه تعالى.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب** » .

[رواه الترمذي في السنن، صحيح الجامع ٥/ ١٥٠ وصححه الألباني]

---

(١) رواه ابن ماجة وأخرجه الشيخان، مختصر ابن كثير صفحة ٤٠٥.

ظلال الجنة

وغير هذه الشجرة التي لا يقطعها الجواد المضمر في مِائة عام، فقد ذكر اللّه سبحانه أشجار الجنة وظلالها في آيات كريمات.

يقول تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ *(١) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ(٢) * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾.

[سورة المرسلات، الآية: ٤١]

ويقول تعالى:

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ٥٥، ٥٦]

---

(١) السدر: هو شجر النبق الشائك، ولكنه في الجنة مخضود شوكه أي منزوع.

(٢) الطلح: شجر من شجر الحجاز من نوع العضاه فيه شوك، ولكنه في الجنة، منضود معد للتناول بلا كد أو مشقة، والأرجح أنه شجر الموز بغير قشر، جمع طلحة كما تفسير العلامة مخلوف.

ويقول تعالى:

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ .

[سورة الإنسان، الآية: ١٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]

فما معنى: جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مدهامتان.

جاء في تفسير الصابوني (ذواتا أفنان) ذواتا أغصان متفرعة وثمار متنوعة.. وخص الأفنان ـ هي الغصون ـ بالذكر لأنها التي تورق وتثمر ومنها تمد الظلال وتُجنى الثمار.

وجاء تفسير (مُدْهامتان) أي سوداوان من شدة الخضرة والري، وقال الآلوسي في تفسيره: المراد أنهما شديدتا الخضرة، والخضرة إذا اشتدت عزيت إلى سواد، وذلك من كثرة الري بالماء، ولقد جاء تعبير القرآن الكريم عن الظلال في قوله تعالى:

﴿ لَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٥٧]

ففي الآية الكريمة تأكيد على وجود الظل الظليل في الجنة، وهو أجمل مما يكون عليه حال الظل الظليل من ظلال الأشجار الوارفة الكثيرة الورق، وقد جاء في تفسير ﴿ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ .

يقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة: والذين صدقوا بالله ورسله وعملوا صالح الأعمال، سندخلهم جنات الخلد الممتعة، ماكثين فيها على الدوام لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب التي تكون

في أزواج الدنيا، وندخلهم ظلاً دائماً لا حر فيه ولا سموم أي جواً لا شمس فيه ولا برد.

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي ظلاً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً.

. . . إذاً هناك ظل دائم وظل ظليل يعيش فيه المؤمنون أجمل وأمتع حياة بما فيه من روعة وجمال، وبما يكسبهم من نضارة من النسائم العليلة التي تتخلل تلك الأشجار والظلال والله أعلم.

ما قيل في أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان اللَّه والحمد للَّه

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر».

[رواه الترمذي في سننه]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ مر به وهو يغرس غرساً فقال:

«يا أبا هريرة ما الذي تغرس، قال: غرساً، قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة». رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٥٩)، حديث رقم(٣٤٦٢) ٥/ ٥١٠.

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال:

«من قال: سبحان اللَّه العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة». رواه ابن ماجهْ في كتاب الأدب، باب (٥٦)فضل التسبيح، حديث رقم (٣٨٠٧) ٢/ ١٢٥١.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

ما قيل: إن الذِّكر نفقة بناء الجنة

ذكر الطبري في كتاب (آداب النفوس) قال: حدثنا الفضل بن الصباح قال: سألت النضر بن إسماعيل، فحدثني عن حكيم بن محمد الأحمسي، قال: بلغني أن الجنة تبنى بالذكر، فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البناء، فيقال لهم في ذلك فيقولون: حتى تجيئنا نفقة.

قال المؤلف رحمه اللَّه: من الذكر طاعة اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ في امتثال أمره واجتناب نهيه.

ومما يؤكد هذا حديث رسول اللَّهﷺ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّهﷺ:

« من غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ اللَّه له نزلاً من الجنة كلما غدا وراح». رواه البخاري ومسلم، علماً أن الإمام النووي رحمه اللَّه قال في تفسيره هذا الحديث: إن النزل هو ما يهيأ للضيف من الطعام.

هل يوجد زرع في الجنة

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أن رسول اللَّهﷺ كان يوماً يحدِّث وعنده رجل من أهل البادية: **« أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له: أو لست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر فبادر الطرف نباتُه واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول اللَّه: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء»** فقال الأعرابي: يا رسول اللَّه، لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول اللَّهﷺ.

[رواه البخاري برقم (٢٣٤٨)]

نخيل الجنة

شجرة النخيل هذه الشجرة المحببة لقلوب المسلمين هي وثمرها، لعظيم فائدتها وغذائها إذ كان ولا يزال شجر النخيل وثماره من أوائل الشجر المزروع على امتداد رقعة كبيرة من بقاع المسلمين ولا يزال ثمره من الثمر المحبب إلى القلوب لفائدته الغذائية الكبيرة.

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن النبي ﷺ قال:

«نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، ولونها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللُهم، وثمرها أمثال الغلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى حلاوة من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم»[(١)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٧٥ وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٨٧ والبغوي في شرح السنة ١٥/ ٢٢١ وابن أبي الدنيا/ ٥٠/ والبيهقي في البعث والنشور وابن أبي شيبة وابن المبارك في الزهد (١٤٨٨) وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٦٨ وإسناده صحيح.

ريح الجنة

. . إن من أعظم ما يسعدنا في الدنيا أن نَشَم رائحة زكية طيبة ـ فنرى من يحصل له مثل هذا يتنفس الصُّعَداء ويأخذ زفيراً ويملأ صدره ورئتيه من تلك النسائم التي تطل عليه منها الروائح الزكية، وقد تكون من زهور بستان أو حديقة جميلة. . وإن أحد أهدانا وردة لنشمها نفعل مثل ذلك. . واليوم تنشأ آلاف الشركات لصناعة العطور والبخور، وكل ما يحدث رائحة محببة لدى الإنسان، وقد تفننت البشرية بآلاف الأنواع في هذا المجال العطري.

. . . إذاً الروائح الزكية من المتع التي يسأل عنها الإنسان وتحيا بها روحه، ولكن ما يشَمه الإنسان في الدنيا من روائح زكية غير دائم. . . وأما في جنات اللَّه الخالدات فالروائح دائمة، عبق يأخذ بالنفوس شوقاً مستمراً دائماً، فإن كل شيء في الجنة دائم، ومنها الروائح الندية الزكية العبقة الفواحة بشتى أنواع الزهور والرياحين، التي هي بقدرة اللَّه تفوح ومخلوقة ومصبوغة بصبغة صبغها اللَّه سبحانه، ومن أحسن من اللَّه صبغة؟

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«من قتل معاهَداً لم يَرَحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه البخاري والإمام أحمد والنسائي وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير برقم (٦٣٢).

« ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة اللَّه وذمة رسوله، فقد أَخْفَر بذمة اللَّه ولم يَرَح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً ».

[رواه أبو داود والترمذي واللفظ له]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وريحها ليوجد من مسيرة خمسمِائة سنة ».

[رواه الإمام مالك]

كلام الجنة وربضها

البيهقي عن أنس ، عن النبي ﷺ قال :

« **لما خلق اللَّه جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها : تكلمي** » ، **فقالت** : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ، خرَّجه البزار من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال :

« **خلق اللَّه الجنة لَبنة من ذهب ولَبِنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر وقال لها : تكلمي ، فقالت** : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ **فقال : طوبى لك منزل الملوك** » . وهذا يروى موقوفاً عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : « **لما خلق اللَّه الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، قال لها : تكلمي فقالت** : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ **فدخلتها الملائكة ، فقالت : طوبى لك منزل الملوك** »[1] .

النسائي عن فَضالة بن عبيد قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **أنا زعيم** ـ والزعيم الحميل ـ **لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل اللَّه بيت له في ربض الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت** » .

[رواه النسائي في كتاب الجهاد باب (١٩)]

وقال مجاهد والطبري والزهري وعمر بن عبد العزيز : مؤمنو الجن في ربض ورحاب الجنة حول الجنة وليسوا فيها . واللَّه أعلم بصحة هذا القول وليس ثَمَّ دليل .

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان والبزار في كتاب صفة الجنة برقم ٣٥٠٧ ـ ٣٥٠٨ ـ كشف الأستار (٤/ ١٨٩).

ريحان الجنة

يقول تعالى:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨، ٨٩]

عن أبي عثمان قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **إذا أعطي أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة** »[١] .

وأخبرنا رسول اللَّه ﷺ أن سيد ريحان أهل الجنة الحناء ـ عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « **سيد ريحان الجنة الحناء** » .

[رواه الطبراني]

والريحان: هو الرزق الحسن هكذا قال المفسرون، ومن الأليق كما جاء في الحديث الشريف أن يحمل على أنه الرائحة الطيبة للطيب عند قبض الروح وفي القبر وعند دخول الجنة كما في تفسير العلامة مخلوف.

[رواه النسائي في باب (٧٤) الطيب]

---

(١) رواه الترمذي في كتاب، باب (٣٧) ما جاء في كراهية الطِّيب رقم الحديث (٢٧٩١)، وكذلك رواه النسائي في كتاب الزينة باب (٧٤) الطيب.

نور الجنة

ويقول ابن تيمية في هذا الموضوع:

« والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش»(١) .

قال القرطبي: « قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم أبداً، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ذكره أبو الفَرَج بن الجوزي»(٢) .

قال ابن كثير في تفسيره قوله تعالى:

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآيتان: ٦٢، ٦٣]

أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً ونهاراً، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار(٣) .

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣١٢).

(٢) التذكرة للقرطبي ص ٥٠٤.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧١).

طيور الجنة ودوابها

لقد ذكر اللَّه سبحانه في كتابه العزيز طيور الجنة.

يقول تعالى:

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٧ ـ ٢١]

وفي الجنة طيور ودواب مما لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه.. لأن الطيور والدواب على أنواعها من المتع التي يمتع بها الإنسان وتجمل حياته وتسره وتسعده.. واللَّه سبحانه لم يجعل الدواب على الأرض فقط، بل خلق في الأرض الدواب وفي السماء أيضاً.

يقول تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٩]

وقد تحدَّث رسول اللَّه ﷺ عن طير الجنة ودوابها.

عن أنس بن مالك قال: سئل رسول اللَّه ﷺ: ما الكوثر؟ قال:

«**ذاك نهر أعطانيه اللَّه** ـ يعني في الجنة ـ **أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل: فيه طير أعناقها كأعناق الجزُر**» فقال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول اللَّه ﷺ: «**آكلها أنعم منها**». قال: هذا حديث حسن [١].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب (١٠) ما جاء في صفة طير الجنة، حديث رقم (٢٥٤٢).

وخرَّجه الثعلبي، من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال:

« **إن في الجنة طيراً مثل أعناق البخت تصطف على يد ولي اللَّه، فيقول أحدها: يا ولي اللَّه رعيت في مروج الجنة تحت العرش، شربت من عيون التسنيم، فكل مني، فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها، فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد، فإذا شبع تجمع عظام الطير فيطير يرعى في الجنة حيث شاء** » ، فقال عمر: يا نبي اللَّه، إنها لناعمة قال: « **آكلها أنعم منها** » .

الترمذي: عن سليمان بن يزيد، عن أبيه، أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، هل في الجنة من خيل؟ قال: « **إن أدخلك اللَّه الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراءَ تطير بك حيث شئت إلا فعلت** » ، قال: وسأله رجل فقال: يا رسول اللَّه، هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه، فقال: « **إن يدخلك اللَّه الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك** »[(١)] .

وأخرج أبو نُعيم في الحلية، والحاكم في مستدركه عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: يا رسول اللَّه، إن هذه الناقة في سبيل اللَّه. فقال: « **لك بها سبعمائةِ ناقة مخطومة في الجنة** » . وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ووافقهما الشيخ ناصر الدين الألباني[(٢)] .

[رواه مسلم في صحيحه]

عن أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل بناقة

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة باب ١١ في صفة خيل الجنة رقم الحديث ٢٥٤٣.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث ٦٤٨.

مخطومة، فقال: هذه في سبيل اللّه، فقال رسول اللّه ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمِائة ناقة كلها مخطومة**»(١).

[رواه مسلم]

الشاة من دواب الجنة.

عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**الشاة من دواب الجنة**»(٢).

---

(١) مشكاة المصابيح ورقم الحديث ٣٧٩٩.

(٢) رواه ابن ماجة برقم ٢٣٠٦ صحيح.

فرش الجنة وسررها

لقد أعدَّ اللَّه سبحانه القصور والغرف والخيام في الجنة للمؤمنين وقد بيَّنَّا في فقرة سابقة شيئاً عنها. . وهذه الغرف والقصور والخيام جهّزها رب العالمين للمؤمنين، وفي داخلها وفي داخل حدائقها وبساتينها فرش وسرر رائعة وبألوان فاخرة ما عهدناه من قبل لا في جمالها ولا في ما تعطيه للمؤمن من الراحة والاستمتاع الدائم. . فهي فرش بطائنها من الإستبرق وزرابي مبثوثة في كل مكان بأجمل الأشكال والألوان تسر العين والخاطر وتبهج النفس.

يقول تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ .

[سورة الحجر، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٣١]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ .

[سورة الطور، الآيات: ١٧ ـ ٢٠]

ويقول تعالى:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٥٤]

ويقول سبحانه:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٧٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٦]

ويقول جلَّ جلاله:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ٨ ـ ١٦]

معاني الكلمات التي وردت في الآيات الكريمة:

سرر متقابلين: قبالة بعضهم بعضاً.

الأرائك: السرر في الحجال.

سرر مصفوفة: موصول بعضها ببعض باستواء.

فرش بطائنها من إستبرق: فرش بطائنها من غليظ الديباج لسماكتها من أجل الراحة.

رفرف خضر: وسائد أو فرش مرتفعة.

عبقري حسان: بسط ذات خَمْل خفيف.

سرر موضونة: منسوجة من الذهب بإحكام.

سرر مرفوعة: مرتفعة السمك أو رفيعة القدر.

أكواب موضوعة: أقداح بين أيديهم للشرب منها.

نمارق مصفوفة: وسائد ومرافق يُتكأ عليها، موضوع بعضها إلى جنب بعض.

زرابي مبثوثة: بسط فاخرة مفرقة في المجالس.

سندس: رقيق الديباج (أي الحرير).

وفي صفوة التفاسير للصابوني جمع فيه ما بين تفسير ابن جرير الطبري وابن كثير في تفسير سورة الغاشية، الآيات: ٨ ـ ١٦.

والتي يتكلم اللَّه سبحانه فيها على نعيم الجنة.. لقد اخترتها للتفسير لما فيها من روعة وجمال، وتتكلم على سرر وفرش الجنة.

يقول تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ٨ ـ ١٦]

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾: أي وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة ذات بهجة وحسن، وإشراق ونضارة كقوله تعالى: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾: أي لعملها الذي عملته في الدنيا وطاعتها للَّه راضية مطمئنة، لأن هذا العمل أورثها الفردوس دار المتقين ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾: أي في حدائقَ وبساتين مرتفعة مكاناً وقدراً، وهم في الغرفات آمنون ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾: أي لا تسمع في الجنة شتماً، أو

سباً، أو فحشاً. قال ابن عباس: لا تسمع أذى ولا باطلاً ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: أي فيها عيون تجري بالماء السلسبيل لا تنقطع أبداً، قال الزمخشري: التنوين في ﴿عَيْنٌ﴾: للتكثير أي عيون كثيرة تجري مياهها ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: أي في الجنة أسرة مرتفعة، مكللة بالزبرجد والياقوت، عليها الحور العين، فإذا أراد ولي اللّه أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾: أي وأقداح موضوعة على حافات العيون، معدة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملأها ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: أي ووسائد ـ مِخَدات ـ قد صُف بعضها إلى جانب بعض ليستندوا عليها ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: أي وفيها طنافس فاخرة لها خَمْل رقيق مبسوطة في أنحاء الجنة..

آنية الجنة

آنية الجنة متنوعة ومختلفة، منها ما يكون للزينة ومنها ما يكون للأكل والشرب، وقد بيَّن القرآن الكريم أن هذه الآنية هي جزء من الذهب وجزء من الفضة والآنية ـ من أكواب وأباريق وكؤوس من ذهب وفضة على أشكال رائعة المنظر والجمال، لتزيد في جمال كل الموجودات وليكون الأكل فيها والشرب هنيئاً، فجمال الكأس والكوب والإبريق يضفي على الشراب إحساساً رائعاً بالنشوة والمتعة، فيزداد نعيم المؤمن ومتعته، فينتشي مع الخلود الدائم بنشوة ومتعة وإحساس فائق بالسرور والبهجة والانشراح والانبساط.. فما من شيء أعدَّه اللَّه سبحانه في الجنة إلا ليكون على صِبغة من الجمال الفائق، وهذا كله من الأجر العظيم الذي أعدَّه اللَّه سبحانه لعباده الذين وعدهم به في كتابه الكريم.

يقول تعالى:

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٧ ـ ٢٤]

ويقول ابن كثير وابن جرير والصابوني وفي الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير هذه الآيات الكريمة:

﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾: أي بأقداح كبيرة مستديرة لا عرى لها ﴿ وَأَبَارِيقَ ﴾: جمع إبريق أي وأباريق لها عُرى من صفاء لونها ﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾: أي وكأس من خمر لذة للشاربين جارية من العيون، قال ابن عباس: لم تعصر كخمر الدنيا بل هي من عيون سارحة، قال القرطبي: والمعين: الجاري من ماء أو خمر، غير أن المراد في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون، ليست كخمر الدنيا التي ستخرج بعصر وتكلف ومعالجة.

ويقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيات: ٦٩ ـ ٧١]

وفي التفسير:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾: أي يطاف على أهل الجنة بأوان من الذهب فيها الطعام، وأقداحٍ من ذهب فيها الشراب، وقال المفسرون: آنية أهل الجنة التي يأكلون فيها من الطعام، والكؤوس التي يشربون فيها كلها من ذهب وفضة، كما قال تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴾. وفي الحديث: «**لا تلبسوا الحرير والديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم** (أي للكافرين) **ولكم في الآخرة**». رواه مسلم بمعناه وبألفاظ مقاربة مختصرة، مختصر صحيح مسلم رقم الحديث (١٣٣٦).

ويقول تعالى:

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ * قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

ولما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم، وصف بعد ذلك شرابهم فقال: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾: أي يدور عليهم الخدم بالأواني الفضية فيها الطعام والشراب ـ على عادة أهل الترف والنعيم في الدنيا. تفسير الصابوني ص١٦٢٢.

فيتناول كل واحد منهم حاجته، وهذه الأواني هي الصّحاف بعضها من فضة وبعضها من ذهب كما قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ ﴾. قال الرازي: ولا منافاة بين الآيتين، فتارة يسقون بهذا، وتارة بذاك. التفسير الكبير ٣٠/ ٢٤٩.

﴿ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾: أي وأكواب ـ وهي كالأقداح ـ رقيقة شفافة كالزجاج في صفائه. قال في البحر: ومعنى (كانت) أن اللّه تعالى أوجدها بقدرته، فيكون تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن، الجامعة بين بياض الفضة ونصوعها، وشفيف القوارير وصفائها. البحر المحيط ٨/ ٣٩٧.

﴿ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ ﴾: أي هي جامعة بين صفاء الزجاج، وحسن الفضة. قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء ـ يعني أن ما في الجنة أسمى وأشرف وأعلى ـ ولو أخذت فضة من فضة الدنيا، فضربتها حتى مثل جناح الذباب، لم ير الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة، وجنتان من فضة، آنيتهما وما فيها، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيها» أي لكل مؤمن جنتان . .

[مشكاة المصابيح (٣/ ٨٦)]

لباس أهل الجنة وكسوتهم وحليهم

لا شك أن اللباس هو أحد مظاهر الجمال والفتنة والرتابة والأناقة والذوق.. لذا فإن الناس في الدنيا يعتنون بهذا الجانب ويهتمون بلباسهم اهتماماً بالغاً. وكذلك يهتمون بكل ما يكسوهم من أنواع اللباس وغيره، وخاصة النساءَ إذ تفوق اهتماماتهن صنف الرجال بل أكثر..

وقد امتحن اللَّه سبحانه عباده المؤمنين من الرجال فمنع عنهم لبس الحرير والذهب وحلَّلهما للنساء، ومنع استعمال أواني الذهب والفضة للرجال والنساء، وما ذلك إلا حتى يعطيهم في الآخرة وينعمهم تنعيماً عظيماً على طاعة اللَّه سبحانه، وقد جاء في القرآن الكريم عن لباس وكسوة وحلية أهل الجنة.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٣٠، ٣١]

وفي قوله تعالى:

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾: أي

يحلَّون في الجنة بأساور الذهب، وقال المفسرون: ليس من أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، لأن اللَّه تعالى قال: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾، وقال: ﴿ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾. وفي الحديث: « **تبلغ الحِلية من المؤمن حيث يبلغ الوَضوء** » أي ماء الوضوء.

[رواه مسلم (المختصر) رقم الحديث ١٣٤]

﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾: أي هم رافلون في ألوان من الحرير، برقيق الحرير وهو السندس وبغليظه وهو الإستبرق، قال الطبري: معنى الآية أنهم يلبسون من الحلي أساور من ذهب، ويلبسون من الثياب السندس وهو ما رق من الديباج والإستبرق وهو ما غلظ منه.

[تفسير الطبري ١٥/ ٢٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾.

[سورة الدخان، الآيات: ٥١ ـ ٥٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى:

﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٣]

ويقول تعالى:

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآيتان: ١١، ١٢]

وجميع هذه الآيات الكريمة تتحدث عن لباس أهل الجنة وكسوتهم وحليهم، والحرير المذكور والسندس والإستبرق واللؤلؤ والفضة كلها أسماء لا يشبه ما في الدنيا منها ما هو موجود في الجنة، ولا تشبهها إلا بالأسماء فقط، فالذهب عيارات كلما زاد عياره صفا وغلا ثمنه، وما عند اللّه سيكون من أصفى الأنواع وبشكل لا يتخيله عقل ولا فكر، وهكذا بقية المعادن.

وفي الحديث الشريف يقول رسول اللّه ﷺ:

عن البراء بن عازب رضي اللّه عنه قال: أهدي لرسول اللّه ﷺ سَرَقةٌ من حرير (قماش) فجعلوا يتداولونها بينهم، فقال رسول اللّه ﷺ:

«**أتعجبون منها؟ قالوا نعم** يا رسول اللّه، قال: **والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها**».

[رواه البخاري برقم (٣٨٠٢)ومسلم برقم (٢٤٦٨)]

عن عمرو بن سعد بن معاذ، أن عطارد بن حاجب أهدى رسول اللّه ﷺ ثوباً من ديباج كساه إياه كسرى، فاجتمع إليه الناس فجعلوا يلمسونه ويعجبون ويقولون: يا رسول اللّه، أنزل عليك هذا من السماء؟! فقال «**ما تعجبون! فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا، يا غلام اذهب بهذا إلى أبي جهم وجئنا بأنبجانيته**».

[رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٥ ـ ١٦ ـ ٢٢)]

ما جاء أن شجر الجنّة تنفتق عن ثياب الجنة:

عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما، قال: بينما نحن عند رسول اللّه ﷺ إذ جاء رجل فقال: يا رسول اللّه، أخبرنا عن ثياب الجنة، أخلقاً تخلق أو نسجاً تنسج؟ فضحك بعض القوم. فقال: «**مم تضحكون، إن جاهلاً يسأل عالماً**»، فجلس يسيراً أو قليلاً، فقال رسول اللّه ﷺ: «**أين السائل عن ثياب الجنة**»؟ فقالوا: ها هو ذا يا رسول اللّه، قال: «**لا، بل تنفتق عنها ثمر الجنة**». قالها ثلاثاً.

أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٢٥) والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٤١/ ٥٨٧٢)، والطيالسي برقم (٢٢٢٧).

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن النبي ﷺ قال:

«**نخل الجنة جذوعها زُمُرُّد أخضر، ولونها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى حلاوة من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عَجَم**». رواه الحاكم، وأبو نعيم، والبغوي، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، وابن أبي شيبة، وابن المبارك، وأبو الشيخ.

أجواء الجنان

الجنة لا شمس فيها ولا زمهرير وجوُّها صاف يضفي على ساكنيها نشوة فائقة وشعوراً بالانشراح لا مثيل له ولا يمكن التعبير عنه إلا إذا عشناه ولمسناه. . . . . وفي الدنيا تأتي كل عام أيام يكون فيها الجو رائعاً، وبدرجة حرارة تناسب الجسد البشري حيث يشعر بالراحة والسرور والانشراح، وهي ليال معدودة في السنة ولأوقات محددة قد تكون ساعة من ليل أو نهار. . وأما في الجنة فإن المداومة على جو دائم، يناسب الأجساد والنفوس وبشكل دائم يجتمع مع باقي ما أعدَّه اللَّه سبحانه من متع الجنة حتى تغمر السعادة والهناء والانشراح المؤمن وفي كامل حياته الدائمة.

يقول اللَّه تعالى يصف جو الجنة:

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

[سورة الإنسان، الآيات: ١١ ـ ١٤]

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾: أي ليس عندهم حرٌّ مزعج ولا برد مؤلم، فالوقت في الجنة كما قال المفسرون هو أقرب ما يكون عند الفجر أو عند الغروب وتكون الرؤية واضحة. . وقد ذكر اللَّه سبحانه بعد قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾، فهذه الظلال لها دور من كثافتها وتخلخل الهواء

العليل من خلالها مما يجعل جو الجنة بهذه المتعة والانشراح واللَّه أعلم.

وخرَّج أبو عبد اللَّه الترمذي في «**نوادر الأصول**» له من حديث أبان عن الحسن وأبي قلابة قال: قال رجل: يا رسول اللَّه، هل في الجنة من ليل؟ قال: «**وما هيجك على هذا؟**» قال: سمعت اللَّه تعالى يقول في الكتاب: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، فقلت: الليل بين البكرة والعشي، فقال رسول اللَّه ﷺ:

«**ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو، ويأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها، وتسلِّم عليهم الملائكة**».

[رواه ابن المبارك في زوائد الزهد برقم (٢٣٠)]

أسواق الجنّة

إن في الجنة أسواقاً (أماكن) يجتمع فيها المؤمنون كل جمعة، يجتمعون فيها ويتذاكرون الدنيا، ويحمدون اللَّه سبحانه على ما أنعم عليهم في دخولهم الجنة، وما هم فيه من النعيم، وما أعطاهم اللَّه سبحانه من الأجر العظيم.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن في الجنّة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم المسك، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم واللَّه لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»(١).

عن سعيد بن المسيَّب أنه لقي أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل اللَّه أنْ يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم وذكر الحديث، وفيه: **«فتأتي سوقاً حُفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، فيقبل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني، فيروعه ما عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى**

---

(١) رواه مسلم ورقم الحديث (٢٨٣٣).

يتمثل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيه»(١) .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: أخبرني رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نزلوا فيها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون اللَّه ويبرز لهم عرشه، ويبدو لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم ـ وما فيهم دني ـ على كثبان المسك والكافور، لا يرون بأن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً» . قال أبو هريرة: قلت: يا رسول اللَّه؛ هل نرى ربنا؟! قال: نعم؛ هل تتمارن في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا، قال: **«كذلك لا تمارون في رؤية ربكم عزَّ وجلَّ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره اللَّه محاضرة حتى إنه يقول للرجل منكم: ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا، يذكره بعض غَدَراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى؛ فبسعة مغفرتي منزلتك هذه، فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً، لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ثم يقول: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقاً»** . الحديث بلفظه ومعناه إلى أن قال: **«وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف**

(١) رواه الترمذي ورقم الحديث (٢٥٤٩).

إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً، لقد جئت، وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقولون: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»[١].

(١) رواه ابن ماجهْ ورقم الحديث (٤٣٣٦).

الفصل الخامس

نعيم الجنة

- وننشئكم فيما لا تعلمون.
- أهل الجنة أبناء ثلاث وثلاثين جرداً مكحلين.
- أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون.
- لا نوم في الجنة.
- أهل الجنة مشغولون.
- نعيم الدنيا ونعيم الآخرة.
- طعام أهل الجنة.
- شراب أهل الجنة.
- الخمر في الجنة.
- فاكهة أهل الجنة وثمارها.
- حدائق الجنة.
- الولدان والغلمان في الجنّة.
- يعطى المؤمن في الجنة قوة مِائة رجل.
- خُلق أهل الجنة.
- من نعيم أهل الجنة التسبيح والتكبير.
- ضحك أهل الجنة.

نعيم الجنة

وننشئكم فيما لا تعلمون

يقول تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

لقد أكدت الآية الكريمة والأحاديث الشريفة أن المؤمن في الجنة يُنشّأ نشأة أخرى تتناسب مع نعيم الجنة ومع الخلود الذي وعد اللّه سبحانه به عباده المؤمنين.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير عن الآية الكريمة:

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾: أي ولسنا بعاجزين أن نعيدكم يوم القيامة في خِلقة جديدة لا تعلمونها ولا تصل إليها عقولكم.

ويقول ابن كثير في تفسير: ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾: أي نغير يوم القيامة من الصفات والأحوال.

فالمفسرون يفسرون الآية الكريمة على أنها خلق جديد للبشر يوم القيامة، وهذا ما أكدته السنة الشريفة.

عن أُبَيٍّ رضي اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ قال: « **خلق اللّه عزَّ وجلَّ آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده**»[(١)].

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **إن**

(١) رواه مسلم ـ كتاب الجنة (٤/ ٢١٨٣) ورقمه ٢٨٤١.

أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ـ وفي رواية ـ **ثم هم بعد ذلك منازل، لا يبولون ولا يتغوطون ومجامرهم الألوة**[(١)]**، وأزواجهم الحور العين** ـ وفي رواية ـ **لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»**[(٢)].

من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تتبيَّن أن أهل الجنة يدخلون الجنة على أكمل وجه، على صورة أبيهم آدم الذي خلقه اللَّه سبحانه بيده، وعلى طول أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء.. واللَّه أعلم أن هذه تكون من النشأة الأخرى في يوم القيامة التي أرادها اللَّه سبحانه في كتابه الكريم.

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

وما ذلك إلا لتتناسب هذه النشأة مع عظيم هذا النعيم الذي ينالونه في جنات النعيم.

أهل الجنة أبناء ثلاث وثلاثين سنة جرداً مكحلين. وهذا هو العمر الذي يختاره اللَّه سبحانه لعباده المؤمنين إذا دخلوا الجنة، وهو العمر الذي يتمتع فيه الإنسان بكامل القوة البدنية والفتوة والذهن والعقل والفكر.

عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يدخل أهل الجنة جرداً مرداً كأنهم مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين**»[(٣)].

---

(١) الألوة: العود.

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الجنة ـ باب أول زمرة يدخلون الجنة (٤/ ٢١٧٩) رقم ٢٨٣٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، صحيح الجامع: (٦/ ٢٣٧).

. . . فهم على عمر ثلاث وثلاثين جرد مرد. لا لحية ولا شوارب إلا أشعار الحاجب والأهداب، وكأنهم قد وضعوا على عيونهم الكحل. . زيادة في الجمال والصفاء ونقاء البشرة.

أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون:

ومن صفات أهل الجنة ونعيمهم فيها أنه يذهب عنهم الخبث والخبائث والقذر والفضلات، كلُّ ذلك زيادةً في إكرامهم وحفظاً لهيبتهم، فهم ساكنو الجنة التي أكرم اللَّه سبحانه أهلها أعظم تكريم. . . وكل هذا من النشأة الجديدة التي سينشئ اللَّه سبحانه عباده المؤمنين فيها في الجنة، وهو القادر على كل شيء، فهو الذي خلقنا نتغوط ونتبول ونتفل ونتمخط في الدنيا، وهو القادر على إلغاء هذا. . إنما يجعله اللَّه سبحانه بقدرته رشحاً يخرج من الجسد له رائحة المسك كما يقول رسول اللَّه ﷺ. . . .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون، وأمشاطهم الذهب** ـ وفي رواية ـ **الفضة، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين ـ وفي رواية ـ لكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبِّحون اللَّه بكرة وعشياً**»(١).

صفات حميدة وجميلة وفائقة الحسن والجمال أن يتنزهوا عن جميع هذه الفضلات التي تكون في الإنسان في الدنيا، ذلك ليعلم المؤمن عظيم خَلق اللَّه سبحانه وقدرته، وأن اللَّه على كل شيء

---

(١) رواه البخاري ورقم الحديث (٣٣٢٧).

قدير، وقد حضرني من الموسوعة حديث عن رسول اللَّه ﷺ عندما قرأ على أصحابه الآية القرآنية الكريمة.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

فسأله أحد الصحابة فقال: يا رسول اللَّه، كيف يمشون على وجوههم؟ فأجابه ﷺ: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**». جزء من حديث.

[رواه الترمذي برقم (٣٠٤٢) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه]

فاللَّه سبحانه الذي خلقنا في الدنيا على هذه الحال التي نعيشها قادر على أن ينشئنا يوم القيامة النشأة التي يريد، وما أراد بالمؤمنين في الجنة إلا سعادتهم وسرورهم وانشراحهم في متعة عظيمة من رب كريم، وفي الحديث أنه لا تباغض بينهم على قلب رجل واحد في الحب والإخاء والمحبة والرضا والقبول، ويلهمهم اللَّه سبحانه التسبيح والذكر كما يلهمهم النَفَس واللَّه أعلم.

لا نوم في الجنة:

- عن جابر بن عبد اللَّه، وعبد اللَّه بن أبي أوفى رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**النوم أخو الموت، ولا ينام أهل الجنة**»[1].

وهذه نعمة عظيمة يتنعم بها المؤمن في الجنة، وتصوَّروا هذه النعمة وتفكروا فيها قليلاً تجدوها من أعظم النعم التي يجعلها اللَّه

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الحلية، وأبو الشيخ في تاريخ أصفهان، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

سبحانه للمؤمن في الجنة.. فالنعيم دائم غير مجذوذ أي غير مقطوع، وفي جميع لحظات عيش المؤمن في الجنة.. لا تضيع منه ساعة واحدة من دون نعيم وسرور، ومع العمر المديد الذي لا نهاية له مهما ذكرنا من أرقام تجمع مليارات من السنين، فمع الخلد تتوقف الأرقام وتتضاءل، ومع كل هذا فلا انقطاع للنعيم. والنوم إن حدث في الجنة فهذا يعني انقطاعاً عن النعيم والله يقول: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٠٨]

﴿مَجْذُوذٍ﴾ غير مقطوع عنهم.

إنه ملك كبير يتجول المؤمن فيه وهو في شُغُل دائم.

أهل الجنة مشغولون:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ * لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٥٥ ـ ٥٨]

ومعنى ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ نعيم عظيم يلهيهم عن سواهم، متلذذون وفرحون، **ويقول الصابوني** في صفوة التفاسير عن هذه الآيات الكريمة:

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾: أي إن أصحاب الجنة في ذلك اليوم ـ يوم الجزاء ـ مشغولون بما هم فيه من اللذات والنعيم عن التفكير بأهل النار، يتفكهون ويتلذذون بالحور العين، وأزواجهم من أهل الدنيا وبالأكل والشراب والسماع للأوتار، قال أبو حيان: والظاهر أن الشغل هو النعيم الذي قد شغلهم عن كل ما يخطر بالبال،

وقال ابن عباس: شغلوا بافتضاض الأبكار، وسماع الأوتار عن أهاليهم من أهل النار لا يذكرونهم لئلا يتنغصوا.

ففي الدنيا وعلى صغر ما نملك، أو ما لدينا من عمل، فإن أحدنا ليقول: إن عملي يستغرق من وقتي (٢٤) ساعة، وأحدهم يقول: إن تجارتي لا تسمح لي أن أفعل كذا وكذا، ومنهم من يقول: ما لدي وقت للنوم وهكذا.. فما بالك في نعيم ومُلك كبير لا يعلم مداه إلا اللَّه سبحانه.. فأين الوقت للنوم؟

قال اللَّه تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٢٠]

نعيم الدنيا ونعيم الآخرة

.. لا مقارنة بين نعيم الآخرة.. ولا أقول نعيم الدنيا، ولكن متاع الدنيا كما سماه اللَّه سبحانه في كتابه الكريم:

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٧٧]

والدنيا بعمومها دار ابتلاء وامتحان، وليست دارَ سعادة وهناء، خلقها اللَّه سبحانه محطة عبور للآخرة دار القرار.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٢]

وكذلك كثير من الآيات الكريمة التي يبيِّن اللَّه سبحانه فيها: أن هذه الدنيا امتحان للبشر في الإيمان والعمل، وهي لا تعدل عنده جناح بعوضة، وحتى يدرك الإنسان مراد اللَّه سبحانه، قال في كتابهِ الكريم: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

[سورة الأنفال، الآية: ٦٧]

ذلك أن اللَّه سبحانه يعلم وهو الخالق ماذا في الآخرة، وما أعدَّ اللَّه سبحانه في جناته للمؤمنين الموحدين من قرة أعين ونعيم دائم كبير عظيم في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر.

وتمت المقارنة في القرآن الكريم بين نعيم الآخرة ومتاع الدنيا

حتى ينتبه الغافلون عن الحقيقة والساهون والمتكاسلون، ويعلموا أن اللَّه يريد الآخرة لهم فيسعَوْا في الدنيا لرضا اللَّه سبحانه والعمل على طاعته، وإقامة ما افترضه اللَّه سبحانه عليهم.

ومن هذه الآيات المقارَنات يقول الحق سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٤، ١٥]

يقول تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٨]

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

[سورة طه، الآية: ١٣١]

وكثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة التي تبيّن أن متاع الدنيا في الآخرة قليل ولا قيمة له.. ولكنْ... كثير ممن أصابهم بعض رزق ربك، وعاشوا في نعيم وعافية رغبوا عن الآخرة ولم يعودوا يريدونها.. لما أصابهم من متاع الدنيا وبعض نعيمها وزينتها، وهؤلاء تغريهم شياطينهم وترغبهم بما هم فيه من النعيم، وتدخل في نفوسهم أنه لا جنة موعودة بعد الموت للصالحين والصالحات، بل ما هم فيه هو الجنة، ولا عودة إلى الآخرة بل هي الحياة وحسب.

يقول تعالى:

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآيتان: ٣٥، ٣٦]

فقد غرَّته جنته الدنيوية وما فيها من شجر وثمر وماء، وما علم أنها لزوال مهما طال أمدها.

ويقول تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٥٠]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٥١]

والآيات كثيرة في هذا الخصوص وحتى لا نركن إلى الدنيا ونغتر بها وببعض متاعها، فقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ ما قيمة الدنيا في الآخرة.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

«واللَّه ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار ـ بالسبابة ـ **في اليم فلينظر بما ترجع»**(١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»(٢).

(١) رواه مسلم (٤/ ٢١٩٣) ورقم الحديث ٢٨٥٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم، مشكاة المصابيح ورقم الحديث (٥٦١٣).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس»(١).

وكذلك بيَّن رسول اللَّه ﷺ صفة امرأة واحدة من الحور العين.

ـ عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنَصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(٢).

ـ وقد بيَّن اللَّه سبحانه أن نعيم أو متاع الدنيا مهما طال فإنه زائل وما عند اللَّه باق لا يزول ولا ينفد ولا ينقص في الدار الآخرة.

يقول تعالى:

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ١٣]

ويقول تعالى:

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٩٦]

ويقول تعالى:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا * ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٤٥، ٤٦]

والمعنى أن كل زهرة أو نبت مهما أزهر واخضر سيزول ويموت

---

(١) رواه البخاري ومسلم، مشكاة المصابيح ورقم الحديث (٥٦١٥).

(٢) رواه البخاري، مشكاة المصابيح ورقم الحديث (٥٦١٤).

كما يموت الإنسان، ومهما قوي في شبابه فإنه سيهرم ويعجز ويزول ثم يموت والباقي هو اللَّه، فلا إنسان باقٍ، ولا الحياة الدنيا باقية، ولا يدوم إلا الحي القيوم.

وإن من أعظم نعيم الجنة والذي يعاني الناس عكسه في الدنيا تماماً، هذا النقاء والصفاء والطيب والأخلاق العظيمة، فلا تسمع في الجنة كلمة سيئة أو نابية مما كنت تسمع في الدنيا، ولا فيها مراء ولا كذب ولا مداهنة ولا نفاق، فالجنة كلها وبديمومتها التي لا تنتهي، لا تسمع من باطل الأقوال ولا ترى من سيّئ الأعمال أدنى مُسْكة من ذلك.

يقول تعالى:

﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ .

[سورة الطور، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى:

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى:

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٦٢]

ويقول تعالى:

﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ .

[سورة الغاشية، الآية: ١١]

ويقول تعالى:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيتان: ٢٥، ٢٦]

طعام أهل الجنة..

أول طعام أهل الجنة:

أول طعام يتحف اللَّه به أهل الجنة زيادة كبد الحوت، عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفّؤها الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة**»، فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرتك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «**بلى**». قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: «**ألا أخبرك بإدامهم؟ بالام ونون**». قالوا: وما هذا؟ قال: «**ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً**»[1].

قال النووي في شرح الحديث ما ملخصه: «**النُزل: ما يعد للضيف عند نزوله، ويتكفؤها بيده: أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي، لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها، ومعنى الحديث: أن اللَّه تعالى يجعل الأرض كالرغيف العظيم، ويكون طعاماً ونزلاً لأهل الجنة، والنون: الحوت، (والـ بالام): لفظة عبرانية، معناها: ثور، وزائدة كبد الحوت: هي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد، وهي أطيبها**»[2].

عن ثوبان أن يهودياً سأل الرسول ﷺ قال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد الحوت**»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها**»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين تسمى سلسبيلاً**»، قال: صدقت[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، مشكاة المصابيح: (٣/ ٥٦).

(٢) شرح النووي على مسلم: (١٧/ ١٣٦). (٣) صحيح مسلم.

وفي صحيح البخاري أن عبد اللَّه بن سلام سأل النبي ﷺ أول قدومه المدينة أسئلة منها: ما أول شيء يأكله أهل الجنة؟ فقال: « **زيادة كبد الحوت**»[(١)] .

ومهما استطاع الإنسان أن يصف طعام أهل الجنة ويعبر عن مذاقه فربما يبقى القلم عاجزاً عن التعبير، فالمذاق صبغة اللَّه سبحانه وتعالى، فكما قدر لنا أذواق طعامنا في الدنيا، قدّر أذواقهم في الجنة بما يتناسب وإكرامهم الأبدي في جنات اللَّه الخالدات، والطعام المقدَّم على طِيب مذاقه الذي يسعد النفس وينتشيها يقدّم في أطباق لا توصف من جمالها الأخَّاذ، وهي من الذهب الخالص ومن الفضة النقية.

يقول تعالى:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ . [سورة الزخرف، الآية: ٧١]

إنها آية كريمة، ولهي من أروع الآيات الكريمة، وفيها فضل اللَّه وكرمه ونعمته على المؤمنين في الجنة.

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ : والصحاف لا تكون إلا للطعام المقدَّم الذي يقول عنه اللَّه سبحانه: ﴿ وَفِيهَا﴾ : أي في الصحاف ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. . أي كرم هذا الذي يُكرم به المؤمنون في جنة اللَّه سبحانه، وهذا يدل دلالة واضحة على تنوع الطعام ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ : فكل ما تشتهيه نفس المؤمن من ألوان الطعام سيقدّم إليه يحمله إليه الغلمان الذين هم كاللؤلؤ المكنون ـ جمال في جمال وروعة في روعة وطيب في طيب وتلذذ في تلذذ ـ غير مقطوع، وغير ممنوع، ولا يحرم أحد مما اشتهت نفسه، **يقول ابن كثير في** تفسير هذه الآية الكريمة:

(١) صحيح البخاري.

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧١]

يقول: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ ﴾: أي زبادي آنية الطعام ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾. وقرأ بعضهم تشتهي الأنفس ﴿ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾: أي طيب الطعم والريح وحسن المنظر، **يقول ابن كثير**: روى عبد الرزاق عن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد، يفسح له في بصره مسيرة مِائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع شبر إلا معمور، يُغدى ويراح عليه بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله، شهوته في آخرها كشهوته في أولها، لو نزل به جميع أهل الأرض لوسّع عليهم مما أعطي، لا يُنقص ذلك مما أوتي شيئاً**»(١).

ويقول تعالى:

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٢١]

الطيور على أنواعها الكثيرة طيبة المذاق، ولحمها لذيذ جدًّا، وطيور الجنة والتي لا يعلم ما هي وما أنواعها وأشكالها وألوانها ومذاقها إلا اللَّه سبحانه ـ هي التي تقدّم أيضاً على صحاف من ذهب يطوف بها الغلمان على ساكني الجنان، وهي التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

يقول ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أي ولحم طيرٍ مما تحبون وتشتهون، يقول: يخطر على قلب أحدهم لحم الطير في الجنَّة فيطير حتى يقع بين يديه على ما اشتهى مقلياً أو مشوياً، وفي الحديث: «**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فيخرّ بين يديك مشوياً**»(٢).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٢٩٦ في تفسير سورة الزخرف.

(٢) رواه ابن أبي حاتِم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٤٣١/ .

ويقول تعالى:

﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ .

[سورة الطور، الآية: ٢٢]

﴿ وَلَحْمٍ ﴾ الواردة في الآية الكريمة كلمة مطلقة غير محدودة بنوع أو اسم، فهي تشمل كل أنواع اللحم الذي أعدَّه اللَّه سبحانه للمؤمنين في الجنة.

وإن من أعظم النعم أن اللَّه سبحانه يدعونا في الجنة ويخاطبنا أن: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ ﴾ : أي صبرتم وأطعتم.. إنها دعوة من إلٰه رحيم رؤوف عطوف، يريدنا أن نأكل ممَّا أعدَّ لنا في الجنة وهيَّأه بقدرته.

يقول تعالى:

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة الطور، الآية: ١٩]

يقول تعالى:

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ .

[سورة الحاقة، الآية: ٢٤]

﴿ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ : أي كلوا واشربوا بما حرمتم أنفسكم أو بما حُرمتم من أنواع الطعام والشراب.. فهذه جناني كلوا منها ما شئتم واطلبوا ما شئتم.. لقد حرمتم أنفسكم في دنيا قصيرة، والآن أنتم في خلود أبدي، لكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم وأنتم خالدون.

شراب أهل الجنة

الطعام والشراب شيئان متلازمان وهما من متع الجنة ونعيمها، كما أن الطعام والشراب من متاع الدنيا ونعيمها. . لذلك فإن اللَّه سبحانه يعطي أهل الجنة من ألوان الطعام والشراب ما لم يعرفوا وما لم يسمعوا به. ذلك أن الجنة عالَم آخر غير عالم الحياة الدنيا. . . فأصناف الشراب التي يحملها الغلمان في الجنة ويطوفون فيها على المؤمن فيها ما لذ وطاب، لها رحيق خاص ومذاق طيب يختم بمسك زيادة في الشعور باللذة والمتعة.

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات الكريمة التي يتحدَّث اللَّه سبحانه فيها عن شراب أهل الجنة كما تحدَّث عن آنيتها وأكوابها وكؤوسها وهذا فضل عظيم من اللَّه سبحانه حيث بيَّن لنا ومن كرمه وفضله ما أعدَّه لعباده المؤمنين الذين يدخلون الجنة وتكون لهم دار خلود وقرار.

يقول اللَّه تعالى:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٧ ـ ١٩]

وهذه الأكواب والأباريق والكؤوس التي يطوف بها غلمان الجنة على المؤمنين فيها ما لذ وطاب من جميع أنواع المشارب ومنها الخمر (خمر الجنة) التي قال عنها تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾: أي لا يصيبهم صُداع بشربها، ولا تذهب بعقولهم كما تفعل خمر الدنيا.

ويقول تعالى:

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾.

[سورة الإنسان، الآيتان: ١٧، ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ .

[سورة الإنسان، الآيتان: ٥، ٦]

ويقول تعالى:

﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ .

[سورة الإنسان، الآية: ٢١]

ويقول تعالى:

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ * جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ * مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ .

[سورة ص، الآية: ٥١]

معاني الكلمات التي وردت في الآيات الكريمة:

١ ـ **مزاجها زنجبيلاً**: ما تمزج الكأس به كالزنجبيل في أحسن أوصافه.

٢ ـ **مزاجها كافوراً**: ما تمزج الكأس به وتختلط بماء الكافور بأحسن أوصافه.

٣ ـ شراباً طهوراً: ما يقدّم من الشراب الخالي من الفساد والدنس بل هو طهور.

٤ ـ **بفاكهة كثيرة وشراب**: ما يقدّم من أصناف وألوان الشراب.

ولقد أجرى اللّه سبحانه في الجنة أنهاراً متنوعة ذات أوصاف متعددة فيها الشراب لأهل الجنة ـ يشربون منها في كل حين دون انقطاع، ولا يقطع عنهم جريانها أبداً.

يقول تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ

طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

يقول المفسرون في هذه الآية الكريمة التي يتحدَّث اللَّه سبحانه عن تلك الأنهار التي أجراها سبحانه شراباً لأهل الجنة وزينة ومناظر خلابة، وهي تجري بما فيها من ألوان الشراب والمتعة دون جدول، من حول وتحت قصورهم وحدائقهم يتناولون مما فيها دون جهد أو مشقة أو تعب.

﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾: أي فيها أنهار جاريات من ماء غير متغير الرائحة، وقال ابن مسعود رضي اللَّه عنه: أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾: أي وأنهار جاريات من حليب في غاية البياض والحلاوة والدسامة، لم يحمض بطول المقام ولم يفسد كما تفسد ألبان الدنيا، ولم يخرج من ألبان الماشية وقوله: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾: أي وأنهار جاريات من عسل في غاية الصفاء وحسن اللون والريح لم يخرج من بطون النحل، وقال أبو السعود: ﴿عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾: أي لم يخالطه الشَمَع وفضَلات النحل.. وكل هذا يجري وهو بمتناول يد المؤمن يأخذ ما يشاء ليست مرة أو مرتين أو ألفاً أو عشرة ملايين بل يأخذ منها متى شاء وإلى ما لا نهاية، لا ينتهي ولا ينقطع ولا يقل ولا يتغير ولا يحجب ولا يمنع، إنه دائم على الدوام من رب رحيم كريم.

الخمر في الجنة

لقد ذكرت كلمة (خمر) في القرآن الكريم على أنها من متع أهل الجنة ومما يتلذذون بها ويتنعمون نعيماً عظيماً. . . ذلك أن اللّه سبحانه حرَّمها عليهم في الدنيا تحريماً مطلقاً، وتوعَّد شاربها بأشد العقوبة يوم القيامة، ذلك لأنها في الدنيا قذر وتذهب بعقول الرجال وألبابهم وتجعل الرجل المهيب ذا المقام رجلاً فاقد الأهلية، فالإنسان قيمته بعقله فإذا ذهب عقله أصبح حيواناً. واللّه سبحانه لا يريد لعبده في الدنيا أن يذهب عنه عقله الذي وهبه إياه ليكرمه به ويعزه. . . . فمن استجاب لربه وامتنع عن خمر الدنيا فإنه وعده في الجنة التي وعده بها أنه سيجري عليهم ومن حولهم ومن تحتهم ومن تحت قصورهم وخيامهم وغرفهم أنهاراً من (الخمر) ولكنها الخمر التي لا ينزفون عنها ولا تتصدع رؤوسهم ولا تتقيأ نفوسهم.

يقول تعالى:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ٤٥ ـ ٤٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾. [سورة محمد، الآية: ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٧ ـ ١٩]

وفي معاني الآيات الكريمة **يقول ابن كثير** في تفسيره: إنَّ

رؤوسهم لا تصدع ولا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

فخصال الخمر في الجنة متنزهة عن خصال خمر الدنيا والتي فيها الصداع والبول والقيء وذهاب العقل.

وقد جاء في القرآن الكريم وصف جميل ذو حسن ونضرة لأهل الجنة، وهم متكئون على الآرائك وهم يشربون ويطاف عليهم بكؤوس يسقون منها من رحيق مختوم ختامه مسك زيادة في لذة الشارب وتنعمه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾.

[سورة المطففين، الآيات: ٢٢ ـ ٢٨]

وفي تفسير الطبري والقرطبي وصفوة التفاسير:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾: أي أن المطيعين للَّه في الجنات الوارفة، والظلال الممتدة يتنعمون ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾: أي هم على السرر المزينة بفاخر الثياب والستور، ينظرون إلى ما أعدَّ اللَّه لهم من أنواع الكرامة والنعيم في الجنة ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾: أي إن رأيتهم تعرف أنهم أهل نعمة، لما ترى في وجوههم من النور والبياض والحسن، ومن بهجة السرور ورونقه ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾: أي يسقون من خمر في الجنة، بيضاء طيبة صافية، لم تكدرها الأيدي، قد ختم على تلك الأواني فلا يفك ختمها إلا الأبرار ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾: أي آخر الشراب تفوح منه رائحة المسك ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾: أي وفي هذا النعيم والشراب الهنيء فليُرْغَبْ بالمبادرة إلى طاعة اللَّه، وليتسابق المتسابقون، **قال الطبري:** التنافس مأخوذ من الشيء النفيس

الذي يحرص عليه الناس، وتشتهيه وتطلبه نفوسهم، والمعنى: فليستبقوا في طلب هذا النعيم، ولتحرص عليه نفوسهم ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾: أي يمزج ذلك الرحيق من عين عالية رفيعة، هي أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه تسمى (تسنيم)، ولهذا قال سبحانه بعده: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: أي هي عين في الجنة يشرب منها المقربون صِرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة. قال في التسهيل: تسنيم اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفاً، ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدلَّ ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار.

فاكهة أهل الجنة وثمارها

مما يتمتع فيه المؤمنون متعة عظيمة: الطعام والشراب والفاكهة والثمار، ولقد أكثر اللَّه سبحانه ذكر فاكهة الجنة وثمارها في كتابه الكريم ذلك أنها من المتع واللذائذ الرائعة التي يتمتع بها أهل الجنة.. وليس في الجنة فاكهة أو ثمار تشبه فاكهة الدنيا إلا في الأسماء، فالطعم مختلف والحجم مختلف وربما الألوان والأشكال، وصدق اللَّه سبحانه إذ يقول: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥]

وإنما سمَّاها اللَّه سبحانه في كتابه الكريم بأسماء الدنيا ذلك حتى يدرك المؤمنون المعاني وما أراده اللَّه سبحانه منها.

.. ومن إكرام اللَّه سبحانه أنه ذلَّل جميع تلك الفاكهة فهي في متناول يد المؤمن وكيفما يريد ويشتهي، لا عناء في قطفها، ولا تحتاج إلى مساعدة أو أدوات مساعدة، فقد ذلَّلها سبحانه لهم تذليلاً.

يقول تعالى:

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ١٤]

ويقول ابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة: إذا همَّ المؤمن أن يتناول من ثمارها تدلَّت إليه حتى يتناول منها ما يريد. **وقال الصابوني**: أي أدنيت ثمارها منهم وسَهُل عليهم تناولها..

ـ وقد بيَّن اللَّه سبحانه في كتابه الكريم أن لأهل الجنة من كل

الثمرات.. أي من جميع أنواعها ما علمنا منها وما لم نعلم غير مقطوعة بزمن ولا ممنوعة بثمن.

يقول تعالى بعد أن ذكر أنهار الجنة وماءها العذب وأنهار الخمر والعسل:

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

وذكر اللّه سبحانه ثمار الجنة وأنها للمؤمنين:

يقول تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥]

يقول تعالى:

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۞ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥١، ٥٢]

ويقول تعالى:

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٥٥]

ويقول سبحانه:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ٧٢، ٧٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيتان: ٣٢، ٣٣]

انظر إلى رحمة اللَّه وكرمه وفضله ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ : أي هي دائمة كما هم دائمون وخالدون في الجنة، ليست مقطوعة عنهم في وقت من الأوقات، ولا هي ممنوعة عنهم، ولا يستطيع أحد أن يمنعها عنهم.

ولقد ذكر اللَّه سبحانه بعض أسماء الفاكهة في الجنة.

يقول تعالى في سورة الرحمن وهو يصف الجنتين اللتين من دونهما جنتان: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٤٦ ـ ٥٢]

ويقول تعالى عن الجنتين الأخريين:

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَآمَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٦٢ ـ ٦٨]

ولقد خص اللَّه سبحانه النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما، كما نص على حدائق النخل والأعناب من سورة النبأ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها.

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أهبط اللَّه آدم عليه السلام من الجنة، وعلَّمه صنعة كل شيء، وزوَّده**

من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تُغَيَّر وتلك لا تُغَيَّر»(١).

ـ وفي حديث لَقيط بن صبرة الذي رواه عبد اللّٰه بن أحمد في مسند أبيه:

قلت: يا رسول اللّٰه على ما يطلع أهل الجنة؟ قال: «**على أنهار من عسل مصفًّى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن وبفاكهة**».

وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: «**ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عَجَم**».

وعن البراء بن عازب رضي اللّٰه عنه قال: «**إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أي حال شاؤوا**». ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩٠)، وانظر فتح الباري (٨/ ٦٨٥).

وعن سليم بن عامر رضي اللّٰه عنه قال: كان أصحاب رسول اللّٰه ﷺ يقولون: إن اللّٰه لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول اللّٰه، ذكر اللّٰه في الجنة شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة مؤذية تؤذي صاحبها، قال رسول اللّٰه ﷺ: «**وما هي؟**» قال: السدر ـ (وهو شجر النبق) ـ فإن له شوكاً مؤذياً، قال: «**أليس اللّٰه يقول ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟ خَضَّد اللّٰه شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة**»(٢).

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣١٥/ ١٣٨١)، ورواه البيهقي برقم (٦١٠٧)، والطيالسي برقم (١٧٥٤).

(٢) قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٤٧٧/ ٩٧٨/ ٩٧٩): رواه ابن أبي الدنيا وإسناده حسن، وكذلك عزاه الزَّبيدي في تخريج الإحياء إلى الحاكم في المستدرك وصححه.

حدائق الجنَّة

الحدائق جمع حديقة وهي التي تعني أنها بستان يجمع من كل القطوف والثمار والفاكهة والزهور وكثير من النباتات. . وكلمة حديقة تعني بحد ذاتها (ذات جمال) لخضرتها ومائها وما فيها من أنواع الثمار وغيره، ولقد ذكر اللَّه سبحانه كلمة (حدائق) الجنة في كتابه الكريم.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا* حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا* وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ .

[سورة النبأ، الآيات: ٣١ ـ ٣٤]

يقول وهبة الزحيلي في التفسير المنير عن معاني هذه الآيات الكريمة:

يخبر اللَّه تعالى عن السعداء وما أعدَّ لهم من الكرامة والنعيم المقيم فيقول: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا* حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا* وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي إن للذين اتقوا ربهم بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه فوزاً وظفراً بالمطلوب ونجاة من النار، بالاستمتاع بالبساتين ذات الأشجار والأثمار والأعناب اللذيذة الطعم[1].

. . . . واللَّه سبحانه وصف حدائق الدنيا بالبهجة.

يقول تعالى:

﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٦٠]

(١) التفسير المنير أ. د ـ محمد وهبة الزحيلي في تفسير سورة النبأ.

ويقول سبحانه:

﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾.

[سورة عبس، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠]

فإذا كانت هذه حدائقَ الدنيا وما يكون فيها من الجمال والمتعة!! فما تقول في تلك الحدائق التي جعلها اللَّه في جناته لعباده المؤمنين؟

وقال الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾: أي بساتين ناضرة فيها من جميع الأشجار والأزهار، وفيها كروم الأعناب الطيبة المتنوعة من كل ما تشتهيه النفوس.

الولدان
والغلمان في الجنَّة

مما لا شك فيه أن أحد متع الجنة ما أعدَّه اللَّه سبحانه من الغلمان والولدان الذين يشبهون اللؤلؤ المكنون المنثور جمالاً وحسناً لخدمة أهل الجنة المؤمنين في تقديم أنواع الطعام والشراب وربما تقديم خِدمات أخرى كثيرة لا ندري ما هي، اللَّه أعلم بها. . وقد جاءت بعض آيات القرآن الكريم واضحة بيِّنة في ذكر الغلمان والولدان وبعض عملهم.

يقول تعالى:

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ١٧، ١٨]

ويقول تعالى:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ١٩]

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾.

[سورة الطور، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤]

فالآيات الثلاث تشير إلى طواف الولدان والغلمان على المؤمنين بما لذَّ وطاب من أنواع الشراب والطعام المحمولة على صحاف من

ذهب وبأكواب وأباريق وكؤوس كلها من ذهب وفضة، فالغلمان في حسنهم كأنهم اللؤلؤ المكنون والمنثور، وما يحملون في أيديهم من صحاف الطعام التي تفوق في جمالها وروعتها أي تصوّر، وفي داخلها ما لذَّ وطاب وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.. فأي نعيم هذا؟ وأي كرم هذا؟ وأي رحمة تشمل المؤمنين من الخالق القادر الكريم؟

يُعطى المؤمن في الجنة قوة مِائة رجل

لقد تقدم في الفِقرات السابقة أن المؤمن يكون في الجنة على صورة أبيه آدم ستون ذراعاً في السماء، وعلى عمر ثلاث وثلاثين سنة، كما جاءت به الأحاديث الشريفة. . . . كذلك بيَّنت الأحاديث الشريفة أن المؤمن أيضاً في الجنة يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع. . . . وكل ذلك حتى يتناسب مع الحياة الخالدة في الجنة التي أعدَّها اللَّه سبحانه له وما فيها من نعيم عظيم من طعام وشراب وحور وحدائق وقصور وغرف وخيام. . وقد بيَّنَّا أن اللَّه سبحانه ينشئ الناس نشأة أخرى يوم القيامة. . وبهذه النشأة الجديدة تتغير أحوال الإنسان الجسدية والفكرية والنفسية. . واللَّه أعلم.

يقول تعالى:

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١ ـ ٦٢]

قال رسول اللَّه ﷺ في الحديث الطويل الذي رواه مسلم نقتطف منه تلك الفِقْرة:

«أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء». سبق تخريجه.

وعن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يدخل أهل الجنة جرداً مرداً كأنهم مكحلون أبناءَ ثلاث وثلاثين**».

[رواه أحمد والترمذي وقال الألباني: صحيح]

.... نستخلص مما تقدَّم أنّ المؤمن في الجنة تُغَيَّر نشأته ويكون على طول ستين ذراعاً وابن ثلاث وثلاثين وهو سن الفتوة والشباب والقوة.

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُعْطَى المؤمن في الجنَّة قوة كذا وكذا في الجماع**» قيل: يا رسول اللَّه، أو يطيق ذلك؟ قال: «**يُعْطَى قوة مِائة رجل**»[1].

ـ عن زيد بن أرقم قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مِائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة**»، فقال رجل من اليهود: إن الذي يأكل ويشرب يكون منه الحاجة، قال: «**ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضَمَرَ**»[2].

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قلنا يا رسول اللَّه، أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «**أي والذي نفسي بيده، إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مِائة عذراء**»[3].

ـ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما**

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٥٣٦) ـ مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠) ورقمه ٥٦٣٦ وصححه الألباني.

(٢) رواه الدارمي (٢/ ٣٣٤) وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٧ ـ ٣٧١) وصححه الألباني.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٢/ ١٢ ـ ١٣) وأبو نعيم في صفة الجنة برقم ٣٧٣ ورواه البزار (٤/ ١٩٨/ ٣٥٢٥).

من أحد يدخله اللَّه الجنة إلا زوَّجه اللَّه اثنتين وسبعين زوجة اثنتين من الحور وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني»(١).

.... كل هذه النِّعم التي ينعم اللَّه سبحانه فيها على المؤمن من طعام وشراب وفاكهة وقصور وخيام وغرف وأنهار وحور، ليست كلَّ شيء، وفيما يأتي ستتكامل النِّعم التي ينعم بها اللَّه سبحانه على المؤمن.. وإن كل عملٍ قدَّمناه في الدنيا ليتضاءل أمام هذا الإكرام الإلٰهي العظيم للمؤمنين في جناته الخالدة.

(١) أخرجه ابن ماجهْ ورقم الحديث ٤٣٣٧.

خُلقُ أهل الجنَّة

الجنة دار السلام والأمن والأمان والمحبة والوئام والصفاء والودِّ. . . . فإذا دخل المؤمنون الجنة فإن اللَّه سبحانه ومن فضله العظيم ينزع من صدور المؤمنين ـ كل ما علق وبقي من غلٍّ وحقد وحسد وكراهية أو غيرة أو أي شيء من الصفات الدنيوية. . ولو فكرنا قليلاً لوجدنا أن هذا الأمر من أعظم النِّعم التي ينعم اللَّه فيها على عباده المؤمنين في الجنة. . فكيف يكون الأمر لو دخل المؤمنون الجنة وبقيت فيهم هذه الصفات الدنيوية وبقي المؤمن يغار من المؤمن، ويحسد المؤمن المؤمن ويغتاب المؤمن المؤمن. . ولكن من فضل اللَّه سبحانه أنه ينزع من الصدور الغلَّ فيكون المؤمنون أخوة متقابلين متحابين ليس بينهم إلا الوئام والصفاء والود.

يقول اللَّه تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن اللَّه سبحانه ينزع من صدور المؤمنين الغلَّ. . والغِلُّ هو الحقد والحسد والغَيرة، وكل ما علق في صدورهم من غلٍّ على إخوانهم ينزعه اللَّه سبحانه ويستأصل شأفته قبل أن يدخلهم الجنة.

يقول رسول اللّه ﷺ:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة** ـ وفي رواية ـ **ثم هم بعد ذلك منازل، لا يبولون ولا يتغوطون ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين** ـ وفي رواية ـ **لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء**»(١).

وفي الحديث الذي رواه البخاري:

«**لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبِّحون اللّه بكرة وعشياً**»(٢).

.. وكذلك يفعل اللّه سبحانه بهم قبل أن يدخلوا الجنة إذ يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيهذّبون وينقّون ويسامح بعضهم بعضاً ثم يدخلون الجنة.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا**»(٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة باب أول زمرة يدخلون الجنة (٤/ ٢١٧٩) ورقمه ٢٨٣٤.

(٢) رواه البخاري ورقم الحديث ٢١٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص في الدنيا، فتح الباري (١١/ ٣٩٥).

من نعيم أهل الجنَّة التسبيح والتكبير

إن اللَّه سبحانه يلهم المؤمنين في الجنة التسبيح والتكبير كما يلهمهم النَفَس. . . . ويعيشون خالدين في نعيم التسبيح والتكبير الذي يجعله اللَّه سبحانه فيهم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب** ـ وفي رواية ـ **الفضة، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوَّة، وأزواجهم الحور العين** ـ وفي رواية ـ **لكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبِّحون، اللَّه بكرة وعشياً**»(١).

وفي رواية لمسلم: «**يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس**»(٢).

وللسائل أن يقول: ولكن الجنة ليست داراً للتكليف والعمل، فكيف يقومون بالتسبيح والتكبير وهو جزء من التكليف في الدنيا؟

---

(١) رواه البخاري ورقم الحديث ٢١٦٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

« إن هذا التسبيح والتكبير لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به أهل الجنة، قال: هذا ليس عملَ التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به ».

وقال القرطبي في التذكرة:

« هذا التسبيح والتكبير ليس عن تكليف وإلزام، إنما هو إلهام دون إجهاد كما نلهم النفس دون جهد ».

وقال ابن حجر العسقلاني:

« إن تنفّس الإنسان لا كُلفة عليه فيه ولا بدَّ منه، فجعل اللَّه سبحانه تنفّسهم تسبيحاً، وسببه أن قلوبهم تنوَّرت بمعرفة الرب سبحانه، وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره »[١].

وأقول: إن النعيم بجميع صوره وأشكاله بيد اللَّه سبحانه، وهو الذي يجعله في المؤمنين حيث يشاء، وهو القادر أن يجعل النَّفَس الذي لا إجهاد فيه تسبيحاً وتكبيراً، وفيه مُتعة عظيمة للمؤمن، وربما يكون من أكبر النِّعم التي يعيشها المؤمن في الجنة.. ثم إن هذا الإلٰه العظيم الكريم الرحيم الذي بفضله ورحمته أدخلنا الجنة وأعدَّ لنا فيها هذا الإعداد والأجر العظيم ألا يستحق شكر المنعم؟ ألا يستحق الحمد والتسبيح والتكبير على الدوام؟ هذا التكليف الذي فرضه علينا في سنوات الحياة الدنيا، يقابله عند قيام الساعة إحساسٌ أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار أو بكرة أو عشياً، ثم تكون لنا الجنة بخلودنا فيها دون تكليف، اللَّهم اجعلنا من المنعّمين بحمدك وشكرك وتسبيحك وتكبيرك إنك على كل شيء قدير.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٣٠). (٢) فتح الباري.

ضحك أهل الجنة من أهل النار

.. كم ضحك واستهزأ المشركون والكافرون من المؤمنين في الدنيا واعتبروهم فئة ضالة؟ وكم تفاخروا فيما بينهم سخرية عليهم؟ بل قل كم عذّب الكافرون والمشركون المؤمنين وتلقوا على أيديهم أصنافاً وألواناً من العذاب؟ وكم مات من المؤمنين تحت العذاب؟ وكم حاول الكافرون أن يردّوا المؤمنين عن دينهم؟ ومن لم يرتدد منهم عن دينه يقتلونه أو يعذّبونه عذاباً شديداً، والتاريخ مليء بمثل هذه الشواهد.

.. ولولا أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان يمتحن اللّه سبحانه عباده جميعاً المؤمن منهم والكافر، لانتقم من الكافرين والمشركين شرَّ انتقام، ولكن اللّه صبور حليم.. ذلك لينال المؤمنون أجراً عظيماً جرَّاء صبرهم أو استشهادهم، ولينال المشركون والكافرون في الدنيا والآخرة عذاباً شديداً أليماً.

يقول تعالى:

﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

ويقول تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ

فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

. . . . لذلك يردّ اللَّه سبحانه الحق للمؤمنين وينتقم من الظالمين، ويجعل المؤمنين يضحكون من الكافرين كما ضحك الكافرون من المؤمنين في الدنيا، فإذا أصبح المؤمنون في الجنة ينظرون إلى المجرمين فيسخرون منهم ويهزؤون بهم.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ * وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ * فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآيات: ٢٢ ـ ٣٦]

ثم ينادي أصحاب الجنة أصحابَ النار، بعد أن يستقر كل فريق في مقامه، المؤمنون في الجنة، والكافرون في النار.. ينادونهم مؤنِّبين إياهم ومبكتين لهم على ما كانوا فيه من كفر واستهزاء للمؤمنين واستهزاء بوعد اللَّه سبحانه الوعد الحق.

يقول تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٤]

والمؤمن يدرك نعمة اللَّه عليه عندما يريه مقعد الكافر والفاسق والمشرك والضال والمنافق الذين حاولوا أن يضلوه في الدنيا عن صراط اللَّه المستقيم.

يقول تعالى:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ* قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ* يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ* أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ* قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ* فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ* قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ* أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ* إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ* إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

[سورة الصافات، الآيات: ٥٠ ـ ٦٠]

والمؤمنون بعد أن يعاينوا النار وأهلها الذين يتعذبون فيها يحمدون اللَّه سبحانه على هذه النِّعَم التي مَنَّ اللَّه عليهم بها.

ويقول تعالى:

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ* قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ* فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ* إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ .

[سورة الطور، الآيات: ٢٥ ـ ٢٨]

الفصل السادس

الحور العين

- مَدخل.
- معنى الحور العين.
- صفات الحور العين.
- أخلاق الحور العين.
- مكانة الحور العين الرفيعة.
- من أي شيء خلق اللَّه سبحانه الحور العين؟؟
- كم عدد الحور العين في الجنة ونصيب المؤمن منهن؟؟
- علاقة الرجل المؤمن بالحوراء.
- هل الحوراء مقصورة في قصرها أو خيمتها لا تخرج منه أبداً.
- هل يختلف المقام والجمال من خيمة إلى خيمة ومن قصر إلى قصر؟ وهل تختلف الحور العين في نوعية الجمال؟؟
- هل الحور العين على سن واحدة؟
- هل الحور العين طاهرات من كل خبث؟
- هل تحيي الحور العين مجتمعاً فيه الطرب والغناء والألحان الشجية.
- هل تعيش زوجة المؤمن في الدنيا معه في الجنة وفي ذات مقامه؟
- هل ترضى المؤمنة في مقامها مع زوجها ويفضي إليها كما يفضي للحور العين؟؟

الحور العين

خلقهن ـ صفاتهن ـ أعدادهن
نصيب المؤمن منهنَّ

مدخل

الحور العين من نعيم أهل الجنة أو قل هن من أصل النعيم وأطيبه وألذّه، ولقد تعددت الآيات القرآنية الكريمة التي ذكرتهن بأجمل وأطيب صفاتهن، وكذلك تحدَّث رسول اللَّه ﷺ عنهن في كثير من الأحاديث الشريفة. . . .

وبعد قراءتي لكثير من الكتب التي تعرَّضت لذكر الحور العين وذكر صفاتهن وأعدادهن ونصيب كل مؤمن منهن، وجدت أن الكلام عنهن قليل والخلاف حولهن كبير من حيث أعدادهن ونصيب كل مؤمن منهن. . لذلك ارتأيت أن أتوسَّع في الكلام عن الحور العين، وقررت أن أفرد لهن فصلاً من الجزء العاشر من الكتاب أُفصِّل الكلام عنهن وأبين حقيقتهن وصفاتهن وأعدادهن، وعلاقتهن مع الرجل المؤمن في الجنة وعلاقتهن بالمؤمنة في الجنة، وعقدت مقارنة بينهن وبين نساء الجنة من المؤمنات، وبيَّنت فضل المؤمنات عليهن في الجنة لأجرهن العظيم ومقامهن الكبير، وما يكسبهن اللَّه سبحانه من النور والجمال والبهاء والحسن والضياء لتقديمهنَّ الصدق في العبادة والتقوى في الدنيا.

*** معنى الحور العين:**

الحور لغةً: جمع مفردها حوراء ومعنى كلمة حوراء، المرأة الشابة الحسناء الفاتنة البيضاء الناصعة.

العِين: العيون السوداء الواسعة وهي أجمل ما يرى الإنسان من جمال العيون.

وقيل: إن الحوراء هي التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون، وقيل: إن الحوراء هي التي يحار الطرْف من حسنها وجمالها وجاذبيتها وفتنتها.

والمعروف أن جمال المرأة أول ما يكون في جمال عيونها واتساعها، وأجمل العيون السوداء الواسعة، لذا فإن اللّه تعالى صبغهن بهذه الصِّبغة الفاتنة، واللَّه سبحانه خالق الخلق جميعاً، وهو يعلم أين تقع مواطن الجمال الفاتن فصيّرهُ في الحور العين، وهذا من بديع وحسن صنعته.

وقديماً قال الشاعر جرير:

إن العيون التي في طرْفها حَوَر قتلننا ثم لم يحيينا قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حَراكَ به وهن أضعف خلق اللّه إنساناً

*** صفات الحور العين:**

لقد قدَّم القرآن الكريم بعض صفات الحور العين فدلَّ على حسنهن وجمالهن وأخلاقهن ونظافتهن وعلو مكانتهن وشرفهن الرفيع.

فقد جعل اللَّه سبحانه وتعالى فيهن كامل الحسن والجمال، وأعلى شأنهن ومكانتهن وجعلهن على خُلُق عظيم واستقامة كاملة فأحسن اللَّه خلقهن وطهرهن من النجس والخبائث، ومما جاء في القرآن الكريم في وصفهن.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

قال رسول اللَّه ﷺ في تفسير هذه الآية الكريمة: «**صفاء في صفاء الدر الذي في الأصداف لم تدنسه يدٌ**».

[رواه الترمذي في سننه]

وقال اللّه تعالى ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٧٠]

قال رسول اللّه ﷺ في تفسير هذه الآية الكريمة: «**خيرات الأخلاق حسان الوجوه**» .

[رواه الترمذي في سننه]

قال اللّه تعالى:

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ .

[سورة الواقعة، الآية: ٣٧]

﴿ عُرُبًا ﴾ متحببات قريبات للقلوب، ﴿ أَتْرَابًا ﴾ متساويات في السن على ميلاد واحد ليس فيهن واحدة أكبر من الأخرى ولا أصغر منها، على سن واحدة وعمر واحد لا يكبَرْن ولا يذهب جمالهن ونورهن وحسنهن.

وقال اللّه تعالى:

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٥٨]

ومعنى الآية الكريمة أن اللّه جعل الحور العين لحسنهن الفاتن في صفاء الياقوت وبياض المَرجان وهما من المعادن النفيسة الغالية.

وصفاء الياقوت وبياض المرجان الدنيوي يختلف تماماً عن صفاء وبياض المعدِنين النفيسين في الجنة، فالياقوت والمرجان أوجدهما اللّه بقدرته في الأرض للاستعمال المؤقت والفناء، وأما في الآخرة وتحديداً في الجنة، فقد أوجدهما اللّه للديمومة، فيكون بياضهما وصفاؤهما رقيقاً وجذاباً لحسن منظره الفاتن.

وقال اللَّه تعالى
﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥]

والأزواج في الآية الكريمة إشارة إلى الحور العين اللواتي يزوجن بالمؤمنين الذين ارتضى اللَّه لهم الجنة داراً ومقاماً أبدياً، لذا فإن اللَّه سبحانه جعلهن طاهرات من الحيض والغائط والبول والبصاق، وهذه الصفات هي السمو الكامل في المخلوق الذي يرفعه إلى أعلى الدرجات وأسمى المقامات.

*** أخلاق الحور العين:**

ومن عظيم الخلْق الإلٰهي أن جعل الحور العين يعشن حياة الأخلاق الحميدة التي يترفعن بها عن الابتذال والفساد والخيانة، فقد جبلهن اللَّه بأخلاق عظيمة فلا يرون أجمل من أزواجهن الذين أرادهم اللَّه لهن.

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٤٨]

ومعنى الآية الكريمة: إن قاصرات الطرف وهن الحور العين اللواتي يقصرن نظرهن على أزواجهن في مقامهن الدائم في الجنة، فلا تسمو أخلاق الحوراء العيناء إلا إذا قَصَرت نظرها على زوجها وتعففت في حياء وخلق.

وهذا المعنى أيضاً إشارة من اللَّه سبحانه أن المرأة في الدنيا لا يكتمل خلقها وجمالها، ولا تكتمل عفتها إلا إذا صانت نفسها وكانت لزوجها حُكْماً دون غيره من العالَمين، ولا تتبرج إلا لزوجها ولا تتزين إلا له وتقصر نظرها وشهوتها لزوجها دون غيره من الرجال.

وبذات الوقت فإن اللّه حينما خلق الرجل أضفى على صفاته الغَيْرة الزوجية الواعية، فلا يرضى ومهما كانت الأسباب والدوافع أن تنظر زوجته بشهوة إلى أحد غيره، حتى ولو كان رجلاً مقعداً وفقيراً وقبيحاً، واللّه كتب الغيرة على النساء، فلا ترضى امرأة أن ينظر زوجها إلى غيرها ولو كانت عجوزاً دميمة مذمومة.

لذلك جاءت هذه الآية الكريمة تشير إلى عفة وشرف الأخلاق السامية عند الحور العين، وكي يطمئن الرجل المؤمن بأن اللّه سبحانه أنشأ الحور العين بهذه الصفات المحببة لقلبه، وبأن قاصرات الطرف اللواتي هن في قصورهن وخيامهن قد أعزَّهن اللّه في الجنة، لا ينظرن بشهوة إلا لأزواجهن ولا يرون حسناً وجمالاً وفتنة ومتعة إلا في أزواجهن المؤمنين، وفوق هذه الصفة الرائعة بقصر الطرف، فقد جعلهن اللّه بصفة حميدة تعلو كل الصفات وهي صفة الخُلُق الحسن، وهذه صفة الرفعة الكاملة، وأعظم صفة يمدح فيها الإنسان في الدنيا صفة الخُلُق الحميد، ولأهمية الخلق في حياة البشر أو الإنسان عامة نزل بهذا قرآن عظيم.

قال اللّه تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

[سورة القلم، الآية: ٤]

وهي آية كريمة نزلت في حق سيدنا محمد ﷺ وهي تمام الخُلُق لسيدنا محمد ﷺ، وقد عبَّر سيدنا محمد ﷺ عن حسن الخلق ومقامه العظيم في الجنة.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أقربكم مني مجالساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**».

[رواه الترمذي في سننه]

لذلك جعل اللَّه سبحانه وتعالى للحور العين خُلقاً قويماً ليتسامى مع خلق المؤمن في الجنة، ولتكون العلاقة بين الحور العين والمؤمنين في الجنة علاقة قوية رأسها الحب وسنامها الأخلاق وجسدها الصدق ولسانها الحمد والشكر.

قال اللَّه تعالى: في وصف أخلاق الحور العين:

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٧٠]

وقال تعالى

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾.

[سورة ص، الآية: ٥٢]

فهاتان الآيتان الكريمتان جمعتا من صفات الحور العين التي أنشأها اللَّه سبحانه انشاءً، الخير العميم بكل أركانه وصفاته والذي لا يتحقق إلا بالأخلاق الفاضلة السامية، وقد أضفى الحسن الفاتن على هذه الأخلاق ليلتقيَ الحسن والخلُق في تركيب فريد رائع، والذي لا يكون إلا في الجنة.

*** مكانة الحور العين الرفيعة:**

حينما تتحقق في المرأة صفات الجمال والأخلاق الرفيعة، فإن مكانة من تحصل على هذه الصفات تكون عالية ورفيعة جداً.

وماذا لو أضفنا على هذه الصفات صفة الشرف الرفيع، وهذا لا يتحقق إلا إذا قصّرت المرأة الخروج وجعلته لضرورة، ولم تبد زينتها وحسنها إلا إلى زوجها، وحققت طلب اللَّه سبحانه، يقول تعالى:

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣١]

والآية الكريمة تشير إلى تمام الشرف الرفيع، وبذلك تكون المرأة نالت كامل الصفات الحميدة وبها تعلو على كل امرأة في الدنيا.

لذا فإن الرجل في الدنيا حينما يريد أن يتزوج يبحث في من يريد الزواج بها عن هذه الصفات، وأولها الأخلاق وثانيها العفة والشرف فإن تحققا فيمن يريد زواجها خطبها من أهلها دون تردد.

وبما أن ستر المرأة وشرفها محبب للرجل في الدنيا، جعل اللّه سبحانه الحوراء العيناء تعيش في شرف وستر، مقصورة في قصرها أو خيمتها أو في غرفتها قانعة راضية.

وأعظم الشرف وأعلى المكانة الرفيعة للمرأة، أنْ لا يخدشَ حياءها مخلوق، وأن لا يقتربَ منها بشر، وأن لا ينال أحد من جسدها وطأً أو رؤية إلا إذا تزوجت فتكون لزوجها شهوة ورؤية وحباً. واللّه سبحانه وتعالى يعلم أن المكانة العليا للمرأة هي في صيانة شرفها وجسدها وحيائها، فقال اللّه سبحانه وتعالى للحوراء: كوني على هذه الصفات فكانت.

قال اللّه تعالى:

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

[سورة الرحمن، الآيات: ٧٢ ـ ٧٤]

وهذا وعد من اللّه، ومَن أصدق من اللّه وعداً، فقد صيرهن اللّه بهذه الصفات الحميدة والمحببة لدى الرجل.

ذلك لأن الحوراء خلقها اللّه في الجنة من قبل أن يخلق الإنسان

على الأرض، فماضي الحور بعيد وبعلم اللّه سبحانه، فقد خلقهن منذ خلق الجنة، والجنة مخلوقة من اللّه قبل أن يخلق الحياة على الأرض أو ربما قبل أن يخلق الكون والسماوات كلّها واللّه أعلم.

وحتى لا يدخل الإنسان المؤمن شكٌّ بأن الحور هذه ربما كانت لخَلْق آخرَ غيرنا ومن قبلنا، كانت الآيات القرآنية واضحة، ودلّنا اللّه على أن هذه الحور اللواتي خلقهن اللّه وجعلهن مخصصات لعباده المؤمنين في الجنة، لم يقترب منهن مخلوق سواء أكان إنساً أم جناً لا من قبل، ولن يطأهن غير أزواجهن فيما بعد، وليس هذا فحسب بل جعلهن اللّه سبحانه مقصورات في خيامهن وقصورهن لا يخرجن منها، وهن بأمر اللّه بانتظار أزواجهن من المؤمنين، والمشهد يكون رائعاً حينما يدخل المؤمن إلى مقامه في الجنة، ويكون الجميع بانتظاره، ويكون الترحيب والحمد والشكر لوصوله ودخوله جنته.

وزيادة في الكرم الإلٰهي فإن اللّه أنشأهن وخلقهن قبل خلق الإنسان، ليكنّ في استقباله حين دخول الجنة، ولو شاء اللّه لخلقهن لنا بعد دخولنا الجنة، وإن صار هذا فسنكون نحن باستقبالهن، ولكن لكرم الإلٰه القادر المقتدر جعلهن الإلٰه سبحانه في استقبالنا حفاوة وتكريماً لعباده المؤمنين الذين وعدهم هذه الجنات ليستقبلن أزواجهن بحفاوة بالغة وتكريم رائع.

واللّه أعلم..

*** من أي شيء خلق اللّه سبحانه الحور العين؟؟**

خلق اللّه سبحانه وتعالى الإنسان على الأرض من تراب وخلق الجان من مارج من نار وخلق الملائكة من النور.

قال اللّه تعالى

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ١٤ ـ ١٥]

وأما كيف خلق اللّه سبحانه وتعالى الحور ومن أي شيء خلقهن؟ فقد خلق اللّه سبحانه وتعالى الحور العين إنشاءً، وقال لهن: كُنّ فكُنّ. قال اللّه تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٣٥ ـ ٣٨]

فلا توالد ولا تكاثر ولا حمل ولا إنجاب، وكيف يكون هذا وقد أشار اللّه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾؟

[سورة الرحمن، الآية: ٧٤]

والحمل والولادة لا يأتيان إلا عن طريق الوطء والوصل والجماع. لذا فإن اللّه سبحانه وتعالى نزههن عن هذا كله، وأعلى مكانتهن وخلقهن خلقاً مباشراً، وصيرهن على ما هن فيه من الجمال وكساهن من حلل الجنة حلة فوق حلة وثوباً متين الملمس، حريراً من سندس أخضر وإستبرق، فجمع اللّه فيهن الجمال كله بما ينطوي عليه الخَلْق الحسن والخُلُق القويم والثوب الرائع، وتنسَّمْنَ من عبق الجنة الفواح، فأكلن من ثمارها الدانية، وشربن من مائها الفرات، وظهرت على وجوههن نضرة فاتنة إنها نضرة النعيم التي صنعها رب العالمين. قال تعالى:

﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

[سورة المطففين، الآية: ٢٤]

وبتركيبنا الدنيوي هذا الذي نعيش فيه لا نستطيع النظر إليهن، فعيوننا في الدنيا لها حد واستطاعة محدودة في الرؤية والنظر، لا تتجاوز حدود الدنيا وما فيها، وأما ما هو موجود في علم اللَّه وغيبه فلا نستطيع أن نراه حتى ينشئنا اللَّه يوم القيامة نشأة أخرى.

قال اللَّه تعالى:

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

وكذلك حتى تصبح أبصارنا قادرة على رؤية ما أخفاه اللَّه عنا.

قال اللَّه تعالى:

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٢]

ونفهم من هذا أن غطاءً وضعه اللَّه سبحانه على عيوننا في الدنيا، فجعل البصر قادراً أن يرى بحدود ما جعله اللَّه له من قوة للاستعمال الدنيوي، وفي الآخرة يزيح اللَّه هذا الغطاء، وتركب العين تركيباً آخر بقدرة اللَّه مع نشأتنا الجديدة.

إذاً هناك نشأة بصر آخر غير ما كنا نعيش فيه في الدنيا، ولكن مع ميزان الأحاسيس والشعور الدنيوي، حتى تجزى كل نفس بما عملت، والدليل على أننا لا نستطيع رؤية الحور العين بتركيبنا الدنيوي هذا، حديث رسول اللَّه ﷺ عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»(١).

---

(١) رواه البخاري، ورواه الإمام مسلم في صحيحه رقم الحديث ـ ١٩١٣ ـ.

أليس هذا الحديث الرائع دليلاً كافياً على حسن ونور وجمال الحور العين الذي يفوق حد تخيلاتنا وتصوّراتنا.

حورية واحدة من الحور العين لو ظهرت في سماء الدنيا لأضاءت الدنيا كلها، فما هذا الجمال النافذ والحسن الفاتن والنور الساطع الذي جعله اللّه مِنْ صفاتِ الحور العين!!

فماذا لو أظهر اللّه مئات الحور العين في السماء الدنيا، فكيف يكون حالها؟ وأي أنوار تتلألأ وتسطع وتبهر؟ فمن أي شيء خلقهن اللّه سبحانه حتى صيرهن بهذا النور والجمال والحسن؟

وخير الحديث ما قاله الصادق المصدوق ﷺ في ماهية خلق الحور العين.

قال رسول اللّه ﷺ: «**خلق اللّه الحور العين من ثلاثة أشياء: أسفلهن من المسك، وأوسطهن من العنبر، وأعلاهن من الكافور، وحواجبهن سواد خط النور**».

[رواه الترمذي في سننه]

وعن أنس رضي اللّه عنه قال قال: رسول اللّه ﷺ: «**حور العين خُلقن من الزعفران**».

[رواه البيهقي ٧ / ٩٧]

وروي عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**خلق اللّه الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض**».

[رواه الترمذي والطبراني في الكبير والأوسط]

والحور العين خلق من خلق اللّه، وكما أن اللّه خلق الإنسان

من طين، والجان من نار السَّموم، والملائكة من نور، خلق اللَّه سبحانه وتعالى الحور العين من مادة وقال لهن: كنَّ فكُنَّ، ولا بد لمثل الحور العين أن يكون خلقهن من مادة صافية شفافة رقيقة تتوافق مع حسنهن وجمالهن الرائع.

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: « **إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها ومخها من سبع حلل من الحرير، وذلك بأن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.**
[سورة الرحمن، الآية: ٥٨]

قال: فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه»(١).

صفاء في صفاء الياقوت ونعومة الحرير الذي يرتدينه، إن الشفافية في كل شيء في الخَلْق واللباس والخُلُق.

قال اللَّه تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.
[سورة الحج، الآية: ٢٤]

*** كم عدد الحور العين في الجنة ونصيب المؤمن منهن؟؟**

إن عدد الحور العين بشكل عام لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه وتعالى، كما أننا لا نعلم عن ملائكة اللَّه شيئاً ولا عن عددهم وماهيتهم.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.
[سورة المدثر، الآية: ٣١]

ولا نعلم أيضاً العدد الصحيح للبشر على الأرض، ولا نعلم قطعاً كم عدد البشر منذ أن خلقهم اللَّه وحتى يوم القيامة، ولكن اللَّه يعلم.

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان، وذكره السيوطي في الجامع (٦/ ١٤٨).

قال اللّه تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

[سورة مريم، الآية: ٩٤]

كذلك لا نعلم عن عدد الحور العين شيئاً، فلا نعلم عنهن شيئاً، لا من حيث النوعية ولا الماهية ولا الحقيقة إلا بعض علم ذكره اللّه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أو من أحاديث رسول اللّه ﷺ.

فالحقيقة المطلقة لحالهن وجمالهن وأعدادهن وأعداد وصيفاتهن وغلمان الجنة بعلم اللّه، ولا أتصوّر أن أقرب الملائكة إلى اللّه سبحانه يعلم عن هذا العلم شيئاً، فهو علم اختصه اللّه لنفسه دون خلقه جميعاً واللّه أعلم.

ولكن إنشاءً واحداً من الحور العين بمواصفاتها التي ذكرت آنفاً كمثل إنشاء آلاف المليارات منهن، فالمادة التي خلق اللّه بها الحور العين لا حدود لها، فهو خالقها وموجدها وأي شيء يقول اللّه سبحانه له: كن فيكون، فالقدرة مطلقة وإنشاء عدد لا متناهٍ منهن لا يشكل بقدرة اللّه شيئاً من العجز.

وأتصوَّر أن نصيب الرجل المؤمن منهن في الجنة مجهول، لكن عطاء اللّه لا حدود له، وقد وعد اللّه المؤمنين بالحور العين في الجنة دون تحديد لرقم أو عدد أو نصيب محدد في أي سورة من سور القرآن الكريم، ومع ذلك فإن اللّه سبحانه جعل عددهن غير محدود على اليقين، وأظن أن للمؤمن منهن في الجنة حسب ما قدَّم من عمل وطاعة وإيمان، وهذا هو الصواب واللّه أعلم.

قال اللّه تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ۞ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآيات: ٦٩ ـ ٧١]

وقال اللّه تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

[سورة يس، الآية: ٥٦]

وقال أيضاً: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥]

وكلمة أزواجهم وأزواج ـ في الآيتين الكريمتين ـ تشيران إلى أن الحور العين في اللغة الجمع، والكلمتان تشيران إلى عدد غير متناه، فهو فوق الثلاثة وعطاء اللّه قد يوصل هذا العدد إلى ما شاء اللّه، فعطاء اللّه وكرمه غير محدود وليس له أول وليس له آخر.

ولكن رسول اللّه ﷺ ذكر في بعض أحاديثه الشريفة عن أعداد الحور العين التي ينالها المؤمن.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن**»(١).

ـ وتحديد عدد الزوجات لكل رجل مؤمن من أهل الجنة باثنتين يبدو أنه أقل عدد.. ولقد ورد أن الشهيد يزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.

ـ عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**للشهيد عند اللّه ثلاث خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده في الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه فتح الباري (٦٠/٣١٨) ومسلم في كتاب الجنة (٤٠/٢١٧٨) برقم ٢٨٣٤.

على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في أقربائه»(١).

وما ذكرت حديثان صحيحان رواهما البخاري ومسلم.

ولقد جاءت أحاديث حول أعداد الحور والوصيفات ذكرها بعضهم في صحيحه ورواها أكثر من واحد، ومنهم من ضعفها، ومنهم من جعلها في الموضوعات كالحديث التالي الموضوع:

ـ عن أبي مسعود الغفاري، سمع رسول اللّه ﷺ يقول: **«ما من عبد يصوم يوماً من رمضان إلا زوّج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة، مما نعت اللّه: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.**

[سورة الرحمن، الآية: ٧٢]

على كل امرأة منهن سبعون حلة، ليس منها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعين لوناً من الطيب، ليس منهنّ لون على ريح الآخر، لكل امرأة منهم سبعون سريراً من ياقوتة حمراء، موشحة بالدّر والياقوت، على كل سرير سبعون فراشاً، على كل فراش أريكةٌ، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها، وسبعون ألف وصيف، مع كل وصيفة صحفة من ذهب فيها لون من طعام تجد لآخر لقمة لذة لم تجدها لأوله، ويُعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشّح بياقوت أحمر، هذا بسبب يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات»(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم، مشكاة المصابيح (٣٠/ ٣٥٨) ورقمه ٣٨٣٤.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٩٠/ ١٨٨٦) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣١٣/ ٣٦٣٤) وأبو يعلى في مسنده (٩/ ١٨٠/ ٥٢٧٣) وابن شاهين في فضائل رمضان ص (٤٠، ٤١) وأبو الشيخ في الثواب كما في الترغيب والترهيب (٢/ ٧١) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٥٤٧/ ١١١٩).

وكذلك ما روي عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: قيل: يا رسول اللّٰه، أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده، إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مِائة عذراء**»[١].

عن أبي أمامة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**ما من أحد يدخله اللّٰه الجنة إلا زوَّجه اللّٰه اثنتين وسبعين زوجة: اثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قُبُلٌ شهي وله ذكر لا ينثني**»[٢].

على كل فعطاء اللّٰه غير مجذوذ في الجنة، والإنسان في الدنيا يمضي حياته كلها وربما لا يفضي إلا إلى عذراء واحدة عند زواجه، وربما يمضي حياته كلها دون أن يفضي إلى عذراء واحدة، فالعدد كثير ولكنه غير معروف تحديداً، وأظن أن عددهن يتوافق مع ما قدَّم المؤمن في حياته وتبعاً لسجله وصحيفته، وربما يكون أكثرهم واردة وعدداً الشهداء، وأولئك الذين عصموا أنفسهم من الزنا مخافة اللّٰه وتنفيذاً لأمره رغم تشوقهم إلى النساء، فالنساء جميلات محببات لقلب أي رجل في الدنيا، فمنهم من يصبر عليهن للّٰه وطمعاً في جنته، ومنهم من ختم اللّٰه على قلوبهم فيقعون في بحر المعصية والزنا، فيفسدون غيرهم ويفسدون حياتهم ويعيشون تحت مِظلة غضب اللّٰه سبحانه.

وذلك لأنهم آثروا المتع الزائلة والزائفة، وباعوا آخرتهم وآلاف المليارات والتريليونات من الأعوام، بل أكثر بكثير في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وفي جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بعرَض زائل ومتعة قصيرة يندم على فعلها كلما

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده برقم ـ ٢٤٣٦ ـ ورواه أيضاً هناد بن السري في الزهد ـ ٨٨ ـ.

(٢) رواه ابن ماجهْ ورقم الحديث (٤٣٣٧).

انتهى منها، فتراه قد خسر نفسه في الدنيا وخسر الآخرة وباء بغضب عظيم من اللَّه سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٣٢]

فليس الهالك فقط هو الذي تراه هائماً على وجهه في الأزقة والطرقات لا يدري طريقه وهدفه.

ولكن الهالك أيضاً من يتبع هواه ويبيع آلافَ ومليارات الأعوام بل أكثر بكثير لأنها حياة الخلد التي تنتهي معها الأرقام، يعيشها في كنف اللَّه ورضا اللَّه وحماية اللَّه في جنات النعيم ـ بسبعين أو ثمانين عاماً من أعوام الدنيا، يعيش فيها حياة اللَّهو والمتع الزائلة، ناسياً أن له يوماً يلتقي فيه مع اللَّه، يعرض فيه أمام ربه لا تخفى منه خافية، يتمنى لو يفتدي بأهله وعشيرته وأولاده وقومه كلهم كي ينجو ويفلح.

قال اللَّه تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ * وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٤]

ذلك يوم مشهود يضرب فيه المرء وجهه، ويَعَض أنامله، ويُلقي اللوم على نفسه ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾.

[سورة ، الآية:]

*** علاقة الرجل المؤمن بالحوراء:**

ليست عَلاقة الرجل المؤمن وزوجته من الحور العين علاقة شهوة جسدية وحسب، بل هي علاقة تسمو إلى أعلى درجات الأنس والحب والمودة، فقد أنشأها اللَّه وخلقها وجعلها أنساً ومودة للمؤمن في الجنة، وجعل اللَّه طبيعتها المخلوقة محصورة في حبها وقربها من

زوجها دون العالمين، وجعل اللَّه طبيعتها أنها لا تستطيع أن تنظر حباً وهياماً لغير زوجها المؤمن أبداً، وألهمها اللَّه سبحانه حبه والهُيام به، فلا ترى أجمل منه ولا ألطف وأظرف وآنس منه.

فلا يمكن لها أن تكره زوجها، فهي تهيم به وتعشقه رغم أن في الجنة غيرها كثيرات من الحور العين الجميلات الفاتنات، ومع هذا فهي لا تغار ولا تحسد ولا تحقد بل هي تعشق زوجها عشقاً وتحبه حباً جمًّا، مفتونة به بصدق، حتى لو عرض عليها أهلُ الجنة كلهم، سواء أكان أعلى منه منزلة أم أدنى منه منزلة، فإنها لا تبغي عنه حِوَلاً لا تنظر إليهم ولا تقبلهم بل هو زوجها الذي خصصه اللَّه سبحانه لها.

وكما أن اللَّه سبحانه وضع في نساء الدنيا الغيرة، وضع في الحوراء حب زوجها دون غَيرة، فهي تعلم رغم مقامها العالي ومكانتها الرفيعة أن لزوجها المؤمن فضلاً عليها وقرباً من اللَّه وحظوة لا تستطيع هي أن تنالها أبداً، فالمؤمن وصل إلى هذا المقام الرفيع برحمة اللَّه وبما قدَّمه في حياته الدنيا من عمل وخير وتقرّب إلى اللَّه، لذا فإن اللَّه أورثه الجنة وصيّره مالكاً لها برحمته وتنفيذاً لوعده الذي لا يخلفه.

قال اللَّه تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠، ١١]

فقد ورَّثهم اللَّه من الجنة قصورها وخيامها وغرفها وفرشها وغلمانها وولدانها وحورها ومروجها وأنهارها، بما عملوا وقدَّموا من خير وصدق وعبادة خالصة لوجه اللَّه سبحانه، فالحوراء زوجة المؤمن

تعلم أنها خلقت لِلمؤمن، يعلوها في المقام ظاهراً وباطناً، وقد رُفع منها الغرور والتعالي، فهي دائماً متواضعة أمام زوجها تريد رضاه، فتقترب منه وتؤنسه وتلبي حاجته وتغني له بصوت لم يسمعه أحد من العالمين، في مشهد رائع تحفهما الوصيفات، والغلمان والولدان يقدِّمون لهما ما لذ وطاب وما اشتهت أنفسهم متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجَنَى الجنان دانٍ منهما، لا يحول عنهما، والأنهار تجري من تحتهما، فيكون الرحيق وتكون نضرة النعيم.

قال اللّه تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ١١ ـ ١٦]

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٤٧]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٥٥ ـ ٥٨]

آيات كريمات رائعات فيها الكرم الإلٰهي والرحمة والنعمة والقدرة الإلٰهية الفائقة في تصيير الأمر على هذه الحال، دون ملل من العبد ودون انقطاع للخير، ورضا من اللّه وحياة أبدية، نزع اللّه ما في قلوب الجميع من آفات ومهلكات الحياة الدنيا، وأكبرها الغل الذي يفتك بالصدور وتئن تحت وطأته البشرية، فكلهم إخوان متقابلون في حضرة الكريم القادر.

وهكذا تكون العلاقة بين المؤمن وزوجه من الحور العين، فما

تكلمه إلا بأحسن الكلام وأنقاه، وصوتها رخيم وكله حنان ووداعة ولطف وحب صادق، ومن أحسن صفات الحوراء هذا الأسلوب الفاتن بتقربها إليه، فهي تحنو عليه كما تحنو الأم على ولدها، فتغنج إليه بجمالها الفاتن، وتزهو إليه بلباسها الرائع المصنوع من السندس والحرير، وتتودد إليه برفق ورقة ليقترب منها، وتفهمه بكلماتها الساحرة أن اللَّه سبحانه خلقها من أجله، فليس لها إلا هو أبد الآبدين، فتعمل كل جهدها لتؤنس جلسته، وفي كل مرة تهدي إليه هيامها وحبها ليزداد منها قرباً حتى تكون علاقة الوصل بكامل فتنتها، وأجمل الوصل الوصال الذي يحوم حوله الحب والود والإلفة، بعد أن نزع اللَّه بقدرته الغل والحسد من قلوب عباده الذين ارتضى لهم الجنة داراً ومقاماً، وأبقى الحب الذي يتجلى بأعظم وأسمى آياته، فيحلّق ويحوم بالمكان الذي به المؤمن والحوراء، ويتعشق بكل مكان من مقام المؤمن، فتحلو النشوة وتنتشي الأجساد بعبق الحب المختوم برحيق المسك والكافور، وتتمنى كل حوراء أن لا يفارقها زوجها أبداً، ولكنها تعلم أن لزوجها ملكاً كبيراً وحوراً غيرها كثيرات.

والمؤمن في الجنة يتشوق أيضاً للحور العين بما يقدِّمن إليه من آيات الحب والوداد والقرب، فتراه سعيداً مع الجميع يحبهن جميعاً ويملكهن فؤاده، فهو في شوق دائم إليهن، لا يكره أحداً منهن ولا يفضل إحداهن على الأخرى، بل الجميع عنده سواسية يحبهن كما يحببنه، ويتقرَّب إليهن كما يتقرَّبن إليه.

فلا يَمَلّهن ولا ينقطع عنهن أبداً بوصال دائم بحيث لا يملّ حياته في الجنة، إنه النعيم الدائم والمتجدد والعطاء غير المجذوذ والكرم الدائم من أكرم الأكرمين.

قال اللَّه تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٥]

فليس لنا ما نشاء في الجنة وحسب، بل إذا فرغت مشيئاتنا فإن عند اللَّه المزيد والمزيد دون انقطاع، فعلم اللَّه بالوجود غير علمنا، لذا فإن المؤمنين في الجنة يعيشون حياة المزيد الدائم، فكلما اكتفينا ورضينا ولا نريد شيئاً آخر فوق هذا النعيم، يأتينا المزيد من حيث لا نحتسب من اللَّه الرحمن الكريم الغني صاحب الخزائن الملأى التي لا يغيضها نفقة مهما عظمت....

وعن علاقة الوصل بين المؤمن والحور العين، فقد فسر لنا رسول اللَّه ﷺ ذلك عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن الرسول ﷺ أنه سئل هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: «**بذكر لا يمل، وفرج لا يحفى، وشهوة لا تنقطع**»[1].

والحديث فيه حقيقة ابن آدم، فحقيقة الوصل بين المرأة والرجل تكون في غايتها القصوى، إذا كان الفكر مرتاحاً وأمور الإنسان على خير، وعلى العكس إذا كان الإنسان يعيش هموماً طاحنة فإنها تبعده عن الوصل ويكون التفكير فيه قليلاً.

لذا فإن المؤمن في الجنة يعيش حياة النعيم بعيداً عن أية هموم، فتكون حاجته إلى الوصل قوية وقوية جداً، ولا يُرضي حاجته إلا الوصل الدائم واللَّه أعلم.

* هل الحوراء مقصورة في قصرها أو خيمتها لا تخرج منه أبداً؟

نعم فهن مقصورات في الخيام والقصور لا يخرجن منها حتى

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٥٦٦) والبزار برقم (٣٥٢٤) وفي حادي الأرواح لابن قيم الجوزية والطبراني في الجامع.

يأتيها زوجها المؤمن، يزورها ويجلس معها تؤنسه ويؤنسها ويفضي إليها وتفضي إليه.

وقال اللّه سبحانه في الآية من سورة الرحمن أنهن مقصورات فهي آية حسمت أمرهن وقصرتهن في خيامهن.

قال اللّه تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٧٢]

فاللّه سبحانه وتعالى يقول في الآية: الخيام لم يقل: خيمة، وقال: حور، ولم يقل: حوراء، وهي جمع لا يعلم عدده إلا اللّه سبحانه وتعالى.

وقال رسول اللّه ﷺ في وصف الخيمة الواحدة حتى لا نسيء الفهم المقصود لمعنى الخيمة التي أرادها اللّه سبحانه لعباده المؤمنين.

عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً: للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**»[(١)].

فالخيام محبوبة لدى العرب، لذا فإن اللّه أعطاهم ما يحبون ولكن بطريقة أخرى، فالخيمة الواحدة لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً حيثما ارتحل، فإن للمؤمن فيها أهلون وهن الحور العين وزوجه الدنيوية واللّه أعلم.

قال اللّه تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

[سورة النحل، الآية: ٩٣]

والآية خطاب للبشر جميعاً وللمؤمنين خاصة، بأن اللّه سيريكم ما وعدكم به وأخفاه عنكم، لتعبروا هذا الامتحان الإلٰهي في الدنيا،

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

فكل شيء يوم القيامة آية والحور أحدها، والخيام والغرف والقصور آيات سنراها ونحمد اللَّه لهذا التفضيل وتلك النعمة إن شاء اللَّه تعالى.

فقد جعل اللَّه سبحانه بقدرته في الخيمة التي تقصر فيها الحور ولا تخرج منها ما تلذ الأعين وما تشتهي الأنفس، تجري من تحتها الأنهار في الجنان الخالدة، إنها مدينة كاملة ولكن بترتيب اللَّه الذي أراده لعباده، فأوجد فيها كل نعيم وخير، وما تحلم به أفئدتنا، وقد وصف اللَّه هذه الخيام والغرف في مشهد حركي رائع يمثل الحياة الرشيقة الحلوة في خيمة كأنها مدينة تعج بالحركة والحياة.

قال اللَّه تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيات: ١٥ ـ ٢٣]

مشهد حركي فيه أقصى وأسمى آمال وغايات الإنسان، فالخيمة عامرة بأهلها وسكانها من الحور العين والوصيفات والوِلدان، جدرانها من اللؤلؤ وأرضها من الزعفران وأنهارها من ماء غير آسن ومن لبن مصفى ومن خمر لذة للشاربين، وهنا وهناك الفرش التي بطائنها من المخمل السميك الطري، فما رأيك بسرر بطائنها من الإستبرق والمخمل فما يكون أعلاها؟ إنها مرصعة بالذهب والألماس واللؤلؤ والياقوت، والآيات الكريمة تشير إلى الجمع في كل شيء، فالاتكاء يكون للمؤمنين والزوجات من الحور العين، وتصوَّر نفسك وأنت في خيمتك متكئ بين زوجاتك من الحور العين ويطوف عليكم الولدان بالأكواب الملأى بكل ما تشتهيه الأنفس، وأنت ترى حولك كل ما تلذ الأعين، والترحيب والسلام والأصوات الجميلة في كل مكان،

والأشجار متدلية بثمارها وهي بمتناول يدك ويد زوجاتك تأكلون منها دون شبع، غدير الأنهار يتخلل المكان والنضرة الفواحة من عبق الخضار المُدْهامّ من جَنَى الجنان المتدلي.

قال اللّه تعالى: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ٢٤]

وفوق كل هذه النعم الرضا من اللّه، فاللّه راض كما نحن راضون، راضٍ عن عباده المؤمنين الذين أطاعوه وعبدوه دون أن يروه، لذا يخاطبهم بأن يأكلوا ويشربوا بهناء وسعادة، فهل يوجد أعظم من هذا العطاء والهناء أن تعيش بالرضا الكامل عند مليك غني قادر، خزائنه ملأى وعطاؤه لا ينفد؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾.

[سورة ص، الآية: ٥٤]

فما أطيب هذا المقام! وما أحسن هذا النور المشع من وجود المؤمنين وزوجاتهم من الحور العين، وملكاتهن أزواجهم الدنيويات، والمنبثق من رضا اللّه ونضرة النعيم!

فمقام الحوراء في الخيمة المجوفة من لؤلؤة مجوفة مقام العز والكرم والنعيم، فلا ينغّص عليها من سعادتها أي شيء مهما كبر أو صغر، حتى غياب زوجها المحبوب عنها برهة من الزمن، لا ينغص عليها لأن لديها في الخيمة ما يلهيها من أنواع السعادة والمباهج المختلفة مما لا يعلمه إلا الرحمن الرحيم، إذاً الحوراء مقصورة في خيمتها، وفي الجزء المخصص لها تعيش الجمال كله والمتعة كلها والرضا المطلق، ولا تخرج من المكان الذي خصصه ربها لها، فإذا غاب عنها زوجها تعيش فرحة الانتظار، وإذا حضر باتت الفرحة الغامرة على أسارير وجهها

المضيء ككوكب دري، وإذا آنسها اكتمل الحب، وإذا استلقى وإياها على السرير الموضون انتشيا نشوة تتمنى أن لا يكون بعدها فراق، ولا أن يغادر سريرها، وتظل وإياه على الوصل الدائم، إنه الحب الحقيقي الذي لا زِيف فيه ولا خداع ولا مكر ولا مصلحة، ولهذا تكون النشوة الرائعة من مزيج تآلف الحب والوصل مع الصدق.

وكما أن الحور موجودات في الخيام كذلك هن موجودات في القصور والغرف التي تجري من تحتها الأنهار، وما يكون في الخيام يكون في القصور والغرف، فكل شبر في الجنة أينما كان يمتلئ بالحياة التي تشع سروراً وفرحاً وسعادة ورضا، وليست الغرف التي ذكرها اللَّه سبحانه في الجنة هي غرفاً كغرف منازلنا، ولكن تشابه اللفظ حتى يدرَك المعنى، فإذا كانت الخيمة الواحدة طولها في السماء ستون ميلاً، فما تكون الغرفة التي وعد اللَّه بها المؤمنين الصالحين من عباده؟

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٥]

وهل يجزي اللَّه الصابرين بما صبروا بغرفة صغيرة يجلسون فيها؟ وهل يكون هكذا العطاء الإلٰهي؟ والصابرون هم الذين ينالون أجراً بغير حساب. فلا يمكن لهذه الغرفة التي قصدها اللَّه سبحانه أن تكون بأقلَّ من الخيمة وما فيها بل أكثر وأكثر بكثير، وأظن أن من ينال الغرفة من اللَّه سبحانه هي التي تكون وغيرها في الآية الكريمة:

قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

وأما المزيد الذي قصده اللّه سبحانه في آية أخرى، فهو العطاء المتجدد الدائم عبر الأبدية التي سنعيشها دون انقطاع إن شاء اللّه تعالى.

والدليل على عظيم الغرفة والغرف في الجنة ما جاء به أيضاً القرآن الكريم.

قال اللّه تعالى: ﴿ لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٢٠]

فكم سعة الغرفة التي تجري من تحتها أنهار الجنة؟ وكم عرض النهر من الجنة؟ وربما يكون عرضه عرضَ المجموعة الشمسية؟ واللّه أعلم.

فكم هو نعيم الغرف وما فيها من الفرش والطنافس والسرر؟ وكيف تكون جدرانها وأرضها وسقوفها؟ وكم فيها من الولدان والغلمان؟ وكم فيها من الحور العين المقصورات في غرفهن كما هن مقصورات في خيامهن؟ فإذا كانت الخيمة كمدينة تشع نوراً وحياة فالغرفة مدائن من نور، وما فيها نور على نور، فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

وعن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**»، قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول اللّه؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام**»(١).

* هل يختلف المقام والجمال من خيمة إلى خيمة ومن قصر إلى قصر؟ وهل تختلف الحور العين في نوعية الجمال؟؟

في الدنيا التي نعيش بها والتي هي دار الامتحان والبلاء قد لا تجد

(١) رواه الطبراني والحاكم ورواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه.

بقعة تشبه بقعة ولا حديقة تشبه حديقة ولا قصراً يشبه قصراً، والباني والمعمِّر للأرض هو الإنسان بما يملك من إمكانيات إنسانية وحسب.

فماذا لو أن الباني هو اللَّه خالق الوجود كله يقول للشيء: كن فيكون مهما عظم أمره وكبر.

فلا يوجد في الجنة خيمةٌ تشبه خيمة، ولا قصرٌ يشبه قصراً، ولا غرفةٌ مبنية تشبه غرفة، ولا مَرْجٌ يشبه مرجاً، ولا نهرٌ يشبه نهراً، وهذا يكون في مُلك المؤمن الواحد، ولا يوجد مُلك مؤمن يشبه ملك مؤمن آخر، فالاختلاف كبير والدرجات كثيرة والتفاضل بينهما واسع وكبير واللَّه أعلم.

عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الجنة مِائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»[١].

وحينما يخاطبنا اللَّه سبحانه في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، فلا يكون الإعداد متشابهاً والرؤى والجمال والحسن على هيئة واحدة. فاللَّه سبحانه يتحدَّث عن الإعداد ونوعيته بأنه لا يمكن أن يخطر على قلب إنسان وبشر، إذاً هو فوق التصورات، وفي تصوري أنه في هندسة أي قصر أو مرج أو بناء لا يوجد تشابه، سواء أكان القصر هذا في أعلى الدرجات أم أقل الدرجات، ولا يمكن أن يكون التطابق حتماً، فحيثما رحلت في ميراثك في الجنة لا تجد تشابهاً مطلقاً لا من حيث الهيكل الخارجي لأي بناء ولا من حيث هندسة التصميم الداخلي لأي دار ومقام للمؤمن في ملكه، وليس هذا فحسب بل التجديد الدائم لكل شيء وعلى الدوام.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣١٦/ ٣١٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠).

وأما الحور العين فهل هن متشابهات في كلٍّ مكان وجدن فيه من ملك المؤمن؟ والجواب عن هذا: إن لكل حوراء في الجنة جمالاً وحسناً مختلفاً تماماً عن غيرها، ولا تشابه بين اثنتين على الإطلاق، فكل واحدة تتمتع بجمال فاتن وحسن باهر بنوعية جمالية رائعة تختلف فيه عن أي حوراء أخرى. والله أعلم.

*** هل الحور العين على سن واحدة؟؟**

القرآن الكريم يشير إلى أنهن على سن واحدة في عمر الصبا والشباب لا يكبَرن ولا يشخن ولا يعجزن ولا تقل طاقاتهن، بل هي دائماً في إقبال شديد ورغبة جامحة تشتاق إليك أكثر مما تشتاق إليهن، شبابهن الدائم ونضرتهن الفواحة عبق سحري يفوح في أنحاء الجنة، ويجعل السعادة دائمة كغدير ماء ينساب بصفاء ورقة وعذوبة. قال الله تعالى:

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾.

[سورة ص، الآية: ٥٢]

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٣٥ ـ ٣٧]

وكلمة أتراب في الآيتين تشير إلى أنهن على سن واحدة وعمر واحد وشباب دائم.

*** هل الحور العين طاهرات من كل خبث؟**

لا يتناسب هذا الحسن الفاتن وهذا النور المشع والقوام المياس والمقام الرفيع أن يكون للحور العين خبث وخبائث، فلا حيض ولا دم ولا حاجة ولا بصاق ولا تَفْل ولا لُعاب ولا زَبد، بل ثغر تحلو

ثناياه، وشفتان يطيب لقاؤهما، وخدود نرجسية تحنو القلوب لصفائها، وعيون واسعة لا تدمع بل هي بريق من براءة، ولمعان من ارتياح، فكما أننا نحن المؤمنين ليس لنا في الجنة حاجة إنما رشح ولا نبصق ولا نتفل ولا نسعل ولا نتجشأ، هن مثلنا تماماً، أجساد شابة بعمر الورود البهيج، لا أمراض ولا قضاء حاجات، فلا يتناسب هذا النعيم الدائم مع تلك الأمور الدنيوية التي ترفعنا عنها جميعاً بقدرة اللَّه سبحانه، ومن إكرام اللَّه سبحانه للمؤمنين في الجنة أنْ جعل كل من حولهم مثلهم في النور والنضرة والشباب والصبا والطهر.

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥]

قال أكثر العلماء والفقهاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الإثم والأذى، وقال مجاهد: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد(١). واللَّه أعلم.

* هل تحيي الحور العين مجتمعاً فيه الطرب والغناء والألحان الشجية؟

نعم فإن للحور العين مجتمعاً فيه الغناء والطرب واللحن الشجي والصوت المخملي الرائع، ساحر في فتنته، شجي في أصواته، ندي في مكانه، يغنين ويطربن ويجعلن المؤمن يعيش أجواء المتعة الفائقة، إنها أحلام تحنو إلينا في رقةٍ ولين وذوق رفيع، وكل ما تلذ له العين وتطرب له الآذان ويحنو إليه القلب فهو موجود في الجنة، فالعمر مديد والدهر أبدي، فلا بد أن يكون مليئاً بالحبور والسرور، والطرب والغناء، والأصوات الجميلة جزء من الأبد، لذلك جعل اللَّه الحور العين يتمتعن بهذه الصفات الغنائية الرائعة، فملّكهن حناجرَ إذا

(١) راجع تفسير ابن كثير.

أنشدت اهتزت لها الطيور الحالمة والأزهار المتفتحة، وجعلت المؤمن والمؤمنة يعيشان في حبور وسعة وانشراح وسعادة تملأ حياتهما رغداً ورضا وسعادة جياشة.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وإن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعين. وإن مما يغنين: نحن الخالدات فلا يمتن، ونحن الآمنات فلا يخفن، نحن المقيمات فلا نظعن**». روي الحديث بزوائد الزهد لابن المبارك والكاشف للذهبي ١/ ٢٥٨[(١)].

وعلاوة على أصوات الحور فقد وردت بعض الأحاديث الشريفة تشير إلى تمتع المؤمنين بالأصوات الجميلة التي تنبعث بقدرة اللَّه من كل مكان.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن في الجنة شجرةً من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فتصفق، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه**»[(٢)].

وكما أن الإنسان يطربه الصوت الندي، فاللَّه بقدرته جعل الأصوات الندية والشجية أحد متع الجنة التي لا تنفد ولا تنتهي. واللَّه أعلم.

*** هل تعيش زوجة المؤمن في الدنيا معه في الجنة وفي ذات مقامه؟**

هذا سؤال ملح يكون دائماً من النساء وخاصة النساء اللواتي

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٢/ ٤٨) ورقم الحديث ١٥٥٧، وعزاه الشيخ ناصر أيضاً إلى الطبراني في الأوسط وإلى أبي نعيم والضياء في صفة الجنة.

(٢) رواه البيهقي في البعث النشور (٣٧٩).

لهن علاقة جيدة مع ربهن وعلى درجة من التقوى والصلاح.

ويكون سؤالهن دائماً. . . كيف أكون مع زوجي في مقامه وقد عملت في الدنيا مثلما عمل وربما أكثر منه فأين مقامي؟

ويجب أن يكون لي مقام مثلما له مقام، وللجوابِ عن هذا التساؤل من المؤمنات نقول لهن:

إننا دائماً حينما نفكر بالجزاء الإلٰهي ننظر إلى ما تراه أعيننا في الدنيا من قصور وجنان ومتع دنيوية.

لأن العقل ذاته لا يتسع لإدراك حقيقة وجودنا في الجنة، ولا يمكن لهذا العقل المخلوق أن يدرك الطريقة الحقيقية لتواجدنا في جنة الخلد.

وأول الجواب عن هذا التساؤل: أن نزيح الدنيا ونعيمها عن تصوراتنا وندرك حقيقة واحدة بأن الأمر أكبر بكثير من الدنيا وما فيها، ومفهوم مقامي في الدنيا غيره تماماً عن مفهوم مقامي في الآخرة.

فإذا كان آخر رجل يدخل الجنة وتغلق الأبواب بعده، مَنْ له مثل مُلك مَلِكٍ في الدنيا وعشرة أمثاله، ثم يقول اللَّه له تمنَّ حتى تنقطع به الأماني فيذكّره اللَّه سبحانه بما يتمنى.

وقد روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رفعه إلى رسول اللَّه ﷺ قال: «**آخر أهل الجنة دخولاً: رجل يخرج حبواً، فيقول اللَّه تعالى له: اذهب فارجع فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب**

فادخل الجنة، ولك الدنيا وعشرة أمثالها أو مثل عشرة أمثال الدنيا»[١].

وعلى هذا يكون ملك آخر رجل يدخل الجنة أكثر من حجم الأرض جميعها عشر مرات، فالأرض التي نعيش عليها تسعُ إلى عشرة مليارات إنسان، وفي الوقت ذاته فإن ثلاثة أرباعها بحار مالحة، فما بالك بملك آخر رجل يدخل له عشرة أمثال الدنيا علاوة على الجمال الأخاذ والعطاء المتجدد من أكرم الأكرمين؟

وهذا يكون لآخر رجل أدخله اللّه الجنة برحمته وليس بعمله، فما بالك بالأفواج التي تدخل أولاً والأفواج التي تدخل في الوسط ودون الوسط وبعد الوسط فما يكون ملكهم؟ وماذا يكون عندهم من سعة رحمة اللّه وكرمه؟!!

وعلى هذا فإن المقام كبير وكبير جداً.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٢٠]

أفلا يسع هذا المقام العظيم للمؤمن وزوجه؟ فلسنا في مقام الدنيا إنما في مقام الآخرة، فالملك كبير والعطاء عظيم والأجر أعظم، ثم إن المؤمن الذي يعيش في الحياة الدنيا مع زوجته المؤمنة ويكون بينهما حب ومودة ورحمة فلا يقبلان التفريق، وسيبقى هذا الحب متصلاً أبد الآبدين مع الخلود في جنات النعيم، فلا ترضى المؤمنة بديلاً لزوجها أبداً.

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٦٥٧١ ومسلم برقم ١٨٦.

ثم إن التكوين الفيزيولوجي الذي تعيشه المرأة في الدنيا وتكون الغيرة والأنانية والحسد جزءاً لا يتجزأ منها، فإنه سيتغير في الآخرة تغيّراً كاملاً.

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٤٧]

وقد عبَّر اللَّه سبحانه أحسن تعبير عن الغل والغيرة المتأصلة والمتفشية في جسد ابن آدم في الدنيا، لذا جاءت كلمة (نزعنا) من الباري عزَّ وجلَّ تعبِّر عن هذا التغلغل الغِلِّي للجسد، فلم يقل اللَّه: ورفعنا أو سحبنا بل (نزعنا)، إشارة إلى تأصلها في الدنيا، وما ذلك إلا لأن اللَّه سبحانه ينشئنا في الآخرة نشأً جديداً بعيداً عن نشأة الدنيا ووطأتها المرهقة على النفس والجسد.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٦١]

في خلق آخر وخلق جديد وبما يتناسب مع الحياة الأبدية، فلا غل مع الأبد ولا غيرة مع الأبد بل قناعة ورضا وحب وأخوة وصدق.

فبالنشء الجديد ينسلخ من المرأة مفهوم غريزة الغيرة والحسد، وينتزع منها الغل انتزاعاً.

فهي وزوجها بحالة الشباب الدائم والنضرة، فلا عجلة من أمرها ولا غيرة فيما بينهما، فالحياة الأخروية الأبدية لا نهاية لها، وأما الغيرة في الدنيا فأحد عواملها قصر الحياة والزمن، وأما حين ترى

المؤمنة أن الأبد مفتوح أمامها إلى ما لا نهاية، فلا تضيق ذرعاً ولا تضجر ولا تمل، بل السعادة والشباب والحيوية والنور الذي يسعى من أمامهما ومن بين أيديهما، فيضفي هذا النور الباهر حَبَراً في النفوس وسَعةً للعيون حَبَراً واطمئناناً للقلوب.

قال اللَّه تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

إن من أعظم النعيم ورؤى الجمال أن ترىٰ وجهاً يشع منه النور، والنور لا يشع في وجه إلا إذا اكتسب صاحبه رضا اللَّه وكانت تلوح في وجهه قسمات الرضا والحمد والشكر، وهذا ما يكون من حال المؤمنة الصالحة أنها لمَّا ترى هذا النعيم وهذا الرضا الإلٰهي، فتكون في مقامها مع زوجها قانعة راضية، فلا يمكن لزوجة الدنيا مع هذا العطاء الإلٰهي المتجدد أن تعيش حالة النكران والغضب، فهي وزوجها في ظلال دائمة ونضرة فاتنة وحيوية فائقة ومستمرة واتصال دائم، فقد أضفى اللَّه بقدرته عليهما جمالاً ونوراً لا يملان ولا يكلان من بعضهما، أذهب اللَّه عنهما كل ما كان يسوؤهما في حياتهما الدنيا، فانقلبت بنعمة من اللَّه ورضوان إلى ملكة مرصعة بالدر والياقوت، فلا يمل زوجها منها رغم وجود مئات الحور العين فتعيش بينهنَّ كالملكة التي يسعى الجميع لخدمتها وإرضائها، فهي سعيدة في مقامها، بريقها ساطع ووجهها نور يشع منه الرضا والحسن، لسانها الحمد والشكر، نعم إنه الرضا المطلق والحب المطلق في أعلى وأسمى درجاته، وأما ما هو في الدنيا يشغلنا من نميمة وحسد وغيرة

وتجسس فإنه يبقى خارج أسوار الجنة فلا يسمح له بالدخول، فلا يدخل الجنة إلا الصفاء ولا يوجد إلا الرضا والنور واللَّه أعلم.

*** هل ترضى المؤمنة في مقامها مع زوجها؟ وهل يفضي إليها كما يفضي للحور العين؟؟**

لمَّا تدخل المؤمنة الجنة فإنها تدخل كما قلت في تكوين جديد، خلعت ثوب الأنانية والغيرة، وقد جعلها اللَّه بحسن الخلق، وعوَّضها اللَّه بهذا النور والجمال الفاتن والمقام الرفيع.

ولما ترى المؤمنة هذا المقام العظيم وهذا النعيم المطلق وتشعر بذاتها أنها ذات صدر وقلب خاليين مما كانت به في الدنيا أنشئت في خلق جديد مغاير لأحاسيس الدنيا.

وتكون بادية القبول، وقد تغيرت المفاهيم ورؤى الجمال والأحاسيس، فتكون راضية عن مقامها وعن زوجها ولا يهمها مَن حول زوجها من الحور العين، فقد طُحنت الغيرة طحناً وأصبحت سراباً، وتأتي زوجها المؤمن وهي تعلو الحور العين في المقام، لسانها الحمد والشكر، والجميع في مقامها من دونها لا يعلو عليها إلا زوجها بما شرَّفه اللَّه، ويفضي إليها كما يفضي للحور العين، وهي أعلاهن مقاماً وأحسنهن وأجملهن.

لذا تراها منسجمة مع ما حولها من النعيم النضير انسجاماً تاماً لا تشوبه شائبة، وتنشأ نشأة بحيث يكفيها زوجها في الإفضاء والقرب، ولا تكون على رغبة من غيره، لأنه يعطيها حقها وتنتشي معه نشوة الدنيا وإحساسها لأننا في الجنة بخلق جديد ونشء قوي جداً وجسد شاب وحيوية مشتعلة.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة**». فقلنا: يا رسول اللَّه، أو له قوة ذلك؟ قال: «**إنه يعطى قوة مائة**»[1].

وفي حديث آخر يعطى قوة مِائة رجل في الأكل والشراب والجماع، وربما كان المقصود من الحديث من ميراثه من أهل النار، وأما الحور العين فعددهنَّ بعلم اللَّه كما قلت.

وكما أن الرجل يُعطىٰ من كرم اللَّه سبحانه فالمرأة تُعطىٰ من كرم اللَّه سبحانه، ولكن اللَّه سبحانه يجعلها بزوجها قانعة راضية وتحس أنه أمامها كمائة رجل فعلاً وتقليص الفراغ قوة وصلابة وحيوية وشباباً، فلا تشبع منه في القرب والإفضاء والأنس والمودة والرحمة والحب والحنان، وهي بذاتها لها تقدير وإجلال من زوجها المؤمن لأنه يعلم أنها غيرها من الحور العين، فهي كانت زوجته في الدنيا ولها مثلما له في الجنة قيمة وحسن ومقام وقرب من اللَّه.

فاللَّه هو الخالق في الدنيا وفي الآخرة، فكما ركَّبنا في الدنيا بهذا التركيب يخلقنا في الآخرة خلقاً آخر يتوافق مع النعيم، وتكون قاعدته الرضا وهرمه القبول وأساسه المتين الحمد والشكر الذي يلهمونه كما يلهمون النَفَس.

قال تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٠]

واللَّه أعلم.

---

(١) رواه الترمذي في سننه والبيهقي في البعث.

الفصل السابع

قطوف دانيات لأهل الجنَّات

- هل الشهداء في الجنة أحياء يأكلون ويتنعمون؟
- كل شيء في الجنة دائم لا يفنى ولا يبلى.
- حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.
- المحاجة بين الجنة والنار.
- اثنان وعدهما اللَّه سبحانه إن صبرا فلهما الجنة.
- المرأة من أهل الجنة (الحوراء) ترى زوجها من أهل الدنيا.
- زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الآخرة وهي لآخر أزواجها.
- اجتماع أهل الجنة.
- رضوان اللَّه سبحانه على أهل الجنة.
- الصلاةَ الصلاةَ - وصية اللَّه ورسوله ﷺ لمن أراد الجنة.
- إذا دخل المؤمنون الجنة عرَّفها اللَّه سبحانه لهم وكانوا أهدى بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا.

قطوف دانيات
لأهل الجنات

هل الشهداء في الجنة أحياء يأكلون ويتنعمون؟؟

يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٤]

ويقول تعالى

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩، ١٧٠]

يقول الصابوني في التفسير: أي لا تظنن الذين استشهدوا في سبيل الله لإعلاء دينه أمواتاً لا يحسون ولا يتنعمون ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يتنعمون في جنات الخلد يرزقون من نعيمها غدواً وعشياً، قال الواحدي: الأصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي ﷺ من أن أرواحهم في أجواف طيور خضر، وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾: أي هم منعمون في الجنة فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة. ففي صحيح مسلم عن مسروق: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]

قال: إنا قد سألنا عن ذلك قال: «**أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ثلاث مرات، فلما رأوْا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا: قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أنْ ليس لهم حاجة تركوا**»[١].

كل شيء في الجنة دائم لا يفنى ولا يبلى:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً**[٢]، **وذلك قوله عزَّ وجلَّ** ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾» عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعَم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»[٣].

حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات:

. . . إن الجنة لها أبواب لا تفتح إلا بالإيمان باللَّه والعمل الصالح وطاعة اللَّه سبحانه وإقامة فرائضهِ.

أخبرنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**». باب في دخولِ الفقراء الجنة قبل الأغنياء. ١١٨ (سنن الدارمي).

---

(١) مشكاة المصابيح (٣٥١).

(٢) رواه مسلم رقم الحديث (٢٨٣٧).

(٣) رواه مسلم رقم الحديث (٢٨٣٧).

أخبرنا الحسن بن سفيان بخبر غريب حدثنا هدبة بن خالد القيسي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**». / ٥١/٧١٥ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ (صحيح ابن حبان).

حدثنا عبد اللَّه بن مسلمة بن قعنب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»/ ١/ ، (صحيح مسلم).

المحاجة بين الجنة والنار:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطهم؟** ـ زاد في رواية: **وغِرَّتهم** ـ **فقال اللَّه عزَّ وجلَّ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله** ـ وفي رواية: **حتى يضع اللَّه تبارك وتعالى رجله** ـ **فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللَّه من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن اللَّه ينشئ لها خلقاً**»[١].

اثنان وعدهما اللَّه سبحانه إن صبرا فلهما الجنة:

يقول تعالى في الحديث القدسي:

«**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (عينيه) ثم صبر عوضته عنهما الجنة**».

[رواه أحمد عن أنس رضي اللَّه عنه والطبراني عن جرير رضي اللَّه عنه]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ويقول تعالى أيضاً في الحديث القدسي:

«إذا أخذت كريمتي عبدي فصَبر واحتسب لم أر له ثواباً دون الجنة».

[رواه البخاري عن أنس رضي اللّه عنه، وأحمد عن أبي أمامة رضي اللّه عنه]

ويقول أيضاً:

«إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة إذا حمِدني عليهما».

[رواه الترمذي عن أنس رضي اللّه عنه]

ـ حدَّثنا ابن عبد اللّه بن نمير قال: ثنا إسحاق بن سليمان حريز ابن عثمان عن شرحبيل بن شفعة قال: لقيني ابن عبد السلمي فقال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»** /١٦٠٦/ سنن ابن ماجهْ.

ـ حدَّثنا مسلم حدَّثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني عن ذكوان عن أبي سعيد رضي اللّه عنه أن النساء قلن للنبي ﷺ: اجعل لنا يوماً، فوعظهن، وقال: **«أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار»** قالت امرأة: واثنان، قال: **«واثنان»**. وقال شريك عن ابن الأصبهاني حدَّثني أبو صالح عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي اللّه تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: أبو هريرة لم يبلغوا الحنث. صحيح البخاري.

ـ حدّثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسَّه النار إلا تحلة القسَم»** صحيح مسلم.

المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا:

حدَّثنا ابن زيد قال: يقال للمرأة من أهل الجنة وهي في السماء: أتحبين أن نريك زوجك من أهل الدنيا؟ فتقول: نعم، فيكشف لها عن الحجب ويفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه، وتعاهده بالنظر حتى تستبطئ قدومه وتشتاق إليه، كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب عنها، ولعله يكون بينه وبين زوجته في الدنيا ما يكون بين النساء وأزواجهن من مكالمة أو مخاصمة، فتغضبه زوجته التي في الدنيا، فيشق ذلك عليها، وتقول: ويحك دعيه من شرّك، إنما هو معك ليال قلائل.

وأخرجه الترمذي بمعناه عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: **« لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك اللَّه، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا »**[1].

زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الآخرة وهي لآخر أزواجها.

يقول تعالى

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ .

[سورة الرعد، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى:

﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ .

[سورة يس، الآية: ٥٦]

ويقول تعالى:

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ .

[سورة الزخرف، الآية: ٧٠]

(١) رواه الترمذي برقم (١١٧٤) وابن ماجة (٢٠٤١) وصححه الألباني.

فإذا كانت الزوجة في الدنيا مؤمنة وصالحة فهي لزوجها المؤمن في الجنة، وهذه من نعم اللَّه سبحانه يمنّ بها على الزوج والزوجة.. وهذا غير زوجاته من الحور العين اللاتي يزوجه اللَّه إياهن في الجنة كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

.... وعلى المؤمنة إذا كان زوجها مؤمناً صالحاً أن تكون له رديفاً في الإيمان لتجتمع وإياه في جنات اللَّه الخالدات.

يقول تعالى بعد أن عدَّد صفات المؤمنين والمؤمنات:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

فيا هناء من تكون مع زوجها المؤمن الصالح وتتبعه في الإيمان والطاعة والعمل الصالح، فاللَّه وحده الذي يعلم ما أعدَّ لهم وهيَّأ، جزاءً بما كانوا يعملون.

وروى البيهقي في السنن عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه أنه قال لزوجته: «**إن شئت أن تكوني زوجتي في الدنيا فلا تتزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا، فلذلك حرَّم اللَّه على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن من بعده لأنهن أزواجه في الآخرة**»[١].

(١) تحقيق في سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الألباني ورقم الحديث ١٢٨١.

اجتماع أهل الجنة

لقد ثبت في الصحيح أن أهل الجنة يأتون كل جمعة إلى سوق أعدَّه اللَّه سبحانه لاجتماع المؤمنين فيه يتذاكرون الدنيا ويحمدون ويشكرون اللَّه سبحانه على ما أنعم عليهم بهذه النعمة العظيمة.

ـ عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في ثيابهم ووجوههم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقولُ أهلوهم: واللَّه لقد ازددتم حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم واللَّه لقد ازددتم حسناً وجمالاً**»[١].

(١) رواه مسلم كتاب الجنة باب في سوق الجنة رقم الحديث ٢٨٣٣.

رضوان اللَّه سبحانه على أهل الجنة

إن أمسَّ ما يحتاجه المؤمنون في جنات النعيم هو رضوان اللَّه سبحانه عليهم، حتى يستمروا في الحياة الخالدة في هذه الجنات الخالدة.. وعندما يهديهم ربهم هذا الرضوان، تنتعش نفوسهم وتغمرهم سعادة تفوق سعادة نعيمهم في الجنة وما نالوه من ألوان وأنواع النعيم.

..... والمؤمنون وهم ينعمون في رضوان الجنة لهم ما يشاؤون عند اللَّه المليك المقتدر، يأتيهم رضوان اللَّه سبحانه.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**(١).

---

(١) متفق عليه، مشكاة المصابيح (٣/ ٨٨).

الصلاةَ ـ الصلاةَ ـ
وصية الله ورسوله ﷺ لمن أراد الجنة

إن أعظم ما يقدّمه الإنسان في حياته هو أن يحافظ على صلاته في أول وقتها أو لوقتها.

. . . . فالصلاة سبب الفلاح في الدنيا وسبب النجاة في الآخرة وسبب دخول الجنة. . فما حافظ عبد على صلاته إلا وجبت له الجنة.

ـ يقول تعالى في الحديث القدسي:

« إن لعبدي عليَّ عهداً، إن أقام الصلاة لوقتها أن لا أعذِّبه وأن أدخله الجنة بغير حساب ».

[رواه الحاكم عن عائشة رضي اللّه عنها]

ـ عن أم سلمة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ قال وهو في الموت: **« الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم. فجعل يتكلم فيها ويفيض »**[(١)].

ـ إنَّ أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلَحت صلح سائر عمله، وإن فسَدت فسد سائر عمله.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر »[(٢)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده ورقم الحديث (٢٦٨٨٤).

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجهْ، صحيح الجامع ٢/ ١٨٤ رقم الحديث (٢٠١٦).

إذا دخل المؤمنون الجنَّة عرَّفها اللَّه سبحانه لهم وكانوا أهدى بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا

هذه نعمة عظيمة وفضل من اللَّه وكرم ودليل على عظيم قدرته سبحانه أنه إذا دخل المؤمن الجنة عرَّفها له ـ وكأنه يعرفها ويعرف منازلها وقصورها وغرفها وخيامها.

يقول تعالى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ .

[سورة محمد، الآيتان: ٥، ٦]

وفي صفوة التفاسير حول هاتين الآيتين الكريمتين ﴿ سَيَهْدِيهِمْ﴾ : أي سيهديهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة بتوفيقهم إلى العمل الصالح وإرشادهم إلى الجنة دار الأبرار، ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ : أي ويصلح حالهم وشأنهم، ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ : أي ويدخلهم الجنة دار النعيم بيَّنها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه، قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا.

وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ هذا الأمر وكيف يهتدي المؤمن إلى منازله في الجنة.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه

ﷺ: « يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا»[١].

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص في الدنيا ـ فتح الباري (١١/ ٣٩٥).

الفصل الثامن

- وقفة مع آيات اللَّه الثلاث الكريمة:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾. [سورة ق، الآية: ٣٥]

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾. [سورة يونس، الآية: ٢٦]

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾. [سورة السجدة، الآية: ١٧]

- ما قاله المفسرون في قوله تعالى:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾. [سورة ق، الآية: ٣٥]

- ما قاله المفسرون في قوله تعالى:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾. [سورة يونس، الآية: ٢٦]

- ما قاله المفسرون في قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾. [سورة السجدة، الآية: ١٧]

- رؤية اللَّه سبحانه.
- أفضل ما يعطى أهل الجنة النظر إلى وجه اللَّه الكريم.
- كيف بالعين وهي تنظر لا إلى جمال صنع اللَّه؟ ولكن إلى ذات اللَّه العلي القدير ذي الجلال والإكرام.
- الأحاديث الثلاثة الشريفة التي تنص على رؤية اللَّه سبحانه.
- الطحاوي يؤكد أن رؤية اللَّه سبحانه حق لأهل الجنة.
- في تفسير الطبري وابن كثير والصابوني في صفوة التفاسير وغيرهم تأكيد على رؤية اللَّه سبحانه.

وقفة مع آيات الله الثلاث الكريمة

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٥]

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٢٦]

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

الآيات الكريمات الثلاث حقيقة ربانية وغيب سماوي، وفضل وكرم إلٰهي وعطاء غير متناه، ومعرفة حقيقتها تحتاج إلىٰ معرفة الغيب، ولكنه علم اختصه اللَّه لنفسه دون خلقه أجمعين.

فإذا كانت حقيقة الجنة بصورتها الكاملةِ (دون الزيادات والمزيد وما أخفي لقرة الأعين) فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكيف لنا أن نعرف زيادات اللَّه وكرمه؟

والزيادات الإلٰهية عن نعيم الجنة ونضرتها لتناسب الأبد والديمومة، فالأبد يحتاج إلي تجديد ومفاجآت، وحين دخولنا الجنة لنا فيها ما لم يكن يخطر على قلوبنا وهو الجزء الأول من نعيم الجنة، ولكن النعيم مستمر من وعد إلٰهي حتمي مطلق لا نفاد لنعيمه، ولسنا بمخرجين منه أبداً.

وأول النعيم أن الموت قضي عليه وذبح بين الجنة والنار،

وثاني النعيم أننا لن نلقى فيها نصباً ولا تعباً، وثالث النعيم نضرة الجنة الرائعة، ورابع النعيم تلك القصور والخيام، وخامس النعيم تلك الزوجات الطاهرات، وسادس النعيم لقاء الأهل والأصحاب، وأنت تعدّ النعيم فلن تصل إلى نهاية، فهي كلها نعيم فكيف أعدُّ نعم النعيم المطلق؟ وحينما يصل المؤمنون إلى حد الإشباع الفعلي لكل شيء ولا يريدون زيادة على ما هم فيه وقد رضوا، ثم رضوا ثم رضوا، لما هم فيه، تظهر كرامات اللّٰه بلا انقطاع، فيسأل اللّٰه عباده: هل رضيتم؟ فيقولون: ولمَ لا نرضى؟ فيقول الإلٰه الكريم: بل لدينا مزيد، وتكشف الحجب وتظهر الزيادات وتلوح في أفق الجنة ما أخفي لهم من قرة أعين، فينالونها تباعاً، ولن تًستطيع الآن، ولكن بعد أن يريك اللّٰه آياته ونعماءه وجنته، أن تتوقع ما هي الزيادة الإلٰهية القادمة لأنها تظهر وتكون بما لا يمكن أن يخطر على القلب، ولا على العقل، وأنت في حضرة الرحمن القادر، وأما اليوم ونحن في الدنيا نبقى بعيدين عن رؤية آيات وقدرة اللّٰه وكرمه وعلمه، ولكن في الجنة تبقى مع كرمه حتى وكأنك تطلب من هذا الكرم أن يتوقف عنك، ولكنه لا يُسمَع لك بل ينزل بأمر اللّٰه على أهل جناته.

وليس على ما يبدو من ظاهر الأسماء أن نعيم الجنة فقط قصور وأرض زعفران ومسك أذفر، ولا خيم، ولا غرف، ولا غلمان وولدان، ولا طعام ولا شراب، ولا حور عين فحسب، إنما هناك نعيم بعيد عن جوارحنا، بعيد عن معرفة حقيقته فلا تستوعبه مداركنا حتى ولو أخبرنا عنه، فالقصور والحور والثمار والطعام ونعم الجنة كلها التي تحدَّث عنها القرآن الكريم والنبي صلوات اللّٰه عليه وسلامه، كلها تدخل ضمن مداركنا، مختلفة في الإنشاء والخلق والطعم

والذوق، وتبقى زيادات اللَّه التي ليست ضمن مداركنا، فنُترك التفصيل عنها، وربما تكون في الجنة أيضاً ضمن مداركنا وننالها عبر الأبد الذي لا ينتهي.

وأعظم الزيادات وأكرمها وأنبلها وأسماها وأرفعها شأناً ومقاماً وأمتعها وأنشاها هي رؤية اللَّه سبحانه وتعالى. واللَّه أعلم.

ما قاله المفسرون في قوله تعالى
﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

[سورة ق، الآية: ٣٥]

لقد سئل أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه عن قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول اللَّه ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه اللَّه تعالى.

وقال علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه: من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه اللَّه تبارك وتعالى في جنته.

وقال حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه: الزيادة النظر إلى وجه اللَّه تبارك وتعالى.

وقال عبد اللَّه بن مسعود وعبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهم: الزيادة النظر إلى وجه اللَّه تعالى عزّ وجلّ، وقال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم عزّ وجلّ يوم القيامة بأعينهم(١).

ويقول ابن كثير في تفسيره عن قوله تعالى:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾: أي مهما اختاروا وجدوا، ومن أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم، عن كثير بن مرة قال: «**من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمطرَه لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم**». وفي الحديث عن ابن مسعود

---

(١) الدار الآخرة الشيخ/ محمد متولي الشعراوي صفحة ٣١٤.

رضي اللَّه عنه قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال له: «**إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً**»[١]. وروى الإمام أحمد، عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة**»[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي:

أنها النظر إلى وجه اللَّه الكريم، وقد روى البزار، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: «**يظهر لهم الرب عزَّ وجلَّ في كل جمعة**»[٣]. وروى الإمام أحمد:

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلّم عليه فيرد السلام، فيسألها من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان، إنَّ أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**»[٤][٥].

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير عن قوله تعالى:

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: أي لهم في الجنة كل ما تشتهيه

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود مرفوعاً.
(٢) رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وزاد الترمذي كما اشتهى.
(٣) رواه البزار وابن أبي حاتم موقوفاً، ورواه الشافعي مرفوعاً في مسنده.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٥) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ٣٧٧.

أنفسهم وتلذ به أعينهم، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: أي وعندنا زيادة على ذلك الإنعام والإكرام وهو النظر إلى وجه اللّٰه الكريم.

ويقول الصابوني: هذا القول مروي عن أنس وجابر بن عبد اللّٰه قالا: «**المزيد**» هو أن يتجلى اللّٰه لهم حتى يروْهُ وذلك في كل جمعة ـ انظر روح المعاني ٢٦ / ١٩٠[١].

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة يقول أصحابها:

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: أي لهؤلاء الأتقياء ما يتمنون وما يشتهون من ألوان النعيم، ولدينا زيادة نعيم مما لا يخطر لهم ببال.

ويقول السيوطي في تفسيره: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: أي زيادة على ما عملوا وطلبوا.

---

(١) صفوة التفاسير صفحة ١٣٨٧.

ما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

[سورة يونس، الآية: ٢٦]

يقول الصابوني: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي للذين أحسنوا بالإيمان والعمل الصالح لهم الحسنى أي: الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي النظر إلى وجه اللّه الكريم، **ويقول ابن كثير في قوله تعالى:**

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال، ويشمل ما يعطيهم اللّه في الجنة من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه، النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته، وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم الجُمهورُ من السلف والخلف، روى الإمام أحمد عن صهيب رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ تلا هذه الاية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند اللّه موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فواللّه ما أعطاهم اللّه شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه ولا أقرّ لأعينهم**»[(١)]. وعن أبي موسى الأشعري، عن رسول اللّه

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

ﷺ : « **إن اللّه يبعث يوم القيامة منادياً ينادي : يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم؛ إن اللّه وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن** »[1] . وسئل رسول اللّه ﷺ عن قول اللّه عزّ وجلّ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « **الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه اللّه عزّ وجلّ** »[2][3] .

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة في قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ للذين أحسنوا بالإيمان والعبادة والأعمال المثوبة الحسنى وهي الجنة وزيادة عليها من النعيم الروحي، وهو النظر إلى وجه اللّه الكريم. ويقول جلال الدين السيوطي : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ بالإيمان ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ : أي النظر إلى اللّه تعالى .

---

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن جرير عن أبي بن كعب.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ١٩١.

ما قاله المفسرون في قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

فقد نفى اللّه سبحانه العلم عن أي نفس، ولم يستثن أحداً ليعلم ما قد أخفاه اللّه سبحانه من عظيم الأجر والنّعم لعباده المؤمنين في الجنة، والآية الكريمة هي التي تجعل النفس تتشوق بلهفة المحب المشتاق إلى رحمة اللّه وكرمه وفضله على المؤمنين . . فأي تعبير هذا الذي جاء في القرآن، حيث يحمل في طيّاته عشرات بل مئات التفسيرات والاحتمالات والتوقعات وكلها في النهاية لا ترقى إلى مراد اللّه سبحانه في تحليلاتها وتوقعاتها وتفسيراتها، إلا أن هذا لا يمنع البتة أن يحاوِل الإنسان أن يفسِّر ويحلِّل بما وهبه اللّه من عقل.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ : أي فلا يعلم أحد من الخلق مقدار ما يعطيه اللّه سبحانه من النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثواباً لما قدَّموه في الدنيا من صالح الأعمال.

ويقول ابن كثير في تفسيره:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ : أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى اللّه لهم في الجنات، من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمّا أخفَوا أعمالهم، كذلك أخفى اللّه لهم من

الثواب، جزاء وفاقاً، فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى اللَّه لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر، قال البخاري: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآيةَ، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال اللَّه تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[١]، وفي الحديث: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[٢]. وروى مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**سأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله معه، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر. قال: ومصداقه من كتاب اللَّه عزّ وجلّ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» الآية[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد.

(٢) رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم عن المغيرة بن شعبة، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

رؤية الله سبحانه وتعالى

أفضل ما يعطى أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم:

إنها غاية الغايات ومنتهى الأمل وميزان النعيم المطلق ورجاء المؤمنين والمؤمنات، وحُلُم أهل الجنة وبالغ سرورهم ومحط أنظارهم أن يَروْا خالقهم صاحب النعيم كله، وما وصل إليه المؤمنون من حبور وسعادة وسرور فبفضله وكرمه تعالى اللامحدودين.

قال اللّه تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

[سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

إنه الوعد الإلٰهي الحق، فقد وعدنا برؤيته في كتابه العزيز، وجاءت كلمات الآية صريحة واضحة سَلِسَةً لا شك فيها ولا غموض ولا لَبْس، فالوجوه مضيئة بنور ربها، نضرة من نضرة نعيم خالقها، ناظرة إلى إلٰهها العظيم الكريم المتفضل على عباده، فأي مستوى ستصل إليه هذه الوجوه الناضرة؟ وأي مستوى من السعادة ستكون فيه؟

إن روح الإنسان ونفسه لتستمتع أحياناً بلمحة من جمال الإبداع الإلٰهي في الكون، أو في النفس، أو جمال الخلق البشري في نظرة إلى الفجر الوليد، أو الظل المديد، أو الصحراء المنسابة، أو الروض البهيج، أو الليلة الصافية المنيرة، إلى آخر مطالع هذا الجمال في هذا الوجود.

كيف بالعين وهي تنظر لا إلى جمال صنع اللَّه سبحانه؟ ولكن إلى ذات اللَّه العلي القدير ذي الجلال والإكرام؟

نعم إنه مقام نناله بإذن اللَّه تعالى، ولكنه يحتاج أولاً إلى مدد من اللَّه وتثبيت من اللَّه ليملك الإنسان في لحظة النظر إلى بارئهِ نفسَه وروحه، وكي يستمتع بالسعادة التي لا يمكن أن يحيط بها وصف ولا يصوّر حقيقتها تخيل ولا يحسها إدراك.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وما لها لا تنضر وهي إلى ربها تنظر؟

فأما كيف تنظر؟ وبأي جارحة تنظر؟ وبأي وسيلة تنظر؟ فذلك حديث لا يخطر على قلب، يطلقه النص القرآني في القلب المؤمن لتحلّق السعادةُ التي يفيضها على الروح، والتشوق والتطلع والانطلاق.

وإذا حدث النظر وثبتك اللَّه لهذه الرؤية التي تضاءل لها أنعم الجنة كلها حتى تصبح صفراً، لا تريد أن تحيد عن رؤية ربك، ولم يعد يشغلك أمر سوى النظر إلى خالق الوجود كله، وتكتسي الوجوه النور الإلٰهي وتنتشي الأجساد النشوة المثلى، وتلتحم النفس مع روحها في تآلف وانسجام غمرت الجسد كله.

ليس الوجود أمام ناظريك في الجنة، وإنما خالق الوجود وموجد الحسن والجمال وخالق النور ومبدع الأشياء، فإذا كانت حورية من الحور العين ـ وهي خلق من خلق اللَّه سبحانه ـ إذا اطَّلعت على السماء الدنيا أضاءت ما بينهما، فكيف وأنت في حضرة جبار السماوات والأرض وخالق الجنة وخالق النار رب الوجود وما نعلم وما لا نعلم؟ كيف أنت وقد كشف اللَّه الحجاب عنك لتراه؟ كيف تكون الجنة من حولك وأي إشراق لها وقد تجلى اللَّه سبحانه لها

ولنا؟ وماذا يكون حال أشجارها وزعفرانها وأنهارها حينما تصبح في نور الرحمن؟ وأي حلل ستكتسي وأي نور ستكون فيه؟

إن الرؤية قمة الأمل وقمة السعادة وقمة السرور وقمة النشوة، فيا هناء الروح والنفس والجسد، فلنسعَ إلى فيض السعادة الغامر وفيض الروح المقدس الطهور ولا نكن من الذين قال فيهم اللَّه سبحانه وتعالى.

قال اللَّه تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾.

[سورة المطففين، الآية: ١٥]

هؤلاء هم الذين حجبت قلوبهم المعاصي والآثامُ، حجبتها عن الإحساس بربها في الدنيا وطمستها حتى أظلمت وعميت عن الآخرة، ومن كان في هذا فالجزاء الطبيعي في الآخرة أن يحرموا من النظر إلى وجه اللَّه الكريم، وأن يحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى، والرؤية لا تكون إلا لمن صفت نفسه وشفت روحه، وكان يعيش في مملكة الذاكرين والموحدين، وكان من زمرة الصادقين المحسنين. واللَّه أعلم.

الأحاديث الشريفة التي تنص على رؤية اللَّه سبحانه:

عن صهيب الرومي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى**» زاد في رواية: «**ثم تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾**»(١).

(١) رواه مسلم في صحيحه والترمذي في سننه، جامع الأصول (١٠/ ٥٦).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ـ** وفي رواية طولها ـ **ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** »[١].

عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: « **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فقالوا: ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى وجه الله ولا أقرّ لأعينهم** »[٢].

من هذه الأحاديث الشريفة الثلاثة يتبيَّن لنا أن الرؤية (رؤية الله سبحانه) محققة، وأمَّا قوله في حديث مسلم: (فيكشف الحجاب) فإن معناه كما قال القرطبي: أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال، لا إله إلا هو، سبحانه عما يقول الزائغون والمبطلون، فذكر الحجاب إنما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق، فهم المحجوبون، والباري جل اسمه وتقدَّست أسماؤه منزه عما يحجبه. إذ الحجاب إنما يحيط بمقدار محسوس، ولكن حجب أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء.

---

(١) رواه البخاري ومسلم مشكاة المصابيح (١٠/ ٢٨٦) ورقمه (٥٦١٦).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦١/ ١١٢٣٤). الطحاوي يؤكد أن رؤية الله سبحانه حق لأهل الجنة.

... ومن الذين أكَّدوا رؤية اللَّه سبحانه في الجنة الطحاوي فقد قال: « الرؤية حق لأهل الجنة (بغير إحاطة ولا كيفية) كما نطق به كتاب ربنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وهذا صحيح في الكتاب والسنة فلا تدخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوجهين بأهوائنا » .

ومما قال شارح الطحاوية مبيناً مذاهب الفرق الضالة في مسألة رؤية اللَّه ومبيناً مذهب أهل الحق:

« المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة » .

وقال في هذه المسألة أيضاً:

« وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمِّرون، وتنافس المتنافسون، وحُرِمَهَا الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون » .

ثم بيَّن أن قوله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ من أظهر الأدلة على هذه المسألة، وأما الذين أبَوْا إلا تحريفها بما يسمونه تأويلاً: فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل. ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرِّفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

وبيَّن مفاسد وخطورة التأويل: « وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذَّرنا اللَّه أن نفعل مثلهم » .

ثم وضح أن دلالة الآية على الرؤية من جانبين: **الأول**: فقه النص. **والثاني**: فقه علماء السلف لهذا النص. ففي الأول قال:

«وإضافة النظر إلى الوجه، الذي هو محله، في هذه الآية، وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه ـ حقيقة موضوعة صريحة في أن اللَّه أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله».

ولقد وضح معنى الزيادة في قوله تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وأنها النظر إلى وجه اللَّه الكريم، وساق في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب رضي اللَّه عنه، قال: قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند اللَّه موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة».**

ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة النظر إلى وجه اللَّه عزّ وجلّ، وكذلك فسرها الصحابة رضي اللَّه عنهم. روى ابن جرير ذلك عن جماعة، منهم: أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، رضي اللَّه عنهم.

ثم ذكر شارح الطحاوية: أن الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد. فمنها: حديث أبي هريرة: أن ناساً قالوا: يا رسول اللَّه، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«هل تُضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: هل تُضارُّون في الشمس ليس دونها**

سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك»، الحديث، أخرجاه في «**الصحيحين**» بطوله. وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في «**الصحيحين**» نظيره. وحديث جرير بن عبد اللّه البجلي، قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «**إنكم سترون ربكم عِياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته**»، الحديث أخرجاه في «**الصحيحين**». وحديث صهيب المتقدم، رواه مسلم وغيره. وحديث أبي موسى عن النبي ﷺ، قال «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»، أخرجاه في «**الصحيحين**». ومن حديث عدي بن حاتم: «**وليَلْقَينَّ اللّه أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فيقول: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى يا رب**» أخرجه البخاري في «**صحيحه**»[(١)].

ولقد حثنا رسول اللّه ﷺ على عدم ترك صلاة الفجر والعصر وكأنهما من أعظم أسباب الرؤية.

ـ عن جرير بن عبد اللّه قال: كنا عند رسول اللّه ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ**[(٢)]:

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ ».

[سورة ق، الآية: ٣٩]

---

(١) شرح الطحاوية من صفحة ٢٠٤ وبعض الفقرات إلى ٢١٠.
(٢) رواه البخاري برقم ٧٤٣٤ ومسلم برقم ٦٣٣ وأبو داود والترمذي.

في تفسير الطبري وابن كثير والصابوني في صفوة التفاسير وغيرهم تأكيد على رؤية اللَّه سبحانه.

في قوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

[سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: أي تراه عياناً كما رواه البخاري في صحيحه: «**إنكم سترون ربكم عياناً**»، وقد ثبتت رؤية المؤمنين للَّه عزّ وجلّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا تأويلها لحديث أبي هريرة وهو في الصحيح أنَّ ناساً قالوا: يا رسول اللَّه، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا: لا، قال: «إنكم ترون ربكم كذلك**». وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول اللَّه ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا**». وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى اللَّه عزّ وجلّ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**». وفي مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ـ قال: يقول اللَّه تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة**»، ثم تلا هذه الاية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. ففي هذه

الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عزّ وجلّ في العَرَصات وفي روضات الجنات، وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في مُلكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه اللَّه كل يوم مرتين**»[١].

ولقد بينّا ووضحنا كل الدلائل والقرائن والتفسيرات وآراء العلماء والمفسرين حول «**رؤية اللَّه سبحانه**» واللَّه أعلم.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٢ صفحة ١٩١.

الخاتمة

الحمد للَّه على كل حال وفي كل وقت وحين، فالشكر للَّه على الدوام والفضل منه وإليه.

. . . هذه الخاتمة العاشرة للجزء العاشر من موسوعة الآخرة، حيث جعلت لكل جزء مقدمة وخاتمة. . ففي المقدِّمة نبيِّن العمل وفي الخاتمة نشكر اللَّه على النعم.

وفي هذه الخاتمة أضاعف شكري للَّه سبحانه، وأحمده حمد العبد الضعيف الملتجئ إليه على الدوام السائل والداعي والمستغيث لرحمته وعفوه وكرمه.

. . . إن شكري للَّه سبحانه عظيمٌ أن أعانني على أن أختم هذه الموسوعة بعد أن كتبت أجزاءها العشرة. . . . أختم هذه الموسوعة عن رحلة الآخرة ولا أريد أن أختمَ. . فإن الكلام عن الآخرة شيء جميل وعظيم وفيه عظة وعبرة، ولقد كتبت بفضل اللَّه سبحانه من قبل أن أكتب هذه الموسوعة واحداً وثلاثين كتاباً ما شعرت بما شعرت به وأنا أكتب عن اليوم الآخر. . وأدركت أن من أعظم ما يكتبه الإنسان وأفخره وأرفعه شأناً أن يكتب عن الآخرة بكل تفاصيلها ومعانيها. . . أليست هي المآل والمصير؟. . هل يستطيع أحد منا أن لا يكون راكباً مسافراً إليها؟. . . إنها الحقيقة الواقعة على البشر جميعاً شاء منهم من شاء وأبى منهم من أبى.

يقول تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٥، ١٦]

إن يوم القيامة هو الحقيقة، أو قل هو الحقيقة كلها، وإن الحساب حق والعرض على اللَّه حق، والجنة حق، والنار حق.. وهذه الأجيال السابقة، منهم المتمرد على اللَّه سبحانه ومنهم من أطاع اللَّه ـ فأين هم جميعاً؟ وما استطاع أن يفعل المتمردون والذين أنكروا حقيقة الآخرة؟أين هم أولئك الذين أشركوا وعبدوا غير اللَّه سبحانه والذين أنكروا حقيقة الآخرة؟ أين هم أولئك الذين أشركوا وأصروا وعاندوا؟ إنهم الآن تراب، سيجمعهم اللَّه جميعاً رغماً عن أنوفهم، لقد أحصاهم وعدَّهم عداً، وكلهم سيأتيه راغماً فرداً لا حول له ولا قوة.

يقول تعالى:

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

لقد قرأنا في الموسوعة حقائق الحياة وحقائق الآخرة، وبينَّا أن اللَّه سبحانه ما خلق هذه الدنيا إلا للابتلاء والامتحان، وأن اللَّه سبحانه لم يجعلها دار سعادة، ولا دار هناء، ولا دار استقرار، عشرات الآيات القرآنية التي يبيِّن اللَّه سبحانه فيها أنه خلق الدنيا ليبتلي الناس، وجعل شرط دخول الجنة أن ينجح العبد في هذا الابتلاء وهذا الامتحان.

يقول تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ

ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢١٤]

ويقول تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٢]

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ .

[سورة التوبة، الآية: ١٦]

فاللَّه سبحانه جعل شرط دخول الجنة هذا الامتحان ـ الامتحان بالعقيدة والامتحان بالطاعة والامتحان بالعمل، فطريق الجنة شاق وصعب ويحتاج إلى عمل، وما يلقاها إلا الذين صبروا على هذا الابتلاء وهذا الامتحان.

يقول تعالى:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٣٥]

فلنصبر على امتحان اللَّه ولنؤدّ ما علينا وما فرضه اللَّه وما طلبه منا، ولنبتعد عن ما نهانا عنه ونعمل بما طلبه ونحلِّل ما حلَّله لنا ونحرِّم ما حرَّم علينا.

. . . ها أنتم قرأتم عن قيام الساعة والبعث والنشور وعن يوم القيامة، ثم قرأتم عن النار وأهوالها وعن الجنان ونعيمها وقصورها وحورها، فأي الطريقين أهون وأسهل؟ واللَّه إنه طريق اللَّه سبحانه، واللَّه سبحانه يقول لنا:

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

يقول تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٣٣]

واللّه سبحانه في علاه يناشدنا أن لا نركن للدنيا، ولا نجعلها مطلباً لنا.

يقول تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.

[سورة الأنفال، الآية: ٦٧]

ويقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

[سورة القيامة، الآيتان: ٢٠، ٢١]

نعم إن اللّه سبحانه يريد لنا الآخرة ويريد لنا الجنة، فهو أعلم بما فيها وبما أعدّه للمؤمنين الطائعين العابدين الشاكرين الحامدين من أجر عظيم، وهو الذي خاطب المؤمنين وقال لهم في محكم كتابه الكريم:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٥]

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٢٦]

إنها دعوة اللَّه سبحانه لجناته المفتوحة أبوابها لكل من أراد أن يلج فيها وأن يكون من أهلها.

فهل تبيعون جنات اللَّه الخالدات بما فيها من نعيم، حيث لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر.. بعرض من الدنيا زائل؟ وهل تبيعون آلاف ومليارات السنين والأعوام تعيشون فيها في رحمة اللَّه خالدين مقابل ما بقي لكم من الحياة في هذه الدنيا الدنية والتي ربما لا تتجاوز سنوات معدودة؟

... إن الذي قرأ الموسوعة، وقرأ جزءها الذي يتحدث عن الجنان، لا بد أن يعيد النظر في حياته، فالعاقل يضع الأمور في نصابها وفي ميزانها، فلنزن الأمور ونبحث عن الربح الكبير والذي لا نجده إلا عند مالك الملك.

فهلموا إلى طاعة اللَّه.

هلموا إلى رحمة اللَّه.

هلموا إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

هلموا إلى دار الخلد.

- هلموا إلى دار فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- هلموا إلى رضوان اللَّه، حيث لا يسخط عليكم بعده أبداً.

- هلموا إلى محبة اللَّه في دار رضوانه.

- هلموا إلى عِيشة السعداء مع الصديقين والشهداء.

- هلموا إلى دار الخلد والقرار، لكم فيها ما تشاؤون.

ـ هلموا إلى دار لا نصب فيها ولا تعب، وما أنتم بخارجين منها.

ـ هلموا إلى رؤية الرحمن بوجوه ناضرة إلى ربها ناظرة.

إنها دعوة مفتوحة ببطاقة، وبطاقتك شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه والعمل الصالح.

. . . . لا إلٰه إلا اللَّه الحليم الكريم ـ لا إلٰه إلا اللَّه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، لا إلٰه إلا أنت سبحانك إنا كنَّا ظالمين . . اللَّهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرْفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، واهدنا إلى صراطك المستقيم . . . اللَّهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا . . . اللَّهم إنّا نسألك المعافاة في الدنيا والآخرة.

اللَّهم اقبل توبتنا واقبل طاعتنا واقبل عودتنا إليك طائعين مستغفرين تائبين معاهدين راجين متوسلين، فأدخلنا في عبادك الصالحين، واجعلنا من عبادك المخلصين، ومن أوليائك الصالحين، ومن أهل العلم العاملين، ومن عبادك المؤمنين المسلمين، واجعلنا لك مسلمين ومن ذريتنا، وأصلح لنا في أنفسنا وذريتنا، وأدخلنا في رحمتك، واجعلنا من سكان جنتك، فوَّضنا إليك أمرنا، وتوكَّلنا عليك، وما خاب من توكَّل على اللَّه رب العالمين.

اللَّهم سامحني فيما أخطأت لأني ما تعمدت، وأجُرْني فيما كتبت، لأن في عملي وجهكَ الكريم قصدت، واجعل ما كتبت، وأهديت، سبباً لمن قرأ وهديت، وأجرني فيما أحسنت وأصبت، اللَّهم إني أدعوك دعاء الفقير المستغيث أن تتقبَّل مني عملي هذا

خالصاً لوجهك الكريم، وأشهدك أني ما قصدت سواك ولا أبغي إلا إياك، فآتني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقني عذاب النار، فأجرني وكل من ساهم معي في هذه الموسوعة، وعمل على تدقيقها وطبعها ونشرها وتوزيعها، وشرّفني بكتابة تقديمها، وأعانني فيها، فاجعلها في ميزان حسناتهم وحسناتي، واللَّه من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

تلفون جوّال / ٠٥٠/ ٠٠٩٧١

٧٥٢٦٦٩١

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.

٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.

٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).

٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟

٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.

٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.

٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.

٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.

٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.

١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.

١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.

١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.

١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.

١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.

١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).

١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.

١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللَّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالَم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجهْ.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

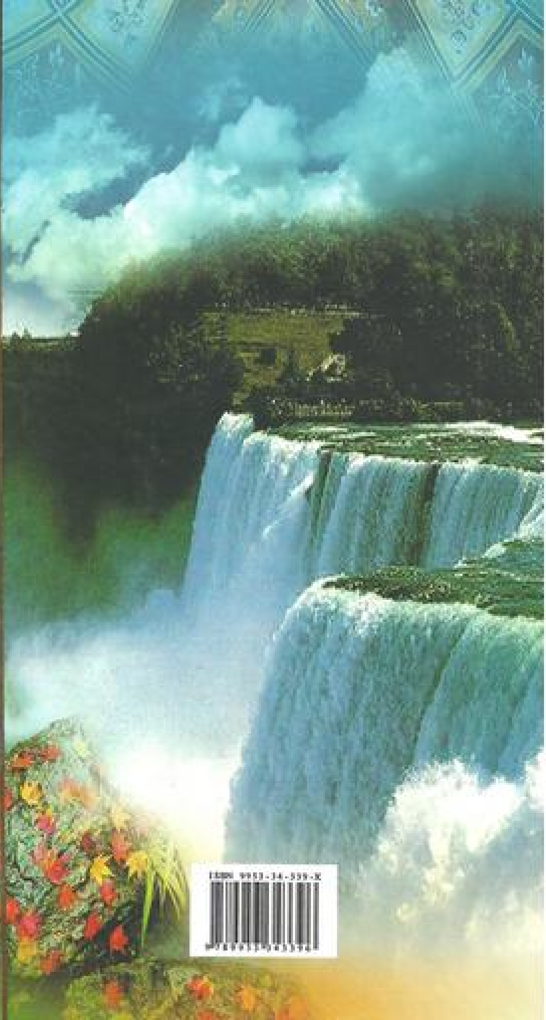
سلسلة
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-339-X